

# الإحاطة في أخبار عصرنا طريفا

تأليف  
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلطاني  
الشهير بلسان الدين ابن الخطيب  
المتوفى سنة ٧٧٦ هـ

بترجمة وضبطه وقدم له  
الأستاذ الدكتور يوسف عايي طويل  
أستاذ الأدب الأندلسي والدراسات العليا  
بالجامعة اللبنانية

تنبيه:  
وضعنا الفهارس العامة للكتاب في آخر الجزء الرابع

الجزء الثالث

منشورات  
محمد عسلي بيضون  
لنشر كتب السنة والجماعة  
دار الكتب العلمية  
بيروت - لبنان

منشورات دار الكتب العلمية بيروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة  
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.  
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو  
مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر  
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by

**Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon**

No part of this publication may be translated,  
reproduced, distributed in any form or by any means,  
or stored in a data base or retrieval system, without the  
prior written permission of the publisher.

Droits exclusifs à

**Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban**

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale  
d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur  
cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production  
écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée  
de l'éditeur.

الطبعة الأولى

٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الطريف - شارع البحتري - بناية ملكارت  
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية  
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ (+٩٦١ ٥)  
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

**Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah**

Beirut - Lebanon

Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

**Head office**

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

**Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah**

Beyrouth - Liban

Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

**Administration général**

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3319-5



9 782745 113319

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: [sales@al-ilmiyah.com](mailto:sales@al-ilmiyah.com)

[Info@al-ilmiyah.com](mailto:Info@al-ilmiyah.com)

[baydoun@al-ilmiyah.com](mailto:baydoun@al-ilmiyah.com)

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم

محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي<sup>(١)</sup>

من أهل سَنَةِ، أبو القاسم بن أبي زكريا بن أبي طالب.

حاله: من أهل الظَرْف والبراعة، والطبع المَعِين، والذكاء، رئيس سَنَةِ، وابن رؤسائها، وانتقل إلى غرناطة عند خُلْعِه وانصرافه عن بلده. أقام بها تحت رَغِي حَسَن الرُّوَاء، مَأْلَفًا لِلظُرَفَاءِ، واشتهر بها أدبه، ونظر في الطُّبِّ ودَوَّن فيه، وبرع في التَّوْشِيح. ثم انتقل إلى العُدُوَّة، انتقل غِبْطَةً وأثَرَةً، فاستُعْمِلَ بها في حُطْط نَبِيهَةٍ، وكتب عن ملوكها، وهو الآن بالحالة الموصوفة.

وَجَزَى ذَكَرُهُ فِي «الإِكْلِيل» بِمَا نَصَّهُ<sup>(٢)</sup>: فرع تأوَّد من الرئاسة في دَوْحَةٍ، وتردَّد بين غَدُوَّة في المجد ورَوْحَةٍ، نشأ والرئاسة العَزْفِيَّة تَعَلَّه وتَنَهَّلَه، والدَّهْر يُسَيِّر أَمَلَه الأَقْصَى ويسهِّلَه، حتى أَثَسَّتْ أسبابُ سعدِه، وانتهت إليه رياسة سَلَفِه من بعده، فَأَلَقَّتْ إليه رِحَالَهَا وَحَطَّتْ، ومَتَّعَتْه بقربها بعدما شَطَّتْ. ثُمَّ كَلَّحَ له الدهر بعد ما تَبَسَّمَ، وعاد زَغَزَعًا<sup>(٣)</sup> نَسِيمُهُ الذي كان يَتَنَسَّم، وعاقَ هلاله عن تِمِّه، ما كان من تَغْلُبِ ابن عَمِّه، واستقرَّ بهذه البلاد نائِي<sup>(٤)</sup> الدار بحكم الأقدار، وإن كان نبيه المكانة والمقدار، وجرت عليه جِرَايَةٌ واسعة، ورعاية مُتتَابِعَةٍ، وله أدبٌ كالرَّوْضِ بأكْرَتِه

(١) ترجمة العزفي في الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٥٢) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧٨) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٣٧٨) وجاء في أزهار الأرض أنه ولد بسنة عام ٦٩٩ هـ، وبويع بها بعد أبيه عام ٧١٩ هـ، وخلع في سنة ٧٢٠ هـ، فكانت دولته ستة أشهر، وتوفي بفاس سنة ٧٦٨ هـ. وقد ذكرنا ذلك؛ لأن ابن الخطيب لم يذكره هنا كعادته مع سائر التراجم.

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧٨).

(٣) الزعزع: الريح الشديدة. لسان العرب (زعزع).

(٤) في نفح الطيب: «نازح».

الغمائم، والزَّهر تفتَّحت عنه الكمائم، رَفَعَ منه رايةً خافقة، وأقام له سوقًا نافقة. وعلى تدفُّق أنهاره، وكثرة نظمه واشتهاره، فلم أظفر منه إلا باليسير التافه بعد انصرافه.

شعره: قال: [مجزوء الرجز]

أفديك يا رِيح الصُّبا      عوجي على تلك الرُّبى  
واخذُ النُّعَامى سِخْرًا      تُرسلُ غمَامًا صَبَا  
على رُبى غَزْناطة      لكي تُقْضِي ما ربا  
ثم أبلغني<sup>(١)</sup> يا ريح      عن صبِّ سلاما طيِّبا

ومن منظومه أيضًا في بعض القضاة الفاسيين، وهو من البديع، وورى فيه بيايين من أبواب المدينة: [المقارب]

وَلَيْتَ بفاسِ أمورَ القضاء      فأخَذْتُ فيها أمورًا شنيعة  
فتَحْتُ لنفسك بابَ الفُتوح      وَعَلَقْتُ للناسِ بابَ الشَّرِيعَة  
فَبَادَرَ مولى الورى فارس      بعَزْلِكَ عنها قُبيل الذَّرِيعَة  
وقال: [الكامل]

دَغَ عنكَ قول عواذِلٍ ووشاة      وأَذِرْ كؤُوسَكَ يا أخوا اللذاتِ  
واخلُغْ عِذاركَ لاهِيًا في شُرْبِها      واقطعْ زمانَكَ بين هَاك وهَاتِ  
خذْها إليك بكفٍّ ساقٍ أَغْيَدِ      لِيَنِ المعاطِفِ فاتِرِ الحركاتِ  
قد قام من أَلحاظه إنسانُها      مُثَبَّتًا في فترة اللحظاتِ  
يُسْقِيكُها حمراءِ يسطعُ نورُها      في الكأسِ كالمصباحِ في المِشْكَاتِ  
رَقَّتْ وراقتْ في الرُّجاجةِ مَنْظَرًا      لَمَّا عَدَتْ تُجْلِي على الرِّاحاتِ  
لا تَمْرِجَنَّها في الأبارقِ إنها      تَبْدُو محاسنُها لدى الكاساتِ  
عَجَبًا لها كالشمسِ تَغْرُبُ في فَمِ      لكنْ مَطَالِعُها من الوجناتِ  
نَلْنَا بها ما نَشْتَهِيهِ من المُنَى      في جَنَّةِ تُزْهِى على الجَنَّاتِ  
رَقَّتْ عليها كلُّ طَلٍّ سَجَسَجَ      مِنْ كُلِّ غَضٍّ يانِعِ الثمراتِ  
ما بين حُضْرٍ حَدائِقٍ وخمائلِ      وجداولٍ تُفْضِي إلى دَوَحاتِ  
سَرَى النسيْمُ بها يَصافِحُ زهره      فيهبُ وهو مُورِّجُ النفحاتِ

(١) في الأصل: «أبلغني» وكذا ينكسر الوزن.



وشدا لنا فيها مُعَنَّ شادين  
طَرِبَتْ له الْقُضْبُ اللَّدَانُ وبادرت  
مَرَّت عليه زُكْعًا لكنها  
قصرَتْ صلاة الخوف منه فَقَرَّبَتْ  
والْعُودُ مَثْنَاهُ يُطَابِقُ زِيَّهَا  
إِنْ جُسَّ مَثْلَيْتُهُ بَانَ بِغُنَّةٍ<sup>(١)</sup>  
فكان ما عَنَّتْ عليه الْوُزُقُ من  
عَكَفَتْ على أَلحَانِهَا تَشْدُو لنا  
فكأنها عُجْمٌ توارث بالحجاب  
نطقَتْ بأفصح نَعْمَةٍ في شْدَوْهَا

ومما أَنشده ليلة ميلاد رسول الله ﷺ: [المتقارب]

إِذَا لَمْ أَطِقْ نَحْوُ نَجْدٍ وَصُولًا  
وكم حَلَّ قَلْبِي رَهِيْنَا بها  
محل بها في الحلال التي  
وكم بَتْ فيها غداة التَّوَى  
على شَمْسٍ حُسْنٍ سَمَا ناظِرِي  
وَقَفْتُ بوادي الْغُضَا ساعة  
وفي البان من أَيْكِهِ ساجع  
بحقِّ الْهَوَى يا حَمَامَ الْجِمَى  
فَقَدْ هَجَتْ تالله أَشْوَاقِهِ  
أَلَمْ تَذَرْ أَنْ اذْكَارِي الْهَوَى  
رعى الله تَلَكَّ الْمَطَايَا التِّي  
ويا عَجَبًا كَيْفَ خَفَّتْ بِهِمْ  
وَوَدَّعَنِي الصَّبْرُ إِذْ وَدَّعُوا  
وَأَثَرْتُ، يا ويح نفسي، المقام

بَعَثْتُ الْفُؤَادَ إِلَيْهَا رَسُولًا  
غداة تَوَى الرُّكْبُ فِيهَا النُّزُولَا  
ضَحَى أَصْبَحَ الْقَوْمِ فِيهَا حُلُولَا  
أَسْحُ من الْعَيْنِ دَمْعًا هُمُولَا  
إِلَيْهَا وَعَنِّي تَوَارَتْ أَفْوَلَا  
لَعَلِّي أَنْدَبُ فِيهَا الطُّلُولَا  
يَرْجِعُ بِالْقُضْبِ مِنْهَا الْهَدِيلَا  
تَرْفُقُ بِقَلْبِي الْمُعْنَى قَلِيلَا  
بِذِكْرِكَ إِلْفَا ثَنِي<sup>(٢)</sup> أَوْ خَلِيلَا  
يُذِيبُ وَيُعْنِي الْفُؤَادَ الْعَلِيلَا؟  
إِلَى الْحَجِّ وَخَذَا سَرَتْ أَوْ ذَمِيلَا  
وَحَمَلَتْ الْقَلْبَ جَمَلًا ثَقِيلَا  
فَمَا أَنْ وَجَدْتَ إِلَيْهِ سَبِيلَا  
وَأَثَرَ أَهْلُ الْوُدَادِ الرَّحِيلَا

(١) في الأصل: «في» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) الْغُنَّةُ: صوت يخرج من الخيشوم. محيط المحيط (غثن).

(٣) في الأصل: «ثانيًا»، وكذا ينكسر الوزن.

وجادوا رَجاءً<sup>(١)</sup> الرُّضَى بالنفوس  
 نَدِمْتُ عَلَى السَّيْرِ إِذْ فَاتَنِي  
 وفاز المخفُّون إِذْ يَمُمُّوا  
 وحجُّوا وزاروا نبيَّ الهدى  
 وفازوا بإذراك ما أَمَلُوا  
 ولو كنت في عزمهم مثلهم  
 ولكنني أَثَقَلْتَنِي الذنوب  
 ركبْتُ مطيَّةً جهل الصُّبا  
 ومالت بي النَّفْسُ نحو الهوى  
 فَطُوبَى لِمَنْ حَلَّ فِي طَيِّبَةٍ  
 ونال المُنَى فِي مَنَى عِنْدَمَا  
 وَأَضْفَى الضَّمائِرَ نحو الصُّفا  
 وجاء إلى البيت مستبشرا  
 وطاف ولَبَّى بِذَاكَ الْجَمَى  
 بلاد بها حلَّ خَيْرُ الْوَرَى  
 نَبِيٍّ كَرِيمٍ سَمَا رِفْعَةً  
 وكان لَأَمْتِهِ رَحْمَةً  
 وَكَانَ رَوْوفاً رَحِيماً لَهُمْ  
 لَهُ يَفْزَعُونَ إِذَا مَا رَأَوْا  
 وإن جاء في ذنبهم شافعا  
 له معجزات إِذَا عُذِّدَتْ  
 ولن يبلغ القول معشارها  
 وَقُسُّ الْبَيَانِ وَسَخْبَائِهِ<sup>(٢)</sup>  
 تَحْيِيْرُهُ اللهُ فِي خَلْقِهِ

وَكُنْتُ بِتَفْسِي ضَنْيِنًا بِخَيْلَا  
 وَلَا زَمْتُ حُزْنِي دَهْرًا طَوِيلَا  
 مَنَازِلَ آثَارِهَا لَنْ تَزُولَا  
 مُحَمَّدَا الْهَاشِمِيَّ الرَّسُولَا  
 وَنَالُوا لَدَيْهِ الرُّضَى وَالْقَبُولَا  
 إِذَا لَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ عَجُولَا  
 وَمَا كُنْتُ لِلثُّقْلِ مِنْهَا حَمُولَا  
 وَكَانَتْ أَوَانُ التَّصَابِي دُلُولَا  
 وَقَدْ وَجَدْتَنِي غُرًّا جَهُولَا  
 وَعَرَسَ بِالسَّفْحِ مِنْهَا الْحَمُولَا  
 نَوَى بِالْمَنَازِلِ مِنْهَا نُزُولَا  
 يُؤْمَلُ لِلْوُضَلِ فِيهِ الْوُضُولَا  
 لِيَطْهَرَ بِالْأَمْنِ فِيهِ دُخُولَا  
 وَنَالَ مِنَ الْحَجَرِ قَصْدًا وَسُولَا  
 فَطُوبَى لِمَنْ نَالَ فِيهَا الْحُلُولَا  
 وَقَدَّرَا جَلِيلًا وَمَجْدًا أَصِيلَا  
 بِفَضْلِ الشِّفَاعَةِ فِيهِمْ كَفِيلَا  
 عَطُوفًا شَفِيعًا عَلَيْهِمْ وَصُولَا  
 لَدَى الْحَشْرِ خَسْفًا وَأَمْرًا مَهُولَا  
 بَدَا الرَّخْبُ مِنْ رَبِّهِ وَالْقَبُولَا  
 تَفَوْتَ النُّهَى وَتُكِلُّ الْعَقُولَا  
 وَإِنْ كَانَ الْوَصْفُ فِيهَا مُطِيلَا  
 يَرَى ذَهْنَهُ فِي مَدَاهَا كَلِيلَا  
 فَكَانَ الْخَطِيرُ لَدَيْهِ الْمَثِيلَا

(١) في الأصل: «رجاء»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) قُس: هو قس بن ساعدة بن عمرو الإيادي، أسقف نجران، وخطيب العرب وشاعرها، يضرب به المثل في البلاغة. وسخبان: رجل من بني باهلة يضرب به المثل في الخطابة والفصاحة، فيقال: أخطب من سخبان وأثل.

ولم يُر في النَّاسِ نِدًا له  
وأبقى له الحُكْم في أرضه  
وكلَّ ظلامٍ وظُلُمٍ بها  
وكانت كنار لظى فتنة  
وقد زان حسنُ الدُّجى جيله  
وأيامه غُرَّرَ قد بَدَثَ  
رَسُول كريم إذا جئته  
بمولده في زمان الربيع  
فأهلا به الآن من زائرٍ  
وقام الإمام به المَزْتَضَى  
هو المستعِين أبو سالمٍ  
وحاز من الصُّيت ذكْرًا أثيرًا  
سليلاً عليّ غمامُ النُّدى  
فَتَى أَوْسَع النَّاسَ من جوده  
حلاه الوقارُ ولاقيه  
وقد شاع عنه جميل الثَّنَاءِ<sup>(٢)</sup>  
وما منَّ بالوعد إلّا وَفَى  
ولا في غلاه مُغالٍ لمن  
تفرَّد بالفضل في عصره  
أطاعت له حين وافى البلاد  
وجاء<sup>(٣)</sup> لطاعته أهلها  
فَنَبَّهَ قَدَرَ المُوالي بها  
ومَهَّدَ بالأمن أفكارها  
وكفَّ أكفَّ التعدي بها  
وعصر الكروب الذي قد مضى  
ولا في الخلائق منه بديلا  
فكان الأَمِين عليها الوكيلا  
على القُور لما أتى قد أزيلا  
فعادت من الأمن ظلاً ظليلا  
إذا ذكر الدهر جيلاً فجيلا  
بوجه الدُّنا والليالي حجولا  
ويُمْنَت مَغْنَاه تَلْقَى القَبولا  
ربيعُ أتانَا يَجْرُ الذُّيولا  
أتانا بفضل يفوق الفضولا  
فنال ثوابا وأجرا جزيلا  
ملك ترفع قدراً جليلا  
ومن كرم الخيم مَجْدًا أثيلا  
ألا أيَّد الله ذاك السُّليلا  
عطاء<sup>(١)</sup> جزيلاً وبراً حفيلا  
إذا ارتاح للجُود يلقى عجولا  
وعَمَّ البسيطة عرْضاً وطولا  
فلَمْ يَكْ بالوعد يوماً مَطُولا  
يُكَثِّرُ في الملك قالا وقبلا  
وكان بعُزف الأيادي كفيلا  
رضى عندما حلَّ فيها حلولا  
سُرعا يرومُون فيها الدُّخولا  
وأكسَفَ فيها المُعادي خمولا  
وأمن بالعدل فيها السبيلَا  
فلا يُظلم الناس فيها فتيلَا  
زمانُ المَسَرَّات منه أديلا

(١) في الأصل: «عطا».

(٢) في الأصل: «الثناء».

(٣) في الأصل: «وجاء».

(٢) في الأصل: «الثناء».

أتانا إلى الغرب في شوكة  
فوق رؤوس الطغاة انتضى  
وجرّد من عزمه مرهقاً  
وكل كفور مُعَادٍ لَهُ  
أعزّ الخلائق لَمَّا وَلِي  
وراعى لمن جاءه داخلا  
فكان بأفعاله قصده  
وصحّ انتعاش المعالي به  
وشيد مبنى العُلا بالثدى  
يُنيل ويُعطي جزيل العطاء<sup>(١)</sup>  
ودام مدى الدهر في رفعة  
ولا بَرِح السعد في بابه

بها عاد جَمْعُ الأعادي قليلا  
حُسامًا لِيُسْمِعَ فيها صليلا  
لحسم أمور المناوي صقيلا  
سيأخذه الله أَخْذًا وَبِيلا  
وتوّه من كان منهم ذليلا  
حماء من القاصدين الدّخيلا  
إلى مَنهَجِ الفضل قصداً جميلا  
وقد كان شخصُ المعالي عليلا  
ووثّقه خَشْيَةً أن يميلا  
فما زال أخرى الليالي مُنيلا  
تثير من الحاسدين الغليلا  
يؤمُّ به مَزْبَعًا أو مَقِيلا

### محمد المَكُودي<sup>(٢)</sup>

من أهل فاس، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من «الإكليل»<sup>(٣)</sup>: شاعر لا يتعاطى<sup>(٤)</sup> ميدانه، ومزعى بيانٍ ورَفَ  
عضاهُ<sup>(٥)</sup> وأينع سَعْدَانُهُ<sup>(٦)</sup>، يدعو الكلام فَيُهْطِعُ<sup>(٧)</sup> لداعيه، ويسعى في اجتلاب  
المعاني فتتجح مساعيه، غير أنه أفرط في الانهماك، وهوى إلى السّمكة من أوج  
السّمَاك<sup>(٨)</sup>. وقدم<sup>(٩)</sup> على هذه البلاد مُفْلِتًا من رَهَقِ تلمسان حين الحصار، صفر  
اليمين واليسار من اليسار، ملئ هوى أنحى على طريفه وتِلاده، وأخرجه من بلاده.

(١) في الأصل: «العطا».

(٢) هو محمد بن محمد المَكُودي، ترجمته في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٢٥، ٣٧٨) وأزهار الرياض

(ج ٥ ص ٤٩) وجاء فيه أنه: أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المَكُودي.

(٣) النص مع الشعر في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٧٨ - ٣٧٩).

(٤) في النفع: «لا يتقاصى». (٥) في الأصل: «عضله» والتصويب من النفع.

(٦) السَّغْدَان: نبت له شوك. لسان العرب (سعد).

(٧) يُهْطِعُ: يسرع. لسان العرب. (هطع).

(٨) السمكة: برج في السماء. والسّمَاك: واحد السّمَاكين وهما كوكبان نيران، يقال لأحدهما  
السّمَاك الرامح وللآخر السّمَاك الأعزل، ومراده أنه هوى من الأوج إلى الحضيض. لسان العرب  
(سمك).

(٩) في النفع: «قدم».

ولَمَّا جَدَّ به البين، وَحَلَّ هذه البلاد<sup>(١)</sup> بحال تقبُّحها العين، والسيف بهزَّته، لا بحسن بَزَّتْه، دعوته<sup>(٢)</sup> إلى مجلس أعاره البَذْر هالته، وخلع عليه الأصيلُ غلالته، ورؤُض تفتُّح كِمَامه، وهَمَى عليه غَمَامه، وكاس أنس تدور، فقتلَقَى نجُومها البُذور. فلَمَّا دَهَبَت المُوَاسِة بخَجَلِه، وتذكَّر هواه ويوم نَوَاه حَتَّى خِفْنَا حُلُول أَجَلِه، جَذَبْنَا للمُوَاسِة زَمَامه، واستَقَيْنَا<sup>(٣)</sup> منها غَمَامه، فأَمْتَعَ وأَحْسَبَ، ونظر وَنَسَبَ، وتكَلَّمَ في المسائل، وحضر<sup>(٤)</sup> بِطَرْفِ الآيَاتِ وعيون الرسائل، حتى نشر الصباحَ رايته، وأطلع النهار آيته.

ومما أنشدنا ونسب لنفسه<sup>(٥)</sup>: [الوافر]

غرامي فيكَ جَلٌّ عن القياسِ      وقد أسَقَيْتَنِيهِ بكلِّ كاسٍ  
ولا أنسى هواك ولو جَفَنِي      عليك أقاربي طُرًّا ونَاسِي  
ولا أدري لِنَفْسِي من كمالٍ      سوى أَنِّي لعهدك غيرُ ناسٍ

وقال في غرض معروف<sup>(٦)</sup>: [الطويل]

بَعَثْتُ بِخَمْرِ فِيهِ مَاءٌ وَإِنَّمَا      بَعَثْتُ بِخَمْرِ فِيهِ مَاءٌ وَإِنَّمَا  
فَقَلَّ عَلَيْهِ الشُّكْرُ إِذْ قَلَّ سَكْرُنَا      فنحن بلا سُكْرِ وَأَنْتَ بلا سُكْرِ

ومما خاطبني به<sup>(٨)</sup>: [البسيط]

رَحْمَاكَ بِي فَلَقَدْ خَلَّدْتَ فِي خَلْدِي      هَوَى أَكَابِدُ مِنْهُ حَرَّةٌ<sup>(٩)</sup> الْكَبِيدِ  
خَلَّلْتَ عَقْدَ سُلُوبِي فِي<sup>(١٠)</sup> فُؤَادِي إِذْ      خَلَّلْتَ مِنْهُ مَحَلَّ الرُّوحِ فِي<sup>(١١)</sup> جَسَدِي  
مَرَّاكَ بِدْرِي وَذِكْرَاكَ التِّدَاذُ فَمِي      وَدِينُ حُبِّكَ إِضْمَارِي وَمُغْتَقِدِي  
وَمِنْ جَمَالِكَ نَوْرٌ لَاحَ فِي بَصْرِي      وَمِنْ وَدَادِكَ رُوحٌ حَلَّ فِي خَلْدِي  
لَا تَحْسِبَنَّ فُؤَادِي عَنْكَ مُضْطَبِّرًا<sup>(١٢)</sup>      فَقَبِلَ حُبِّكَ كَانَ الصَّبْرُ طَوْعَ يَدِي  
وَهَاكَ جَسْمِي قَدْ أَوْدَى التُّحُولُ بِهِ      فَلَوْ طَلَبْتُ وَجُودًا مِنْهُ لَمْ تَجِدْ

(١) في النفع: «البلدة». (٢) في النفع: «دعوته».

(٣) في النفع: «واستقينا». (٤) في النفع: «وحاضر».

(٥) في النفع: «فمما نسبته إلى نفسه وأنشدناه قوله».

(٦) اكتفى في النفع بالقول: «وقال».

(٧) في الأصل: «بما» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٨) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٢٥ - ٢٢٦).

(٩) في النفع: «حُرَّة».

(١٠) في النفع: «من».

(١١) في النفع: «من».

(١٢) في الأصل: «مضطبر».

وما بئُغْرَكَ مِنْ دُرٍّ وَمِنْ بَرَدٍ  
 حَابِيَتْ<sup>(١)</sup> بَعْضَهُمَا فَاغْدِلْ وَلَا تَجِدْ  
 وَقَدْ قَضَيْتَ عَلَى الْأَجْفَانِ بِالسُّهُدِ  
 وَحُكْمُهُ قَطٌّ لَمْ يَعْدِلْ عَلَى أَحَدٍ  
 وَلَيْسَ يَعْرِفُ مَا يَلْقَاهُ دُوَّ كَمَدٍ  
 إِخَالُ أَنْ الرُّشَا يَسْطُو عَلَى الْأَسَدِ  
 فَإِنْ قَتَعْتُ بَزُورِ الْوَعْدِ لَمْ يَعِدْ  
 سِزْ لِلطَّبِيبِ فَمَا بُرَّءَ الضَّنَى بِيَدِي  
 فَبَارْتَشَافِ لِمَاكَ الْكُوْثَرِي جُدْ  
 ضَعْفِي وَيُبْرَى مَا أَضْنَيْتَ مِنْ جَسَدِي<sup>(٤)</sup>

بما بطرفك مِنْ غُنْجٍ وَمِنْ حَوْرِ  
 كُنْ بَيْنَ طَرْفِي وَقَلْبِي مَنْصَفًا فَلَقَدْ  
 فَقَالَ لِي قَدْ جَعَلْتَ الْقَلْبَ لِي وَطْنَاً  
 وَكَيْفَ تَطْلُبُ عَدْلًا وَالْهَوَى حَكْمًا  
 مِنْ لِي بِأَغْيَدَ لَا يَزْنِي إِلَى شَجَنِ  
 مَا كُنْتُ مِنْ قَبْلِ إِذْعَانِي لِصَوْلَتِهِ<sup>(٢)</sup>  
 إِنَّ جَادَ بِالْوَعْدِ لَمْ تَصْدُقْ مَوَاعِدُهُ  
 شَكُوْتُهُ عِلَّتِي مِنْهُ فَقَالَ: أَلَا<sup>(٣)</sup>  
 فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتُ بُرْتِي أَوْ شِئَا أَلْمِي  
 وَإِنْ بَخِلْتُ فَلِي مَوْلَى يَجُودُ عَلَى  
 وَخَرَجَ إِلَى الْمَدْحِ قَاطَالُ.

## المقرئون والعلماء - الأصليون منهم

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى  
 ابن عبد الرحمن بن يوسف بن جُزَيِّ الكلبي<sup>(٥)</sup>

يكنى<sup>(٦)</sup> أبا القاسم، من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها، شيخنا رحمه الله عليه.

أوليته: أصل<sup>(٧)</sup> سلفه من ولبة<sup>(٨)</sup> من حصون البراجلة، نزل بها أولهم عند

(١) حابيت بعضهما: نصرته وملت إليه؛ يقال: حابى القاضي في الحكم إذا مال منحرفاً عن الحق. لسان العرب (حبا).

(٢) في النفع: «السطوته».

(٣) في الأصل: «فقال الأمر للطبيب فما...» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) في الأصل: «جسد» والتصويب من النفع.

(٥) ترجمة ابن جزي في الكتيبة الكامنة (ص ٤٦) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٤) والديباج

المذهب (ص ٢٩٥) ونيل الابتهاج (ص ٢٣٥) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٥٨).

(٦) قارن بنفع الطيب (ج ٨ ص ٥٨) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٤ - ١٨٥).

(٧) قارن بنفع الطيب (ج ٨ ص ٥٨) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٤ - ١٨٥).

(٨) في الأصل: «ولمة» والتصويب من النفع وأزهار الرياض.

الفتح صحبة قريبهم أبي الخطار حُسام بن ضِرار الكلبي، وعند خَلْع دعوة<sup>(١)</sup> المرابطين، وكانت لجدهم بجيآن رئاسة وانفراد بالتدبير.

حاله: كان<sup>(٢)</sup>، رحمه الله، على طريقة مثلى من العُكوف على العلم، والاقتصاد<sup>(٣)</sup> على الاقتيات من حُرِّ النَّشَب<sup>(٤)</sup>، والاشتغال بالنُّظَر والتَّقْيِيد والتَّدْوِين، فقيهاً، حافظاً، قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون من العربية<sup>(٥)</sup>، والفقه، والأصول، والقراءات، والحديث، والأدب، حُفَظَةً<sup>(٦)</sup> للتفسير، مستوعباً للأقوال، جماعاً للكتب، مُلوكي الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب العُور، صحيح الباطن. تقدَّم خُطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنِّه، فاتفقَ على فضله، وجرى على سننِ أصالته.

مشيخته: قرأ<sup>(٧)</sup> على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير<sup>(٨)</sup>، وأخذ عنه العربية والفقه والحديث والقرآن. وروى عن أبي الحسن بن مَسْتَقُور. وقرأ القرآن على الأستاذ المقرئ الراوية المُكثَر أبي عبد الله بن الكَمَاد، ولأزم الخطيب أبا عبد الله بن رُشيد، وسمع على الشَّيخ الوزير أبي محمد عبد الله بن أحمد ابن المؤذن، وعلى الراوية المُسِين أبي الوليد الحضرمي. يَزُوي عن سهل بن مالك وطَبَقَتِه. وروى عن الشَّيخ الراوية أبي زكريا البُرْشَانِي، وعن الراوية الخطيب أبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن علي الأنصاري، والقاضي أبي المجد بن أبي علي بن أبي الأحوص، والقاضي أبي عبد الله بن بُرْطَال، والشَّيخ الوزير ابن أبي عامر بن ربيع<sup>(٩)</sup>، والخطيب الولي أبي عبد الله الطَّنْجَالِي، والأستاذ النُّظَار المُتَفَنَّ أبي القاسم قاسم بن عبد الله بن الشَّاط. وألف الكثير في فنون شتى.

توالياً منه<sup>(١٠)</sup> كتاب «وسيلة المُسْلِم في تهذيب صحيح مُسْلِم» وكتاب «الأنوار السَّنية في الكلمات السَّنية» وكتاب «الدَّعَوَات والأذكار، المُخرَجة من صحيح

(١) في النفع: «دولة».

(٢) قارن بنفح الطيب (ج ٨ ص ٥٨) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٥).

(٣) في النفع: «والاقتصاد»، وفي أزهار الرياض: «على العلم والاقتيات من حُرِّ...».

(٤) النَّشَب: المال، وحُرِّ النَّشَب: خالص المال. لسان العرب (نشب).

(٥) في النفع: «من عربية، وفقه، وأصول، وقراءات...».

(٦) في أزهار الرياض: «حافظاً».

(٧) قارن بنفح الطيب (ج ٨ ص ٥٨) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٥).

(٨) في النفع: «أبي جعفر بن جعفر بن الزبير».

(٩) ورد اسمه في النفع والأزهار: أبو عامر بن ربيع الأشعري.

(١٠) قارن بنفح الطيب (ج ٨ ص ٥٩) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٥).

الأخبار» وكتاب «القوانين الفقهية»، في تلخيص مذهب المالكية» و«التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية» وكتاب «تقريب الوصول إلى علم الأصول» وكتاب «الثور المبين»، في قواعد عقائد الدين» وكتاب «المختصر البارع، في قراءة نافع» وكتاب «أصول القراء الستة غير نافع»، وكتاب «الفوائد العامة، في لحن العامة»، إلى غير ذلك مما قيده في التفسير والقراءات وغير ذلك. وله فهرسة كبيرة اشتملت<sup>(١)</sup> على جملة من أهل المشرق والمغرب.

شعره: قال<sup>(٢)</sup> في الأبيات الغينية ذاهباً مذهب الجماعة كأبي العلاء المعري، والرئيس أبي المظفر<sup>(٣)</sup>، وأبي الطاهر السلفي، وأبي الحجاج ابن الشيخ، وأبي الربيع بن سالم، وأبي علي بن أبي الأحوص، وغيرهم، كلهم نظم في ذلك<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

لكل بني الدنيا مُرادٌ ومَقْصِدٌ      وإن مُرادِي صِحَّةٌ وفَرَاغٌ  
لأبْلَغَ في عِلْمِ الشَّرِيعَةِ مَبْلَغًا      يَكُونُ به لي لِلْجَنَانِ بَلَاغٌ<sup>(٥)</sup>  
وفي<sup>(٦)</sup> مثل هذا فلينافس أولو<sup>(٧)</sup> التُّهَى      وحَسْبِي من الدُّنْيَا العُرُورِ بَلَاغٌ<sup>(٨)</sup>  
فما الفُوزُ إلَّا في نَعِيمٍ مَوْبِدٍ      به العيشُ رَغْدٌ والشُّرابُ يُسَاغُ  
وقال في الجَنَابِ النَّبَوِيِّ<sup>(٩)</sup>: [الطويل]

أروم امتداح المصطفى ويردني<sup>(١٠)</sup>      قُصُورِي عن إدراك تلك المناقبِ  
ومن لي بحصر البحر والبحر زاحِرٌ؟      ومن لي بإحصاء<sup>(١١)</sup> الحصى والكواكبِ  
ولو أن أعضائي غَدَتْ أَلْسُنًا إِذَا      لما بلغت في المدح بعض مآربي<sup>(١٢)</sup>

(١) في النفع: «اشتهرت».

(٢) قارن بنفح الطيب (ج ٨ ص ٥٩) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٥ - ١٨٦).

(٣) في النفع: «وابن المظفر». وفي الأزهار: «والرئيس ابن المظفر».

(٤) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ٥٩) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٦).

(٥) الجنان، بالفتح: القلب. والبلاغ: الكفاية. لسان العرب (جنن) و(بلغ).

(٦) في المصدرين: «ففي». (٧) في الأزهار: «ذوو».

(٨) في المصدرين: «وحسبي من دار الغرور...». والبلاغ: الإيصال والتبليغ. لسان العرب (بلغ).

(٩) الأبيات في الديباج المذهب (ص ٢٩٦) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٥٩ - ٦٠) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٦) والكتيبة الكامنة (ص ٤٨) وجاء فيه: «الجانب النبوي».

(١٠) في النفع: «فيردني». وفي الكتيبة: «فيصدني».

(١١) في الأصل: «إحصاء»، والتصويب من المصادر.

(١٢) في أزهار الرياض: «غَدَتْ وهي ألسن لما بلغت في القول...».



ولو أن كل العالمين تَأَلَّفُوا<sup>(١)</sup> على مدحه لم يبلغوا بعض واجب  
فَأَمْسَكْتُ عنه هَيْبَةً وَتَأَدُّبًا وخوفًا وإعظامًا لأَرْفَع جانب<sup>(٢)</sup>  
وَرُبَّ سكوتٍ كان فيه بلاغة ورُبَّ كلامٍ فيه عَثْبٌ لِعَاتِبٍ

وقال، رحمه الله، مُشَفِّقًا من ذنبه<sup>(٣)</sup>: [البسيط]

يا رَبِّ إِنَّ ذُنُوبِي الْيَوْمَ قَدْ كَثُرَتْ<sup>(٤)</sup> فما أُطِيقُ لها حَضْرًا ولا عَدَدًا  
وليس لي بعذابِ النَّارِ من قَبْلِ ولا أُطِيقُ لها صَبْرًا ولا جَلَدًا  
فانظرْ إِلَهِي إلى ضَعْفِي وَمَسْكَتِي وَلَا تُذَيِّقْنِي<sup>(٥)</sup> حَرَّ الْجَحِيمِ غَدًا

وقال في مذهب الفخر<sup>(٦)</sup>: [الوافر]

وكم من صفحة كالشمس تبدو فيُسْلِي<sup>(٧)</sup> حُسْنُهَا قَلْبَ الْحَزِينِ  
غَضِضْتُ الطَّرْفَ عَنْ نَظَرِي إِلَيْهَا محافظةً على عِزِّي وِدِينِي<sup>(٨)</sup>

وفاته: قُتِلَ<sup>(٩)</sup> وهو يُشْحَذُ الناسَ وَيُحَرِّضُهُمْ، وَيُثَبِّتُ بِصَائِرِهِمْ، يومَ الكائنة  
بَطْرِيف<sup>(١٠)</sup>، ضحوة يوم الاثنين السابع<sup>(١١)</sup> لجمادى الأولى عام أحد وأربعين  
وسبعمئة، تقبَّلَ الله شهادته. وعقبه ظاهر بين القضاء والكتابة.

### محمد بن أحمد بن فتوح بن سُقْرال اللخمي

شرقي الأصل، من سكان غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالطرُسوني.

(١) في النفع: «تسابقوا إلى مدحه».

(٢) في الكتيبة: «فَأَمْسَكْتُ عنه... هَيْبَةً...». وفي الأزهار: «فَأَقْصَرْتُ عنه... لأَعْظَم جانب».

وفي النفع: «وعجزًا» بدل «وخوفًا».

(٣) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٤٧ - ٤٨) والديباج المذهب (ص ٢٩٦) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٧) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٦٠).

(٤) في الكتيبة: «قد عظمت».

(٥) في الأصل: «ولا عذيقني»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر.

(٦) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٤٧) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٦).

(٧) في الكتيبة: «يُسْلِي».

(٨) في الكتيبة: «عن نظرٍ إليها... على علمي وديني».

(٩) قارن بأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٨٧) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٦١).

(١٠) يشير هنا إلى الموقعة الشهيرة التي كانت بين الإسبان وبني مرين في سنة ٧٤١هـ، والمسماة بموقعة طريف، وكان مع بني مرين قوات السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، صاحب غرناطة. وكانت الهزيمة فيها للمسلمين. اللوحة البدرية (ص ١٠٥).

(١١) في النفع: «تاسع جمادى الأولى».

حاله: نقلت من خط شيخنا أبي البركات بن الحاج: أمتع الله به، كئى نفسه أبا عبد الرحمن، ودُعي بها وقتاً، وكُوتب بها. وكان له ابن سمّاه عبد الرحيم، فقلنا له: سمّاه عبد الرحمن، ليعضد لك الكنية التي اخترت، فأبى. كان هذا الرجل قيماً على النحو والقراءات واللغة، مجيداً في ذلك، مُحكماً لما يأخذ فيه منه، وكانت لديه مشاركة في الأضلين والمنطق، طَمَح إليها بفضل نباهته وذكائه، وشعوره بمراتب العلوم، دون شيخ أرشده إلى ذلك. يجمع إلى ما ذكر خطأ بارعاً، وظرفاً وفكاهة، وسخاً نفس، وجميل مشاركة لأصحابه بأقصى ما يستطيع. وكان صَناعَ اليدين يرسم بالذهب، ويُسفر، ويُحكم عمل التراكيب الطيبة. وعلى الجملة، فالرجل من أجل نبلاء عصره، الذين قلّ أمثالهم.

مشيخته: أخذ القراءات عن الشيخ الأستاذ أبي الحسن ابن أبي العيش، وبه تفقه ببلده ألمرية. وقرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، والخطيب أبي جعفر بن الزيات، والراوية أبي الحسن بن مَسْتَقُور، والولي أبي عبد الله الطنجالي، وصهره الخطيب أبي تمام غالب بن حسن بن سَيدُبُونه، والخطيب أبي الحسن القيقاطي، والخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشيد، وغيرهم.

شعره: من شعره قوله: [الطويل]

إذا قَذَفْتُ بي حيثما شَاءَتِ الثَّوَى	ففي كل شِعْبٍ لي إليك طريقٌ
وإن أنا لم أَبْصِرْ مُحَيَّاكَ بِاسْمَا	فإنسانٌ عَيْنِي في الدموع غريقٌ
فإن لم تُصِلْ كَفِّي بِكَفِّكَ وَافِيَا	فأسْمَالُ أَحِبَابِي لَدَيَّ فُتُوقُ

محتته: أخطاه وزير الدولة أبو عبد الله بن المحروق<sup>(١)</sup>، واختصّه، ورَتَّبَ له بالحمراء جارية، وقلَّدَ نظره خزانة الكتب السلطانية. ثم فَسَدَ ما بينهما، فأتاهم براءات كانت تُطرح بمذاممه بمسجد البَيَّازِين<sup>(٢)</sup>، وتُرصد ما فيها، فزعم أنه هو الذي طَرَحَهَا بمحراب المسجد، فقبُضَ عليه واعتقل، ثم جُلِّاه إلى إفريقية.

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد بن المحروق؛ تولَّى الوزارة لسلطان غرناطة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصري، عام ٧٢٥ هـ، ثم قتل بأمر السلطان المذكور عام ٧٢٩ هـ. اللوحة البدرية (ص ٩٤).

(٢) هو أحد مسجدي حيّ البيازين، أشهر أحياء مدينة غرناطة، حوَّله الإسميان إلى كنيسة بعد سقوط غرناطة سنة ٨٩٧ هـ، وما يزال حتى اليوم بعض أسوار هذا المسجد قائمة مع جزء من صحنه.

وفاته: ولمّا بلغته بإفريقية وفاة مُخيفه، كَرَّ راجعًا إلى الأندلس، فتوفي في طريقه ببونة<sup>(١)</sup>، من بلاد العَنَاب أو بأحوازها في أواخر عام ثلاثين، أو أقرب من الأواخر وسبعمائة.

### محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذي الثون التغلبي

ويعرف بابن الرمالية، من أهل غرناطة، ويعرف خلفه الآن، ببني مَرْزَبَة، ولهم أصالة وقَدَم وجِدَة.

حاله: فقيه، نبيه، نبيل، ذكي، عنده معرفة بالفقه والأدب والعربية، حسن المشاركة والمحاضرة، حاضر الذهن، ذاكر لما قرأه.

مشيخته: روى عن الإمام أبي بكر بن العربي. قال أبو القاسم الملاحى: وحَدَّثني سنة أربع وستمائة، قال: حَدَّثني الإمام أبو بكر بن العربي، رضي الله عنه، قال: حَدَّثني محمد بن عبد الملك السُّنْبِي، قال: خرجت مع أبي الفضل الجَزِيرِي مشيَّعين لقافلة الحاج من بغداد، ومودَّعين لها من الغد، وحين أصبحنا أُثِرت الجمال، وفرض الناس الرِّحال، ونحن بموضع يعرف بجُب عميرة، إذا بفتى شاحب اللون، حسن الوجه، يُشيع الرِّواحِل، راحلةً بعد أخرى، حتى فنيت، ومشى الحاج، وهو يقول في أثناء تردُّده ونظره إليها: [الطويل]

أَحْجَاجَ بَيْتِ اللَّهِ، فِي أَيِّ هُودَجٍ	وَفِي أَيِّ بَيْتٍ مِنْ بَيْوتِكُمْ حَبِي؟
أَبْقَى رَهِيْنَ الْقَلْبِ فِي أَرْضِ غَزْبَةٍ	وَحَادِيكُمْ يَحْدُو فَوَادِي مَعَ الرُّكْبِ؟
فَوَأَسَفَا لَمْ أَقْضِ مِنْكُمْ لُبَانَتِي	وَلَمْ أَتَمَتَّعْ بِالسَّلَامِ وَبِالْقُرْبِ
وَفَرَّقَ بَيْنِي بِالرَّحِيلِ وَبَيْنَكُمْ	فَهَا أَنَذَا أَقْضِي عَلَى إِثْرِكُمْ نَحْبِي
يَقُولُونَ هَذَا آخِرُ الْعَهْدِ مِنْكُمْ	فَقُلْتُ وَهَذَا آخِرُ الْعَهْدِ مِنْ قَلْبِي <sup>(٢)</sup>

قال: فلما كَمَلَ الحاج المشي، وانقطع رجاؤه، وجعل يخطو هائمًا، وهو ينشد، ثُمَّ رَمَى بِنَفْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ وَقَالَ: [المديد]

خَلَّ دَمْعَ الْعَيْنِ يَنْهَمِلُ	بَانَ مِنْ تَهْوَاهُ وَازْتَحَلَّ
أَيِّ دَمْعٍ صَانَهُ كَلِفٌ	فَهَوَ يَوْمَ الْبَيْنِ يَنْهَمِلُ

(١) بونة: مدينة قديمة من بلاد إفريقية، على ساحل البحر، مرساها من المراسي المشهورة، وتسمى بلد العَنَاب لكثرة العناب فيها. الروض المعطار (ص ١١٥).

(٢) في الأصل: «قلب» بدون ياء.

قال: ثم مال على الأرض، فبادرنا إليه فوجدناه ميتاً، فحفرنا له لَحْداً، وغسلناه وكفَّنْاهُ في رِداءٍ وصلَّينا عليه، ودفَّناه.

وفاته: وفاة المترجم به سنة خمسين وستمائة.

### محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدري<sup>(١)</sup>

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن بيش<sup>(٢)</sup>.

حاله: كان<sup>(٣)</sup> خيِّراً، مُنْقَبِضاً، عَفْواً، مُتَصَوِّناً، مُشْتَغِلاً بما يَغْنِيهِ، مُضْطَلَعاً<sup>(٤)</sup> بالعربية، عاكفاً عَمْرَهُ على تحقيق اللُّغة، مشاركاً في الطُّبِّ، مُتَعَيِّشاً من التَّجَارَةِ في الكُتُبِ، أَثَرى منها، وَحَسُنَتْ حاله. وانتقل إلى سُكْنَى سَبْتَةَ، إلى أن حَطَطَتْ بها رسولاً في عام اثنتين وخمسين وسبعمائة، فاستدعيته ونقلته إلى بلده، فقعد للإقراء به إلى أن توفي.

وجرى ذكره في بعض الموضوعات الأدبية بما نصَّه<sup>(٥)</sup>: مُعَلِّمٌ مُدَرِّبٌ، مُسَهِّلٌ مُقَرَّبٌ، له في صَنْعَةِ الْعَرَبِيَّةِ بَاعٌ مديد، وفي هَدَفِهَا سَهْمٌ سديد، ومشاركة في الأدب لا يفارقها تَسْديد، خاصيُّ المنازع مختصرُها، مُرتَّبُ الأحوال مُقَرَّرُها، تَميِّزٌ لأول وقته بالتَّجَارَةِ في الكُتُبِ فَسُلِّطَتْ عَلَيْهَا<sup>(٦)</sup> مِنْهُ أَرْضَةُ آكِلَةٍ، وَسَهْمٌ أَصَابَ مِنْ رَمِيَّتِهَا شَاكِلَةٌ<sup>(٧)</sup>، أَثَرَبٌ بِسَبَبِهَا وَأَثَرى، وَأَغْنَى جِهَةً وَأَفْقَرُ أُخْرَى، وانتقل لهذا العهد الأخير إلى سُكْنَى غرناطة<sup>(٨)</sup> مَسْقُطَ رَأْيِهِ، وَمَنْبِتُ غَرْزِهِ، وَجَرَتْ عَلَيْهِ جَرَايَةُ مِنْ أَحْبَاسِهَا<sup>(٩)</sup>، ووقع عليه قَبُولٌ مِنْ نَاسِهَا، وبها تلاحق به الحِجَامُ، فكان من ثَرَابِهَا الْبَدَايَةِ وإليه التمام. وله شعر لم يَقْصُرْ فِيهِ عَنِ الْمَدَى، وأدب تَوْشَّحَ بِالْإِجَادَةِ وارتدى.

مُشِيخَتُهُ: قرأ على شيخ الجماعة ببلده أبي جعفر بن الزبير، وعلى الخطيب أبي عبد الله بن رُشَيْدٍ، والوزير أبي محمد بن المؤذن المُرَادِي، والأستاذ عبد الله بن الكُمَادِ، وسمع على الوزير المُسَنَّى أبي محمد عبد المنعم بن سِمَاك. وقرأ بِسَبْتَةِ على الأستاذ أبي إسحق الغافقي.

(١) ترجمة العبدري في الكتيبة الكامنة (ص ٩٠) وبغية الوعاة (ص ١٠٠) والدرر الكامنة (ج ٤ ص ٣٥٨) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٥٨) و(ج ٨ ص ٣٧٩).

(٢) في بغية الوعاة: «بليش». وفي الكتيبة: «بيش».

(٣) النص في بغية الوعاة (ص ١٠٠) بتصرف. (٤) في البغية: «متضلعا».

(٥) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٧٩ - ٣٨٠).

(٦) في النفح: «منه عليها».

(٧) في النفح: «الشاكلة».

(٨) كلمة «غرناطة» غير واردة في النفح. (٩) الأحباس: الأوقاف. لسان العرب (حبس).

شعره: أنشدني بدار الصنّاعة السلطانية من سَبْتَة تاسع جمادى الأولى من عام اثنين وخمسين المذكور، عند توجّهي في غرض الرسالة إلى السلطان ملك المغرب، قوله يجيب عن الأبيات المشهورة، التي أكثر فيها الناس وهي<sup>(١)</sup>: [مخلع البسيط]

يا ساكنًا قلبي المَعْنَى      وليس فيه سواك ثانٍ  
لأني مَعْنَى كَسَرَت قلبي      وما التَقَى فيه ساكنان؟  
فقال<sup>(٢)</sup>: [مخلع البسيط]

نَحَلْتَنِي طائِعًا فؤادًا      فصار إذ حُرْزُهُ مكاني<sup>(٣)</sup>  
لا عَزَوَ إذ كان لي مُضَافًا      أني على الكَسْرِ فيه باني

وقال يخاطب أبا العباس عميد سبتة، أعزّه الله، وهي ممّا أنشدني فيه التاريخ المذكور، وقد أهدى إليه أقلامًا<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

أنا مِلْكُ العُرُ التي سَيَبُ جُودِها      يَفِيضُ كَفِيضُ المُزِنِ بالصَّيْبِ القِطَرِ  
أَتَشْنِي منها تُخْفَةُ مثلُ حَدْها<sup>(٥)</sup>      إذا انْتَضَيْتْ كانت كَمُرْهَفَةِ السُّمَرِ  
هي الصَّفَرُ لكنْ تعلمُ البيضُ أنها      مُحْكَمَةٌ فيها على النِّفْعِ والضَّرِّ  
مُهَذَّبَةُ الأوصالِ مَمْنُوشِقَةٌ كما      تُصاغُ<sup>(٦)</sup> سهامُ الرُّمِي من<sup>(٧)</sup> خالصِ التَّبَرِ  
فَقَبِّلْتُها عَشْرًا وَمَثَلْتُ أنني      ظَفِرْتُ بِلَثَمٍ في أنا مِلْكِ العِشْرِ

وأنشدني في التاريخ المذكور في ترتيب حروف الصحاح قوله<sup>(٨)</sup>: [الطويل]

أَسَاجِعَةٌ بالوَادِيَيْنِ تَبَوَّئي      ثَمَارًا جَنَّتْها حَالِيَاتُ خَوَاضِبُ  
دَعِي ذِكْرَ رَوْضِ زاره<sup>(٩)</sup> سَقْنِي شِرْبِه      صَبَاحَ ضُحَى طَيْرِ ظَمَاءٍ<sup>(١٠)</sup> عَصَائِبُ  
غَرَامُ فؤادي قاذِفٌ كُلَّ لَيْلَةٍ      متى ما نَأَى وَهْنًا هَوَاهُ يُراقِبُ

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٥٩) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨٠). وورد فقط صدر البيت الأول في الكتيبة الكامنة (ص ٩١).

(٢) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٩١) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٥٩) و(ج ٨ ص ٣٨٠).

(٣) في الأصل: «مكان»، والتصويب من المصدرين.

(٤) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩١) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨٠).

(٥) في الأصل: «عدها»، والتصويب من المصدرين.

(٦) في النفح: «تصوغ». (٧) في الكتيبة: «أو».

(٨) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩٢) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٥٨) و(ج ٨ ص ٣٨٠).

(٩) في المصدرين: «زانه».

(١٠) في الأصل: «طما»، والتصويب من المصدرين.

ومن مطولاته ما رفعه على يدي السلطان وهو قوله<sup>(١)</sup>: [الوافر]

ديارَ خَطَّهَا مَجْدٌ قَدِيمٌ	وشاد بناءها شَرَفٌ صَمِيمٌ
وَحَلَّ جَنَابُهَا الْأَعْلَى عِلَاءً <sup>(٢)</sup>	يُقْصِرُ عَنْهُ رَضْوَى أَوْ شَمِيمٌ
سَقَى نَجْدًا بِهَا وَهَضَابٌ نَجْدٍ	عَهَادُ ثَرَّةً <sup>(٣)</sup> وَحَيَا عَمِيمٌ <sup>(٤)</sup>
وَلَا عَدِمَتْ رُبَاهُ رِبَابٌ مُزْنٍ	يُغَادِي رَوْضَهُنَّ وَيَسْتَدِيمُ
فِيصْبَحُ زَهْرُهَا يَحْكِي شَذَاهُ	فَتَيَّتَ الْمِسْكَ يُذَكِّيهِ التَّسِيمُ
وَتَنْشُرُهُ <sup>(٥)</sup> الصُّبَا فَتَرِيكَ دُرًّا	نَشِيرًا خَانَهُ عِقْدٌ نَظِيمٌ
وظَلَّتْ فِي ظِلَالِ الْأَيْكَ تَشْدُو	مُطَوِّقَةٌ لَهَا صَوْتُ رَخِيمٍ
تُرْجَعُ فِي الْغُصُونِ فَنَوْنٌ سَجَعٍ	بِالْحَانِ لَهَا يَضْبُو الْحَلِيمُ
أَهِيمٌ بِمَلْتَقَى الْوَادِي بَنَجْدٍ	وَلَيْسَ سِوَاهُ فِي وَادٍ أَهِيمٍ
وَكُنْتُ صَرَفْتُ عَنْهُ النَّفْسَ كَرْهَا	وَمَا بَرِحْتُ عَلَى نَجْدٍ تَحُومُ
وَمَا يَنْفَكُ لِي وَلَهَا نَزَاعٌ	إِلَى مَغْنَى بِهِ مَلِكٌ كَرِيمٌ
لَهُ بَيْتٌ سَمَا فَوْقَ الثُّرَيَّا	وَعَزُّ لَا يَخِيمُ وَلَا يَرِيمُ
تَبَوَّأَ مِنْ بَنِي نَضْرٍ عُلاَهَا	وَأَنْصَارُ النَّبِيِّ <sup>(٦)</sup> لَهُ أَرْوَمُ
أَفَاضَ عَلَى الْوَرَى نَيْلًا وَعَدْلًا <sup>(٧)</sup>	سِوَاءٍ فِيهِ مُثَرٍّ أَوْ عَدِيمٍ
مَلَاذٌ لِلْمَلُوكِ إِذَا أَلَمَتْ	صُرُوفُ الدَّهْرِ أَوْ خَطْبُ جَسِيمٍ
تُؤَمِّلُهُ فَتَأْمَنُ فِي دَرَاهِ	وَتَدْنُو مِنْ عُلاَهُ فَيَسْتَقِيمُ <sup>(٨)</sup>
وَيَبْدُو فِي نَدَى <sup>(٩)</sup> الْمُلْكِ بَذْرًا	تَحْفُ بِهَ الْمُلُوكُ وَهُمْ نَجُومُ
بُوجِهَ يُوسُفِي الْحُسْنِ طَلَقِ	يُضِيءُ بَنُورِهِ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ
وَتَلْقَاهُ الْعَفَاةُ <sup>(١٠)</sup> لَهُ ابْتِسَامٌ	وَمِنْهُ لِلْعَدَى أَخَذَ أَلِيمٌ <sup>(١١)</sup>

(١) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٩٢ - ٩٣).

(٢) في الأصل: «عَلَا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٣) في الأصل: «عَمَادُ ثَرَّةٍ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٤) في الأصل: «تَمِيم» والتصويب من الكتيبة. (٥) في الكتيبة: «وتنشره».

(٦) في الأصل: «لِلنَّبِيِّ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٧) في الكتيبة: «عَدْلًا وَنَيْلًا». (٨) في المصدر نفسه: «فتستقيم».

(٩) في الأصل: «نَدَى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(١٠) في الأصل: «لِلْعَفَاةِ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(١١) في الأصل: «اللييم» والتصويب من الكتيبة.

فيا شَرَفَ الملوكِ لك انقطاعي  
وَأَمَالِي أَمَلْتُ إِلَيْكَ<sup>(١)</sup> حَتَّى  
فلا ظمأ<sup>(٢)</sup> ووزدك خَيْرُ وِزْدٍ  
ولا أَضْحَى وفي مَغْنَاكَ ظِلٌّ  
ركبْتُ البحرَ نحوكَ والمطايا  
وإنَّ عُلاكَ إنَّ عطفْتُ بلحظٍ  
فوأَسْفَى على عُمْرٍ تَقْضَى  
سوى ثمرٍ للفضود دَهَبْتُ عنه  
ودُونَ لقائِها عَرَضُ الفياضي  
لعلَّ الله يُنْعِمَ باجتماعِ  
بقيتِ بغبطةٍ وقرارِ عَيْنٍ  
كما دامت حُلَى الأنصار تُثْلَى  
عليك تحيةً عطرَ شذاها

وَأُنِّي في محلِّكُمْ خَدِيمٌ  
وَرَزْدَنَ على نَدَاكَ وَهْنٌ هِيمٌ  
نَمِيرٌ ماؤه عَذْبٌ جَمِيمٌ  
ظَلِيلٌ حينَ تحتدمُ السُّمُومُ  
تسيرُ لها دَمِيلٌ أو رسيمٌ  
عليَّ فذلك العزُّ المقيم<sup>(٣)</sup>  
بدارٍ ليس لي فيها حَمِيمٌ  
وبين جوانحي منه كُلوْمُ  
ونجد<sup>(٤)</sup> مَوْجُهُ طَوْذٌ عَظِيمٌ  
وَيَنْظُمُ شَمْلَنَا البرُّ الرحيمُ  
بمُلْكٍ سَغْدُهُ أَبَدًا يَدُومُ  
يشيدُ بذكرها الذُّكْرُ الحكيمُ  
كَعَرَفِ<sup>(٥)</sup> الرُّوضِ جاذنُهُ الغُيُومُ

مولده: بغرناطة في رجب<sup>(٦)</sup> ثمانين وستمائة. وتوفي عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، ودفن بباب البيرة، وتبعه من الناس ثناء حسن، رحمه الله.

### محمد بن محمد الثمري الضري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرفه بنسبه.

حاله: من عائد الصلاة: كان حافظاً للقرآن، طيب النعمة به، طرُفاً في ذلك، من أهل المشاركة في العلم، واعظاً بليغاً، أستاذاً يقوم على العربية قيام تحقيق، ويستحضر الشواهد من كتاب الله وخُطب العرب وأشعارها، بعيد القرنين في ذلك، آخذاً في الأدب، حَفَظَةً للأناشيد والمطوَّلات، بقیةً حسنة ممتعة.

(١) في الأصل: «المليك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٢) في الأصل: «فللظما ورودك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٣) في الكتيبة: «القديم». (٤) في الكتيبة: «وبخر».

(٥) في الأصل: تُعَرَّفُ، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٦) في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨١): «مولده في حدود ثمانين وستمائة».

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي عبد الله بن الفخار الأزكشي<sup>(١)</sup>، وبه تأدب، ولازمه كثيراً، فانتفع به.

شعره: ممّا صدرّ به رسالةً لزوجته وهو نازح عنها ببعض البلاد. فقال:

[الطويل]

سلام كرشفِ الطلّ في مَنبَسِمِ الوِزْدِ      وسيلُ نسيمِ الريحِ بالقُضْبِ المُلدِ  
سلام كما ارتاح المَشُوق مَبْشُراً      برؤية<sup>(٢)</sup> مَنْ يهواه من دون ما وَغِدِ  
سلام كما يُرضي المحبُّ حبيبَه      من الجدِّ في الإخلاص والصّدق في الوعدِ  
سلام وتكريم وبرٍّ ورحمة      بقدر مزيد الشوق أو منتهى الوُدِ  
على ظُنية في الأتس مَزَتْعُها الحشا      فتأوي إليه لا لِشيح ولا رُندِ  
ومن أطلّع البدر التّمام جبيئُها      يُرى تحت ليلٍ من دُجى الشَّعر مُسَوّدِ  
وَتَغَرُّ أَقْاحِ زانه سِمَط لؤلؤ      يُجَبُّ به المرجان في أَحْكَمِ النُّضدِ  
يجول به سِلْسَال راح معتّق      حَمَتُهُ ظُبا الأَلحَاط صَوْنًا عن الوِزْدِ  
فلله عيننا مَنْ رَأَى بدر أنْعَدِ      وروضة أزهارٍ عَلَتْ غُصْنُ القَدِ  
وُبُشْرَى لَصَبٍ فاز منها بلمحة      من القُرْب بُشْراه بِمُسْتَكْمَلِ السَّعْدِ  
وأضحى هواها كامناً بين أضلعي      كَمُزْنٍ خَفِيّ النار في باطن الرُّندِ  
وراحت فراح الروح إثر رَحيلها<sup>(٣)</sup>      وَدَّعْتُ صَبْرِي حين ودَّعها كَبْدِي<sup>(٤)</sup>  
وصارت لي الأيّام تبدو لياليًا      وقد كان ليلُ الوُضَلِ صُبْحًا بها يُبْدِي<sup>(٥)</sup>  
فساعاتُها كالدهر طولا وطالما      حكى الدهر ساعات بها قِصْرًا عِنْدِي  
ومنها:

تُرى قلبُها هل هام مني بمثل ما      يَقْلِبِي من الحُبِّ الملازم والوَجْدِ؟  
وهل هي<sup>(٦)</sup> ترعى ذِمَّتِي ومودَّتِي      كما أنا أُرْعاها على القُرْبِ والبُغْدِ؟

(١) نسبة إلى أركش Arcos de la Frontera، وهي حصن بالأندلس على وادي لكّة. الروض المعطار (ص ٢٧).

(٢) في الأصل: «برويا»، وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «رحلها»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «كبد» بدون ياء. (٥) في الأصل: «يبد» بدون ياء.

(٦) كلمة «هي» ساقطة في الأصل.



إِنَّكَ خِطَابِي وَالْحَدِيثُ لَغَائِبٌ      كُنَيْتُ بِلَفْظِي عَنْ مَغِيْبِكَ بِالْعَمْدِ  
عَلَيْكَ سَلَامِي إِنْنِي مُتَشَوِّقٌ      لِلْقِيَاكِ لِي أَوْ مِنْ جَوَابِكَ بِالرَّدِّ

وفاته: توفي بغرناطة تحت جراية من أمرائها؛ لاختصاصه بقراءة القرآن على قبورهم، في التاسع عشر من شعبان عام ستة وثلاثين وسبعمئة.

### محمد بن عبد الولي الرعيني

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالعواد.

حاله: من «عائد الصلة»: الشيخ المُكْتَب، الأستاذ الصالح، سابق الميدان، وعَلِمَ أعلام القرآن، في إتقان تجويده، والمعرفة بطرق روايته، والاضطلاع بفنونه، لا يُشَقُّ غباره، ولا يتعاطى طلقه، ولا تأتي الأيام بمثله، تُستقصر بين يديه مدارك الأعلام، وتظهر سَقَطَاتِ الأئمة، مهتدياً إلى مكان الحجج على المسائل، مصروفٌ عِنانَ الأشغال إليه، مستنداً إلى نَعْمَةِ رَحِيْمَةٍ، وإتقان غير مُتَكَلِّفٍ، وحِفْظُ غَزِيرٍ. وُطِّلِبَ إلى التَّصَدُّرِ لِلْإِقْرَاءِ، فأبى لشدّة انقباضه، فنُبِّهْتُ<sup>(١)</sup> بالباب السلطاني على وجوب نُصْبِهِ للناس، فكان ذلك في شهر شعبان من عام وفاته، فانتفع به، وكان أَدَّابَ الناس على سُنَّتِهِ، وَأَلَزَمَهُمْ لميقات وزد، يجعل جيرانه حركته إلى ذلك ليلاً، ميقاتاً لا يختلف ولا يكذب، في ترحيل الليل، شديد الطرب، مليح الترتيب، لا تمر به ساعة ضياعاً إلّا وقد عَمَرَهَا بشأن ديني أو دنيائي ضروري مما يسوِّغُه الورع. يلازم المكتب ناصح التعليم، مسوِّياً بين أبناء النعم، وحُلفاء الحاجة، شامخ الأنف على أهل الدنيا، تُغصُّ السُّكُكُ عند تَرَنُّمِهِ بالقرآن، مساوفاً لتلاوة التجويد، ومباشراً أيام الأُخْمِسة والأثنين العمل في مؤنل كان له، على طريقة القدماء من الإخشيشان عند المهن ونَقْلُ آلة الخدمة، غير مفارق للظرف والخصوصية. ويقرأ أيام الجمعَات كُتُبَ الوعظ والرفائق على أهله، فيُصْغِي إليه الجيران عادة لا تختلف. وكان له لكل عمل ثوبٌ، ولكل مهنة زِيٌّ، ما رأيت أحسن ترتيباً منه. وهو أستاذي وجاري الأُلُصْقُ، لم أتعلم الكتاب العزيز إلّا في مكتبه، رحمة الله عليه.

مشيخته: قرأ على بَقِيَّةِ المقرئين الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، ولازمه وانتفع به، وعلى الأستاذ أبي جعفر الجزيري الضرير، وأخذ عن الخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُشَيْدٍ.

(١) تاء الضمير هنا تعود إلى ابن الخطيب، مؤلف هذا الكتاب.

مولده: في حدود عام ثمانين وستمائة.

وفاته: توفي رحمة الله عليه في...<sup>(١)</sup> الموفي ثلاثين لذي قعدة من عام خمسين وسبعمائة.

### محمد بن علي بن أحمد الخولاني<sup>(٢)</sup>

يكنى أبا عبد الله، أصله من مجلقر، ويعرف بابن الفخار وبالبيري، شيخنا رحمه الله.

حاله: من «عائد الصلة»: أستاذ الجماعة، وعَلَم الصناعة، وسيبويه العصر، وآخر الطبقة من أهل هذا الفن. كان، رحمه الله، فاضلاً، تقياً، مُقَبَّضاً، عاكفاً على العلم، ملازماً للتدريس، إمام الأئمة من غير مُدافع، مبرزاً أمام أعلام البصريين من الثعاة، منتشر الذكر، بعيد الصيت، عظيم الشهرة، مُسْتَبَحِر الحفظ، يتفجر بالعربية تفجر البحر، ويترسل استرسال القطر، قد خالطت دمه ولحمه، لا يُشكل عليه منها مُشكل، ولا يعوزه توجيه، ولا تُشدُّ عنه حجة. جدّد بالأندلس ما كان قد دَرَس من لسان العرب، من لدُن وفاة أبي علي الشلوبين، مُقيم السوق على عهده. وكانت له مشاركة في غير صناعة العربية من قراءات وفقه، وعروض، وتفسير. وتقدم خطيباً بالجامع الأعظم، وقعد للتدريس بالمدرسة النصرية<sup>(٣)</sup>، وقلّ في الأندلس مَنْ لم يأخذ عنه من الطلبة. واستعمل في السفارة إلى العذوة، مع مثله من الفقهاء، فكانت له حيث حلّ الشهرة وعليه الازدحام والغاشية، وخرّج، ودرب، وأقرأ، وأجاز، لا يأخذ على ذلك أجراً وخصوصاً فيما دون البداية، إلّا الجراية المعروفة، مقتصدًا في أحواله، وقوراً، مُفرط الطول، نحيفاً، سريع الخطو، قليل الالتفات والتعرج، متوسط الزّي، متبدلاً في معالجة ما يملكه بخارج البلد، قليل الدَّهاء والتَّصنُّع، غريب التَّزعة، جامعاً بين الحرص والقناعة.

(١) بياض في الأصل.

(٢) ترجمة محمد بن علي الخولاني، المعروف بابن الفخار، في الكتيبة الكامنة (ص ٧٠) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٣٠).

(٣) هذه المدرسة أنشأها السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، ومكانها ما يزال معروفاً إلى اليوم بغرناطة، ويقع قبالة الكنيسة العظمى التي أنشئت على موقع المسجد الجامع. اللوحة البدرية (ص ١٠٩).

مشيخته: قرأ<sup>(١)</sup> بسبنة على الشيخ الإمام أبي إسحق الغافقي، ولازمه كثيرا، وأخذ عنه، وأكثر عليه. وقرأ على الإمام الصالح أبي عبد الله بن حريث، والمقرئ الشريف الفاضل أبي العباس الحسني، والشيخ الأستاذ النظار أبي القاسم بن الشاط، وأخذ عن الخطيب المحدث أبي عبد الله بن رُسَيْد، والقاضي أبي عبد الله بن القرطبي وغيرهم. وهو أستاذي، قرأت عليه القرآن، وكتابتني الجمل والإيضاح، وحضرت عليه دولاً من الكتاب، ولازمته مدة، وعاشرته، وتوجه صحبتي في الرسالة إلى المغرب.

**وفاته:** توفي بغرناطة ليلة الاثنين الثاني عشر من رجب عام أربعة وخمسين وسبعمائة، وكانت جنازته حافلة. وخمدت قرائح الآخذين عنه، ممن يُذلي دلو أدب، فيأتي بماءٍ أو حَمَافَةٍ، على كثرتهم، تقصيرا عن الحق، وقَدْحًا في نسب الوفاء، إلا ما كان من بعض من تأخر أخذه عنه، وهو محمد بن عبد الله اللّوشي، فإنه قال: وعين هذه الأبيات قرارها<sup>(٢)</sup>: [الطويل]

ويوم نعى الناعي شهاب المحامد	تَغَيَّرَتِ الدُّنْيَا لِمَضْرَعِ <sup>(٣)</sup> واحدٍ
فلا عُدْرَ لِلْعَيْنَيْنِ إِنْ لَمْ تُسَامَحَا <sup>(٤)</sup>	بدمعٍ يُحاكي الوَبْلَ يشفي لواجدٍ
مضى من بني الفخار أفضل ماجدٍ	جميلُ المساعي للعلاجِ جَدُّ شاهدٍ <sup>(٥)</sup>
طواه الردى ما كل حي يهابه	وما وزده عازا يشين لواردٍ
لقد غيّبت منه المكارم في الثرى	غداة نوى <sup>(٦)</sup> وانسد باب الفوائد
فيا حاملي أعواده، ما علمتم	بسؤدده الجرم الكريم المحاتد؟
ويا حُفْرَةَ خُطَّتْ له اليوم مضجعا،	سَقَتْكَ الغواصي الصادقات <sup>(٧)</sup> الرّواعد
ألا يا حَمَامَ الأيك ساعِدَنَ <sup>(٨)</sup> بالبكا <sup>(٩)</sup>	على عَلمِ <sup>(١٠)</sup> الدُّنْيَا وزين المشاهد

(١) راجع نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٣٠ - ٣٣١).

(٢) ترجمة محمد بن عبد الله اللّوشي في الكتيبة الكامنة (ص ٢١١). والقصيدة الدالية في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٢ - ٢١٣).

(٣) في الكتيبة الكامنة: «لمهلك».

(٤) في الأصل: «تسايجا» والتصويب من الكتيبة.

(٥) في الكتيبة: «شائد».

(٦) في الكتيبة «الغاديات».

(٧) في الأصل: «ساعدي»، وكذا ينكسر الوزن والتصويب من الكتيبة.

(٨) في الكتيبة: «في البكا».

(٩) في الكتيبة: «عالم».

(١٠) في الكتيبة: «عالم».

على أن لو أَسْطَعْتُ الْفِدَاءَ فَدَيْتُهُ<sup>(١)</sup> محمد، ما التُّغَمَى<sup>(٣)</sup> لموتكَ غَضَّة<sup>(٤)</sup> وكيف وبابُ العلم بعدك مُغْلَقٌ أَسْتَادُنَا كُنْتَ الرَّجَاءُ<sup>(٧)</sup> لآمل فلا تُبْعِدَنْ شَيْخَ المعارف والحججا<sup>(٩)</sup> لَتَبِكِ العلوم<sup>(١١)</sup> بعدك اليوم<sup>(١٢)</sup> شَجَّوْهَا لَيْبِكِ عَلَيْكَ الْجُودُ والدين<sup>(١٤)</sup> والتُّقَى أمولاي، مَنْ لِلْمَشْكَلاتِ يُبَيِّئُهَا ومن ذا يحلُّ المَقْفَلَاتِ صَعَابَهَا؟ فيا راحلاً عَنَّا فَزِغْنَا لَفَقْدِهِ ويا كوكباً غَالِ النهار<sup>(١٦)</sup> ضيائه سَابِكِيكَ ما لاحِثْ بَرْوَقٌ لَشَائِمٍ عَلَيْكَ سلام الله ما دامت<sup>(١٨)</sup> الصُّبَا

بَأَنْفَسٍ مَالٍ<sup>(٢)</sup> من طريف وتالد تَرُوقُ<sup>(٥)</sup> ولا ماء الحياة ببارد ومَوْرَدُهُ<sup>(٦)</sup> المتروك بين الموارد فَأَصْبَحْتَ مهجور الفناء<sup>(٨)</sup> لقاصد أليس<sup>(١٠)</sup> الذي تحت الثراب بباعِد؟ وَيُقْفِرُ<sup>(١٣)</sup> لها زَنْعُ العُلا والمعاهد وَحَسْبُ الْبُكَاءِ أَنْ صِرْتَ ملحودَ لاجِد فيجلي<sup>(١٥)</sup> عَمَى كُلِّ الْقُلُوبِ الشُّوَاهِدِ ومن ذا الذي يَهْدِي السَّبِيلَ لحائد لقد أَوْنَسَتْ مِنْكَ الْقُبُورُ بوافد وشيْكَاء، وهل هذا الزمان بخالِد؟ وأرعاك ما كان الغمامُ بعائد<sup>(١٧)</sup> تهبُّ<sup>(١٩)</sup> بِغُضَنِ فِي الْأَرَاكَةِ مَائِدِ

قلت<sup>(٢٠)</sup>: العجب من الشيخ ابن الخطيب، كيف قال: وَخَدِمَتْ قَرَائِحَ الْآخِذِينَ عنه، وهو من أجلِّ مَنْ أَخَذَ عَنْهُ، حسبما قرره آنفاً، بل أخض من ذلك المعاشرة

(١) في الأصل: «على أني لو استطعت الفدا فديته» وكذا ينكسر الوزن. وفي الكتيبة: «... الفدا لفديته».

(٢) في الأصل: «آل» والتصويب من الكتيبة.

(٣) في الأصل: «للنعمى»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. والتصويب من الكتيبة.

(٤) في الكتيبة: «غبطة».

(٥) في الأصل: «توقف» وكذا لا يستقيم المعنى ولا الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٦) في الكتيبة: «وموردك».

(٧) في الأصل: «الرجاء»، وكذا ينكسر الوزن. والتصويب من الكتيبة.

(٨) في الأصل: «القناء»، وكذا ينكسر الوزن. والتصويب من الكتيبة.

(٩) في الكتيبة: «والحمى». (١٠) في الأصل: «ليس» والتصويب من الكتيبة.

(١١) في الكتيبة: «العيون».

(١٢) كلمة «اليوم» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة.

(١٣) في الكتيبة: «ويعف... والمحامد». (١٤) في الكتيبة: «والحلم».

(١٥) في الكتيبة: «فتجلو». (١٦) في الكتيبة: «الزمان».

(١٧) في الأصل: «بعابد»، والتصويب من الكتيبة. (١٨) في الكتيبة: «هبت».

(١٩) كلمة «تهب» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة.

(٢٠) الكلام من هنا حتى آخر الترجمة ليس لابن الخطيب، بل هو للناسخ.

والسفارة للعدوة. وهو مع ذلك أقدرهم على هذا الشأن، وأسخاهم قريحة في هذا الميدان، وإن أتى غيره بماء أو حَمَاءٍ، أتى هو بالبحر الذي لا ساحل له. ولعمري لو قام هو بما يجب من ذلك، لزال القَدْح في نسب وفاء الغير، فعَيْنُ ما نسبه من التقصير عن الحق في ذلك، متوجّه عليه، ولا حقّ له، ولا يبعد عنده أن يكون وقع بينهما ما أوجب إعراضه مما يقع في الأزمان، ولا سيما بين أهل هذا الشأن، فيكون ذلك سبباً في إعراض الغير مشياً في غرضه، ومساعدة له. والله أعلم بحقيقة ذلك كله.

### محمد بن علي بن محمد البلنسي

من أهل غَزَنَاطَة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: طالب هَشٌّ، حسن اللقاء، عفيفُ النشأة، مكبٌ على العلم، حريص على استفادته، مع زَمَانَةٍ أصابت يُمنى يَدَيْهِ، نفعه الله. قَيَّدَ بأختها وانتسخ، قائم على العربية والبيان، ذاكر الكثير من المسائل، حافظٌ مُتَقِنٌ، على نزعة عربية من التَّجَادُع في المشي وقِلَّة الالتفات إلّا بجملته، وجَهْوَرِيَّة الصوت، متحلٌّ بسداجة، حسنُ الإلقاء والتقرير، مَتٌّ لِلْمُتَغَلَّب على الدولة بِضُنْ أفاده جاهاً واستعمالاً في خُطَّة السوق، ثم اصطناعاً في الرسالة إلى ملك المغرب، جرّ عليه آخرًا النكبة، وقاد المحنة، فأزَّصد له السلطان أبو عبد الله في أخرياتِها رجالاً بعثهم في زُنْدَة، فأسروه في طريقه، وقَدِّموا به سَلِيْبًا قدوم الشهرة والمُثْلَة، موقناً بالقتل. ثم عَطَفَ عليه حَنِينًا إلى حُسْن تِلَاوَتِهِ في محبسه ليلاً، فانتاشه لذلك من هفوة بعيدة ونكبة مُبِيرَة. ولما عاد لِمُلْكِهِ، أعاده للإقراء.

مُشِيخَتُهُ: جَلَّ انتفاعه بشيخ الجماعة أبي عبد الله بن الفَخَّار، لازمه وانتفع به، وأعادَ دُولَ تدرسه، وقرأ على غيره. وألَّفَ كتاباً في تفسير القرآن، متعدّد الأسفار، واستدرك على السَّهْلِي في أعلام القرآن كتاباً نبيلًا، رَفَعَهُ على يَدِي السُّلْطَان. وهو من فضلاء جنسه، أعانَهُ الله وسدَّده.

### محمد بن سعد بن محمد بن لُب بن حسن بن حسن ابن عبد الرحمن بن بقي<sup>(١)</sup>

يكنى أبا عبد الله، ويعرف باسم جَدِّهِ.

(١) ترجمة ابن بقي في الكتيبة الكامنة (ص ٩٤) ونيل الابتهاج (ص ٢٧٩) طبعة فاس.

أوليته: كان القاضي العَدْلُ أبو عبد الله بن هشام، قاضي الجماعة بالأندلس، يجلُّ سَلَفَهُ، وينسبه إلى بَقِيٍّ بن مخلد، قاضي الخلافة بقرطبة، وابن هشام مِمَّنْ يُحْتَجُّ به.

حاله: هذا الرَّجُلُ فاضل، حسن الخُلُقِ، جميل العشرة، كريم الصَّحبة، مَبْدُول المشاركة، معروف الذكاء والعَقَّة، مبسوط الكَنَفِ مع الانقباض، فِكَّة مع الحِشمة، تَسَعُ الطوائفُ أَكْنَافَ خُلُقِهِ، وَيُعِمْ المتضادَّين رَحْبَ دَرْعِهِ، طَالِبٌ محصل، حصيف العقل، حسن المشاركة في فنون؛ من فقه، وقراءات، ونحو، وغير ذلك. تكلَّم للناس بجامع الرِّبْضِ ثُمَّ بمسجد البكري المجاور للزاوية والتربة اللتين أقمتهما بأخشارش من داخل الحضرة، وحلَّق به لتعليم العِلْمِ، فأنثال عليه المتعلم والمستفيد والسامع، لإجادة بيانه، وحسن تَفْهيمه.

مشيخته: قرأ القرآن بجزف نافع، على أبيه، وعلى الشيخ الخطيب المُكْتَبِ أبي عبد الله بن طُرفة، والخطيب أبي عبد الله بن عامور. وقرأ العربية على إمام الجماعة الأستاذ أبي عبد الله بن الفَخَّار، وجوَّد عليه القرآن بالقراءات السبع، وقرأ على الأستاذ أبي سعيد بن لُب.

شعره: أشدني من ذلك قوله بعد الانصراف من مواراة جنازة<sup>(١)</sup>: [الرمْل]  
 كم أرى مُذْمِنَ لَهْوٍ وَدَعَا      لَسْتُ أَخْلِي سَاعَةً مِنْ تَبِعَةٍ  
 كان لي عذرٌ لدى عهد الصُّبَا      وأنا أَمَلُ في العُمْرِ سَعَةٍ  
 أو ما يُوقظنا مَنْ كُنَّا      أَنْفًا<sup>(٢)</sup> لِقَبْرِهِ قَدْ شَيَّعَةٍ  
 سَيِّمًا إِذْ قَدْ<sup>(٣)</sup> بَدَا فِي مَفْرِقِي      ما إِخَالَ المَوْتَ قَدْ جَاءَ مَعَةٍ  
 فدعوني ساعةً أبكي على      عُمْرٍ أَمْسِيَتْ مِمَّنْ ضَيَّعَةٍ  
 ومن شعره في النوم، وهو كثيرًا ما يَطْرُقُه: [الوافر]

أَبَادَ البَيْنُ أَجْنَادَ التَّلَاقِي      وحالت بيننا خيلُ الفراقِ  
 فجدودوا وارحموا وارثوا ورُقُوا      على مَنْ جَفَّئَهُ سَكَبُ المَاقِي

(١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩٥) ونيل الابتهاج (ص ٢٧٩)، طبعة فاس.

(٢) في الأصل: «أَنْفًا» والتصويب من الكتيبة.

(٣) في الأصل: «وقد بدا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

ومن ذلك ما أنشد في التَّوْم على لسان رجل من أصحابه: [مخلع البسيط]  
يا صاحبي، قفا المطايا      وأشفقًا فالعبيد عبده  
إذا انتهى وانقضى زمان      هل يرسل الله من يرده؟  
مولده: في الثاني عشر لصفر من عام اثنين وعشرين وسبعماية.

### محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالطراز.

حاله: من صلة ابن الزبير: كان، رحمه الله، مُفَرِّئًا جليلاً، ومحدثًا حافلاً، به ختم بالمغرب هذا الباب البتة. وكان ضابطاً مُتَقَنًّا، ومُقَيِّدًا حافلاً، بارع الخط، حسن الوراق، عارفاً بالأسانيد والطرق والرجال وطبقاتهم، مُفَرِّئًا، عارفاً بالأسانيد والقراءات، ماهراً في صناعة التجويد، مشاركاً في علم العربية والفقه الأصول وغير ذلك، كاتباً نبيلًا، مجموعاً فاضلاً مُتَخَلِّقًا، ثقةً فيما رَوَى، عَدَلًا ممن يرجع إليه فيما قيد وضبط، لإتقانه وحذقه. كتب بخطه كثيرًا، وترك أمهات حديثية، اعتمدها الناس بعده، وعولوا عليها. وتجرد آخر عُمره، إلى كتاب «مشارك الأنوار» تأليف القاضي أبي الفضل عياض، وكان قد تركه في مُبَيَّضَةٍ، في أنهى درجات النسخ والإدماج والإشكال وإهمال الحروف حتى احترمت منفعتها، حتى استوفى ما نقل منه المؤلف، وجمع عليها أصولاً حافلة وأمّهات جامعة من الأغربة وكتب اللغة، فتخلص الكتاب على أتم وجه وأحسنه، وكمل من غير أن يسقط منه حرف ولا كلمة. والكتاب في ذاته لم يؤلف مثله.

مشيخته: روى عن القاضي أبي القاسم بن سَمْحُون، والقاضي ابن الطَّبَّاع، وعن أبي جعفر بن شراحيل، وأبي عبد الله بن صاحب الأحكام والمتكلم، وأبي محمد بن عبد الصمد بن أبي رجا، وأبي القاسم الملاح، وأبي محمد الكوَّاب وغيرهم، أخذ عن هؤلاء كلهم ببلده، وبقرطبة عن جماعة، وبمالقة كذلك، وبسبته. وبإشبيلية عن أبي الحسن بن رَزْقُون، وابن عبد النور. وبفاس وبمرسية عن جماعة.

قلت: هذه الترجمة في الأصل المختصر منه هذا طويله، واختصرتها لطولها.

وفاته: توفي بغرناطة ثالث شوال عام خمسة وأربعين وستمائة، وكانت جنازته من أحفل جنازة، إذ كان الله قد وضع له وُدًا في قلوب المؤمنين.

## محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان النَّفْزِي<sup>(١)</sup>

من أهل غرناطة، يكنى أبا حيان، ويلقب من الألقاب المشرقية بأثير الدين.

حاله: كان<sup>(٢)</sup> نسيج وخدي في ثقوب الذهن، وصحة الإدراك والحفظ<sup>(٣)</sup>، والاضطلاع بعلم العربية، والتفسير وطريق الرواية، إمام الشّاحة في زمانه غير مدافع، نشأ ببلده<sup>(٤)</sup> غرناطة، مشاراً إليه في التبريز بميدان الإدراك، وتغيير السوابق في مضمّار التّحصيل. ونالته نبوة<sup>(٥)</sup> لحق بسببها بالمشرق، واستقرّ بمصر، فنال ما شاء من عزّ وشهرة، وتأثّل وبر<sup>(٦)</sup> وحظوة، وأضحى لمن حلّ بساحته من المغاربة ملجأً وعُدّة. وكان شديد البسّط، مهيباً، جهّورياً، مع الدّعابة والغزل، وطرح السّمت<sup>(٧)</sup>، شاعراً مكثراً، مليح الحديث، لا يملّ وإن أطال، وأسّنّ جدّاً، وانتفع<sup>(٨)</sup> به. قال بعض أصحابنا: دخلتُ عليه، وهو يتوضّأ، وقد استقرّ على إحدى رجله لغسل الأخرى، كما تفعل البرك والإوز، فقال<sup>(٩)</sup>: لو كنتُ اليوم جاز شلّير<sup>(١٠)</sup>، ما تركني لهذا العمل في هذا السن<sup>(١١)</sup>.

مشيخته: قرأ ببلده على الأستاذ حائز الرياسة أبي جعفر بن الزبير ولازمه، وانتسب إليه، وانتفع به، وشاد له بالمشرق ذكراً كبيراً. ويقال إنه نادى في الناس عندما بلغه نعيه، وصلى عليه بالقاهرة، وله إليه مخاطبات أدبية اختصرتها، وعلى الأستاذ الخطيب أبي جعفر علي بن محمد الرّعيني الطّبّاع، والخطيب الصالح وليّ الله أبي الحسن فضل بن محمد بن علي بن إبراهيم بن فضيلة المعافري. وروى عن القاضي المحدث أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص الفهري،

(١) ترجمة أبي حيان محمد بن يوسف النفزي الغرناطي في الوافي بالوفيات (ج ٥ ص ٢٦٧) والكتيبة الكامنة (ص ٨١) وبغية الوعاة (ص ١٢١) والبدر السافر (ص ١٧٨) ونكت الهميان (ص ٢٨٠) والدرر الكامنة (ج ٥ ص ٧٠) وغاية النهاية (ج ٢ ص ٢٨٥) وشذرات الذهب (ج ٦ ص ١٤٥) والنجوم الزاهرة (ج ١٠ ص ١١١) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٨٠). والنفزي: نسبة إلى نفزة قبيلة من البربر. بغية الوعاة (ص ١٢١).

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٤ - ٣٢٥).

(٣) كلمة «الحفظ» غير واردة في النفح. (٤) في النفح: «في بلده».

(٥) الثبوة: الجفوة. لسان العرب (نبا). (٦) في النفح: «وتأثّل، وافر وحظوة».

(٧) في النفح: «التسمت». (٨) في النفح: «فانتفع».

(٩) في النفح: «فقال لي».

(١٠) هو جبل شلّير المطلّ على غرناطة والذي تغطيه الثلوج على مدار السنة. وهناك دراسة مفصلة

عنه في كتاب مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٤٣ - ٤٦) فلتنظر.

(١١) لهنّا ينتهي النص في نفح الطيب.



والمكتَّب أبي سهل اليُسْر بن عبد الله بن محمد بن خلف بن اليُسْر القُشيري، والأستاذ أبي الحسن بن الصايغ، والأديب الكاتب أبي محمد عبد الله بن هارون الطائي بتونس، وعلى المُسند صفى الدين أبي محمد عبد الوهاب بن حسن بن إسماعيل بن مظفر بن الفُرات الحسنى بالإسكندرية، والمُسند الأصولي وجيه الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران الأنصاري بالثغر، والمحدث نجيب الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمداني بالقاهرة، وغيرهم ممن يشقُّ إحصارهم، كالإمام بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر بن النحاس الشافعي. قرأ عليه جميع كتاب سيبويه في سنة ثمانٍ وثمانين وستمئة، وقال له عند ختمه: لم يقرأه على أحد غيره.

**تواليفه:** وتواليفه كثيرة، منها شرحه كتاب «تسهيل الفوائد لابن مالك». وهو بديع، وقد وقَّفتُ على بعضه بغرناطة في عام سبعة وخمسين وسبعمائة. وكتابه في تفسير الكتاب العزيز، وهو المسمَّى بـ«البحر المحيط» تسمية، زعموا، موافقة للغرض. وألف كتابًا في نحو اللسان التركي، حدَّثنا<sup>(١)</sup> عنه الجملة الكثيرة من أصحابنا، كالحاج أبي يزيد خالد بن عيسى، والمَقري الخطيب أبي جعفر الشَّقُوري، والشَّريف أبي عبد الله بن راجح، وشيخنا الخطيب أبي عبد الله بن مَرْزوق. وقال<sup>(٢)</sup>: حدَّثنا شيخنا أثير الدِّين<sup>(٣)</sup> في الجملة سنة خمس وثلاثين وسبعمائة بالمدرسة الصالحية بين القُصْرين بمنزلة منها<sup>(٤)</sup>. قال<sup>(٥)</sup>: حدَّثنا الأستاذ العلامة المتفنن<sup>(٦)</sup> أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزُّبير، سماعًا من لفظه، وكتَبنا<sup>(٧)</sup> من خطِّه بغرناطة، عن الكاتب أبي إسحق بن عامر الهمداني الطُّوسي بفتح الطاء، حدَّثنا أبو عبد الله بن محمد العنسي القرطبي، وهو آخر من حدَّث عنه، أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد الحافظ الجياني، أنبأنا<sup>(٨)</sup> حَكَم بن محمد، أنبأنا<sup>(٨)</sup> أبو بكر بن المهندس، أنبأنا<sup>(٨)</sup> عبد الله بن محمد، أنبأنا<sup>(٨)</sup> طالوت بن عياد<sup>(٩)</sup> بن بصال بن جعفر، سمعت أبا أُمّامة الباهلي يقول: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: اكفلوا لي بستَ أكفل<sup>(١٠)</sup> لكم في

(١) راجع نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٥).

(٢) في النفح: «شيخنا أبو حيان».

(٣) كلمة «قال» ساقطة في النفح.

(٤) قوله: «العلامة المتفنن» ساقط في النفح.

(٥) في النفح: «وكتبه».

(٦) في النفح: «عباد بن نصال».

(٧) في الأصل: «لي بيت أهل لكم في الجنة» وهذا لا معنى له، وقد صوّبناه من النفح.

(٨) في النفح: «قال».

(٩) كلمة «منها» ساقطة في النفح.

(١٠) قوله: «العلامة المتفنن» ساقط في النفح.

(١١) في الأصل: «نا» والتصويب من النفح.

الجنة<sup>(١)</sup>، إذا حدّث أحدكم بلا كذب، وإذا اتّضمن فلا يَحْضَنُ، وإذا وَعَدَ فلا يُخْلَفُ. غَضُوا أَبْصَارَكُمْ، وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ<sup>(٢)</sup>.

وقال: أنشدنا الخطيب أبو جعفر الطَّبَّاع، قال: أنشدنا ابن خَلْفُون، قال: أنشدنا أبو عبد الله محمد بن سعيد، قال: أنشدنا أبو عمران موسى بن أبي تليد لنفسه: [المنسرح]

حالي مع الدهر في تقلُّبه      كطائر ضمَّ رِجلَه الشَّرْكَ  
فهْمُه في خلاص مُهْجَتِه      يروم تخليصها في شَتَبِكُ

ومن مُلَحَّحه: قال: قدم علينا الشيخ المحدث أبو العلاء محمد بن أبي بكر البخاري الفَرَضِي بالقاهرة في طلب الحديث، وكان رجلاً حسنًا طيِّب الأخلاق، لطيف المزاج، فكُنَّا نُسَايِرُه في طلب الحديث، فإذا رأى صورة حسنة قال: هذا حديث على شرط البخاري، فنظمت هذه الأبيات<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

بدا كهلال العيد<sup>(٤)</sup> وَفَتْ طُلُوعِه      وماسَ<sup>(٥)</sup> كَغُضْنِ الْخَيْزُرَانِ الْمُنْعَمِ  
غزالٌ رَخِيمُ الدَّلِّ وافى مُواصِلا      موافقَةً منه على رِغْمِ لُومِ  
مليحٌ غريبُ الحُسنِ أصبح مُعَلِّمًا      بخُمْرَةٍ<sup>(٦)</sup> خَدٌّ بِالْمَحاسِنِ مُعَلِّمِ  
وقالوا: على شَرَطِ البخاريّ قد أتى      فقلُّنا<sup>(٧)</sup>: على شرط البخاريّ ومُسْلِمِ  
فقال البخاري: فمن هو مُسْلِمٌ<sup>(٨)</sup>؟      فقلت له: أنت البخاري ومُسْلِمٌ<sup>(٩)</sup>

محتته: حملته<sup>(١٠)</sup> حِدَّةُ الشَّيْبَةِ على التَّعْرِيضِ<sup>(١١)</sup> للأستاذ أبي جعفر الطَّبَّاع، وقد وَقَعَتْ بينه وبين أستاذه ابن الزُّبَيْرِ الْوَحْشَةِ فنال منه، وتصدَّى للتأليف في الرَّدِّ عليه، وتكذيب روايته، فرفع أمره إلى<sup>(١٢)</sup> السلطان، فامتعض له، ونُقِذَ الأمرُ بِتَنْكِيلِه، فاختنفى، ثم أجاز البحر مُخْتَفِيًا، ولحق بالمشرق يَلْتَفِتُ خَلْفَه.

(١) في النسخ: «بالجنة».

(٢) الأبيات، عدا البيت الأخير، في الكتيبة الكامنة (ص ٨٢).

(٣) في الكتيبة: «الأفق».

(٤) في الأصل: «بخمرة» بالخاء، والتصويب من الكتيبة.

(٥) في الكتيبة: «فقلُّت».

(٦) رواية صدر البيت في الأصل هكذا: فقال مولاي أنا البخاري فمن مسلم، وكذا ينكسر الوزن.

(٧) في الأصل: «وأنا مسلم» وكذا ينكسر الوزن.

(٨) النص في نسخ الطيب (ج ٣ ص ٣٢٥). (٩) في النسخ: «التعرض».

(١٠) في النسخ: «السلطان».

شعره: وشعره كثير بحيث يتصف بالإجادة وضدها. فمن مطولاته، رحمه الله، قوله<sup>(١)</sup>: [البسيط]

لا تَغْذِلَاهُ فَمَا ذُو الْحُبِّ مَعْدُولُ      الْعَقْلُ مُخْتَبِلٌ وَالْقَلْبُ مَثْبُولُ  
هَزَّتْ لَهُ أَسْمَرًا مِنْ حُوطٍ قَامَتَهَا      فَمَا أَنْشَى الصَّبُّ<sup>(٢)</sup> إِلَّا وَهُوَ مَقْتُولُ  
جَمِيلَةٌ فَضَّلَ الْحُسْنَ الْبَدِيعُ لَهَا      فَكَمْ لَهَا جُمْلٌ مِنْهُ وَتَفْصِيلُ  
فَالْتَحَرُّ مَزْمَرَةٌ وَالتَّشْرُّ عَنَبَرَةٌ      وَالتَّغَرُّ جَوْهَرَةٌ وَالرَّيْقُ مَغْسُولُ<sup>(٣)</sup>  
وَالطَّرْفُ ذُو غَنَجٍ وَالْعَرْفُ ذُو أَرْجٍ      وَالْخَضِرُ مُخْتَطَفٌ، وَالْعُنُقُ<sup>(٤)</sup> مَجْدُولُ  
هَيْفَاءُ يَنْبَسُ<sup>(٥)</sup> فِي الْخَضِرِ الْوَشَاحُ لَهَا      دَزْمَاءُ<sup>(٦)</sup> تُخْرَسُ فِي السَّاقِ الْخَلَائِلُ  
مِنْ اللَّوَاتِي غَذَاهُنَّ النَّعِيمُ فَمَا      يَشْقَيْنَ، أَبَاوَهَا الصَّيْدُ الْبَهَائِلُ<sup>(٧)</sup>  
نُزِرَ الْكَلَامُ غَمِيَّاتُ الْجَوَابِ إِذَا      يُسَلَّنَ بَعْدَ الصَّحَا حُضْرُ مَكَاسِيلِ  
مِنْ حَلِيهَا وَسَنَاها مَوْنَسٌ وَهَدَى      فَلَيْسَ يَلْحَقُهَا دُغْرٌ وَتَضْلِيلِ  
حَلَّتْ بِمُنْعَقِدِ الزُّورَاءِ زَارَةً      شَوْسًا غَيَارَى فَعَقِدَ الصَّبْرَ مُحْلُولِ  
فَصُدَّ عَنْ ذِكْرِ لَيْلَى إِنَّ ذِكْرَهَا<sup>(٨)</sup>      عَلَى الثَّنَائِي لَتَغْذِيبُ وَتَعْلِيلُ  
أَتَاكَ مِنْكَ نَذِيرٌ فَأَنْذِرْ بِهِ      وَبَادِرِ الثُّوبِ إِنَّ الثُّوبَ مَقْبُولِ  
وَأَمَلِ الْعَفْوِ وَاسْلُكْ مَهْمَهَا قَدًّا      إِلَى رَضَى اللَّهِ إِنَّ الْعَفْوَ مَأْمُولِ  
إِنَّ الْجِهَادَ وَحْجَ الْبَيْتِ مُخْتَتَمًا      بِزُورَةِ الْمَصْطَفَى لِلْعَفْوِ تَأْمِيلِ  
فَشَقَّ حَيَزُومَ هَذَا اللَّيْلِ مُنْتَطِيًا      أَخَا خُرَامٍ بِهِ قَدْ يُبْلَغُ السُّؤْلُ  
أَقْبَ أَعْوَجَ يُغْزَى لِلْوَجِيهِ لَهُ      وَجْهٌ أَغْرَ وَفِي الرِّجْلَيْنِ تَحْجِيلِ  
جُفَّرَ حَوَافِرُهُ، مُغَرَّ قَوَائِمُهُ      ضَمَّرَ أَيْاطِلُهُ، وَلِلذَّيْلِ عُثْكَوْلُ<sup>(٩)</sup>

(١) الأبيات السبعة الأوائل في نفح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٥ - ٣٢٦).

(٢) في الأصل: «للصَّب» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٣) في الأصل: «... مرمرة... عنبره... جوهرة...». والتصويب من النفح.

(٤) في النفح: «وَالْعُنُقُ». (٥) في النفح: «ينطق».

(٦) في الأصل: «دَزْمَاء» وكذا ينكسر الوزن، ولا معنى لها. والتصويب من النفح. والمرأة الدَزْمَاءُ هي التي لا تستبين كعوبها ومرافقها من الشحم واللحم. محيط المحيط (درم).

(٧) الصيد، بكسر الصاد وسكون الياء: جمع أصيد وهو الرجل الذي يرفع رأسه كبرًا. البهاليل: جمع بَهْلُول وهو السيد الجامع لكل خير. محيط المحيط (صيد) و(بَهْلِيل).

(٨) في الأصل: «ذِكْرَهَا» وهكذا ينكسر الوزن.

(٩) العثكول: العِذْقُ أو الشُّفْرَاخ، وهو في النخل بمنزلة العنقود في الكرم. محيط المحيط (عثكل).

إِذَا تَوَجَّهَ أَضْغَى وَهُوَ مُلْتَفِتٌ  
وإن تُعارض به هُوجَاءٌ<sup>(٢)</sup> هاجَ له  
يحمي به<sup>(٤)</sup> حَوْزَةُ الإسلام مُلْتَقِيًا  
كثائبًا قد عَمُوا عن كل واضحة  
في مَاقِطٍ<sup>(٥)</sup> ضرب الموت الزَّوَامُ<sup>(٦)</sup> به  
هيجاءٌ<sup>(٧)</sup> يُشْرِفُ فيها المَشْرِفِيُّ<sup>(٨)</sup> على  
تدير كأسَ شُعُوبٍ<sup>(١٠)</sup> في شعوبهم  
وإِذَا<sup>(١١)</sup> قَضَيْتَ غَزَاةً فَالْتَفِتْ عملاً  
واصل بسرُّ مُعَدٍّ<sup>(١٢)</sup> يا ابن أندلس  
يُلاطِمُ الريح منه أبيض نُفُق  
يعلو حَضَارِينَ<sup>(١٣)</sup> منه شامخٌ جَلَلٌ  
كأنما هو في طُخْيَاءٍ<sup>(١٤)</sup> لُجْجَةٍ  
ما زالت الموج تُغليه وتُخَفِّضه  
وَكَبَّرَ النَّاسُ أعلاه الرنيم<sup>(١٦)</sup>  
وصافحوا اليَدَ بعد اليَمِّ وابتدروا

مَسَاعِرُ<sup>(١)</sup> أَعْتَقَا فيهنَّ تَأْلِيلَ  
جَزْيٍ<sup>(٣)</sup> يُرى البَرْقُ عنه وهو مخذول  
كتائبًا غُصَّ منها العَرْضُ والطُّول  
من الكِتَابِ وَعَرَّتْهُمُ أَبَاطِيلُ  
سُرَادِقًا فعليهم منه تَخْيِيلُ  
هام العدو ويصحى<sup>(٩)</sup> النَّفْعُ تَضْلِيلُ  
فكلُّهم مُنْهَلٌّ بالموت مَغْلُولُ  
للمحجِّ فالحجُّ للإسلام تَكْمِيلُ  
وَالطَّرْفُ أَذْهَمُ بالأشْطَانِ مَغْلُولُ  
له من السحب المُزِيدُ إكْلِيلُ  
سام طَفًا وهو بالنُّكْبَاءِ مَخْمُولُ  
أَيْمٌ<sup>(١٥)</sup> يَغْرُو أديم السَّيْلِ شِمْلِيلُ  
حَتَّى بدا من منار الثُّغْرِ قنديل  
وكلُّهم طَرْفُهُ بالشَّهْدِ مكحول  
سُبُلًا بها لجناب الله توصيل

- (١) مساعر البعير: أباطله. محيط المحيط (سر).  
(٢) في الأصل: «هُوجَاء» وكذا ينكسر الوزن. والهوجاء: الريح التي لا تستوي في هبوبها وتقلع البيوت، والجمع هُوج.  
(٣) في الأصل: جريء» بهمة، وهو ما لا يتفق مع الوزن والمعنى.  
(٤) كلمة «به» ساقطة في الأصل.  
(٥) في الأصل: «رماقط»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. والماقط: أضيق المواضع في الحرب. محيط المحيط (مقط).  
(٦) الموت الزَّوَام: الموت الكريه أو السريع. محيط المحيط (زأم).  
(٧) في الأصل: «هيجاء» وهكذا ينكسر الوزن.  
(٨) أي السيف المَشْرِفِي، نسبة إلى مشارف اليمن، لسان العرب (شرف).  
(٩) في الأصل: «ويصحب»، وكذا ينكسر الوزن.  
(١٠) شُعُوب: اسم للمنية غير منصرف للعلمية والتأنيث. محيط المحيط (شعب).  
(١١) في الأصل: «وإذا» وكذا ينكسر الوزن. (١٢) كلمة «مُعَد» ساقطة في الأصل.  
(١٣) في الأصل: «حضارة» وكذا ينكسر الوزن ولا معنى له.  
(١٤) في الأصل: «طُخْيَاء» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.  
(١٥) الأَيْم: الحية وذكر الأفعى. محيط المحيط (أيم).  
(١٦) صدر البيت مختل الوزن والمعنى.

على نجائب تتلوه أجنابها<sup>(١)</sup>  
 في مَوَكِبٍ تزحف الأرض الفضاء به  
 يطارد الوحش منه فيلق لَجِبٌ  
 سيوفهم طُرب نحو الحجاز فهم  
 شغف رؤوسهم، يُبَسِّ شِفَاهُهُمْ  
 حتى إذا لاح من بيت الإله لهم  
 يُعَفَّرُونَ وجوها طالما سَمَتْ  
 حَفُّوا بكعبة مولاهم فكغَبُّهُمْ  
 وبالصفا وقتُّهم صافٍ بسعيهم  
 تعرَّفوا عرفات واقفين بها  
 لما قضينا من الغراء مَنْسَكَنَا  
 شِدْنَا إلى الشَّد قميات التي سكنت  
 إلى الرسول تَزَجَّى كل تعلمة  
 مَنْ أَنْزَلَتْ فيه آيات مطهرة  
 وعطَّرت من شذاه كل ناحية  
 سرُّ من العالم العلوي ضمَّنه  
 نور تَمَثَّل في أبصارنا بَشَرًا  
 لقد تَسَامَى وجبريل مُصَامِيهِ  
 أوحى إليه الذي أوحاه من كُتُب  
 يتلو كتابًا من الرحمن جاء به  
 جارٍ على منهج الأعراب أغَجَزَهُمْ  
 بلاغة عندها كع البليغ فلم  
 ومنها:

وطولبوا أن يُجيبوا حين رابَهُمْ  
 بسورة مثله فاستغَجَزَ القليلُ

(١) صدر البيت مختل الوزن والمعنى.

(٢) في الأصل: «تورته» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) في الأصل: «راخي» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. والزخى: الواسع.

لاذوا بذوبان خَطِيٍّ<sup>(١)</sup> وبثر ظبى  
 فمونت في جبال الوهد مُنَحَدِر  
 ما زال بالعُضْب هتَاكَ سوابِغُهُمْ  
 وقد تحطَّم في نحر العدا قصْدُ  
 من لا يُعَدِّله القرآن كان له  
 وكم له مغجَزًا غير القرآن<sup>(٣)</sup> أتى  
 فللرسول انشِقاقُ البدر نَشْهَدُه  
 ونَبْع ماء فراتٍ من أنامله  
 رَوّوا الخميس وهم زُهاء سبع مَي  
 ومي عينٌ بكفَّ جاء يحملها  
 فكان<sup>(٥)</sup> أَحْسَن عينيه ولا عَجَبُ  
 والجذع حَنَّ إليه حين فارقه  
 وأشبع الكثر من قِلِّ الطعام ولم  
 وفي جراب ولا<sup>(٦)</sup> هُنَّ عجائب كم  
 وفي ازتواء إلى دَرْءٍ<sup>(٧)</sup> بزمزم ما  
 والعنكبوت بباب الغار قد نُسِجَتْ  
 وفَرَّخَتْ في جِماء الوُزُق ساجعة  
 هذا وكم معجزات للرسول أَتَتْ  
 غَدَت من الكثر أَعْدَاد النجوم فما  
 قد انْقَضَتْ معجزات الرُّسل منذ قضا  
 ومعجزات رسول الله باقية

يوم الوغى واعتراهم منه تنكيل  
 ومُوثَّق في حبال العَدِ مَكْبُول  
 حتى انثنى العُضْب منهم وهو مَقْلُول  
 صَمُ الوشيح<sup>(٢)</sup> وخائنتها العواميل  
 من الصَّفاد وبِيض البَثَر تعديل  
 فيه من الحقِّ مَنقُول ومَعقُول  
 كما لمُوسى انْفِلَاق البحر مَنقُول  
 كالعين ثُرَّت فجاء الهَتَّان ما<sup>(٤)</sup> النيل  
 مع الرُّكاب فَمَشْرُوبٌ وَمَحْمُول  
 قَتَادَةٌ وله شكوى وتَغْوِيل  
 مَسَتْ أناميل فيها اليُمْن مَجْعُول  
 حَنِينٌ وَلَهَى لها للرُّوم مثكُول  
 يكن لِغَوْزَةٍ بالكُثْر تَقْلِيل  
 يَمْتَار منه فَمَبْدُول ومَأْكُول  
 يكفي تبَدُّن منه وهو مَهْزُول  
 حتى كَأَنَّ رداءً منه مسدول  
 تبكي وما ذَمُّعُها في الخَدِّ مَطْلُول  
 لها من الله أمداد وتَأْصِيل  
 يُخْصِي لها عددًا كَثَبٌ ولا قِيل  
 نَحْبًا وَأَعْجَم منها ذلك الجِيل  
 محفوظةٌ ما لها في الدَّهر تحوِيل

(١) الخَطِيُّ: الرمح نسبة إلى الخط، والخط: مرفأ السفن بالبحرين. لسان العرب (خطط).

(٢) في الأصل: «أصم الوشيح» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. والوشيح: شجر الرماح. لسان العرب (وشح).

(٣) في الأصل: «القرآن» وكذا ينكسر الوزن، لذا خففنا همزة المد.

(٤) في الأصل: «ماء» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) في الأصل: «فكانت» وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «لي» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٧) في الأصل: «لي دَرْء» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

تَكْفُلُ الله هذا الذِّكْر يحفظه  
هذي المفاخرُ لا يَحْطَى الملوك بها  
وهل يَضِيع الذي بالله مَكْفُول؟  
لِلْمُلْكِ<sup>(١)</sup> منقطع والوحي مَوْصُول  
ومن مطولاته في غرض يظهر منها: [الطويل]

هو العِلْم لا كالعلم شيء تُراوِدهُ  
وما فضل الإنسان إلا بعِلْمه  
وقد قَصُرَتْ أعمارُنا وعلومنا  
وفي كُلِّها خيرٌ ولكن أصلها  
به يُعرف القرآن والسُّنة التي  
وناهيك من علمٍ عليٍّ مُشيد  
لقد حاز في الدنيا فخارًا وسؤدَدًا  
هو استنبط العلم الذي جَلَّ قَدْرُهُ  
وساد عطا نجله وابن هرمرز  
وعنْبَسَةُ قد كان أبرعَ صاحبه  
وما زال هذا العلم تُنميه سادةُ  
إلى أن أتى الدهر العقيم بواحد  
إمامُ الورى ذاك الخليل بن أحمد  
وبالبصرة الغراء<sup>(٣)</sup> قد لاح فَجْرُهُ  
ذكي<sup>(٤)</sup> الورى ذَهْنًا وأصدق لهجة  
وما أن يُرَوِّي بل جميع علومه  
هو الواضعُ الثاني الذي فاق أولًا  
فقد كان ربَّانِيَّ أهل زمانه  
يُقَيِّمُ منه دهره في مَثُوبَة

لقد فاز باغيه وأنجح قاصدُه  
وما امتاز إلا ثاقِبُ الذَّهْن وإقْدُه  
يطول علينا حَضْرُها وتُكايِدُه  
هو النَّحو فاحْذَرْ من جَهُول يُعَانِدُه  
هما أَصْلُ دينِ الله ذو أنت عابده  
مبانيه أَعَزَّزَ بالذي هو شائده  
أبو الأسود الديلي<sup>(٢)</sup> فللجُرِّ سائده  
وطار به لِلْعُرْبِ ذكْرٌ نعاوده  
ويحيى ونصرٌ ثم ميمونٌ ماهده  
فقد قلَّدت جيدَ المعالي قلائدُه  
جهابذةُ تَبْلَى به وتعاضده  
من الأزد تُنميه إليه فرائده  
أقرَّ له بالسبق في العلم حاسدُه  
فنارت أدانيه وضاءت أباعدُه  
إذا ظنَّ أَمْرًا قلتُ ما هو شاهده  
بدائه<sup>(٥)</sup> أَعْيَتْ كُلَّ حَبْرٍ تُجالده  
ولا ثالثُ في الناس تصمى قواصده  
صَوِيْمٌ قَوِيْمٌ<sup>(٦)</sup> رايحُ الليل ساجده  
وثوقًا بأنَّ الله حقًّا مُواعده

(١) في الأصل: «الملك»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) هو أبو الأسود الدؤلي، واضع علم النحو.

(٣) في الأصل: «الغراء»، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «يا ذكي»، وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا حرف النداء «يا».

(٥) في الأصل: «بداية»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٦) في الأصل: «صَوْمٌ قَوْمٌ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

فَعَامَ إِلَى حَيٍّ وَعَامَ لَعَزْوَةٍ  
وَلَمْ يُثْنِ يَوْمًا عَنِ الْعِلْمِ وَالتَّقَى  
وَأَكْثَرَ سُكْنَاهُ بِقَفْرِ بَحِيثٍ لَا  
وَمَا قُوَّتُهُ إِلَّا شَعِيرٌ يُسَيِّغُهُ  
عَزُوبًا عَنِ الدُّنْيَا وَعَنْ زَهْرَاتِهَا  
وَلَمَّا رَأَى مِنْ سَيَبُوبِهِ نَجَابَةً  
تَخَيَّرَهُ إِذْ كَانَ وَارِثَ عِلْمِهِ  
وَعَلَّمَهُ شَيْئًا فَشَيْئًا عُلُومِهِ  
فَإِذْ ذَاكَ وَافَاهُ مِنَ اللَّهِ وَغَدُهُ  
أَتَى سَيَبُوبِهِ نَاشِرًا لِعُلُومِهِ  
وَأَبْدَى كِتَابًا كَانَ فَخْرًا وَجُودِهِ  
وَجَمَعَ فِيهِ مَا تَفَرَّقَ فِي الْوَرَى  
بِعَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ بْنِ قُنْبَرِ الرُّضَا  
عَلَيْكَ قِرَانٌ<sup>(٢)</sup> النُّحُو نَحْوُ ابْنِ قَنْبَرٍ  
كِتَابُ أَبِي بَشِيرٍ<sup>(٣)</sup> فَلَا تَكُ قَارِئًا  
هُمْ خُلُجٌ بِالْعِلْمِ مُدَّتْ فَعِنْدَمَا  
وَلَا تَعْدُ عَمَّا حَازَهُ إِنَّهُ الْقَرَا  
إِذَا كُنْتَ يَوْمًا مُحْكَمًا فِي كِتَابِهِ  
وَلَسْتَ تَبَالِي إِنْ فَكَّكَتْ رَمُوزَهُ  
هُوَ الْعَضْبُ إِنْ تَلَقَّى الْهِيَاجَ شَهْرَتُهُ  
تَلْقَاهُ كُلُّ بِالْقَبُولِ وَبِالرَّضَى  
وَلَمْ يَعْتَرِضْ فِيهِ سِوَى ابْنِ طَرَاوَةٍ  
وَجَسْرَةٍ طَغَنُ الْمُبَرَّدِ قَبْلَهُ

فَيَعْرِفُهُ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ وَوَافِدُهُ  
كَوَاعِبُ حُسْنِ تَثْنِي وَنَوَاهِدُهُ  
تَسَاغِيهِ إِلَّا عَفْرُهُ وَأَوَابِدُهُ  
بِمَاءٍ قَرَّاحٍ لَيْسَ تَغْشَى مَوَارِدَهُ  
وَشَوْقًا إِلَى الْمَوْلَى وَمَا هُوَ وَاعِدُهُ  
وَأَيَقِنُ أَنَّ الْحَيْنَ أَدْنَاهُ بِاعِدُهُ  
وَلَا طَفْهَ حَتَّى كَأَنَّ هُوَ وَالِدَهُ  
إِلَى أَنْ بَدَتْ سَيْمَاهُ وَاشْتَدَّ سَاعِدُهُ  
وَرَّاحٌ وَحِيدَ الْعَصْرِ إِذْ جَاءَ وَاحِدُهُ  
فَلَوْلَاهُ أَضْحَى النُّحُو<sup>(١)</sup> غُطْلًا شَوَاهِدُهُ  
لِقِحْطَانٍ إِذْ كَعَبَ بَنُ عَمْرٍو مُحَاتِدُهُ  
فَطَارِقُهُ يُغْزَى إِلَيْهِ وَتَالِدُهُ  
أَطَاعَتْ عَوَاصِيهِ وَتَابَتْ شَوَارِدُهُ  
فَأَيَّاتِهِ مَشْهُودَةٌ وَشَوَاهِدُهُ  
سِوَاهُ فَكُلُّ ذَاهِبِ الْحُسْنِ فَاقِدُهُ  
تَنَاءَتْ غَدَتْ تَزْهَى وَلَيْسَتْ تُشَاهِدُهُ  
وَفِي جَوْفِهِ كُلُّ الَّذِي أَنْتَ صَائِدُهُ<sup>(٤)</sup>  
فَلِإِنَّكَ فِينَا نَابَهُ الْقَدْرُ مَا جِدُهُ  
أَعَضُّكَ دَهْرٌ أَمْ عَرَّتْكَ ثَرَائِدُهُ  
وَإِنْ لَا تُصِيبُ حَرْبًا فَلِإِنَّكَ غَامِدُهُ  
فَذُو الْفَهْمِ مَنْ تَبْدُو إِلَيْهِ مَقَاصِدُهُ  
وَكَانَ طَرِيًّا لَمْ تَقَادِمْ مَعَاهِدُهُ  
وَإِنَّ الثَّمَالِيَّ بَارِدُ الدَّهْنِ خَامِدُهُ

(١) في الأصل: «للنحو غُطْلًا»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «قرآن»، وكذا ينكسر الوزن، لذا خففنا همزة المد.

(٣) أبو بَشِير: هو نفسه سيبويه.

(٤) يشير هنا إلى المثل: «كل الصيد في جوف القرا» يُضْرَبُ لِمَنْ يُفْضَلُ عَلَى أَقْرَانِهِ. والفراء: أصلها: الفراء وهو الحمار الوحشي. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ١٣٦).



هُمَا مَا هُما صارَا مدى الدهر ضِحْكَةً  
تكون صحيحَ العقل حتى إذا ترى  
يقول امرؤ قد خامر الكِبَرُ رأسه  
ولم يشتغل إلا بَنَزْرِ مسائلٍ  
وقد نال بين الناس جاهًا ورُتْبَةً  
وما ذاق للآداب طَعْمًا ولم يَبِثْ  
فينكحُ أبكار المعاني وَيَبْتَغِي  
رأى سيبويه فيه بعض نكادة  
فقلت: أما أتى<sup>(٢)</sup> ما أنت أهل لفهمه  
لَعَمْرُكَ ما ذو لحية وتَسَمَّتْ  
فيمشي على الأرض الهوينا كأنما  
وليهامك الجُهَّال أنك عالمٌ  
بأجلَبَ للنحو الذي أنت هاجرٌ  
أصاح، تَجَنَّبَ من غَوِيٍّ مُخْذَلٍ  
لك الخَيْرُ فاذأب ساهرًا في علومه  
ولا تَزُجْ في الدنيا ثوابًا فإنما  
ذوو النحو في الدنيا قليلٌ حظوظهم  
لهم أَسْوَةٌ فيها على لاغِدٍ<sup>(٣)</sup> مضى  
مضى بعده عنها الخليلُ فلم يَنْلِ  
ولاقي أبا بِشْرٍ خليلٌ<sup>(٤)</sup> سفيها  
أتى نحو هارون<sup>(٥)</sup> يناظر شيخه  
فأطرق شيئًا ثم أبدى جوابه  
وكاد علي غَمْرًا إذا صار حاكمًا  
سقاء بكأس لم يُفِقْ من خمارها

يُزَيِّف ما قالَا وتبدو مفاصدُه  
تُبَارِي أبا بشرٍ، إذا أنت فاسدُه  
وقد ظنَّ أَنَّ النحو سهلٌ مقاصدُه  
من الفقه في<sup>(١)</sup> أوراقه هو راصدُه  
وألهاك عن نيل المعالي ولايُدُه  
يُعَنِّي بمنظومٍ ونثرٍ يجاودُه  
لها الكَفُو من لفظ بها هو عاقدُه  
وعُجْمَةٌ لفظ لا تحلَّ معاقدُه  
وما أنت إلا غائضُ الفكر راكدُه  
وإطراق رأس والجهات تساعده  
إلى الملا الأعلى تناهت مراصدُه  
وأنتك فردٌ في الوجود وزاهدُه  
من الدرس بالليل الذي أنت هاجدُه  
وخُذْ في طريق النحو أنك راشدُه  
فلم تُشِمِ إلا ساهرَ الطَرْفِ ساهدُه  
لدى الله حقًا أنت لا شك واجدُه  
وذو الجهل فيها وافرُ الحظ زائدُه  
ولم يَلْقَ في الدنيا صديقًا يساعده  
كفأًا ولم يَعدِمَ حسودًا يناكده  
غداة تمالث في ضلال يُمادده  
فَنَفَحَتْه<sup>(٦)</sup> حتَّى تبدت مناكده  
بحق ولكن أنكر الحق جاحدُه  
وقدما علي كان عمرو يكايده  
وأورده الأمر الذي هو وارده

(١) في الأصل: «وفي» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «لغدي» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٣) كلمة «خليل» ساقطة في الأصل. وأبو بشر: هو سيبويه. و خليل: هو الخليل بن أحمد الفراهيدي.

(٤) هو اليهودي النحوي هارون بن موسى.

(٥) في الأصل: «نفحة»، وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «نفحة»، وكذا ينكسر الوزن.

ولابن زياد شركة في مراده  
 هما جرعا إلى علي وقنبر  
 أبكي على عمرو ولا عمر مثله  
 قضى نخبه شزخ الشبيبة لم يرغ  
 لقد كان للناس اعتناء بعلمه  
 والآن فلا شخص على الأرض قارىء  
 سوى معشر بالغزب فيهم تلقى  
 وما زال مئا أهل أندلس له  
 وإنني في مضر على ضعف ناصري  
 أثار أثير الغزب للنحو كامنا  
 وأخيا أبو حيآن مئت علومه  
 إذا مغربي خط بالثغر رخله  
 منينا بقوم صُدروا في مجالس  
 لقد أخر التصدير عن مستحقه  
 وسوف يلاقي من سعى في جلوسهم  
 علا عقله فيهم هواه فما درى  
 أقمنا بمصر نحو<sup>(٣)</sup> عشرين حجة  
 فلما نزل منهم مدى الدهر طائلا  
 لنا سلوة فيمن سرذنا حديثهم  
 أخي إن تصل يوما وبلغت سالما  
 وقبل ترى أرض بها حل ملكنا  
 مبيد العدا قتلا وقد عم<sup>(٤)</sup> شرهم  
 أفاض على الإسلام جودا ونجدة

ولابن رُسَيْد شَرَكُ<sup>(١)</sup> القلب رائده  
 أفأويق سَم لم تُنَجِّد أساوده  
 إذا مُشْكَلُ أَعْيَا وَأَعْوَزَ ناقده  
 بِشَيْبٍ وَلَمْ تَغْلُقْ بِذَا مِعَاقده  
 بِشَرْقٍ وَعَزَبٍ تُسْتَنَارُ فَوَائده  
 كِتَابُ أَبِي بَشِيرٍ وَلَا هُوَ رَائده  
 إِلَيْهِ وَشَوْقٌ لَيْسَ يَخْبُو مَوَاقِده  
 جِهَابُذُ ثُبْدِي فَضْلُهُ وَتُنَاجِده  
 لِنَاصِرِهِ مَا ذُمْتُ حَيًّا وَعَاضِده  
 وَعَالِجُهُ حَتَّى تَبْدَتْ قَوَاعِده  
 فَأَصْبَحَ عِلْمُ النُّحُو يَنْفَقُ كَاسِده  
 تَيَقَّنُ أَنَّ النُّحُو أَخْفَاهُ لَاحِده  
 لِإِقْرَاءِ عِلْمٍ ضَلَّ عَنْهُمْ مَرَاشِده  
 وَقَدَّمَ عَمْرٌ خَامِدُ الذَّهْنِ جَامِده  
 جَزَاءُ<sup>(٢)</sup> وَعُقْبَى أَكْنُتْ عَقَائِده  
 بَأَنَّ هَوَى الْإِنْسَانِ لِلنَّارِ قَائِده  
 يُشَاهِدُنَا ذُو أَمْرِهِمْ وَنُشَاهِده  
 وَلَمَّا نَجَذَ فِيهِمْ صَدِيقًا نُوَادِده  
 وَقَدْ يُتَسَلَّى بِالذِّي قَالَ سَارِده  
 لَغْرَنَاطَةِ فَاَنْفَذَ لَمَّا أَنَا عَاهِده  
 وَسُلْطَانِنَا الشُّهُمُ الْجَمِيلُ عَوَائِده  
 وَمُحْيِي النَّدَى قُضْلًا وَقَدْ رَمَّ هَامِده  
 فَعَزَّ مَوَالِيهِ وَذُلَّ مُعَانِده

(١) في الأصل: «بشرك للقلب»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) كلمة «جزاء» ساقطة في الأصل، فأضفناها مع حرف العطف في كلمة «عُقْبَى»، ليستقيم الوزن والمعنى معًا.

(٣) كلمة «نحو» ساقطة في الأصل.

(٤) في الأصل: «عمر»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

وَعَمَّ بِهَا إِخْوَانُنَا بِتَحِيَّةٍ      وَخَصَّ بِهَا الْأَسْتَاذَ لَا عَاشَ كَائِدَهُ  
جَزَى اللَّهُ عَنَّا شَيْخَنَا وَإِمَامَنَا      وَأُسْتَاذَنَا<sup>(١)</sup> الْخَبَرَ الَّذِي عَمَّ فَائِدَهُ  
لَقَدْ أَطْلَعَتْ جِيَّانٌ أَوْحَدَ عَصْرِهِ      فَلِلْغَرْبِ فَخْرٌ أَعْجَزَ الشَّرْقَ خَالِدَهُ  
مُورَخَةٌ نَحْوِيَّةٌ وَإِمَامَةٌ      مُحَدَّثَةٌ جَلَتْ وَصَحَّتْ مَسَانِدُهُ  
جَاءَ عَظِيمٌ مِنْ ثَقِيفٍ وَإِنَّمَا      بِهِ اسْتَوْثَقْتُ مِنْهُ الْعُرَى وَمُسَاعِدَهُ  
وَمَا أَتَسَّ لَا أَنْسَى سُهَادِي بِبَابِهِ      بِسَبْقٍ وَغَيْرِي نَائِمَ اللَّيْلِ رَاقِدَهُ  
فِيَجْلُو بِنُورِ الْعِلْمِ ظُلْمَةُ جَهْلُنَا      وَيَفْتَحُ عِلْمًا مُغْلَقَاتِ رِصَائِدِهِ  
وَإِنِّي وَإِنْ شَطُتْ بِنَا غُرْبَةُ الثَّوَى      لَشَاكِرٌ لَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحَامِدَهُ  
بِغَرْنَاطَةٍ رُوحِي وَفِي مِضْرٍ جُثَّتِي      تُرَى هَلْ يُثْنِي الْفَرْدُ مِنْهُ هَوَّارِدَهُ؟  
أَبَا جَعْفَرٍ، خُذْهَا قَوَافِي مِنْ فَتَى      تَتَّبِعُهُ عَلَى غُرِّ الْقَوَافِي قِصَائِدَهُ  
يَسِيرُ بِلَا إِذْنٍ إِلَى الْأُذُنِ حُسْنُهَا      فَيَرْتَاحُ سَمَاعُهَا وَمُنَاشِدَهُ  
غَرِيبَةٌ شَكْلٍ كَمْ حَوَتْ مِنْ غَرَائِبِ      مَجِيدَةٌ أَصْلُهَا أُنْتَجَتْهَا أُمَاجِدُهُ  
فَلَوْلَاكَ يَا مُوَلَايَ مَا فَاهَ مِقُولِي      بِمِصْرٍ وَلَا حَبْرُتُ مَا أَنَا قَاصِدُهُ  
لَهَذَا بَنَنْتَنِي حَتَّى أَحْكُكَ مُفَوَّقًا      مِنْ النِّظْمِ لَا يَنْبَلِي مَدَى الدَّهْرِ أَبَدُهُ  
وَأَذْكَيْتَ فِكْرِي بَعْدَ مَا كَانَ خَامِدًا      وَقُيِّدَ شَعْرِي بَعْدَ مَا نَدَّدَ شَارِدُهُ  
جَعَلْتُ خَتَمًا فِيهِ ذِكْرُكَ إِنَّهُ      هُوَ الْمَسْكُ بَلْ أَعْلَى وَإِنْ عَزَّ نَاشِدُهُ

ومما دُونَ من<sup>(٢)</sup> المطولات قوله رحمه الله<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

تَفَرَّدْتُ لَمَّا أَنْ جُمِعْتُ بِذَاتِي<sup>(٤)</sup>      وَأُسْكِنْتُ لَمَّا أَنْ بَدَتْ حَرَكَاتِي<sup>(٥)</sup>  
فَلَمْ أَرْ فِي الْأَكْوَانِ غَيْرًا<sup>(٦)</sup> لَأَنِّي      أَرَحْتُ عَنْ الْأَغْيَارِ رُوحَ حَيَاتِي<sup>(٧)</sup>  
وَقَدْ سُنْتُهَا عَنْ رَتْبَةٍ لَوْ تَعَيَّنْتُ      لَهَا دَائِمًا دَامَتْ لَهَا حَسْرَاتِي<sup>(٨)</sup>  
فَهَا أَنَا قَدْ أَصْعَدْتُهَا عَنْ حَضِيضِهَا      إِلَى رُتْبَةٍ تَقْضِي لَهَا بِشَبَاتِ

(١) يشير هنا إلى أستاذه أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، المتوفى سنة ٧٠٨هـ، وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

(٢) كلمة «من» ساقطة في الأصل.

(٣) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٨٢ - ٨٣).

(٤) في الأصل: «بذات» والتصويب من الكتيبة.

(٥) في الأصل: «حركات» والتصويب من الكتيبة.

(٦) في الكتيبة: «غيري».

(٧) في الأصل: «حيات» والتصويب من الكتيبة.

(٨) في الأصل: «حسرات» والتصويب من الكتيبة.

تشاهدُ مغنى روضةٍ أذهب العنا  
أقامتُ زمانًا في حجابٍ فعندما  
لنقضي بها ما فات من طيب أنسنا  
ومن النسيب قوله<sup>(٢)</sup>: [الكامل]

كتم اللسانُ ومدمعي قد باحا  
إني لَصَبٌ<sup>(٤)</sup> طي ما نشر الهوى  
ومهجتي من لا أصرح باسمه  
ريسمُ أروم حنوه وجنوحه  
أبدى لنا من شغره وجبينه  
عجبا له يأسو الجسم ببطه  
فبلفظه<sup>(٧)</sup> بُزء الأخيذ ولحظه  
ناديته<sup>(٨)</sup> في ليلة لا ثالث  
يا حُسْنُها من ليلة لو أنها  
وَقَالَ<sup>(١١)</sup>: [الكامل]

نورٌ بخذك أم توقد نار؟  
وشذاً بريقك أم تأرج مسكة؟  
جُمِعَتْ معاني الحُسن فيك فقد عَدَتْ<sup>(١٤)</sup>  
وَضَنَى بجفنيك أم فُتُورٌ<sup>(١٢)</sup> عُقَار؟  
وَسَنَى بشغرك أم شعاعٌ دَراري<sup>(١٣)</sup>؟  
قَيَدَ القلوبِ وفتنة الأبصارِ

(١) في الكتيبة: «سلائي».

(٣) في الأصل: «وأسى» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٤) في الأصل: «أحب» وهكذا ينكسر الوزن. والتصويب من الكتيبة.

(٥) في الكتيبة: «فضاحا».

(٦) في الكتيبة: «خدين ... وذا إصباحا».

(٧) في الأصل: «فبلفظه» بالقاف، والتصويب من الكتيبة.

(٨) في الكتيبة: «ناديته».

(٩) في الأصل: «عارف لاحا»، والتصويب من الكتيبة.

(١٠) في الأصل: «التوصال» والتصويب من الكتيبة.

(١١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٨٣ - ٨٤) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٦).

(١٢) في الكتيبة الكامنة: «كووس».

(١٣) في الأصل: «درار»، وقد صوبناه؛ لأن أصل القول هو: «دراري» وهي الكواكب العظام التي لا تعرف أسماؤها.

(١٤) في الكتيبة: «... فيك فأصبحت».

مُتصَاوِنٌ خَفِرٌ<sup>(١)</sup> إِذَا نَاطَقْتَهُ  
 فِي وَجْهِهِ زَهْرًا لَفْظٌ<sup>(٢)</sup> تُجْتَلَى  
 خَافَ اقْتِطَافَ الْوَزْدِ مِنْ جَنْبَاتِهَا<sup>(٣)</sup>  
 وَتَسَلَّلَتْ نَمْلُ الْعِذَارِ بِخَدِّهِ  
 وَبِخَدِّهِ وَرَدٌ<sup>(٤)</sup> حَمَثُهَا وَرَدَهَا  
 كَمْ ذَا أُوَارِي<sup>(٥)</sup> فِي هَوَاهِ مَحَبَّتِي  
 أَغْضَى حَيَاءٌ<sup>(٦)</sup> فِي سَكُونٍ وَقَارٍ  
 مِنْ نَرْجِسٍ مَعَ وَرْدَةٍ وَبَهَارٍ  
 فَأَدَارَ مِنْ أَسْرِ<sup>(٧)</sup> سِيَاجِ عِذَارٍ  
 لِيَرِدْنَ شَهْدَةَ رِيقِهِ الْمِغْطَارِ  
 فَوَقَفْنَ بَيْنَ الْوَزْدِ وَالْإِضْدَارِ  
 وَلَقَدْ وَشَى بِي فِيهِ فَرْطُ أُوَارِي<sup>(٨)</sup>

ومن نظمه من المقطوعات في شتى الأغراض قوله رحمه الله<sup>(٩)</sup>: [البسيط]

أَزَحْتُ نَفْسِي مِنَ الْإِنْسَانِ بِالْإِنْسَانِ  
 وَصَرْتُ فِي الْبَيْتِ وَحْدِي لَا أَرَى أَحَدًا  
 لَمَّا غَنَيْتُ عَنْ الْأَكْيَاسِ بِالْيَاسِ<sup>(١٠)</sup>  
 بَنَاتُ فِكْرِي وَكُتُبِي هُنَّ جُلَاسِي

وقال<sup>(١١)</sup>: [الطويل]

وَزَهَّدَنِي فِي جَمْعِي الْمَالِ أَنَّهُ  
 فَلَا رُوحَهُ يَوْمًا أَرَاخَ مِنَ الْعَنَا  
 إِذَا مَا انْتَهَى عِنْدَ الْفَتَى فَارَقَ الْعُمَرَا  
 وَلَمْ يَكْتَسِبْ حَمْدًا وَلَمْ يَدْخَرْ أَجْرًا

وقال: [الطويل]

سَعَتْ حَيَّةٌ مِنْ شَعْرِهِ نَحْوَ صَدْغِهِ  
 وَأَعْجَبَ مِنْ ذَا أَنَّ سِلْسَالَ رِيقِهِ  
 وَمَا انْفَصَلَتْ مِنْ خَدِّهِ إِنَّ ذَا عَجَبَ  
 بِرُودٍ وَلَكِنْ شَبَّ فِي قَلْبِي اللَّهَبُ

وقال<sup>(١٢)</sup>: [السريع]

رَاضٍ<sup>(١٣)</sup> حَبِيبِي عَارِضٌ قَدْ بَدَا  
 وَظَنُّ<sup>(١٤)</sup> قَوْمٌ أَنَّ قَلْبِي سَلَا  
 يَا حُسْنَهُ مِنْ عَارِضٍ رَائِضٍ  
 وَالْأَضْلُ لَا يُغْتَدُّ بِالْعَارِضِ

(١) في النسخ: «خفرا».

(٢) في الأصل: «حيا» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٣) في المصدرين: «روض».

(٤) في المصدرين: «وجناته».

(٥) في المصدرين: «أس».

(٦) في النسخ: «وبخده ناز حمته...».

(٧) في النسخ: «أداري».

(٨) في الأصل: «أوار» بدو، والتصويب من المصدرين.

(٩) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٨٤).

(١٠) في الكتيبة الكامنة: «أرحت نفسي... كما غيت...».

(١١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٨٤).

(١٢) البيتان في فوات الوفيات (ج ٤ ص ٧٣) وبغية الوعاة (ص ١٢٢).

(١٣) في البغية: «رائض حبي».

(١٤) في البغية: «فظن».

وقال<sup>(١)</sup>: [الخفيف]

سال في الخدُّ للحبيب عذارٌ      وهو لا شكَّ سائلٌ مَرْحُومٌ  
وسألتُ التَّشامَه فتجئى      فأنا اليوم سائلٌ محرومٌ

وقال: [الطويل]

جُنْتُ بها سوداءَ لونٍ وناظِرٍ      ويا طالما كان الجنونُ بسوداءِ  
وَجَدْتُ بها بَرْدَ النعيمِ وإنَّ      فؤادي منها في جحيمٍ ولأواءِ

وقال في فتي يُسمى مظلوم<sup>(١)</sup>: [الطويل]

وما كنت أدري أنَّ مالكَ مُهجتي      يسمَّى<sup>(٢)</sup> بمظلومٍ وظلَمَ جفاؤهُ  
إلى أن دعاني للصَّبَا<sup>(٣)</sup> فأجبتُهُ      ومَنْ يَكُ مظلوماً أُجيب دعاؤهُ

وقال<sup>(١)</sup>: [الخفيف]

جُنُّ غيري بعارضٍ فترجى      أهله أن يُفِيَقَ عَمَّا قريب  
وفؤادي بعارضينِ مُصابٌ      فهو داءٌ أَعْيَا دواءَ<sup>(٤)</sup> الطبيبِ

وقال<sup>(١)</sup>: [الطويل]

شكا الخَصْرُ منه ما يلاقي برِذفه      وَأَضَعَفَ<sup>(٥)</sup> غُضْنَ البانِ جرُّ كَثِيبِ  
إذا كان منه البعضُ يظلمُ بعضه      فما حالُ مُشْتَطَّ<sup>(٦)</sup> المزارِ<sup>(٧)</sup> غريبِ

وقال<sup>(٨)</sup>: [الطويل]

وذي شَفَةِ لَمِيا زِيْنَتْ بِشامة<sup>(٩)</sup>      من المسك في رشافها<sup>(١٠)</sup> يذهب الثُّسْكُ  
ظمئتُ إليها ريقَةً كوثريةً      بمثلٍ لآلي<sup>(١١)</sup> تُغْرِها يُنْظَمُ السِّلْكُ

(١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٨٥).

(٢) في الأصل: «يتسمى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٣) في الكتيبة: «للهورى». (٤) في الكتيبة: «فؤاد».

(٥) في الكتيبة: «ويضعف».

(٦) في الأصل: «شط» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٧) في الكتيبة: «الديار». (٨) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٨٥ - ٨٦).

(٩) في الأصل: «وذو شفة لميا زِيْنَتْ...» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(١٠) في الكتيبة: «ترشافها».

(١١) في الأصل: «لقالي» ولا معنى لذلك، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

تَعَلَّ بِمَعْسُولٍ كَأَنَّ رُضَابَهُ      مُدَامَ مِنَ الْفَرْدُوسِ<sup>(١)</sup> خَاتَمُهُ مِسْكُ  
وقال: [الطويل]

أَجَلٌ شَفِيعٌ لَيْسَ يُمْكِنُ رَدُّهُ      دِرَاهِمُ بَيْضٍ لِلْجُرُوحِ مَرَاهِمُ  
تُصَيِّرُ صَعْبَ الْأَمْرِ أَسْهَلَ مَا تَرَى      وَيَقْضِي لِبَانَاتِ الْفَتَى<sup>(٢)</sup> وَهُوَ نَائِمُ  
وقال<sup>(٣)</sup>: [مخلع البسيط]

نُعِيدُ وَدَّ قَرِيبٍ ضَلَّ<sup>(٤)</sup>      كَبِيرَ عَثْبٍ، قَلِيلَ عُثْبِي<sup>(٥)</sup>  
كَالْشَّمْسِ ظَرْفًا، كَالْمَسْكَ عَرْفًا      كَالْخَشْفِ طَرْفًا، كَالصُّخْرِ قَلْبًا  
وقال<sup>(٦)</sup>: [الطويل]

عُدَاتِي<sup>(٧)</sup> لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ      فَلَا أَذْهَبُ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا  
هُمْ بَحْثُوا عَنْ زَلَّتِي فَاجْتَنِبْتُهَا<sup>(٨)</sup>      وَهُمْ نَاقَسُونِي فَاکْتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا  
مولده: ولد بغرناطة عام اثنين وخمسين وستمائة<sup>(٩)</sup>.

وفاته: أخبرني الحاج الخطيب الفاضل أبو جعفر الشَّقُورِي، رحمه الله، قال:  
توفي عام خمسة وأربعين وسبعمائة بمصر، ودفن بالقرافة. وكانت جنازته حافلة.

### ومن الطارئین علیها فی هذا الحرف

محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللّخمي اليكّي  
من أهل بَلَش<sup>(١٠)</sup>، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الكمّاد.

(١) في الأصل: «الفرد وسرّ» وهذا لا معنى له، وينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٢) في الأصل: «لبانات للفتى» وهكذا ينكسر الوزن.

(٣) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٨٦).

(٤) في الكتيبة الكامنة:

بعيدٌ ودّ، قريبٌ صدّ      كثيرٌ عَثْب.....

وهكذا ينكسر الوزن.

(٥) العُثْبِي: الرُّضَا.

(٦) البيتان في بغية الوعاة (ص ١٢٢) والكتيبة الكامنة (ص ٨٥) وفوات الوفيات (ج ٤ ص ٧٤).

(٧) في البغية: «عداي». (٨) في الكتيبة الكامنة: «فستزتها».

(٩) في بغية الوعاة (ص ١٢١): «ولد بمطخشارش مدينة من حضرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة». وفي فوات الوفيات (ج ٤ ص ٧٢): «مولده بغرناطة في شهور سنة أربع وخمسين وستمائة».

(١٠) هي بَلَش مالقة، Velez Malaga، كما سيأتي بعد قليل. وقد ذكرها ياقوت مكتفياً بالقول: =

حاله: من «عائد الصلة»: كان من جلة صدور الفقهاء الفضلاء، زهدًا وقناعةً وانقباضًا، إلى دماء الخلق، ولين الجانب، وحسن اللقاء، والسداجة المموهة بالغفلة، والعمل على التقشف والعزلة، قديم السماع والرحلة، إمامًا مشهورًا في القراءات، يُرحل إليه، ويُعوّل عليه، إتقانًا ومعرفة منها بالأصول، كثير المحافظة والضبط، محدثًا ثبثًا، بليغ التحرز، شديد الثقة، فقيهاً مُتصرفًا في المسائل، أعرّف الناس بعقد الشروط، ذا حظّ من العربية واللغة والأدب. رحل إلى العذوة، وتجوّل في بلاد الأندلس، فأخذ عن كثير من الأعلام، وروى وقيد وصنّف وأفاد، وتصدّر للإقراء بغرناطة وبلّش وغيرهما، وتخرّج بين يديه جملة وافرة من العلماء والطلبة، وانتفعوا به.

مُشِيخته: قرأ ببلده مُرسية على الأستاذ أبي الحسن علي بن محمد بن لب بن أحمد بن أبي بكر الرقّوطي، والمُقرىء أبي الحسن بن خلف الرّشاطي، والمحدث الجليل أبي عمرو محمد بن علي بن عيشون اللخمي، وعلى الشيخ الفقيه الكاتب أبي محمد بن عبد الله بن داود بن خطّاب الغافقي المُرسّي. وممن أجازَه الفقيه أبو عثمان سعيد بن عمرو البطرني، والقاضي أبو علي بن أبي الأحوص، لقيه ببلّش مالقة وبسطة، فروى عنه الكثير، والأستاذ أبو القاسم بن الأصهر الحارثي، لقيه بالمرية. ولقي بغرناطة الأستاذ أبا جعفر الطّباع، والوزير الراوية أبا القاسم محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن جُزَيّ الكلبي، روى عنه وأجازَه. وكتب له بالإجازة جماعة كبيرة من أهل المشرق والمغرب، حسبما تضمنه برنامجه.

توالياه: اختصر كتاب «المُفنع» في القراءات اختصارًا بديعًا، وسماه كتاب «المتع في تهذيب المُفنع» وغير ذلك.

شعره: من ذلك وقد وقف على أبيات أبي القاسم بن الصّقر في فضل الحديث: [الطويل]

لقد حاز أصحاب الحديث وأهله	شأوا وثيرا <sup>(١)</sup> ومَجْدًا مَحْلَدًا
وصَحَّحَ لهم بين الأنام مزيّة	أبانت لهم عزًا ومجدًا وسوددا
بدعوة خير الخلق أفضل مُرْسَلٍ	محمد المبعوث بالثور والهُدى
فهم دُونُوا عِلْمَ الحديث وأتقنوا	ونصّوا بتبيين صحيحًا ومُسندًا

= «بلّش»: بالفتح وتشديد اللام والسين معجمة: بلد بالأندلس، ينسب إليه يوسف بن جبارة البَلّشي... معجم البلدان (ج ١ ص ٤٨٤).

(١) في الأصل: «وتوتيرًا»، وكذا لا يستقيم المعنى.



وجاءوا بأخبار الرسول وصخبه  
 وهم نقلوا الآثار والسُنن التي  
 وما قصروا فيها بفقه ولا ونوا  
 وهم أوضحوا من بعدهم باجتهادهم  
 جزاهم إله العرش عنا بنصحهم  
 ونسأله<sup>(٢)</sup> سبحانه نهج هديهم  
 على وجهها لفظاً ورسماً مقيدا  
 مَنْ أَضْبَحَ<sup>(١)</sup> ذَا أَخَذَ بِهَا فَقَدْ اهْتَدَى  
 بل التزموا حِذًّا وحزماً مُؤَكِّداً  
 وتَبَيَّنَ سُبُلَ الهدى لِمَنْ افْتَدَى  
 بأخْسَنَ ما جازى نصيحاً ومرشداً  
 وسَغَيًّا إلى التَّقْوَى سبيلاً ومَقْصِداً

ومن شعره، رحمه الله، قوله: [السريع]

عليك بالصُّبر وكُن راضياً  
 بما قضاه الله تَلْقَى النجاة  
 واسلُك طريقَ المَجْدِ والهَجْ به  
 فهو الذي يرضاه أهلُ الصلاح  
 وقد أَلَّفَ شيخنا أبو البركات بن الحاج، جزءاً سماه «شعر من لا شعر له»، فيه  
 من شعر هذا الرجل الفاضل ومثله كثير.

مولده: قبل الأربعين وستمائة. وتوفي ثاني شهر الله المحرم عام اثني عشر  
 وسبعمائة.

انتهى ما اختصر من السفر السابع من كتاب «الإحاطة في تاريخ غرناطة»  
 يتلوه في السفر الثامن بعده إن شاء الله

ومن السفر الثامن من ترجمة المقرئين والعلماء رحمهم الله

\*\*\*

## ومن السفر الثامن من ترجمة المقرئين والعلماء

محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني

من أهل مالقة، يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن حفيد الأمين.

حاله: كان من أهل العلم والفضل والدين المتين، والدُّؤوب على تدريس كتب  
 الفقه. استظهر كتاب «الجواهر» لابن شاس، واضطلع بها، فكان مجلسه من مجالس  
 الحُفَظ، حُفَظ المَذْهَب، وانتفع به الناس، وكان معظماً فيهم، متبركاً به، على سُنن  
 الصالحين من الزُّهد والانقباض وعدم المبالاة بالملبس والمطعم. وقال صاحبنا الفقيه

(١) في الأصل: «أصبح»، وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا همزة القطع همزة وصل.

(٢) في الأصل: «ونسأله»، وكذا ينكسر الوزن.

أبو الحسن الثباهي في تذييله لتاريخ مالقة: كان رجلاً ساذجاً، مُخْشَوْشَةً، سُنيّ المنازع، شديد الإنكار على أهل البدع. جلس للتخليق العام بالمسجد الجامع، وأقرأ به الفقه والعربية والفرائض.

مشيخته: قال: منهم أبو علي بن أبي الأحوص، وأبو جعفر بن الزبير، وأبو محمد بن أبي السّداد، والقاضي أبو القاسم ابن السّكوت. قال: وأنشد للزاهد أبي إسحق بن قشوم، قوله: [الطويل]

يروقك يوم العيد حُسْنُ ملابس  
ونغمة أجسام ولبين قدود  
أجل لحظات الفكر منك فلا ترى  
سوى خرق ثبلى وطغمة دود  
وأشد لأبي عمرو الزاهد: [السريع]

تختبر الدنير في مَنَديق  
والدّهرم الزايف إذ يُبْهَمُ  
والمرء إن رُمّت اختباراً له  
مَنَديقه الدنير والدّهرم  
مَنْ عَفَّ عن هذا وهذا معاً  
فهو الثّقي الورع المُسلم

توالياً: له تقييد حسن في الفرائض، وجزء في تفضيل الثّين على الثمر، وكلام على نوازل الفقه.

وفاته: وتوفي في الكائنة العظمى بطريف<sup>(١)</sup>.

### محمد بن أحمد بن علي بن قاسم المذحجي

من أهل ملتاس<sup>(٢)</sup>، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، من سُراة بلده وأعيانهم، أستاذًا مُتَفَنًّا مُقَرَّبًا لكتاب الله، كاتبًا بليغًا، شديد العناية بالكتب، كثير المغالاة في قيمها وأثمانها، حتى صار له من أغلاقها وذخائرها ما عجز عن تحصيله كثير من أهل بلده. كتب بخطه، وقيد كثيرًا من كتب العلم. وكان مُقَرَّبًا مجودًا، عارفًا بالقراءات، بصيرًا بالعربية، ثقةً ضابطًا، مبرزًا في العدالة، حريصًا على العلم استفادة ثم إفادة، لا يأنف من حمله عن أقرانه، وانتفع به أهل بلده، والغرباء أكثر.

(١) موقعة طريف: هي الموقعة الشهيرة التي كانت بين الإسبان وبني مرين، وكان مع بني مرين قوات الأندلس بقيادة السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، سنة ٧٤١ هـ، وكانت الهزيمة فيها للمسلمين. اللوحة البدرية (ص ١٠٥ - ١٠٦).

(٢) نرجح أنها منتاس Montemas، من قرى بَلَش، كما سيأتي بعد قليل.

مشيخته: أخذ عن طائفة من أهل العلم، منهم الشَّيْخَانِ الرَّخْلَتَانِ؛ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْكَمَادِ، وَأَبُو جَعْفَرِ بْنِ الزِّيَاتِ، عَظِيمَا بَلَدِهِ، وَالْخَطِيبُ وَلِيُّ اللَّهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطَّنْجَالِي، وَالْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكْرٍ. وَرَوَى عَنِ الشَّيْخِ الْوَزِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعٍ، وَابْنِهِ الرَّأْوِيَةِ أَبِي عَامِرٍ، وَالْخَطِيبِ الصَّالِحِ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي الْعَاصِي. وَرَوَى عَنِ الشَّيْخِ الرَّأْوِيَةِ الرَّحَّالِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ الْوَادِي أَشْيَ وَغَيْرِهِمْ، وَدَخَلَ غَرْنَاطَةَ.

مولده: ولد ببُلُش عام ثمانية وثمانين وستمائة.

وفاته: توفي ببُلُش عاشر شهر شعبان من عام أربعة وثلاثين وسبعمائة.

### محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني

من أهل مالقة، يكنى أبا الحكم، ويعرف بابن حفيد الأمين.

حاله: من «العائد»: كان هذا الشيخ من أهل العلم والدين المتين، والجري على سُنَنِ الْفُقَهَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ، عَقَدَ الشُّرُوطَ بِمَالِقَةَ مَدَّةَ طَوِيلَةٍ فِي الْعُدُولِ الْمُبْرَزِينَ، وَجَلَسَ لِلتَّحْلِيقِ فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ مِنْ مَالِقَةَ، بَعْدَ فَقْدِ أَخِيهِ أَبِي الْقَاسِمِ، وَخَطَبَ بِمَسْجِدِ مَالِقَةَ الْأَعْظَمِ. ثُمَّ أُخِّرَ عَنِ الْخُطْبَةِ لِمَشَاخَنَةِ وَقَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَعْضِ الْوَلَاةِ، أَثْمَرَتْ فِي إِخْتِيهِ. وَلَمْ يَزَلْ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَاهِدِ فِي الْعِبَادَةِ، وَالتَّقْيِيدِ لِلْعِلْمِ، وَالِاشْتِغَالِ بِهِ، وَالْعَنَاءِ بِأَهْلِهِ، إِلَى أَنْ تَوَفَّى عَلَى خَيْرِ عَمَلٍ.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد الباهلي، وروى عن جلَّة من الشيوخ مثل صهره الخطيب الولي أبي عبد الله الطَّنْجَالِي<sup>(١)</sup>، وشاركه في أكثر شيوخه، والأديب الحاج الصالح أبي القاسم القُبْتُورِي<sup>(٢)</sup> وغيرهم.

مولده: ولد بمالقة عام ثلاثة وسبعين وستمائة.

وفاته: توفي بمالقة يوم الأربعاء الثامن عشر لذي حجة من عام تسعة وأربعين وسبعمائة. ودخل غَرْنَاطَةَ غَيْرَ مَا مَرَّةٍ مَعَ الْوُفُودِ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ وَفِي أَغْرَاضِهِ الْخَاصَةِ.

(١) هو القاضي محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي، وترجمته في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٣) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٣٦٤).

(٢) نسبة إلى قبْطُور، وهي قرية من قرى إشبيلية. الروض المعطار (ص ٤٥٤).

## محمد بن أحمد الرقوتي<sup>(١)</sup> المزني

يكنى أبا بكر.

حاله: كان طرّفاً في المعرفة بالفنون القديمة؛ المنطق والهندسة والعدّد والموسيقا والطّب، فيلسوفاً، طبيباً ماهراً، آية الله في المعرفة بالألسن، يُقرىء الأُمم بالسِتِّهم فنونهم التي يرغبون في تعلّمها، شديد البأور، مترفعاً، متعاطياً. عَرَف طاغية الروم حقّه، لما تَغَلَّب على مرسية، فبنى له مدرسة يُقرىء فيها المسلمين والنصارى واليهود، ولم يزل معظماً عنده. ومما يحكى من مُلحه معه، أنه قال له يوماً، وقد أدنى منزِلته، وأشاد بفضله: لو تنصّرت وَحَصَلْتُ الكمال، كان عندي لك كذا وكذا، وكُنْتُ كذا، فأجابه بما أَثْنَعه. ولما خرج من عنده، قال لأصحابه: أنا الآن أَعْبُدُ واحداً، وقد عجزتُ عما يجب له، فكيف حالي لو كنت أعبد ثلاثة كما أراد مني. وطلبه سلطان المسلمين، ثاني الملوك من بني نصر<sup>(٢)</sup>، واستقدمه، وتَلَمَّذَ له، وأسكَّنه في أعدل البُقْع من حضرته. وكان الطلبة يَغشون منزله المعروف له، وهو بيدي الآن، فتعلّم عليه الطب والتعاليم وغيرها، إذ كان لا يُجَارَى في ذلك. وكان قويّ العارضة، مضطّلاً بِالْجَدَل، وكان السلطان يجمع بينه وبين مُتتابي حضرته، ممن يُقدّم مُنتحلاً صناعة أو علماً، فيظهر عليهم، لتمكُّنه ودأبته، حسبما يأتي في اسم أبي الحسن الأُبدي، وأبي القاسم بن خَلصون، إن شاء الله. وكان يركب إلى باب السلطان، عظيم الثَّوْدَة، مُعار البَغْلَة، رائق البِزَّة، رفيق المشي، إلى أن توفي بها، سمح الله له.

## محمد بن إبراهيم بن المُفَرِّج الأوسي

المعروف بابن الدُّبَاغ الإشبيلي.

حاله: كان واحداً عصره في حفظ مذهب مالك، وفي عَقْد الوثائق، ومعرفة عللها، عارفاً بالنحو واللغة والأدب والكتابة والشعر والتاريخ. وكان كثير البشاشة، عظيم الانقباض، طيّب النفس، جميل المعاشرة، كثير المشاركة، شديد التواضع، صبوراً على المطالعة، سهل الألفاظ في تعليمه وإقراءه. أقرأ بجامع غرناطة لأكابر علَمائها الفقه وأصوله، وأقرأ به الفُروع والعقائد للعامة مدة. وأقرأ بجامع باب الفُخَّارين، وبمسجد ابن عزة وغيره.

(١) نسبة إلى رقوطة Ricate، وهي من قرى مرسية.

(٢) هو السلطان أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، وقد حكم غرناطة من سنة

٦٧١ - ٧٠١ هـ. اللوحة البدرية (ص ٥٠).

مشيخته: قرأ على والده الأستاذ أبي إسحق إبراهيم، وعلى الأستاذ أبي الحسن الدباج، وعلى القاضي أبي الوليد محمد بن الحاج الشجبي القرطبي، وعلى القاضي أبي عبد الله بن عياض.

وفاته: توفي برُعدة يوم الجمعة أول يوم من شوال عند انصراف الناس من صلاة الجمعة من عام ثمانية وستين وستمائة.

### محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي

من أهل مُرسية، نزيل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الرقام، الشيخ الأستاذ المتفّن.

حاله: كان نسيج وحده، وفريد دهره، علماً بالحساب والهندسة والطب والهيئة، وغير ذلك، مديد الباع، أصيل المعرفة، مضطلعاً، متبحراً لا يُشَقُّ غبارة، أقرأ التعاليم والطب والأصول بغرناطة لما استقدمه السلطان ثاني الملوك من بني نصر من مدينة بجاية، فانتفع الناس به، وأوضح المشكلات، وسُئل من الأقطار النازحة في الأوهام العارضة، ودوّن في هذه الفنون كلها، ولخص، ولم يفتر من تقييد وشرح وتلخيص وتدوين.

توآلفه: وتوآلفه كثيرة، منها كتابه الكبير على طريقة كتاب «الشفا»، والزيج القويم الغريب المرصد، المبنية رسائله على جداول ابن إسحق، وعدل مناخ الأهلة، وعليه كان العمل، وقيد أبكار الأفكار في الأصول، ولخص المباحث، وكتاب الحيوان والخواص. ومقالاته كثيرة جداً، ودواوينه عديدة.

وفاته: توفي عن سن عالية بغرناطة في الحادي والعشرين لصفر من عام خمسة عشر وسبعمائة.

### محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حميد ابن مأمون الأنصاري<sup>(١)</sup>

ونسبه<sup>(٢)</sup> أبو محمد القرطبي أمويًا من صريحهم، بلنسي الأصل، يكنى أبا عبد الله.

(١) ترجمة ابن مأمون في بغية الملتبس (ص ٦٥) والتكملة (ج ٢ ص ٦٢) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٤٩) وبغية الوعاة (ص ٢٨).

(٢) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٤٩).

حاله: كان صَدْرًا في مُثَقِّنِي القرآن العظيم، وأثمة تجويده، مبرِّزًا في النحو، إمامًا معتمدًا عليه، بارع الأدب، وافر الحظ من البلاغة، والتَّصَرُّف البديع في الكتابة، طيَّب الإمتاع بما يورده من الفنون، كريم الأخلاق، حَسَن السَّمْت، كثير البشْر، وقورًا، دَيَّنًا، عارفًا، ورعًا، وافر الحظ من رواية الحديث.

مشيخته: روى<sup>(١)</sup> عن أبي إسحق بن صالح، وأبي بكر بن أبي ركب، وأبي جعفر بن ثعبان، وأبي الحجاج القفال، وأبي الحسن شريح، وأبي محمد عبد الحق بن عطية، وأبي الحسن بن ثابت، وأبي الحسن بن هذيل، وتلا عليه بالسَّبع، وأبو<sup>(٢)</sup> عبد الله بن عبد الرحمن المذحجي الغرناطي، وابن فرح<sup>(٣)</sup> القيسي، وأبي القاسم خلف بن فُزْتُون، ولم يذكر أنهم أجازوا له. وكتب له أبو بكر عبد العزيز بن سُدير<sup>(٤)</sup>، وابن العزفي<sup>(٥)</sup>، وابن قُندلة<sup>(٦)</sup>، فأبو الحسن طارق بن موسى، وابن مُوهب، ويونس بن مُغيث، وأبو جعفر<sup>(٧)</sup> بن أيوب، وأبو الحكم عبد الرحمن بن غشيان<sup>(٨)</sup>، وأبو عبد الله الجياني، المعروف بالبغدادي. وذكر أبو عبد الله بن يربوع أن له رواية عن أبي الحسن<sup>(٩)</sup> بن الطراوة.

مَنْ روى عنه: روى<sup>(١٠)</sup> عنه أبو بحر صفوان بن إدريس، وأبو بكر بن عتيق الأزدي<sup>(١١)</sup>، وابن قترال<sup>(١٢)</sup>، وأبو جعفر الجياري، والدَّهبي، وابن عميرة الشهيد، وأبو الحسن بن عزمون<sup>(١٣)</sup>، وابن عبد الرزاق<sup>(١٤)</sup>، وأبو الحسن<sup>(١٥)</sup> عبيد الله بن عاصم الدَّاري<sup>(١٦)</sup>، وأبو الربيع بن سالم، وأبو زكريا الجعفري<sup>(١٧)</sup>، وأبو سليمان بن حَوْط الله، وأبو عبد الله الأندَرشي، وابن الحسين بن محبر<sup>(١٨)</sup>، وابن إبراهيم الريسي<sup>(١٩)</sup>، وابن صلتان، وابن عبد الحق التلمسيني، وابن يربوع، وأبو العباس العزفي، وأبو عثمان سعد الحَقَّار، وأبو علي عمر بن جميع<sup>(٢٠)</sup>، وأبو عمران بن إسحق<sup>(٢١)</sup>، وأبو

- 
- |  |  |
|--|--|
| (١) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٤٩).      | (٢) في الذيل والتكملة: «وأبوي».              |
| (٣) في الذيل والتكملة: «وابن فرج».         | (٤) في الذيل والتكملة: «مدير».               |
| (٥) في الذيل والتكملة: «وابن العربي».      | (٦) في الذيل والتكملة: «فندلة».              |
| (٧) في الذيل والتكملة: «وأبو حفص بن أيوب». | (٨) في الذيل والتكملة: «غشيان».              |
| (٩) في الذيل والتكملة: «الحسين».           | (١٠) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤٩).        |
| (١١) في الذيل والتكملة: «اللاردي».         | (١٢) في الذيل والتكملة: «وابن قترال».        |
| (١٣) في المصدر نفسه: «حزمون».              | (١٤) في المصدر نفسه: «وابن عبيد الله الذوق». |
| (١٥) في المصدر نفسه: «وأبو الحسين».        | (١٦) في المصدر نفسه: «الدائري».              |
| (١٧) في المصدر نفسه: «الجعدي».             | (١٨) في المصدر نفسه: «مجير التجيبي».         |
| (١٩) في المصدر نفسه: «الوشقي».             | (٢٠) في المصدر نفسه: «صمع».                  |
| (٢١) في المصدر نفسه: «السخان».             |  |

القاسم الطيب بن هرقال<sup>(١)</sup>، وعبد الرحيم بن إبراهيم بن قريش الملاحى<sup>(٢)</sup>، وأبو محمد بن ذلف<sup>(٣)</sup> بن اليسر، وأبو الوليد بن الحجاج<sup>(٤)</sup>.

توالياقه: له شرح على «إيضاح الفارسي»، وآخر على «جمل الرجاجي».

مولده: ببلنسية سنة ثلاث عشرة وخمسمائة.

وفاته: توفي بمرسية إثر صدوره عن غرناطة عشي يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى<sup>(٥)</sup> سنة ست وثمانين وخمسمائة.

### محمد بن حَكَم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامي<sup>(٦)</sup>

من أهل سَرْقُسطة. سكن غرناطة ثم فاس، يكنى أبا جعفر.

حاله: كان<sup>(٧)</sup> مُفَرِّئًا مَجُودًا، محققًا بعلم الكلام وأصول الفقه، محصلاً لهما، متقدماً في النحو، حافظاً للغة، حاضر الذكر لأقوال تلك العلوم، جيد النظر، متوقد الذهن، ذكي القلب، فصيح اللسان<sup>(٨)</sup>. ولّي أحكام فاس، وأفتى فيها، ودرّس بها العربية: كتاب سيبويه وغير ذلك.

مشيخته: روى<sup>(٩)</sup> عن أبي الأصبغ بن سهل، وأبوي<sup>(١٠)</sup> الحسن الحضرمي، وابن سابق، وأبي جعفر بن جرّاح، وأبي طالب السَّرْقُسطي، الأديبين، وأبوي عبد الله بن نصر، وابن يحيى بن هشام المحدث، وأبي العباس الدلائي، وأبي عبيد الله البكري، وأبي عُمر أحمد بن مروان<sup>(١١)</sup> القَيْرَواني، وأبي محمد بن قورش<sup>(١٢)</sup>، وأبي مروان بن سراج. وأجاز له أبو الوليد الباجي، رحمه الله.

(١) في الذيل والتكملة: «هرقل». (٢) في المصدر نفسه: «ابن الفرس والملاحى».

(٣) في المصدر نفسه: «أبو محمد بن محمد بن خلف...».

(٤) في المصدر نفسه: «ابن الحاج».

(٥) في بغية الوعاة (ص ٢٨): «جمادى الآخرة في السنة السابعة بعد الثمانين والخمسمائة».

(٦) ترجمة ابن باق في التكملة (ج ١ ص ٣٦٠) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٧٧) وبغية الوعاة (ص ٣٨).

(٧) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٧٨). (٨) في الذيل والتكملة: «الكلام».

(٩) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٧٧).

(١٠) في الذيل والتكملة: «وأبوي بكر: ابن الحسين الحضرمي...».

(١١) في المصدر نفسه: «مروان التجيبي البلوطي الزاهد».

(١٢) في المصدر نفسه: «فورث».

مَنْ رَوَى عَنْهُ: روى<sup>(١)</sup> عنه أبو إسحاق بن قرقول، وأبو الحسن صالح بن خلف، وأبو عبد الله بن حسن السبتي، وأبو<sup>(٢)</sup> الحسن الأُبَدي، وتوفي قبله، وابن خلف بن الأيسر<sup>(٣)</sup>، والثُميري، وأبو العباس بن عبد الرحمن بن الصَّقَر، وأبو علي حسن بن الجزَّار<sup>(٤)</sup>، وأبو الفضل بن هارون الأزدي، وأبو<sup>(٥)</sup> محمد: عبد الحق بن بُونه، وقاسم بن دَحْمان، وأبو مروان بن الصَّقِيل الوقشي<sup>(٦)</sup>.

تأليفه: شرح<sup>(٧)</sup> «إيضاح الفارسي»، وكان قيِّمًا على كتابه، وصنَّف في الجدل مُصنِّفَيْن، كبيرًا وصغيرًا. وله عقيدة جيدة.

وفاته: توفي بفاس، وقيل بتلمسان<sup>(٨)</sup>، سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

### محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خَلَف ابن يوسف بن خلف الأنصاري<sup>(٩)</sup>

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الحاج، وبابن صاحب الصلاة. حاله: كان مُقرئًا صَدْرًا في أئمة التَّجويد، محدِّثًا مُتَقَنًا ضابطًا، نبيل الخَطِّ والتقيد، دَيِّتًا، فاضلاً. وصنَّف في الحديث، وخطب بجامع بلده. وأم في الفريضة زمانًا، واستمرت حاله كذلك، من نشر العلم وبثه إلى أن كرمه الله بالشهادة في وقعة العقاب<sup>(١٠)</sup>.

دخله غرناطة، راويًا عن ابن الفَرَس، وابن عَرُوس، وغيرهما.

مشيخته: روى بالأندلس عن الحاج ابن الشيخ، وأبي الحسن بن كوثر، وأبي خالد يزيد بن رفاعة، وأكثر عنه، وأبوي عبد الله بن عَرُوس، وابن الفَخَّار، وأبي

(١) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٧٨). (٢) في الذيل والتكملة: «ابن الحسن».

(٣) في المصدر نفسه: «بن الإلييري». (٤) في المصدر نفسه: «الخزاز».

(٥) في الأصل: «وأبو» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٦) في الذيل والتكملة: «الوشقي». (٧) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٧٨).

(٨) في الذيل والتكملة: «وقيل تلمسين، وهو أصح، سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة». وكذا جاء في بغية الوعاة (ص ٢٩).

(٩) ترجمة محمد بن حسن الأنصاري في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٨).

(١٠) كانت وقعة العقاب في منتصف شهر صفر سنة ٦٠٩ هـ، بين الناصر أبي عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف الموحدي وجيوش قشتالة بقيادة ألفونسو الثامن، وكانت الهزيمة فيها للمسلمين، فكانت السبب في هلاك الأندلس. البيان المغرب - قسم الموحيدين (ص ٢٦٣) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٩).



محمد بن حَوط الله، وعبد الحق بن بونه، وعبد الصّمد بن يَعِيش، وعبد المنعم بن الفَرَس، وأجازوا له. وتلا القرآن على أبي عبد الله الإستجّي. وروى الحديث عن أبي جعفر الحَصّار. وحجّ في نحو سنة ثمانين وخمسائة، وأخذ عن جماعة من أهل المشرق، كأبي الطاهر الخشوعي وغيره.

وفاته: توفي شهيداً محرّضاً صابراً يوم الاثنين متّصف صفر عام تسعة وستمئة.

### محمد بن محمد بن أحمد بن علي الأنصاري

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن قرال، من أهل مالقة.

حاله: طالبٌ عفيف مجتهد خيّر. قرأ بفغرناطة، وقام على فنّ العربية قياماً بالغاً، وشارك في غيره، وانتسخ الكثير من الدّواوين بخطّ بالغ أقصى مبالغ الإجادة والحُسن، وانتقل إلى مالقة فأقرأ بها العربية، واقتدى بصهره الصّالح أبي عبد الله القُطان، فكان من أهل الصّلاح والفضل. وتوفي في محرم عام خمسين وسبعمئة.

### محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد

#### ابن عبد الملك بن محمد بن سعيد بن عبد الواحد

#### ابن أحمد بن عبد الله القضاعي

من أهل إسطنبول<sup>(١)</sup>، يكنى أبا بكر، ويعرف بالقللوسي.

حاله: كان، رحمه الله، إماماً في العربية والعروض والقوافي، موصوفاً بذلك، منسوباً إليه، يحفظ الكثير من كتاب سيبويه، ولا يفارقه بياض يومه، شديد التعصّب له، مع خِفّة وطيش يحمله على التوغّل في ذلك. حدّثني شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب، رحمه الله، قال: وقف أبو بكر القللوسي يوماً على القاضي أبي عمرو بن الرُندون، وكان شديد الوقار، مهيباً، وتكلم في مسألة من العربية، نقلها عن سيبويه، فقال القاضي أبو عمرو: أخطأ سيبويه، فأصاب أبا بكر القللوسي قلق كاد يلط به الأرض، ولم يقدر على جوابه بما يشفي به صدره لمكان رُتبته. قال: فكان يدور بالمسجد، والدموع تنحدر على وجهه، وهو يقول: أخطأ من خطأه، يكرّرها، والقاضي أبو عمرو يتغافل عنه، ويزري عليه. وكان، مع ذلك، مشاركاً في فنون، من

(١) إسطنبول: بالإسبانية: Estepona، وهو بلد يقع على البحر المتوسط إلى الشمال من جبل طارق.

فقه وقراءات وفرائض، من أعلام الحُفَاط للغة، حُجَّة في العَرُوض والقوافي، يُحَظِّط بالقافية عند ذكره في الكتب. وله في ذلك تواليف بديعة. ووُلِّي الخطابة ببلده مدة، وقعد للتدريس به، وأثَّال عليه الناس وأخذوا عنه. ونسخ بيده الكثير وقيد، وكان بقطره عِلْمًا من أعلام الفضل والإيثار والمشاركة.

توَالِيْفُه: نظم رَجَزًا شهيرًا في الفرائض عِلْمًا وَعَمَلًا، ونظم في العَرُوض والقوافي، وألَّف كتاب «الدُّرَّة المكنونة في محاسن إسطنبول»، وألَّف تأليفًا حسنًا في تَرْجِيل الشمس، وسوسطات الفجر، ومعرفة الأوقات، ونظم أرجوزة في شرح ملاحن ابن دُرَيْد، وأرجوزة في شرح كتاب «الفصيح». ورفع للوزير ابن الحكيم كتابًا في الخواص وصنعة الأمدَّة والتطُّيع الشاب، غريبًا في معناه.

مَشِيخَتُه: قرأ على الأستاذ أبي الحسن بن أبي الربيع، ولازمه، وأخذ عنه، وعن أبي القاسم بن الحِصَّار الضرير السُّبُتِي، وعلى الأستاذ أبي جعفر بن الزُّبَيْر بغرناطة، وغيرهم.

شعره: من شعره قوله من قصيدة يمدح ابن الحكيم: [الطويل]

عُلَاهُ رِيَاضٌ أَوْرَقَتْ بِمَحَامِدِ	تُتَوَّرُ بِالْجَذْوَى وَتُثْمَرُ بِالْأَمَلِ
تَسِيحٌ عَلَيْهَا مِنْ نَدَاهُ غِمَامَةٌ	تُرْوِي ثَرَى الْمَعْرُوفِ بِالْعَلِّ وَالْثَّيْلِ
وَهَلْ هُوَ إِلَّا الشَّمْسُ نَفْسًا وَرَفْعَةً	فَيَغْرُبُ بِالْجَذْوَى وَيَبْعُدُ بِالْأَمَلِ؟
تَعْمُ أَيَادِيهِ الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا	قَدَانٍ وَقَاصٍ جُودُ كَفْنِهِ قَدْ شَمِلَ

وهي طويلة. ونقلت من خطِّ صاحبنا أبي الحسن الثُّبَاهِي، قال يمدح أبا

عبد الله الرُّنْدَاحِي: [الكامل]

أَطْلَعَ بِأَفْقِ الرِّاحِ كَأْسَ الرِّاحِ	وَصَلَّ الزَّمَانُ مَسَاءً بِصَبَاحِ
خُذَهَا عَلَى رَغَمِ الْعَذُولِ مُدَامَةً	تَنْفِي الْهَمُومِ وَتَأْتِ بِالْأَفْرَاحِ
وَالْأَرْضُ قَدْ لَيْسَتْ بِرُودِ أَزَاهِرِ	وَتَمَنَّنَطَقَتْ مِنْ نَهْرِهَا بِوِشَاحِ
وَالْجَوُّ إِذْ يَبْكِي بِدَمْعِ غِمَامَةٍ	ضَحِكَ الرِّبْعِ لَهُ بِثَغْرِ أَقَاحِ
وَالرَّوْضُ مَرْقُومٌ بِوَشْيِ أَزَاهِرِ	وَالطَّيْرُ يَفْصَحُ أَيُّمَا إِفْصَاحِ
وَالْعُضُنُ مِنْ طَرَبٍ يَمِيلُ كَأَنَّمَا	سَقَيْتُ بِكَفِّ الرِّيحِ كَأَسَ الرِّاحِ
وَالْوَرْدُ مُنْتَظَمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ	يَبْدُو فَتَحَسَّبُهُ خُدُودٌ مِلَاحِ
وَكَاذَ عَزَفِ الرِّيحِ مِنْ زَهْرِ الرُّبَى	عَرَفَ امْتِدَاحَ الْقَائِدِ الرُّنْدَاحِ

وفاته: ببلده عصر يوم الجمعة الثامن عشر لرجب الفرد سنة سبع وسبعمائة.

## محمد بن محمد بن محارب الصريحي

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن أبي الجيش.

**حاله وأوليته:** أصل سلفه من حصن يُسر من عمل مُرسية، من بيت حَسَبٍ وأصالة، ولخؤولته بالجهة التاكرونية ثورة.

وقلت فيه في «عائد الصلة»: كان من صُدور المُقرئين، وأعلام المُتصدّرين تفنُّنا واضطلاعا وإدراكا ونظرا، إماما في الفرائض والحساب، قائما على العربية، مُشاركاً في الفقه والأصول وكثير من العلوم العقلية.

قعد للإقراء بمالقة، وخطب بجامع الرّيّض.

**مشيخته:** قرأ على الأستاذ القاضي المُتَقَنُّن أبي عبد الله بن بكر، ولازمه. ثم ساء ما بينهما في مسألة وَقَعَت بمالقة، وهي تجوز الخُلْف في وَعْد الله، شُئِعَ فيها على شيخنا المذكور. ونَسَبَهُ إلى أن قال: وعد الله ليس بلازم الصّدق، بل يجوز فيه الخُلْف، إذ الأشياء في حقه متساوية. وكتب في ذلك أسئلة للعلماء بالمغرب، فقاطعه وهَجَرَهُ. ولَمَّا وُلِّيَ القاضي أبو عبد الله بن بكر القضاء، خافه، فوَجَّه عنه إثر ولايته، فلم يشك في الشَّرِّ، فلما دخل عليه، رَحَّبَ به، وأظهر له القَبُولَ عليه، والعفو عنه، واستأنف مودّته، فكانت تُعَدُّ في مآثر القاضي، رحمه الله.

ورحل المذكور إلى سَبْتَةِ، فقرأ بها على الأستاذ أبي إسحق الغافقي، ومَن عاصره، ثم عاد إلى مالقة، فالتزم التدريس بها إلى حين وفاته.

**دخوله غرناطة:** دخل غرناطة مرات، متعلّماً، وطالب حاج. ودُعي إلى الإقراء بمدريستها النُصيرية<sup>(١)</sup>، عام تسعة وأربعين وسبعمائة، فقدم على الباب السلطاني، واعتذر بما قُبِلَ فيه عُذْرُهُ. وكان قد شرع في تقييد مفيد على كتاب «التسهيل» لابن مالك، في غاية النبل والاستيفاء والحُضْر والتَّوْجِيهِ، عاقته المنية عن إتمامه.

**وفاته:** توفي بمالقة في كائنة الطاعون الأعظم في أخريات ربيع الآخر من عام خمسين وسبعمائة، بعد أن تصدّق بمال كثير، وعهد بريع مُجَدِّد لطلبة العلم، وحبس عليهم كتبه.

(١) هذه المدرسة أنشأها السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري، ومكانها ما يزال معروفاً إلى اليوم بغرناطة، ويقع قبالة الكنيسة العظمى التي أنشئت على موقع المسجد الجامع. لللمحة البدرية (ص ١٠٩).

## محمد بن محمد بن لب الكِناني

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن لب.

حاله: كان ذاكرًا للعلوم القديمة، مُعْتَنِيًا بها، عاكفًا عليها، مُتَقَدِّمًا في علمها على أهل وقته، لم يكن يشاركه أحد في معرفتها، من الرياضيات والطبيعات والإلهيات، ذاكرًا لمذاهب القدماء، ومآخذهم في ذلك، حافظًا جدًا، ذاكرًا لمذاهب المُتَكَلِّمين من الأشعرية وغيرهم، إلا أنه يؤثر ما غلب عليه من مآخذ خصومهم، وكان نفوذه في فهمه دون نفوذه في حفظه، فكان مُعْتَمِدًا على حفظه في إيرادِه ومناظرته، وكان ذاكرًا مع ذلك لأصول الفقه وفروعه، عَجَبًا في ذلك؛ إذا وَرَدَتْ مسألة، أُوْرِدَ ما للناس فيها من المذاهب. وعزم عليه آخر عمره، فقعَدَ بجامع مالقة، يتكلم على الموطن، وما كان من قبل تهيأً لذلك، إلا أنه سَتَرَ عليه حفظه، وتعظيم أهل بلده له. قال ابن الزبير: وكانت فيه لُؤْنَةٌ، واخْشِيشَان، وكان له أَرْبٌ في الثَّطُوف، وخصوصًا بأرض النصارى، يتكلم مع الأساقفة في الدين، فيظهر عليهم، وكانت أموره غريبة، من امتزاج اليَقْظَةِ بالغَلَّةِ، وَخَلْطِ السَّدَاجَةِ بالدُّعَابَةِ. يحكى عنه أنه كانت له شجرة تين بداره بمالقة، فباع ما عليها من أحد أهل السُّوق، فلَمَّا هَمَّ بجمعها، ذهب ليمهّد للتين بالورق في الوعاء، فمنعه من ذلك، وقال له: إنما اشترت التين، ولم تُدْخِلِ الورق في البيع، فتعب ذلك المشتري ما شاء الله، وَجَلَبَ ورقًا من غيرها، حتى انقضى الأمر، وعزم على معاملته في السنة الثانية، فأول ما اشترط الورق، فلَمَّا فرغ من الغلّة، دعاه فقال له: احمل ورقك، فإنه يُؤْذِنِي، فأصابه من المشقة في جَمْعِهِ من أطراف الغصون ما لم يكن يَحْسُبُ، ولم تأت السنة الثالثة، إلّا والرجل فقيه، اشترط مقدار الكفاية من الورق، فسامحه وَرَقَ به.

دخل غرناطة وغيرها، وأخباره عجيبة. قال أبو جعفر بن الزبير: عَرَضَ لي بمالقة مسائل، يرجع بعضها إلى الطريقة البيانية، والمآخذ الأدبية؛ وضحت ضرورة إلى الأخذ معه فيها، وفي آيات من الكتاب العزيز، فاستدعيته إلى منزلي، وكان فيه تَخَلُّقٌ، وحسن ملاقة، مع خَفَّتِهِ الطبيعية وتَشَتَّتِ منازِعه، فأجاب، وأخذتُ معه في ذلك، فألفيته صائمًا عن ذلك جملة.

وَصَمَّمَتْهُ: قال: وكان القاضي الجليل أبو القاسم بن ربيع وأخوه أبو الحسن ينافران على الإطلاق، ويحذران منه، وهو كان الظاهر من حاله. قال: واستدعاني في مرض اشتدَّ به، قبل خروجي من مالقة على انفراد، فتنصّل لي مما كان يُدَنُّ<sup>(١)</sup> به، وأكثر البكاء، حتى رثيتُ له.

(١) يُدَنُّ به: يُتَهَم به؛ يقال: دَنُّ في مشيته: مشى مشية ضعيفة، ودَنُّ الشيء: سال، وجاء هنا =

وفاته: توفي بمالقة، ووصى قبل موته بوصايا من ماله، في صدقات وأشباهاها، وحبس داره وطائفة من كتبه على الجامع الكبير بمالقة.

### محمد بن محمد البدوي<sup>(١)</sup>

الخطيب بالرّيَض من بَلَش<sup>(٢)</sup>، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من «العائد»<sup>(٣)</sup>: كان، رحمه الله، حسن التلاوة لكتاب الله، ذا قَدَم في الفقه، له معرفة بالأصلين، شاعراً مُجيداً، بصيراً، بليغاً في حُطْبَتِه، حسن الوعظ، سريع الدُّمعة. حجّ ولقي جِلَّة. وأقرأ ببَلَش زماناً، وانتفع به، ولقي شدايد أصلها الحَسَد.

مشيخته: قرأ العِلْم على الشَّيْخَيْن المُقَرَّرَيْن، الحُجَّتَيْن، أبي جعفر بن الرِّيَّات، وأبي عبد الله بن الكُمَاد، وقرأ العربية والأصلين على الأستاذ أبي عمرو بن مَنظُور، ولازمه وانتفع به، وقرأ الفقه على الشيخ القاضي أبي عبد الله بن عبد السَّلام بمدينة تونس.

شعره: من شعره قوله في غرض النسيب<sup>(٤)</sup>: [السريع]

خَالٌ عَلَى خَذُكَ<sup>(٥)</sup> أَمْ عَنَبَرُ؟      وَلَوْلُوْ تَغْرُكَ أَمْ جَوْهَرُ؟  
أَوْزَيْتَ نَارَ الْوَجْدِ طَيِّ الْحِشَا      فَصَارَتِ النَّارُ بِهِ<sup>(٦)</sup> تَسْعَرُ  
لَوْ جُدَّتْ لِي مِنْكَ بَرَشْفِ اللَّمَّا      لَقُلْتُ: حَمْرُ عَسَلٍ<sup>(٧)</sup> سَكْرُ  
دَغْنِي فِي الْحُبِّ أَذْبُ حَسْرَةَ      سَفَكُ دَمِ الْعَاشِقِ لَا يُنْكَرُ

= بمعنى: يُتَّهَمُ بِهِ. لسان العرب (ذَنَن).

(١) ترجمة محمد البدوي في الكتيبة الكامنة (ص ٥٥).

(٢) هي بَلَش مالقة Velez Malaga، وقد ذكرها ياقوت مكتفياً بالقول: «بَلَش؛ بالفتح وتشديد اللام والشين معجمة، بلد بالأندلس، ينسب إليه يوسف بن جُبارة البَلْشي...». معجم البلدان (ج ١ ص ٤٨٤).

(٣) هو كتاب «عائد الصلة» لابن الخطيب. وقد كتبه ابن الخطيب ليكون ذيلًا لكتاب «صلة الصلة» لابن الزبير، المتوفى سنة ٧٠٨ هـ.

(٤) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٥٥ - ٥٦). (٥) في الكتيبة: «خَذِيكَ».

(٦) في الكتيبة: «بها».

(٧) حرَّكَهَا الْمُحَقِّقُ بِالْكَسْرِ «عَسَلٍ» ظَنَّا مِنْهُ أَنَّهَا مُضَافٌ إِلَى كَلِمَةِ «خَمْر».

وقال<sup>(١)</sup>: [البسيط]

عَيْنَايَ تَفْهَمُ مِنْ عَيْنَيْكَ أَسْرَارَا      وورُذْ خَدَّكَ يُذَكِّي فِي الْحِشَا نَارَا  
مَلَكَتْ قَلْبُ مُجِبِّ فَيْكَ مُكْتَنِبِ      قَدْ أَثَّرَ الدَّمْعُ فِي خَدَّيْهِ آثَارَا  
رُضَابُ ثَغْرِكَ يُزَوِّي حَرَّ غُلَّتِهِ      يَا لَيْتَ نَفْسِي تَقْضِي مِنْهُ أَوَطَارَا<sup>(٢)</sup>  
أَنْعِمَ بَطْنِي خِيَالِ مِنْكَ أَلْمَحُ      مَاذَا عَلَيْكَ بَطْنِي<sup>(٣)</sup> مِنْكَ لَوْ زَارَا  
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ظَنِّي بِهِ كَلَفُ<sup>(٤)</sup>      يَضْبُو لَهُ الْقَلْبُ مُضْطَرًّا وَمُخْتَارَا

وقال<sup>(٥)</sup>: [مجزوء الرمل]

أَيُّهَا الظُّلْبِي تَرَفَّقْ      بَكَّائِي قَدْ هَلَكَ  
أَلَذْنِبِ تَتَجَجَّى      أَمْ لَشَيْءٍ<sup>(٦)</sup> يُوصِلُكَ؟  
إِنْ رُوحِي لَكَ مِلْكُ<sup>(٧)</sup>      وَكَذَا قَلْبِي لَكَ  
إِنَّمَا أَنْتَ هِلَالُ      فَالْكَ الْقَلْبُ فَالْكَ

ومن مجموع نظمه ونثره ما خاطبني به، وقد طلبت من أدبه لبعض ما صدر عني من المجموعات: «يا سيدي، أبقاك الله بهجةً للأعيان الفضلاء، وحجةً لأعلام العلاء، ولا زلت تسير فوق النسر، وتجري في الفضائل على كرم النجر. ذكر لي فلان أنكم أردتم أن يرد على كمالكم، بعض الهذيان الصادر عن معظّم جلالكم، فأكبرت ذلك، ورأيتني لست هنالك، وعجبت أن ينظم مع الدرّ السّج، أو يضارع العَمَشُ الدّعج. بيد أن ليّنظم الدرّ صنّاع<sup>(٨)</sup>، والحديث قد يُداع، ولا يُضاع، وحين اعتذرت له فلم يغدّزني، وانتظرت فلم ينظرني، بعد أن استعفيته فأبى، واستنهضت جواد الإجابة فكبى، وسلك غير طريقي، ولم يُبلّغني ريقى، وفئت الغرض، وقضيت من إجابته الحقّ المُفترض، ورددت عن تغذاله التّصيح، وأثبتت هنا ما معناه صحيح، ولفظه غير فصيح: [السريع]

بريتُ مِنْ حَوْلِي وَمِنْ قَوْتِي      بِحَوْلٍ مَنْ لَا حَوْلَ إِلَّا لَهُ  
وَنَثَقْتُ بِالْخَالِقِ فَهُوَ الَّذِي      يُدَبِّرُ الْعَبْدَ وَأَفْعَالَهُ

(١) الأبيات في الكنية (ص ٥٦).

(٢) الأبيات في الكنية (ص ٥٦).

(٣) في الكنية: «لطيف».

(٤) في الكنية: «وطف».

(٥) في الكنية: «الشيء».

(٦) رواية صدر البيت في الكنية هي: «إنما رُوحِي مِلْكُ».

(٧) الأوجب أن يقول: «صنّاعاً» لأنها اسم أن منصوب.

وقلت بالحرم عند المُلتزم من المنظوم في مثل ذلك: [المتقارب]

أَمْوَلَايَ بِالْبَابِ ذُو فَاقَةٍ      وَهَذَا يَحِطُّ خَطَايَا الْأَمَمِ  
فَجَدْتُ لِي بِعَفْوِكَ عَنْ زَلَّتِي      يَجُودُ الْكَرِيمُ بِقَدْرِ الْكَرَمِ

ومما أعددته للوفادة على خير من عُقدت عليه أَلَوِيَّةُ السِّيَادَةِ: [الكامل]

حَمَدْتُ إِلَيْكَ مَعَ الصَّبَاحِ سُورَاهَا      وَأَتَتْكَ تَطَلُّبٌ مِنْ نَدَاكَ قِرَاهَا  
وَسَرَتْ إِلَيْكَ مَعَ النَّسِيمِ يَمِينُهَا      شَوْقًا يَسَابِقُ فِي السُّرَى يُسْرَاهَا

ولولا العَجَزُ لوصَلْتُ، والعذر لأَطَلْتُ، لكن ثَنَيْتُ عِنَانِي لثَنَائِكَ، لِحُسْنِ

اعتنائِكَ، وقلت معتذراً من الصُّورة لمجدكم، وتالياً سورة حمدكم: [البسيط]

الْمَجْدُ يَخْبِرُ عَنْ صِدْقِ مَآثِرِهِ      وَنَاطِمُ الْمَجْدِ فِي الْعَلْيَاءِ نَاقِرُهُ  
وَالْجُودُ إِنْ جَدَّ جَدُّ الْمَرْءِ يُنْجِدُهُ      وَقَلَمًا ثَمَّ فِي الْأَيَّامِ ذَاكِرُهُ  
مَنْ نَالَ مَا نِلْتُ مِنْ مَجْدٍ وَمَنْ شَرِيفٌ؟      فَلَيْسَ فِي النَّاسِ مِنْ<sup>(١)</sup> شَخْصٍ يَنَظَرُهُ  
يَا سَيِّدَا طَابَ فِي الْعَلْيَاءِ مَخْتِدُهُ      دُمُ<sup>(٢)</sup> مَاجِدًا رَسَخَتْ فِيهِ أَوَاصِرُهُ  
سَرَيْتَ فِي الْفَضْلِ مُسْتَنًا عَلَى سَنَنِ الْـ      فَضْلٍ<sup>(٣)</sup> مَآرِبُهُ حَقًّا وَسَامِرُهُ  
وَرِثْتَهُ عَنْ كَبِيرٍ أَوْحَدٍ عِلْمٍ      كَذَاكَ يَحْمِلُهُ أَيْضًا أَكَابِرُهُ  
مُبَارَكُ الْوَجْهِ وَضَّاحُ الْجَبِينِ لَهُ      نَوْرٌ يُنِيرُ أَغْرُ الثُّورِ بَاهِرُهُ  
مُؤَوَّقٌ بِكَفِيلٍ مِنْ عَنَائِتِهِ      مُرْفَعُ الْعُذْرِ سَامِي الذِّكْرِ طَاهِرُهُ  
رَعَيْتَ فِي الْفَضْلِ حَقَّ الْفَضْلِ مَجْتَهِدًا      مَفْهُومُ مَجْدِكَ هَذَا الْحَكْمُ ظَاهِرُهُ  
عَلَوْتُ كَالشَّمْسِ إِشْرَاقًا وَمَنْزَلَةً      فَأَنْتَ كَالْغَيْثِ يُخَيِّي الْأَرْضَ مَاطِرُهُ  
يَنْتُمُ بِالْفَضْلِ مِنْكَ الْفَضْلُ مُشْتَهَرًا      كَمَا يَنْتُمُ بِزَهْرِ الرُّوضِ عَاطِرُهُ  
دُمُ وَابِقٌ لِلْمَجْدِ كَهْفًا وَالْعُلَا وَزَّرًا<sup>(٤)</sup>      فَإِنَّمَا الْمَجْدُ شَخْصٌ أَنْتَ نَاطِرُهُ  
مُؤَمَّلًا مِنْكَ خَيْرًا أَنْتَ صَانِعُهُ      وَصَانِعُ الْخَيْرِ عِنْدَ اللَّهِ شَاكِرُهُ  
وَمَا وَلِيْتُ وَمَا أَوْلَيْتُ مِنْ حَسَنِ      لِلنَّاسِ<sup>(٥)</sup> وَالْعَالَمِ الْعُلُوِّي ذَاكِرُهُ  
بَقِيَتْ تُكْسِبُ مِنَ الْإِلَهِ مَكْرَمَةً      وَنَاصِرًا أَبَدًا مِنْ قَلِّ نَاصِرُهُ

(١) كلمة «من» ساقطة في الأصل. (٢) كلمة «دُم» ساقطة في الأصل.

(٣) في الأصل: «في الفضل»، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) الْوَزَّرَ؛ بِالْفَتْحِ: الْجَبَلَ الْمَنِيعَ أَوْ الْمَلْجَأَ وَالْمَعْتَصِمَ. لِسَانَ الْعَرَبِ (وزر).

(٥) في الأصل: «فللناس»، وكذا ينكسر الوزن.

عذراً لك الفضل عما جئت من خطي أن يُخطِ مثلي يوماً أنت عاذرُهُ  
ثم السلام على عَليّك من رجل تُهْدي الذي أبداً<sup>(١)</sup> تُخْفى ضمائره  
دخوله عَرْنَاظَة: دخلها غير ما مرّة، ولقيته بها لتقضي بعض أغراض بيباب  
السلطان، مما يليق بمثله.  
مولده: ... (٢).

وفاته: توفي ببِلْس في أخريات عام خمسين وسبعمئة.

### محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس بن محمد ابن عبد الله العبدري

قرطبي، استوطن مدينة مراكش، يكنى أبا بكر.

حاله: كان عالماً بالقراءات، ذاكراً للتفسير، حافظاً للفقهِ واللغات والأدب،  
شاعراً مُحِصِناً، كاتباً بليغاً، مبرزاً في النحو، جميلَ العشرة، حسنَ الخلق، متواضعاً،  
فكّه المحاضرة، مليح المُدَاعَبَة. وصنّف في غير ما فنّ من العِلْم، وكلامه كثير  
مدوّن، نظماً ونثراً.

مشيخته: روى عن أبي بكر بن العربي، وأبي الحسن شريح،  
وعبد الرحمن بن بقي، وابن الباذش، ويونس بن مغيث، وأبي عبد الله بن الحاج،  
وأبي محمد بن عتاب، وأبي الوليد بن رُشد، ولازمه عشرين سنة. قرأ عليهم وسمع،  
وأجازوا له، وسمع أبا بَخر الأسدي، وأبوي بكر عيَّاش بن عبد الملك، وابن أبي  
ركب، وأبا جعفر بن شانجة<sup>(٣)</sup>، وأبا الحسن عبد الجليل، وأبا عبد الله بن خلف  
الأيّسري، وابن المُناصف، وابن أخت غانم، ولم يذكُر أنهم أجازوا له، وروى أيضاً  
عن أبوي عبد الله مكي، وابن المعمر، وأبي الوليد بن طريف.

مَن روى عنه: روى عنه أبو البقاء يعيش بن القديم، وأبو الحسن بن مؤمن،  
وأبو زكريا المرجعي، وأبو يحيى أبو بكر الضيرير واختص به.

(١) كلمة «أبداً» ساقطة في الأصل.

(٢) بياض في الأصل، كذلك لم يشر ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة إلى سنة ولادته.

(٣) في الأصل: «شانجة» بالسين غير المعجمة، ويبدو أن جعفر بن شانجة هذا من المولدين، وهم  
أولاد الإِسبَان النصراني الذين أسلموا.



توالياً: من مُصَنَّفاته «مَشَايِدُ الْأَفْكَارِ فِي مَأْخِذِ النَّظَارِ» وَشَرْحَاهُ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ عَلَى «جُمْلِ الزَّجَاجِي»، وَشَرْحُ أَبْيَاتِ الْإِيضَاحِ الْعَضْدِي، وَ«مَقَامَاتُ الْحَرِيرِي»، وَشَرْحُ مُعَشَّرَاتِهِ الْغَزَلِيَّةِ، وَمُكْفَرَاتِهِ الزَّهْدِيَّةِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَهُمَا مِمَّا أَبَانَ عَنْ وَفُورِ عِلْمِهِ، وَغَزَاةِ مَادَّتِهِ، وَاتِّسَاعِ مَعَارِفِهِ، وَحَسَنِ تَصَرُّفِهِ.

دَخَلَ غِرْنَاةَ رَاوِيَا عَنْ الْحَسَنِ بْنِ الْبَاذِشِ وَمِثْلِهِ.

مَحَنَّتُهُ: كَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ<sup>(١)</sup> مَعَ أَكْبَارِ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ، فَيُشْفِقُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ بِمَا كَانَ لَدَيْهِ مِنَ التَّحْقِيقِ بِالْمَعَارِفِ، إِلَى أَنْ أَنْشَدَ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ أَبْيَاتًا كَانَ نَظَمَهَا فِي أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْمُنْعَمِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ تَسْتٍ، وَهِيَ:

[المتقارب]

أَبَا قَاسِمٍ وَالْهَوَى جِنَّةٌ<sup>(٢)</sup>      وَهَا أَنَا مِنْ مَسْهَاهَا لَمْ أَفِئْ  
تَقَحَّضْتُ جَامِعَ نَارِ الضَّلُوعِ      كَمَا خُضْتُ بِحَرِّ دَمُوعِ الْحَدَقِ  
أَكُنْتُ الْخَلِيلَ، أَكُنْتُ الْكَلِيمَ؟      أُمِئْتُ الْحَرِيقَ، أُمِئْتُ الْغَرَقَ

فَهَجَرَهُ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ، وَمَنَعَهُ مِنَ الْحَضُورِ بِمَجْلِسِهِ، وَصَرَفَ بَنِيهِ عَنِ الْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ، وَسَرَى ذَلِكَ فِي أَكْثَرِ مَنْ كَانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَيَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ، عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِي الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا مِنَ الطَّهَارَةِ وَالْعِفَافِ.

شَعْرُهُ: قَالَ فِي أَبِي الْقَاسِمِ الْمَذْكُورِ: وَكَانَ أَزْرَقَ، وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشَّاطِبِيِّ، وَأَبُو عَثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ قَوْسَرَةَ، فَقَالَ ابْنُ قَوْسَرَةَ:

[الكامل]

عَابَوْهُ بِالزَّرَقِ الَّذِي يَجْفُونَهُ      وَالْمَاءُ أَزْرَقُ وَالْعَيُونُ<sup>(٣)</sup> كَذَلِكَ  
فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّاطِبِيُّ: [الكامل]

الْمَاءُ يُهْدِي لِلنَّفُوسِ حَيَاتَهَا      وَالرُّفْحُ يُشْرِعُ لِلْمَمُوتِ مَسَالِكَا

(١) هُوَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ عَلِيِّ الْمَوْحِدِيِّ، حَكَمَ الْمَغْرِبَ وَالْأَنْدَلُسَ سَنَةَ ٥٢٤ هـ، وَفِي سَنَةِ ٥٤١ هـ ضَمَّ الْأَنْدَلُسَ إِلَى الْمَغْرِبِ. وَتُوفِيَ سَنَةَ ٥٥٨ هـ. الْبَيَانُ الْمَغْرِبُ - قِسْمُ الْمَوْحِدِينَ (ص ٧٩) وَالْمَعْجَبُ (ص ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٩٢) وَالْحُلَلُ الْمَوْشِيَّةُ (ص ١٠٧).

(٢) الْجِنَّةُ، بِكسْرِ الْجِيمِ: الْجَنُّونُ. لِسَانُ الْعَرَبِ (جَنَن).

(٣) فِي الْأَصْلِ: «وَالْعَيْنَانِ»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ.

فقال أبو بكر بن ميمون المُترجم به: [الكامل]

وكذاك<sup>(١)</sup> في أجفانه سَبَبُ الرَّدَى لكن<sup>(٢)</sup> أرى طيب الحياة هُنالكا

ومما استفاض من شعره قوله في زمن الصُّبا، عفا الله عنه: [الكامل]

لا تكثرُ بفرق أوطان الصبا فعسى تنالُ بغيرهنَّ سُعودا  
والدُرُّ يُنظَّم عند فَقْد بحاره بجميل أجيادِ الحِسان عقودا

ومن مشهور شعره: [الطويل]

توسَّلتُ يا ربي بأنِّي مؤمن وما قلتُ أني سامعٌ ومُطيعُ  
أيضلى بِحَرِّ النارِ عاصٍ مُوحَّدُ وأنتَ كريمٌ والرسولُ شَفِيعُ؟

وقال في مرضه: [مخلع البسيط]

أبترتجي العيش من عَليه دلائلُ للرَّدَى جليَّة؟  
أولها مُخبر بئانٍ ذاك أمانٌ وذا مَنِيَّة؟

وفاته: توفي بمراكش يوم الثلاثاء ائنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة سبع وستين وخمسائة، ودفن بمقبرة تاغزوت داخل مراكش، وقد قارب السبعين سنة.

### محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم الثُميري<sup>(٣)</sup>

من أهل وادي آش، يكنى أبا عامر.

حاله: كان<sup>(٤)</sup> أحد شيوخ بلده وطلَّبه<sup>(٥)</sup>، مشاركًا في فنون، من فقه وأدب وعربية، وهي أغلبُ الفنون عليه، مطَّرح<sup>(٦)</sup> السَّمْت، مُحشَّوْشِن الزِّي، قليل المبالاة بنفسه، مُختَصِرًا في كافة شؤونه، مليحُ الدُّعابة، شديد الحمل، كثير التواضع، وبيته مغمُور بالعلماءِ أُولي الأصالة والتَّعِين. تصدر ببلده للفتيا والتدريس والإسماع.

(١) في الأصل: «وكذلك»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «ولكن»، وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا حرف الواو.

(٣) ترجمة ابن عبد العظيم في الكتيبة الكامنة (ص ٩٩) وبغية الوعاة (ص ٥٨).

(٤) قارن ببغية الوعاة (ص ٥٨). (٥) كلمة «وطلبته» ساقطة في بغية الوعاة.

(٦) في بغية الوعاة: «مطرحًا محشوشًا مليح الدُّعابة...».

مشيخته: قرأ<sup>(١)</sup> على الأستاذ القاضي أبي<sup>(٢)</sup> خالد بن أرقم، والأستاذ أبي العباس بن عبد الثور. وروى عن أبيه مديح رسول الله ﷺ، وعن الوزير العالم أبي عبد الله بن ربيع، والقاضي أبي جعفر بن مسعدة، والأستاذ أبي جعفر بن الزبير، وولي الله الحسن بن فضيلة.

ورحل إلى العُدوة، فأخذ بسبته عن الأستاذ أبي بكر بن عبيدة<sup>(٣)</sup>، والإمام الزاهد أبي عبد الله بن حريث، وأبي عبد الله بن الخضار، وأبي القاسم بن الشاط، وغيرهم.

شعره: وهو من الجزء المسمى بـ «شعر من لا شعر له» والحمد لله. فمن ذلك قوله يمدح أبا زكريا العزفي بسبته، ويذكر ظفره بالأسطول من قصيدة أولها<sup>(٤)</sup>:  
[الكامل]

أما الوصال فإنه كالعيدِ عذُرُ المُتَيِّمِ واضحٌ في الغيدِ  
وفاته: توفي ببلده عام أربعين وسبعمائة. ودخل غرناطة راويًا ومتعلِّمًا، وغير ذلك.

### محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج ابن الجَدِّ الفهري

الحافظ الجليل، يكنى أبا بكر، جليل إشبيلية، وزعيم وقته في الحفظ. لبلي<sup>(٥)</sup> الأصل، إشبيلي، استدعاه السيد أبو سعيد والي غرناطة، فأقام بها عنده في جملة من الفضلاء مثله سنين. ذكر ذلك صاحب كتاب «نُورَةُ المُريدين»<sup>(٦)</sup>.

حاله: كان في حفظ الفقه بَخْرًا يَعْرِفُ من مُحِيط. يقال: إنه ما طالع شيئًا من الكتب فَتَسِيَهُ، إلى الجلالة والأصالة، وبُعْدِ الصُّبْتِ، واشتِهارِ المَحَلِّ. وكان مع هذا يتكلم عند الملوك، وَيَخْطُبُ بين يديها، ويأتي بِمُعْجَبٍ، وفي كتاب «الإعلام» شيء من خبره، قال ابن الزبير.

(١) قارن ببغية الوعاة (ص ٥٨).

(٢) في البغية: «ابن خالد أرقم».

(٣) في البغية: «بن عبيد».

(٤) البيت في الكتيبة الكامنة (ص ٩٩).

(٥) نسبة إلى لَبْلَة، Niebla، وهي مدينة قديمة في غرب الأندلس، كان بها ثلاث عيون. الروض المعطار (ص ٥٠٧).

(٦) صاحب هذا الكتاب الذي لم يصلنا حتى اليوم هو ابن صاحب الصلاة، صاحب كتاب «المن بالإمامة».

مشيخته: روى عن أبي الحسن بن الأخضر، أخذ عنه كتاب سيبويه وغير ذلك، وعن أبي محمد بن عثاب، وسمع عليه بعض الموطأ، وعن أبي بخر الأسدي، وأبي الوليد بن طريف، وأبي القاسم بن منظور القاضي، وسمع عليه صحيح البخاري كله، وشريح بن محمد، وأبي الوليد بن رشد، وناوله كتاب «البيان والتحصيل». وكتاب «المقدمات». لقي هؤلاء كلهم، وأجازوا له عامة. وأخذ أيضًا عن مالك بن وهيب.

من حدث عنه: أبو الحسن بن زرقون، وأبو محمد القرطبي الحافظ، وابنا حوط الله، وغيرهم. وعليه من ختمت به المائة السادسة كأبي محمد بن جمهور، وأبي العباس بن خليل، وإخوته الثلاثة أبي محمد عبد الله، وأبي زيد عبد الرحمن، وأبي محمد عبد الحق. قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: حدثني عنه ابن خليل وأبو القاسم الجياني، وأبو الحسن بن السراج.

مولده: بلبلة في ربيع الأول سنة ست وتسعين وأربعمائة.

وفاته: وتوفي بإشبيلية في شوال سنة ست وثمانين وخمسمائة. ذكره ابن الملجوم، وأبو الربيع بن سالم، وابن قزتون.

### محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن الفخار الجذامي

يكنى أبا بكر، أزكشي<sup>(١)</sup> المولد والمنشأ، مألقي<sup>(٢)</sup> الاستيطان، شريشي<sup>(٣)</sup> التدرب والقراءة.

حاله: من «عائد الصلة»: كان، رحمه الله، خيرًا صالحًا، شديد الانقباض، مغمورًا في باب الورع، سليم الباطن، كثير العكوف على العلم والملازمة، قليل الرياء والتصنع. خرج من بلده أزكش عند استيلاء العدو على قصبته، وكان يصيفها، وينشد فيها من شعر أستاذه الأديب أبي الحسن الكرمانى: [المجتث]

أَكْرِمَ بِأَزْكُشَ دَارَا تَاهَتْ عَلَى الْبَذْرِ قَدْرَا

(١) نسبة إلى أركش Arcos de la Frontera، وهي حصن على وادي لكة. الروض المعطار (ص ٢٨).

(٢) نسبة إلى مدينة مالقة، وقد سبق التعريف بها.

(٣) نسبة إلى شريش Jerez وهي من كور شنونة بالأندلس، كثيرة الكروم والزيتون والتين. الروض المعطار (ص ٣٤٠).

يخاطب المجدُّ عنها للقلب<sup>(١)</sup> تُذني شُكراً

واستوطن مدينة شَريش، وقرأ بها، وروى بها عن علمائها، وأقرأ بها، ولما استولى العدو عليها لحق بالجزيرة الخضراء، فدرّس بها، ثم عبر البحر إلى سَبْتَة، فقرأ بها وروى. ثم كَرَّ إلى الأندلس، فقصّد غرناطة، وأخذ عن أهلها. ثم استوطن مالقة، وتصدّر للإقراء بها؛ مفيدُ التعليم، متقنُّه، من فقه وعربية وقراءات وأدب وحديث، عظيمُ الصبر، مستغرقُ الوقت. يدرس من لَدُن صلاة الصبح إلى الزّوال. ثم يُسند ظهره إلى طاق المسجد بعد ذلك، فيقرئ، وتأتيه النساء من خلفه للفتيا، فيفتيهنَّ على حال سؤالاتهنَّ إلى نصف ما بين العصر والعشاء الأولى. ثم يأتي المسجد الأعظم بعد الغروب، فيقعد للفتيا إلى العشاء الآخرة، من غير أن يقبل من أحد شيئاً. ومن أخذ منه بعد تحكيم الورع، أثابه بمثله، ما رثي في وقته أروع منه. وكان يتخذ روميّة مملوكّة، لا يشتمل منزله على سواها، فإذا أنس منها الضّجر للحصر وتمادى الحجاب، أعتقها، وأضحّبها إلى أرضها. ونشأت بينه وبين فقهاء بلده خصومة في أمور عدّوها عليه، مما ارتكبتها اجتهداه في مناط الفُتوى، وعقد لهم أمير المسلمين بالأندلس مجلساً أجلى عن ظهوره فيه، وبقاء رسمه، فكانت محنة، وخلّصه الله منها. وبلغ من تعظيم الناس إيّاه، وانشياشهم إليه، مَبْلَغاً لم يَنَلْه مثله، وانفع بتعليمه، واستفيد منه الأدب على نسكه وسداجته.

مشيخته: قرأ ببلده شَريش على المُكْتَب الحاج أبي محمد عبد الله بن أبي بكر بن داود القيسي، وعلى الأستاذ أبي بكر محمد بن محمد بن الربّاح، وعلى الأستاذ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن حكيم السّكوني الكرّماني؛ أخذ عنه العربية والأدب، وعلى الحافظ أبي الحسن علي بن عيسى، المعروف بابن متيوان، وعلى الأصولي الكاتب أبي الحسن هلال بن أبي سنان الأزدي المراكشي، وعلى الخطيب أبي العرب إسماعيل بن إبراهيم الأنصاري، وعلى الفقيه أبي عبد الله الجُنَيْدي، المعروف بالغُرّاق، وعلى الفقيه العدديّ أبي عبد الله محمد بن علي بن يوسف، المعروف بابن الكاتب المكناسي. وقرأ بالجزيرة الخضراء على الخطيب الصالح أبي محمد الرّكبي، وروى عنه، وقرأ بها على الخطيب أبي عبيد الله بن خميس، وعلى الأصولي أبي أميّة. وقرأ بسَبْتَة على الأستاذ الفرّضي إمام النّحاة أبي الحسن بن أبي الربيع، وعلى أبي يعقوب المحبساني، وعلى المحدث أبي عمرو عثمان بن عبد الله

(١) في الأصل: «القلب» وكذا ينكسر الوزن.

العبدري، وعلى الفقيه المالكي الحافظ أبي الحسن المتيوي، والأصولي أبي الحسن البصري، والفقيه المعمر الراوية أبي عبد الله محمد الأزدي، والمحدث الحافظ أبي محمد بن الكماد، وعلى الأستاذ العروضي الكفيف أبي الحسن بن الخضر التلمساني. ولقي بغرناطة قاضي الجماعة أبا القاسم بن أبي عامر بن ربيع، والأستاذ أبا جعفر الطباع، وأبا الوليد إسماعيل بن عيسى بن أبي الوليد الأزدي، والأستاذ أبا الحسن بن الصائغ. ولقي بمالقة الخطيب الصالح أبا محمد عبد العظيم ابن الشيخ، والراوية أبا عبد الله محمد بن علي بن الحسن الجذامي السهيلي. وسمع على الراوية أبي عمرو بن حوط الله، وعلى الأستاذ أبي عبد الله بن عباس القرطبي.

توالياه: كان، رحمه الله، مغرّى بالتأليف، فألف نحو الثلاثين تأليفاً في فنون مختلفة، منها كتاب «تخبير نظم الجمان، في تفسير أم القرآن»، و«انتفاع الطلبة الثبهاء، في اجتماع السبعة القراء». و«الأحاديث الأربعون، بما ينتفع به القارئون والسامعون»، وكتاب «منظوم الدرر، في شرح كتاب المختصر»، و«كتاب نصح المقالة، في شرح الرسالة»، وكتاب «الجواب المختصر المروم، في تحريم سكنى المسلمين ببلاد الروم»، وكتاب «استواء النهج، في تحريم اللعب بالشطرنج»، وكتاب «الفنصل المنتقى المهزوز، في الرد على من أنكر صيام يوم النيروز»، وكتاب «جواب البيان، على مصارمة أهل الزمان»، وكتاب «تفضيل صلاة الصبح للجماعة في آخر الوقت المختار، على صلاة الصبح للمنفرد في أول وقتها بالابتدار»، وكتاب «إرشاد السالك، في بيان إسناد زياد عن مالك»، وكتاب «الجوابات المجمعّة، عن السؤالات المتنوعة»، وكتاب «إملاء فوائد الدول، في ابتداء مقاصد الجمل»، وكتاب «أجوبة الإقناع والإحساب، في مشكلات مسائل الكتاب»، وكتاب «منهج الضوابط المقسّمة، في شرح قوانين المقدمة»، وكتاب «التوجيه الأوضح الأسمى، في حذف التنوين من حديث أسما»، وكتاب «التكملة والتبرئة، في إعراب البسملة والتضلية»، وكتاب «سح مؤنة الانتخاب، في شرح خطبة الكتاب». ومنها اللائح المعتمد عليه، في الرد على من رفع الخبر بلا إلى سيبويه، وغير ذلك من مجيد ومقصر.

شعره: وشعره كثير، غريب النّزعة، دالّ على السّذاجة، وعدم الاستِربة والشعور، والغفلة المغربة عن السّلامة، من ارتكاب الحوشي، واقتحام الضّرار، واستعمال الألفاظ المشتركة التي تشبّث بها أطراف الملاحين والمعارض، ولّع كثير من أهل زمانه بالردّ عليه، والتّملّح بما يصدر عنه، منهم القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك.

ومن منتخب شعره قوله: [الكامل]

انظر إلى ورد الرياض كأنه      ديباج خد في بنان زبزجد  
قد فتحت نضارة فبدا له      في القلب رونق صفرة كالعسجد  
حكّت الجوانب خد حب ناعم      والقلب يحكي خد صب ممكمد

حدث الفقيه العدل أبو جعفر أحمد بن مفضل المالقي، قال: قال لي يوماً الشيخ الأستاذ أبو بكر بن الفخار: خرجت ذات يوم وأنا شاب من حلقة الأستاذ بشرّيش، أعادها الله للإسلام، في جملة من الطلبة، وكان يقابل باب المسجد حانوت سراج، وإذا فتى وسيم في الحانوت يزقم جلدًا كان في يده، فقالوا لي: لا تجاوز هذا الباب، حتى تضيع لنا شعراً في هذا الفتى. فقلت: [الوافر]

وربّ معذّر للحب داع      يروق بهاء منظره البهيج  
وشى في وجنتيه الحسنى وشياً      كوشي يديه في آدم السروج

مولده: بحصن أركش بلده، وكان لا يخبر به، في ما بين الثلاثين والأربعين وستمائة.

وفاته: توفي بمالقة في عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة، وكانت جنازته بمالقة مشهورة.

### محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الغستاني

من أهل الحمة<sup>(١)</sup> من عمل ألمرية، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن العربي، وينتمي في بني أسود من أعيانها.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، من أهل العلم والدين والفضل، طلق الوجه، حسن السير، كثير الحياء، كأنك إذا كلمته تخاطب البكر العذراء، لا تلقاه إلا مُبتسماً، في حسن سَمْت، وفضل هوى، وجميل وقار، كثير الخشوع، وخصوصاً عند الدخول في الصلاة، تلوح عليه بذلك، عند تلاوته سيما الحضور، وحلاوة الإقبال. وكان له تحقّق بضبط القراءات، والقيام عليها، وعناية بعلم العربية، مع مشاركة في غير ذلك من الفنون السنية، والعلوم الدينية. انتصب للإقراء والتدريس

(١) الحمة أو الحامة: بالإسبانية Alhama، من مدن غرناطة، وتقع غربي غرناطة إلى الجنوب من مدينة لوثة. استولى عليها الإسبان سنة ٨٨٧ هـ، أي قبل سقوط غرناطة بعشر سنين. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيزي البربر (ص ٦٠).

بالحمّة المذكورة، فقرّب الثُّجعة على أهل الحصون والقرى الشرقية، فصار مُجتمعا لأرباب الطلب من أهل تلك الجهات ومُرتفاتهم. وكان رجلا صالحا، مبارك النيّة، حسن التعليم، نفع الله به من هنالك، وتخرّج على يديه جمعٌ وافر من الطلّبة، عمّرت بهم سائر الحصون. وكان له منزلٌ رحبٌ للقاصدين، ومُتّدى عذبٌ للواردين. تجول في آخرة بالأندلس والعُدوة<sup>(١)</sup>، وأخذ عمن لقي بها من العلماء، وأقام مدّة بسبّنة مكبّا على قراءة القرآن والعربية. وبعد عوده من تجواله لزم التصدّر للإقراء بحيث ذكر، وقد كانت الحواضر فقيرة لمثله، غير أنه أثر الوطن، واختار الاقتصاد.

مشيخته: أخذ بالمرّيّة عن شيخها أبي الحسن بن أبي العيش، وبغرناطة عن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، والعدل أبي الحسن بن مسّثور. وببلّش عن الأستاذ أبي عبد الله بن الكمّاد، والخطيب أبي جعفر بن الزيات. وبمالقة عن الأستاذ أبي عبد الله بن الفخّار، والشيخ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن ربيع الأشعري. وبالجزيّة عن خطيبها أبي العبّاس بن خميس. وبسبّنة عن الأستاذ أبي إسحق الغافقي، والخطيب أبي عبد الله بن زُشيد، والإمام الصالح أبي عبد الله محمد بن محمد بن حُرث، والقاضي أبي عبد الله القرطبي، والزاهد أبي عبد الله بن مُعلّى، والشيخ الخطيب أبي عبد الله الغماري. وبمكناسة من القاضي واريّاش. وبفاس من الحاج الخطيب أبي الربيع سليمان بن مفتاح اللّجّاي، والأستاذ أبي الحسن بن سليمان، والأستاذ أبي عبد الله بن أجروم الصّنهاجي، والحاج أبي القاسم بن رجا بن محمد بن علي وغيرهم، وكل من ذكر أجاز له عامة، إلّا قاضي مكناسة أبي عبد الله محمد بن علي الكلبي الشهير بوارياش.

مولده: في أول عام اثنين وثمانين وستمائة.

وفاته: توفي بالحمّة ليلة الاثنين الثامن عشر لشهر محرم عام ثمانية وأربعين وسبعمائة.

### محمد بن علي بن محمد العبّدي<sup>(٢)</sup>

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف باليتيم.

(١) المقصود المغرب.

(٢) ترجمة أبي عبد الله العبدي اليتيم في الكتيبة الكامنة (ص ٥٩) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٢٦).



حاله: كان، رحمه الله، أحد الظرفاء من أهل بلده، مليح الشكل، حسن الشبية، لودعياً في وقار، رشيق النظم والنثر، غزلاً مع الصّون، كثير الدّعاة من غير إفحاش، غزير الأدب، حسن الصّوت، رائق الخطّ، بديع الوراقة، مغسول الألفاظ، ممتنع المجالسة، طيب العشرة، أدب الصّبيان مدة، وعقد الشروط أخرى، وكان يقرأ كتب الحديث والتفسير والرّقائق للعامة بالمسجد الأعظم، بأغذب نعمة، وأمثلة طريقة، مذ أزيد من ثلاثين سنة، لم يخل منها وقتاً إلا ليلتين، إحداها بسبب امتسكانا به في نزهة برياض بعض الطلبة، لم يخلف مثله بعده. وخطب بقصبة مالقة، ومال أخيراً إلى نظر الطّب، فكان الناس يميلون إليه، وينتفعون به لسياغ مشاركته، وعموم انقياده، وبرّه، وعمله على التّودّد والتّجمل.

وجرى ذكره في «التّاج المجلّى» بما نصّه<sup>(١)</sup>: مجموع أدوات حسان، من خطّ ونعمة ولسان، أوراقه<sup>(٢)</sup> روض تتصوّع نسّماته، وبشره صبح تتألق قسّماته، ولا تخفى<sup>(٣)</sup> سّماته. يُقرّطس أغراض الدّعاة ويضميها، ويُفوّق سهام الفكّاهة إلى مراميهها، فكلّما صدرت في عصره قصيدة هازلة، أو أبيات منحنطة عن الإجادة نازلة، حمّس أبياتها وذيلها، وصرف معانيها وسهلها<sup>(٤)</sup>، وتركها سمر الثّدمان، وأضحوكة الزّمان<sup>(٥)</sup>. وهو الآن خطيب المسجد الأعلى من مالقة<sup>(٦)</sup>، متحلّ بوقار وسكينة، حالّ من أهلها بمكانة مكيّنة، لسهولة جانبه، واتّضاح مقاصده في الخير ومذاهبه. واشتغل لأوّل أمره بالتّعليم<sup>(٧)</sup> والتّكّيب، وبلغ الغاية في الوقار<sup>(٨)</sup> والترتيب، والشّباب<sup>(٩)</sup> لم ينصلّ خضابّه، ولا سلّث للمشييب عصابّه، ونفسه بالمحاسن كلّفة صبة<sup>(١٠)</sup>، وشأنه كله هوّى ومحبة، ولذلك ما خاطبه به بعض أودائه<sup>(١١)</sup>، وكلاهما رمى أهله بدائه، حسبما يأتي خلال هذا القول<sup>(١٢)</sup> وفي أثنائه، بحول الله.

(١) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٠) وبعضه في الكتيبة الكامنة (ص ٥٩ - ٦٠).

(٢) في المصدرين: «أخلاقه».

(٣) في الأصل: «يُخفى» والتصويب من المصدرين.

(٤) في النفع: «وسيلها».

(٥) في النفع: «الأزمان».

(٦) في المصدر نفسه: «بمالقة».

(٧) في النفع: «في التعليم والترتيب».

(٨) في الأصل: «وللشباب» والتصويب من النفع.

(٩) كلمة «صبة» ساقطة في الأصل.

(١٠) الأوداء: جمع ودود وهو المحب. لسان العرب (دود).

(١٢) في الأصل: «المقول» والتصويب من النفع.

شعره: كتبتُ إليه أسأل منه ما أثبتُ في كتاب «التاج» من شعره، فكتب إلي<sup>(١)</sup>: [البسيط]

أما الغرام فلم أخلِلْ بمذهبه  
يا مُغرِضاً عن فؤادٍ لم يَزَلْ كَلِيفاً  
قَطَعْتَ عنه الذي عَوَّدْتَه فغدا  
أيامَ وَضْلِكَ مَبْدُولٌ، وبِرْكَ بي  
وَسَمِعُ وَدُكَّ عن إِفْكِ العَوَازِلِ في  
لا أَنتَ<sup>(٢)</sup> تَمْنَعُنِي نَيْلَ الرِّضَا كَرَمًا  
لله عَزْفُكَ ما أَذْكَى تَنْسُئُهُ  
أنتَ الحَبِيبُ الذي لم أَتَّخِذْ بدلاً  
يا ابن الخطيب الذي قد فُتَّتْ كلُّ سَنَّا  
مُحَمَّدَ الحُسْنِ في خَلْقِي وفي خُلُقِ  
نَأَيْتَ<sup>(٣)</sup> أَوْ غَبَّتْ مَالِي عن هَوَاكَ غَنَى  
سَيَانِ حَالِ التَّدَانِي والبِعادِ، وهل  
يا مَنْ أَحْسَنُ<sup>(٤)</sup> ظَنِّي في رِضاهُ وما  
إِنْ كانَ دَنْبِي الهوى فالقَلْبُ مَنِّي لا

قَلِمَ حَرَمْتَ فُؤَادِي نَيْلَ مَطْلَبِهِ؟  
بَحْبُهُ ذا حِذَارٍ مِنْ تَجَنُّبِهِ  
وَحَظُّهُ من رِضاهُ بَرَقَ خُلْيِهِ<sup>(٥)</sup>  
مُجَدِّدٌ، قد صفا لي عَذْبُ مَشْرِبِهِ  
شُغْلٍ وَيَذُرُ الدُّجَى نَاسٍ لِمَغْرِبِهِ  
ولا فُؤَادِي بَوَانٍ في تَطْلُبِهِ  
لو كُنْتَ تَمْنَحُنِي اسْتِنْشاقَ طَيِّبِهِ  
منه وحاشَ لِقَلْبِي مِنْ تَقْلُبِهِ  
أزالَ عن ناظِرِي إِظْلَامَ غَيْبِهِ  
أَكْمَلْتُ<sup>(٦)</sup> بِاسْمِكَ معنى الحُسْنِ فَازَةً به  
لا يَنْقُصُ البَذَرُ حُسْنًا في تَغْيِبِهِ  
لِمُبْصِرِ البَذَرِ نَيْلٍ في تَرْقُبِهِ؟  
يَنْفُكُ يُبْنِدي قَبِيحًا مِنْ تَغَضُّبِهِ  
يُضْغِي لِسَمْعِ مَلامٍ مِنْ مُؤَنَّبِهِ

فأجبتَه بهذه الرسالة، وهي ظريفة في معناها<sup>(٧)</sup>:

«يا سيدي الذي إذا رُفِعَتْ رايَةُ ثَنائِهِ تَلَقَّيْتُهَا بِالْيَدَيْنِ<sup>(٨)</sup>، وإذا قُسمَتْ سِهَامُ وِداده

(١) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٢٦ - ٢٢٧).

(٢) البرق الخَلْب: الذي يطمع في المطر وليس وراءه مطر، ويضرب مثلاً في الشيء الذي لا منفعة وراءه. لسان العرب (خلب).

(٣) في الأصل: «أأنت» وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «كملت»، والتصويب من نفح الطيب.

(٥) في النسخ: «خَضِرَتْ».

(٦) في الأصل: «أَحْسَنُ» وكذا ينكسر الوزن والتصويب من نفح الطيب.

(٧) الرسالة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٢٧ - ٢٢٨).

(٨) أخذ هذا من قول الشماخ بن ضرار في عَرَابَةِ الأوسي: [الوافر]

إذا ما رايَةُ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ  
الشعر والشعراء (ص ٢٣٥).

على ذوي اعتقاده كنت صاحبَ الفريضة<sup>(١)</sup> والدَّين، دام بقاؤك لَطْرَفَةً<sup>(٢)</sup> تُبديها، وغَرِيبَةً تُزِدُّهَا بِأُخْرَى تَلِيهَا، وعَقِيلَةً بَيَانٍ تُجَلِّيهَا، ونَفْسٍ أَخَذَ الْحُزْنَ بِكَظْمِهَا، وَكَلَفَ الدَّهْرَ بِشَتْ نَظْمِهَا، تُؤْنِسُهَا وَتُسَلِّيهَا، لَمْ أَزَلْ أَعَزَّكَ اللهُ، أَشَدُّ عَلَى بَدَائِعِهَا<sup>(٣)</sup> يَدَ الضَّنِينِ<sup>(٤)</sup>، وَأَقْتَنِي دُرَرَ كَلَامِكَ، وَنَفَثَاتِ أَقْلَامِكَ، أَقْتَنَاءَ الدَّرِّ الثَّمِينِ، وَالْأَيَّامِ بَلَقِيَاكَ تَعَدُّ، وَلَا تُسْعِدُ، وَفِي هَذِهِ الْأَيَّامِ انْثَالَتْ عَلَيَّ سَمَاوُكَ بَعْدَ قَحْطِ، وَتَوَالَتْ<sup>(٥)</sup> عَلَيَّ آلاؤُكَ عَلَى شَخْطِ<sup>(٦)</sup>، وَزَارَتْني مِنْ عَقَائِلِ بَيَانِكَ كُلُّ فَائِتَةِ الطَّرْفِ، عَاطِرَةُ الْعَرْفِ، رَافِلَةٌ فِي حُلُلِ الْبَيَانِ وَالطَّرْفِ، لَوْ ضُرِبَتْ بَيُوتُهَا بِالْحِجَازِ، لَأَقَرَّتْ لَنَا الْعَرَبُ الْعَارِبَةَ بِالْإِعْجَازِ، مَا شِئْتَ مِنْ رَضْفِ الْمَبْنَى، وَمِطَاوَعَةِ اللَّفْظِ لَغَرَضِ الْمَعْنَى، وَطِيبِ الْأَسْلُوبِ، وَالتَّشْبِثِ بِالْقُلُوبِ، غَيْرَ أَنَّ سَيِّدِي أَفْرَطَ فِي التَّنْزُلِ، وَخَلَطَ الْمُخَاطَبَةَ بِالتَّغْزُلِ، وَرَاجَعَ الْإِلْتِفَاتِ، وَرَامَ اسْتِدْرَاكَ مَا فَاتَ. يَرْحَمُ<sup>(٧)</sup> اللهُ شَاعِرَ الْمَعْرِءِ، فَلَقَدْ أَجَادَ فِي قَوْلِهِ، وَأَنْكَرَ مَنَاجَاةَ الشُّوقِ<sup>(٨)</sup> بَعْدَ انْصِرَامِ حَوْلِهِ، فَقَالَ<sup>(٩)</sup>: [البسيط]

أَبْعَدَ حَوْلٍ تُنَاجِي الشُّوقَ<sup>(١٠)</sup> نَاجِيَةً هَلَا وَنَحْنُ عَلَى عَشْرِ مِنَ الْعُشْرِ<sup>(١١)</sup>

وقد<sup>(١٢)</sup> تَجَاوَزْتَ فِي الْأَمَدِ<sup>(١٣)</sup>، وَأَنْسَيْتَ أَخْبَارَ صَاحِبِكَ عَبْدِ الصُّمَدِ، فَأَقْسَمُ بِالْأَلْفَاتِ الْقُدُودِ، وَهَمْزَاتِ الْجُفُونِ السُّودِ، وَحَامِلِي<sup>(١٤)</sup> الْأَزْوَاحِ مَعَ الْأَلْوَاكِ، بِالْعُدُودِ وَالرَّوَاكِ، لَوْلَا بُعْدُ مَزَارِكَ، مَا أَمِنْتُ غَائِلَةً مَا تَحْتَ إِزَارِكَ. ثُمَّ إِنِّي حَقَّقْتُ الْغَرَضَ، وَبَحِثْتُ عَنِ الْمَشْكِالِ الَّذِي عَرَّضَ، فَقُلْتُ: لِلْمُخَوِّطِ انْتِقَالَ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالَ، وَتَخْتَلِفُ الْحَوَائِجُ بِاخْتِلَافِ الْأَوَاقَاتِ، ثُمَّ رَفَعَ الْكَبَسَ خَبِرَ الثَّقَاتِ.

(١) الفريضة: الإلزام أو الحصة منه. لسان العرب (فرض).

(٢) الطَّرْفَةُ: الغريب المستحسن. لسان العرب (طرف).

(٣) في النفع: «بدائعك».

(٤) الضنين: البخيل. لسان العرب (ضمن).

(٥) في النفع: «وتواترت لدي».

(٦) الشَّخْطُ: البعد.

(٧) في النفع: «ويرحم الله تعالى».

(٨) في الأصل: «للشوق»، والتصويب من النفع.

(٩) كلمة «فقال» غير واردة في النفع. والبيت للمعري وهو في شروح سقط الزند (ص ١١٤).

(١٠) في الأصل: «للشوق»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(١١) الناجية: الناقة السريعة. العُشْر: شجر؛ وأراد هنا المكان الذي ينبت فيه. لسان العرب (نجا) و(عشر).

(١٢) في النفع: «ولقد».

(١٣) في الأصل: «الأمَل»، والتصويب من النفع.

(١٤) في نفع الطيب: «وحامل».

ومنها<sup>(١)</sup>: وتعرّفت ما كان من مُراجعة سيدي لحرفة التّكّيب والتّعلّم، والّحين إلى العهد القديم، فسُرّرت باستقامة حاله، وفُضّل ماله، وإنّ لاحظ الملاحظ<sup>(٢)</sup>، ما قال الجاحظ<sup>(٣)</sup>، فاعتراض لا يُردُّ، وقياس لا يُضطرّد<sup>(٤)</sup>، حبّذا والله عيش أهل<sup>(٥)</sup> التّأديب، فلا بالضّنك ولا بالجديب<sup>(٦)</sup>، معاهدة الإحسان، ومشاهدة الصّور الحسان، يمينًا إنّ المُعلّمين، لسادة المُسلمين، وإنّي لأنظر منهم كلما خطرت على المكاتب، أمراء<sup>(٧)</sup> فوق المراتب، من كل مُسَيطر الدّرة، مُتَقَطّب الأسيّرة، مُتَمَنّر للوارد تَنَمّر الهرة، يَغْدو إلى مَكْتبه، كالأمير<sup>(٨)</sup> في مَوْكبه، حتى إذا استقلّ في فرشه، واستولى على عَرْشه، وترنّم بتلاوة قالونه<sup>(٩)</sup> ووزّشه، أظهر للخلق احتقارًا، وأزرى<sup>(١٠)</sup> بالجمال وقارًا، ورُفعت إليه الخصوم، ووقّف بين يديه الظّالم والمظلوم، فتقول: كسرى في إيوانه، والرّشيد في زمانه<sup>(١١)</sup>، والحجّاج بين أغوانه. وإذا<sup>(١٢)</sup> استولى على البدر السّرار، وتبيّن للشهر الغرار<sup>(١٣)</sup>، تحرك<sup>(١٤)</sup> إلى الخرج<sup>(١٥)</sup>، تحرك العود<sup>(١٦)</sup> إلى الفرج، استغفر الله مما يشقّ على سيدي سماعه، وتشمئز من ذكره<sup>(١٧)</sup> طباعه، شيم اللّسان، خلط الإساءة بالإحسان، والغفلة من صفات الإنسان. فأَيّ عَيْشٍ هذا<sup>(١٨)</sup> العيش، وكيف حال أمير هذا الجيش؟ طاعة معروفة، ووجوه إليه مَصروفة، فإن أشار بالإنصات، تتحقّق الغصّات<sup>(١٩)</sup>، فكأنّما طَمَسَ الأفواه<sup>(٢٠)</sup>، ولأم بين الشّفاء، وإن أمر بالإفصاح، وتلاوة الأنواح، علا الضّجيج والعجيج، وحفّ به كما حفّ بالبيت الحجّيج. وكم بين ذلك من رشوة تُدسّ، وعَمرة لا تُحسّ، ووغد يُسْتَنجز، وحاجة تُسْتَعجَل وتُحَقّر. هنّا الله سيدي ما خوّه، وأنساه بطيب آخره أوّله. وقد بعثت

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٢٨ - ٢٢٩).

(٢) في النفح: «اللاحظ».

(٣) يشير إلى ذم الجاحظ لمعلمي الصبيان، ويداعب أبا عبد الله اليتيم في رجوعه إلى هذه الجزفة.

(٤) في النفح: «لا يطرّد». (٥) كلمة «أهل» ساقطة في النفح.

(٦) الضنك: الضيق. الجديب: المكان المُقفر الذي لا نبات فيه. لسان العرب (ضنك) و(جذب).

(٧) في الأصل: «أمراء» وكذا لا معنى له، والتصويب من النفح.

(٨) في الأصل: «والأمير»، والتصويب من النفح.

(٩) في الأصل: «قانونه» والتصويب من النفح. وقالون وورش: مقرّنان، لكل منهما قراءته الخاصة.

(١٠) في الأصل: «وأندى» والتصويب من النفح. (١١) في النفح: «أوانه».

(١٢) في النفح: «فإذا». (١٣) في الأصل: «القرار» والتصويب من النفح.

(١٤) في الأصل: «وتحرك» والتصويب من النفح.

(١٥) في الأصل: «الخوج» ولا معنى له، والتصويب من النفح.

(١٦) في الأصل: «القرد» والتصويب من النفح. (١٧) في الأصل: «ذكره» والتصويب من النفح.

(١٨) في النفح: «كهذا». (١٩) في النفح: «لتحقّق القصّات».

(٢٠) في النفح: «على الأفواه».

بدعابتي هذه مع إجلال قَدْرِهِ، والثَّقة بِسَعَةِ صَدْرِهِ، فَلْيَتَلَقَّهَا بيمينه، وَيُفَسِّحْ لَهَا فِي الْمَرْتَبَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَدِينِهِ<sup>(١)</sup>، وَيُفَرِّغْ لِمَرَاஜَعَتِهَا وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِهِ عَمَلًا<sup>(٢)</sup> بِمُقْتَضَى دِينِهِ، وَفَضْلٍ يَقِينِهِ، وَالسَّلَامَ.

ومن شعره ما كتب به إليّ<sup>(٣)</sup>: [الكامل]

آيَاتُ حُسْنِكَ حُجَّةٌ لِلْقَالَ <sup>(٤)</sup>	فِي الْحَبِّ قَائِمَةٌ عَلَى الْعُدَالِ
يَا مَنْ سَبَى طَوْعًا عَقُولَ ذَوِي الثُّهَى	بِبِلَاغَةٍ قَدْ أُيِّدَتْ بِجَمَالِ
يَسْتَعِيدُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ مَا	يَجْلُو وَيَثْلُو مِنْ سَنِيِّ مَقَالِ
وَعَلَيْكَ أَهْوَاءُ النُّفُوسِ بِأَسْرَهَا	وَقَفْتَ فَعَبِيرُكَ <sup>(٥)</sup> لَا يَمُرُّ بِبَالِ
رُفِعَتْ لَدَيْكَ <sup>(٦)</sup> فِي الْبِلَاغَةِ رَايَةٌ	لَمَّا احْتَلَّتْ بِهَا وَحِيدَ كَمَالِ
وَعَدْتَ تُبَاهِي مِنْكَ بِالْبَذْرِ الَّذِي	تَغْنُو الْبَدُورُ لثُورِهِ الْمُتَلَالِي
مَاذَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطِيبِ لَخَاطِبِ <sup>(٧)</sup>	وَدَا يَنَافَسُ فِيكَ كُلُّ مُغَالِ <sup>(٨)</sup> ؟
جَذَبَتْهُ نَحْوَ هَوَاكَ غُرٌّ مُحَاسِنِ	مَشْفُوعَةٍ أَفْرَادَهَا بِمَعَالِ
وَشَمَائِلُ رَقَّتْ لِرَقَّةِ طَبْعِهَا	فَزَلَالِهَا يُزْرِي بِكُلِّ زُلَالِ
وَحَلِيَّ آدَابٍ بِمَثَلِ نَفِيسِهَا	تَزْهَوِ الْحُلَى وَيَجْلُ قَدْرُ الْحَالِي
تَسْتَخْدِمُ <sup>(٩)</sup> الْيَاقُوتَ عِنْدَ نِظَامِهَا	فَمُقَصِّرٌ مَنْ قَاسَهَا بِلَالِ
سَبَقَ الْأَخِيرُ الْأَوَّلِينَ بِفَضْلِهَا	فَغَدَا الْمُقَدَّمُ تَابَعًا لِلثَّلَالِي
شَغَفَنِي بِبِكْرِ <sup>(١٠)</sup> مِنْ عَقَائِلِهَا إِذَا	تَبَدُّو تُصَانُ مِنْ الْحِجَى بِحِجَالِ
فَابْعَثْ بِهَا بُنْتُ <sup>(١١)</sup> الْمُئِي مَهْمُورَةٌ	طَيِّبَ الثَّنَاءِ لِنَقْدِهَا وَالْكَالِي
لَا زَلَّتْ شَمْسًا فِي الْفَضَائِلِ يُهْتَدَى	بِسَنَّاكَ فِي الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ <sup>(١٢)</sup>
ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَثْرَى مَا تَلَّتْ	بُكَرَ الزَّمَانِ رَوَادِفُ الْأَصَالِ

(١) الخدين: الخِذْن، الصديق. لسان العرب (خذن).

(٢) كلمة «عملًا» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النسخ.

(٣) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٦٠). (٤) في الكتيبة: «للتالي».

(٥) في الأصل: «فطيرك» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٦) في الأصل: «لرؤيه»، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٧) في الكتيبة: «يخاطب». (٨) في الأصل: «مقال» والتصويب من الكتيبة.

(٩) في الأصل: «يستخدم» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(١٠) في الأصل: «بذكر» والتصويب من الكتيبة. (١١) في الأصل: «نُلت» والتصويب من الكتيبة.

(١٢) في الكتيبة: «في الأقوال والأفعال».

ومن الدُّعابة، وقد وقعت إليها الإشارة من قبل، ما كَتَبَ به إليه صديقه  
الملاطف أبو علي بن عبد السَّلام<sup>(١)</sup>: [الوافر]

أبا عبد الله نداءً خلَّ      وفي جاء يمنحك النصيحة  
إلى كم تألف الشُّبانَ غيًّا      وخِذْلانا، أما تخشى الفُضيحة؟  
فأجابه رحمه الله: [الوافر]

فَدَيْتُكَ، صاحبَ السُّمة المليحة      وَمَنْ طابَتْ أرومته الصَّريحة  
وَمَنْ قلبي وَضَعْتُ له محلًّا      فما عنه يحلُّ بأنَّ أزيحه  
نَأَيْتُ قدمُ عيني في انسكابٍ      وأكباد<sup>(٢)</sup> لَفُزَقْتَكُم قريحه  
وطَرْفي لا يُتاح له رُقَاد      وهل نوِّمُ لأجفانٍ جريحه؟  
وزاد تَشَوُّقي أبياتُ شعر      أتت منكم بالفاظٍ فصيحة  
ولم تَقْصِدْ بها جدًّا، ولكن      قَصَدَتْ بها مُداعبةً قبيحة<sup>(٣)</sup>  
فقلتُ: أَتَأَلَّفُ الشُّبانَ غيًّا      وخِذْلانا، أما تَخشى الفُضيحة؟  
وفيهنَّ<sup>(٤)</sup> جِزْفَتِي وقِوَامُ عَيْشي      وأحوالي بَخُلْطَتَهُمْ نجيحة  
وأمرى فيهم أَمْرٌ مُطاعٌ      وأَوْجُهُهُم مصابيحُ صَبِيحة  
وتعلم أنني رجلٌ حَصُورٌ<sup>(٥)</sup>      وتعرفُ ذاك معرفةً صحيحة

قال في «النَّاج»: ولَمَّا<sup>(٦)</sup> اشتهر المَشِيب بعارضه ولِئْمته، وَخَفَرَ الدهر لعمود<sup>(٧)</sup>  
صباه وأدْمَتته، أَقْلَع واسترجع، وتَأَلَّمَ لما قَرِطَ وتَوَجَّع، وهو الآن من جَلَّة الخطباءِ  
طاهرُ العِرض والثُّوب، خالِصٌ من الثُّوب، بادٍ عليه قبولٌ قابلُ التوب.  
وفاته رحمه الله: في آخر صفر من عام خمسين وسبعمائة في وقعة الطاعون  
العام، ودخل غرناطة.

(١) البيتان وجوابهما في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٢٩).

(٢) في النفع: «وأكبادي». (٣) في نفع الطيب: «وقيحة».

(٤) في المصدر نفسه: «ففيهن».

(٥) الحَصُور: من انقطع عن النساء وتفرَّغ للعبادة. وفي القرآن الكريم: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾. سورة  
آل عمران ٣، الآية ٣٩، ولسان العرب (حصر).

(٦) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٠). (٧) في النفع: «لصباه».

## ومن الغرباء في هذا الباب

محمد بن أحمد بن محمد

ابن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي<sup>(١)</sup>

من أهل تلمسان، يكنى أبا عبد الله، ويلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين.

حاله: هذا<sup>(٢)</sup> الرجل من طرفِ دهره ظَرْفًا وخصوصيةً ولطافةً، مليح التوسُّل، حسنُ اللقاء، مبدولُ البشر، كثيرُ التَّوَدُّد، نطيفُ البزَّة، لطيفُ التَّأَنِّي<sup>(٣)</sup>، خَيْرُ البيت، طَلَقَ الوجه، خَلُوبُ اللسان، طَيِّبُ الحديث، مُقدِّرُ الألفاظ، عارفُ الأبواب، دَرَبٌ على صُحبة الملوك والأشراف، مُتفاض لإيثار السلاطين والأمراء، يَسَحَرُهُمْ بخلافة لفظه، وَيَقْتَلُهُمْ<sup>(٤)</sup> في الدُّرُوة والغاربِ بَتْنَزْلِهِ، وَيَهْتَدِي إلى أغراضهم الكمينية بجذقه، وَيَضْنَع<sup>(٥)</sup> غاشيتهم بتلطُّفه، ممزُوجُ الدُّعابة بالوقار، والفكاهة بالشُّك، والحِشْمة بالبَسْط، عظيمُ المشاركة لأهل وُدِّه، والتَّعَصُّب لإخوانه، إلفٌ مألوف، كثيرُ الأتباع والعَلَق<sup>(٦)</sup>، مُسَخَّرُ الرِّقَاع في سبيل الوساطة، مُجْدِي الجاه، غاصُّ المنزل بالطلبة، مُنْقَادُ الدَّعْوَةِ، بارِعُ الخطِّ أنيقُهُ، عَذْبُ التَّلَاوَةِ، مُتَّسِعُ الرِّوَايَةِ، مشاركٌ في فنون من أصول وفروع وتفسير، يكتب ويَشْعُرُ وَيَقْيِدُ ويؤلف، فلا يَغْدُو السَّدَادُ في ذلك، فارسٌ مُنْبِرٍ، غيرُ جَزُوع ولا هَيَابَةٍ<sup>(٧)</sup>. رَحَلَ إلى المشرق في كَنْفِ حِشْمَةٍ من جناب والده، رحمه الله، فَحَجَّ وجاور، ولقي الجِلَّة، ثم فارقه، وقد عُرِفَ بالمشرق حقُّه، وصَرَفَ وجهه إلى المغرب، فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن أميرُهُ اشتمالاً خَلَطَهُ بنفسه، وجعله مَفْضَى سِرِّه، وإمام جُمُعته، وخطيب مُنْبِرِه، وأمين رسالته، فَقَدِمَ في غَرَضِهَا على الأندلس في<sup>(٨)</sup> أواخر عام ثمانية وأربعين وسبعمائة، فاجتذبه<sup>(٩)</sup> سلطانها، رحمه الله، وأجراه على تلك الوَيتيرة، فقلَّده الخُطْبَةَ بمسجده في السادس لصفر عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، وأَقْعَدَهُ للإِقْرَاءِ بالمدرسة من حَضْرَتِهِ. وفي أخريات عام أربعة

(١) ترجمة ابن مرزوق في التعريف بابن خلدون (ص ٤٩) ونيل الابتهاج (ص ٢٧٢) والديباج

المذهب (ص ٣٠٥) والدرر الكامنة (ج ٣ ص ٤٥٠) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٦٥).

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٦٦). (٣) في الأصل: «التأني» والتصويب من النفح.

(٤) يقتلهم: يداورهم. لسان العرب (قتل). (٥) في النفح: «ويصطنع».

(٦) العَلَق: الذين يتعلقون به ويتبعونه. لسان العرب (علق).

(٧) في النفح: «هياب». (٨) كلمة «في» غير واردة في النفح.

(٩) في الأصل: «واجذب» والتصويب من النفح.

وخمسين<sup>(١)</sup> بعده أَطَرَفَ عنه جَفَنَ بَرّه، في أَسْلُوبِ طِمَاح، ودَالَّةٌ، وسبيل هوى وقِيحَةٍ، فاغتنم العِبرة<sup>(٢)</sup>، وانتَهزَ الفُرصة، وأنْفَذَ في الرَّحِيلِ العَزْمَةَ، وانصرف عزيز الرُّخلة، مغبوط المُنقلب، في أوائل شعبان عام أربعة وخمسين وسبعمائة<sup>(٣)</sup>، فاستقرَّ بباب ملك المغرب، أمير المؤمنين أبي عِنان فارس في مَحَلٍّ تَجَلَّه، وبِساط قُرْب، مُشترك الجاه، مُجدي التوسُّط، ناجع الشَّفاعة، والله يتولَّاه ويزيده من فضله.

مشيخته: من كتابه المسمى «عجالة المستوفز المستجاز في ذِكر مَنْ سَمِعَ من المشايخ دون مَنْ أَجاز، من أئمة المغرب والشَّام والحجاز»: فممن<sup>(٤)</sup> لَقِيَه بالمدينة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام، الإمام العلامة عزَّ الدين محمد أبو الحسن بن علي بن إسماعيل الواسطي، صاحب خُطُطِي الإمامة والخطابة بالمسجد النبوي<sup>(٥)</sup> الكريم، وأفرد جزءاً في مناقبه. ومنهم الشيخ الإمام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى الخزرجي السَّعدي العبَّادي، تحمَّل عن عفيف الدين أبي محمد عبد السلام بن مزروع وأبي اليُمن وغيره. والشيخ الإمام خادم الوقت بالمسجد الكريم، ونائب الإمامة والخطابة به، ومُنْشِد الأمداح النبوية هنالك وبمكة، شَرَفها الله، الشيخ المُعَمَّر الثقة شرف الدين أبو عبد الله عيسى بن عبد الله الحجي<sup>(٦)</sup> المكي. والشيخ الصالح شرف الدين خضر بن عبد الرحمن العجمي. والشيخ مُقَرَّء الحرم برهان الدين إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم الأبلي<sup>(٧)</sup> البُضري. والشيخ الإمام الصالح أبو محمد عبد الله بن أسعد الشافعي الحُجَّة، انتهت إليه الرِّئاسة العلمية والخطط الشرعية بالحَرَم. والشيخ قاضي القضاة وخطيب الخطباء عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكِناني، قاضي القضاة بمصر<sup>(٨)</sup>. وبمصر الشيخ علاء الدين القُونُوي. والثَّقِي السَّعدي، وقاضي القضاة القَزْويني، والشرف أفضى القضاة الإخميمي، وكثيرون غيرهم. وسمع من عدد عديد آخر من أعلام القضاة والحُفَاط والعلماء بتونس، وبجاية، والزَّاب، وتِلْمَسَان.

محنته: اقتضى<sup>(٩)</sup> الخوض الواقع بين يدي تأميل الأمير أبي الحسن، رحمه الله، وتوقُّع<sup>(١٠)</sup> عودة الأمر إليه، وقد ألقاه اليُتم بالسَّاحل بمدينة الجزائر، أن قَبَضَ

(١) في النسخ: «وخمسين صرف عنه جفن...». (٢) في النسخ: «الفترة».

(٣) قوله: «في أوائل... وسبعمائة» غير وارد في النسخ.

(٤) النص في نسخ الطيب (ج ٧ ص ٣٦٧ - ٣٦٩). بتصرف المقرئ.

(٥) في النسخ: «بالمسجد الكريم النبوي». (٦) في النسخ: «الحجبي».

(٧) في النسخ: «الأبلي». (٨) في النسخ: «القضاة بالديار المصرية».

(٩) النص في نسخ الطيب (ج ٧ ص ٣٧١). (١٠) كلمة «توقع» غير واردة في نسخ الطيب.



عليه بَيْتُلسان أمراؤها المتوثّبون عليها في هذه الفترة من بني زَيّان، إرضاءً لِقَبيلهم المتهّم بمُداخلته، وقد رَحَلَ عنهم دَسيّسا من أميرهم عثمان بن يحيى بن عبد الرحمن بن يَغْمَراسِن، فَصُرِفَ مأخوذاً عليه طريقه، مُنتَهَباً رَحْلُهُ، مُنْتَهَكَةً حُرْمَتُهُ، وَأُسْكِنَ قَرارة مُطَبَّقَ عَمِيقِ القَعْرِ، مُقْفَلُ المَسْلَكِ، حَرِيزُ القفل، ثاني اثنين. ولأَيام قُتِلَ ثانيهِ دُثْبَحًا بِمَقْرَبَةٍ مِنْ شَفَى تلك الرُّكْبَةِ، وانقطع لشدّة الثّقاف<sup>(١)</sup> أثره، وأيقن الناس بفوات الأمر فيه. ولزمان من محنته ظهرت عليه بركة سَلَفِهِ في خبر ينظر بطرفه إلى الكرامة، فنجا ولا تَسَلَّ كيف، وخَلَّصه الله خلاصاً جميلاً، وقَدِمَ على الأندلس، والله ينفعه بمحتته<sup>(٢)</sup>.

شعره، وما وقع من المكاتبة بيني وبينه: رَكِبَ<sup>(٣)</sup> مع السلطان خارج<sup>(٤)</sup> الحمراء، أيام ضَرَبَتِ اللُّوزُ قبايها البيض، وزَيَّنَتِ الفَخَصَ العريض، والرَّوْضَ الأريض<sup>(٥)</sup>، فارتجل في ذلك: [الكامل]

انظُرْ إلى الثَّوار في أغصانه	يحكي النجوم إذا تَبَدَّتْ في الحَلَكِ
حيّا أميرَ المسلمين وقال: قد	عَمِيَتْ بصيرةٌ من بغيرك مَثَلُكُ <sup>(٦)</sup>
يا يوسفًا حُزَّتْ الجمالُ بأسره	فمحاسنُ الأيام تُومي هَيْتَ لَكَ <sup>(٧)</sup>
أنت الذي صَعِدَتْ به أوصافه	فيقال فيه: ذا مَلِيكَ أو مَلَكُ <sup>(٨)</sup>

ولما قدمْتُ على مدينة فاس في غرض الرسالة، خاطبني بمنزل الشاطبي على مَرَحَلَةٍ منها بما نصه<sup>(٩)</sup>: [الكامل]

يا قادمًا وافى بكلِّ نجاح	أُبَشِّرُ بما تَلْقاه مِن أَفراح
هذي ذُرَى ملكِ الملوك فَلُذُّ بها	تَلِّ المُنَى وتَفُزْ بكلِّ سماح
مغنى الإمام أبي عنانٍ يَمَمُنْ	تظفرُ ببحرٍ في العلى طَفَّاح

(١) قوله: «لشدّة الثّقاف» غير وارد في النسخ. (٢) في النسخ: «بنيته».

(٣) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٧٢). (٤) في النسخ: «بخارج».

(٥) الأريض: الكثير العشب. لسان العرب (أرض).

(٦) مَثَلُكُ: زعم أن لك مثيلاً. لسان العرب (مثل).

(٧) هيت لك: اسم فعل أمر بمعنى هلمّ وتعال؛ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ سورة يوسف ١٢، الآية ٢٣.

(٨) أخذه من قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْتَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ سورة يوسف ١٢، الآية ٣١.

(٩) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ١٩٨ - ١٩٩).

مَنْ قَاسَ جُودَ أَبِي عَنَانٍ ذِي<sup>(١)</sup> الندى  
 مَلِكٌ يُفِيضُ عَلَى الْعُفَاةِ نَوَالَهُ  
 فَلِجُودِ كَعْبٍ وَابْنِ سُعْدَى<sup>(٢)</sup> فِي الندى  
 مَا أَنَّ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ<sup>(٣)</sup>  
 بَسَطَ الْأَمَانَ عَلَى الْأَنَامِ فَأَصْبَحُوا  
 وَهَمَى عَلَى الْعَافِينَ سَيْبُ نَوَالِهِ  
 فَنَوَالُهُ وَجَلَالُهُ وَفِعَالُهُ  
 وَبِهِ الدُّنَا أَضْحَتْ تَرَوْقُ وَأَصْبَحَتْ  
 مِنْ كَانَ ذَا تَرَجٍ فَرُؤْيُهُ وَجْهَهُ  
 فَانْهَضَ أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ تَفَرَّزَ بِمَا  
 لَا زَلَّتْ تَرْتَشِفُ الْأَمَانِي رَاحَةً

والحمد<sup>(٥)</sup> لله يا سيدي وأخي على نعيمه التي لا تُحصى، حَمْدًا يَوْمُ بِهِ جَمِيعُنَا  
 الْمَقْصِدُ الْأَسْنَى، فَيَبْلُغُ الْأَمَدَ الْأَقْصَى، فَطَالَمَا كَانَ مُعْظَمُ سَيِّدِي لِلْأَسَى فِي خَبَالٍ،  
 وَلِلْأَسَفِ بَيْنَ اشْتِغَالِ بَالٍ، وَاشْتِغَالِ بِلْبَالٍ<sup>(٦)</sup>. وَلَقَدْ وَكَّمْتُ عَلَى هَذَا الْمَقَامِ<sup>(٧)</sup> الْعَلِيِّ فِي  
 ارْتِقَابٍ، وَلِمَوَاعِدِكُمْ<sup>(٨)</sup> بِذَلِكَ فِي تَحَقُّقِ وَقْعِهِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا ارْتِيَابٍ، فَهَا أَنْتَ  
 تَجْتَلي، مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ، لُتَشِيعَكَ<sup>(٩)</sup> وَجْهَ الْمَسَرَّاتِ صَبَاحًا، وَتَتَلَقَّى أَحَادِيثَ  
 مَكَارِمِهِ وَمَوَاهِبِهِ مُسْتَنَدَةً صَبَاحًا، بِحَوْلِ اللَّهِ. وَلِسَيِّدِي الْفَضْلِ فِي قَبُولِ مَرْكُوبِهِ الْوَاصِلِ  
 إِلَيْهِ بِسَرِّهِ وَلِجَامِهِ، فَهُوَ مِنْ بَعْضِ مَا لَدَى الْمُحِبِّ<sup>(١٠)</sup> مِنْ إِحْسَانِ مَوْلَايَ<sup>(١١)</sup>  
 وَإِنْعَامِهِ. وَلِعَمْرِي لَقَدْ كَانَ وَافِدًا عَلَى سَيِّدِي فِي مُسْتَقَرِّهِ مَعْ غَيْرِهِ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
 يَسِّرُ فِي إِيْصَالِهِ، عَلَى أَفْضَلِ أَحْوَالِهِ.

فراجعته بقولي<sup>(١٢)</sup>: [الكامل]

رَاحَتْ تَذْكُرُنِي كَوْوَسَ الرِّاحِ وَالْقَرْبُ يَخْفِضُ لِلْجَنُوحِ جَنَاحِي

(١) في النفح: «في الندى».

(٢) الضحضاح: الماء القليل. محيط المحيط (ضحضح).

(٣) ابن سعدى: هو أوس بن حارثة الطائي. (٤) في النفح: «ما إن سمعت ولا رأيت بمثله».

(٥) ما يزال النص الثري والشعري في نفح الطيب (ج ٨ ص ١٩٩ - ٢٠٠).

(٦) البلبال: الوسواس. لسان العرب (بلبل). (٧) في النفح: «هذا المحل المولوي».

(٨) في النفح: «ولمواعيدكم». (٩) في النفح: «بتشيعك».

(١٠) في النفح: «المعظم». (١١) في النفح: «مولاه».

(١٢) في النفح: «بما نصّه».

وَسَرَتْ تَدُلُّ عَلَى الْقَبُولِ كَأَنَّمَا  
حَسَنَاءُ قَدْ عَنِيَتْ بِحُسْنِ صِفَاتِهَا  
أَمَسَتْ تَحْضُ عَلَى اللَّيَازِ بِمَنْ جَرَتْ  
بِخَلِيفَةِ اللَّهِ الْمُؤَيَّدِ فَارِسِ  
مَا شِئْتَ مِنْ هِمَمٍ<sup>(٢)</sup> وَمِنْ شِيمٍ غَدَتْ  
فَضَّلَ الْمُلُوكَ فَلَيْسَ يُذَرِّكَ شَاوَهُ  
أَسْنَى بَنِي عَبَّاسِهِمْ بِلَوَانِهِ  
وَعَدَتْ مَغَانِي الْمُلْكِ لَمَّا حَلَّهَا  
وَحَيَاةٍ مِنْ أَهْدَاكَ تَحْفَةَ قَادِمٍ  
مَا زِلْتُ أَجْعَلُ ذِكْرَهُ وَثَنَاءَهُ  
وَلَقَدْ تَمَازَجَ حُبُّهُ بِجَوَارِحِي  
وَلَوْ أَنَّنِي أَبْصَرْتُ يَوْمًا فِي يَدِي  
فَالآنَ سَاعِدَنِي الزَّمَانُ وَأَيَقَنْتُ  
إِيَّاهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَإِنِّهِ  
أَمَا إِذَا اسْتَنْجَدْتَنِي مِنْ بَعْدِ مَا  
فِي لَيْكِهَا مَهْزُولَةً وَأَنَا أَمْرُؤُ

دَلَّ النَّسِيمُ عَلَى انْبِلَاجِ صَبَاحٍ  
عَنْ دُمُلُجٍ وَقِلَادَةٍ وَوَشَاحٍ  
بِسُغُودِهِ الْأَقْلَامُ فِي الْأَفْرَاحِ<sup>(١)</sup>  
شَمْسِ الْمَعَالِي الْأَزْهَرِ الْوَضَاحِ  
كَالزُّهْرِ أَوْ كَالزُّهْرِ فِي الْأَذْوَاحِ  
أَتَى يُقَاسُ الْعَمْرُ بِالضُّخْضَاحِ؟  
مَنْصُورٍ أَوْ بِحُسَامِهِ السَّقَاحِ  
تُزْهِى بِبَدْرِ هُدًى وَيَخْرُ سَمَاحٍ  
فِي الْعَرْفِ مِنْهَا رَاحَةُ الْأَرْوَاحِ  
رُوحِي وَرِيحَانِي الْأَرِيحِ وَرَاحِي  
كَتَمَازِجِ الْأَجْسَامِ بِالْأَرْوَاحِ  
أَمْرِي لَطَرْتُ إِلَيْهِ دُونَ جَنَاحٍ  
مَنْ قُرْبِهِ نَفْسِي بِفُوزٍ قِدَاحِي  
لِنِدَاءٍ وَدُّ فِي غَلَاكِ صُرَاحٍ  
رَكَدْتُ لَمَّا حَبَبَ الْخَطُوبُ رِيَا حِي  
قَرَّرْتُ عَجْزِي وَاطَّرَحْتُ سِلَاحِي

سِيدِي<sup>(٣)</sup>، أَبْقَاكَ اللَّهُ لِعَهْدِ تَحْفَظِهِ، وَوَلِيَّ بَعِينِ الْوَلَاءِ تَلَحَّظُهُ، وَصَلْتَنِي رُفْعَتِكَ  
الَّتِي ابْتَدَعْتَ<sup>(٤)</sup>، وَبِالْحَقِّ مِنْ مَدْحِ<sup>(٥)</sup> الْمَوْلَى الْخَلِيفَةِ صَدَعْتَ، وَأَلْفَنْتَنِي وَقَدْ سَطَّتْ بِي  
الْأَوْحَالَ<sup>(٦)</sup>، حَتَّى كَادَتْ تُتْلَفُ الرُّحَالُ، وَالْحَاجَةُ إِلَى الْغَدَاءِ قَدْ شَمَّرَتْ كَشَحِ الْبَطِينِ،  
وِثَانِيَةِ الْعَجْمَاوِينَ<sup>(٧)</sup> قَدْ تُوقِعُ قَوَاتٍ وَقَتَهَا وَإِنْ كَانَتْ صَلَاتُهَا صَلَاةَ الطُّيْنِ، وَالْفَكْرُ قَدْ  
غَاضَ مَعِينَهُ، وَضَعُفَ وَعَلَى اللَّهِ جَزَاءُ الْمَوْلَى الَّذِي يُعِينُهُ، فَغَزَّتْنِي بِكِتَابَةِ بَيَانِ أَسَدُهَا  
هَضُورٍ، وَعَلَتْهَا مَنْصُورٍ، وَأَلْفَاظُهَا لَيْسَ فِيهَا قُصُورٍ، وَمَعَانِيهَا عَلَيْهَا الْحُسْنُ مَقْصُورٍ،  
وَاعْتِرَافٌ مِثْلِي بِالْعَجْزِ فِي الْمَضَاقِقِ حَوْلَ وَبِئْتُهُ، وَقَوْلُ «لَا أَدْرِي» لِلْعَالَمِ فَكَيْفَ لغيره

(١) في النفع: «في الألواح». (٢) في النفع: «من شيم ومن همم...».

(٣) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٠٠ - ٢٠١).

(٤) في النفع: «أَبْدَعْتُ». (٥) في النفع: «من مولى».

(٦) في النفع: «الأوجال».

(٧) ثَانِيَةِ الْعَجْمَاوِينَ: صَلَاةُ الْعَصْرِ، وَأَوَّلَاهُمَا صَلَاةُ الظُّهْرِ؛ لِأَنَّهُمَا لَا يَجْهَرُ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ. لِسَانِ

العَرَبِ (عَجَم).

جُئْتُ، لكنها بَشَّرْتَنِي بما يَقِلُّ لمهديه<sup>(١)</sup> بَذَلُ النفوس وإن جَلْتُ، وَأَطْلَعْتَنِي من السَّراءِ على وجه تحسده الشمس إذا تَجَلَّتْ، بما أعلمت<sup>(٢)</sup> به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله، في عُنْدِهِ، وصدقِ المَخِيلَةِ في كَرَمِ مَجْدِهِ. وهذا هو الجود المَخْضُ، والفضلُ الذي شَكَرُهُ هو الفَرْضُ. وتلك الخلافة المَوْلَوِيَّةُ تَتَّصِفُ بصفة<sup>(٣)</sup> مَنْ يَبْدَأُ بِالنُّوَالِ، من قَبْلِ الضَّرَاعَةِ والسُّوَالِ، من غير اعتبار للأسباب ولا مجازاة للأعمال. نسأل الله أن يُبْقِيَ منها على الإسلام أَوْفَى الظُّلالِ، وَيُبَلِّغَهَا من فضله أَقْصَى الآمالِ. ووصل ما بعثه سيدي صحبتها من الهدية، والتحفة الودية، وقبلتها امتثالاً، واستجليتُ منها عِثْقًا وَجَمَالًا. وسيدي في الوقت أَنَسَبَ إلى اتخاذ<sup>(٤)</sup> ذلك الجنس، وأقْدَرُ على الاستكثار من إناث البَهِمِ والإنس. وأنا ضعيف القدرة، غير مستطيع لذلك إلَّا في النُّذْرَةِ، فلو رأى سيدي، ورأيه سَدَادٌ، وقَضْدُهُ فَضْلٌ ووداد، أن ينقل القَضِيَّةَ إلى باب العارية من باب الهبة، مع وجوب<sup>(٥)</sup> الحقوق المترتبة، لَبَسَطُ خاطري وَجَمَعَهُ، وعمل في رفع المؤنة على شاكِلة حالي معه، وقد استصحبت موكبًا يَشُقُّ عليَّ هجره، ويناسب مقامي شكله ونَجْرَهُ<sup>(٦)</sup>، وسيدي في الإسعاف على الله أَجْرُهُ، وهذا أمر عرض، وفرض فَرْضٌ، وعلى نظره المَعْوَلُ، واعتماد إغضائه هو المعقول الأول. والسلام على سيدي من مُعْظَمِ قَدْرِهِ، ومُلْتَزِمِ بَرِّهِ، ابن الخطيب، في ليلة الأحد السابع والعشرين لذي قعدة سنة<sup>(٧)</sup> خمس<sup>(٨)</sup> وخمسين وسبعمئة، والسَّماءُ قد جادت بمطرٍ سَهَرَتْ منه الأجفان، وظَنَّ أنه طُوفان، واللُّحاف في غَدٍ<sup>(٩)</sup> بالباب المولوي، مؤملٌ بحول الله.

ومن الشعر المنسوب إلى محاسنه، ما أنشد عنه، وبين يديه، في ليلة الميلاد المعظم، من عام ثلاثة وستين وسبعمئة بمدينة فاس المحروسة<sup>(١٠)</sup>: [مجزوء الرجز]

أيا نسيم<sup>(١١)</sup> السَّحَرِ بالله<sup>(١٢)</sup> بَلَغَ خَبَرِي  
إن أنتَ يومًا بالجَمَى جررتَ فضلَ المُنْزَرِ

(١) في النفع: «المؤديه».

(٢) في النفع: «بصفات».

(٣) في النفع: «وجود».

(٤) التَّنْجِرُ، بفتح النون وسكون الجيم: الأصل واللون. لسان العرب (نجر).

(٥) كلمة «سنة» غير واردة في النفع.

(٦) في الأصل: «خمس» وهو خطأ نحوي.

(٧) في النفع: «غدها».

(٨) القصيدة في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٧٢ - ٣٧٨).

(٩) في نفع الطيب: «قُلْ لنسيم».

(١٠) في نفع الطيب: «الله».

ثم حَثَّتْ الخطو من فوق الكَثِيبِ الْأَغْفَرِ  
مُسْتَقْرِيًا فِي عُشْبِهِ خَفِيٍّ<sup>(١)</sup> وَطَءِ الْمَطَرِ  
تُرْوِي عَنِ الضَّحَاكِ فِي الرِّيبِ وَضِ حَدِيثِ الزَّهْرِ  
مُخَلِّقَ الْأَذْيَالِ بِالْعَنْبَرِ عَبِيرٍ أَوْ بِالْعَنْبَرِ  
وَصِفَ لَجِيرَانِ الْجَمَى وَجَدِي بِهِمْ وَسَهْرِي  
وَحَقُّهُمْ مَا غَيَّرَتْ وَدِّي صُرُوفُ الْغَيْرِ  
لِلَّهِ عَهْدٌ فِيهِ قَضٌ نَيْتُ حَمِيدِ الْأَثَرِ  
أَيَّامُهُ هِيَ السَّيِّئِ أَخْسُبُهَا مِنْ عُمْرِي  
وَبِالْأَيْلِ فِيهِ مَا عَيْبَ بِغَيْرِ الْقِصْرِ  
الْعُمُرُ قَيْنَانٌ وَوَجْدُ هُ الدَّهْرُ طَلَقُ الْعُرَرِ  
وَالشُّمْلُ بِالْأَحْبَابِ مِنْ ظَوْمٍ كَنْظَمِ الدُّرَرِ  
صَفَوْ مِنْ الْعَيْشِ بِلَا شَائِبَةٍ مِنْ كَدَرِ  
مَا بَيْنَ أَهْلِ تَقْطِيفِ الْأُنْسِ جَنِيِّ الثَّمَرِ  
وَبَيْنَ أَمَالِ تُبَيِّ حُ الْقُرْبِ صَافِي الْعُدْرِ<sup>(٢)</sup>  
يَا شَجَرَاتِ الْحَيِّ حَيٍّ نَاكِ الْحَيَا مِنْ شَجَرِ  
إِذَا أَجَالَ الشُّوقُ فِي تِلْكَ الْمَغَانِي فَكَّرِي  
خَرَجَتْ مِنْ خَدِّي حديدِ تِلْكَ الْمَغَانِي فَكَّرِي  
وَقُلْتُ يَا خَدُّ أَرْوِ مِنْ شَتِّ الدَّمْعِ فَوْقَ الطُّرَرِ  
عَهْدِي بِحَادِي<sup>(٣)</sup> الرُّكْبِ كَالِدَمْعِي صِحَاخِ الْجَوْهَرِ  
وَالْعَيْسُ تَجْتَابُ الْفَلَا وَزَقَاءٍ عِنْدَ السَّحَرِ  
تَخْبِطُ بِالْأَخْفَافِ مَظَالِ الْيَغْمَلَاتِ تَنْبَرِي<sup>(٤)</sup>  
قَدْ عَطَفْتُ عَنْ مَيْدِ لَوْمِ الْبَرَى وَهُوَ بَرِي<sup>(٥)</sup>  
وَالْتَفَتْتُ<sup>(٦)</sup> عَنْ حَوَرِ

(١) في نفع الطيب: «مخفي وطاء». (٢) العُدْر: جمع غدِير. لسان العرب (غدر).

(٣) حادي الركب: الذي يحدو للإبل لتنشط في سيرها. لسان العرب (حدا).

(٤) اليغملات: جمع يغملة وهي الناقة النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل. تنبري: تعترض، أي إنها تباري الإبل في سرعة سيرها. محيط المحيط (عمل) و(بري).

(٥) البري، بالفتح: التراب. بري: أي بريء، فسهل الهمة. لسان العرب (بري) و(برأ).

(٦) في الأصل: «التفت» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

قِسِي سَيْرٍ<sup>(١)</sup> ما سوى الـ  
حتى إذا الأعلامُ حَذُ  
واستَبَشَرَ النازحُ بالـ  
وعَيْن الميقاتِ للـ  
والناس<sup>(٢)</sup> بين مُحرِم  
لَبَيْكَ لَبَيْكَ إلـ  
ولاحِثِ الكَغْبَةِ بيـ  
مقامُ إبراهيم والـ  
واغتنمَ القومُ طَوا  
وأعقبوا رُكعتي السـ  
وعَرَفُوا في عَرَفَا  
ثم أفاض الناس سعـ  
فوقفوا وكَبَّرُوا  
وفي مَتَى نالوا المُنَى  
وبعد رَمَى الجَمرا  
أكرمَ بذاك الصَّخْبِ<sup>(٣)</sup> والـ  
يا قَوْزَهُ من مَوْقِفِ  
حتى إذا كان الودا  
فأَيُّ صَبْرٍ لم يَحُنْ  
وَأَيُّ وَجْدٍ لم يَصُلْ

عَزَمَ لَهَا مِنْ وَتَرِ  
لَثَّ لِحْفِي الْبَشَرِ  
قرب وتَنِيلِ الوَطَرِ  
فَرٍ<sup>(٤)</sup> نَجَاحِ السَّفَرِ  
بالحجِّ أو مُغْتَمِر  
ه الخلقِ باري الصُّورِ  
تُ الله ذاتُ الأَثَرِ  
مَأْمُنٌ عند الدُّعَرِ  
فَ القادمِ المُبْتَدِرِ<sup>(٥)</sup>  
عي استلامَ الحَجَرِ  
تِ كُلِّ عَزْفٍ أَذْفَرِ<sup>(٦)</sup>  
يَا في غِدٍ لِلْمَشْعَرِ<sup>(٧)</sup>  
قبل الصباحِ المُسْفَرِ  
وَأَيَقِنُوا بِالظَّفَرِ  
ت كان حَلَقُ الشَّعَرِ  
له وذاك التُّفَرِ<sup>(٨)</sup>  
يا رُبْحَهُ من مَشْجَرِ  
عُ وَطَوافِ الصَّدْرِ<sup>(٩)</sup>  
أو جَلْدٍ لم يَغْدُرِ<sup>(١٠)</sup>  
وسَلْوَةٍ لم تُهَجِرِ

(١) يشبه الإبل الهزيلة السريعة بالقسي.

(٢) في النفع: «فالناس».

(٣) المبتدر: المسرع إلى عمل شيء، وأراد: طواف القدوم. لسان العرب (بدر).

(٤) الأذفر: الطيب الرائحة. لسان العرب (ذفر).

(٥) المَشْعَر: موضع مناسك الحج. محيط المحيط (شعر).

(٦) في النفع: «السُّفَر».

(٧) الصَّدْر: الرجوع، وطواف الصدر هو الطواف الذي يكون آخر أعمال الحج، سمي بذلك لأنهم

يعودون بعده إلى بلادهم.

(٨) يقول: إنهم جزعوا لمفارقة مكة.

ما أَفْجَعَ الْبَيْنَ لَقَدْ      بِ الْوَالِهِ الْمُسْتَغْفِرِ <sup>(١)</sup>  
 ثُمَّ تَنَنُوا نَحْوَ رَسُولِ      لِ اللَّهِ سَيَرِ الضُّمَرِ  
 فَعَايَنُوا فِي طَيْبَةِ      لِأَلَاءِ نَوْرِ نَيَّيرِ  
 زَارُوا رَسُولَ اللَّهِ وَاسِـ      تَشَفَّعُوا بِلَثَمِ الْجُدْرِ  
 نَالُوا بِهِ مَا أَمَلُوا      وَعَرَّجُوا فِي الْأَنَرِ  
 عَلَى الضَّجِيعِينَ أَبِي      بِكَرِ الرُّضَا وَعُمَرِ  
 زِيَارَةُ الْهَادِي الشُّفِيـ      عِ جُنَّةٍ <sup>(٢)</sup> فِي الْمَخْشَرِ  
 فَأَخْسَنَ اللَّهُ عِزَا      ءَ قَاصِدٍ لَمْ يَزُرْ  
 رَبُّعٌ تَرَى مُسْتَنْزِلَ الـ      آيٍ بِهِ وَالشُّشُورِ  
 وَمِلْتَقَى جَبْرِيلَ بِالـ      هَادِي الزُّكِيِّ الْعُنْصَرِ <sup>(٣)</sup>  
 وَرَوْضَةَ الْجَنَّةِ بِـ      يَنْ رَوْضَةٍ وَمِنْ بَرِ  
 مُنْتَخَبِ اللَّهِ وَمُخـ      تَارِ الْوَرَى مِنْ مُضَرِ  
 وَالْمُنْتَقَى وَالْكُونُ مِنْ      مَلَابِسِ الْخَلْقِ عَرِي  
 إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي أَفْقٍ      مِنْ زُحَلٍ أَوْ مُشْتَرِي <sup>(٤)</sup>  
 ذُو الْمَعْجَزَاتِ الْغُرِّ أَمـ      ثَالِ النُّجُومِ الزُّهْرِ  
 يَشْهَدُ بِالضُّدْقِ لَهُ      مِنْهَا انْشِقَاقُ الْقَمَرِ <sup>(٥)</sup>  
 وَالضُّبِّ وَالظُّبِّيِ إِلَى      نُطْقِ الْحَصَى وَالشَّجَرِ  
 مِنْ أَطْعَمِ الْأَلْفِ بِصَا      عِ فِي صَحِيحِ الْخَبَرِ  
 وَالْجَيْشِ رَوَاهُ بِمَا      ءِ الرَّاحَةِ الْمُتْهِمَرِ  
 يَا نُكْتَةَ الْكُونِ الَّتِي      فَاتَتْ مَنَالَ الْفِكْرِ <sup>(٦)</sup>  
 يَا حِجَّةَ اللَّهِ عَلَى الـ      رَائِحِ وَالْمَبْتَكِرِ  
 يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ عَلَى الـ      لَهُ وَخَيْرَ الْبَشَرِ

(١) في النفع: «المستغفر».

(٢) الجنة: بضم الجيم: الوقاية. لسان العرب (جنن).

(٣) أراد بالزكي العنصر: النبي ﷺ. (٤) في نفع الطيب: «ومشتري».

(٥) انشقاق القمر من معجزات النبي ﷺ؛ قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۖ﴾. سورة القمر ٥٤، الآية ١.

(٦) الفكرة: جمع فكرة، وأراد العقول، وقوله: فاتت منال الفكر: أي عجز المفكرون عن إدراك حقيقته.

يا من له التَّقدم الـ  
يا من لدى مولده  
إِيوَانُ كِسْرَى ارْتَجَّ إِذْ  
وَمَوْقِدُ النَّارِ طِفَا  
يا عُمْدَتِي يا مَلْجَأِي  
يا من له اللِّوَاءُ وَالـ  
يا مَنْقَذَ الْعَرَقَى وَهَم  
إِنْ لَمْ تُحَقِّقْ أَمَلِي  
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا  
يا وَبَحْ نَفْسِي كَمْ أَرَى  
واحسرتي<sup>(١)</sup> مِنْ قِلَّةِ الـ  
يُحِجُّنِي وَاللَّهُ بِالـ  
يا حُسْنَهَا مِنْ خُطْبِ  
يا حُسْنَهَا مِنْ شَجَرِ  
أَوْمِلُ الْأَوْبَةَ وَالـ  
أُسُوفُ الْعِزَمَ بِهَا<sup>(٢)</sup>  
مِنْ صَفَرٍ لِرَجَبِ  
ضَيِّغْتُ فِي الْكُبْرَةِ مَا  
وليس ما مَرَّ مِنْ الـ  
وَقَلَّ مَا أَنْ حُمِدَتْ  
ولي غريمٌ لَا يَنْبِي  
يا نَفْسُ جَدِّي قَدْ بَدَا الـ  
وَأَتَعْظِي بِمَنْ مَضَى

حَقُّ عَلَى التَّأْخِرِ  
الْمُقَدَّسِ الْمُطَهَّرِ  
ضَاقَتْ<sup>(١)</sup> قُصُورُ قَيْصَرِ  
كَأَنَّهَا لَمْ تُسْعَرْ<sup>(٢)</sup>  
يا مَفْزَعِي يَا وَزْرِي  
حَوْضُ وَوَرْدُ الْكَوْثَرِ  
رَهْنُ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ  
بُؤْتُ بِسَعْيِ الْمُخْسِرِ  
نور الدُّجَا الْمُغْتَكِرِ  
مِنْ غَفْلَتِي فِي عُمرِ<sup>(٣)</sup>  
زَادَ وَبُغْدَ السَّفَرِ  
بِرْهَانِ وَغَطُّ الْمَنْبَرِ  
لو حَرَّكَتْ مِنْ نَظْرِي<sup>(٤)</sup>  
لو أَوْزَقْتُ مِنْ ثَمَرِ  
أَمْرٍ بِكَفِّ الْقَدَرِ  
مِنْ شَهَرٍ لِشَهَرِ  
مِنْ رَجَبٍ لَصَفَرِ  
أَعْدَدْتُهِ فِي صِعْرِي  
أَيَّامَ بِالْمُنْتَظَرِ  
سَلَامَةً فِي غَرَرِ  
عَنْ<sup>(٥)</sup> طَلَبِ الْمُتَكَسِّرِ  
صَبَحَ أَلَا فَاغْتَبِرِي  
وَارْتَدَّعِي وَارْذَجِرِي

(٢) في النفع: «ضاءت».

(١) في النفع: «في غفلة من عُمُرِي».

(٤) في الأصل: «واحسروا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٥) في الأصل: «من نظر» والتصويب من النفع.

(٧) في النفع: «في».

(٦) في النفع: «به».



ما بغد شَيْبِ الْقَوْدِ مِنْ      مُرْتَقِبٍ فَشَمْرِي  
 أَنْتِ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى      فِي قُلْعَةٍ<sup>(١)</sup> أَوْ سَفَرٍ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَيْسَ مِنْ عُذْرٍ يُقْبَى      حِمُّ حُجَّةِ الْمُغْتَذِرِ  
 يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى      تَسْرِقُ طَيْبَ الْعُمْرِ  
 هَلْ أُرْتَجِي مِنْ عَوْدَةٍ      أَوْ رَجْعَةٍ أَوْ صَدَرِ  
 فَأَبْرُدَ الْغُلَّةَ مِنْ      ذَاكَ الزُّلَالِ الْخَصِرِ<sup>(٣)</sup>؟  
 مَقْتَدِيًا بِمَنْ مَضَى      مِنْ سَلَفٍ وَمَغْشَرِ  
 نَالُوا جَوَارَ اللَّهِ وَهـ      وَالْفَخْرُ لِلْمُفْتَخِرِ  
 أَرْجُو بِإِبْرَاهِيمَ مَوْ      لَانَا بِلَوْغِ الْوَطَرِ  
 فَوَعْدُهُ لَا يَمُتُّرِي      فِي الصَّدَقِ مِنْهُ الْمُتَمَتِّرِي<sup>(٤)</sup>  
 فَهُوَ<sup>(٥)</sup> الْإِمَامُ الْمُزْتَضَى      وَالْخَيْرُ ابْنُ الْخَيْرِ  
 أَكْرَمُ مِنْ نَالِ الْمُنَى<sup>(٦)</sup>      بِالْمُزْهَفَاتِ الْبُثْرِ  
 مُمَهَّدُ الْمَلِكِ وَسِيـ      فُ الْحَقِّ وَاللَّيْثِ الْجَرِي  
 خَلِيفَةُ اللَّهِ الَّذِي      فَاقَ بِحَسَنِ السَّيْرِ  
 وَكَانَ مِنْهُ الْخُبْرُ فِي الـ      عَالِيَاءِ وَفَقَّ الْخَبَرِ  
 فَصَدَّقَ التَّصَدِيقُ مِنْ      مَرَاهِ لَلْثَّاصُورِ  
 وَمُسْتَعِينُ اللَّهِ فِي      وَزْدٍ لِهـ وَصَدَرِ  
 فَاقَ الْمَلُوكَ الصُّيْدَا<sup>(٧)</sup> بِالـ      مَجْدِ الرَّفِيعِ الْخَطَرِ  
 فَأَصْبَحَتْ أَلْقَابُهُمْ      مَنَسِيَّةً لَمْ تُذْكَرِ  
 وَحَازَ مِنْهُمْ<sup>(٨)</sup> أَوْحَدُ      وَضَفَّ الْعَدِيدَ الْأَكْثَرِ  
 بِرَأْيِهِ الْمَأْمُونِ أَوْ      عَسْكَرِهِ الْمُظَفَّرِ  
 بِسَيْفِهِ السَّفَّاحِ أَوْ      بَعَزْمِهِ الْمُقْتَدِرِ<sup>(٩)</sup>

(١) القلعة: الانتقال. لسان العرب (قلع).

(٢) السفر: العذب البارد. لسان العرب (خصر).

(٣) الخصر: نفح الطيب: «ممتري». وامترى في الشيء: شك فيه. محيط المحيط (مرى).

(٤) في نفح الطيب: «وهو».

(٥) في الأصل: «الصيد»، والتصويب من النفح.

(٦) في النفح: «منه».

(٧) في هذا البيت والذي يليه تورية بأسماء بعض الخلفاء.

بالْعَلَمِ المنصور أو      بالذَّابِلِ المُسْتَنْصِر<sup>(١)</sup>  
 بابن<sup>(٢)</sup> الإمام الط      هار البرّ الزكي السّير  
 مَذْحُكٌ قَدْ عَلِمَ نَظ      م الشَّعْر مَنْ لَمْ يَشْعِر  
 جَهْدُ الْمُقِلِّ اليَوْمَ مِنْ      مثلي كَوْنُوعِ الْمُكْثَرِ  
 فَإِنْ يُقْصِرْ ظَاهِرِي      فلم يُقْصِرْ مُضْمِرِي

وَوَرَدَتْ<sup>(٣)</sup> على<sup>(٤)</sup> باب السلطان الكبير العالم<sup>(٥)</sup> أبي عنان، فَبَلَوْتُ مِنْ مشاركته، وَحَمِيد سعيه ما يليق بمثله. وَلَمَّا نَكَبَهُ لَمْ أَقْصِرْ عَنْ مُمَكِّن حِيلَةٍ فِي أَمْرِهِ. وَلَمَّا<sup>(٦)</sup> هَلَكَ السُّلْطَانُ أَبُو عَنَّان، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَصَارَ الْأَمْرُ لِأَخِيهِ الْمُتَلَحِّقِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ أَبِي سَالِمٍ بَعْدَ الْوَلَدِ الْمُسَمَّى بِالسَّعِيدِ، كَانَ مِمَّنْ ذَمَّتْ<sup>(٧)</sup> لَهُ الطَّاعَةُ، وَأَنَاخَ رَا حِلَةَ الْمُلْكِ، وَحَلَبَ ضَرْعَ الدَّعْوَةِ<sup>(٨)</sup>، وَخَطَبَ عُرُوسَ الْمَوْهَبَةِ، فَأَنْشَبَ ظُفْرَهُ فِي مَتَابِ مَعْقُودٍ مِنْ لَدُنِ الْأَبِّ، مَشْدُودٍ مِنْ لَدُنِ الْقُرْبَةِ<sup>(٩)</sup>، فَاسْتَحْكَمَ عَنْ قُرْبٍ، وَاسْتَغْلَظَ عَنْ كَثْبٍ، فَاسْتَوْلَى عَلَى أَمْرِهِ، وَخَلَطَهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَسْتَأْثِرْ عَنْهُ بَيْتُهُ، وَلَا انْفَرَدَ بِمَا سِوَى بَضْعِ أَهْلِهِ، بِحَيْثُ لَا يَقْطَعُ فِي شَيْءٍ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ، وَلَا يَمْحُو وَيُثْبِتُ إِلَّا وَاقِفًا عِنْدَ حَدِّهِ، فَغَشِيَتْ بَابَهُ الْوُفُودُ، وَصُرِفَتْ إِلَيْهِ الْوُجُوهُ، وَوُقِفَتْ عَلَيْهِ الْأُمَالُ، وَخَدَمَتْهُ الْأَشْرَافُ وَجُلِيَتْ إِلَى سُدَّتِهِ بَضَائِعُ الْعُقُولِ وَالْأُمُوالِ، وَهَازَتْهُ الْمُلُوكُ، فَلَا تَخْذُو<sup>(١٠)</sup> الْحُدَاةَ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا تَحْطُ الرُّحَالُ إِلَّا لَدَيْهِ. إِنْ خَصَرَ أَجْرِي الرِّسْمَ، وَأَنْفَذَ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ، لَخَطَا أَوْ سِرَّازًا أَوْ مَكَاتِبَةً، وَإِنْ غَابَ، تَرَدَّدَتْ الرِّقَاعُ، وَاخْتَلَفَتْ الرُّسُلُ. ثُمَّ انْفَرَدَ أَخِيرًا بِبَيْتِ الْخَلْوَةِ، وَمُنْتَبِذَ الْمُتَنَاجَاةِ، مِنْ دُونِهِ مُضْطَفُّ الْوُزَرَاءِ، وَغَايَاتِ الْحُجَابِ، فَإِذَا انْصَرَفَ تَبَعَتَهُ الدُّنْيَا، وَسَارَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ الْوُزَرَاءُ، وَوُقِفَتْ بِبَابِهِ الْأُمَرَاءُ، قَدْ وَسِعَ الْكُلُّ لِحْظَهُ، وَشَمِلَهُمْ بِحَسَبِ الرُّتَبِ وَالْأُمُوالِ رَغْبُهُ، وَوَسَمَ أَفْذَاذَهُمْ تَسْوِيْدَهُ، وَعَقَدَتْ بَيْنَانِ عَلَيْهِمْ بَنَانُهُ. لَكِنْ رَضِيَ النَّاسُ غَايَةً<sup>(١١)</sup> لَا تُدْرِكُ، وَالْحَقْدُ<sup>(١٢)</sup> بَيْنَ بَنِي آدَمَ قَدِيمٍ، وَقَبِيلُ الْمَلِكِ مَبَايِنٌ لِمِثْلِهِ، فَطُويِتِ الْجَوَانِحُ مِنْهُ<sup>(١٣)</sup> عَلَى سَلِّ،

(١) في النفع: «المتنصر».

(٢) في النفع: «يا ابن».

(٣) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٧٩ - ٣٨٠).

(٤) كلمة «على» غير واردة في النفع.

(٥) كلمة «العالم» غير واردة في النفع.

(٦) في النفع: «فلما».

(٧) في النفع: «دانث».

(٨) في النفع: «الدولة».

(٩) في النفع: «التقرب».

(١٠) لا تحدد الحداة إلا إليه: لا تشد الرحال إلا إليه.

(١١) في النفع: «الغاية».

(١٢) في النفع: «والحسد».

(١٣) كلمة «منه» غير واردة في النفع.

وَحْنِيتِ الضُّلُوعِ عَلَى بَثٍّ، وَأَغْمَضْتَ الْجَفُونَ عَلَى قَذَى، إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ نَكْبَتِهِ<sup>(١)</sup> مَا هُوَ مَعْرُوفٌ، جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُ طُهْرًا.

وَلَمَّا جَرَتْ الْحَادِثَةُ عَلَى السُّلْطَانِ<sup>(٢)</sup> بِالْأَنْدَلُسِ، وَكَانَ لِحَاقُ جَمِيعِنَا بِالْمَغْرِبِ، جَنَيْتُ ثَمْرَةً مَا أَسْلَفْتُهُ فِي وَدَّهِ، فَوْقَى كَيْلٍ<sup>(٣)</sup> الْوَفَا، وَأَشْرَكَ فِي الْجَاهِ، وَأَدَّرَ الرِّزْقَ، وَرَفَعَ الْمَجْلِسَ بَعْدَ التَّنْسِيبِ<sup>(٤)</sup> فِي الْخِلَاصِ وَالسَّعْيِ فِي الْجَبْرِ، جَبَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَ لَهُ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى ذَلِكَ، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾<sup>(٥)</sup>.

وَلَمَّا انْقَضَى أَمْرُ سُلْطَانِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَذَفَ بِهِ بَحْرُ التَّمَحِيصِ إِلَى شَطْطِهِ، وَأَضْحَى جَوْ الثُّكْبَةِ بَعْدَ انْطِبَاقِهِ، أَثَرَ التَّشْرِيقِ بِأَهْلِهِ وَجُمْلَتِهِ، وَاسْتَقَرَّ بِتُونِسَ خَطِيبُ الْخِلَافَةِ، مَقِيمًا عَلَى رَسْمِهِ مِنَ التَّجَلَّةِ، ذَائِعَ الْفَضْلِ هُنَاكَ وَالْمِشَارَكَةِ، وَهُوَ بِحَالِهِ الْمَوْصُوفَةِ إِلَى الْآنَ، كَانَ اللَّهُ لَهُ.

وَكُنْتُ<sup>(٦)</sup> أَحْسَسْتُ مِنْهُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ<sup>(٧)</sup> الْوَارِدَةَ صَاحِيَةً إِلَى الدُّنْيَا، وَحَنِيتُ لِمَا فَارَقَ<sup>(٨)</sup> مِنْ غُرُورِهَا، فَحَمَلَنِي الطُّورُ الَّذِي ارْتَكَبْتُهُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، بِتَوْفِيقِ اللَّهِ، عَلَى أَنْ خَاطَبْتُهُ<sup>(٩)</sup> بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَحَقُّهَا أَنْ يَجْعَلَهَا خِدْمَةً الْمُلُوكِ مِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَى نُبْلِ، أَوْ يُلَمُّ<sup>(١٠)</sup> بِمَعْرِفَةٍ، مُضْحَقًا يَذْرُسُهُ، وَشِعَارًا يَلْتَزِمُهُ، وَهِيَ<sup>(١١)</sup>:

سَيِّدِي الَّذِي يَدُهُ الْبَيْضَاءُ لَمْ تَذْهَبْ بِشَهْرَتِهَا الْمَكَافَاةَ<sup>(١٢)</sup>، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَذْحِهَا الْأَفْعَالِ وَلَا تَغَايِرَتْ فِي حَمْدِهَا<sup>(١٣)</sup> الصِّفَاتِ، وَلَا تَزَالُ تَعْتَرِفُ بِهَا الْعِظَامُ الرُّفَاتِ، أَطْلَقَكَ اللَّهُ مِنْ أَسْرِ الْكُونِ<sup>(١٤)</sup> كَمَا أَطْلَقَكَ مِنْ أَسْرِ بَغْضِهِ، وَرَشَّدَكَ<sup>(١٥)</sup> فِي سَمَائِهِ الْعَالِيَةِ وَأَرْضِهِ، وَحَقَّرَ الْحِطُّ فِي عَيْنِ بَصِيرَتِكَ بِمَا يَحْمِلُكَ عَلَى رَفْضِهِ. اتَّصَلَ بِي الْخَبَرُ السَّارَ مِنْ تَرْكِكَ لَشَانِكَ، وَإِجْنَاءِ اللَّهِ إِلَيْكَ ثَمْرَةَ إِخْسَانِكَ، وَانْجِيَابِ ظَلَامِ

(١) فِي النَّفْحِ: «نَكْبَتُهُ الثَّالِثَةُ».

(٢) فِي النَّفْحِ: «فَوْقَى الْكَيْلِ».

(٣) فِي النَّفْحِ: «النَّسَبُ».

(٤) سُوْرَةُ الشُّعْرَاءِ ٢٦، الْآيَاتَانِ: ٨٨، ٨٩.

(٥) النَّصُّ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (ج ٧ ص ١٣٧ - ١٣٨).

(٦) فِي النَّفْحِ: «كُتِبَ الْوَارِدَةُ إِلَيَّ صَاحِيَةً...» (٨) فِي النَّفْحِ: «بِلَا».

(٩) فِي النَّفْحِ: «أَخَاطَبُهُ».

(١٠) فِي النَّفْحِ: «وَيُلَمُّ».

(١١) الرِّسَالَةُ مَعَ الشُّعْرِ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (ج ٧ ص ١٣٨ - ١٣٩).

(١٢) فِي النَّفْحِ: «الْمَكَافَاتُ».

(١٣) قَوْلُهُ: «فِي حَمْدِهَا» غَيْرُ وَارِدٍ فِي النَّفْحِ.

(١٤) فِي النَّفْحِ: «كُلُّ الْكُونِ».

(١٥) فِي النَّفْحِ: «وَزَهْدُكَ فِي سَمَائِهِ الْفَانِيَةِ وَفِي أَرْضِهِ».

الشدة الحالِك، عن أفق حالِك، فكبرت<sup>(١)</sup> لانتشاق عفو الله العطر<sup>(٢)</sup>، واستغبرث لتضاؤل الشدة بين يدي الفرج لا يسوى ذلك من رضى مخلوق يؤمر فيأتمر، ويدعوه القضاء فيبتدئ<sup>(٣)</sup>، إنما هو في<sup>(٤)</sup>، وظل ليس له من الأمر شيء، ونسأله<sup>(٥)</sup> جل وتعالى أن يجعلها آخر عهدك بالدنيا وبنيها، وأول معارج نفسك التي تقربها من الحق وتذنيها، وكأني<sup>(٦)</sup> والله أحس بثقل هذه الدعوة على سمعك، ومضادتها ولا حول ولا قوة إلا بالله لطبعك، وأنا أنافرك إلى العقل الذي هو قسطاس الله في عالم الإنسان، والآلة لبث العدل والإحسان، والمَلِك الذي يبين عنه ترجمان اللسان، فأقول: ليت شعري ما الذي غبط سيدي بالدنيا، وإن بلغ من زبرجها<sup>(٧)</sup> الرتبة العليا، وأفرض<sup>(٨)</sup> المثال لحالة<sup>(٩)</sup> إقبالها، ووصل جبالها، وضراعة سبالتها، وخشوع جبالها. ألتوقع المكروه صباح مسا<sup>(١٠)</sup>، وارتقاب الجلالة التي تدل من النعيم البأسا<sup>(١١)</sup>، ولزوم المنافسة التي تُعادي الأشراف والرؤساء<sup>(١٢)</sup>؟ أترتب العتب، حتى<sup>(١٣)</sup> على التقصير في الكتب، وضعية جار الجنب، ولوع الصديق بإحصاء الذنب؟ أالنسبة وقائع الدولة إليك وأنت بري، وتطويقك المؤبقات وأنت منها عري؟ ألاستهدافك للمضار التي تنتجها غيره الفروج، والأحقاد التي تضطربها<sup>(١٤)</sup> ركة السروج وسرحه المروج، ونجوم السما ذات البروج؟ ألتقليدك التقصير فيما ضاقت عنه طاقتك، وصحت إليه فافتك، من حاجة لا يقتضي قضاءها<sup>(١٥)</sup> الوجود، ولا يكفيها<sup>(١٦)</sup> الركوع لملك والسجود؟ ألقطع الزمان بين سلطان يغبد، وسهام للغيوب تكبد، وعجاجة<sup>(١٧)</sup> شر تلبد، وأقبوحة تخلد وتؤبد؟ ألويزر يصانع ويدارى، وذو حجة صحيحة يجادل في مزياة السلطان ويمارى، وعورة لا توارى؟ ألباكرة كل عائب<sup>(١٨)</sup> حاسد، وعدو مستأيد، وسوق للإنصاف والشفقة كاسد، وحال فاسد؟ ألو فود<sup>(١٩)</sup> تتزاحم بسدتك،

(١) قوله: «فكبرت»، وفي الفرج من بعد الشدة اعتبرت، لا يسوى...، غير وارد في النفع.

(٢) في الأصل: «العاطر»، وقد صوبناه لتستقيم السجعة.

(٣) يتندر: يسرع.

(٤) الفي: الظل.

(٥) في النفع: «ونسأل الله جلّ وعلا...». (٦) في النفع: «وكأني».

(٧) الزبرج: الزينة من وشي أو جوهر ونحو ذلك. محيط المحيط (زبرج).

(٨) في النفع: «ونفرض».

(٩) في النفع: «بحال».

(١٠) في النفع: «صباحاً ومساءً».

(١١) في النفع: «البأساء».

(١٢) في النفع: «والرؤساء».

(١٣) كلمة «حتى» غير واردة في النفع.

(١٤) في النفع: «تضبطها».

(١٥) في الأصل: «قضاها» والتصويب من النفع.

(١٦) في النفع: «ولا يكفيها».

(١٧) العجاجة: العجاج وهو الغبار. محيط المحيط (عجج).

(١٨) في النفع: «قرن».

(١٩) في النفع: «ألو فود».

مُكَلِّفَةٌ لَكَ غَيْرَ مَا فِي طَوِّكَ، فَإِنْ لَمْ تَنْتَلِ أَغْرَاضَهَا<sup>(١)</sup> قَلَبْتَ عَلَيْكَ السَّمَاءَ مِنْ فَوْقِكَ؟ أَلْجَسَاءُ بَبَابِكَ، لَا يَقْطَعُونَ زَمَنَ<sup>(٢)</sup> رَجُوعِكَ وَإِيَابِكَ، إِلَّا بِقَبِيحِ اغْتِيَابِكَ؟ فَالْتَّصِرُفَاتُ تُمَتَّقَتْ، وَالْقَوَاطِعُ التُّجُومِيَّاتُ<sup>(٣)</sup> تَوَقَّتْ، وَالْأَلَاقِي<sup>(٤)</sup> تَبَّتْ، وَالسَّعَايَاتُ تَحُتُّ، وَالْمَسَاجِدُ يُشْتَكِي فِيهَا<sup>(٥)</sup> الْبَثُّ، يَعْتَقِدُونَ أَنَّ السُّلْطَانَ فِي يَدِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِمَارِ الْمَدْبُورِ، وَالْيَتِيمِ الْمَخْجُورِ، وَالْأَسِيرِ الْمَأْمُورِ، لَيْسَ لَهُ شَهْوَةٌ وَلَا غَضَبٌ، وَلَا أَمَلٌ فِي الْمُلْكِ وَلَا أَرْبٌ، وَلَا مَوْجِدَةٌ<sup>(٦)</sup> لِأَحَدٍ كَامِنَةٌ، وَلِلشَّرِّ ضَامِنَةٌ، وَلَيْسَ فِي نَفْسِهِ عَنْ رَأْيِ نَفْرَةٍ، وَلَا بِإِزَاءِ مَا لَا يَقْبَلُهُ نَزْوَةٌ وَطَفْرَةٌ، إِنَّمَا هُوَ جَارِحَةٌ لَصِيدِكَ، وَعَانٌ فِي قَيْدِكَ، وَآلَةٌ لَتَصْرُفَ كَيْدِكَ، وَأَنْتَ عِلَّةُ حَيْفِهِ، وَمُسْلُطُ سَيْفِهِ: الشَّرَارُ يَسْمُلُونَ عُيُونَ النَّاسِ بِاسْمِكَ، ثُمَّ يَمَزُقُونَ بِالْغَيْبَةِ مَزَقَ جِسْمِكَ، قَدْ تَنَخَّلَهُمُ الْوُجُودُ أَخْبَثَ مَا فِيهِ، وَاخْتَارَهُمُ السَّفِيهِ فَالسَّفِيهِ، إِذْ الْخَيْرُ يُسْرِهُ<sup>(٧)</sup> اللَّهُ عَنِ الدُّوْلِ وَيُخْفِيهِ، وَيُقْنِعُهُ بِالْقَلِيلِ فَيَكْفِيهِ، فَهَمْ يَمْتَنَحُونَ بِكَ وَيُولُونُكَ الْمَلَامَةَ، وَيَقْتَحِمُونَ<sup>(٨)</sup> عَلَيْكَ أَبْوَابَ الْقَوْلِ وَيَسُدُّونَ طُرُقَ السَّلَامَةِ، وَلَيْسَ لَكَ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ إِلَّا مَا يَعُوزُكَ مَعَ ارْتِفَاعِهِ، وَلَا يَقُوتُكَ مَعَ انْقِشَاعِهِ، وَذَهَابِ صُدَاعِهِ، مِنْ غِذَاءِ يُشْبِعُ، وَثَوْبٍ يُقْنِعُ، وَفِرَاشٍ يُنِيْمُ، وَخَدِيمٍ يَقْعُدُ وَيُقِيمُ. وَمَا الْفَائِدَةُ فِي فُرْشٍ تَحْتَهَا جَمْرُ الْعِضَاءِ، وَمَالٌ مِنْ وَرَائِهِ سُوءُ الْقَضَاءِ، وَجَاهٌ يُحَلِّقُ عَلَيْهِ سَيْفٌ مُتَنَضِيٌّ؟ وَإِذَا بَلَغَتْ النَّفْسُ إِلَى الْإِلْتِذَاذِ بِمَا لَا تَمْلِكُ، وَاللَّجَاجِ حَوْلَ الْمَسْقَطِ الَّذِي تَعْلَمُ أَنَّهَا فِيهِ تَهْلِكُ<sup>(٩)</sup>، فَكَيْفَ تُنْسَبُ<sup>(١٠)</sup> إِلَى ثُبُلٍ، أَوْ تَسِيرُ<sup>(١١)</sup> مَعَ<sup>(١٢)</sup> السَّعَادَةِ فِي سُبُلٍ؟ وَإِنْ وَجَدْتَ فِي الْقُعُودِ<sup>(١٣)</sup> بِمَجْلِسِ التَّحِيَةِ، بَعْضَ الْأَرِيحِيَّةِ، فَلَيْتَ شِغْرِي أَيْ شَيْءٍ زَادَهَا، أَوْ مَغْنَى أَفَادَهَا، إِلَّا مُبَاكَرَةً وَجْهَ الْحَاسِدِ، وَذِي الْقَلْبِ الْفَاسِدِ، وَمَوَاجَهَةَ الْعَدُوِّ الْمُسْتَأْسِدِ؟ أَوْ شَعَزَتْ بِبَعْضِ الْإِنْسَانِ، فِي الرُّكُوبِ بَيْنَ النَّاسِ. هَلْ<sup>(١٤)</sup> التَّدَّتْ إِلَّا بِجَلْمٍ كَاذِبٍ، أَوْ جَذَبَهَا غَيْرُ الْغُرُورِ مُجَاذِبٌ<sup>(١٥)</sup>؟ إِنَّمَا الْحَلِيَّةُ<sup>(١٦)</sup> وَافْتَنَّكَ مِنْ يُحَدِّقُ إِلَى الْبِزَّةِ، وَيَسْتَطِيلُ مَدَّةَ الْعِزَّةِ، وَيَرْتَابُ إِذَا حُدَّتْ<sup>(١٧)</sup>

(١) في النفخ: «فإن لم يقع الإسعاف قلبت...».

(٢) في النفخ: «زمان».

(٣) كلمة «النجوميات» ساقطة في النفخ.

(٤) الألاقِي: جمع أَلَقِيَّة وهي ما ألقى من التحاجي والألغاز. لسان العرب (لقي).

(٥) في النفخ: «في حلقها».

(٦) الموجدة: الغضب. لسان العرب (وجد).

(٧) في النفخ: «يسره».

(٨) في المصدر نفسه: «ويفتحون».

(٩) في الأصل: «تملك» والتصويب من النفخ.

(١٠) في الأصل: «أو يسر» والتصويب من النفخ.

(١١) في الأصل: «من».

(١٢) في النفخ: «ما».

(١٣) في النفخ: «جاذب».

(١٤) في النفخ: «إنما راكبك من يُحدِّق إلى الحلية والبيزة...».

(١٥) في النفخ: «حدثت».

بخبرك، وَيَتَّبِعْ بِالنَّدِّ والتَّجَسُّسِ مواقعَ نظرك، وَيَمْنَعُكَ منَ مسَايرةِ أَنْيْسِكَ<sup>(١)</sup>،  
ويحتال على فراغ كَيْسِكَ، وَيُضْمِرُ الشَّرَّ لك وَلِرَيْسِكَ<sup>(٢)</sup>. وأيُّ راحةٍ لمن لا يُبَاشِرُ  
قَضْدَهُ، وَيَسِيرُ<sup>(٣)</sup> متى شاءَ وَخَدَهُ؟ ولو صَحَّ في هذه الحالِ اللهُ حَظًّا، وَهَبَهُ زَهِيدًا،  
أو عَيْنَ<sup>(٤)</sup> للرُّشدِ عملاً حميدًا، لَسَاغَ الصَّابُ<sup>(٥)</sup>، وَخَفَّتِ الأَوْصَابُ<sup>(٦)</sup>، وَسَهَّلَ  
المُصَابُ. لكن الوقتَ أَشْغَلَ، والفكرَ أَوْغَلَ، والزَّمنُ قد غَمَرَتْهُ الحَصَصُ الوَهْمِيَّةُ،  
وَاسْتَفْتَدَتْ مِنْهُ الكَمِّيَّةُ، أما ليلُهُ ففَكَرَ أو نَوَّمَ، وَعَثَبَ يَجْرُ<sup>(٧)</sup> الضَّرَاسُ وَلَوْمُ، وأما  
يَوْمُهُ فَتَذِيرٌ، وَقَبِيلٌ وَدَبِيرٌ، وأمورٌ يَغِيَا بها ثَبِيرٌ<sup>(٨)</sup>، وبلاءٌ مُبِيرٌ، وَلَغَطٌ لا يدخلُ فيه  
حَكِيمٌ كبيرٌ، وأنا بِمِثْلِ ذلكِ خَبِيرٌ. وواللهِ يا سَيِّدِي، وَمَنْ فَلَقَ الْحَبَّ وأَخْرَجَ  
الْأَبَّ<sup>(٩)</sup>، وَذَرَأَ من مَشَى ومن<sup>(١٠)</sup> دَبَّ، وَسَمَّى نفسه الرَّبَّ، لو تعلقَ المَالُ الَّذِي  
يَجِدُهُ هذا الكَذْحُ<sup>(١١)</sup>، وَيُورِي سَقِيظَهُ هذا القَذْحُ، بِأَذْيَالِ الكَوَاكِبِ، وَزاحمتِ الْبَذَرُ  
بِذْرَهُ بِالمَنَاكِبِ، لَمَّا<sup>(١٢)</sup> وَرِثَهُ عَقِبٌ، ولا خَلَصَ به مُخْتَقِبٌ<sup>(١٣)</sup>، ولا فازَ به سَافِرٌ  
ولا مُتَنَقِّبٌ. والشَّاهدُ الدُّولُ والمَشَائِمُ<sup>(١٤)</sup> الأولُ: فأينَ الرُّبَاعُ الْمُقْتَنَاءُ؟ وأينَ الدِّيَارُ  
الْمُبْتَنَاءُ<sup>(١٥)</sup>؟ وأينَ الحَدَائِقُ<sup>(١٦)</sup> الْمُغْتَرَسَاتُ، وأينَ الدُّخَانُ المُخْتَلَسَاتُ؟ وأينَ الودائعُ  
المُؤَمَّلَةُ، وأينَ الأماناتُ الْمُحْمَلَةُ؟ تَأْذَنُ اللهُ بِتَثْبِيرِهَا، وإِذْنَاءِ نارِ التَّبَارِ<sup>(١٧)</sup> من  
دنانيرِهَا، فَقَلَمًا تَلْقَى أعقابَهُمْ إِلَّا أَغْرَاءَ الظُّهُورِ<sup>(١٨)</sup>، مُتَرَمِّقِينَ بِجَرَائِاتِ<sup>(١٩)</sup> الشُّهُورِ،  
مُتَعَلِّلِينَ بِالْهَبَاءِ المَثُورِ، يُطَرَّدُونَ مِنَ الأبوابِ التي حُجِبَ عِنْدَهَا<sup>(٢٠)</sup> أَبَاؤُهُمْ، وَعُرِفَ

(١) في الأصل: «من شارة أنيسك»، والتصويب من النفع.

(٢) في الأصل: «ولرئيسك» والتصويب من النفع.

(٣) في النفع: «ويمشي إذا شاء...». (٤) في النفع: «وعين».

(٥) الصاب: عصارة شجر مر. لسان العرب (صوب).

(٦) الأوصاب: جمع وصب وهو المرض. لسان العرب (وصب).

(٧) في النفع: «بجرا الضرائر ولوم».

(٨) ثبير: أعلى جبال مكة وأعظمها. الروض المعطار (ص ١٤٩).

(٩) الأب: الكلأ والمرعى. لسان العرب (أب).

(١٠) في الأصل: «ما» والتصويب من النفع. (١١) في النفع: «الذي يجزه هذا القذح».

(١٢) في الأصل: «لا» والتصويب من النفع.

(١٣) محتقب: محتمل؛ يقال: احتقب الشيء إذا وضعه في حقيقته. لسان العرب (حقب).

(١٤) في الأصل: «والمشاييم». (١٥) في الأصل: «المبتدأة» والتصويب من النفع.

(١٦) في النفع: «الحوائط».

(١٧) في الأصل: «وإذناء وتار التيارات»، والتصويب من النفع. والتثبير: الإهلاك. والتبار: الهلاك.

محيط المحيط (تبر).

(١٨) في الأصل: «إلا أغربًا للطمور» والتصويب من النفع.

(١٩) في النفع: «لجرايات». (٢٠) في النفع: «عنها».

منها إباؤهم، وشُمٌّ من مقاصيرها عَنَبُرُهم وَكَبَاؤُهم، لم<sup>(١)</sup> تُسامحهم الأيام إلا في إرثٍ مُحَرَّرٍ، أو حلالٍ مُقَرَّرٍ، وربما مَحَقَهُ الحَرَامُ، وتَعَذَّرَ منه المَرَامُ. هذه، أعزُّك الله، حالٌ قَبُولِها<sup>(٢)</sup> ومالها مع الترفيه، وعلى فرض أن يَسْتَوِي العُمُرُ في العِزِّ مُسْتَوِيهِ. وأما ضِدُّه من عدوٍ يتحكَّم وَيُنْتَقِم، وَحُوثٌ بَغْيٍ يَبْتَلِع وَيَلْتَقِم، وَطَبَقٌ<sup>(٣)</sup> يَحْجِبُ الهواء، وَيُطِيلُ في الثَّرَابِ الثَّوَاءَ، وَثُعْبَانٌ قَيْدٌ<sup>(٤)</sup> يعضُ السَّاقَ، وشُؤْبُوبٌ عذابٌ يُمَزَّقُ الأَبْشَارَ الرِّقَاقَ، وَغِيلَةٌ يَهْدِيهَا الْوَاقِبُ<sup>(٥)</sup> الغَاسِقُ، وَيَجْرَعُهَا الْعَدُوُّ الْفَاسِقُ، [فصرف السوق، وسلعته المعتادة الطروق<sup>(٦)</sup>]، مع الأَفْوَلِ والشُّرُوقِ. فهل في شيءٍ من هذا مُغْتَبِطٌ لِنَفْسٍ حُرَّةٍ، أو ما يساوي جُرْعَةً حَالٍ مُرَّةٍ؟ واحسرتاه للأحلام ضَلَّتْ، وللأقدام زَلَّتْ، ويا لها مُصِيبَةٍ جَلَّتْ! ولسيدي أن يقول: حَكَمَتْ عَلَيَّ<sup>(٧)</sup> باستِثقالِ المَوْعِظَةِ واستِجْفائِها، ومُرَاوَدَةِ الدُّنْيَا بَيْنَ خَلَائِهَا وَأَكْفَائِهَا، وتناسيِ عَدَمِ وفائِها، فأقول: الطَّيِّبُ بِالْعِلَلِ أَدْرَى، وَالشَّفِيقُ بِسُوءِ الظَّنِّ مُغْرَى، وكيف لا وأنا أَقِفُ على السَّحَابَاتِ بِخَطِّ يَدِ<sup>(٨)</sup> سيدي من مَطَارِحِ الْإِعْتِقَالِ، وَمَتَاقِفِ الثُّوبِ الثَّقَالِ، وَخَلَوَاتِ<sup>(٩)</sup> الاستعدادِ لِلِقَاءِ الْخُطُوبِ الشَّدَادِ، وَنُوشِ<sup>(١٠)</sup> الْأَسِنَّةِ الْجِدَادِ، وَحَيْثُ يَجْمُلُ بِمِثْلِهِ إِلَّا يَضْرِفُ فِي غَيْرِ الْخُضُوعِ لِهَيْئَةِ بَنَانَا، وَلَا يَنْبِي لِمَخْلُوقٍ عِنَانَا. وَاتَّعَرَفَ أَنَهَا قَدْ مَلَأَتْ الْجَوَّ وَالْدَوَّ<sup>(١١)</sup>، وَقَصَّدَتِ الْجَمَادَ وَالْبَوَّ<sup>(١٢)</sup>، تَقْتَحِمُ أَكْفَ أُولَى السَّمَاتِ، وَحَقَفَتِ الْمَذْمَاتِ، وَأَعْوَانَ الثُّوبِ الْمُلِمَّاتِ، زِيَادَةً فِي الشَّقَاءِ، وَقُضْدًا بَرِيًّا مِنَ الْإِخْتِيَارِ وَالْإِنْتِقَاءِ، مُشْتَمَلَةً مِنَ التَّجَاوُزِ عَلَى أَغْرَبِ مِنَ الْعَنْقَاءِ، وَمِنَ الثَّقَاقِ عَلَى أَشْهَرِ مِنَ الْبَلْقَاءِ. فهذا يُوصَفُ بِالْإِمَامَةِ، [وهذا يُنسَبُ فِي الْجُودِ إِلَى كَغَبِ بْنِ مَامَةَ<sup>(١٣)</sup>]، وَهَذَا يُجْعَلُ مِنْ أَهْلِ الْكِرَامَةِ، وَهَذَا يُكَلَّفُ الدُّعَاءَ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، وَهَذَا يُطْلَبُ مِنْهُ لِقَاءُ الصَّالِحِينَ وَلَيْسُوا مِنْ شَكْلِهِ، إِلَى مَا أَخْفَظْنِي وَاللَّهِ مِنَ الْبَحْثِ عَنْ

(١) في النفع: «ولم».

(٢) في النفع: «قبولها مع الترفيه، ومالها المرغوب فيه، وعلى فرض...».

(٣) في النفع: «ومطبق».

(٤) في الأصل: «قميد» والتصويب من النفع.

(٥) يقال: وقب الرجل: أي دخل في الوَقْبِ، أي عند غياب الشمس. محيط المحيط (وقب).

(٦) ما بين قوسين ساقط في الأصل، وقد أضفناه من النفع.

(٧) كلمة «عليّ» ساقطة في النفع.

(٨) كلمة «يد» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٩) في النفع: «وخطوات».

(١٠) في النفع: «ونوشى».

(١١) الدَّوُّ: المفازة. محيط المحيط (دو).

(١٢) البَوُّ: جلد الخُورِ يُخْشَى تَبَنًا فَيَقْرُبُ مِنْ أُمِّ الْفَصِيلِ إِذَا فَقَدَتْ وَلَدَهَا فَتَعْطِفُ عَلَيْهِ فَتَدْرُ. محيط المحيط (بو).

(١٣) ما بين قوسين ساقط في النفع.

السُّمُوم، وَكُتِبَ النُّجُوم، وَالْمَذْمُومُ مِنَ الْمَعْلُوم، هَلَّا كَانَ مِنْ يَنْظُرُ فِي ذَلِكَ قَدْ قُوطِعَ بَنَاتًا، وَأَعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لِرُزْمَنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مِيقَاتًا، وَأَنَا لَا نَمْلِكُ مَوْتًا وَلَا نُشُورًا وَلَا حَيَاتًا، وَأَنَّ اللَّوْحَ قَدْ حَصَرَ الْأَشْيَاءَ مَخَوًا وَإِثْبَاتًا، فَكَيْفَ نَرْجُو لِمَا مَنَعَ مِنَّا أَوْ نَسْتَطِيعُ مِمَّا قَدَّرَ إِفْلَاتًا؟ أَفَيَدُونَا مَا يُرْجَحُ الْعَقِيدَةُ الْمُقَرَّرَةُ<sup>(١)</sup> نَتَحَوَّلُ إِلَيْهِ، وَبَيَّنَّا لَنَا الْحَقَّ نَعُولُ عَلَيْهِ. اللَّهُ اللَّهُ يَا سَيِّدِي فِي النَّفْسِ الْمُرْشَحَةِ، وَالذَّاتِ الْمُحَلَّاةِ<sup>(٢)</sup> بِالْفَضَائِلِ الْمَوْشَحَةِ، وَالسَّلَفِ الشَّهِيرِ الْخَيْرِ، وَالْعُمَرُ الْمُشْرِفِ عَلَى الرُّحْلَةِ بَعْدَ حَتِّ السَّيْرِ، وَدَعِ الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا<sup>(٣)</sup> فَمَا أَوْكَسَ حُظُوظَهُمْ، وَأَخْسَرَ لِحُظُوظَهُمْ، وَأَقْلَى مَتَاعَهُمْ، وَأَعَجَلَ إِسْرَاعَهُمْ، وَأَكْثَرَ عَنَاءَهُمْ، وَأَقْصَرَ آثَاءَهُمْ: [مَجْزُوءُ الْكَامِل]

مَا تَمَّ<sup>(٤)</sup> إِلَّا مَا رَأَيْتُ      وَرَبَّمَا تُغْيِي السَّلَامَةَ  
وَالنَّاسُ إِمَّا جَائِرٌ      أَوْ حَائِرٌ يَشْكُو ظُلَامَةَ<sup>(٥)</sup>  
وَاللَّهُ مَا اخْتَقَبَ الْحَرِيدُ      صُ سِوَى الذُّنُوبِ أَوْ الْمَلَامَةِ  
هَلْ تَمَّ شَكٌّ فِي الْمَعَا      دِ الْحَقِّ أَوْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ  
قُولُوا لَنَا مَا عِنْدَكُمْ      أَهْلَ الْخَطَابَةِ وَالْإِمَامَةِ

وَلِنْ رَمَيْتَ بِأَحْجَارِي، وَأَوْجَرْتُ<sup>(٦)</sup> الْمَرْءَ مِنْ أَشْجَارِي، فَوَاللَّهِ مَا تَلَبَّسْتُ مِنْهَا الْيَوْمَ<sup>(٧)</sup> بِشَيْءٍ قَدِيمٍ وَلَا حَدِيثٍ، وَلَا اسْتَأْثَرْتُ بِطَيْبٍ قَضَلًا عَنْ خَبِيثٍ. وَمَا أَنَا إِلَّا عَابِرُ سَبِيلٍ، وَهَاجِرُ مَرْغَى وَبَيْلٍ، وَمُرْتَقِبٌ وَعِدٍ<sup>(٨)</sup> قَدَرُ فِيهِ الْإِنْجَازُ، وَعَاكِفٌ عَلَى حَقِيقَةٍ لَا تَعْرِفُ الْمَجَازُ، قَدْ فَرَزْتَ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا يُفَرُّ مِنَ الْأَسَدِ، وَحَاحِلَتِ الْمَقَاطِعَةُ حَتَّى بَيْنَ رُوحِي وَالْجَسَدِ، وَعَسَلَ اللَّهُ قَلْبِي، وَاللَّهُ<sup>(٩)</sup> الْحَمْدُ، مِنَ الطَّمَعِ وَالْحَسَدِ، فَلَمْ أُبْقِ عَادَةً إِلَّا قَطَعْتُهَا، وَلَا جُنَّةً لِلصَّبْرِ إِلَّا أَدْرَعْتُهَا، أَمَّا اللَّبَاسُ فَالْصُّوفُ، وَأَمَّا الزُّهْدُ فِيمَا فِي أَيْدِي<sup>(١٠)</sup> النَّاسِ فَمَعْرُوفٌ، وَأَمَّا الْمَالُ الْعَبِيطُ فَعَلَى الصَّدَقَةِ مَصْرُوفٌ. وَوَاللَّهِ

(١) فِي النَّفْعِ: «الْمُتَقَرَّرَةُ فَتَحَوَّلَ...».

(٢) فِي الْأَصْلِ: «وَاللَّذَاتِ الْمَحَلَّاتِ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْعِ.

(٣) فِي النَّفْعِ: «لَبْنِيهَا». (٤) فِي الْأَصْلِ: «تَمَّ». وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْعِ.

(٥) جَاءَ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ الْبَيْتِ التَّالِي:

وَلِذَا أَرَدْتُ الْعِزَّ لَا      تَرَزُّأُ بَنِي الدُّنْيَا قُلَامَةَ

(٦) أَوْجَرْتُ الْمَرْءَ: صَبَبْتُهُ فِي الْفَمِ. لِسَانُ الْعَرَبِ (وَجَر).

(٧) فِي الْأَصْلِ: «الْيَوْمِ». وَفِي النَّفْعِ: «الْيَوْمِ مِنْهَا».

(٨) فِي النَّفْعِ: «وَعِدًا». (٩) فِي الْأَصْلِ: «وَلَهُ». وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْعِ.

(١٠) فِي النَّفْعِ: «بِأَيْدِي الْخَلْقِ فَمَعْرُوفٌ».



لو علمتُ أنَّ حالي هذه تتَّصل، وعُراها<sup>(١)</sup> لا تنفصل، وأن ترتيبي هذا يدوم، ولا يحيرني<sup>(٢)</sup> الوعد المحتوم، والوقت المعلوم، لمتُ أسفاً، وحسبي الله وكفى. ومع هذا يا سيدي، فالموعظةُ تُلَقَّى من لسان الوجود، والحكمة ضالة المؤمن يطلبها ببذل المجهود، ويأخذها من غير اعتبار بمحلها المذموم أو<sup>(٣)</sup> المحمود. ولقد أغمَلْتُ نظري فيما يكافئ عني بعض يدك، أو ينتهي<sup>(٤)</sup> في الفضل إلى أمدك، فلم أر لك الدنيا كفاء هذا لو كنت صاحب دنيا، وألفت بذل النفس قليلاً لك من غير شرط ولا ثنيا<sup>(٥)</sup>، فلما ألهمني الله لمخاطبتك بهذه النصيحة المفرغة في قالب الجفا، لمن لا يُثبت عين الصفا، ولا يُشيم بارقة<sup>(٦)</sup> الوفا، ولا يعرف قاذورة الدنيا مغرفة مثلي من المتدلسين بها المُنهمكين، وينظر غوارها القادح<sup>(٧)</sup> بعين اليقين، ويعلم أنها المومسة التي حُسْنُها زور، وعاشقها مغرور، وسرورها شرور، تبيّن لي أنني<sup>(٨)</sup> قد كافيتُ<sup>(٩)</sup> صنيعتك المتقدمة، وخرجتُ عن عهدتك المُلتزمة، وأمحصتُ<sup>(١٠)</sup> لك النصح الذي يُعزُّ<sup>(١١)</sup> بعز الله ذاتك، ويُطيب حياتك، ويُخَيِّ مَوَاتك، ويريح جوارحك من الوصب<sup>(١٢)</sup>، وقَلْبك من النَّصب<sup>(١٣)</sup>، ويُحَقِّر الدنيا وأهلها في عينك إذا اغْتَبِرَتْ، ويُلاشي عَظائمهـا لديك إذا اختبرت. كلُّ مَنْ تقع عليه<sup>(١٤)</sup> عينك حقير قليل، وفقير ذليل، لا يَفْضُلُك بشيء إلا باقتفاء رُشد أو ترك غي، أثوابه النّبيهة يُجَرِّدها الغاسل، وعزوة عزه<sup>(١٥)</sup> يُفْصِّلها الفاصل<sup>(١٦)</sup>، وماله الحاضر الحاصل، يَعيث فيه الحُسام الفاصل، والله ما تَعَيَّن للخلف إلا ما تَعَيَّن للسلف، ولا مصير المجموع إلا إلى التلف، ولا صَحَّ من الهياط والمياط<sup>(١٧)</sup>، والصَّياح والعياط<sup>(١٨)</sup>، وجَمَعَ القيراط إلى القيراط، والاستظهار بالوزعة والأشراط، والخَبْط والخَبْاط، والاستكثار والاغْتِباط،

(١) في النفع: «وأن عراها». (٢) في الأصل: «يجيزني» والتصويب من النفع.

(٣) في النفع: «ولا». (٤) في الأصل: «يتمي» والتصويب من النفع.

(٥) الثنيا: الاستثناء. لسان العرب (ثنا).

(٦) يشيم: ينظر. البارقة: السحابة ذات البرق. لسان العرب (شام) و(برق).

(٧) في الأصل: «عواره القادح» والتصويب من النفع.

(٨) في النفع: «أنني». (٩) في النفع: «كافأت».

(١٠) في الأصل: «ومحصت لله» والتصويب من النفع. وأمحص: أخلص. لسان العرب (محض).

(١١) في الأصل: «يُقرُّ» والتصويب من النفع. (١٢) الوَصْب: المرض. لسان العرب (وصب).

(١٣) النَّصْب: التعب. لسان العرب (نصب). (١٤) في النفع: «عينك عليه فهو حقير...».

(١٥) في الأصل: «غيره» والتصويب من النفع. (١٦) في النفع: «يقصِّلها الفاصل».

(١٧) الهياط: مصدر هاطَ يَهِيط، أي ضجَّ وأجلب. المياط: الدفع والزجر، والمراد من «الهياط

والمياط»: الدنو والتباعد. محيط المحيط (هاط) و(ماط).

(١٨) العياط: الصياح. محيط المحيط (عاط).

وَالْعُلُوُّ وَالْإِشْطِطَاطُ، وَبِنَا الصَّرْحِ وَعَمَلِ السَّابِاطِ، وَرَفْعِ الْعِمَادِ<sup>(١)</sup> وَإِدَارَةِ الْفُسْطَاطِ، إِلَّا أَلَمَ<sup>(٢)</sup> يُذْهَبِ الْقُوَّةُ، وَيُنْسَى الْأَمَالُ الْمَرْجُوءَةُ، ثُمَّ تَفْسُ يَصْعَدُ، وَسَكَرَاتُ تَتَرَدَّدُ، وَحَسِرَاتُ لِفِرَاقِ الدُّنْيَا تَتَجَدَّدُ، وَلِسَانٌ يَثْقُلُ، وَعَيْنٌ تُبْصِرُ الْفِرَاقَ الْحَقَّ<sup>(٣)</sup> وَتَمْتَلُ ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup> أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾<sup>(٥)</sup> ثُمَّ الْقَبْرُ وَمَا بَعْدَهُ، وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعَيْدُهُ وَوَعْدُهُ، فَالْإِضْرَابُ الْإِضْرَابُ، وَالثَّرَابُ الثَّرَابُ. وَإِنْ اعْتَدَرَ سَيِّدِي بَقْلَةَ الْجَلْدِ، لَكثْرَةِ الْوَلَدِ، فَهُوَ ابْنُ مَرْزُوقٍ لَا ابْنَ رَزَاقٍ، وَبِيَدِهِ مِنَ التَّسْبُبِ مَا يَتَكَلَّمُ بِإِمْسَاكِ أَرْمَاقٍ، أَيْنَ الشَّنْخُ الَّذِي يَتَبَلَّغُ الْإِنْسَانُ بِأَجْرَتِهِ<sup>(٦)</sup>، فِي كَيْنَ حُجْرَتِهِ؟ لَا بَلِ السُّؤَالُ الَّذِي لَا عَارَ عِنْدَ الْحَاجَةِ بِمَعْرَتِهِ؟ السُّؤَالُ وَاللَّهُ أَقْوَمُ طَرِيقًا، وَأَكْرَمُ فَرِيقًا، مِنْ يَدٍ تَمْتَدُّ إِلَى حَرَامٍ، لَا يَقُومُ بِمَرَامٍ، وَلَا يُؤْمِنُ مِنْ ضِرَامٍ، أُخْرِقَتْ فِيهِ الْحُلُلُ، وَقُلِّيَتْ الْأَدْيَانُ وَالْمِلَلُ، وَضُرِبَتِ الْأَبْشَارُ، وَتُحَرَّتِ الْعِشَارُ، وَلَمْ يَصِلْ مِنْهُ عَلَى يَدَيِّ وَاسِطَةِ السُّوءِ الْمِغْشَارُ. ثُمَّ طُلِبَ عِنْدَ الشَّدَّةِ فَفُضِّحَ، وَبَانَ سَوْمُهُ<sup>(٧)</sup> وَوَضَّحَ، اللَّهُمَّ طَهِّرْ مِنْهَا<sup>(٨)</sup> أَيْدِيَنَا وَقُلُوبَنَا، وَبَلِّغْنَا مِنَ الْإِنْصِرَافِ إِلَيْكَ مَطْلُوبَنَا، وَعَرَّفْنَا بِمَنْ لَا يَعْرِفُ غَيْرَكَ، وَلَا يَسْتَرْفِدُ إِلَّا خَيْرَكَ، يَا اللَّهُ. وَحَقِيقٌ عَلَى الْفُضْلَاءِ إِنْ جَنَحَ سَيِّدِي مِنْهَا إِلَى إِشَارَةٍ، أَوْ أَعْمَلَ فِي اخْتِلَابِهَا إِضْبَارَةً<sup>(٩)</sup>، أَوْ لَبَسَ مِنْهَا شَارَةً، أَوْ تَشَوَّفَ إِلَى خِدْمَةِ إِمَارَةٍ، أَلَا يُخْسِنُوا ظَنُونَهُمْ بَعْدَهَا بِابْنِ نَاسٍ، وَلَا يَغْتَرُّوا بِسِمَةِ<sup>(١٠)</sup> وَلَا خَلْقٍ وَلَا لِيَاسٍ، فَمَا عَدَا، عَمَّا بَدَأَ<sup>(١١)</sup>؟ تَقْضَى الْعُمْرُ فِي سِجْنٍ وَقَيْدٍ، وَعَمُرُوا وَزَيْدٍ، وَضُرُّ وَكَيْدٍ، وَطِرَادٌ صَيْدٍ، وَسَعْدٌ وَسُعِيدٍ، وَعَبْدٌ وَعَبِيدٍ، فَمَتَى تَظْهَرُ الْأَفْكَارُ، وَيَقْرَأُ الْقَرَارُ، وَتُلَازِمُ الْأَذْكَارُ<sup>(١٢)</sup>، وَتُشَامُ الْأَنْوَارُ، وَتَتَجَلَّى<sup>(١٣)</sup> الْأَسْرَارُ؟ ثُمَّ يَقَعُ الشُّهُودُ الَّذِي تَذْهَبُ مَعَهُ الْأَفْكَارُ<sup>(١٤)</sup>، ثُمَّ يَحِقُّ الْوُصُولُ الَّذِي إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهِ الْفِرَارِ، وَعَلِيهِ الْمَدَارُ. وَحَقُّ الْحَقِّ الَّذِي مَا سِوَاهُ فَبَاطِلٍ، وَالْفَيْضُ الرَّخْمَانِي الَّذِي رَبَابُهُ<sup>(١٥)</sup> الْأَبَدُ<sup>(١٦)</sup> هَاطِلٌ، مَا شَابَتْ<sup>(١٧)</sup>

(١) فِي النَّفْحِ: «الْعُمْدُ».

(٢) فِي النَّفْحِ: «أَمَلٌ».

(٣) كَلِمَةُ «الْحَقِّ» سَاقِطَةٌ فِي النَّفْحِ.

(٤) سُورَةُ صَّ، الْآيَتَانِ ٦٧، ٦٨.

(٥) الْمُرَادُ نَسْخُ الْكُتُبِ وَكُتَابَتِهَا.

(٦) فِي النَّفْحِ: «سَوْمُهُ».

(٧) فِي الْأَصْلِ: «مَتَا» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(٨) الْإِضْبَارَةُ: الْحَزْمَةُ مِنَ الصَّحْفِ. مَحِيطُ الْمَحِيطِ (ضَبْرٌ).

(٩) فِي الْأَصْلِ: «بِسَمْتٍ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(١٠) أَخَذَهُ مِنَ الْمَثَلِ: «مَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ». أَيُّ مَا مَنَعَكَ مَا ظَهَرَ لَكَ أَوَّلًا. مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ (ج) ٢ ص

(٢٩٦).

(١١) فِي الْأَصْلِ: «الْأَذْكَارُ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ. (١٢) فِي النَّفْحِ: «وَتَسْتَجَلِي».

(١٣) فِي النَّفْحِ: «الَّذِي يَذْهَبُ مَعَهُ الْإِخْبَارُ». (١٤) الرِّبَابُ: السَّحَابُ. لِسَانُ الْعَرَبِ (رَبِّ).

(١٥) فِي الْأَصْلِ: «لَا بُدَّ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(١٦) فِي الْأَصْلِ: «مَا شَابَ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

مُخاطبتي لك شائبةٌ تريب<sup>(١)</sup>، ولقد مَحَضْتُ لك ما يَمَحُضُه الحبيب إلى الحبيب<sup>(٢)</sup>، فيحمل جَفَاءً<sup>(٣)</sup> في الذي حَمَلْتُ عليه الغيرة، ولا تَظُنُّ بي غيره. وإن<sup>(٤)</sup> أقدر قَدْرِي في مُكاشفة سيادتكَ بهذا البَثِّ، في الأسلوب الرُّثِّ، فالحقُّ أَقْدَمُ، وبنائؤه لا يُهدم، وشَأْنِي معروف في مُواجهة الجبابة على حين يَدِي إلى رِفْدِهِم مَمْدُودَة، ونَفْسِي في الثُّفوس المُتَهافتة عليهم مَعْدُودَة، وشبابي فاجِمٌ، وعلى الشَّهوات مُزاجِمٌ، فكيف بي اليوم مع الشَّيْب، ونُضج الجَنِب، واستِكشاف العيب؟ إنما أنا اليوم على كُلِّ مَنْ عَرَفْنِي كُلِّ ثَقِيل، وسيفُ العَذْل<sup>(٥)</sup> في كَفِّي صَقِيل، أَغْذِل أَهْل الهوى، وليست الثُّفوس في القَبُول سَوَا، ولا لِكُلِّ مَرَضٍ<sup>(٦)</sup> دَوَا، وقد شَفَيْتُ صَدْرِي، وإن جَهِلْتُ قَدْرِي، فاحمِلْنِي، حَمَلَك الله، على الجادة الواضحة، وسَحَب عليك سِثْر الأبوة الصَّالحة، والسَّلام.

ولَمَّا<sup>(٧)</sup> شَرَحَ كِتَاب «الشُّفا» للقاضي<sup>(٨)</sup> أبي الفَضل عِياض بن موسى بن عِياض، رحمه الله، واستَبَحِر فيه، طلب أهل العُدوتين بِنَظْم<sup>(٩)</sup> مقطوعات تَتَضَمَّنُ الثَّنَاء على الكِتَاب المذكور، وإطراء مؤلفه، فأنثال عليه من ذلك الطَّم والرَّم، بما تعددت منه الأوراق، واختلفت في الإجادة وغيرها الأرزاق، إِيثارًا لِعَرْضه، ومِبَادَرَة من أهل<sup>(١٠)</sup> الجهات لإسعاف أَرْبِه، وطُلب مني أن أَلِمَّ في ذلك بشيءٍ، فكتبت في<sup>(١١)</sup> ذلك: [الطويل]

شِفَاء<sup>(١٢)</sup> عِياض لِلصُّدُور<sup>(١٣)</sup> شِفَاءٌ      وليس<sup>(١٤)</sup> بِفَضْلِ قَد حَوَاهِ خِفَاءٌ  
هَدِيَّةٌ بَرٌّ لَمْ يَكُنْ لَجَزِيلِهَا<sup>(١٥)</sup>      سوى الأجر والذِّكْر الجميل كِفَاءٌ  
وَفِي لِنَبِيِّ الله حَقٌّ وَفَاءٌ      وَأَكْرَمُ أَوْصَافِ الْكِرَامِ وَفَاءٌ

(١) في الأصل: «بريب» والتصويب من النفع. (٢) في النفع: «للحبيب».

(٣) في النفع: «فتحمل جفائي الذي...».

(٤) في النفع: «وإن لم تعذرني مكاشفة سيادتكَ بهذا الثُّثِّ، في الأسلوب الرُّثِّ».

(٥) في النفع: «العدل» بالذال غير المعجمة.

(٦) في الأصل: «لا لكل مَنْ ضَرَّ؟» والتصويب من النفع.

(٧) النص مع الشعر في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٨٤).

(٨) في النفع: «للقاضي عِياض رحمه الله تعالى».

(٩) في النفع: «نظم».

(١٠) في النفع: «كل».

(١١) في النفع: «له في ذلك». والأبيات أيضًا في نفاضة الجراب ص ١٢٨.

(١٢) في الأصل: «شفا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(١٣) في نفاضة الجراب: «للقلوب».

(١٤) في المصدر نفسه: «فليس».

(١٥) في النفع: «لمديها».

وجاء به بَخْرًا يَقُولُ بِفَضْلِهِ      على الْبَخْرِ طَعْمٌ طَيِّبٌ وَصَفَاءُ  
 وَحَقُّ رَسُولِ اللَّهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ      رَعَاهُ، وَإِغْفَالُ الْحُقُوقِ جَفَاءُ  
 هُوَ الذُّخْرُ يُغْنِي فِي الْحَيَاةِ عَتَاةَ      وَيُثْرَكَ مِنْهُ لِلْيَقِينِ<sup>(١)</sup> رَفَاءُ  
 هُوَ الْأَثَرُ الْمَحْمُودُ لَيْسَ يَنَالُهُ      دُثُورٌ وَلَا يُخْشَى<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ عَفَاءُ<sup>(٣)</sup>  
 حَرَضْتُ عَلَى الْإِطْنَابِ فِي نَشْرِ فَضْلِهِ      وَتَمَجِّيدِهِ لَوْ سَاعَدْتَنِي فَاءُ  
 واستزاد<sup>(٤)</sup> من هذا الغرض الذي لم يَقْنَعْ مِنْهُ<sup>(٥)</sup> بالقليل، فبعثت إليه من محل  
 انتقالي بمدينة<sup>(٦)</sup> سَلا حرسها الله<sup>(٧)</sup>: [مجزوء الرمل]

أَزَاهِيرَ رِيَاضٍ      أَمْ شَفَاءَ لِعِيَاضٍ  
 جَدَلَ الْبَاطِلِ لِلْحَقِّ      بِأَسْيَافِ مَوَاضٍ  
 وَجَلَا الْأَنْوَارِ بُزْهًا      نَا بِحَقِّ<sup>(٨)</sup> وَافْتِرَاضٍ  
 وَشَفَى<sup>(٩)</sup> مَنْ يَشْتَكِي الْعُدَّ      لَهْ فِي رُزْقِ الْحِيَاضِ  
 أَيْ بُنْيَانِ مُعَارٍ<sup>(١٠)</sup>      آمِنٍ فَوْقَ<sup>(١١)</sup> انْقِضَاضِ  
 أَيْ عَهْدٍ لَيْسَ يُزْمَى      بَانْتِكَاثٍ<sup>(١٢)</sup> وَانْتِقَاضِ  
 وَمَعَانٍ فِي سَطُورٍ      كَأَسْوَدٍ فِي غِيَاضِ  
 وَشَفَاءَ لَصُدُورٍ<sup>(١٣)</sup>      مِنْ ضَنْى الْجَهْلِ مَرَاضِ  
 حَرَّرَ الْقَصْدَ فَمَا شِئَ      نَ بِنَقْدٍ وَاعْتِرَاضِ  
 يَا أَبَا الْفَضْلِ أَدِرْ أُنَّ<sup>(١٤)</sup>      اللَّهُ عَنْ سَعْيِكَ رَاضِ  
 فَازَ عَبْدٌ أَقْرَضَ الدُّ      لَهْ بِرُجْحَانِ الْقِرَاضِ<sup>(١٥)</sup>

- (١) في الأصل: «اليقين» وهكذا ينكسر الوزن. وفي المصدرين: «اللبين».  
 (٢) في نفاضة الجراب: «وَلَا يُخْشَى». (٣) العفاء: الزوال. لسان العرب (عفا).  
 (٤) ما يزال النص شعراً ونثراً في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٨٥).  
 (٥) في النفع: «فيه». (٦) في النفع: «من مدينة».  
 (٧) الأبيات أيضاً في نفاضة الجراب (ص ١٩٢ - ١٩٣).  
 (٨) في نفاضة الجراب: «بِخَلْفٍ». (٩) في نفاضة الجراب: «وسقى».  
 (١٠) في النفع: «مقال». وفي نفاضة الجراب: «معال».  
 (١١) في المصدرين: «خوف». (١٢) الانتكاث: الانتقاض. لسان العرب (نكث).  
 (١٣) في نفاضة الجراب: «لنفوس».  
 (١٤) في الأصل: «بأن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.  
 (١٥) إشارة إلى قول الله تعالى: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَكثير» سورة البقرة ٢، الآية ٢٤٥.

وَجَبَّتْ عَزُّ<sup>(١)</sup> الْمَزَايَا      مِنْ طُولِ وَعِرَاضٍ<sup>(٢)</sup>  
 لَكَ يَا أَصْدَقَ رَاوٍ<sup>(٣)</sup>      لَكَ يَا أَغْدَلَ قَاضٍ  
 لِرَسُولِ اللَّهِ وَقَيْنِ      تِ بِجَدٍّ<sup>(٤)</sup> وَانْتِهَاضِ  
 خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ فِي حَا      لِ وَفِي آتٍ وَمَاضٍ  
 سَدَّدَ اللَّهُ ابْنَ مَرْزُو      قِي إِلَى تِلْكَ الْمَرَاضِي  
 زُبْدَةَ الْعِرْفَانِ مَغْنَى      كُلِّ نُسْنِكٍ وَارْتِيَاضِ  
 فَتَوَلَّى بَسْطَ مَا أَجَدَ      مَلَتْ مِنْ غَيْرِ انْقِبَاضِ  
 سَاهِرٌ<sup>(٥)</sup> لَمْ يَذَرِ فِي اسْتِخْ      لَاصِهِ طَعْمَ اغْتِمَاضِ  
 إِنْ يَكُنْ دَيْنَا عَلَى الْإِي      أَمَاقٍ قَدْ حَانَ التَّقَاضِي  
 دَامَ فِي عُلُوٍّ وَمِنْ عَا      دَاهِ يَهْوِي فِي انْخِفَاضِ  
 مَا وَشَى الصُّبْحُ الدِّيَاجِي      فِي سَوَادٍ بِبَيَاضِ<sup>(٦)</sup>

ثم<sup>(٧)</sup> نظمت له أيضًا في الغرض المذكور، والإكثار من هذا النمط، في هذا الموضوع، ليس على سبيل التَّبَجُّحِ بغرابته وإجادته<sup>(٨)</sup>، ولكن على سبيل الإشادة بالشرح المشار إليه، فهو بالغ غاية الاستبحار<sup>(٩)</sup>: [السريع]

حُيِّتَ يَا مُخْتَطِّ سَبْتِ بْنِ نُوخٍ      بِكُلِّ مُزْنٍ يَغْتَدِي أَوْ يَرُوحُ  
 وَحَمَلِ الرِّيحَانِ رِيحَ الصُّبَا      أَمَانَةً فَيْكَ<sup>(١٠)</sup> إِلَى كُلِّ رُوحُ  
 دَارُ أَبِي الْفَضْلِ عِيَاضِ الَّذِي      أَضْحَتْ بَرِّيَّاهُ رِيَاضًا تَفُوحُ  
 يَا نَاقِلَ الْأَثَارِ يُعْنَى بِهَا      وَوَاصِلًا فِي الْعِلْمِ جَزْيَ الْجُمُوحُ  
 طَرَفُكَ فِي الْفَخْرِ<sup>(١١)</sup> بَعِيدُ الْمَدَى      طَرَفُكَ لِلْمَجْدِ شَدِيدُ الطُّمُوحُ  
 كِفَاكَ إِعْجَازًا كِتَابُ الشُّفَا      وَالصَّبْحُ لَا يُنْكَرُ عِنْدَ الْوُضُوحُ  
 اللَّهُ مَا أَجْزَلَتْ فِينَا بِهِ مِنْ      مِثْحَةٍ تَقْصُرُ عَنْهَا الْمُثُوحُ  
 رَوْضُ مِنَ الْعِلْمِ هَمَى فَوْقَهُ      مِنْ صَيِّبِ الْفِكْرِ الْغَمَامُ السُّفُوحُ

(١) في المصدرين: «عَزُّ».

(٢) في المصدرين: «أو عراض».

(٣) في نقاضة الجراب: «داو».

(٤) في المصدرين: «سَاهِرًا».

(٥) النص في الطيب (ج ٧ ص ٣٨٦).

(٦) القصيدة في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٨٦ - ٣٨٧) ونفاضة الجراب (ص ١٩٠ - ١٩٢).

(٧) في الأصل: «في كل» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٨) في النفع: «في الفضل».

(٩) في المصدرين: «عَزُّ».

(١٠) في نقاضة الجراب: «داو».

(١١) في المصدرين: «سَاهِرًا».

(١٢) النص في الطيب (ج ٧ ص ٣٨٦).

(١٣) القصيدة في نفع الطيب (ج ٧ ص ٣٨٦ - ٣٨٧) ونفاضة الجراب (ص ١٩٠ - ١٩٢).

(١٤) في الأصل: «في كل» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(١٥) في النفع: «في الفضل».

فمن بيان الحق زَهْرُ نَدٍ<sup>(١)</sup> ومن لسان الصّدق طيرٌ صَدُوح  
تَأرّج العَرْف وطاب الجَنَى وكيف لا يُثمر<sup>(٢)</sup> أو لا يفوح  
وحلّة من طيب خير الورى في الجيب والأعطاف منها نُضُوح  
ومَغْلَم للدين<sup>(٣)</sup> شَيْذَتُهُ فهذه الأعلام منه<sup>(٤)</sup> تَلُوح  
فَقُلْ لهامان كذا أو فلا يا مَنْ أَضَلَّ الرُّشد تَبْنِي الصُّروح  
في أَحْسَنِ التَّقْوِيم أنشأته خَلَقًا جديدًا بين جِسم وروح  
فَعَمَرَهُ المكتوب لا يَنْقُضِي إِذَا تَقَضَّى عُمُرُ سام ونُوح  
كأنه في الحَفْل رِيح الصَّبَا وكلُّ عِطْفٍ فهو غَضُّ<sup>(٥)</sup> مَروح  
ما عُدُّ مَشْغُوفٍ بخير الورى إن هاج منه الذَّكْرُ أَنْ لا يَبُوح  
عجبتُ من أكباد أهل الهوى وقد سطا البُعْدُ وطال التُّزُوح  
إن ذُكر المَحْبُوبُ سالتِ دِمَا ما هُنَّ أَكْبَادٌ ولكن جُروح  
يا سَيِّدَ الأَوْضَاعِ يا مَنْ له بِسَيِّدِ الإِرسال فَضْلُ الرُّجُوح  
يا مَنْ له الفخر على غيره والشُّهْبُ<sup>(٦)</sup> تَخْفَى عند إِشراق يوح  
يا خَيْرَ مشروح وَفَى واخْتَفَى منه ابنُ<sup>(٧)</sup> مرزوق بخير الشُّروح  
فَتَحَّ من الله حَبَاهُ به ومن جَنابِ الله تأتي الفُتُوح

مولده: بتلمسان عام أحد عشر وسبعمائة.

### محمد بن عبد الرحمن بن سعد التميمي التسلي<sup>(٨)</sup> الكرسوطي<sup>(٩)</sup>

من أهل فاس، نزيل مالقة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: الشيخ<sup>(١٠)</sup> الفقيه المُتَكَلِّم أبو عبد الله، غزير الحِفْظ، مُتَبَحَّر الذَّكْر، عديم القَرين، عظيم الاطِّلاع، عارفٌ بأسماء الأَوْضَاع، يَثَّالُ منه على المسائل كَثِيب مَهِيل، ينقل الفِقهَ منسوبًا إلى أمانة، ومنوطًا برجاله، والحديث بأسانيده ومُتُونه،

(١) في الأصل: «زَهْرُ نَدٍ» وهكذا ينكسر الوزن. (٢) في نفاضة الجراب: «لا يطعم».

(٣) في المصدر نفسه: «في الدين».

(٤) في المصدرين: «منها».

(٥) في المصدرين: «غصن».

(٦) في النفح: «والشمس».

(٧) في نفاضة الجراب: «ومن ابن».

(٨) التسلي: نسبة إلى قبيلة تسولة البربرية.

(٩) ترجمة محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٠).

(١٠) قارن بنفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣١).

خَوَار<sup>(١)</sup> العنان، وسَاع الخطو، بعيدُ الشأو، يفيض من حديث إلى فقه، ومن أدب إلى حكاية، ويتعدى ذلك إلى غرائب المنظومات، مما يختص بنظمه أولو الشُّطارة والجرفة من المغاربة، ويستظهر مطوّلات القصاص، وطواوير الوُعَاط، ومسايطير أهل الكُذبة، في أسلوب وقاح يَفْضحه الإعراب، حسن الخلق، جمُّ الاحتمال، مُطَرِّح الوقار، رافضُ التَّصْنُع، مُتَبَدِّل<sup>(٢)</sup> اللَّبْسَة، رَحِيب أكناف المرارة لأهل الولايات، يُلقِي بمعاطنهم البرك، وينوط بهم الوسائل، كثيرُ المشاركة لوصلائه، مُخَصِّب على أهل بيته، حَدِثٌ على بنيه. قَدِم على الأندلس عام اثنين وعشرين وسبعمائة، فأقام بالجزيرة مقرّاً بمسجد الصُّواع منها، ومسجد الزايات، ثم قدم على مالقة وأقرأ بها، ثم قدم على غرناطة عام خمسة وعشرين وسبعمائة، فتعرف على أرباب الأمر، بما نجحت حيلته، وخَفَّ به موقعه، فلم يَغْدَم صلةً، ولا فقد مِرْقَعةً، حتى ارتاش وتأنل بمحل سُكناه من مالقة، مَدْرَة مُغْلَة، وعقاراً مفيداً. وطال قعوده لسرد الفقه بمسجدها الجامع، تَمِيز في الركب، مَهْجور الحَلَقَة، حَمَلًا من الخاصّة والعامة، لتلبسه بالعرَض الأدنى. وهو الآن خطيب مسجد القصبة بها، ومحلّه من الشهرة، بالحِفْظ والاستظهار لفروع الفقه، كبير.

مُشِيخته: قرأ القرآن على الجماعة بالمغرب والأندلس، منهم أبوه، والأستاذ أبو الحسن القيحاوي البلوي، وأبو إسحق الحريري، وأبو الحسن بن سليمان، وأبو عبد الله بن أَجْرُوم. وقرأ الفقه على أبي زيد الجَزُولي، وعبد الرحمن بن عَفَّان، وأبي الحسن الصغير، وعبد المؤمن الجاناتي، وقرأ الكتاب بين يديه مدة، ثم عَزَلَه، ولذلك حكاية. حَدَّثَنِي الشيخ أبو عبد الله الكَرْسُوطي، المُتَرَجِم به، قال: قرأت بين يديه، في قول أبي سعيد في التهذيب، والدَّجَاج والأوز المُخْلَاط، فقال: انظر، هل يُقال الدَّجَاج أو الجَدَّاد، لغة القرآن أفصح، قال الله تعالى: وَجَدَدَ بَيْض، وحمَرٌ مختلف ألوانها، وغرايب سود. فأزرى به، ونقل إليه إزاره، فعزله. وقعد بعد ذلك للإقراء بفاس، كذا حدث. وأخذ عن أبي إسحاق الزناتي، وعن خلف الله المجاصي، وأبي عبد الله بن عبد الرحمن الجَزُولي، وأبي الحسين المزدغي، وأبي الفضل ابنه، وأبي العباس بن راشد العُمراني، وأبي عبد الله بن رُشِيد. وروى الحديث بسنّة عن أبي عبد الله الغماري، وأبي عبد الله بن هاني، وذاكر أبا الحسن بن وشّاش. وبمالقة عن الخطيب الصالح الطنجالي، وأبي عمرو بن منظور.

(١) خوار العنان: سهل المعطف لئنه.

(٢) متبدل اللبسة: غير معتن بملبسه وهندامه، بخلاف مبتدل اللبسة أي رث الملابس.

وبغرناطة عن أبي الحسن القيجاطي، وأبي إسحق بن أبي العاص. وببلس عن أبي جعفر الزيات.

توالياقه: منها<sup>(١)</sup> «الغُرر في تكميل الطُرر»، طُرر أبي إبراهيم الأعرج. ثم<sup>(٢)</sup> «الدُرر في اختصار الطُرر» المذكور. وتقييدان على الرسالة، كبيرٌ وصغيرٌ. ولخص «التهذيب» لابن بشير، وحذف أسانيد المُصنِّفات الثلاثة، البخاري، والترمذي، ومسلم<sup>(٣)</sup>، والتزم إسقاط التكرار، واستدراك<sup>(٤)</sup> الصُّحاح الواقعة في التهذيب<sup>(٥)</sup> على مسلم والبخاري. وقيد على مختصر الطُّليطلي، وشرع في تقييد على قواعد الإمام أبي الفضل عياض بن موسى<sup>(٦)</sup> بن عياض، برسم ولدي، أسعده الله.

شعره: أنشدني، وأنا أحاول بمألقة لوث<sup>(٧)</sup> العمامة، وأستعين بالغير على إصلاح العمل، وإحكام الليانة<sup>(٨)</sup>: [الكامل]

أَمَعَمَّا قَمَرًا تَكَامَلَ حُسْنُهُ      أَرَبَى عَلَى الشَّمْسِ الْمَنِيرَةِ فِي الْبَهَا  
لَا تَلْتَمِسُ مِمَّنْ لَدَيْكَ زِيَادَةً      فَالْبَذْرُ لَا يَمْتَارُ مِنْ ثَوْرِ السُّهَا  
وَيَصْدُرُ مِنْهُ الشَّعْرُ مُصَدَّرًا، لَا تَكْنِيفُهُ الْعِنَايَةُ.

محتته: أسير ببحر الرُّزاق<sup>(٩)</sup>، قادمًا على الأندلس في جُملة من الفضلاء، منهم والده. واستقر بطريف<sup>(١٠)</sup> عام ستة وعشرين وسبعمائة، ولقي بها شدَّةً ونكالا، ثم سرح والده، لمحاولة فكاك نفسه، وفك ابنه، ويسر الله عليه، فتخلصا من تلك المحنة في سبيل كُذية، وأفلت من بين أنياب مشقة.

(١) قارن بنفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣١). (٢) في النفح: «ثم كتاب الدرر...».

(٣) قوله: «البخاري والترمذي ومسلم» ساقط في النفح.

(٤) في النفح: «واستدرك».

(٥) في النفح: «في الترمذي على البخاري ومسلم».

(٦) في النفح: «موسى برسم ولدي».

(٧) لوث العمامة: عصبتها ولقها. لسان العرب (لوث).

(٨) البيتان في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٠).

(٩) بحر الرزاق: هو الداخل من المحيط الأطلسي الذي عليه سبتة ما بين طنجة المغربية وبين الأندلس، ويتسع كلما امتد إلى ما لا نهاية. الروض المعطار (ص ٢٩٤).

(١٠) جزيرة طريف على البحر المتوسط في أول المجاز المسمى بالرزاق، وهي مدينة صغيرة. الروض المعطار (ص ٣٩٢).



بعض أخباره: قال: لقيتُ الشيخ وليَّ الله أبا يعقوب بساحل بادس<sup>(١)</sup>، قاصداً الأخذ عنه، والتَّبَرُّك به، ولم يكن رأيي قط، وأُلفيتُ بين يديه عند دخولي عليه، رجلاً يقرأ عليه القرآن، فلما فرغ أراد أن يقرأ عليه أَسْطَرًا من الرِّسالة، فقال له: أقرأها على هذا الفقيه، وأشار إليَّ، ورأيتُ في عَرَصَةٍ له أصولَ خَصٍّ، فتمنيت الأكل منها، وكان رباعها غير حاضر، فقام عن سُرعة، واقتلع منها أصولاً ثلاثة، ودفعها إليَّ، وقال: كُل. فقلت في نفسي، تصرف في الخَضرة قبل حضور رباعها، فقال لي: إذا أردت الأكل من هذه الخَضرة، فَكُلْ من هذا القسم، فإنه لي. قلت: وَخَبِرْتُ من اصطلاح هذا المترجم به بعبارة الرؤيا ما قضيت منه العَجَب في غير ما شيءٍ جَرَّبْتُهُ. وهو الآن بحاله الموصوفة. وأصابه لهذا العهد جلاءٌ عن وطنه؛ لتوفر الحَمْل عليه من الخاصِّ والعامِّ، بما طال به نَكْده. ثم أَلَتْ حاله إلى بعض صلاح، والله يتولاه.

مولده: بمدينة فاس عام تسعين وستمائة.

### (٢) محمد بن عبد المنعم الصَّنْهَاجِي الحميري

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن عبد المنعم، من أهل سَبْتَة، الأستاذ الحافظ. حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، رجلَ صِدْقٍ، طيِّب اللُّهجة، سَلِيم الصدر، تام الرُّجولة، صالحاً، عابداً، كثير القُرب والأُزاد في آخر حاله، صادق اللسان. قرأ كثيراً، وسُئله تنيف على سبع وعشرين، ففات أهل الدُّؤب والسَّابِقة، وكان من صدور الحُقَاط، لم يَسْتَظْهر أحدٌ في زمانه من اللُّغة ما اسْتَظْهره، فكاد يستظهر كتاب النَّاج للجُوهري وغيره، آية تُتلى، ومثلاً يُضرب، قائماً على كتاب سيبويه، يَسْرُدُه بلفظه. اختَبَرَه الفاسيون في ذلك غير ما مرة. طبقةٌ في الشطرنج، يلعبُها محجوباً، مُشاركاً في الأصول، آخذاً في العلوم العقلية، مع المُلازمة للسُّنَّة، يُغْرِبُ أبداً كلامه ويزينه.

مُشِيخته: أخذ ببلده عن الأستاذ أبي إسحق الغافقي، ولازم أبا القاسم بن الشَّاطِ وانتفع به وبغيره من العلماء.

(١) بادس: مدينة بها نخل كثير وفواكه وعيون كثيرة. الروض المعطار (ص ٧٥).

(٢) هو صاحب كتاب «الروض المعطار»، في خبر الأقطار» وكانت وفاته في سنة ٧٢٧ هـ. راجع مقدمة كتاب «الروض المعطار»، ففيها ثبت بأسماء المصادر والمراجع التي ترجمت له.

دخوله غرناطة: قدم غرناطة مع الوفد من أهل بلده عندما صارت إلى إيالة الملوك من بني نصر، لما وصلوا بالبيعة.

وفاته: كان من الوفد الذين استأصلهم الموتان عند مُنصرفهم عن باب السلطان ملك المغرب، بأخواز تيزى<sup>(١)</sup>، حسبما وقع التنبية على بعضهم.

محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس  
ابن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر  
ابن رُشيد الفهري<sup>(٢)</sup>

من أهل سبتة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن رُشيد.

حاله: من «عائد الصلة»: الخطيب المحدث، المتبحر في علوم الرواية والإسناد. كان، رحمه الله، فريدَ دهره عدالةً وجلالةً، وحفظًا وأدبًا، وسمًا وهديًا، واسع الأسمعة، عالي الإسناد، صحيح الثقل، أصيل الضبط، تام العناية بصناعة الحديث، قيما عليها، بصيرًا بها، محققًا فيها، ذاكراً فيها الرجال، جماعةً للكُتب، محافظًا على الطريقة، مضطلعًا بغيرها من العربية واللغة والعروض، فقيهاً أصيل النظر، ذاكراً للتفسير، رَيَّان من الأدب، حافظاً للأخبار والتواريخ، مُشاركاً في الأضلين، عارفاً بالقراءات، عظيم الوقار والسكينة، بارع الخط، حسن الخلق، كثير التواضع، رفيق الوجه، متجملًا، كَلِف الخاصة والعامة، مبذول الجاه والشفاعة، كَهَفًا لأصناف الطلبة. قَدِم على غرناطة في وزارة صديقه، ورفيق طريقه، في حجه وتُشريقه، أبي عبد الله بن الحَكيم، فلقي برًا، وتقدّم للخطابة بالمسجد الأعظم، ونَفَعَ الله لِدِيه بشفاعته المبذولة طائفةً من خَلْقِه، وانصرف إثر مَقْتَلِه إلى العُدوة، فاستقرَّ بمدينة فاس، معظماً عند الملوك والخاصة، معروف القدر عندهم.

مُشِيخته: قرأ ببلده سبتة على الأستاذ إمام الثُّحاة أبي الحسن بن أبي الربيع كتاب سيويه. وقَدِم على ذلك تقييداً مفيداً، وأخذ عنه القراءات. وأخذ أيضاً عن الأستاذ أبي الحسن بن الخطّار. ورَحَلَ من بلده سبتة لأداء الفريضة. حَجَّ وَلَقِيَ

(١) جاء في الروض المعطار (ص ١٢٨): «تازا: من بلاد المغرب، أول بلاد تازا حُد ما بين المغرب الأوسط وبلاد المغرب... وقد بني فيها في هذا العهد القريب مدينة الرباط، أعني في جبال تازا».

(٢) ترجمة ابن رشيد في نفح الطيب (ج ٥ ص ٦٩) و(ج ٧ ص ٢١٤، ٢٥٧، ٣٦٣).

المشايع عام ثمانية وثمانين وستمائة، فوافى في طريقه الحاج المحدث الراوية، ذا الوزارتين بعد، أبا عبد الله الحكيم، وأخذ عن العجلة الذين يشق إخصاؤهم، فممن لقي بإفريقية الراوية العذل أبا محمد عبد الله بن هارون، يزوي عن ابن بقي، والأديب المتبحر أبا الحسن حازم بن محمد القرطاجي. وروى بالمشرق عن العدد الكثير كالإمام جار الله أبي اليمن بن عساكر، لقيه بباب الصفا تجاه الكعبة المعظمة، وهو موضع جلوسه للسمع، غرة شوال عام أربعة وثمانين وستمائة، وعن غيره، كأبي العز عبد الرحمن بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن منظور بن هبة الله، وغيرهم ممن ثبت في اسم مرافقة في السماع والرحلة أبي عبد الله بن الحكيم، رحمه الله، فليُنظر هنالك.

**تواليه:** ألف فوائد رحلته في كتاب سماه «ملء العين»، فيما جمع بطول الغيبة، في الوجهتين<sup>(١)</sup> الكرّيمتين إلى مكة وطّية. قال شيخنا أبو بكر بن شبرين: وقفت على مسودته، ورأيت فيه فنونا وضروبا من الفوائد العلمية والتاريخ، وطرقا من الأخبار الحسان، والمُسندات العوالي والأناشيد. وهو ديوان كبير، ولم يسبق إلى مثله. قلت: ورأيت شيئا من مختصره بسبته.

**دخوله غرناطة:** ورد على الأندلس في عام اثنين وتسعين وستمائة، فعقد مجالس للخاص والعام، يقرئ بها فنونا من العلم. وتقدم خطيبا وإماما بالمسجد الأعظم منها. حدثني بعض شيوخنا، قال: قعد يوما على المنبر، وظن أن المؤذن الثالث قد فرغ، فقام يخطب والمؤذن قد رفع صوته بأذانه، فاستعظم ذلك بعض الحاضرين، وهم آخر بإشعاره وتنبهه، وكلمه آخر، فلم يثنه ذلك عما شرع فيه، وقال بديهة: أيها الناس، رجمكم الله، إن الواجب لا يُبطله المندوب، وأن الأذان الذي بعد الأول غير مشروع الوجوب، فتأهبوا لطلب العلم، وانتبهوا، وتذكروا قوله، عز وجل: وما أتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، وقد رؤينا عنه ﷺ، أنه قال: من قال لأخيه والإمام يخطب، اضمت، فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له. جعلنا الله وإياكم ممن علم فعمل، وعمل فقبل، وأخلص فتخلص. وكان ذلك مما استدلل به على قوة جنانته، وانقياد لسانه لبيانه.

**شعره:** وله شعر يتكلفه، إذ كان لا يزن أعارضه إلا بميزان العروض، فمن ذلك ما حدث به، قال: لما خللت بدمشق، ودخلت دار الحديث الأشرية، برسم رؤية الثعل الكريمة، نغل المصطفى، صلوات الله عليه، ولثمتها، حصرثني هذه

(١) في نفع الطيب (ج ٥ ص ٧٠): «في الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطّية».

## الآيات: [الطويل]

هنيئًا لعيني أن رأت نعل أحمَد  
وقبَلْتُها أشفي الغليل فزادني  
فَلله ذاك اللُّثم فهو أَلدُّ مِن  
ولله ذاك اليوم عيدًا ومغلما  
عليه صلاة نشرها طيِّبٌ كما  
فيا سَعْد، جَدِّي قد ظَفِرْتُ بِأسْعِدِ  
فيا عَجَبًا زاد الظُّما عند مُورِدِ  
لمى شَفَّةَ لَمِيا وخَدُّ مُورِدِ  
بتاريخه أَرخْتُ مَوْلِدَ أسْعِدِ  
يُحِبُّ وَيَرْضَى رَبُّنا لِمَحَمَّدِ

وقال: وقلت في موسم عام ستة وثمانين وستمائة، بِتَغْرِ سَبْتَةِ حرسها الله

تعالى: [الطويل]

أقول إذا هبَّ النَّسيم المُعَطَّرُ  
وعالي الصُّبا مرَّت على رُبْعِ جِيرَتِي  
وأذكر أوقاتي بِسَلَمَى وبالجَمَى  
ربوعٌ يوَدُّ المِسْكُ طيبَ ترابها  
بها جِيرةٌ لا يَخْفِرُونَ بِذِمَّةِ  
إذا ما اجْتَلَّتْ زُهر النجوم جمالهم  
ومن جُودِ جَدِّواهم يُرى اللَّيْثُ يَغْمُرُ  
ومن سَنَبِ يَمَناهم يُرى الرُّوضُ يَزْهَرُ  
رعى الله عَهْدًا بِالْمُصَلَّى عَهْدُته  
زمانًا نَعِمْنَا فيه والظِّلُّ وارِفُ  
ولله أيامُ المُصَلَّى وطيبُها  
بحيث يُرى بَذَرُ الكمالِ وشَمْسُه  
أروم دُنُوءًا من بهاءِ جَمالها  
خضعتُ وذُلِّي لِلحبيبِ تَعَزُّزُ  
ووجهُ سروري سافرَ مُتَهَلِّلُ  
فطوبى لِمَن أَضْحَى بِطَيِّبَةٍ ثاوِيَا

لعلَّ بِشِيرًا بِاللِّقاءِ يُبَشِّرُ  
فَعَن طِيبَهُم عَزَفُ النَّسيمِ يُعْبِرُ  
فَتَذْكُورُ لَظَى في أَضْلَعِي حينَ أَذْكَرُ  
ويَهْوَى حَصَى فيها عَقِيْقٌ وَجَوْهَرُ  
هُم لِمَوالِيهِم جَمالٌ وَمَفْخَرُ  
تغار لباهي ثورهم فَتَعَوَّرُ  
ومن خَوْفِ عَدِواهم يُرى اللَّيْثُ<sup>(١)</sup> يَذْعُرُ  
ومن قَيْضِ نَعْمَاهم يُرى البَحْرُ يَزْخُرُ  
وروضُ المُنَى غَضُّ يَرْقُ وَيَنْضُرُ  
بجَناتِ عَدَنٍ تَحْتَهَا العَذْبُ يَخْضُرُ  
وأنفُسُنا بِالقُرْبِ والأُنْسِ تُجْبِرُ  
وروضُته فِرْدَوْسُ حَوْضِ<sup>(٢)</sup> وَمُنْبَرُ  
ولَثَمًا فَتَأْبَى هَيْبَةً وَتَوْقُرُ  
فطرَفِي مَغْضُوضٍ وخَدِّي مُعَفَّرُ  
وحالي بِهِم حلٌّ<sup>(٣)</sup> وَعَيْشِي أَخْضَرُ  
يجرُّ بِأَذْيالِ<sup>(٤)</sup> الفَخَّارِ وَيَنْشُرُ

(١) قوله: «يُرى اللَّيْثُ» ساقط في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.

(٢) في الأصل: «فردوسٌ وحوضٌ»، وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «حُلِّلٌ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «أذْيال»، وكذا ينكسر الوزن.

وَإِذَا فَاتَ عَيْنِي أَنْ تَرَاهُمْ فَرَدُّوا  
وَزَدْتُ فِيهَا طِيبَ الْوُرُودِ بِطَيِّبَةٍ  
رَمَانِي رَمَانِي بِالْفِرَاقِ فَعَرْنِي  
وَأَضْمَرْتُ أَشْجَانِي وَدَمْعِي مُظْهِرٌ  
فَمِنْ أَدْمُعِي مَاءٌ يَفِيضُ وَيَهْمُرُ  
فَجَسَمِي مُضْفَرٌ وَقُودِي أَبْيَضُ  
وَحِينَ دَنَا التَّوْدِيعُ مِمَّنْ أَحْبَبُهُ  
وَنَادَى صِاحِبِي بِالرَّحِيلِ وَأَزْمَعُوا  
وَأَلَوَى إِلَيْهِ الْجِيدَ حَتَّى وَجَعْتَهُ  
وَقَفْتُ لِأَقْضِي زَفْرَةً وَصَبَابَةً  
وَلَوْ أَنَّني بَعْتُ الْحَيَاةَ بِنَظَرَةٍ  
وَمَا بِاخْتِيَارِي إِنَّمَا قَدَرُ جَرَى  
حَنِينِي إِلَى مَعْنَى الْجَمَالِ مُوَاسِلُ  
وَغَيْرُ جَمِيلٍ أَنْ يُرَى عَنْ جَمَالِهَا  
أَيَضُبُّرُ ظِمَانٌ يُغَالُ بِغُلَّةٍ  
فِيهَا عَيْنُهَا الزَّرْقَاءُ إِنَّ عَيُونَهَا  
سَاقَطِعَ لَيْلِي بِالسُّرَى أَوْ أَزُورُهَا  
وَأُنْضِي الْمَطَايَا أَوْ أُوَافِي رِنْعَهَا  
حَظَرْتُ عَلَى نَفْسِي الْجِدَارَ مِنَ الرَّدَى  
أَيْتَكَرُ تَغْرِيرَ الْمَشُوقِ بِنَفْسِهِ  
وَقَفْتُ عَلَى قَتَاوَى الْمُحِبِّينَ كُلِّهِمْ  
وَإِنِّي إِذَا مَا خَطَرَةٌ خَطَرَتْ قَضْتُ  
أَقِيمُ فَأُلْقِي بَيْنَ عَيْنِي هِمَّتِي  
إِذَا مَا بَدَتْ لِلْعَيْنِ أَعْلَامُ طَيِّبَةٍ  
وَلِلْقُبَّةِ الزَّهْرَاءِ سَمُكَ سَمَا عَلَا  
لَهَا مَنَظَرٌ قَيْنُ الثَّوَاظِرِ وَالنُّهَى

عَلَى مَسْمَعِي ذَكَرَ الْمُصَلَّى وَكَرَّرُوا  
صَدَرْتُ فَوَاحِزْنِي فَلَا كَانَ مَضْدَرُ  
عَلَى مِثْلِ مَنْ فَارَقْتُ عَزَّ التَّصَبُّرُ  
وَأَسْرَزْتُ هَجْرَانِي وَحَالِي تُخْبِرُ  
وَمَنْ أَضْلَعِي نَارَ تَقُورٍ وَتَسْعَرُ  
وَعَيْنِي مُغَبَّرٌ وَدَمْعِي أَخْمَرُ  
وَحَانَ الَّذِي مَا زِلْتُ مِنْهُ أَحْذَرُ  
وَسَارَتْ مَطَايَاهُمْ وَظِلْتُ أَقْهَقِرُ  
وَظِلُّ فَوَادِي لَوْعَةٍ يَتَفَطَّرُ  
وَلَا أَتُنْنِي فَالْمَوْتَ أَجْدَى وَأَجْدَرُ  
لَأَبْتُ وَحَظِّي فِيهِ أَوْفَى وَأَوْفَرُ  
رَضِيْتُ بِمَا يَقْضِي الْإِلَهَ وَيُقْدِرُ  
وَشَوْقِي إِلَى مَعْنَى الْجَمَالِ مُؤَفِّرُ  
فَوَادِي صَبُورًا وَالْمَسِيرُ مُيَسَّرُ  
وَفِي رَوْضَةِ الرُّضْوَانِ شَهْدٌ وَكَوْثَرُ  
مِنَ الْحُزْنِ فَيَضُّ بِالنَّجِيعِ تُفَجِّرُ  
وَأَحْمِي الْكَرَى عَيْنًا لِبَعْدِكَ يَظْهَرُ  
فَتُنْجِدُنِي طَوْرًا وَطَوْرًا تُغَوِّرُ  
أَتَّخِذُ نَفْسَ الْحَبِيبِ تُسَيِّرُ  
وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ الْمُحِبَّ مُعَرَّرُ  
فَلَمْ أَجِدِ التَّغْرِيرَ فِي الْوَضْلِ يُنْكَرُ  
بِهَمِّي وَعَزْمِي هِمَّةٌ لَا تُؤْطَرُ  
وَسَيَّرِي فِي سُبُلِ الْعُلَا لَيْسَ يُنْكَرُ  
وَلَا حَتَّ قِبَابُ كَالْكُوكَبِ تَزْهَرُ  
وَرَأَقَ سَنَى كَالشَّمْسِ بَلْ هُوَ أَزْهَرُ  
لَهَا سَاكِنٌ مِنْ نُورِهِ الْبَدْرُ يَبْدُرُ

فَأَعْرِجُوا<sup>(١)</sup> عَلَى أَهْلِ<sup>(٢)</sup> الْكَمَالِ وَسَلِّمُوا  
بِنَفْسِي لَا بِالْمَالِ أَرْضَى بِشَارَةَ  
وَمَا قَدَّرُ نَفْسِي أَنْ تَكُونَ كِفَاءً<sup>(٣)</sup>  
أَقُولُ إِذَا أَوْفَيْتُ أَكْرَمَ مُرْسَلٍ  
وَأَخْطَى بِتَقْرِيبِ الْجَوَارِ مُكْرَمًا  
وَأَزْتَعُ فِي ظِلِّ الْجَنَانِ مَنْعَمًا  
هُنَاكَ هُنَاكَ الْقُرْبُ فَانْعِمَ بَنِيْلَهُ  
وَدَغْ عَنْكَ تَطَوُّافُ الْبِلَادِ وَخَيْمٍ<sup>(٤)</sup>  
فَخَرْتُ بِمَذْحِي لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ  
أَطَلْتُ وَإِنِّي فِي الْمَدِيحِ مُقْصِرُ  
مَا بَلَغْتُ كَفْ أَمْرِي مَتَنَاوِلُ  
وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ فِي الْقَوْلِ مِدْحَةً  
عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ مَا مَرَّ سَبَقُ

وقال يرثي ابنا نجيبًا ثَكَلَهُ بغرناطة: [الطويل]

شِبَابٌ ثَوَى شَابَتْ عَلَيْهِ الْمَفَارِقُ  
عَلَى حِينٍ رَاقٍ النَّاطِرِينَ بِسَوْقِهِ  
فَمَا أَخْطَأَتْ مِنْهُ الْفُرَادُ بَعْمُهَا  
وَحِينَ تَدَانِي لِلْكَمَالِ هِلَالُهُ  
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فَهَوَ يُشْكِي نَوَازِعًا  
وَلَا مِثْلُ فُقْدَانِ الْبُنْيِ فَجِيعَةً  
مُحَمَّدُ إِنَّ الصَّبْرَ صَبْرٌ وَعَلَقَمٌ  
فَلِنْ جَزَعًا فَاللهَ لِلْعَبْدِ عَاذِرُ  
وَتَاللهَ مَا لِي بَعْدَ عَيْنِيكَ لَذَّةً  
وَعُضُنْ دَوَى تَأَقَّتْ إِلَيْهِ الْحَدَائِقُ  
رَمَتْهُ سِهَامٌ لِلْعَيُونِ رَوَاشِقُ  
فَلَا أَبْصَرْتُ تِلْكَ الْعَيُونِ الرَّوَاقِ  
أَلَمْ بِهِ نَقْصٌ وَجَدْتُ مَوَاحِقُ  
عَظَامًا سَطَاهَا لِلْعِظَامِ عَوَارِقُ  
وَأَنْ طَالَ مَا لَجَّتُ وَجَلَّتْ بَوَاقِ  
عَلَى أَنَّهُ حُلُوُ الْمُثُوبَةِ سَابِقُ  
وَأِنْ جَلَدًا فَالْوَعْدُ لِلَّهِ صَادِقُ  
وَلَا رَاقِنِي مَرَأَى لِعَيْنِي رَاقِ

(١) في الأصل: «فَعْرِجُوا» وكذا ينكسر الوزن. وأعرجوا: ادخلوا في وقت غيبوبة الشمس. محيط المحيط (عرج).

(٢) في الأصل: «كَمَل»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) في الأصل: «كَفَاء»، وكذا ينكسر الوزن. (٤) في الأصل: «وَحَيْمِينَ».

فَأَنبِي بِهِ وَالْمُذَكَّرَاتِ عَدِيدَةٌ      فَنُبِّلَ وَهَمٌّ لِلْعَوَائِدِ خَارِقِ  
فَإِنْ أَلْتَفِتْ<sup>(١)</sup> فَالشَّخْصُ لِلْعَيْنِ مَائِلٌ      وَإِنْ أَسْتَمِعْ فَالصَّوْتُ لِلأَذُنِ طَارِقِ  
وَإِنْ أَدْعُ شَخْصًا بِاسْمِهِ لِحُضُورَةٍ      فَإِنَّ أَسْمَكَ الْمَحْبُوبِ لِلنُّطْقِ سَابِقِ  
وَإِنْ تَقْرَعَ الْأَبْوَابَ رَاحَةً قَارِعِ      يَطِرُ<sup>(٢)</sup> عِنْدَهَا قَلْبٌ لِيَذْكَرَكَ خَافِقِ  
وَكَلُّ كِتَابٍ قَدْ حَوِيَتْ فَمُذَكَّرُ      وَأَنَارَهُ كُلُّ إِلَيْكَ تَوَائِقُ  
سَبَقَتْ كَهَوْلًا<sup>(٣)</sup> فِي الطُّفُولَةِ لَا تَنِي      وَأَزْهَقَتْ أَشْيَاخًا وَأَنْتَ مُرَاهِقُ  
فَلَوْ لَمْ يُغْلِكَ الْمَوْتُ دُمْتَ مُجَلِّيًا      وَأَقْبَلَ سَكِينًا وَجِيئًا<sup>(٤)</sup> وَلَا حِقِ  
عَلَى مَهْلٍ أَخْرَزْتَ مَا شَتَّ ثَانِيًا      عِنَانُكَ لَا تَجْهَدُ وَأَنْتَ مُسَابِقِ  
رَأَتْكَ الْمَنَايَا سَابِقًا فَأَغْرَزَتْهَا      فَجُدَّ طِلَابًا إِنَّهُمْ لَوَاحِقِ  
لَشَنْ سُلَيْتَ مَنِي نَفِيسَ ذَخَائِرِ      فَإِنِّي بِمَذْخُورِ الْأَجُورِ لَوَائِقِ  
وَقَدْ كَانَ ظَنِّي أَنَّنِي لَكَ سَابِقُ      فَقَدْ صَارَ عِلْمِي أَنَّنِي بِكَ لَاحِقِ  
غَرِيبِينَ كُنَّا فَرَّقَ الْبَيْنُ بَيْنَنَا      فَأَبْرَحَ مَا يَلْقَى الْغَرِيبُ الْمُفَارِقِ  
فَبَيْنُ وَبُعْدُ بِالْغَرِيبِ تَوَكُّلًا      قَدْ رَعَى بِمَا حَمَلْتُ وَاللَّهُ ضَائِقِ<sup>(٥)</sup>  
عَسَى وَطَنٌ يَذْنُو فَتَذْنُو لَهُ<sup>(٦)</sup> مَنِي      وَأَيُّ الْأَمَانِي وَالْخَطُوبِ عَوَائِقُ؟  
فَلَوْلَا الْأَسَى ذَابَ الْفُؤَادُ مِنَ الْأَسَى      وَلَوْلَا الْبُكَاءُ لَمْ يَحْمَلِ الْحُزْنَ طَائِقِ  
فَخَطُّ الْأَسَى خَطًّا تَرَوُّقُ سَطُورُهُ      وَتَمْنَحُو الْبُكَاءَ فَالدَّمْعُ مَاحٍ وَسَاحِقِ  
فِيَا وَاحِدًا قَدْ كَانَ لِلْعَيْنِ نُورُهَا      عَلَيْكَ ضِيَاءُ<sup>(٧)</sup> بَعْدَ بُعْدِكَ غَاسِقِ  
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا جَنَّ سَاجِعُ      وَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَمَا ذَرُّ شَارِقِ  
وَمَا هَمَمَتْ سُحْبٌ عَوَادٍ رَوَائِحُ      وَمَا لَمَعَتْ تَخْذُو الرُّعُودَ بَوَارِقِ  
وَجَادَ عَلَى مَشَاكٍ غَيْثٌ مُرَوِّضُ      عَبَادًا<sup>(٨)</sup> لِرِضْوَانِ الْإِلَهِ مُوَافِقِ

(١) في الأصل: «فأين التفت» وكذا لا يستقيم المعنى والوزن.

(٢) في الأصل: «يطير» وكذا ينكسر الوزن، والوجوب جزمه لأنه جواب الشرط.

(٣) في الأصل: «كهولة» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٤) في الأصل: «وجيئة» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٥) عجز هذا البيت مختل الوزن والمعنى. (٦) كلمة «له» ساقطة في الأصل.

(٧) في الأصل: «تلُ ضياء» وكذا ينكسر الوزن ولا معنى له.

(٨) في الأصل: «عباد» بتشديد الباء، وكذا ينكسر الوزن.

معنته: تعرّض إليه قومٌ يوم قُتلَ صديقه أبي عبد الله الحكيم بإذاعة قبيحة، وأسمع كل شارق من القول على ألسنة زعانفة فجر وترهم القتل، فتخلّص ولا تسَلْ كيف، وأزمع الرّحيل فلم يلبث بعد ذلك.

وفاته: كانت وفاته بمدينة فاس، في اليوم الثامن من شهر المحرم مفتتح عام أحد وعشرين وسبعمائة. ودفن في الجبانة التي بخارج باب الفتوح بالروضة المعروفة بمطرح الجثة، التي اشتملت على العلماء والصلحاء والفضلاء، من الغرباء الواردين مدينة فاس، وكان مولده بسبّعة عام سبعة وخمسين وستمئة.

### محمد بن علي بن هاني اللّخمي السّنبّي<sup>(١)</sup>

يكنى أبا عبد الله، ويعرف باسم جدّه، أصلهم من إشبيلية.

حاله: كان، رحمه الله، فريدَ دهره في سُمُو الهمة، وإيثار الاقتصاد والتّحليّ بالقناعة، وشُمُوخ الأتّيف على أهل الرّئاسة، مُقتصرًا على فائدة رُبّع له ببلده، يتبَلَّغ مع الاستقامة، مع الصّبر والعمل على حفظ المروءة، وصَوْن ماء الوجه، إمامًا في علم العربيّة، مبرزًا متقدّمًا فيه، حافظًا للأقوال، مُستوعبًا لطريق الخلاف، مُستحضرًا لُحجّج التّوجيه، لا يُشَقُّ في ذلك غُبَاؤه، رِيّان من الأدب، بارع الخطّ، سهل مَقادة الكلام، مُشاركًا في الأُصْلين، قائمًا على القراءات، حَسَن المجلس، رائق البِزّة، بارع المحاضرة، فائق التّرسُّل، متوسط النّظم، كثير الاجتهاد والعكوف، مليح الخلق، ظاهر الخشوع، قريب الدُّمعة، بيته شهير الحسب والجلالة.

وجرى ذكره في «الإكليل الزاهر» بما نصّه<sup>(٢)</sup>: عَلِمَ تشير إليه الأكُفُّ<sup>(٣)</sup>، ويُعْمَلُ إلى لقائه الحافر والخُفُّ<sup>(٤)</sup>، رفع للعربيّة ببلده راية لا تتأخّر، ومرج منها لُجّة تزخّر، فانفسح مجالُ درسه، وأثمرت أدواخُ غَرْسِه، فركَضَ بما<sup>(٥)</sup> شاء وبرّج، ودوّن وشرح، إلى شمائل تَمَلِّكُ<sup>(٦)</sup> الطّرف زمامها، ودُعابة راشّت الحلاوة سيّهامها. ولما أخذ المسلمون في مُنازلة الجبل<sup>(٧)</sup> وحِصاره، وأصابوا الكُفّر منه بجارحة

(١) ترجمة ابن هاني اللّخمي في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨١).

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٨١ - ٣٨٢).

(٣) قوله: تشير إليه الأكُفُّ: كناية عن الشهرة.

(٤) يُعْمَلُ إلى لقائه الحافر والخُفُّ: كناية عن أنه مقصود من كل الناس.

(٥) في النفح: «ما». (٦) في المصدر نفسه: «يملك».

(٧) يقصد جبل طارق أو جبل الفتح.



أَبْصَارُهُ، وَرَمَوْا بِالْثُّكُلِ فِيهِ نَازِحَ أَمْصَارِهِ، كَانَ مَمَّنْ انْتَدَبَ وَتَطَوَّعَ، وَسَمِعَ النَّدَاءَ فَأَهْطَعَ<sup>(١)</sup>، فَلَازِمُهُ إِلَى أَنْ نَفِدَ لِأَهْلِهِ الْقَوْتُ، وَبَلَغَ مِنْ فَسْحَةِ<sup>(٢)</sup> الْأَجْلِ الْمُوقُوتِ، فَأَقَامَ الصَّلَاةَ بِمَحْرَابِهِ، وَقَدْ<sup>(٣)</sup> غَيَّرَ مُحْيَاةَ طَوْلُ اغْتِرَابِهِ، وَبَادَرَهُ الطَّاعِيَةُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَقِرَّ نَصْلُ الْإِسْلَامِ فِي قِرَابِهِ<sup>(٤)</sup>، أَوْ يَعْلُقَ أَصْلُ الدِّينِ فِي ثَرَابِهِ. وَانْتَدَبَ إِلَى الْحَصَارِ بِهِ وَتَبَرَّعَ، وَدَعَاهُ أَجَلُهُ فَلَبَّى وَأَسْرَعَ. وَلَمَّا هَدَرَ عَلَيْهِ الْفَنِيْقُ<sup>(٥)</sup>، وَرَكَعَتْ إِلَى قِبَلَتِهِ الْمَجَانِيْقُ<sup>(٦)</sup>، أُصِيبَ بِحَجَرٍ دَوَّمَ عَلَيْهِ كَالْجَارِحِ الْمُحَلَّقِ، وَانْقَضَ إِلَيْهِ انْقِضَاضُ الْبَارِقِ الْمَتَأَلَّقِ، فَأَقْتَنَصَهُ وَاخْتَنَطَفَهُ، وَعَمِدَ إِلَى زَهْرِهِ فَقَطَفَهُ<sup>(٧)</sup>، فَمَضَى إِلَى اللَّهِ طَوْعَ نَيْتِهِ، وَصَحِبَتْهُ غَرَابَةُ الْمَنَازِعِ حَتَّى فِي مَيِّتِهِ<sup>(٨)</sup>.

مَشِيخَتُهُ: قَرَأَ عَلَى الْأَسْتَاذِ الْعَلَّامَةِ أَبِي إِسْحَاقَ الْغَافِقِيِّ، وَعَلَى الْأَسْتَاذِ النَّحْوِيِّ أَبِي بَكْرٍ بَنِ عُبَيْدَةَ، وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ، وَقَرَأَ عَلَى الْإِمَامِ الصَّالِحِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بَنِ حُرَيْثٍ.

تَوَالِيفُهُ: أَلْفٌ<sup>(٩)</sup> كُتِبَتْ، مِنْهَا<sup>(١٠)</sup> كِتَابُ «شَرْحِ التَّسْهِيلِ لِابْنِ مَالِكٍ»، وَهُوَ أَجَلُ كِتَبِهِ، أَبْدَعَ فِيهِ، وَتَنَافَسَ النَّاسُ فِيهِ. وَمِنْهَا<sup>(١١)</sup> «الْعُرَّةُ الطَّالِعَةُ فِي شِعْرَاءِ الْمَائَةِ السَّابِعَةِ»، وَمِنْهَا<sup>(١٢)</sup> «إِنْشَادُ الضُّوْأَلِ، وَإِرْشَادُ السُّوْأَلِ فِي لَحْنِ الْعَامَةِ»، وَهُوَ كِتَابُ<sup>(١٣)</sup> مَفِيدٍ، وَ<sup>(١٤)</sup> «قَوْتُ الْمُقِيمِ». وَدَوَّنَ تَرْسُلَ<sup>(١٥)</sup> رَئِيسِ الْكُتَّابِ أَبِي الْمُطَّرَفِ بَنِ عُمَيْرَةَ وَضَمَّهُ فِي سِفْرَيْنِ. وَلَهُ رَجَزٌ<sup>(١٦)</sup> فِي الْفَرَائِضِ مَفِيدٍ.

شِعْرُهُ: حَدَّثَنَا<sup>(١٧)</sup> شَيْخُنَا الْقَاضِي الشَّرِيفُ، نَسِيحُ وَحْدَهُ، أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنِيُّ، قَالَ: خَاطَبَتِ الْأَسْتَاذَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بَنِ هَانِيءٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ، بِقَصِيدَةٍ مِنْ نَظْمِي أَوْلَاهَا<sup>(١٨)</sup>:

- 
- (١) أَهْطَعَ: أَسْرَعَ. لِسَانُ الْعَرَبِ (هَطَعَ).
  - (٢) فِي النَّفْحِ: «وَحْيَاهُ وَقَدْ...».
  - (٣) الْقِرَابُ: جَفَنَ السِّيفِ وَغَمَدَهُ. لِسَانُ الْعَرَبِ (قَرَب).
  - (٤) فِي الْأَصْلِ: «الْفَتِيْقُ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ. وَالفَتِيْقُ: الْفَحْلُ مِنَ الْإِبِلِ. لِسَانُ الْعَرَبِ (فَتَق).
  - (٥) فِي النَّفْحِ: «وَرَكَعَ إِلَى قِبَلَةِ الْمَنْجِنِيْقِ».
  - (٦) فِي النَّفْحِ: «فَاقْتَنَطَفَهُ».
  - (٧) فِي النَّفْحِ: «أَمْنِيَّتِهِ».
  - (٨) فِي النَّفْحِ: «مِنْهَا شَرْحُ تَسْهِيلِ الْفَوَائِدِ لِابْنِ مَالِكٍ، مَبْدَعُ تَنَافُسِ النَّاسِ فِيهِ...».
  - (٩) فِي النَّفْحِ: «وَكِتَابٌ».
  - (١٠) فِي النَّفْحِ: «تَرْسِلُ أَبِي الْمُطَّرَفِ...».
  - (١١) فِي النَّفْحِ: «وَحَدَّثَنِي شَيْخُنَا الشَّرِيفُ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ قَالَ: خَاطَبَتِ ابْنَ هَانِيءٍ بِقَصِيدَةٍ...».
  - (١٢) فِي النَّفْحِ: «شِعْرُهُ فِي نَفْحِ الطَّيْبِ (ج ٨ ص ٢٨٢) وَجَاءَ فِيهِ: «وَحَدَّثَنِي شَيْخُنَا الشَّرِيفُ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ قَالَ: خَاطَبَتِ ابْنَ هَانِيءٍ بِقَصِيدَةٍ...».
  - (١٣) فِي النَّفْحِ: «شِعْرُهُ فِي نَفْحِ الطَّيْبِ (ج ٨ ص ٣٨٢ - ٣٨٣)».

[البسيط]

هات<sup>(١)</sup> الحديث عن الرُّكْب<sup>(٢)</sup> الذي شَخَصَافأجابني عن ذلك بقصيدة في رَوِيَّهَا<sup>(٣)</sup>:

لولا مَشِيْبٌ بِفَوْدِي لِفَوَادِ عَصَى  
واستوقفت عِبْرَاتِي وَهِيَ جَارِيَةٌ  
مُسَائِلًا عَنْ لِيَالِيهِ الَّتِي انْتَهَزَتْ  
وَكُنْتُ جَارِيَتْ فِيهَا مَنْ جَرَى طَلَقًا  
أَصَابَ شَاكِلَةَ الْمَرْمِي حِينَ رَمَى  
وَمَنْ أَعَدَّ مَكَانَ النَّبْلِ نُبْلَ حِجَا  
ثُمَّ انْتَقَى ثَانِيًا عِطْفَ النَّسِيبِ إِلَى  
فَظَلْتُ أَرْفُلُ فِيهَا لِنَسَةِ شَرُفَتْ  
يَقُولُ فِيهَا وَقَدْ خَوْلْتُ مِنْحَتَهَا  
هَذَا عَقَائِلُ وَأَنْتَ مِنْكَ ذَا شَرَفٍ  
فَقُلْتُ: هَلَّا عَكَسْتَ الْقَوْلَ مِنْكَ لَهُ  
وَقُلْتُ: ذِي يَكْرُ فِكْرٍ مِنْ أَخِي شَرَفٍ  
لَهَا حُلَى حُسْنِيَّاتٍ عَلَى حُلَلٍ  
خَوَّلْتُهَا وَقَدْ اعْتَزَّتْ مَلَابِسَهَا  
خُذْهَا أَبَا قَاسِمٍ مَنِي نَتِيجَةً ذِي  
جَاءَتْ تَجَاوُبُ عَمَّا قَدْ بَعَثَتْ بِهِ

نَضَيْتُ<sup>(٤)</sup> فِي مَهْمَةِ التَّشْيِيبِ لِي قُلُصَا<sup>(٥)</sup>  
وَكَفَاءُ تُوْهُمُ زُبْعًا لِلْحَبِيبِ قَصَا  
أَيْدِي الْأَمَانِي بِهَا مَا شَتَّتَهُ فُرْصَا  
مِنَ الْإِجَادَةِ لَمْ يُخْجَمِ<sup>(٦)</sup> وَلَا نَكْصَا  
مِنَ الشُّوَارِدِ مَا لَوْلَاهُ مَا اقْتَنَصَا  
لَمْ يَزُضْ إِلَّا بِأَبْكَارِ الثُّهَى قَنَصَا  
مَذَحَ بِهِ قَدْ غَلَا مَا كَانَ قَدْ رَخَصَا  
ذَاتًا وَمُنْتَسَبًا أَعَزَّزَ بِهِ قُمْصَا  
وَجُرْعَ الْكَاشِخِ الْمُغْرَى بِهَا غُصَصَا<sup>(٧)</sup>  
لَوْلَا أَيْدِيهِ بَيْعَ الْحَمْدُ مُرْتَخَصَا  
وَلَمْ يَكُنْ قَابِلًا مِنْ<sup>(٨)</sup> مَذَحِهِ الرُّخَصَا؟  
يُزِدِي وَيُزْضِي بِهَا الْحُسَادَ وَالْخُلُصَا  
حُسْنِيَّةٌ تَسْتَبِي مَنْ حَلَّ أَوْ شَخَصَا  
بِالْبَحْتِ يَنْقَادُ لِلْإِنْسَانِ مَا عَوَصَا<sup>(٩)</sup>  
وَدَّ إِذَا شِئْتُ وَدَّا لِلوَرَى خَلَصَا  
إِنْ كُنْتُ تَأْخُذُ مِنْ دُرِّ النُّحُورِ حَصَا

(١) فِي الْأَصْل: «هَلَّتْ» وَهَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْعِ.

(٢) فِي الْأَصْل: «الْكَرْبُ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْعِ.

(٣) فِي النَّفْعِ: «فَأَجَابَنِي بِقَصِيدَةٍ عَلَى رَوِيَّهَا أُولَئِهَا».

(٤) فِي النَّفْعِ: «أَنْضَيْتُ».

(٥) الْقُلُصُ: جَمْعُ قُلُوصٍ وَهِيَ النَّاقَةُ. لِسَانُ الْعَرَبِ (قُلُص).

(٦) فِي النَّفْعِ: «لَمْ يَجْمَعْ».

(٧) جُرْعٌ: سُقْيِي. وَالْكَاشِخُ: الْمُبْغُضُ. وَالْمُغْرَى: جَمْعُ غَصَّةٍ وَهِيَ عَدَمُ انْسِيَاجِ الطَّعَامِ فِي الْحَلْقِ.

لِسَانُ الْعَرَبِ (جُرْع) وَ(كَشَح) وَ(غَصَص).

(٨) عَوَصَ: صَعَبَ. لِسَانُ الْعَرَبِ (عَوَص).

(٩) فِي النَّفْعِ: «فِي».

وهي طويلة. ومما ينسب إليه، وهو مليح في معناه<sup>(١)</sup>: [الكامل]

ما للثوى مُدَّتْ لغير ضرورة      ولَقَبِلَ ما عهدي بها مَقْصُورَةٌ  
إِنَّ الخليل وإن دَعَثَهُ ضرورة      لم يَزُضْ ذاك فكيف دون ضرورة

وقال مضمَّنًا: [الرمل]

لا يَلْمَنِي عاذلي حتى يرى<sup>(٢)</sup>      وَجَهَ من أهوى فلَوَمِي مستحيل  
لو رأى وَجَهَ حبيبي عاذلي      لَتَفَارَقْنَا على وَجْهِ جميل

وقال في الفخر: [الكامل]

قُلْ لِلْمَوَالِي: عِشْ بِغُبْطَةِ حامِدٍ      وَلِلْمُعَادِي: بِثْ بِضَغْنَةِ حاسِدٍ  
الْمُزَنُ كَفِّي والثَّرِيَّا هِمَّتِي      وَذُكَا<sup>(٣)</sup> ذِكْرِي والسُّعُودُ مقاصدي<sup>(٤)</sup>

وقال في غير ذلك: [البسيط]

عَنَيْتُ بي دون غيري الدَّهْرَ عن مَثَل      بَعْضِي لِبَعْضِي أَضْحَى يَضْرِبُ المَثَلَا  
ظَهري انحنى لمشيبي لآح واعجبا      غَضُّ إِذَا أَيْنَعَتْ أَزْهَارُهُ ذُبْلَا  
أذاك<sup>(٥)</sup> أَمْ زُهرٌ لآحَتْ تُخْبِرُ أَنَّ      يوم الصُّبَا والتَّصَابِي آنَسَ الطُّفْلَا

ومما جَمَعَ فيه بين نظمه ونثره، ما راجع به شيخنا القاضي الشريف أبا القاسم الحسني، عن القصيدة الهمزية التي ثبتت في اسمه<sup>(٦)</sup>: [الكامل]

يا أَوْحَدَ الأُدْبَاءِ أو يا أَوْحَدَ الـ      ففضلاء أو يا أَوْحَدَ الشُّرَفَاءِ  
من ذا تراه أَحَقُّ منك إِذَا التَّوَتْ      طَرُقَ الحِجَاجُ بَأَنٍ يَجِيبُ ندائي<sup>(٧)</sup>  
أَدَبٌ أَرَقُّ من الهَوَاءِ وَإِنْ تَشَا      فَمِنْ الهَوَا والماءِ والصُّهْبَاءِ  
وَأَلَدٌ مِنْ ظَلَمٍ<sup>(٨)</sup> الحَبِيبِ وظَلَمه      بِالظَّاءِ مَفْتُوحًا وَضَمُّ الظَّاءِ  
ما السُّخْرُ إِلَّا ما تَصَوَّغُ بَنَائُهُ      وَلِسَانُهُ مِنْ حَلِيَّةِ الإنْشَاءِ  
[والفضلُ ما حَلِيَّتُهُ وَحَبِيتُهُ      وَحَبَوْتُني منه بخير حِباءِ]

(١) هذان البيتان والبيتان التاليان في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٣).

(٢) في النفع: «لا تلمني عاذلي حين ترى». (٣) في الأصل: «وذكا» وهكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «مقاصد» بدون ياء. (٥) في الأصل: «أذلك» وهكذا ينكسر الوزن.

(٦) بعض أبيات هذه القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٣ - ٣٨٤).

(٧) في الأصل: «نداء»، والتصويب من النفع.

(٨) الظلم، بفتح الطاء وسكون اللام: الريق. لسان العرب (ظلم).

أَبْكَارُ فِكْرِكَ قَدْ رُفَّتْ<sup>(١)</sup> بِمَذْحَتِي  
 لَا مِنْ قُصُورٍ بَلْ لثَقْصِيهَا  
 لَكِنْ جُبِزْنَ وَقَدْ جُبِلْنَ عَلَى الرِّضَا  
 هَذَا إِلَى الشَّرَفِ الَّذِي قَدْ فِزْتَ  
 شَرَفَ السَّلِيلِ مِنَ الرِّسُولِ وَسَيْلَةَ  
 حَسَنِ<sup>(٢)</sup> أَبِي<sup>(٣)</sup> وَفَاطِمَةَ ابْنَةِ  
 شَرَفٍ عَلَى شَرَفٍ إِلَى شَرَفَيْنِ  
 هَذِي ثَلَاثٌ أَنْتَ وَاحِدٌ فَخَرِهَا  
 مِنْ رَامِ رُتْبَتِكَ السَّنِيَّةِ فَلْيَقِفْ  
 هَذِي مَائِرُ قَدْ شَأَوَتْ بِصِيَّتِهَا  
 وَاللَّيْثُ يُزْهَبُ زَأْرُهُ فِي مَوْطِنٍ  
 يَكْفِيكَ مِنْ نَكْدِ الْمُعَانَدِ أَنْ يُرَى  
 السُّنُّ يُفْنَى بِالْأَنَامِلِ قَزَعُهُ  
 أَتَحَفَّتَنِي بِقَصِيدَةِ هَمْزِيَّةٍ  
 كَمْ بَيْنَ تِلْكَ وَهَذِهِ لَكِنَّهَا  
 ذُو الشَّيْبِ يَغْذُرُهُ الشَّبَابُ فَمَا لَهُمْ  
 مِنْ قَارِبِ الْخَمْسِينَ خَطَوْا سُهُ  
 أَبْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ أَسْدَى مِنْ بِهِ  
 اللَّهُ نَفْثُهُ سَحَرٍ مَا قَدْ شِدَّتْ لِي  
 عَارِضَتْ طُفُونًا بِهَا فَأَرَيْتَ مَا  
 لَوْ رَأَى لَوْلُوكَ الْمُنْتَظَمَ لَمْ يَفْزَ

تَمْشِي رَوَائِعُهَا عَلَى اسْتِخْيَاءٍ  
 مِنْ حَيْثُ لَمْ يَظْفَرْ بِالْإِزْفَاءِ  
 فَالْجَبْرُ لِلْأَبْكَارِ لِلْأَبَاءِ  
 عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup> بِالْعِزَّةِ الْقَعْسَاءِ  
 قَامَتْ بِإِبْنِ<sup>(٥)</sup> سَنَا وَإِبْنِ<sup>(٦)</sup> سَنَا  
 هَادِي الْبَرِيَّةِ خَاتِمِ الثُّبُلَاءِ  
 مِنْ حَائِزٍ<sup>(٧)</sup> مَا حُزْتُ مِنْ عَلِيَاءِ  
 فَاشْمَخْ لَهَا شَرْفًا بِأَنْفٍ عَلَاءِ  
 دُونَ الْمَرَامِ مَوَاقِفَ الْإِقْصَاءِ  
 مِنْ كَانَ مِنْ آبٍ لَهَا أَوْ شَاءِ  
 مَا كَانَ مِنْ نَقْدٍ بِهِ أَوْ شَاءِ  
 مُتَقَلِّدُ الْأَعْضَاءِ بِالْبَغْضَاءِ  
 أَوْ عَضُّهُ مَتَوَقِّدُ الْأَحْشَاءِ  
 مَقْصُورَةٌ مَمْدُودَةُ الْآرَاءِ  
 غَطَى عَلَى هَذِي ذَهَابُ فِتَائِي<sup>(٨)</sup>  
 بِذِكَا<sup>(٩)</sup> تُبْلٍ أَوْ بُبْلٍ ذِكَا  
 فَمَحَالُهُ مُسْتَوْجِبُ الْإِبْطَاءِ  
 يَتَعَاطَمُ الْآبَاءُ بِالْأَبْنَاءِ<sup>(١٠)</sup>  
 مِنْ نَفْثِ سَحَرِكَ فِي مَشَادِ ثَنَاءِ  
 يَسْتَغْظَمُ الرَّأْيُ لَهُ وَالرَّائِي<sup>(١١)</sup>  
 فِي<sup>(١٢)</sup> نَظْمٍ لَوْلُوهُ بِغَيْرِ عَنَاءِ

(١) في الأصل: «رُفَّتَتْ» وهكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «من عليائه» وهكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «بابن» وهكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا همزة الوصل همزة قطع للضرورة الشعرية.

(٤) في الأصل: «وأبو» وهكذا ينكسر الوزن.

(٥) في الأصل: «من ذا حاز...» وهكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «فتاء» بدون ياء.

(٧) في الأصل: «بذكا» وهكذا ينكسر الوزن.

(٨) ما بين قوسين ساقط في نفع الطيب.

(٩) في الأصل: «والراء» والتصويب من النفع.

(١٠) في النفع: «من».

بَوَأْتَنِي مِنْهَا أَجَلٌ مَبْرُورٌ      فَلأَخْمَصِي مُسْتَوْتُنْ<sup>(١)</sup> الْجَوَزَاءُ  
وَسَمَا بِهَا اسْمِي سَائِرًا<sup>(٢)</sup> فَأَنَا بِمَا      أَسْدَيْتَ ذُو الْأَسْمَاءِ فِي الْأَسْمَاءِ  
وَأَشَدَّتْ ذِكْرِي فِي الْبِلَادِ فَلِي بِهَا      طَوْلُ الثَّنَاءِ وَإِنْ أَطَلْتُ ثَوَائِي<sup>(٣)</sup>  
وَلَقَوْمِي الْفَخْرُ الْمَشِيدُ بَنِيَّتُهُ      يَا حُسْنَ<sup>(٤)</sup> تَشْيِيدٍ وَحُسْنُ بِنَاءِ  
فَلَيْتَنِي هَانِيَهُمْ يَدٌ بِيضَاءُ مَا      إِنْ مَثَلُهَا لَكَ مِنْ يَدٍ بِيضَاءِ  
حَلَيْتَ أَبَيَاتًا لَهُمْ<sup>(٥)</sup> لَخُمِيَّةٌ      تُجَلِي عَلَى<sup>(٦)</sup> مُضَرَّةٍ غَرَاءِ  
فَلَيْشُمُخُوا أَنْفًا بِمَا أَوْلَيْتَهُمْ      يَا مُخَرِّرَ الْآلَاءِ بِالْإِبْلَاءِ

هذا<sup>(٧)</sup>، بُنِيٌّ، وصل الله سبحانه<sup>(٨)</sup> لك ولي بك علو المقدار، وأجرى وفق أو فوق إرادتك أو<sup>(٩)</sup> إرادتي لك جاريات الأقدار! ما سَمَحَ<sup>(١٠)</sup> به الذهن الكليل، واللسان القليل، في مراجعة قصيدتك الغراء، الجالية السراء<sup>(١١)</sup>، الآخذة بمجامع القلوب، الآتية<sup>(١٢)</sup> بجوامع المطلوب، الحسنة المهيّج<sup>(١٣)</sup> والأسلوب، المتحلّية بالحلى السنيّة<sup>(١٤)</sup>، العريقة المُنْتَسَب في العلى الحسنية، الجالية صدأ<sup>(١٥)</sup> قلوب ران عليها الكسل، وخانها المُسْعِدَان السُّؤْل والأمل، فمتى حامت المعاني حولها، ولو أقامت حولها، شَكَتْ وَزَلَّتْ وَعَوَّلَتْ، وَحُرِمَتْ مِنْ فَرِيضَةِ الْفَضِيلَةِ عَوَّلَتْ، وَعَهْدِي بِهَا وَالزَّمَانُ زَمَان، وَأَحْكَامُهُ<sup>(١٦)</sup> الْمَاضِيَةِ أَمَانِي مَقْضِيَّةٌ وَأَمَان، تتوارد أَلْفَاهَا، ويجمع إجماعها وخلافها، ويساعدها من الألفاظ كل سهل مُتَمَتِّع، مَفْتَرِقٍ مُجْمَع<sup>(١٧)</sup>، مُسْتَأْنَسٍ غَرِيب، بعيد الغور قريب، فاضح الحلا، واضح العلأ، وضاح الغرة والجبين، رافع عمود الصبح المُبِين، أَيْدٍ مِنَ الْفَصَاحَةِ بِأَيَادٍ، فَلَمْ يَخْفَلْ بِصَاحِبِي طِيٍّ وَإِيَادٍ، وَكَسِي

(١) في النفع: «مستوطىء». (٢) في الأصل: «سائير» والتصويب من النفع.

(٣) في الأصل: «ثوإء» والتصويب من النفع.

(٤) في الأصل: «باحسن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٥) في النفع: «له».

(٦) في الأصل: «بحلا علأ» والتصويب من النفع.

(٧) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٨٤ - ٣٨٧).

(٨) كلمة «سبحانه» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٩) في النفع: «وإرادتي». (١٠) في النفع: «ما سنح».

(١١) في الأصل: «الجالية للسراء»، والتصويب من النفع.

(١٢) في النفع: «الموفية». (١٣) المهيّج: الطريقة. لسان العرب (هيم).

(١٤) في الأصل: «الحسنية» والتصويب من النفع. (١٥) في النفع: «لصدأ القلوب».

(١٦) في النفع: «وأحكامها». (١٧) في النفع: «مجتمع».

بضاعة<sup>(١)</sup> البلاغة، فلم يعبأ بهمَّام وابن المراغة<sup>(٢)</sup>. شفاء المحزون، وعلم السر<sup>(٣)</sup> المحزون، ما بين مثوره والموزون. والآن لا ملهج ولا مُنْهَج، ولا مرشد ولا منهج، عَكِسَتْ القضايا فلم تُنْتِجْ، فتبلد القلب الذكي، ولم يرشح القلب البكي<sup>(٤)</sup>، وعمَّ الإفحام، وعمَّ الإحجام، وتمكَّن الإكداء والإجبال، وكُوِّرَت الشَّمْسُ وسُيِّرَت الجبال، وَعَلَتْ سامة، وَعَلَبَتْ ندامة، وارتفعت ملامة، وقامت لتوعى الأدب قيامة. حتى إذا ورد ذلك المَهْرَق، وفَرَّعَ غُصْنُهُ المَورِق، تغنى<sup>(٥)</sup> به الحمام الأوزق، وأحاط بِعِدَادِ عُدَاتِهِ الغَصَص والشَّرْق، وأمن من الغَضَب والسَّرْق، وأقبل الأَمْنُ وذُهِبَ بِإِقْبَالِهِ الفَرَق، نفخ في صور أهل المَنْظُوم والمَنْثُور، وبُعْثَر ما في القُبُور، وحُصِّل ما في الصدور، وتراءت للأدب صور، وعَمَرَت للبلاغة كُور، وهَمَّتْ للبراعة دُرر، ونُظِمَت للبراعة دُرر، وعندها يَتَبَيَّن<sup>(٦)</sup> أنك واحد حَلَبَة البيان، والسَّابِق في ذلك الميدان، يوم الرِّهَان، فكان لك القَدَم، وأقرَّ لك مع التأخر السابق الأَقْدَم، فوحقُّ نَصَاعَة أَلْفَاظ أَجَدَّتْهَا، حين أوردتْهَا، وأسلَتْهَا حين أَرَسَلَتْهَا، وَأَزْنَتْهَا حين وَرَنْتْهَا، وبراعةٍ معانٍ سَلَكَتْهَا حين مَلَكَتْهَا، وَأَزَوَيْتْهَا حين رَوَيْتْهَا<sup>(٧)</sup>، وَأَصَلَتْهَا حين فَصَلَتْهَا وَوَصَلَتْهَا<sup>(٨)</sup>، ونظام جعلته لجسد<sup>(٩)</sup> البَيَان قَلْبًا، وَلِمِغْصَمِهِ قُلُوبًا<sup>(١٠)</sup>، وَهَضَرَتْ حَدائِقُهُ غُلْبًا، وارتكَبَتْ رَوِيَهُ<sup>(١١)</sup> صَغْبًا، ونِثَار<sup>(١٢)</sup> أَتْبَعْتَهُ له خَدِيمًا، وَصَيَّرْتَهُ لِمُدِيرِ كَأْسِيهِ نَدِيمًا، وَلَحَفْظ<sup>(١٣)</sup> ذِمَامِهِ المُدَامِيَّ أو مُدَامِهِ الذَّمَامِيَّ مُدِيمًا، لَقَدْ فَتَنَنْتَنِي حين أَتَنَنْتَنِي، وَسَبَّتَنِي حين نَصَبْتَنِي<sup>(١٤)</sup>، فَذَهَبَتْ خَفَّتُهَا بِوَقَارِي، وَلَمْ يَرُغْهَا بَعْدُ شَيْبُ عِذَارِي، بَلْ دَعَتْ لِلنَّصَابِي فَقُلْتُ مَرَحَبًا، وَحَلَلْتُ لِفَتْتِهَا الحُبَا، وَلَمْ أَحْفَلْ بِشَيْبٍ، وَأَلْفَيْتُ مَا رَدَّ نِصَابِي نُصَيْب<sup>(١٥)</sup>، وَإِنْ كُنَّا فَرَسِي رِهَان، وَسَابِقِي حَلَبَة ميدان، غَيْرَ أَنَّ الْجِلْدَة

(١) في النفع: «نصاعة».

(٢) همَّام: هو الفرزدق. وابن المراغة: هو جرير بن عطية.

(٣) في النفع: «سر».

(٤) في النفع: «ولم يرشح القلم الذكي».

(٥) في النفع: «وتغنى».

(٦) في النفع: «تبيين».

(٧) في النفع: «رَوَيْتْهَا أو رَوَيْتْهَا».

(٨) في النفع: «بجسد».

(٩) في الأصل: «والمعصمة قَلَمًا» والتصويب من النفع. والقلب: السوار. لسان العرب (قلب).

(١٠) في الأصل: «روية» والتصويب من النفع. وهنا يشير إلى صعوبة القافية وإن كانت همزية، وهي غير صعبة.

(١١) في الأصل: «ونثارا» والتصويب من النفع. (١٣) في النفع: «ولحفظه».

(١٤) في النفع: «أطبتني».

(١٥) يشير هنا إلى قول نصيب [الوافر]

بيضاء، والمرجوق الإغضاء، بل الإرضاء. بُني، كيف رأيت لبيان هذا الطوع، والخروج فيه من نوع إلى نوع؟ أين صفوان بن إدريس، ومحل دُعواه بين رحلة وتغريس<sup>(١)</sup>؟ كم بين ثغاء بقر<sup>(٢)</sup> هذا الفلا، وبين زئير لئث العريس؟ كما أني أقطع<sup>(٣)</sup> علما، وأعلم قطعا، وأحكم مضاء وأمضى حكما، أنه لو نُظر إلى قصيدتك الرائقة، وفريدتك الحالية الفائقة، المعارضة بها قصيدته، المُنْتَسَخَة بها فريدته، لذهب عزضا وطولا، ثم اعتقد لك اليد الطولى، وأقر بارتفاع<sup>(٤)</sup> النزاع، وذهبت له تلك العلالات<sup>(٥)</sup> والأطماع، ونسي كلمته اللؤلؤية، ورجع عن دعواه الأدبية، واستغفر الله ربّه من تلك الإلهية<sup>(٦)</sup>. بُني، وهذا من ذلك، من الجزى في تلك المسالك، والتبسُّط في تلك المآخذ والمترك، أينزع غيري هذا المنزع؟ أم المزمع يشغره<sup>(٧)</sup> وابنه مولى؟ حيّا الله الأدب وبنيه، وأعاد علينا من أيامه وسنيه! ما أعلى منازعه، وأكبا منازعه، وأجل مأخذه، وأجهل تاركه وأعلم آخذه، وأرق طباعه، وأحقّ أشياعه وأتباعه، وأبعد طريقه، وأسعد فريقه، وأقوم نهجه، وأوثق نسجه، وأسمح ألفاظه، وأفصح عكاظه، وأصدق معانيه وألفاظه، وأحمد نظامه ونشاره، وأغنى شعاره ودياره، فعائبه مطرود، وعائبه مضفود، وجاهله مخضود، وعالمه مخسود، غير أن الإحسان فيه قليل، ولطريق الإصابة فيه علم ودليل، من ظفر بهما وصل، وعلى الغاية القصوى منهما<sup>(٨)</sup> حصل، ومن نكب عن الطريق، لم يعد من ذلك الفريق، فليهنك أيها الابن الذكي، البرّ الزكي، الحبيب الحفي<sup>(٩)</sup>، الصفيّ الوفيّ، أنك حامل رايته، وواصل غايته، ليس أولوه وآخره لذلك بمنكرين، ولا تجد أكثرهم شاكرين. ولولا أن يطول الكتاب، وينحرف الشعراء والكتّاب، لفاضت ينابيع هذا الفضل<sup>(١٠)</sup> قيضا، وخزجت إلى نوع آخر من البلاغة أيضا، قرّت عيون أودائك<sup>(١١)</sup>، ومُلئت غيظا صدور أعدائك، ورقيت درج الآمال، ووقيت عين الكمال، وحفظ منصبك العالي، بفضل ربك الكبير المتعالي. والسلام

= وترجمة نصيب في الأغاني (ج ١ ص ٣١٢) والشعر والشعراء (ص ٣٢٢).

(١) التعريس: النزول ليلا للراحة. لسان العرب (عرس).

(٢) في النفع: «بقر الفلاة وبين لئث الفريس». (٣) في النفع: «أعلم قطعا، وأقطع علما».

(٤) في النفع: «فارتفع». (٥) في النفع: «العلاقات».

(٦) في النفع: «الآلية». (٧) في النفع: «بنفسه».

(٨) في النفع: «منه».

(٩) الحفي: الذي يبلغ في السؤال عن الشيء. لسان العرب (حفي).

(١٠) في النفع: «الفضل».

(١١) الأوداء: جمع ودود وهو المُحب. لسان العرب (ودد).

الْأَتَمُّ<sup>(١)</sup> الْأَكْمَلُ الْأَعَمُّ، يَخْصُصُكَ بِهِ مِنْ طَالٍ فِي مَذْهَبِهِ إِذْ قَالَكَ وَإِغْدَاذُكَ<sup>(٢)</sup>، وَرَادَّ رَوْضُ حَمْدِهِ<sup>(٣)</sup> طَلُّكَ وَرَذَاذُكَ، وَغَدَّتْ مَصَالِحُ سَعْيِهِ فِي سَعْيِ مَصَالِحِكَ، وَسَيَنْفَعُكَ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ وَقُضْلِهِ وَمِثْنَتِهِ مُعَاذُكَ، وَوَسَمَتِ نَفْسُكَ بِتَلْمِيزِهِ فَسَمَتِ نَفْسُهُ بِأَنَّهُ أَسْتَاذُكَ، ابْنُ هَانِيٍّ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

دخوله غرناطة: دخل غرناطة مع الْوَفْدِ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ عِنْدَ تَصْيِيرِهَا إِلَى الْإِيَالَةِ النَّصْرِيَّةِ، حَسْبَمَا ثَبِتَ فِي مَوْضِعِهِ.

وفاته: توفي بجبل الفتح، والعدو يحاصره، أصابه حَجَرُ الْمَنْجَنِيْقِ فِي رَأْسِهِ، فَذَهَبَ بِهِ، تَقَبَّلَ اللَّهُ شَهَادَتَهُ وَنَفَعَهُ، فِي أَوَاخِرِ ذِي قَعْدَةِ، مِنْ عَامِ ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ<sup>(٤)</sup>.

ومِمَّنْ رثاه قاضي الجماعة شيخنا القاضي أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنِيُّ، وَهِيَ الْقَصِيدَةُ الَّتِي أَوْلَاهَا<sup>(٥)</sup>: [الطويل]

سَقَى اللَّهُ بِالْخَضْرَاءِ أَشْلَاءَ سُودِدٍ تَضَمَّنَهُنَّ الثُّرْبُ صَوْبَ الْغَمَائِمِ

وقد ثبت في «جُهِدِ الْمُقِلِّ» فِي اسْمِ الْمَذْكُورِ، فَلْيَنْظُرْ هُنَاكَ.

ومِمَّنْ رثاه شيخنا القاضي أَبُو بَكْرٍ بْنُ شَبْرِينَ، رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ<sup>(٦)</sup>: [مجزوء الكامل]

قَدْ كَانَ مَا قَالَ الْيَزِيدُ <sup>(٧)</sup>	فَاضِرٌ فَحُزْنُكَ لَا يَفِيدُ
أَوْدَى ابْنُ هَانِيٍّ الْوُضَا	فَاعْتَادَنِي لِلتَّكْلِ عَيْدُ
بَخَرُ الْعُلُومِ وَصَدْرُهَا	وَعَمِيدُهَا إِذْ لَا عَمِيدُ
قَدْ كَانَ زَيْنًا لِلْوُجُو	دَفِيهِ قَدْ فُجِعَ الْوُجُوْدُ
الْعِلْمُ وَالتَّحْقِيقُ وَالتَّ	وَفِيْقُ وَالْحَسْبُ التَّلِيدُ
تَنْدَى خَلَائِقُهُ فَقُلْ	فِيهَا: هِيَ الرُّوضُ الْمَجُودُ

(١) فِي النَّفْحِ: «الْأَتَمُّ الْأَتَمُّ الْأَكْمَلُ...».

(٢) الْإِرْقَالُ وَالْإِغْدَاذُ: ضَرْبَانِ مِنَ السَّيْرِ السَّرِيعِ. لِسَانُ الْعَرَبِ (رَقْدٌ) وَ(غَذْدٌ).

(٣) فِي النَّفْحِ: «حَمْدُكَ وَابْلُكَ وَطَلُّكَ وَرَذَاذُكَ».

(٤) فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (ج ٨ ص ٣٨٨): «وَكَانَتْ وَفَاتُهُ شَهَادَةً فِي أَوَاخِرِ ذِي الْقَعْدَةِ عَامِ ثَلَاثَةِ وَسَبْعِمِائَةٍ».

(٥) الْبَيْتُ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (ج ٨ ص ٣٨٨).

(٦) قَصِيدَةُ ابْنِ شَبْرِينَ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (ج ٨ ص ٣٨٨ - ٣٨٩).

(٧) فِي النَّفْحِ: «الْبَرِيدُ».



مُغْضٍ عَنِ الْإِخْوَانِ لَا  
أَوْدَى شَهِيدًا بِأَذَلًا  
لَمْ أَنْسَهُ حِينَ الْمَعَا  
وَلَهُ صُبُوبٌ فِي طَلَا  
لِلَّهِ وَقَتٌ كَانَ يَنْتَـ  
أَيَّامَ نَغْدٍ أَوْ نَرُو  
وَإِذَا الْمَشِيشَةُ جُتِمَ  
وَمُرَادُنَا جَمُّ الثُّبَا  
لَهْفِي عَلَى الْإِخْوَانِ وَالـ  
لَوْ جِئْتُ أَوْطَانِي لِأَنَّ  
وَلَرَأَى نَفْسِي شَيْبُ مَنْ  
وَلَطْفْتُ مَا بَيْنَ اللَّحْوِ  
سَرْعَانَ مَا عَاكَ الْحِمَا  
كَمْ رُمْتُ إِعْمَالَ الْمَسِيدِ  
وَالآنَ أَخْلَقْتُ الرُّعُودِ  
مَا لِفَتَى مَا يَنْتَغِي  
أَعْلَى الْقَدِيمِ الْمُلْكِ يَا  
يَا بَيْنُ، قَدْ طَالَ الْمَدَى  
وَلِكُلِّ شَيْءٍ غَايَةٌ  
إِيهِ أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ  
أَيْنَ الرِّسَائِلُ مِنْكَ تَأْ  
أَيْنَ الرُّسُومُ الصَّالِحَا

جَهْمُ اللَّقَاءِ وَلَا كُنُودٌ<sup>(١)</sup>  
مَجْهُودَةٌ نِعَمَ الشَّهِيدِ  
رَفٌّ بِاسْمِهِ فِينَا تُشِيدُ  
بِالْعِلْمِ يَثْلُوهُ صُعُودُ  
ظِمْمُنَا كَمَا نُظِمَ الْفَرِيدُ  
ح وَسَغِينَا السَّغِي الْحَمِيدُ  
هَضْبَاتُ حِلْمٍ لَا تَبِيدُ<sup>(٢)</sup>  
ت وَعَيْنُنَا خَضِرُ بُرُودِ<sup>(٣)</sup>  
أَتْرَابِ كُلُّهُمْ فَقِيدُ  
كَرْنِي الثَّهَائِمِ وَالْتُّجُودِ  
غَادَزْتُهُ وَهُوَ الْوَلِيدُ  
د وَقَدْ تَكَاثَّرَتِ اللَّحُودُ  
مُ وَنَحْنُ أَيْقَاطُ هُجُودِ  
رِ فَقَيِّدْتُ عَزْمِي قُيُودِ  
د وَأَخْلَقْتُ تِلْكَ الْبُرُودِ  
وَاللَّهُ<sup>(٤)</sup> يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ  
وَنِلَاهُ يَغْتَرِضُ الْعَبِيدُ  
أَزْعِدُ وَأَبْرِقُ يَا يَزِيدُ<sup>(٥)</sup>  
وَلَرُبَّمَا لَانَ الْحَدِيدُ  
لَهُ وَدَوْنُنَا مَرْمَى بَعِيدُ  
تِينَا كَمَا نُظِمَ<sup>(٦)</sup> الْعُقُودُ؟  
تُ؟ تَصَرَّمْتُ، أَيْنَ الْعُهُودُ؟

(١) الكُنُود: كافر النعمة، البخيل. لسان العرب (كند).

(٢) في النفع: «لا تميد».

(٣) في الأصل: «خَضِرُ الْبُرُودِ» والتصويب من النفع.

(٤) في النفع: «فَاللَّهُ».

(٥) في النفع: «أَبْرِقُ وَأَزْعِدُ...». وقد أخذ المعنى من قول الكميت [مجزوء الكامل]:

أَزْعِدُ وَأَبْرِقُ يَا يَزِيدُ — دُفَمَا وَعَيْدُكَ بِضَائِرِ

(٦) في النفع: «تُبَيِّنُ».

أَنعَمَ مَسَاءً لَا تَخَطَّطْ  
وَأَقْدِمِ عَلَى دَارِ الرِّضَا  
وَالْقَى الْأَحَبَّةَ حَيْثُ دَا  
حَتَّى الشَّهَادَةِ لَمْ تَفُتْ  
لَا تَبْعُدَنَّ وَغَدًا<sup>(٢)</sup> لَوْ أَنَّ  
وَلِئِنْ<sup>(٤)</sup> بُلِيتَ فَإِنَّ ذِكْرَ  
تَالله لَا تَنْسَاكَ أَنُـ  
وَإِذَا تُسُومَحَ فِي الْحَقْوِ  
جَادَتْ صَدَاكَ غَمَامَةٌ  
وَتَعَهَّدَتْكَ مِنَ الْمُهْيِ  
كَ<sup>(١)</sup> الْبِشَائِرُ وَالسُّعُودُ  
حَيْثُ الْإِقَامَةُ وَالْخُلُودُ  
رُ الْمُلْكُ وَالْقَضْرُ الْمَشِيدُ  
كَ فَتَجْمُكَ النَّجْمُ السَّعِيدُ  
ن الْمَيِّتِ<sup>(٣)</sup> فِي الدُّنْيَا يَعُودُ  
كَ فِي الدُّنْيَا غَضٌّ جَدِيدُ  
دِيَةُ الْعُلَى مَا اخْضَرَّ عُودُ  
قِي فَحَقُّكَ الْحَقُّ الْأَكِيدُ  
يُرَوِّى<sup>(٥)</sup> بِهَا ذَاكَ الصَّعِيدُ  
مِنْ رَحْمَةٍ أَبَدًا وَجُودُ

### محمد بن يحيى العَبْدَرِي

من أهل فاس، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالصدفي.

حاله: قال الأستاذ في «صلته»<sup>(٦)</sup>: إمامٌ في العربية، ذاكِرٌ لِللُّغَاتِ وَالْآدَابِ، متكلمٌ، أَصُولِي مفيد، مُتَّقِنٌ، حَافِظٌ، مَاهِرٌ، عَالِمٌ، زَاهِدٌ، وَرَعٌ، فَاضِلٌ. أَخَذَ عِلْمَ العربية والآداب عن الثَّحَوِيِّ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ خُرُوفٍ، وعن الثَّحَوِيِّ الْأَدِيبِ الضَّابِطِ أَبِي ذَرِّ الْحُسَيْنِيِّ، وأكثرَ عَنْهُمَا، وَأَكْمَلَ الْكِتَابَ عَلَى ابْنِ خُرُوفٍ، تَفَقُّهُمَا وَتَقْيِيدًا وَضَبْطًا. وَكَانَ حَسَنَ الْإِقْرَاءِ، جَيِّدَ الْعِبَارَةِ، مَتِينَ الْمَعَارِفِ وَالذِّينِ، شَدِيدَ الْوَرَعِ، مُتَوَاضِعًا جَلِيلًا، عَالِمًا عَامِلًا، مِنْ أَجْلِ مَنْ لَقِيْتُهُ، وَأَجْمَعَهُمْ لِفَنُونِ الْمَعَارِفِ، وَضُرُوبِ الْأَعْمَالِ، وَكَانَ الْحِفْظُ أَغْلَبَ عَلَيْهِ، وَكَانَ سَرِيعَ الْقَلَمِ إِذَا كَتَبَ أَوْ قَيَّدَ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا سَمِعْتُ شَيْئًا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَشْيَاخِي، مِنْ نُكْتِ الْعِلْمِ، وَتَفْسِيرِ مُشْكِلٍ، وَمَا يَرْجِعُ إِلَى ذَلِكَ، إِلَّا وَقَيَّدْتُهُ، وَلَا قَيَّدْتُ بِخَطِّي شَيْئًا إِلَّا حَفِظْتُهُ، وَلَا حَفِظْتُ شَيْئًا فَتَسَيَّيْتُهِ. هَذَا مَا سَمِعْتُ مِنْهُ.

(١) في النسخ: «لا تخطبك».

(٢) في الأصل: «وَعَدًا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النسخ.

(٣) في النسخ: «البدء».

(٤) في النسخ: «فلئن».

(٥) في النسخ: «يرمي».

(٦) الأستاذ هو أبو جعفر بن الزبير، وكتابه هو: «صلة الصلة».

مشيخته: أخذ العربية عن الأستاذ أبي الحسن بن خروف، وعن النحوي الأديب الضابط أبي ذر الحسني، وأكثر عنه، وأخذ معهما عن أبي محمد بن زيدان، ولازم ثلاثتهم، وسمع وقرأ على الفقيه الصالح أبي محمد صالح، وأخذ عن غير من ذكر.

دخوله غرناطة: قال: دخل الأندلس مراراً بيسير بضاعة كانت لديه، يتجر فيها، ودخل إشبيلية، وتردد آخر عمره إلى غرناطة ومالقة إلى حين وفاته.

وفاته: توفي، رحمه الله، شهيداً بمزسى جبل الفتح. دخل عليهم العدو فيه، فقاتل حين قُتل، وذلك سنة إحدى<sup>(١)</sup> وخمسين وستمائة. وسمعته يتوسل إلى الله، ويسأله الشهادة.

## المحدثون والفقهاء والطلبة النجباء وأولاً الأصليون

### محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير<sup>(٢)</sup>

من أهل غرناطة، ولد الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير، يكنى أبا عمرو.

حاله: هذا<sup>(٣)</sup> الشيخ سيكيت حلبة، ولد أبيه في علو الثبابة، إلا أنه لودعي فكه، حسن الحديث، رافض للتصنع، ركض طرّف الشيبية في ميدان الراحة، مُنكباً عن سنن أبيه وقومه، مع شغوف<sup>(٤)</sup> إذراك، وجودة حفظ، كانا يُطعمان والده في نجابته، فلم يعدم قادحاً. ورحل إلى العذوة، وشرّق ونال حُظوة، وجرت عليه خطوب. ثم عاد إلى الأندلس على معروف رَسمه يتكور بها، وهو الآن قد نال منه الكبر، يُزجي الوقت<sup>(٥)</sup> بمالقة، متعللاً بوقف<sup>(٦)</sup> من بعض الخدم المخزنية<sup>(٧)</sup>، لطف الله به.

مشيخته: استجاز له والده الطم والرّم، من أهل المغرب والمشرق، ووقف عليه منهم في الصغر وقفاً لم يغتبط به عمره، وأذكره الآن بعد أمة، عندما نقر عنه لديه، فأثرت به يده من علو رواية، وتوفّر سبب مبرة، وداعية إلى إقالة عثرة، وسثر

(١) في الأصل: «أحد» وهو خطأ نحوي.

(٢) ترجمة ابن الزبير في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣١).

(٣) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٢ - ٢٣٣).

(٤) في النفع: «شفوف». (٥) في النفع: «لوقته».

(٦) في النفع: «برمق».

(٧) نسبة إلى المخزن. وجاء في النفع: «المخزونية».

هَيِّبَةً شَيْبَةً. فمن ذلك الشيخ الإمام أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد المِشدالي، إجازةً ثم لقاءً وسماعاً، والشيخ الخطيب الراوية أبو عبد الله بن غريون. وأجازه الأستاذ أبو إسحاق الغافقي، وأبو القاسم بن الشَّاط، والشَّريف أبو العباس أحمد الحسني، والأستاذ الإمام أبو الحسين عبد الله بن أبي الربيع القُرشي، نزيل سبَّته. ومحمد بن صالح بن أحمد بن محمد الكتَّاني الشَّاطبي ببجاية، والإمام أبو اليمن بن عساكر بالمسجد الحرام، وابن دَقِيق العيد وغيرهم. ومن أهل الأندلس أبو محمد بن أبي السَّداد، وأبو جعفر بن الزيات، وأبو عبد الله بن الكُمَّاد، وأبو عبد الله بن ربيع الأشعري، وأبو عبد الله بن بُرْطال، وأبو محمد عبد المنعم بن سِمَاك، والعَدْل أبو الحسن بن مَسْتَقُور. وأجازه من أهل المشرق والمغرب عَالَمٌ كبير.

شعره: وبضاعته فيه مُزْجاة، فمن ذلك ما خاطبني به عند إيابي من العُدوة في غرض الرسالة عن السلطان<sup>(١)</sup>: [الوافر]

نوالي الشُّكْرَ للرحمنِ فَرَضَا	عَلِمُ نَعَمَ كَسَتْ طَوَلًا وَعَرَضَا
وكم لله من لُطْفٍ خَفِيٍّ	لنا منه الَّذِي قد شَا <sup>(٢)</sup> وَأَمْضَى <sup>(٣)</sup>
بِمَقْدَمِكَ السَّعِيدِ أَتَتْ سُعُودٌ	ننالُ <sup>(٤)</sup> بها نَعِيمَ الدَّهْرِ مَخْضَا
فيا بُشْرَى لَأَنْدَلَسٍ بما قد	به والاك بارينا وَأَرْضَى
ويا لله من سَفَرٍ سَعِيدٍ	قَدْ أَقْرَضَتْ <sup>(٥)</sup> الْمُهِيمَنَ فِيهِ فَرَضَا
نَهَضَتْ <sup>(٦)</sup> بِنِيَّةٍ أَخْلَصَتْ فِيهَا	فَأُبْتُ <sup>(٧)</sup> بكل ما يَنْبَغِي وَيَرْضَى
وُتِبَتْ لِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ لَمَّا	عَلِمْتَ بِأَنَّ الْأَمْرَ إِلَيْكَ أَفْضَى
لقد أَخَيَنْتَ بِالتَّقْوَى رُسُومًا	كما أَرْضَيْتَ بِالتَّمْهِيدِ أَرْضَا
وَقُمْتَ بِسُنَّةِ الْمُخْتَارِ فِينَا	تُمَهِّدُ سُنَّةً وَتُقِيمُ فَرَضَا
رُضْتُ <sup>(٨)</sup> من الْعُلُومِ الصَّغْبَ حَتَّى	جَنَيْتَ ثَمَارَهَا رَطْبًا وَعَضَا

(١) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣١ - ٢٣٢).

(٢) أصل القول: «شاء»، فحذف الهمزة للضرورة الشعرية.

(٣) في الأصل: «الذي يشاء... وأمضا»، أي في الأصل بياض مكان كلمة «قد»، والتصويب من النفع.

(٤) في الأصل: «تنال» والتصويب من النفع.

(٥) في النفع: «قَدْ أَقْرَضَكَ». (٦) في النفع: «ورخت».

(٧) في الأصل: «فَاتَتْ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٨) رُضْتُ: ذَلَّلْتُ وَمَهَّدْتُ. لسان العرب (روض).

فرأيتك ناجح<sup>(١)</sup> فيما تراه وعزمتك من مواضي الهند أمضى  
تدبر أمر مولانا فيلقى الـ مسيء لديك إشفافاً وإغصا<sup>(٢)</sup>  
فأعقبتنا شفاء<sup>(٣)</sup> وانيساطاً وقد كانت قلوب الناس مَرْضَى  
ومن أضحى على ظمإٍ وأمسى يرد إن شاء من نعماك حوضاً<sup>(٤)</sup>  
أبا عبد الإله إليك أشكو زماني حين زاد الفقر عَصاً<sup>(٥)</sup>  
ومن نعماك أستجدي لباساً يفيض<sup>(٦)</sup> به عليّ الجاه فينضا  
بقيت مؤملاً تُرجى وتُخشى ومثلك من إذا ما جاد أَرْضَى  
وفاته: توفي في التاسع لمحرّم من عام خمسة وستين وسبعمئة.

### محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك ابن غالب الغساني

من أهل غرناطة، يكنى أبا أبكر، ويعرف بالقليعي<sup>(٧)</sup>،

أوليته: قد جرى من ذكره وذكر بينته في الطبقات ما فيه كفاية<sup>(٨)</sup>.

حاله: كان<sup>(٩)</sup> نبيه البيت، رفيع القدر، عالي الصيت، من أهل العلم والفضل  
والحسب والدين، وأجمع على استيفائه أهل بلده بعد أبي محمد بن سَمْحُون سنة  
ثمان وخمسائة.

وفاته: توفي بغرناطة أوائل صفر عشرة وخمسائة، ودفن في روضة أبيه. ذكره  
ابن الصّيرفي وأطّنب.

(١) في النفع: «راجع».

(٢) إغصا: أصلها: إغضاء، فحذفت الهمزة للضرورة الشعرية.

(٣) في الأصل: «شفأ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) في الأصل: «خوضاً» بالخاء والتصويب من النفع.

(٥) رواية عجز البيت في الأصل هكذا:

حين ناب الفقر عَصاً

وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٦) في النفع: «تفيض».

(٧) ترجمة القليعي في التكملة (ج ١ ص ٣٣٥) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٢٥).

(٨) تقدمت ترجمة أبيه أحمد بن خلف في الجزء الأول من الإحاطة.

(٩) قارن بالذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٢٥) والتكملة (ج ١ ص ٣٣٥).

### محمد بن أحمد بن محمد الدؤسي (١)

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن قطبة.

حاله: من «عائد الصلة»: كان، رحمه الله، شيخ الفقهاء والمؤثّقين، صَدَرَ أرباب الشورى، نسيج وحده في الفضل والتخلّق والعدالة، طُرُقًا في الخير، مُحِبًّا إلى الكافة، مجبولًا على المشاركة، مطبوعًا على الفضيلة، كَهْفًا للغُرباء والقادمين، مَأْلَفًا للمتعلمين، ثِمَالًا للأسرى والعائنين، تَخَلَّصَ منهم على يَدَيْهِ أُمَمٌ؛ لقصد الناس إِيَّاه بالصدقة، مقصودًا في الشفاعات، مُعْتَمَدًا بالأمانات، لا يُسَدَّلُ دونه سِتْرٌ، ولا تُخَجَّبُ عنه حُرْمَةٌ، فقيها حافظًا، إخباريًا محدثًا ممتعًا، متقدمًا في صناعة التوثيق، حسن المشاركة في غيرها، كثير الحُضِّ على الصدقة في المُحَوَّل والأزمات، يقوم في ذلك مقامات حميدة، ينفع الله بها الضعفاء، وينقاد الناس لموعظته، ويؤثّر في القلوب بصدقه. فَقَدْ بِفَقْدَانِهِ رَسَمٌ من رسوم البرِّ والصدقة.

مُشِيخَتُهُ: قرأ على الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزُّبَيْر، والخطيب وليّ الله أبي الحسن بن فضيلة، وروى عن الشيخ الوزير المُسَيَّنَّ المحدث أبي محمد عبد المنعم بن سَمَاك، وأبي القاسم بن السُّكُوت المالقي، والخطيب أبي عبد الله بن رُشِيد، والقاضي أبي يحيى بن مسعود، والعَدْلُ أبي علي البَجَلِي، وأبي محمد عبد المؤمن الخولاني. وأجازته جماعة من أهل المشرق والمغرب، وناب عن بعض القضاة بغرناطة. ولد عام تسعة وستين وستمائة، وتوفي في الثالث لربيع الأول من عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة. وكانت جنازته مشهودة.

### محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن

### يوسف بن روبيل الأنصاري

من أهل غرناطة، ويكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن السَّراج. طُلِيْطَلِي الأصل، طَيْبُ الدار السلطانية.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، من أهل التَّفَقُّن والمعرفة، مُتَنَاهِي الأُتَهة والحُظُوة، جميل الصورة، مليح المجالسة، كثير الدُّعَاة والمؤانسة، ذَاكِرًا للأخبار والطُّرُف، صاحب حَظٍّ من العربية والأدب والتفسير، قَارِضًا للشُّعر، حسن الخط،

(١) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٧٧): «أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن قطبة الدوسي...».

ظريف الوراقة، طزفاً في المعرفة بالعُشب، وتمييز أعيان الثبات، سنيًا، محافظًا، مُحبًا في الصالحين، ملازمًا لهم، مُغتنيًا بأخبارهم، مُتلمذًا لهم. انحاش إلى الولي أبي عبد الله التونسي، وانقطع إليه مدة حياته، ودون أحواله وكراماته. وعين ربيع ما يستفيده في الطب صدقة على يديه، أجرى ذلك بعد موته لبيه. ونال حظًا عريضًا من جاه السلطان، فاطرح حظ نفسه مع المساكين والمحتاجين، فكان على بأوه على أهل الدنيا، يؤثر ذوي الحاجة، ويخف إلى زيارتهم، ويؤلفهم، ويُعينهم على معالجة عائلهم.

مشيخته: قرأ الطب على الشيخ الطيب، نسج وحده أبي جعفر الكزني، رئيس الصناعة في وقته، ولقي فيه الأستاذ إمام التعاليم والمعارف أبا عبد الله الرقوتي المُرسي وغيره. وقرأ القرآن على المقرئ الشهير أبي جعفر الطباع بالروايات السبع، والعربية على الأستاذ أبي الحسن بن الصائغ الإشيلي، وأكثر القراءة على شيخ الجماعة العلامة أبي جعفر بن الزبير.

تواليفه: ألف كتبًا كثيرة، منها في الثبات والرؤيا، ومنها كتاب سماء، «السُر المُداع، في تفضيل غرناطة على كثير من البقاع».

شعره: من ذلك قوله مُلغَرًا في المَطَر: [الطويل]

وما زائر مهمما أتى ابتَهَجَتْ به	نفوس وعَمَّ الخَلْقُ جودًا وإحسانا
يقيم فيشكو الخَلْقُ منه مُقامه	ويَكْرِبُهُمْ طُرًا إذا عَنْهُمْ بانا
يسرُّ إذا وافى ويَكْرِبُ إن نأى	ويُكْرَه منه الوصل إن زار أحيانا
وأعجبُ شيءٍ هَجَرُ حبِّ مواصلٍ	به لم <sup>(١)</sup> يُطِلُّ هواه إن لم يُطِلْ خانا

محبته: ذكر أنه لما توفي السلطان ثاني الملوك من بني نصر<sup>(٢)</sup> فجأة، وهو يُصَلِّي المغرب، وياكر الطبيب بابه غداة ليلة موته، سأل عن الطعام القريب عهد موته بتناوله، فأخبر أنه تناول كغفًا وصله من ولي عهد، فقال كلامًا أوجب نكته، فامتحن بالسجن الطويل، والتمست الأسباب الموصلة إلى هلاكه، ثم أجلي إلى العذوة. ثم دالت الأيام، فعاد إلى وطنه مستأنفًا ما عهد من البر وفقدته من التجلة.

ميلاده: بغرناطة عام أربعة وخمسين وستمائة.

(١) في الأصل: «حين»، وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر؛ ولي سلطنة غرناطة من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الأول من الإحاطة.

وفاته: ليلة الخميس التاسع من شهر ربيع الأول من عام ثلاثين وسبعمائة.

**محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي زَمْنين المُرِّي<sup>(١)</sup>**

يكنى أبا عبد الله<sup>(٢)</sup>، وبيته معلوم.

حاله: كان من أهل المعرفة والنبل والذكاء.

مشيخته: قرأ القرآن على أبي بكر بن النّفيس، وأبي عبد الله بن شهيد المُرِّي المقرئ بطخشارش من غرناطة. ودرس الفقه عند المُشاور أبي عبد الله بن مالك<sup>(٣)</sup> المقرئ، وأبي الحسن علي بن عمر بن أضحى، وعلى غيرهما من شيوخ غرناطة.

وفاته: توفي سنة أربعين وخمسمائة.

قلت: وإنما ذكرت هذا المترجم به مع كوني اشترطت صدر خطبته ألا أذكر هذا النمط لمكان مُصاهرتي في هذا البيت. ولعلّ حافِدَ هذا المترجم به من ولدي يطلع على تعدادهم وذكرهم في هذا التأليف وتردادهم، فيكون ذلك محرّضاً له على النّجاجة، محرّضاً للإجابة، جعلنا الله ممّن انتهى للعلم وأهله، واقتفى من سنّنه واضح سُبُله.

**محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم  
ابن حسان القيسي<sup>(٤)</sup>**

الوادّاشي الأصل والمعرفة، الثّونسي الاستيطان، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن جابر.

حاله: من «عائد الصلة»: نشأ بتونس، وجال في البلاد المشرقية والمغربية، واستكثر من الرواية ونقّب عن المشايخ، وقيد الكثير، حتى أصبح جماعة المغرب، وراوية الوقت. ثم قديم الأندلس ظريف التّزعة، عظيم الوقار، قويم السّمت، يأوي في

(١) ترجمة ابن أبي زمنين في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٠١) وهو فيه: «محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله...».

(٢) كنيته في الذيل والتكملة: أبو بكر.

(٣) في الأصل: «ملك» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٤) ترجمة محمد بن جابر القيسي في التعريف بابن خلدون (ص ١٨) والديباج المذهب (ص ٣١١) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٩٢) و(ج ٧ ص ١٩٢).



فضل التَّعْيِش إلى فضل ما كان بيده، يصرفه في مصارف التجارة. وقعد للإسماع والرواية، وانتقل إلى بَلَش، فقرأ بها القرآن العظيم والروايات السَّبع، على الخطيب أبي جعفر بن الزيات. ثم رحل إلى المغرب، ثم أعاد الرِّحلة الحجازية، وأغرَق، فلقي أُمَّة من العُلَماء والمحدثين، وأصبح بهم شيخٌ وُحده، انْفِسَاحَ رواية، وعُلُوَّ إسناده.

مُشيخته: من شيوخه قاضي الجماعة بتونس أبو العباس بن الغَمَّاز الحَزْرَجِي البَلَنْسِي، وقاضي الجماعة بها أبو إسحاق بن عبد الرَفِيع، وقاضي قضاة الدَّيَّار المصرية بدر الدين بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن صخر الكِنَانِي. وقاضي الجماعة ببجاية أبو العباس الغُبَرِينِي، وسراج الدين أبو جعفر عمر بن الخضر بن طاهر بن طَرَاد بن إبراهيم بن محمد بن منصور الأَصْبَحِي، وأبو محمد عبد الغفار بن محمد السَّعْدِي المصري، ورضيُّ الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الخليلي الجعفري، وشرف الدين أبو عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي، وأبو الفضل أبو القاسم بن حمَّاد بن أبي بكر بن عبد الواحد الحضرمي اللبيد، وعبد الله بن يوسف بن موسى الخِلَاسِي، وعبد الله بن محمد بن هارون، وإبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحاج التُّجِيبِي، وأحمد بن يوسف بن يعقوب بن علي الفهري اللَّبْلِي<sup>(١)</sup>، وولده جابر بن محمد بن قاسم معين الدين، وعزُّ الدين أبو القاسم بن محمد بن الخطيب، وجمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن الصَّفَّار، وأبو بكر بن عبد الكريم بن صدقة العزفي، ومحمد بن إبراهيم بن أحمد التجيبي، وأبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن عقاب الجُذَامِي الشَّاطِبِي، وعبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسدي القَيْرُوانِي، وأبو القاسم خلف بن عبد العزيز القَبْتُورِي<sup>(٢)</sup>، وعلي بن محمد بن أبي القاسم بن رَزِين التُّجِيبِي، وأحمد بن موسى بن عيسى البَطْرِنِي<sup>(٣)</sup>، وعزَّ القضاة فخر الدين أبو محمد عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير، وتقي الدين محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصري، وصَدْر النُحَاة أبو حَيَّان، وظهير الدين أبو محمد بن عبد الخالق المخزومي المقدسي الدَّلَاصِي، ورضيُّ

(١) نسبة إلى بلدة Niebla وهي مدينة في غرب الأندلس. الروض المعطار (ص ٥٠٧).

(٢) نسبة إلى قبتور وهي قرية من قرى إشبيلية. الروض المعطار (ص ٤٥٤).

(٣) نسبته إلى بَطْرنة وهي قرية بساحل البيرة. نزهة ألمشتاق (ص ٥٦٤) وجغرافية الأندلس وأوروبا (ص ١٢٩) ومملكة غرناطة (ص ٢٨٨).

الدين بن إبراهيم بن أبي بكر الطبري، والمُعَمَّر بهاء الدين أبو محمد القاسم بن مظفر بن محمود بن هبة الله بن عساكر الدمشقي. وأما مَنْ كتب إليه فنحو مائة وثمانين من أهل المشرق والمغرب.

قدم غرناطة في أول عام ستة وعشرين وسبعمائة، فهو باعتبار أصله أصلي، وباعتبار قدومه طارئاً وغريب.

توابعه: له توالييف حديثية جُملة، منها أربعون حديثاً، أغرب فيها بما دلَّ على سعة خطوه وانفساح رَحله.

وفاته: كان حياً سنة أربعين وسبعمائة، وبلغني أنه توفي عام سبعة بعدها.

### محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي<sup>(١)</sup>

من أهل البيرة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: كان<sup>(٢)</sup> مُتَكَلِّماً، واقفاً على مذاهب المُتَكَلِّمين، متحققاً برأي الأشعرية، ذاكراً لكتب الأصول والاعتقادات، مشاركاً في الأدب، مقدِّماً في الطب.

مشيخته: روى عن أبي جعفر بن محمد بن حكم بن باق، وأبي جعفر بن خَلَف بن الهيثم، وأبوي الحسن بن خَلَف العنسي، وابن محمد بن عبد العزيز بن أحمد بن حمدين، وأبوي عبد الله بن عبد العزيز الموري، وابن فرج مولى الطَّلَاع، وأبي العباس بن محمد الجُدامي، وأبي علي الغساني، وأبي عمرو زياد بن الصِّفار، وأبي القاسم أحمد بن عمر. وأخذ علم الكلام عن أبي بكر بن الحسن المُرادي، وأبي جعفر بن محمد بن باق، وأبي الحجاج بن موسى الكلبي. وتأدَّب في بعض مسائل النحو بأبي القاسم بن خَلَف بن يوسف بن فُزْثُون بن الأبرش.

مَنْ روى عنه: روى عنه أبو إسحق بن قرقول، وأبو خالد المرواني، وأبو زيد بن نزار، وأبو عبد الله بن الصَّيقل المرسي، وأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن سمعان، وأبو الوليد بن خيرة.

(١) ترجمة محمد بن خلف في التكملة (ج ١ ص ٣٥٨) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٣) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٣١٥).

(٢) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٤) وبنفع الطيب (ج ٤ ص ٣١٥).

توالميفه: من توالميفه: «الثكت والأمالى، في الرّد<sup>(١)</sup> على الغزالي»، و«الإيضاح»<sup>(٢)</sup> والبيان، في الكلام على القرآن»، و«الأصول»<sup>(٣)</sup>، إلى معرفة الله ونبوة الرسول» ورسالة «الاقتصار»<sup>(٤)</sup>، على مذاهب الأئمة الأخيار»، ورسالة «البيان، في»<sup>(٥)</sup> حقيقة الإيمان»، والرّد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستواء الواقعة له في الجزء الأول من مقدّماته، و«شرح مشكل ما وقع في الموطأ وصحيح<sup>(٦)</sup> البخاري»، وقد كان شرع في تصنيفه عام ثمانية عشر وخمسمائة<sup>(٧)</sup> في شوال منه، وبلغ في الكلام فيه إلى الثكتة الرابعة والخمسين، وقطعت به قواطع المرض، وشرع في معالجة العين لرؤيا رآها، يقال له: أُلْتُ في نور البصيرة، فأُلْتُ في نور البصر تنفع وتنتفع، فأقبل على تأليفه في مداواة العين، وهو كتاب جُمُ الإفادة، ثم أكمل الثكت.

شعره: وكان له حظٌ من قرض الشعر، فمن ذلك ما مدح به إمام الحرمين أبا المعالي الجويني<sup>(٨)</sup>: [الخفيف]

حُبُّ حَبْرٍ<sup>(٩)</sup> يُكْنَى أبا للمعالي<sup>(١٠)</sup> هو ديني ففيه لا تعذلوني  
أنا والله مُغْرَمٌ في هواه<sup>(١١)</sup> علّلوني بذكره علّلوني

مولده: ولد يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وخمسمائة<sup>(١٢)</sup>.

محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني

غرناطي، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالشريشي<sup>(١٣)</sup>.

(١) في التكملة (ج ١ ص ٣٥٨): «في النقض».

(٢) كلمة «والإيضاح» ساقطة في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٤).

(٣) في الأصل: «والوصول» والتصويب من التكملة والذيل والتكملة.

(٤) في التكملة والذيل: «الاقتصار». (٥) في التكملة والذيل: «عن».

(٦) في التكملة «وكتاب».

(٧) في الأصل: «وستمئة» وهو خطأ، وصوبناه من الذيل والتكملة.

(٨) هو يوسف بن عبد الله بن عبد الملك الجويني، والبيتان في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٥) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٣١٥).

(٩) الحَبْر: العالم، جمعه أحبار. لسان العرب (حبر).

(١٠) في الأصل: «أبا المعالي»، وكذا يتكرر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(١١) في المصدرين: «بهواه».

(١٢) جاء في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ١٩٥): «وتوفي في جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وخمسمائة».

(١٣) ترجمة أبي عبد الله الشريشي في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٥) ونفع الطيب (ج ٩ ص ٢٣٠)=

حاله: من أهل التصاؤن والحشمة والوقار، مُغرق في بيت الخيرية والعفة، وكان والده صاحبنا، رحمه الله، آية في الذؤوب والصبر على انتساح الدواوين العلمية والأجزاء، بحيث لا مظنة معرفة أو حجرة طلب تخلو عن شيء من خطه إلا ما يقل، على سكون وعدالة وانقباض وصبر وقناعة. وأكتب للصبيان في بعض أطواره، ونشأ ابنه المذكور ظاهر الثبل والخصوصية، مشاركاً في فنون؛ من عربية وأدب وحساب وفريضة. وتصرف في الشهادة المخزنية برهة، ثم نزع عنها انقياداً لداعي النزاهة، وهو الآن بحاله الموصوفة.

شعره: وشعره من نمط الإجادة، فمن ذلك قوله<sup>(١)</sup>: [السريع]

بي شادنْ أهيفْ مَهَمَا انْشنى	يحكي تشنيه القضيب الرطيب
ذو غُرَّة كالْبَذر قد أَطْلَعَتْ	فوق قُضيبِ نابتٍ في كَثيب
خُضْتُ حَشا الظُّلَماءِ من حُبِّه	أَخْتَلِسُ الوَضْلَ حِذَارَ الرَّقِيبِ
فبِتْ والوَضْلُ <sup>(٢)</sup> لنا ثالث	يَضُمُّنا ثوبُ عَفافٍ قَشِيبِ
حتى إذا ما الليلُ ولَّى وقد	مالَتْ نجومُ الأفقِ نحو الغروب
ودَغَّعْته والقلبُ ذو لَوْعَةٍ	أُسَيْلُ <sup>(٣)</sup> من ماءِ جفوني غُرُوبِ
فلستُ أدري حين ودَغَّعْته <sup>(٤)</sup>	قلبٌ بأضلاعي غدا أم قليب؟

ومن ذلك في النسيب<sup>(٥)</sup>: [السريع]

يا أَجْمَلَ الناسِ ويا مَنْ غَدَتْ	غُرَّتُهُ تمحو سَنَا الشمسِ
أَنعمَ على عَبْدِكَ يا مالكي	دونَ اشتراءٍ ومُنَى نفسي
بأن تُرى وَسْطى لِعَقدي وأن	تُعِيدَ رِنَعي كَامِلَ الأُنسِ
فإن تَفَضَّلْتَ بما أَرْتَجِي	أَبْقِيتَنِي في عالمِ الإنسِ
وإن تكن تُرْجِعْني خائِباً	فإنني أَدْرُجُ في رَمَسي <sup>(٦)</sup>

= (ج ١٠ ص ٢٤، ١٣٦).

(١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٤ - ٢١٥).

(٢) في الأصل: «وللوصل»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٣) في الأصل: «أسيل» والتصويب من الكتيبة.

(٤) في الأصل: «أودعته» والتصويب من الكتيبة.

(٥) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٥).

(٦) في الأصل: «رمس» بدون ياء، والتصويب من الكتيبة.

وقال في فضل العلم<sup>(١)</sup>: [السريع]

يا طالبَ العلمِ اجتهدْ إنه خيرٌ من الثَّالِدِ والطَّارِفِ  
فالعلمُ يَذْكُرُ<sup>(٢)</sup> قَدْرُ إنْفاقِهِ والمالُ إنْ<sup>(٣)</sup> أَتَفَقَّتْهُ تَأَلَّفُ

وترقى إلى هذا العهد بإشارتي إلى التي لا فوقها من تعليم وَلَدِ السلطان، والرئاسة القرآنية باب الإمارة، والإمامة بالمسجد الجامع من القلعة<sup>(٤)</sup>، حميدُ الطريقة في ذلك كله، معروفُ الحق، تولاه الله.

مولده: عام ثمانية عشر وسبعمئة.

### محمد بن محمد بن علي بن سُودة المُرِّي

يكنى أبا القاسم.

أوليته: من نُبهاءِ بَيُوتات الأندلس وأعيانها، سكن سلفه البُشارَة<sup>(٥)</sup>، بشارَة بني حَسَّان، وولي جدّه الأشغال، حميد السيرة، معروف الإدانة.

حاله: هذا الفتى من أهل الخصوصية والسكون والحياء، المانع عن كثير من الأغراض. مال إلى العلوم العقلية، فاستظهر على المُماسَة في بعض أغراضها بالدؤوب والعكوف، المؤثرين تأثير حبل الرُكْيَة في جحرها، فتصدّر للعلاج، وعانى الشَّعر، وأزسم في الكتابة، وعُدّ من الفضلاء، وظهرت على عباراته اصطلاحات الحكماء، وتشوّف إلى العهد للرُحلة الحجازية، والله يُيسّر قصده.

مشيخته: قرأ الطبَّ والتَّغْدِيل على الحَبْر طبيب الدَّار السُّلْطانية، فارس دَيْنِكَ الفُتَّين، إبراهيم بن رَزْزار اليهودي، ورَحَلَ إلى العُدوة، فقرأ على الشَّريف العالم الشهير، رُحلة الوقت في المغرب، أبي عبد الله العَلَوِي، وبلقائه نجح.

شعره: أنشد السلطان قوله: [الكامل]

جاد الحِمى صَوْب الغمام هُتُونه تُزْجِي البُروق سحابه فتُعيْنُه

(١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٢١٥). (٢) في الكتيبة: «يزكو».

(٣) في الأصل: «إذا» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٤) المراد القلعة الحمراء الملاصقة لقصر الحمراء.

(٥) البشارة أو بشرة أو البُشَرَات Alpujarras: هي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب سفوح جبل شلير، على مقربة من البحر المتوسط. نفح الطيب (ج ١ ص ١٥٠) و(ج ٤ ص ٥٢٤ - ٥٢٥) ومملكة غرناطة (ص ٤٦).

وسقى ديار العامرية بعد ما  
يندى بأفنان الأراك كأنه  
ومحى الكثيب سكوته فكأنه  
حتى إذا الأرواح هبت بالضحي  
وكأنه والرعد يحدو خلفه  
أو سحّ دمعى فوق أكناف اللوى  
والبرق في حُلل السحاب كأنه  
أو ثوب ضافية الملابس كاعب  
هنّ الديار برامة لا دهرها  
ولقد وقفت برسمها فكأنني  
قلبي بذاك اللوى خلّفته  
لا تسأل<sup>(٣)</sup> الغدال عني فالهوى  
إن يخف عن شرحي حديث زُميرتي  
عجباً لدمعي لا يكف كأنما  
محيي المكارم بعدما أودى بها  
مولى الملوك عميد كل فضيلة  
يُضفي إلى داعي الندى فيهرّه  
من ذا يُسابق فضله لوجوده  
إن تلقه تلقّ الجمال وقاره  
غمر الأنام نواله ومحا الضلا  
أخيا رسوم الدين وهي دوارس  
شمس الهدى حثف العدا مُخيي النّدا  
ليث الشرى غوث الورى قمر الشرى  
فليأسه يوم الوغى ولعزمه

وافى بجزعائ<sup>(١)</sup> الكثيب معيته  
عقد تناثر بالعقيق ثميته  
خط تطلس ميمه أو نوته  
مسحت عليه بالجنّاح ثبينه  
صَبَّ يطول إلى اللقاء حنيته  
جادت بلؤلؤة النفيس عيوته  
مكنون سر لم يذغ<sup>(٢)</sup> مضمونه  
عمدت بحاشية النضار تزيته  
سلس القياد ولا العتاب يلينه  
من ناجل الأطلال فيه أكوته  
ألوى بمزْدَلَف الرّفاق ظعيته  
هذا<sup>(٤)</sup> يخامر بالضلوع دفينه  
فعلى الفنون فريضة ثبينه  
جدوى أبي عبد الإله هُتونه  
زمنّ تقلّب بالكِرام خؤونه  
علق الزمان ثميته ومكيته  
وبملتقى الجّمعين طال سكونه  
ويلجّ فينض البحر فاض يمينه  
والحلم طبع والسّماحة دينه  
ل رشاده وجلا الظلام جبينه  
ولطالما صدّع الشكوك يقينه  
بحر الجدا طول المدى تمكينه  
سنّ القرى عمّ القرى تأمينه  
جاش الهزبر إذا الهزبر يخونه

(١) في الأصل: «الجرعاء» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «قد أذيع» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) في الأصل: «تسل» وكذا ينكسر الوزن. (٤) في الأصل: «ذا» وكذا ينكسر الوزن.

لا تَسْأَلِ<sup>(١)</sup> الهيجاء عنه إنه  
لو كان يُشغله المنام عن العُلا  
وإذا تطاولت الملوك بماجد  
يا ابن الألى نصرُوا الرسولَ ومن بهم  
خُصُوا ببيعته وحاموا دونه  
أمعاضدَ الإسلام أنت عميدُه  
لم يبق إلا من بسيفك طائعٌ  
وبجيشك المنصور لو لاقيته  
ولو اضطنعت إلى العدو إدالة  
خُذها إليك قصيدة من شاعر  
جعل القوافي للمعالي سُلماً  
غطى هواه عقله واقتاده

يصل المراد كما تحب ظنونه  
هجر المنام وباعدته جُفونه  
بمحمد دون الأنام يكوُّنه  
نَطَقَ الكتاب فصيحُه ومُبينه  
نَهَج الرُّضا حتى تَقاوم دينه  
وخليفةُ الرحمن أنت أُميُّنه  
أَلْفَنَشُ<sup>(٢)</sup> في أقصى البلاد رهينه  
أدرى بمُشْتَجِر الرُّماح طعيته  
طاعتُ إليك بلادُه وحصونه  
حلو الكلام مهذبٌ تَبيينه  
فجنى القريض كما اقتَضَتْه فنونه  
يُحصي النجوم جهالةَ تَزْيِينه

ولو أَخَذَتْه أيدي التحرير والنقد، لرجي أن يكون شاعراً، وبالجمله فالرجل  
معدود من الشُراة بَيِّنًا وتخصُّصًا.

### محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسي

مُنْكَبِي<sup>(٣)</sup>، الأصل، يكنى أبا عبد الله، طيب الدار السلطانية.

حاله: من «عائد الصلة»: كان، رحمه الله، فذاً في الانطباع واللُّوْذَعِيَّة، حسن  
المشاركة في الطب، مليح المحاضرة، حَفِظَةً، طُلْعَةً، مستحضرًا للأدب، ذاكراً  
لصناعة الطب، أخذها عن إمام وقته أبي جعفر الكزني، وانتصب للعلاج، ثم انتقل  
إلى الخدمة بصناعته بالباب السلطاني، وولِّي الحِسْبَة، ومن شعره يخاطب السلطان  
على ألسنة أصحابنا الأطباء الذين جَمَعَتْهُمْ الخدمة ببابه يومئذ، وهم أبو الأصبغ بن  
سعادة، وأبو تمام غالب الشَّقُورِي: [الخفيف]

قد جمعنا ببابكم سَطْرَ عِلْم      لبلوغ المنى ونيل الإرادة

(١) في الأصل: «تسل» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «وألفنش»، وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا حرف الواو. وألفنش: هو Alfonso صاحب قشتالة.

(٣) نسبة إلى المُنْكَب Almüñecar، وهي مدينة صغيرة في مقاطعة غرناطة على البحر المتوسط.  
الروض المعطار (ص ٥٤٨).

وَمِنْ أَسْمَائِنَا<sup>(١)</sup> لَكُمْ حُسْنُ فَالٍ غَالِبٌ ثُمَّ سَالَمٌ وَسَعَادَةٌ  
وفاته: توفي في شهر رجب من عام سبعة عشر وسبعمائة.

محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِين<sup>(٢)</sup>

من أهل البيرة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من الملاحى<sup>(٣)</sup>، قال: وَلِيّ الأحكام، وكان فقيهاً نبيهاً.

وفاته: توفي بغرناطة في عَشْرِ السنين وأربعمائة.

قلت: قد تقدم اعتذاري عن إثبات مثله في هذا المختصر، فليُنظر هناك إن شاء الله.

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد  
ابن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي زَمَنِين  
عدنان بن بشير بن كثير المُرِّي

حاله: كان من كبار المحدثين والعلماء الراسخين، وأجلُّ وقته قدراً في العلم والرواية والحفظ للرأي والتمييز للحديث، والمعرفة باختلاف العلماء، مُتَفَتِّناً في العلم، مضطرباً بالأدب، قارضاً للشعر، متصرفاً في حفظ المعاني والأخبار، مع التُّسك والزُّهد، والأخذ بسُنَنِ الصالحين، والتخلُّق بأخلاقهم. لم يزل أُمَّةً في الخير، قانتاً لله، مُنِيّاً له، عالماً زاهداً صالحاً خيراً متقشفاً، كثير التَّبَتُّل والتَّزَلُّف بالخيرات، مسارعاً إلى الصالحات، دائم الصلاة والبكاء، واعظاً، مذكراً بالله، داعياً إليه، ورعاً، مُلَبِّي الصدقة، معيناً على النَّاتبة، مواسياً بجاهه وماله، ذا لسانٍ وبيانٍ، تُصْغِي إليه الأفتدة فصيحاً، بهياً، عربياً، شريفاً، أبي النفس، عالي الهمة، طيب المجالسة، أنيس المشاهدة، ذكياً، راسخاً في كلِّ جُمٍّ من العلوم، صَيَرَفِيَا جَهْبَذًا، ما رُؤِي، قبله ولا بعده، مثله.

مشيخته: سكن قرطبة، وسمع بها من أحمد بن مطرّف، ووهب بن مَسْرَّة الحِجَارِي، وعن أبان بن عيسى بن محمد بن دنيّر، وعن والده عبيد الله بن عيسى.

(١) في الأصل: «ومن أسمائنا» وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا همزة القطع همزة وصل.

(٢) ترجمة ابن أبي زَمَنِين في مطمح الأنفس (ص ٢٦٦) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٩٨).

(٣) هو أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي، المعروف بالملاحى، صاحب كتاب «تاريخ علماء البيرة»، وقد توفي سنة ٦١٩ هـ. وسيترجم له ابن الخطيب بعد قليل.



مَنْ رَوَى عَنْهُ: روى عنه الزاهد أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيري وغيره.

توآلفه: ألف كتاب المُغْرَب في اختصار «المُدَوْنَة» ثلاثين جزءاً، ليس في المختصرات مثله بإجماع، والمُهَذَّب في تفسير «المَوْطَأِ»، والمُشْتَمَل في أصول الوثائق، وحياة القلوب، وأُسُّ الفريد، ومُنْتَخَب الأحكام، والنصائح المنظومة، وتفسير القرآن.

مولده: في المحرم سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

وفاته: توفي في شهر ربيع الثاني عام ثمانية وتسعين وثلاثمائة بحاضرة إلبيرة، رحمه الله ونفع به.

محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم بن مُشَرَّف  
ابن قاسم بن محمد بن هاني اللخمي القايصي<sup>(١)</sup>

يكنى أبا الحسن.

حاله: كان<sup>(٢)</sup> وزيراً جليلاً، فقيهاً رفيعاً، جواداً، أديباً، جيّد الشعر، عارفاً بصناعة النّحو والعروض، واللغة والأدب والطب، من أهل الرواية والدراية.

مشيخته: روى عن الحافظ أبي بكر بن عطية، وأبي محمد بن عتاب، وأبي الوليد بن رُشد القاضي الإمام، والقاضي أبي محمد عبد الله بن علي بن سَمْجُون.

شعره: من شعره قوله<sup>(٣)</sup>: [السريع]

يا حُرْقَةَ البَيْنِ كَوَيْتِ الحشا	حتى أَذْبِتِ القَلْبَ في أَضْلُعِهِ
أَذْكَيْتِ فيه النّارَ حتى غدا	يَنْسَابُ ذاك الدَّوْبُ من مَذْمَعِهِ
يا سَوْلاً هذا القَلْبِ حتى متى	يؤسى برَشَفِ الرِّيقِ من مَنَبَعِهِ؟
فإنَّ في الشَّهْدِ شِفَاءَ الوري <sup>(٤)</sup>	لا سيما إنْ مُصَّ <sup>(٥)</sup> من مَكْرَعِهِ
والله يُدْني منْكُم عَاجِلاً	ويُبْلِغُ القَلْبَ إلى مَطْمَعِهِ

(١) ترجمة محمد بن عبد الرحمن بن هاني اللخمي في التكملة (ج ٢ ص ٥٤) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٣).

(٢) قارن بالذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٣). (٣) الأبيات في نفع الطيب (ج ٥ ص ١٤٣).

(٤) في الأصل: «شفاً للورى» والتصويب من النفع.

(٥) في الأصل: «يصر» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى، والتصويب من النفع.

مولده: ولد في الثلث الأخير من ليلة الجمعة لثلاث بقين لذي حجة سنة ثمان وتسعين وأربعمائة.

وفاته: توفي في آخر<sup>(١)</sup> جمادى الأخرى سنة ست وتسعين وخمسائة.

## محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد ابن يوسف بن أحمد الغساني<sup>(٢)</sup>

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: كان محدثاً نبيلاً حاذقاً ذكياً، وله شرح جليل على كتاب «الشهاب»<sup>(٣)</sup>، واختصار حسن في «اقتباس الأنوار» للرشاطي. وكان كاتباً وافر الحظ من الأدب، يقرض شعراً لا بأس به.

من شعره في ذكر أنساب طبقات العرب<sup>(٤)</sup>: [الكامل]

الشَّعْبُ ثُمَّ قَبِيلَةٌ وَعِمَارَةٌ	بَطْنٌ وَفَخْدٌ وَالْفَصِيلَةُ تَابِعَةٌ
فَالشَّعْبُ يَجْمَعُ <sup>(٥)</sup> لِلْقَبَائِلِ كُلِّهَا	ثُمَّ الْقَبِيلَةُ لِلْعِمَارَةِ جَامِعَةٌ
وَالْبَطْنُ تَجْمَعُهُ الْعِمَارُ <sup>(٦)</sup> فَاغْلَمَنُ	وَالْفَخْدُ تَجْمَعُهُ <sup>(٧)</sup> الْبَطُونُ الْوَاسِعَةُ
وَالْفَخْدُ يَجْمَعُ <sup>(٨)</sup> لِلْفَصَائِلِ كُلِّهَا <sup>(٩)</sup>	جَاءَتْ عَلَى نَسَقٍ لَهَا مُتَتَابِعَةٌ
فَحُزْنِمَةُ شَعْبٌ وَإِنْ كَنَانَةٌ	لَقَبِيلَةٍ عَنْهَا الْفَصَائِلُ شَائِعَةٌ <sup>(١٠)</sup>
وَقُرَيْشُهَا تُسَمَّى الْعِمَارَةُ <sup>(١١)</sup> يَا فَتَى	وَقُصِيُّ بَطْنٍ لِلْأَعَادِي <sup>(١٢)</sup> قَامِعَةٌ

- (١) في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٣): «توفي بغرناطة لسبع بقين من جمادى الآخرة...».
- (٢) ترجمة محمد بن عبد الرحمن الغساني في التكملة (ج ٢ ص ١١٨) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٨) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٨٢).
- (٣) ورد في التكملة أن هذا الكتاب سَمَّاهُ الغساني بمستفاد الرحلة والاعتراب.
- (٤) الأبيات في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٣٤٨) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٨٢).
- (٥) في النفع: «مجتمع القبيلة».
- (٦) في الأصل: «يجمعه العِمَارُ» والتصويب من المصدرين.
- (٧) في الأصل: «بجمعه» والتصويب من المصدرين.
- (٨) في الذيل: «تجمع».
- (٩) في المصدرين: «هاكها».
- (١٠) في الأصل: «شاسعة» والتصويب من المصدرين.
- (١١) في الأصل: «تسمو العبارة»، والتصويب من المصدرين.
- (١٢) في الأصل: «بَطْنُ الْأَعَادِي» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

ذا هاشم<sup>(١)</sup> فخذ<sup>(٢)</sup> عباسها<sup>(٣)</sup> إلّا<sup>(٣)</sup> الفصيلة لأثناط بسابعة

مولده: ولد بغرناطة سنة ثمان وستين وخمسمائة.

وفاته: بمُرسية في رمضان تسع عشرة وستمائة<sup>(٤)</sup>.

محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مُفرّج بن أحمد  
ابن عبد الواحد بن حُرَيْث بن جعفر بن سعيد بن محمد  
ابن حَقْل الغافقي<sup>(٥)</sup>

من ولد مروان بن حقل النازل بقرية الملاح<sup>(٦)</sup> من قَنْبِ قَيْس من عمل  
إلبيرة، يكنى أبا القاسم ويعرف بالملاحى. وقد نقلنا عنه الكثير، وهو من المفخر  
الغُرناطية.

حاله: كان محدثاً راوية مُعْتَنِيّاً، أديباً، مؤرخاً، فاضلاً جليلاً. قال الأستاذ<sup>(٧)</sup>  
في «الصلة»: كان من أفضل الناس، وأحسنهم عشرةً، وألينهم كلمة، وأكثرهم مروءة،  
وأحسنهم خلقاً وخُلُقاً، ما رأيت مثله، قدس الله تربته. وذكره صاحب «الذيل»<sup>(٨)</sup>  
الأستاذ أبو عبد الله بن عبد الملك، وأطنب فيه، وذكره المحدث أبو عبد الله  
الطنجالي، وذكره ابن عساكر في تاريخه.

مشيخته: روى عن أبيه أبي محمد، وأبي القاسم بن بشكوال، وأبي العباس بن  
اليتيم، وعالم كثير من غير بلده، ومن أهل بلده سوى أبيه، وعن أبي سليمان  
داود بن يزيد بن عبد الله السعدي القلعي<sup>(٩)</sup>، لازمه مدة. وعن أبي خالد بن رفاة  
اللمخي، وأبي محمد عبد الحق بن يزيد العبدري، وأبي جعفر عبد الرحمن بن

(١) في الأصل: «ذا ما ثم» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الذيل: «وما». (٣) في النسخ: «أثر».

(٤) في التكملة: «وتوفي بمرسية في العشرة الأواخر من رمضان سنة تسع عشرة وستمائة».

(٥) ترجمة محمد بن عبد الواحد الغافقي الملاحى في التكملة (ج ٢ ص ١١٨) والذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤١٣) والوافى بالوفيات (ج ٤ ص ٦٨) والمغرب (ج ٢ ص ١٢٦).

(٦) الملاح: قرية على بريد من غرناطة. التكملة (ج ٢ ص ١١٩) والمغرب (ج ٢ ص ١٢٦).

(٧) هو ابن الزبير صاحب «صلة الصلة».

(٨) هو ابن عبد الملك المراكشي، صاحب كتاب «الذيل والتكملة» وقد ذكره، كما قلنا، في الذيل  
والتكملة (ج ٦ ص ٤١٣).

(٩) ترجمة داود بن يزيد السعدي القلعي في التكملة (ج ١ ص ٢٥٥) والوافى بالوفيات (ج ١٣ ص ٤٩٩) وبغية الوعاة (ص ٢٤٦).

الحسن بن القصير، وأبي بكر بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، وأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم، وأبي جعفر بن حَكَم الحصار، وأبي عبد الله بن عَرُوس، وأبي الحسن بن كُوثر، وأبي بكر الكُثندي، وأبي إسحق بن الجَلَّا، وأبي بكر بن أبي زَمَنِين، وأبي القاسم بن سَمْجون، وأبي محمد عبد الصمد بن محمد بن يَعِيش الغساني. وكان من المكثرين في باب الرواية، أهل الضبط والتقيد والإنقان، بارِعُ الخَطِّ، حسن الوراق، أديبًا بارعًا ذاكِرًا للتاريخ والرجال، عارفًا بالأنساب، نَقَادًا حافظًا للأسانيد، ثقةً عَدَلًا، مشاركًا في فنون، سياسيًا. وروى عنه الأستاذ، واعتنى بالرواية عنه. وقال الأستاذ: حدَّثني عنه من شيوخه جماعة، منهم القاضي العَدْل أبو بكر بن المُرباط.

**تواليايفه:** ألَّف كتابه في «تاريخ علماء البيرة»، واحتفل فيه. وألَّف كتاب «الشجرة في الأنساب»، و«كتاب الأربعين حديثًا»، و«كتاب فضائل القرآن»، و«برنامج روايته» وغير ذلك.

**مولده:** سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

**وفاته:** توفي في شعبان سنة تسع عشرة وستمئة ببلده<sup>(١)</sup>.

### محمد بن علي بن عبد الله اللخمي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالشَّقُوري، منسوبًا إلى مدينة شَقُورة<sup>(٢)</sup> ومنها أهله، صاحبًا طيب دار الإمامة، حفظه الله.

**حاله:** هذا الرجل طُرِفَ في الخير والأمانة، فذَّ في حسن المشاركة، نقيًّا في حب الصَّالحين، كبير الهوى إلى أهل التقوى، حَذِرٌ من التفریط، حريص على التعلُّق بجناب الله، نشأ سابع رداء العَفَّة، كثيف جَلْبَاب الصَّيانة، متصدِّرًا للعلاج في زمن المراهقة، مُعِمًّا، مُخَوَّلًا في الصَّناعة، بادي الوقار في سنِّ الحشمة. ثم نظر واجتهد، فأخَرَز الشهرة بدينه، ويُمَن نَقِيَّتِه، وكثرة حَيْطَتِه، ولطيف علاجه، ونُجَح تجربته. ثم كَلِف بصحبة الصالحين، وخاض في السلوك، وأخذ نفسه بالارتياض والمُجاهدة، حتى ظهرت عليه آثار ذلك. واستدعاه السلطان لعلاج نفسه، فاغْتَبَط به، وشدَّ اليَدَ

(١) في التكملة (ج ٢ ص ١١٩ - ١٢٠): «وتوفي لخمس خلون من شعبان سنة تسع عشرة وستمئة، وقال غيره: سنة عشرين». ومثله جاء في الذيل والتكملة (ج ٦ ص ٤١٨).

(٢) شقوره: بالإسبانية Segura de la Sierra، وهي مدينة من أعمال جيان بالأندلس. الروض المعطار (ص ٣٤٩).

عليه، وظهر له فضله، وهو لهذا العهد ببابه، حميدُ السيرة، قويم الطريقة، صحيح العقد، حسن التدبير، عظيم المشاركة للناس، أشدُّ الخلق حرصًا على سعادة من صحَّبه، وأكثرهم ثناءً عليه، وأضرَّحهم نصيحة له، نبيلُ الأغراض، فطنُ المقاصد، قائمٌ على الصنعة، مُبينُ العبارة، معتدل في البحث والمذاكرة، متكلم في طريقة الصُوفية، عديم النظرير في الفضل، وكرم النفس.

شيوخه: قرأ على جدّه للأب، وعلى الحكيم الوزير خالد بن خالد من شيوخ غرناطة، وعلى شيخنا الحكيم الفاضل أبي زكريا بن هذيل، ولازمه، وانتفع به، وسلك بالشيخ الصوفي أبي مُهذَّب عيسى الزيات ثم بأخيه الصالح الفاضل أبي جعفر الزيات، والتزم طريقته، وظهرت عليه بركته.

توالياه: ألف كتبًا نبيلة، منها «تحفة المتوصل في صنعة الطب» وكتابًا أسماه «الجهاد الأكبر»، وآخر سمّاه «قمع اليهودي عن تعدي الحدود» أحسن فيه ما شاء.

شعره: أنشدني بعد ممانعة واعتذار، إذ هذا الغرض ليس من شأنه: [الطويل]

سألت ركاب العز أين ركابي	فأبدى عنادًا ثم ردّ جوابي
ركابك مع سيري يسيرُ بسيره	بغير حلول مذ حللت جنابي
فلا تلتفت سيرًا لذاتك إنما	تسير بها سيرًا لغير ذهاب

وهي متعددة.

مولده: ولد في عام سبعة وعشرين وسبعماية.

### محمد بن علي بن فرج القَرْبَلْيَانِي<sup>(١)</sup>

يكنى أبا عبد الله ويعرف بالشفرة.

حاله: كان رجلًا ساذجًا، مشغولًا بصناعة الطب، عاكفًا عليها عمره، محققًا لكثير من أعيان الثبات، كلفًا به، مُتَعَيِّشًا من عُشبه أول أمره، وارتاد المنايا، وسرح بالجبال، ثم تصدّر للعلاج، ورأس به، وحفظ الكثير من أقوال أهله، ونسخ جملة من كُتائشه على ركافة خطّه، وعالج السلطان نصر المُستَقَرّ بوادي آش، وقد طرق من بها مرضٌ وافد حمل علاجه المُشاقحة لأجله، وعظم الهلاك فيمن اختصّ بتدبيره، فطوّف

(١) نسبة إلى قَرْبَلْيَان Grevillente، وهي قرية صغيرة بمقاطعة لقنت، كثيرة الزيتون. الروض المعطار (ص ٤٥٥).

القلب المبارك بمَبْرَاه. ثم رحل إلى العُدوة، وأقام بمَرَآكُش سنين عدة، ثم كَرَّ إلى غرناطة في عام أحد وستين، وبها هلك على أثر وصوله.

مُشِيخَتُهُ: زعم أنه قرأ على أبيه ببلده من قَزَلْيَان بلد الدَّجَن<sup>(١)</sup>، وأخذ الجراحة عن فوج من مُحسِنِي صناعة عمل اليَد من الرُّوح. وقرأ على الطبيب عبد الله بن سراج وغيره.

توَالِيْفُهُ: ألف كتابًا في الثَّبَات.

وفاته: في السابع عشر لربيع الأول عام أحد وستين وسبعمائة.

### محمد بن علي بن يوسف بن محمد السَّكُونِي<sup>(٢)</sup>

يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن اللؤلؤة، أصله من جهة قمارش<sup>(٣)</sup>.

حاله: رحل في فتائه، بعد أن شدا شيئًا من الطلب، وكَلِفَ بالرواية والتقيد فلقي مشيخةً، وأخذ عن جِلَّة، وقدم على بلده حسن الحالة، مستقيم الطريقة، ظاهر الانقباض والعفة، وأدخل الأندلس فوائد وقصائد، وكان ممن ينتفع به لو أمهلت المنية.

شعره: مما نسب إليه من الشعر قوله<sup>(٤)</sup>: [المجتث]

يا مَنْ عليه اعتمادي	في قِلْ أنمري وكثرة
سَهْلٌ عليّ ارتحالي	إلى التَّبْيِّ وقُبْرَةٍ
فذاك أَقْصَى مُرادي	من السُّجُودِ بأُسْرَةٍ
وليس ذا بعزيز	عليك فامُنُّنْ بِيُسْرَةٍ

ومن ذلك<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

أَمِنْ بَعْدِ ما لَاحَ المَشِيبُ بمُفْرِقي	أَمِيلُ لَزُورٍ بالغُرُورِ مصاعُ <sup>(٥)</sup>
وأرتاح لِلذَّاتِ والسَّيْبِ مُنْذَرُ	بما ليس عنه لِلأنامِ مرأغُ

(١) أي أن قزليان هذه كانت في أيام ابن الخطيب، أي في عهد بني نصر، سلاطين غرناطة، في أيدي النصارى، والدجن أو المدجنون هم المسلمون الذين كانوا يرزخون تحت حكم الإسبان.

(٢) ترجمة محمد بن علي السكوني في الكتبية الكامنة (ص ٦١).

(٣) قمارش: بالإسبانية Comares، وهي بلدة بالأندلس، تقع شمال شرقي مالقة في سفح جبل الثلج (سييرا نفادا).

(٤) الأبيات في الكتبية الكامنة (ص ٦١). (٥) في الكتبية: «بصاغ».

وَمَنْ لَمْ<sup>(١)</sup> يَمُتْ قَبْلَ الْمَشِيبِ فَإِنَّهُ يُرَاغُ بِهَوْلِ بَعْدِهِ وَيُرَاغُ  
فِيَا رَبِّ وَقَفَّقَنِي إِلَى مَا يَكُونُ لِي بِهِ لِلَّذِي أَزْجُوهُ مِنْكَ بِلَاغٌ  
وَفَاتِهِ: تُوْفِي مُغْتَبَطًا فِي وَقِيعَةِ الطَّاعُونَ عَامَ خَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، خَطِيبًا بِحِصْنِ  
قُمَارِشٍ.

### محمد بن سُودَة بن إبراهيم بن سُودَة المُرِّي

أصله من بُشْرَة عرناطة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من بعض التواريخ المتأخرة: كان شيخًا جليلاً، كاتبًا مجيدًا، بارع  
الأدب، رائق الشعر، سيال القريحة، سريع البديهة، عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ،  
ذاكراً لأيام السلف، طيب المحاضرة، مليح الشئبة، حسن الهيئة، مع الدين والفضل،  
والطهارة والوقار والصمت.

مشيخته: قرأ بغرناطة على الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم بن  
الفرس، وغيره من شيوخ غرناطة. وبمالقة على الأستاذ أبي القاسم السهيلي، وبيجان  
على ابن يزبوع، وبإشبيلية على الحسن بن زرقون وغيره من نظرائه.

أدبه: قال الغافقي: كانت بينه وبين الشيخ الفقيه واحد عصره أبي الحسن  
سهل بن مالك، مكاتبات ومراجعات، ظهرت فيها براعته، وشهدت له بالتقدم  
براعته.

محتنه: أصابته في آخر عمره نكبة ثقيلة، أسير هو وأولاده، فكانت وفاته أسفاً  
لما جرى عليهم، نفعه الله. توفي في حدود سبعة وثلاثين وستمائة.

### محمد بن يزيد بن رفاعة الأموي البيري

أصله من قرية طُرُش<sup>(٢)</sup>.

حاله: طلب العلم وعنى بسمعه، ونسخ أكثر كتبه بخطه، وكان لَعُوياً شاعراً،  
من الفقهاء المشاورين الموثقين، ووُلِّي الصلاة بالحاضرة، وعُزِل، وسَرَد الصَّوم عن  
نَذْرِ لَزِمه عُمره.

(١) كلمة «لم» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة الكامنة.

(٢) طُرُش: بالإسبانية Turro، وهي قرية على ضفة البحر بين المنكب وبلش مالقة. راجع مملكة  
غرناطة (ص ٧٠) ففيه دراسة عن هذه القرية مع ثبت بأسماء المصادر التي تحدثت عن تلك  
القرية.

مشيخته: سمع من شيوخ البيرة؛ محمد بن قُطيس، وابن عَمْريل، وهاشم بن خالد، وعثمان بن جهير، وحفص بن نجيح، وبقرطبة من عُبيد الله بن يحيى بن يحيى وغيره.

من حكاياته: قال المؤرخ: من غريب ما جرى لأبي علي البغدادي، في مقدّمه إلى قرطبة، أن الخليفة الحَكَم<sup>(١)</sup> أمر ابن الرّماحس عامله على كُورَتِي البيرة وبجّانة، أن يجيء مع أبي علي في وفد من وجوه رعيّته، وكانوا يتذكرون الأدب في طريقهم، إلى أن تجاروا يوماً، وهم سائرون، أدب عبد الملك بن مَروان، ومُساءلته جلساءه عن أفضل المناديل، وإنشاده بيت عبّدة بن الطبيب<sup>(٢)</sup>: [البسيط]

تُمتّ قُمنّا إلى جُردٍ مُسوّمةٍ      أعرافُهنَّ<sup>(٣)</sup> لأَيدينا مناديلُ

وكان الذّاكر للحكاية أبو علي، فأنشد الكلمة في البيت: أعرافُها<sup>(٤)</sup>، فلولى ابن رفاعه عِنايه منصرفاً، وقال: مع هذا يُوفد على أمير المؤمنين، وتُتَجشّم الرّحلة العظيمة، وهو لا يقيم وَزَنَ بيت مشهور في النَّاس، لا يَغْلط فيه الصّبيان، والله لا تَبِغُته خطوة، وانصرف عن الجماعة، وتَدَبّه أميره ابن الرّماحس، ورامَه بأن لا يفعل، فلم يجد فيه حيلة، فكتب إلى الخليفة يعرّفه بآبن رفاعه، ويصف ما جرى معه، فأجابه الحَكَم على ظهر كتابه: الحمد لله الذي جَعَلَ في بادية من بوادينا مَنْ يُخْطِئُ وفد أهل العراق، وآبن رفاعه بالرّضا أولى منه بالسُّخط، فدعه لَشأنه، وأقدم بالرّجل غيرَ مُتَقصٍّ من تَكريمه، فسوف يُعليه الاختبار أو يحطّهُ.

وفاته: توفي سنة ثلاث أو أربع وأربعمائة.

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي  
ابن أبي بكر بن خميس الأنصاري

من أهل الجزيرة الخضراء.

(١) هو الخليفة الحَكَم بن عبد الرحمن الناصر، المعروف بالحكم المستنصر، حكم الأندلس من سنة ٣٥٠ هـ إلى سنة ٣٦٦ هـ.

(٢) عبدة بن الطبيب شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم، وترجمته في الأغاني (ج ٢١ ص ٣٠) والشعر والشعراء (ص ٦١٣) وبيته هذا قاله في الصعلكة، وهو في الأغاني (ج ٢١ ص ٣٢) والشعر والشعراء (ص ٦١٤).

(٣) في الأصل: «أعرافهن» بالقاف، والتصويب من المصدرين. والأعراف: جمع عُزف وهو شعر عُنى الفرس. محيط المحيط (عرف).

(٤) في الأصل: «أعرافها» بالقاف.



حاله: كان فاضلاً وقوراً، مشاركاً، خطيباً، فقيهاً، مُجَوِّداً للقرآن، قديم الطلب، شهير البيت، معروف الثَّعْنِ، نَبِيه السُّلْف في القضاء، والخطابة والإقراء، مضى عمره خطيباً بمسجد بلده الجزيرة الخضراء، إلى أن تغلب العدو عليها، وباشر الحصار بها عشرين شهراً، نفعه الله. ثم انتقل إلى مدينة سَبْتَة، فاستقرَّ خطيباً بها إلى حين وفاته.

مُشِيخته: قرأ على والده، رحمه الله، وعلى شيخه، وشيخ أبيه أبي عمر، وعباس بن الطفيل، الشهير بابن عَظِيمة، وعلى الأستاذ أبي جعفر بن الزُّبَيْر، والخطيب أبي عبد الله بن رُشِيد بغرناطة عند قدومه عليها، والقاضي أبي المجد بن أبي الأحوص، قاضي بلده، وكتب له بالإجازة الوزير أبو عبد الله بن أبي عامر بن ربيع، وأجازه الخطباء الثلاثة أبو عبد الله الطَّنْجالي، وأبو محمد الباهلي، وأبو عثمان بن سعيد. وأخذ عن القاضي سَبْتَة أبي عبد الله الحَضْرَمي، والإمام الصالح أبي عبد الله بن حُرَيْث، والمحدث أبي القاسم الثَّجِيبِي، والأستاذ أبي عبد الله بن عبد المنعم، والأخوين أبي عبد الله وأبي إبراهيم، ابني يَزْبُوع. قال: وكلُّهم لَقِيْتُهُ وسمعتُ منه. وأجاز لي إجازة عامة ما عدا الإمام ابن حُرَيْث فإنه أجاز لي، ولقيته ولم أسمع عليه شيئاً، وأجاز لي غيرهم كناصر الدين المُشْدالي، والخطيب ابن عَزْمُون وغيرهما، ممن تضمنه برنامجُه.

توَالِيْفُه: قال: وكان أحد بُلْغَاء عصره، وله مُصَنَّفَات منها: «التُّفْحَة الأَرَجِيَّة، في الغزوة المَرَجِيَّة»، ودخل غَرْنَاطَة مع مثله من مشيخة بلده في البَيِّنَات، أَظُن ذلك.

وفاته: توفي في الطَّاعُون بسبْتَة آخر جمادى الآخرة من عام خمسين وسبعمائة.

### محمد بن أحمد بن عبد الله العطار

من أهل المَرِيَّة.

حاله: من بعض الثَّقِيْدَات، كان فتىً وسيماً، وقوراً، صَيِّياً، متعَفِّفاً، نجيباً، ذَكِيّاً. كَتَبَ عن شيخنا أبي البركات بن الحاج، وناب عنه في القضاء، وانتقل بانتقاله إلى غرناطة، فَكَتَبَ بها. وكان ينظم نظماً مترقفاً عن الوَسْط. وجرى ذكره في «الإكليل» بما نصُّه: مَمَّنْ نَبِغ وَنَجِب، وَخُلِقَ لَهُ الْبِرُّ بِذَاتِهِ وَوَجِب، تَحَلَّى بِوَقَارٍ، وَشَغَّعَ لِلأَدَبِ كَأْسَ عُقَارٍ، إِلَّا أَنَّهُ اخْتَرِمَ فِي اقْتِبَالٍ، وَأَصِيبَ لِأَجْلِ بِنَالٍ.

ومن شعره قوله من قصيدة: [الطويل]

دعاني على طول البعاد هواها      وقد سَدَّ أبواب اللقاء<sup>(١)</sup> نَواها  
وقد شِئْتُ بِزَقَا لِلْقَاءِ<sup>(٢)</sup> مُبَشِّرَا      وقد نَفَحَتْ رِيح الصَّبَا بشذاها  
وجنَّ دُجَى لَيْلٍ بِخَيْلٍ بِصُبْحِهِ      كما بَخِلْتُ لَيْلَى بِطَيْفِ سُرَاهَا  
وقادَ زَمَانِي قَائِدُ الْحَبِّ قَاصِدَا      ربوعًا ثَوَتْ لَيْلَى بِطُولِ قَنَاهَا  
ونَادَيْتُ وَالْأَشْوَاقَ بِالْوَجْدِ بَرَّحَتْ      ودمعِي أَجْرَى سَابِغًا لِلْقَاهَا  
أَيَا كَثْبَةَ الْحُسْنِ الَّتِي النَّفْسُ<sup>(٣)</sup> تَرْتَجِي      رضاها وَحَاشَى أَنْ يَخِيبَ رَجَاهَا  
أَحْبَبُكَ يَا لَيْلَى عَلَى الْبُعْدِ وَالنَّوَى      وبِي مِنْكَ أَشْوَاقُ تَشْبُ لُظَاهَا  
لِئِنْ حُجِبْتَ لَيْلَى عَنِ الْعَيْنِ إِنِّي      بعَيْنِ فَوَادِي لَا أَزَالُ أَرَاهَا  
إِلَى أَنْ بَدَا الصَّبَحُ الْمُشْتَتِ شَمْلَنَا      وما بَلَغَتْ نَفْسُ الْمُشَوِّقِ مُنَاهَا  
فَمَدَّتْ يَمِينًا لِلْوَدَاعِ وَدَمْعُهَا      يُكْفِكِفُهُ خَوْفُ الرَّقِيبِ سُرَاهَا  
وَقَالَتْ: وَدَاعًا لَا وَدَاعَ تَفَرِّقُ      لَعَلَّ اللَّيَالِي أَنْ تُدِيلَ نَواها  
تُذَكِّرُنَا لَيْلَى مَعَاهِدَ اللَّوَى      رعى الله لَيْلَاتِ اللَّوَى وَرَعَاهَا

وفاته: توفي في الطاعون الأعظم عام خمسين وسبعمئة.

### محمد بن أحمد بن المراكشي

من أهل المرية، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالمراكشي.

حاله: كان فتي جميل الرؤيا، سَكُونًا، مَطْبُوعًا عَلَى الْمُغَافَصَةِ<sup>(٤)</sup> وَالْعَمَزِ، مهتدًا إِلَى خَفِيِّ الْحَيْلَةِ، قَادِرًا عَلَى الْمُبَاحَثَةِ، ذَكِيًّا، مُتَسَوِّرًا عَلَى الْكَلَامِ فِي الصَّنَائِعِ وَالْأَلْقَابِ، مِنْ غَيْرِ تَذَرُّبٍ وَلَا حُنْكَةٍ، دِمِثُ الْأَخْلَاقِ، لَيْنُ الْعَرِيكَةِ، انْتَحَلَ الطَّبَّ، وَتَصَدَّرَ لِلْعِلَاجِ وَالْمَدَاوَاةِ، وَاضْطَبَّنَ أَغْلُوطَةً صَارَتْ لَهُ بِهَا شَهْرَةٌ، وَهِيَ رِقٌّ يَشْتَمِلُ عَلَى أَعْدَادٍ وَخُطُوطٍ وَزَايِرَجَةٍ، وَجَدَاوِلُ غَرِيبَةِ الْأَشْكَالِ، تَحْتَهَا عِلَامَاتٌ فِيهَا اصْطِلَاحَاتُ الصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ، وَيَتَصَلُّ بِهَا قَصِيدَةٌ رَوِيَهَا لَامُ الْأَلْفِ أُولَهَا، وَهِيَ مَنْسُوبَةٌ لِأَبِي الْعَبَّاسِ السَّبْتِيِّ: [الطويل]

يقول لِسَبْتِيَّ<sup>(٥)</sup> وَيَحْمَدُ رَبَّهُ      مُصَلِّ عَلَى هَادٍ إِلَى النَّاسِ أَرْسَلَا

(١) فِي الْأَصْلِ: «اللقاء»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنَ. (٢) فِي الْأَصْلِ: «اللقاء»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنَ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: «لِلنَّفْسِ»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنَ. (٤) الْمَغَافَصَةُ: الْمَفَاجَأَةُ. لِسَانَ الْعَرَبِ (غَفَصَ).

(٥) فِي الْأَصْلِ: «سَبْتِيَّ»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنَ.

وأنها مدخل للزيرجة، ذكر أنه عثر عليها في مَظَنَّة غريبة، وظفر برسالة العمل بها، وتحرى بالإعلام بالكنيات، والإخبار بالخَفِيِّ وتَقْدِمة المعرفة، والإنذار بالوقائع، حتى استهوى بذلك جماعة من المَشِيخة، ممن كان يركن إلى رُجحان نظره، وسلامة فطرته، واستغلت الشهادة له بالإصابة سجيّة النفوس في حرصها على إثبات دعاوى المتَحَرِّفين. أخبرني بعضهم أنه خبأ له عَظْمًا صغيرًا، يكون في أطراف أجنحة الطير، أخذه من جناح ديك، وزعم أرباب الخَواصِّ أنه يُزيل الإعياء إذا عُلِقَ، فتصرّف على عاداته من الدخول في تلك الجداول، وأخذ الأعداد الكثيرة، يَضْرِبُهَا آوَنَةً، ويُقسِمُها أخرى، ويستخرج من تلك الجداول جيوبًا وسِهَامًا، ويأخذ جذورًا، وينتج له العمل آخرًا حروفاً مقطعة، يبقِيها الطرح، يُؤلف منها كلامًا تُقْتَنَصُ منه الفائدة، فكان في ذلك بيت شعر: [الطويل]

وفي يدكم عَظْمٌ صغير مُدَوَّر يُزيل به الإعياء<sup>(١)</sup> مَنْ كان في السَّفَرِ

وأخبرني آخرون أنه سُئِلَ في نازلة فقهية لم يَلْقَ فيها نص، فأخبر أن النص فيها موجود بمالقة، فكان كذلك. وعارض ذلك كله جَلَّةً من أشياخنا، فذكرني الشيخ نسيج وحده أبو الحسن بن الجياب أن سامره يُخرج خبيثته سواد لَيْلَةٍ، فتأمل ما يصنعه، فلم يأت بشيء، ولا ذهب إلى عمل يُتَعَقَّلُ، وظاهر الأمر أن تلك الحال كانت مبنية على تَخَيُّلٍ وتخمين، تختلف فيه الإصابة وضدها، بحسب الحالة والقائل، لتصرّف الحيلة فيه، فاقضى ذلك تأميل طائفة من أهل الدول إياه، وانتسخوا نظائر من تلك الزيرجة المموّهة، ممطولين منه بطريق التصرّف فيها إلى اليوم، واتصل بالسلطان، فأرسم ببابه، وتعدّى الإنس إلى طبِّ الجن، فافتضح أمره، وهُمُّ به، فنجا مُفْلِتًا. ولم تزل حاله مضطربة، إلى أن دُعي من العُدوة وسلطانها، منازل مدينة تلمسان، ووصلت الكتب عنه، فتوجّه في جَفْنٍ هُبَيْءٍ له، ولم ينشِب أن تُوفي بالمحلّة في أوائل عام سبعة وثلاثين وسبعمائة.

### محمد بن بكرون بن حزب الله

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: من أهل الخصوصيّة والفضل، ظاهر الاقتصاد، كثير التخلُّق، حسن اللقاء، دائم الطريقة، مختصر الملبس والمأكّل، على سُنن الفضلاء وأخلاق الجَلَّة.

(١) في الأصل: «الإعياء» وكذا ينكسر الوزن.

انتظم لهذا العهد في نَمَط من يُستَجاز ويُجيز. وكان غَفَلًا فأقام رَسَمًا محمودًا، ولم يَقْصُر عن غاية الاستعداد.

مشيخته: منهم الأستاذ، مولى النعمة على أهل بلده، أبو محمد عبد الواحد بن أبي السّداد الباهلي، قرأ عليه القرآن العظيم أربع عشرة<sup>(١)</sup> خَتْمَةً قراءة تَجْوِيد وإتقان بالأحرف السّبعة، وسمع عليه كتبًا كثيرة، وقال عند ذكره في بعض الاستدعاءات: ولازمته، رضي الله عنه وأرضاه، إلى حين وفاته، ونلتُ من عظيم بركاته وخالص دَعَواته ما هو عندي من أجلِّ الوسائل، وأعظم الذخيرة، وأفضل ما أَعَدَّته لهذه الدّار والدار الآخرة. وكان في صَدْر هذا الشيخ الفاضل كثير من عِلْم اليقين. وهو عِلْم يجعله الله في قَلْب العبد إذا أَحَبّه؛ لأنه يؤول بأهله إلى احتمال المكروه، والتزام الصّبر، ومُجاهدة الهوى، ومُحاسبة النّفس، ومراعاة خواطر القلب، والمُراقبة لله، والحياء من الله، وصحّة المعاملة له، ودوام الإقبال عليه، وصحّة النّيّة، واستشعار الحُشْيَة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ ءَلَمُوا﴾<sup>(٢)</sup> فكفى بِحُشْيَة الله عِلْمًا، وبالإقبال عليه عزًّا. قلت: وإنما نقلت هذا؛ لأنّ مثله لا يصدر إلّا عن ذي حركة، ومُضْطَبّن بركة، ومنهم الشيخ الخطيب الفاضل ولي الله أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الطنجالي.

دخل غرناطة راويًا، وفي غير ذلك في شؤونه، وهو الآن ببلده مألقة يخطب ببعض المساجد الجامعة بها على الحال الموصوفة.

### محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصاري الخزرجي

الميورقي<sup>(٣)</sup> الأصل، سكن غرناطة.

حاله: كان محدّثًا، عالي الرواية، عارفًا بالحديث وعِلّله، وأسماء رجاله، مشهورًا بالإتقان والضبط، ثِقَّة فيما نقل وروى، دَيّنًا، زَكِيًا، مَتَحَامِلًا، فاضلًا، خَيْرًا، مُتَقَلِّلًا من الدُّنْيَا، ظاهريّ المذهب داوُدِيّ<sup>(٤)</sup>، يَغْلِب عليه الزهد والفضل.

مشيخته: روى بالأندلس عن أبي بكر بن عبد الباقي بن محمد الحِجاري، وأبي علي الصدفي الغساني، وأبي مروان الباجي، ورحل إلى المشرق وحجّ، وأخذ

(١) في الأصل: «أربعة عشر» وهو خطأ نحوي. (٢) سورة فاطر ٣٥، الآية ٢٨.

(٣) نسبة إلى ميورقة Mallorca وهي إحدى الجزر الثلاث: منورقة ويابسة وميورقة. الروض المعطار (ص ٥٤٩).

(٤) نسبة إلى خلف بن داود الأصفهاني، مؤسس المذهب الظاهري.

بمكة، كرمها الله، عن أبي ثابت وأبي الفتح عبد الله بن محمد البيضاوي وأبي نصر عبد الملك بن أبي مسلم العمراني. قلت: وغيرهم اختصرتهم لطولهم، وقفل إلى الأندلس فحدث بغير بلده منها؛ لتجواله فيها.

مَنْ روى عنه: روى عنه أبو بكر بن رزق، وأبو جعفر بن الغاسل، وغيرهما<sup>(١)</sup>.

محتته: امثحن من قبل علي بن يوسف بن تاشفين، فحمل إليه صحبة أبي الحكم بن يوجان، وأبي العباس بن العريف، وضرب بالسوط عن أمره، وسجنه وقتاً، ثم سرحه وعاد إلى الأندلس، وأقام بها يسيراً، ثم انصرف إلى المشرق، فتوقف بالجزائر، وتوفي بها في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وخمسمائة.

### محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف ببلده مالقة بالمعّم.

حاله: كان طبقة من طبقات الكفاة، ظرفاً وزواءً وعارضةً وترتيباً، تجلّل بفضل شهرة أبيه، وجعل بعض المثرفين من وزراء الدول بالمغرب أيام وجّهته إليه ضجة الشيخ الصالح أبيه في غرض السفارة، مالا عريضاً لينفقه في سبيل البر، فبنى المدرسة غربي المسجد الأعظم، ووقف عليها الرباع، وابتنى غيرها من المساجد، فحصلت الشهرة، ونبه الذكر وتطور، ورام الخروج في مدارج السلوك، وانقطع إلى الخلوة، فنصّلت الصبغة، وغلبت الطبيعة، وتأثّل له مال جمّ اختلف في سبب اقتنائه، وأظهر التجرّ المزهّف الجوانب بالجاه العريض، والجرحى الشديد، والمسامحة في باب الورع، فتبّكّ به نعيماً من ملبس ومطعم وطيب وترّفه، طارد به اللذة ما شاء في باب النكاح استمتاعاً ودواقاً يتبع رائد الطرف، ويقلّد شاهد السمع، حتى نعي عليه، ووّلّي الخطابة بالمسجد الأعظم بعد أبيه، فأقام الرسم، وأوسع المنبر ما شاء من جهورية وعارضة، وتسوّر على أعراض، وألفاظ في أسلوب ناب عن الخشوع، عريق في نسب القحّة. ثم رحل إلى المشرق مرة ثانية، وكرّ إلى بلده، مليح الشيبة، بادي الوقار، نبيه الرثبة، فتولّى الخطابة إلى حين وفاته.

(١) في الأصل: «وغيرهم».

**مشيخته:** حسبما قيّدته من خطّ ولده أبي الحسن، وارثه في كثير من خلال، وأغلّبها الكفاية. فمنهم والده، رحمه الله، قرأ عليه وتأدّب به، ودوّن في طريقه، حسبما يتقرر ذلك، ومنهم الأستاذ أبو محمد بن أبي السداد الباهلي، ومنهم الشيخ الراوية أبو عبد الله بن عيَّاش، والخطيب الصالح أبو عبد الله الطنجالي، والخطيب الصالح أبو جعفر بن الزيات، والأستاذ ابن الفخار الأركشي، والقاضي أبو عمرو بن منظور، والأستاذ ابن الزبير وغيرهم، كابن رُشيد، وابن خميس، وابن بُرطال، وابن مسعدة، وابن ربيع، وبالمشرق جماعة اختصرتهم لطولهم.

**تواليقه:** وتسوّر على التأليف، بفرط كفايته، فما يُنسب إليه كتاب: «التجرّيب»، في شرح الجامع الصحيح». قال: منه ما جرّده من المبيضة، ومنه ما لم يسمح الدهر بإتمامه، وكتاب «بهجة الأنوار»، وكتاب «الأسرار»، وكتاب «إرشاد السائل، لنهج الوسائل»، وكتاب «بُغية السالك»، في أشرف المسالك» في التصوف، وكتاب «أشعة الأنوار، في الكشف عن ثمرات الأذكار». وكتاب «الثّفة القدسيّة»، وكتاب «غنية الخطيب، بالاختصار والتّقرير» في خطب الجُمع والأعياد، وكتاب «غرائب الثّجب، في رغائب الشّعب»، شُعب الإيمان، وكتاب «في مناسك الحج»، وكتاب «نظم سلّك الجواهر، في جيّد معارف الصّدور والأكابر»، فهرسة تحتوي على فوائد من العلم وما يتعلق بالرواية، وتسمية الشيوخ وتحرير الأسانيد.

**دخوله غرناطة:** دخلها مرات تشدّد عن الإحصاء. ولد عام ثمانية وسبعين وستمائة، وتوفي بمالقة في صبيحة ليلة النصف من شعبان عام أربعة وخمسين وسبعمائة.

### محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمي

يكنى أبا بكر، ويعرف بالطنجالي، ولد الشيخ الولي أبي عبد الله.

**حاله:** من ذيل تاريخ مالقة للقاضي أبي الحسن بن الحسن، قال: كان هذا العالم الفاضل ممن جمع بين الدّراية والرّواية والتراث والاكتساب، وعُلُو الانتساب، وهو من القوم الذين وصلوا الأصالة بالصّول، وطول الأليسة بالطول، وهدوا إلى الطّيب من القول، أترّ الشّموخ يَبْزُق من أنفه، ونسيم الرّسوخ يَعْبُق من عَرَفه، وزاجر الصّلاح يُومي بِطَرَفه، فتخاله من خَوْف الله ذا لَمَم، وفي خلقه دماثة وفي عِرْنيه سَمَم. ووصفه بكثير من هذا الثّمط.

ومن «العائد»: كان من أهل العلم والتّفنّن في المعارف والتّهّم بطلبها، جمع بين الرّواية والدّراية والصّلاح. وكانت فيه خِفّة، لفرط صِحّة وسداجة وفضل رُجولة

به، بارع الخط، حسن التقييد، مهيبًا جزلاً، مع ما كان عليه من التواضع، يحبه الناس ويعظمونه، خطب بالمسجد الأعظم من مالقة، وأقرأ به العلم.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي محمد الباهلي، وأبيه الولي الخطيب، رحمه الله. وروى عن جده أبي جعفر، وعن الراوية الأستاذ الكبير أبي جعفر بن الزبير، والراوية أبي عبد الله بن عيَّاش، والقاضي أبي القاسم بن السكوت، وغيرهم ممن يطول ذكره، من أهل المشرق والمغرب.

وفاته: توفي بمالقة في أول صفر من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة، وكان عمره نحوًا من تسع وخمسين سنة.

### محمد بن محمد بن ميمون الخزرجي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بلا أسلم؛ لكثرة صدور هذه اللفظة عنه، مُرْسِي الأصل، وسكن غرناطة ووادي آش وألمرية.

حاله: من كتاب «المؤتمن»<sup>(١)</sup>: كان دَمِث الأخلاق قبل أن يحرجه شيء من مُضَيِّقات الصدور، يشارك في العربية، والشعر النازل عن الدرجة الوسطى لا يخلو بعضه عن لُحْن. وكان يتعيش من صناعة الطُّب. وَجَرَتْ له شهرة بالمعرفة تَرْفَعُ به بتلك الصُّنْاعة على حَدِّ شهرة ترك النصيحة فيها، فكانت شهرته بالمعرفة ترفع به. وشهرته بترك النصيحة تُنْزِلُه، فيمرُّ بين الحالتين بِشَطْلَفِ العيش، وَمَثَتْ الكافّة إِيَّاه.

قلت: كان لا أسلم، طِرْفًا في المعرفة بطُرُق العلاج، فسيح التجربة، يشارك في فنون، على حال غَرِيبَةٍ من قِلَّةِ الظُّرف، وَجَفَاءِ الآلات، وَخَشْنِ الظاهر، والإِزْراءِ بنفسه وبالناس، متقدِّم في المعرفة بالخُصوم، يُقصد في ذلك. وله في الحرب والحيل حكايات، قال صاحبنا أبو الحسن بن الحسن: كانت للحكيم لا أسلم خَمَرٌ مُحَبَّاةٌ، في كَرَم كان له بألمرية، عَثَر عليها بعض الدُّعرة، فسرقها له. قال: فعمد إلى جرّة وملأها بخمر أخرى، ودفنها بالجهة، وجعل فيها شيئًا من العقاقير المُسَهِّلَات، وأشاع أن الخمر العتيقة التي كانت له لم تُسرق، وإنما باقية بموضع كذا، فعمد إليها أولئك الدُّعرة، وأخذوا في استعمالها، فعادت عليهم بالاستِطْلَاق الفَبِيح المُهْلِك، فقصدوا الحكيم المذكور، وعرضوا عليه ما أصابهم، فقال لهم: إِيْهِ، أدوا إِلَيَّ ثمن الشَّرِيبَةِ،

(١) هو كتاب «المؤتمن»، على أنباء أبناء الزمن» لأبي البركات ابن الحاج البلفيقي، أحد شيوخ لسان الدين ابن الخطيب.

وحينئذ أشرع لكم في الدواء، ويقع الشفاء بحول الله، فجمعوا له أضعاف ما كان يساويه خمره، وعالجهم حتى شفوا بعد مشقة. وأخباره كثيرة.

**وفاته:** توفي عقب إقلاع الطاغية ملك برجلونة عن المريّة عام تسعة وسبعمائة<sup>(١)</sup>. وخلفه ابن كان له يسمى إبراهيم، ويعرف بالحكيم، وجرى له من الشهرة ما جرى لأبيه، مرت عليه ببخت وقبول، وتوفي بعد عام خمسين وسبعمائة.

### محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري<sup>(٢)</sup>

جَيَّانِي الأصل مَالَقِيه، يكنى أبا عبد الله ويعرف بالشديد على بنية التصغير، وهو كثير التردد والمقام بحضرة غرناطة.

**حاله:** من<sup>(٣)</sup> أهل الطلب والذكاء والظرف والخصوصية، مجموع<sup>(٤)</sup> خلال من خط حسن واضطلاع بحمل كتاب الله. بلبل دوح السبع المثاني، وماشطة عروس أبي الفرج الجوزي، وآية صقعه في<sup>(٥)</sup> الصوت، وطيب النغمة، اقتحم لذلك دسوت الملوك، وتوصل إلى ضجة الأشراف، وجر أذبال الشهرة. قرأ القرآن والعشر بين يدي السلطان، أمير المسلمين بالغذوة، ودنا منه محلّه، لولا إشار مسقط رأسه. وتقرّب بمثل ذلك إلى ملوك وطنه، وصلى التراويح بمسجد قصر الحمراء، غريب المنزع، عذب الفكاهة، ظريف المجالسة، قادر<sup>(٦)</sup> على الحكايات، متسوّز<sup>(٧)</sup> جمى الوقار، ملب<sup>(٨)</sup> داعي الانبساط، على استرجاع واستقامة، مبرور الوفادة، متوّه الإنزال، قلّد شهادة الديوان بمالقة، معوّلاً عليه في ذلك، فكان مغار جبل<sup>(٩)</sup> الأمانة، صليب العود، شامخ<sup>(١٠)</sup>، صادق<sup>(١١)</sup> النزاهة، لوخاً للألقاب، مُحَرِّزاً للعمل.

(١) في غرة ربيع أول من هذا العام نازل صاحب برجلونه (برشلونة) مدينة ألمرية وأخذ بمخفقها، ووقعت على جيش أمير المسلمين نصر بن محمد بن نصر، صاحب غرناطة، وقعة كبيرة، ثم رُفِعَ الحصار. اللوحة البدرية (ص ٧٥).

(٢) ترجمة محمد بن قاسم الأنصاري في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٢).

(٣) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٢ - ٣٠٤) بتصرف.

(٤) في النفخ: «جملة جمال».

(٥) في النفخ: «صقعه، ونسيج وحده، في حسن الصوت...».

(٦) في النفخ: «قادر».

(٧) في الأصل: «مستور». وفي النفخ: «متسوّز».

(٨) في النفخ: «مليّاً». (٩) في الأصل: «جبل» والتصويب من النفخ.

(١٠) في النفخ: «شامخ». (١١) في النفخ: «مارن».



وَوُلِّيَ الْحِسْبَةَ بِمَالِقَةَ، حرسها الله تعالى، فخاطبته في ذلك أداعبه، وأشير إلى قوم من أجداده، وأولي الحمل عليه بما نصه: [السريع]

يا أيها الْمُخْتَسِبُ الْجَزْلُ ومن لديه الْجِدُّ وَالْهَزْلُ  
تُهْنِيكَ<sup>(١)</sup> وَالشُّكْرُ لِمَوْلَى الْوَرَى ولايئة ليس لها عَزْلُ

كتبْتُ أيها المحتسب، المنتمي إلى النزاهة المُتَنَسِّبِ، أَهْنِيكَ ببلوغ تمنيك، وأحذرك من طمع نفس بالغرور تُمْنِيكَ، فكأنني<sup>(٢)</sup> وقد طافت بركابك الباعة<sup>(٣)</sup>، ولزم لأمر<sup>(٤)</sup> السُّنْع والطَّاعَة، وارتفعت في مُصانعتك الطَّماعَة، وأخذت أهل الرِّيب بغتة كما تقوم الساعة، ونهضت تُقْعِد وتقيم، وسكوئك<sup>(٥)</sup> الريح العقيم، وبين يديك القِسْطاس<sup>(٦)</sup> المُسْتَقِيم، ولا بُدَّ من شَرِّكَ يُنْصَب، وجماعة على ذي جاه تُغْصَب<sup>(٧)</sup>، وحالة<sup>(٨)</sup> كُنِيَتْ بها الجَناب الأَخْصَب، فإن عَضَضْتَ ظَرْفَكَ، أُمِنْتَ عن الولاية صَرْفَكَ، وإن ملأتْ ظَرْفَكَ<sup>(٩)</sup>، رَحَلْتَ عنها حَرْفَكَ، وإن كَفَفْتَ فيها كَفْكَ، حَقَّكَ الْعِزُّ فيمن حَقَّكَ. فكن لقالِي المُجَبِّنة قالِيَا<sup>(١٠)</sup>، ولخَوِثِ السَّلَّةِ سَالِيَا. وأبْدِ لدقيق الحَوَارِي زُهْدَ حَوَارِي<sup>(١١)</sup>، وازهد فيما بأيدي الناس من العَوَارِي، وسِرْ في اجتناب الحُلُوءِ<sup>(١٢)</sup>، على السبيل السَّوَاء، وارفُضْ في الشَّوَاء، ودَاعِي الأَهْوَاء، وكُنْ على الهَرَّاسِ<sup>(١٣)</sup>، وصاحب ثريد<sup>(١٤)</sup> الرَّاس، شديد المِرَّاس، ورثب على بائع<sup>(١٥)</sup> طَبِيخ الأعراس، لَيْثًا مرهوبَ الافتراس، وأدَبْ أطفال الفُسُوق<sup>(١٦)</sup>، في السوق، سيما مَنْ

(١) في النفع: «يهنيك». (٢) في النفع: «فكأنني بك وقد...».

(٣) في الأصل: «الساعة» والتصويب من النفع. (٤) في النفع: «أمرك».

(٥) في النفع: «وسطوتك».

(٦) القِسْطاس: الميزان المستقيم. محيط المحيط (قسطس).

(٧) في الأصل: «تتعصب» والتصويب من النفع.

(٨) في النفع: «ودالة يمت بها...».

(٩) ملأت ظرفك: كناية عن قبول الهدية والرشا.

(١٠) قالِيَا: مِبْغُضًا. لسان العرب (قلا).

(١١) الحَوَارِي: لباب الدقيق وخالصة. والحَوَارِي: مَنْ يكون من أنصار الأنبياء. لسان العرب (حور).

(١٢) في الأصل: «الحُلُو» والتصويب من النفع.

(١٣) الهَرَّاس: صانع الهريسة. لسان العرب (هرس).

(١٤) في الأصل: «فريد» والتصويب من النفع. والثريد: كسرة الخبز المتلطخة بماء اللحم. محيط المحيط (ثرد).

(١٥) كلمة «بائع» غير واردة في النفع. (١٦) في الأصل: «السوق» والتصويب من النفع.

كان قبل البلوغ والسبوق<sup>(١)</sup>، وصمّم في<sup>(٢)</sup> استخراج الحقوق، والناس أصناف، فمنهم خسيس يطمع منك في أكلة، ومُستغِد عليك بِوَكْزَةٍ أو رَكَلَةٍ. وحاسدٌ في مطيئة تُركب، وعطيئة تُسكَب، فاحفض للحاسد جناحك، وسدّد إلى حربه رِماحك، وأشيع الخسيس منهم مَرَقَةً دَسِمة<sup>(٣)</sup> فإنه حنق، ودُسّ له فيها عَظْماً لعلّه يَحْتَنِق، واحفُزْ لِشِرِّيرهم حُفْرَةً عميقة، فإنه العدو حقيقّة، حتى إذا حَصَلَ، وعلمت أنّ وقت الانتصار قد وَصَلَ<sup>(٤)</sup>، فأورِقْ وأورِجْ، ولا تَزْجِع، وأولِياه من<sup>(٥)</sup> حِزْب الشيطان فأفْجِع، والحقُّ أقوى، وإن تغفُو أقرب للتقوى. سَدِّدْكَ اللهُ تعالى<sup>(٦)</sup> إلى غرض التوفيق، وأعلَقْكَ<sup>(٧)</sup> من الحقِّ بالسبب الوثيق، وجعل قدومك مقروناً برُخص اللحم والزيت والدقيق، بمثله وفضله<sup>(٨)</sup>.

مُشيخته: قرأ القرآن على والده المُكْتَب النَّصوح، رحمه الله، وحَفِظَ كُتُباً كرسالة أبي محمد بن أبي زيد، وشهاب القضاعي، وفصيح ثعلب، وعَرَضَ الرُّسالة على ولي الله أبي عبد الله الطنجالي، وأجازه. ثم على ولده الخطيب أبي بكر، وقرأ عليه من القرآن، وجَوَّدَ بِحَرْفٍ نافع على شيخنا أبي البركات. وتلا على شيخنا أبي القاسم بن جُزَي. ثم رَحَلَ إلى المغرب، فلقي الشيخ الأستاذ الأوحِد في التلاوة، أبا جعفر الدراج، وأخذ عن الشريف المُقْرئ أبي العباس الحسني بسبّته، وأدرك أبا القاسم الثجبي، وتلا على الأستاذ أبي عبد الله بن عبد المنعم<sup>(٩)</sup> ولازمه، واختصَّ بالأستاذ ابن هاني السبتي، ولقي بفاس جماعة كالفقيه أبي زيد الجَزُولي، وخَلَفَ الله المجاصي، والشيخ أبا العباس المكناسي، والشيخ البقية أبا عبد الله بن عبد الرازق، وقرأ على المُقْرئ الفذّ الشهير في الثرثُم بالحنّ القرآن أبي العباس الزّواوي سَبْعَ خَتَمات، وجمع عليه السَّبْع، والمُقْرئ أبي العباس بن حِزْب الله، واختصَّ بالشيخ الرئيس أبي محمد عبد المُهيمن الحَضْرَمي.

شعره: من شعره ما كَتَبَ به إلى وزير الدولة المَغْرِبِيَّة في غرض الاستِطاف:

[الكامل]

يا من به أبداً عُرِفْتُ ومن أنا لولاه لي دامتْ علاه وداما

(١) في النفع: «والسبوق». (٢) في النفع: «على».

(٣) كلمة «دسمة» غير واردة في النفع. (٤) في النفع: «قد اتّصل».

(٥) في النفع: «من الشياطين فأفجع».

(٦) كلمة «تعالى» غير واردة في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٧) في الأصل: «وأعلقنا» والتصويب من النفع. (٨) قوله: «بمته وفضله» غير وارد في النفع.

(٩) هو الكاتب محمد بن محمد بن عبد المنعم، وترجمته في الكتيبة الكامنة (ص ٢٧٧).

لا تَأْخُذْكَ فِي الشَّدِيدِ لَوْمَةٌ      فَشُخِّنِصُ نَشَاتَهُ بِفَضْلِكَ قَامَا  
رُبِّيْنَتْهُ عَـلِمَتْهُ أَذْبَتْهُ      قَدَّمَتْهُ لِلْفَرْضِ مِنْكَ إِمَامَا  
فَجَزَاكَ رَبُّ الْخَلْقِ خَيْرَ جِزَايَةٍ      عَنِّي وَبِوَأْكَ الْجِنَانِ مُقَامَا

وهو الآن بالحالة الموصوفة، مستوطناً حضرة غرناطة، وتالياً الأعشار القرآنية، بين يدي السلطان، أعزّه الله، مرفّع الجانب، معزّز الجراية بولايته أخباس المدرسة، أطروفة عصره، لولا طَرَشُ نَقْصِ الأُسْ به، نفعه الله.

مولده: ولد بمالقة في عاشر ربيع الأول من عام عشرة وسبعمائة.

### ومن الغرباء في هذا الاسم

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري

السبتي الدار، الغرناطي الاستيطان، يكنى أبا الحسين، ويعرف بالتلمساني.

حاله: طُرِفَ في الخير والسلامة، مُعْرِقٌ فِي بَيْتِ الصُّونِ وَالْفَضِيلَةِ، مُعِمْ<sup>(١)</sup> تَحَوَّلَ فِي الْعَدَالَةِ، قَدِيمُ الطَّلَبِ وَالِاسْتِعْمَالِ، مَعْرُوفُ الْحَقِّ، مَلِيحُ الْبَسْطِ، خُلُو الْفِكَاهَةِ، خَفِيفٌ إِلَى هَيْعَةِ الدُّعَابَةِ، عَلَى سَمْتٍ وَوَقَارٍ، غَزَلٌ، لَوْدَعِي، مَعَ اسْتِرْجَاعِ وَامْتِسَاكِ، مُتَرَفٌ، عَرِيقٌ فِي الْحَضَارَةِ، مُؤَثِّرٌ لِلرَّاحَةِ، قَلِيلُ التَّجَلُّدِ، نَافِرٌ عَنِ الْكَذِّ، مُتَّصِلُ الْاسْتِعْمَالِ، عَرِيضُ السَّعَادَةِ فِي بَابِ الْوَلَايَةِ، مَحْمُولٌ عَلَى كَتَدِ الْمِبْرَةِ، جَارٌ عَلَى سُنَنِ شِيُوخِ الطَّلَبَةِ وَالْمُقَاتِلِينَ مِنَ الْأَرْزَاقِ الْمُقَدَّرَةِ، أُولَى الْخُصُوصِيَّةِ وَالضُّبُطِ مِنَ التَّنَظَّاهِرِ بِالْجَاهِ عَلَى الْكِفَايَةِ. قَدِمَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ ثَمَانِيَةَ عَشْرٍ وَسَبْعِمِائَةٍ، فَمَهَّدَ كَنْفَ الْقَبُولِ وَالِاسْتِعْمَالِ، فَوَلَّى الْحِسْبَةَ بِغَرْنَاطَةِ، ثُمَّ قُلَّدَ تَنْفِيزَ الْأَرْزَاقِ وَهِيَ الْخُطَّةُ الشَّرْعِيَّةُ وَالْوَلَايَةُ الْمُجِيدِيَّةُ، فَاتَّصَلَتْ بِهَا وَلَايَتُهُ. وَنَابَ عَنِّي فِي الْعَرَضِ وَالْجَوَابِ بِمَجْلِسِ السُّلْطَانِ، حَمِيدُ الْمَنَآئِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، يَقُومُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ حِفْظًا وَتَجْوِيدًا، طَيِّبُ النَّعْمَةِ، رَاوِيًا مُحَدِّثًا، إِبْخَارِيًا، مُرْتَاخًا لِلْأَدَبِ، ضَارِبًا فِيهِ بِسْهَمٍ يَقُومُ عَلَى كُتُبِ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، فَذَا فِي ذَلِكَ. قَرَأَهُ بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ لِلْجُمْهُورِ، عِنْدَ لِحَاقِهِ بِغَرْنَاطَةِ، مُعَرِّبًا بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، مَبْهَأً عَلَى مَكَانِهِ، فَرَعَمُوا أَنْ رَجَلًا فَاضَتْ نَفْسُهُ وَجَدًا لَشَجْوِ نَعَمَتِهِ، وَحُسْنِ إِلْقَائِهِ. وَقَرَأَ التَّرَاوِيحَ بِمَسْجِدِ قَصْرِ السُّلْطَانِ إِمَامًا بِهِ، وَاتَّسَمَ بِمَجْلِسِهِ بِالسَّلَامَةِ وَالْخَيْرِ، فَلَمْ تُؤْثِرْ عَنْهُ فِي أَحَدٍ وَقِيعَةً، وَلَا بَدَّرَتْ لَهُ فِي الْحَمْلِ عَلَى أَحَدٍ بَنْتٌ شَفَهُ.

(١) الْمُعِمْ: الَّذِي يَعْطُمُ الْقَوْمَ بِالْعَطِيَّةِ، أَيْ يَشْمَلُهُمْ. لِسَانُ الْعَرَبِ (عَم).

مشيخته: منهم الشَّريف أبو علي الحسن بن الشريف أبي الثَّقَى طاهر بن أبي الشَّرف ربيع بن علي بن أحمد بن علي بن أبي الطاهر بن حسن بن موهوب بن أحمد بن محمد بن طاهر بن أبي الشرف الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن علي بن أبي طالب. ومنهم والده المُترجم به، ومنهم أبوه وجده، ومنهم الأمير الصالح أبو حاتم أحمد بن الأمير أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد العزَفي، والمُقرئ أبو القاسم بن الطيب، وإمام الفريضة أبو عبد الله محمد بن محمد بن حُرَيْث، والأستاذ مُلِحِق الأبناء بالآباء أبو إسحق الغافقي، والكاتب النَّاسك أبو القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري، والأستاذ المُعَمَّر أبو عبد الله بن الخضَّار، والخطيب المُحدَّث أبو عبد الله بن رُشيد، والخطيب الأديب أبو عبد الله العُمَاري، والأستاذ أبو البركات الفضل بن أحمد القنطري، والوزير العابد أبو القاسم محمد بن محمد بن سهل بن مالك، والولي الصالح أبو عبد الله الطَّنْجالي، والخطيب الصالح أبو جعفر بن الزيات، والقاضي الأعدل أبو عبد الله بن بُرطال، والشيخ الوزير المُعمر أبو عبد الله بن ربيع، والصُّوفي الفاضل أبو عبد الله بن قَطْرال، والأستاذ الحسَّابي أبو إسحق البَرْغَوَاطي، هؤلاء لقيهم وقرأ وسمع عليهم. وممن كتب له بالإجازة، وهم خلق كثير، كخال أبيه، الشيخ الأديب أبي الحكم مالك بن المُرحَّل، والخطيب أبي الحسن فضل ابن فضيلة، والأستاذ الخاتمة أبي جعفر بن الزبير، والعَدْل أبي الحسن بن مَسْتَقُور، والوزير المُعمر أبي محمد بن سِمَاك، والخطيب أبي محمد مولى الرئيس أبي عُثْمان بن حَكَم، والشيخ الصالح أبي محمد الحَلَّاسي، والقاضي أبي العباس بن العَمَّاز، والشيخ أبي القاسم الحضرمي اللَّبِيدِي، والعَدْل المُعمر الراوية أبي عبد الله بن هارون، والمُحدث الراوية أبي الحسن القَرَّافي، وأبي إسحق إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن بن هبة الله بن أبي المنصور، والإمام شرف الدين أبي محمد الدُّمِيَّاطِي، وبهاء الدين بن النَّحَّاس، وقاضي القضاة تقي الدين بن دَقِيق العِيد، وضياء الدين أبي مهدي عيسى بن يحيى بن أحمد، وكتب في الإجازة له: [الطويل]

ولذتْ لعمام من ثلاث وعشرة      وستْ مئِينِ هجرة لمحمدِ  
تَطَوَّرْتُ قُدْماً بالحجاز وإنني      بمصر هو المَرْبِي<sup>(١)</sup> وسَبْتُهُ مَوْلَدِي<sup>(٢)</sup>

(١) في الأصل: «المربلي» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «مولد» بدون ياء.

إلى عالم كثير من أهل المشرق، يشق إحصاؤهم، قد ثبت معظمهم في اسم صاحبه أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي، رحمه الله.

محبته: نالته محنة بجزي الأمور الاشتغالية وتبعاتها، قال الله فيها لعثرته لغاً، فاستقل من الثكبة، وعاد إلى الرتبة. ثم عفت عليه بأخرة، فهلك تحت بركها بعد مناهزة التسعين سنة، نفعه الله.

مولده: ولد عام ستة وسبعين وستمائة، وتوفي في شهر محرم من أربعة وستين وسبعمائة.

### محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف ابن قطرال الأنصاري

من أهل مراكش، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن قطرال.

حاله: من «العائد»: كان، رحمه الله، فاضلاً صوفياً، عارفاً، متحدثاً، فقيهاً، زاهداً، تجرد عن ثروة معروفة، واقتصر على الزهد والتخلي، وملازمة العبادة، والغروب عن الدنيا. وله نظم رائع، وخط بارع، ونثر بليغ، وكلام على طريقة القوم، رفيع الدرجة، عالي القدر. شرح قصيدة الإسرائيلي بما يشهد برسوخ قدمه، وتجوّل في لقاء الأكابر على حال جميلة من إثارة الصمت والانقباض والجشمة. ثم رحل إلى المشرق حاجاً صدر سنة ثلاث وسبعمائة.

مشيخته: من شيوخه القاضي العالم أبو عبد الله محمد بن علي، والحافظ أبو بكر بن محمد المرادي، والفقيه أبو فارس الجبوري، والعلامة أبو الحسين بن أبي الربيع، والعدل أبو محمد بن عبيد الله، والحاج أبو عبد الله بن الخضار، وأبو إسحق التلمساني، وأبو عبد الله بن خميس، وأبو القاسم بن السكوت، وأبو عبد الله بن عيَّاش، وأبو الحسن بن فضيلة، وأبو جعفر بن الزبير، وأبو القاسم بن خير. هؤلاء كلهم لقيهم، وأخذ عنهم. وكتب له بالإجازة جملة، كالقاضي أبي علي بن الأخوص، وأبي القاسم العزفي، وأبي جعفر الطنجالي، وصالح بن شريف، وأبي عمرو الداري، وأبي محمد بن الحجام، وأبي بكر بن حبيش، وأبي يعقوب بن عقاب، وعز الدين الجداي، وفخر الدين بن البخاري، وابن طرخان، وابن البواب، وأمين الدين بن عساكر، وقطب الدين بن القسطلاني، وغيرهم.

شعره: وأما شعره فكثير بديع. قال شيخنا القاضي أبو بكر بن شبرين: كتبت إليه: [المنسرح]

يا مُعمل السَّير أيَّ إعمال      سَلَّم على الفاضل ابن قَطْرال  
من أبيات راجعني عنها بأبيات منها: [المنسرح]

زَارَتْ فَأَزَّرَتْ بِمَسْكَ دَارِين      تَفَتَّنُ لِلْحَسَنِ فِي أَفَانِين  
ومثلها في شتى محاسنها      ليست بِبِدْعٍ من ابن شبرين

وفاته: توفي بحرم الله عاكفًا على الخير وصالح الأعمال، مُعرضًا عن زهرة الحياة الدنيا، إلى أن اتصل خبر وفاته، وفيه حكاية، عام تسعة وسبعمائة.

ودخل غرناطة برسم لقاء الخطيب الصالح أبي الحسن بن فضيلة. وغير ذلك.

## الْعَمَالُ فِي هَذَا الْاسْمِ وَأَوَّلًا الْأَصْلِيُّونَ

محمد بن أحمد بن محمد بن الأكلح<sup>(١)</sup>

يكنى أبا يحيى.

حاله: شيخ<sup>(٢)</sup> حسن الشَّيْبَةِ، شامل البياض، بعيدُ مدى الذَّقْنِ، خَدُوعُ الظَّاهِرِ، خَلُوبُ اللَّفْظِ، شديد الهوى إلى الصُّوفِيَّةِ، وَالْكَلْفُ بِإِطْرَاءِ الْخَيْرِيَّةِ<sup>(٣)</sup>، سيما عند فِقْدَانِ شُكْرِ الْوَلَايَةِ، وَجَمَاحُ الْحُظُوتِ، من بيت صَوْنٍ وَحْشَمَةٍ، مُبِينٌ عَنْ نَفْسِهِ فِي الْأَغْرَاضِ، مُتَقَدِّمٌ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ الْعَمَلِيَّةِ، خَائِضٌ مَعَ الْخَائِضِينَ فِي غُمَارِ طَرِيقِ<sup>(٤)</sup> التَّصَوُّفِ، وَانْتِحَالِ كِيمِيَاءِ السَّعَادَةِ، رَاكِبٌ مَثْنٌ دَعَا عَرِيضَةٍ فِي مَقَامِ التَّوْحِيدِ، تُكَذِّبُهَا أَحْوَالُهُ الرَّاهِنَةُ جُمْلَةً، وَلَا تَسْلَمُ لَهُ مِنْهَا نُبْذَةٌ، لِمَعَاصَاةِ خَلْقِهِ عَلَى الرِّيَاضَةِ وَاسْتِيلَاءِ الشَّرِّهِ، وَغَلَبِ<sup>(٥)</sup> سُلْطَانِ الشَّهْوَةِ، فَلَمْ يَجْنِ مِنْ جَفَجَاعِهِ الْمُبْرَمِ فِيهَا إِلَّا اسْتِغْرَاقُ الْوَقْتِ فِي الْقَوَاطِعِ عَنِ الْحَقِّ، وَالْأَسْفُ عَلَى مَا رَزَّئَهُ الْأَيَّامُ مِنْ مَتَاعِ الزُّورِ، وَقِثْيَةِ الْغُرُورِ، وَالْمَسَاحَةِ أَيَّامِ الْوَلَايَةِ، وَالشُّبَابِ<sup>(٦)</sup> الشَّاهِدِ بِالشَّرِّهِ، وَالْحَلْفِ الْمُتَصِلِ بِيَاضِ الْيَوْمِ، فِي ثَمَنِ الْخَزْدَلَةِ بِالْيَمِينِ الَّتِي تَجَرُّ فُسَادَ الْأَنْكِحَةِ، وَالْعَضْبِ الَّذِي يَقْلُبُ

(١) ترجمة ابن الأكلح في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٣).

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٣) بتصرف.

(٣) في النفع: «إِطْرَاءُ أَهْلِ الْخَيْرِ». (٤) كلمة «طريق» غير واردة في النفع.

(٥) في النفع: «وَعَلْبَةٌ». (٦) في النفع: «وَالسَّبَابُ».

العَيْن، والبَذَا الذي يُصاحب الشَّيْن، مغْلُوبٌ عليه في ذلك، ناله بسببه ضيقٌ واعتقالٌ، وتفويتُ جِدَّةٍ، وإطْباقُ رَوْعٍ، وقيْدٌ للعذاب، فألْقَيْتُ عليه رِدَائِي، ونَفَسَ اللهُ عنه بِسَبَبِي، محوًا للسيئة بالحسنة، وتوسلًا إلى الله بترك الحظوظ، والمِنَّةُ لله جلَّ جلاله على ذلك.

شعره: خاطبني بين يدي نكبتة أو خلفها بما نصه، ولم أكن أظن الشعر مما تلوكة جحفلته<sup>(١)</sup>، ولكن الرجل من أهل الكفاية<sup>(٢)</sup>: [الطويل]

رَجَوْتُكَ<sup>(٣)</sup> بعد الله يا خيرَ مُنْجِدٍ وَأَكْرَمَ مَأْمُولٍ وَأَعْظَمَ مَرْفَدٍ<sup>(٤)</sup>  
وأفضلَ مَنْ أَمَلْتُ لِلْحَادِثِ الَّذِي فَقَدْتُ بِهِ صَبْرِي وَمَا مَلَكَتْ يَدِي<sup>(٥)</sup>  
وحاشا وكلًا أَنْ يَخِيبَ مُؤْمَلِي<sup>(٦)</sup> وَقَدْ عَلِقْتُ بِابْنِ الْخَطِيبِ مُحَمَّدٍ  
وما أَنَا إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمَهُ<sup>(٧)</sup> الَّتِي عَهَدْتُ بِهَا يُمْنِي وَإِنْجَاحَ مَقْصِدِي<sup>(٨)</sup>  
وَأَشْرَفُ مَنْ حَضَرَ الْمُلُوكَ عَلَى الثَّقَى وَأَبْدَى لَهُمْ نُصْحًا وَصِيَّةً<sup>(٩)</sup> مُرْشِدٍ  
وَسَاسَ الرِّعَايَا الْآنَ خَيْرَ سِيَاسَةٍ مَبَارَكَةٍ فِي كُلِّ غَيْبٍ وَمَشْهَدٍ<sup>(١٠)</sup>  
وَأَعْرَضَ عَنْ دُنْيَاهُ زُهْدًا وَإِنْهَا لَمْظَهْرَةٌ طَوْعًا لَهُ عَنْ تَوَدُّدٍ  
وما هو إِلَّا اللَّيْثُ وَالْغَيْثُ إِنْ أَتَى لَهُ خَائِفٌ أَوْ جَاءَ مَغْنَاهُ مُجْتَدِي<sup>(١١)</sup>  
وَبَخَّرَ عُلُومَ دُرِّهِ كَلِمَاتِهِ إِذَا رُدَّدَتْ فِي الْحِفْلِ أَيَّ تَرْدُدٍ  
صُقَيْلُ مَرَاثِي<sup>(١٢)</sup> الْفِكْرِ رَبُّ لَطَائِفِ مُحَاسِنُهَا تُجَلِّي بِحَسَنِ تَعَبُدٍ  
بَدِيعُ عَرُوجِ النَّفْسِ لِلْمَلِكِ الَّذِي تَجَلَّتْ بِهِ الْأَسْرَارُ فِي كُلِّ مَضْعَدٍ  
شَفِيقٌ رَقِيقٌ دَائِمُ الْحِلْمِ رَاحِمٌ وَأَيُّ جَمِيلٍ لِلْجَمِيلِ مَعُودٍ  
صَفُوحٌ عَنِ الْجَانِي عَلَى حِينِ قُدْرَةٍ يَوَاصِلُ<sup>(١٣)</sup> تَقْوَى اللَّهِ فِي الْيَوْمِ وَالْغَدِ

(١) الجحفلة للدابة بمنزلة الشفة للإنسان. لسان العرب (جحفل).

(٢) القصيدة في نفع الطبيب (ج ٨ ص ٢٣٣ - ٢٣٥).

(٣) في الأصل: «راجوتك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) المَرْفَدُ: المُنْعِي. لسان العرب (رفد). (٥) في الأصل: «يد» والتصويب من النفع.

(٦) في الأصل: «مأملي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٧) في النفع: «نعمته». (٨) في الأصل: «مَقْصِدٍ» والتصويب من النفع.

(٩) في النفع: «نصيحة». (١٠) المشهد: الحضور. لسان العرب (شهد).

(١١) في الأصل: «مُجْتَدِي» والتصويب من النفع. والمُجْتَدِي: طالب النوال والعطاء. لسان العرب (جدا).

(١٢) في الأصل: «مرأي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(١٣) في النفع: «مواصل».

أيا سيدي يا عُمدتي عند شدّتي  
 حَنَانِيكَ وَالطَّفَّ بي وَكُنْ لي راحِمًا  
 رَجَاكَ رَجَاءً<sup>(٢)</sup> لِّلَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ  
 وَأَمَّكَ مُضْطَرًّا لِرَحْمَاكَ شَاكِيًا  
 وَعِنْدِي افْتِقَارٌ لَا يَزَالُ<sup>(٥)</sup> مواصِلًا  
 تَرَفَّقْ بِأَوْلَادِ صِغَارِ بَكَاءِهِمْ  
 وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا إِلَيْكَ تَطَلُّعُ  
 أَنْبُلُهُمْ أَيَا مَوْلَايَ نَظْرَةً مُشْفِقِي  
 وَقَابِلْ أَخَا الْكُزَّةِ<sup>(٦)</sup> الشَّدِيدِ بِرَحْمَةٍ  
 وَلَا تَنْظُرْ إِلَّا لِفَضْلِكَ، لَا إِلَى  
 وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَذْنَبْتُ إِنْني تَائِبٌ  
 بَقِيَتْ بِخَيْرٍ لَا يَزَالُ<sup>(٩)</sup> وَعِزَّةٌ  
 وَسَخَّرَكَ الرَّحْمَنُ لِلْعَبْدِ، إِنَّهُ  
 وَيَا مَشْرِبِي<sup>(١)</sup> مَتَى ظَمِئْتُ وَمَوْرِدِي  
 وَرَفَقًا عَلَى شَيْخٍ ضَعِيفٍ مُنْكَدٍ  
 وَوَافَاكَ يُهْدِي لِلثَّنَاءِ<sup>(٣)</sup> الْمُجَدِّدِ  
 بِحَالِ كَحَرِّ الْجَمْرِ<sup>(٤)</sup> حِينَ تَوَقَّدُ  
 لِأَكْرَمِ مَوْلَى حَازَ أَجْرًا وَسَيِّدِ  
 يَزِيدُ لَوَقَعَ الْحَادِثُ الْمُتَزَيِّدِ  
 إِذَا مَسَّهْمُ ضُرَّ أَلِيمُ التَّعَهُدِ  
 وَجُدْ بِالرِّضَا وَانْظُرْ لَشَمْلِ مُبَدَّدِ  
 وَأَسْعِفْ بِغُفْرَانِ الذُّنُوبِ وَأُبْعِدْ<sup>(٧)</sup>  
 جَرِيمَةَ شَيْخٍ عَنْ مَحَلِّكَ مُبْعَدِ  
 فَعَاوِذُ<sup>(٨)</sup> لِي الْفِعْلِ الْجَمِيلِ وَجَدِّدِ  
 وَعِيشْ هَنِيءٍ كَيْفَ شِئْتَ وَأَسْعِدِ  
 لَمْثِنِ<sup>(١٠)</sup> وَدَاعٍ لِلْمَحَلِّ الْمُجَدِّدِ

وقد وُلِّيَ خُطَطًا نَبِيهَةً، مِنْهَا خُطَّةُ الْإِشْتَغَالِ عَلَى عَهْدِ الْغَادِرِ الْمُكَائِدِ لِلدَّوْلَةِ، إِذْ كَانَ مِنْ أَوْلِيَاءِ شَيْطَانِهِ وَمَمْدِيهِ فِي غِيَّهِ، وَسَمَاسِيرِ شَعْوَذَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ مِنْ مُسَيِّطِرِي<sup>(١١)</sup> دِيْوَانِ الْأَعْمَالِ، عَلَى تَهَوُّرٍ وَاقْتِحَامِ كِبَرَةٍ، وَخَطٌّ لَا غَايَةَ وَرَاءَهُ فِي الرُّكَاكَةِ، كَمَا قَالَ الْمَعْرِي<sup>(١٢)</sup>: [الوافر]

تَمَشَّتْ<sup>(١٣)</sup> فَوْقَهُ حُمْرُ الْمَنَايَا وَلَكِنْ بَعْدَ مَا مُسِخَتْ نَمَلًا

(١) فِي الْأَصْل: «شَرِبِي» وَهَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(٢) فِي الْأَصْل: «رَجَا الَّذِي» وَهَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(٣) فِي الْأَصْل: «الثَّنَاءُ» وَهَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(٤) فِي النَّفْحِ: «كَجَرِّ الشَّمْسِ حَالِ تَوَقَّدَ».

(٥) فِي الْأَصْل: «افْتِقَارٌ لِأَنْوَالٍ» وَهَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(٦) فِي النَّفْحِ: «الْكُرْبُ».

(٨) فِي النَّفْحِ: «فَعَوَّذَ».

(٩) فِي الْأَصْل: «لِأَنْوَالٍ»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(١٠) فِي الْأَصْل: «لَمْثِنٌ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ. (١١) فِي النَّفْحِ: «ج ٨ ص ٢٣٥»: «مَسْطَرِي».

(١٢) شُرُوحُ سَقَطِ الزَّنْدِ (ص ١٠٤).

(١٣) فِي شُرُوحِ السَّقَطِ: «وَدَبَّتْ». وَهَذَا الْبَيْتُ فِي وَصْفِ السَّيْفِ وَيَقُولُ فِيهِ: إِنَّ إِفْرَنْدَهُ كَأَنَّمَا دَبَّتْ فَوْقَهُ النَّمْلُ.



استحضرت يومًا بين يدي السلطان، وهو غُفْل لَفَكٍّ ما أُشْكل من معمياته في الأعمال عند المطالعة، فوصل بحال سيئة، ولما أُغْتِبَ بسببه ونعيتُ عليه هُجنته، أحسن الصُّدر عن ذلك الوزد، وتَذَرَّ في نفسه وقال: حيَّا الله رداءة الخطِّ إذا كانت ذريعةً إلى دخول هذا المجلس الكريم، فاستُحسن ذلك، لطف الله بنا أجمعين.

وفاته: توفي عام سبعة وستين وسبع مائة.

### محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد الغافقي

يكنى أبا الوليد.

أوليته: أصله من طليطلة، انتقل منها جدُّ أبيه، وسكنوا غرناطة، وعدُّوا في أهلها.

حاله: كان أبو الوليد طالبًا نبيلًا، نبيها، سريًا، ذكيًا، ذا خطِّ بارع، ومعرفة بالأدب والحساب، ونَزَعَ إلى العمل فكان محمود السيرة، مشكور الفعل. ووُلِّيَ الإشراف في غير ما موضع. قلْتُ: وآثاره في الأملاك المنسوبة إليه، التي من جُملة المُستَخْلَص السلطاني بغرناطة وغيرها، مما يدل على قَدَم وتِعَمَّة أصيلة.

وفاته: توفي بمدينة إشبيلية سنة ثمان وثمانين وخمس مائة، وسُئِه دون الخمسين.

### محمد بن محمد بن حسان الغافقي<sup>(١)</sup>

إشبيلي الأصل، غرناطي المنشأ، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن حسان.

حاله: من «العائد»: كان من أهل السُّزو والظُّرف والمروءة، وحسن الخلق، تولَّى الإشراف بغرناطة، وخُطِّت الأشغال، فحسن الثناء عليه. وله أدب ومشاركة. حدَّثني بعض أشياخنا، قال: كنت على مائدة الوزير ابن الحكيم، وقد تحدَّث بصَرَف ابن حسان عن عمل كان بيده، وإذا رُقعة قد انتهت إليه أحفظ منها: [مخلع البسيط]

لكم أياد لكم أياد كَرَزْتُهَا إنها كثيرة

(١) ترجم ابن الخطيب في الكتيبة الكامنة (ص ٢٤٥) لرجل يحمل الاسم نفسه تحت عنوان: «الشيخ الكاتب أبو عبد الله محمد بن محمد بن حسان الغافقي، رحمه الله تعالى»؛ والذي ترجم له في الكتيبة الكامنة كان قد بعث إليه شعرًا في بعض المناسبات، يعني أنه كان صديقه، بينما المترجم له هنا في الإحاطة توفي سنة ٧١٣ هـ، وابن الخطيب توفي سنة ٧٧٦ هـ. فاعلم.

فإن عزمتم على انتقالي رية أبغي أو الجزيرة  
وإن أبيتم إلى<sup>(١)</sup> مقامي فنعمة منكم كبيرة

وقال لي بعضهم: جرى بين ابن حسان هذا، وبين أحد بني علاق، وهم أعيان، كلام وملاحة، فقال ابن حسان: إنما كان جدكم مولى بني أضحي، وجد بني مشرف، فاستعدى عليه، ورفعته إلى الوزير ابن الحكيم فيما أظن، فلما استفهمه عن قوله، قال: أعزك الله، كنت بالكُتبيين، وعرض عليّ كتاب قديم في ظهره أبيات حفظتها وهي: [البسيط]

أضحى الزمان بأضحى وهو مبتسم لنوره في سماء المجد إشراق  
فلم يزل ينتمي للمجد كل فتى تطيب منه مواليد وأعراق  
فإن ترد شرفاً يَمُم مشرفه وإن ترد علوق مجد فهو علاق

فعلم الوزير أن ذلك من نظمه، ونتيجة بديهته، فعجب من كفايته، وترضى خصمه، وصرفهما بخير. وتوفي في شهر رجب ثلاثة عشر وسبعمائة.

محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم  
ابن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أحمد  
ابن أسد بن قاسم التميمي، المدعو بابن الحاج

يكنى أبا عمرو، وقد مر ذكر أخيه.

حاله: تولى خطة الإشراف بلوشة وأندرش ومالقة. وولى النظر في مختص المرية، والأعشار الرومية بغرناطة. وكان له خط حسن، وجودة كاملة، وحسن خلق، ووظاة أكتاف تشهد له بجلالة قدره، ورفيع خطره. وضاهر في أعيان كالوزير أبي عبد الله بن أبي الحسن، فاضل، سري، متخلق، حسن الضريبة، متميز بخصال متعددة، من خط بديع، ونظم، ومشاركة في فنون، من طب وتعديل، وارتياض سماع، وذكر التاريخ. حجّ وجال في البلاد، ولقي جلّة. وتولى بالمغرب خططاً نبهة عليه. ثم كُرّ إلى الأندلس عام ستين وسبعمائة، فأجرى من الاستعمال على رسمه. ثم اقتضت له العناية السلطانية بإشارتي، أن يوجه في غرض الرسالة إلى تونس وصاحب مصر، لما تقدّم من مرانه على تلك البلاد، وجولاته في أقطارها، وتعرفه بملوكها والجلّة من أهلها، فأب بعد أعوام، مشكور التصرفات، جارياً على سنن

(١) في الأصل: «إلا» وكذا ينكسر الوزن.

الفضلاء، مضطلعًا بالأحوال التي أسندت إليه من ذلك. فلم يزل مُغْتَنًى به، مُرَشَّحًا إلى الخطط التي تطمح إليها نفس مثله، مُسْنِدًا النَّظْرَ في زمام العسكر الغربي إلى ولده الذي يخلفه عند رحلته نائبًا عنه، مُعَزِّزًا ذلك بالمرتبات والإحسان، تولاه الله وأعانه.

شعره: مدح السلطان، وأنشد له في المواليذ النبوية. ورفَّع إلى السلطان بحضرتي هذه الأبيات: [البسيط]

مولاي، يا خير أعلام السلاطين	ومن له الفضل في الدنيا وفي الدين
ومن له سَيْرٌ ناهيك من سَيْرِ	واقث بأكرم تحسين وتحسين
شرفتَ عندك تشريفًا له رُتَبٌ	فوق النجوم التي للأفق <sup>(١)</sup> تُغليني
وكان لي موعدٌ مولاي أنجزه	وزاد في العزُّ بعد الرتبة الدُّون
والله ما الشكر مني قاضيًا وطَّري	ولو أتيتُ به حينًا على حين
ولا الثناء مُوفَّ حقُّ أنعمه	ولو ملأتُ به كل الدَّواوين
لكن دُعائي وحبِّي قد رضيتهما	كفاء <sup>(٢)</sup> أفعاليه الغر الميامين
وعند عَبدِكَ إخلاصٌ يواصله	في خدمةٍ لم يزل للخير تُدنيني
وسوف أنصح كل النصيح مُغتنمًا	رضى إمام له فضل يُرجِّنيني
جوزيتَ عني أمير المسلمين بما	ترضاه للملك من نصرٍ وتمكين
وأنت أكرم من ساس الأنام ومن	عمَّ البلاد بتسكين وتَهدين
ومن كمِثْل أبي عبد الإله إذا	أضحى الفَخار لنا رخب الميادين
محمد بن أبي الحجاج خيرةً من	أَهْدِي له <sup>(٣)</sup> مِدْحًا بالسَّعد يخطيني
وَجْهٌ جميل وأفعال تناسبه	ودولةٌ دولةُ المأمون تُنسيني
لا زال في السَّعد والإسعاد ما سَجَعَتْ	وزق الحمام على قُضْبِ البساتين

### محمد بن عبد الرحمن الكاتب

يكنى أبا عبد الله، من أهل غرناطة، أصله من وادي آش.

حاله: كان طالبًا نبيلًا كاتبًا جليلاً، جيّد الكتابة. كَتَبَ عن بعض أبناء الخليفة أبي يعقوب، واختصَّ بالسيد أبي زيد بغرناطة، وبشرق الأندلس، وكان أثيرًا عنده

(١) في الأصل: «التي فوق الأفق...» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «كفاء» وكذا ينكسر الوزن. (٣) في الأصل: «إليه» وكذا ينكسر الوزن.

مكرّماً. وكان، رحمه الله، شاعراً، مطبوعاً، ذا معرفة جيدة بالعدّد والمساحة، ثم نَزَعَ عن الكتابة، واشتغل بالعمل، فراش فيه، ووُلِّي إشراف بُنَيَات غرناطة. ثم وُلِّي إشراف غرناطة، فكفّ يده، وظهرت نصيحته. ثم نُقِل إلى حضرة مزأكش، فولِّي إشرافها مدة، ثم صُرف عنها إلى غرناطة، وقُدِّم على النظر في المُسْتَخْلَص إلى أن توفي.

مناقبه: أشْهَد لما قربت وفاته، أنه كان قد أخرج في صحّته وجوازه، أربعة آلاف دُنيّر من صميم ماله لتتميم القنطرة التي بنيت على وادي شنجيل<sup>(١)</sup> بخارج غرناطة. وكان قبل ذلك قد بنى مسجد دار القضاء من ماله، وتأتق في بَنائه، وأصلح مساجد عدة، وفعل خيراً، نفعه الله.

شعره: ومن شعره ما كتب به إلى الشيخ أبي يحيى بن أبي عمران، وزير الخلافة، وهو بحال شكاية أصابته: [الطويل]

شَكَوْتُ فَأُضْنِي الْمَجْدَ بَزْحُ شَكَاتِهِ	وفارق وَجْهَ الشمسِ حُسْنُ آيَاتِهِ <sup>(٢)</sup>
وعادتْ بِبُعْدَيْكَ <sup>(٣)</sup> الزَّمانَ زمانَةً	تَعَدَّتْ إِلَى عَوَادِهِ <sup>(٤)</sup> وَأُسَاتِيهِ
وَعَيْضُ مَا لِلْبَشَرِ لَمَّا تَبَسَّطَتْ	يَدُ السُّقْمِ <sup>(٥)</sup> فِي سَاحَاتٍ كَافِي كَفَاتِهِ
فَكَيْفَ بِمَقْصُوصٍ وَصَلَتْ جَنَاحَهُ	وَأَذْهَمَ قَدْ سَرَبَلَتْهُ بِشَاتِهِ؟
وَمُمْتَحِنٍ لَوْلَاكَ أَدْعَنُ خَبْرَةً	وهان على الأيامِ عَمَزُ قَنَاتِهِ
أَمَغْلَقُ أُمَالِي وَمُطْمَخُ هَمِّتِي	وَوَاهِبُ نَفْسِي فِي عِدَادِ مَبَاتِهِ
سَأَسْتَقْبِلُ الثُّغْمَى بِبَرْكَ غَضَّةٍ	وَيَضْعُرُ ذَنْبُ الدَّهْرِ فِي حَسَنَاتِهِ
وَتَسْطَوُ عَيْنُ الْحَقِّ مِنْكَ بِمُزْهَفٍ	تُرَاعِ الْخُطُوبَ الْجُورَ مِنْ فَتَكَاتِهِ
وَتَطْلُعُ فِي أَفْقِ الْخِلَافَةِ نَيِّرًا	تُطَالِعُنَا الْأَقْمَارَ مِنْ قَسَمَاتِهِ
حَرَامٌ عَلَى الشُّكُوى اعْتِيَادَ مَطْهَرٍ	حياة الدُّنَا والدين طَيِّ حَيَاتِهِ
فَمَا عَرَضْتُ فِي قَصْدِهِ بِمَسَاءَةٍ	ولكن تَرَجَّتْ أَنْ تُرَى فِي عَفَاتِهِ

(١) سمي أيضاً نهر شنيل، وشنجل، وسنجل، واسمه بالإسبانية اليوم Genil، وهو نهر غرناطة الكبير، وينبع من جبل شلير، ثم يخترق مرج غرناطة ويصل إلى إشبيلية فيصب في نهرها الشهير بالوادي الكبير. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٤٧ - ٤٨).

(٢) في الأصل: «آياته» وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «بعديك» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «عواد»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) في الأصل: «يد للسقم» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

مشيخته: قال الغافقي: قرأ بمالقة على الأستاذ أبي زيد السهيلي، رحمه الله.  
وفاته: وتوفي بغرناطة سنة سبع وستمائة، ودفن بداره بجهة قنطرة القاضي منها على ضفة الوادي.

محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد  
ابن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد  
ابن عمار بن ياسر<sup>(١)</sup>

أوليته: قد وقع التنبيه عليها ويقع بحول الله.  
حاله: كان<sup>(٢)</sup> وزيراً جليلاً بعيد الصيت، عالي الذكر، رفيع الهمة، كثير الأمل<sup>(٣)</sup>.

نباهته: ذكره<sup>(٤)</sup> ابن صاحب الصلاة في تاريخه في الموحدين، فنبه على مكانة محمد بن عبد الملك منهم في الرأي والحظوة، والأخذ عنه في أمور الأندلس<sup>(٥)</sup>، وأثنى عليه. وذكره أبو زيد السهيلي في «شرح السيرة الكريمة»<sup>(٦)</sup>، حتى انتهى إلى حديث كتاب رسول الله ﷺ، الموجه إلى هزقل، وأن محمد بن عبد الملك عينه عند أذفونش، مكرّماً، مُفْتَحَرّاً به. والقضية<sup>(٧)</sup> مشهورة. وأما محلّه من أمداح الشعراء، فهو الذي مدحه الأديب أبو عبد الله الرصافي بقوله<sup>(٨)</sup>: [الكامل]

أيّداً<sup>(٩)</sup> تفيضُ وخاطراً متوقّداً؟ دَغها تَبِتَ قَبَساً على عَلمِ الندى

وفيه يقول أبو عبد الله بن شرف من قصيدة: [البسيط]

يا رحمة الله للزاجي ونقمته لكل باغ طغى عن خيرة الرُّسل

(١) ترجمة محمد بن عبد الملك في المغرب (ج ٢ ص ١٦٢) وفيه يكتنى: أبا عبد الله، ونفح الطيب (ج ٣ ص ٩٦). وذكره ابن صاحب الصلاة في تاريخ المن بالإمامة (ص ٢٥١ - ٢٥٢)، مع أخيه عبد الرحمن، وقال: كان لهما مشاركة في بناء المسجد الجامع بإشبيلية وصومعته الشهيرة.

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٣ ص ٩٦). (٣) في النفح: «كثير الأموال».

(٤) قارن أيضاً بنفح الطيب (ج ٣ ص ٩٦). (٥) في النفح: «أمور الناس».

(٦) في النفح: «الشريفة». و«شرح السيرة الكريمة» هو كتاب «الروض الأنف».

(٧) في النفح: «والقصة».

(٨) البيت مطلع قصيدة من ٣٢ بيتاً، وهو في ديوان الرصافي البلنسي (ص ٦٢).

(٩) في الأصل: «أبدًا». وفي النفح: «ذهنًا يفيض وخاطرًا متوقّدًا ماذا عسى يُثنى على علم الندى».

لم تُبْقِ مِنْهُمْ كَفُورًا دُونَ مَرْقَبَةٍ      مَطَالَعًا مِنْكَ حَتْفًا غَيْرَ مُنْفَصِلٍ  
كَمَا بُزَأْتُكَ لَمْ تَتْرَكَ بِأَرْضِهِمْ      وَخَشَا يَفِرُّ وَلَا طَيْرًا بَلَا وَجَلٍ  
وَكَانَ كَثِيرَ الصَّيْدِ، وَمُتَرَدِّدَ الْغَارَاتِ.

مناقبه في الدين: قالوا: لما أنشده أبو عبد الله الرُّصافي في القصيدة التي مطلعها<sup>(١)</sup>: [الكامل]

لِمَحَلِّكَ التَّرْفِيعُ والتَّعْظِيمُ      وَلِوَجْهِكَ التَّقْدِيسُ والتَّكْرِيمُ  
حَلَفَ أَلَا يَسْمَعُهَا، وَقَالَ: عَلَيَّ جَائِزَتُكَ، لَكِنَّ طَبَاعِي لَا تَحْتَمِلُ مِثْلَ هَذَا،  
فَقَالَ الرُّصافي: وَمَنْ مِثْلُكَ؟ وَمَنْ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ فِي الْوَقْتِ غَيْرُكَ؟ فَقَالَ لَهُ: دَعْنِي مِنْ  
خِدَاعِكَ أَنَا وَمَا أَعْلَمُهُ عَنْ نَفْسِي.

شعره: أنشده صاحب «الطالع»<sup>(٢)</sup>، وَلَا يَذْكُرُ لَهُ غَيْرُهُ<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

فَلَا تُظْهِرُنَّ مَا كَانَ فِي الصَّدْرِ كَامِنًا      وَلَا تَرْكَبُنَّ بِالْغَيْظِ فِي مَرْكَبٍ وَغَرٍ  
وَلَا تَبْحَثُنَّ فِي عُذْرِ مَنْ جَاءَ تَائِبًا      فَلَيْسَ كَرِيمًا مَنْ يَبَاحِثُ فِي عُذْرِ<sup>(٤)</sup>

وَوُلِّيَ مِنَ الْأَعْمَالِ لِلْمُوحِدِينَ كَثِيرًا، كُمُخْتَصَّ حَضْرَةَ مَرَكَشَ، وَدَارَ السِّلَاحِ،  
وَسَلَا، وَإِشْبِيلِيَّةَ، وَغَرْنَاطَةَ، وَاتَّصَلَتْ وَلايَتُهُ عَلَى أَعْمَالِ غَرْنَاطَةَ، وَكَانَ مِنْ شِيُوخِهَا  
وَأَعْيَانِهَا.

محبته: وعُجِّلَ فِيهِ عَقْدُ بَأْنِ بَدَارِهِ مِنْ أَصْنَافِ الْجَلَى، مَا لَا يَكُونُ إِلَّا عِنْدَ  
الْمُلُوكِ، وَأَنَّهُ إِذَا رَكِبَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، مِنْ دَارِ الرُّخَامِ الَّتِي يَجْرِي الْمَاءُ فِيهَا، فِي  
اِثْنَيْ عَشَرَ مَكَانًا، شَوْشُ النَّاسِ فِي الصَّلَاةِ، دَوِيُّ الْجَلَّاجِلِ بِالْبُزَاةِ، وَمَنَادَاةُ الصَّيَادِينَ،  
وَنَبَاحُ الْكِلَابِ، فَأَمَرَ الْمَنْصُورُ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ، وَعَلَى ابْنِ عَمِّهِ، صَاحِبِ أَعْمَالِ إِفْرِيقِيَّةَ،  
أَبِي الْحُسَيْنِ، فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. ثُمَّ رَضِيَ عَنْهُمَا، وَأَمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ  
عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يَكْتُبَ بِخَطِّهِ كُلِّ مَا أَخَذَ لَهُ، فَصَرَفَهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَنْقُصْهُ مِنْ شَيْءٍ، وَغَرِمَ  
مَا فَاتَ لَهُ.

(١) البيت مطلع قصيدة من ٣٢ بيتًا في مدح أبي جعفر الوقشي، وزير ابن همشك، وهو في ديوان  
الرُّصافي البلنسي (ص ١٣١) والمغرب (ج ٢ ص ٣٤٣) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٩٧).

(٢) هو كتاب «الطالع السعيد»، في تاريخ بني سعيد، لأبي الحسن علي بن سعيد الأندلسي،  
صاحب كتاب المغرب في حلى المغرب.

(٣) البيتان في المغرب (ج ٢ ص ١٦٢) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٩٧).

(٤) في المصدرين: «في العذر».

ولد سنة أربع عشرة<sup>(١)</sup> وخمسمائة، وتوفي بغرناطة سنة تسع وثمانين وخمسمائة.

محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله  
ابن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن عمار  
ابن ياسر العنسي<sup>(٢)</sup>

يكنى أبا بكر، وقد تقدّم التعريف بأوليته.

حاله: قال في «الطالع»: ساد في دولة الملتئمين<sup>(٣)</sup>، وولّوه بغرناطة الأعمال، وكانت له دار الرُخام المشهورة بإزاء الجامع الأعظم بغرناطة. قال الغافقي فيه: شيخ جليل، فقيه نبيه من أهل قلعة يَحْصِب<sup>(٤)</sup>. كان في عداد الفقهاء، ثم نزع إلى العمل، ووُلّي إشراف غرناطة في إمارة أبي سعيد الميمون بن بدر اللمتوني. وقال صاحب «المُشهب»<sup>(٥)</sup>: وَحَسِبُ القلعة كَوْن هذا الفاضل الكامل<sup>(٦)</sup> منها، وقد رَقَم بُرْدَ مَجْدِه بالأدب، ونال منه بالاجتهاد والسجّية القابلة أعلى سبب، وله من المكارم ما يُغَيِّر في وجه كعب وحاتم، لذلك ما قصده الأدباء، وتهافتت في مدحه الشعراء، وفيه أقول: [الطويل]

وكان أبو بكر من الكُفْر عصمة      وردّ به الله الغُواة إلى الحقِّ  
وقام بأمر الله حافظُ أهله      بلينٍ وسَبَط في المبرة والخُلُقِ  
وهذا أبو بكر سليل ابن ياسر      بغرناطة ناغاه في الرأي والصّدقِ  
فهذا لنا بالعُزْب يَجني معالما      تُباهي الذي أخيا الديانة بالشُّرقِ

وقد جرى من ذكره عند ذكر أبي بكر بن قُزّمان، ويجري عند ذكر نَزْهون بنت القِلاعي ما فيه كفاية، إذ كان مَفْتُونًا بها، وبِحَمْدَةٍ وَزِينٍ، بِئْتِي زياد المؤدّب من أهل وادي آش، وفيهما يقول: [المجث]

ما بين زينب عُمري      أحتُ كَأسي وَحَمْدَة

(١) في الأصل: «عشر» وهو خطأ نحوي.

(٢) ترجمة أبي بكر محمد بن سعيد في المغرب (ج ٢ ص ١٦٣) ورايات المبرزين (ص ١٦٠) ونفع الطب (ج ٤ ص ٥٢) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٦٠).

(٣) الملتئمون هم المرابطون، وقد حكموا الأندلس من سنة ٤٨٣ إلى سنة ٥٤٢ هـ.

(٤) قلعة يَحْصِب: بالإسبانية Alcalá la Real، أي القلعة الملكية، وتنسب إلى قبيلة يحصب، وتعرف أيضًا بقلعة أيوب، وقلعة بني سعيد، وتبعد عن غرناطة ثلاثين ميلًا. مملكة غرناطة (ص ٦٢).

(٥) النص في المغرب (ج ٢ ص ١٦٣). (٦) كلمة «الكامل» غير واردة في المغرب.

وكل نظم ونثر وحكمة مُستَجَدَّة  
وليس إلا عَفَافٌ يُبَلِّغُ المرءَ قَضَدَه

ولذلك ما سعى به المخزومي الأعمى، وقد سَهَا عن رَسْم تفقُّده، فكتب إلى علي بن يوسف<sup>(١)</sup> في شأنه بما كان سبب عَزْله ونكتبته: [الطويل]

إليك، أَمِيرَ المؤمنين، نصيحةٌ يجوزُ بها البحرُ المُجَعَّجَ شاعرُ  
بغرناطةٍ ولَّيت في الناس عاملاً ولكن بما تَخويه منه المآزرُ  
وأنت أما<sup>(٢)</sup> تَخْفى عليك خَفِيَّةٌ؟ فَسَلْ أَهْلَهَا فالأمر للناس ظاهراً  
وما لإلاه العرش تَفْنِيه حَمْدُهُ وزينبُ والكأس الذي هو دائرُ  
شعره: من ذلك قوله<sup>(٣)</sup>: [المجتث]

يا هذه، لا ترومي خِداً مَنْ ضاقَ دَزْعُهُ  
تُبْكِي وقد قَتَلْتَنِي كَالسَّيْفِ يَفْطُرُ دَمْعُهُ  
وقال عفى الله عنه<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

لقد صَدَعَتْ قلبي حمامةٌ أَيْكَةً<sup>(٤)</sup> أَثارت غراماً ما أَجَلٌّ وأُكْرَمَا  
ورَقَّ نَسِيمُ الرِّيحِ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ وَلُطْفَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَا  
وقال في مذهب الفخر<sup>(٣)</sup>: [الخفيف]

فَخَرْنَا بالحديث بَعْدَ القديم من معالٍ تَوَارَثَتْ<sup>(٥)</sup> كالنجوم  
نحن في الحرب أَجْبُلُ راسياتٍ ولنا في النَّدْيِ لُطْفُ النُّسِيمِ

ولادته: ولد في سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، وتوفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة.

## ومن الطارئین في هذا الاسم من العمال

محمد بن أحمد بن المتأهل العبدي<sup>(٦)</sup>

من أهل وادي آش، يكنى أبا عبد الله.

(١) هو علي بن يوسف بن تاشفين المرابطين، وقد حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٠٠ هـ إلى سنة ٥٣٧ هـ.

(٢) في الأصل: «ما» وكذا ينكسر الوزن. (٣) البيتان في المغرب (ج ٢ ص ١٦٣).

(٤) في المغرب: «بانة». (٥) في المغرب: «تواترت».

(٦) ترجمة العبدي في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٩) وجاء فيه «العذري» بدل «العبدي».



حاله: كان رجلاً شديد الأذمة، أغين، كئ اللحية، طرْقاً في الأمانة، شديد الاستِرابَة بجليسه، مُخِينًا لرفيقه، سيء الظنّ بصديقه، قليل المداخلة، كثير الانقباض، مُختصر الملبس والمطعم، عظيم المحافظة على النّفير والقطمير، مُستوعب للحضر والتقييد، أسير محبي وعابد زمام، وجنّيب أمانة، وجلس سقيفة، ورقيب مُشرف، لا يقبل هودة، ولا يُلبس رشوة، كثير الالتفات، متفقدًا للآلة، متممًا للعمل.

جری ذكره في بعض الموضوعات الأدبية بسبب شِغْرِ خامل نسب إليه بما نصه<sup>(١)</sup>: رجل غليظ<sup>(٢)</sup> العاشية، معدود في جنس السائمة والماشية، ثلّيت على العمال به سورة الغاشية، ولي<sup>(٣)</sup> الأشغال السلطانية، قدْ عَرَتِ الجُباة لولايته، وأيقنوا<sup>(٤)</sup> بقيام قيامتهم لطلوع آيته، وقنطوا كلّ القنوط، وقالوا: جاءت الدابة تُكلّمنا وهي إحدى الشروط، من رجل صائم الحُسوة<sup>(٥)</sup>، بعيد عن<sup>(٦)</sup> المصانعة والرّشوة، يتجنّب الناس، ويقول عند المخالطة<sup>(٧)</sup> لهم: لا مِساس، عهدي به في الأعمال يَخْبِط وَيَتَبَرَّ<sup>(٨)</sup>، وهو<sup>(٩)</sup> يهلّل ويكبر، ويحسن<sup>(١٠)</sup> ويقبح، وهو يسبح، انتهى. قلت: وولّي الأشغال السلطانية، فضمّ النّشر، وأوصد باب الحيلة، وبثّ أسباب الضّياع، وترصد ليلاً وأصيب بجراحة أخطأته، ثم عاجلته الوفاة، فنفس عن أفتاله المَحْتَق.

شعره: قال يخاطب بعض أئراء الدولة قبل نهايته<sup>(١١)</sup>: [الطويل]

عمادي، ملاذي، مؤثلي، ومؤثلي	ألا أنعم بما ترضاه للمتأهل
وحقق بنيل القصد منك رجاءه	على نحو ما يُرضيك يا ذا التّفضّل
فأنت الذي في العلم يُعرف قدره	بخير زمانٍ فيه لا زلتَ تَغْتَلِي <sup>(١٢)</sup>
فهنيئ يا مغنى <sup>(١٣)</sup> الكمال برُتبة	تقرّ لكم بالسبق في كلّ مخفل

(١) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٥٤). (٢) في النفع: «كثيف».

(٣) في النفع: «تولّى». (٤) في النفع: «وقامت قيامتهم لطلوع...».

(٥) في النفع: «الحُسوة». (٦) في النفع: «من».

(٧) في النفع: «عند المخاطبة: لا...».

(٨) في النفع: «في الأعمال يقدّر فيها ويدبّر، ويرجع ويعبر، ويخط ويتبرّ».

(٩) في النفع: «وهو مع ذلك يكبر». (١٠) في النفع: «ويحسن من الأزمنة ويقبح».

(١١) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ٤٠٠).

(١٢) في الأصل: «منه لا زلت فيه تعتل» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(١٣) في النفع: «مغنى».

وفاته: توفي عام ثلاثة وأربعين<sup>(١)</sup> بغرناطة أو قبل ذلك بيسير، وله خط حسن، وممارسة في الطب، وقد توسّط المعترك.

### محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي<sup>(٢)</sup>

من أهل ألمرية، يكنى أبا بكر.

أوليته: من كتاب «المؤتمن»<sup>(٣)</sup> قال: يُشهر بنسبه وأصل سلفه من جهة بيرة، إما من بجانة<sup>(٤)</sup>، وإما من البريج<sup>(٥)</sup>، واستوعب سبب انتقالهم.

حاله: من «عائد الصلة»: كان أحد الشيوخ من طبقة، وصدر الوزراء من نمطه ببلده، سراوةً وسماحةً، ومبرةً وأدباً ولوذةً ودُعاة، رافع راية الانطباع، وحائز قصب السبق في ميدان التخلُّق، مبذول البرّ، شائع المشاركة.

وقال في «المؤتمن»: كان رجلاً عاقلاً، عارفاً بأقوال الناس، حافظاً لمراتبهم، مُنزلاً لهم منازلهم، ساعياً في حوائجهم، لا يصدرون عنه إلا عن رضى بجميل مداراته. التفت إلى نفسه، فلم ينس نصيبه من الدّلّ، ولا أغفل من كان يألّفه في المنزل الحشِن، واصلاً لرحمه، حاملاً لوطاة من يجفّوه منهم، في ماله حظ للمساكين، وفي جاهه رِفْدٌ للمضطرين، شيوخاً ذكّي المُجالسة، تستطيب معاملته، على يقين أنه يُخفي خلاف ما يُظهر، من الرجال الذين يصلحون الدنيا، ولا يعلّق بهم أهل الآخرة، لعزوه عن النُخوة والبَطَر، رحمه الله. تكرّرت له الولاية بالديوان غير ما مرّة، وورد على غرناطة، وافداً ومادحاً ومُعزّياً.

مشيخته وما صدر عنه: قرأ على ابن عبد الثور، وتأدّب به، وتلا على القاضي أبي علي بن أبي الأخوص أيام قضائه ببسطة، ونظم رَجَزاً في الفرائض.

(١) في النفح: (ج ٨ ص ٤٠٠): «توفي عام ثلاثة وأربعين وسبعمائة».

(٢) نسبة إلى دار بليّ بقرطبة، وهو بليّ بن عمرو بن قضاة، وقبيلة بليّ عربية كانت تسكن بشمالى قرطبة، ولم تكن في أيام ابن حزم تحسن التحدث باللطينية. جمهرة أنساب العرب (ص ٤٤٣).

(٣) هو «المؤتمن على أنباء أبناء الزمن» لأبي البركات محمد بن محمد بن عياش البليقي. وقد تقدم اسم الكتاب كاملاً في الجزء الثاني من الإحاطة في ترجمة ابن البركات.

(٤) بجانة: بالإسبانية Pechina، وهي مدينة بالأندلس مشهورة بحمّتها العجيبة، وتبعد عن ألمرية خمسة أميال. الروض المعطار (ص ٧٩).

(٥) البريج: بلدة قريبة من بجاية، تابعة للمرية.

شعره: قال الشيخ<sup>(١)</sup> في «المؤتمن»: كانت له مشاركة في نظم الشعر الوسيط، وكان شِعْرُ تلك الحَلْبَةِ الآخِذَةِ عن ابن عبد النور، كأنه مصوغٌ من شعر شيخهم المذكور، ومَخْدُودٌ عليه، في ضعف المعاني، ومِهْنَةُ الألفاظ. تنظر إلى شعره، وشعر عبد الله بن الصائغ، وشعر ابن شُغْبَةِ، وابن رُشِيد، وابن عُبَيْد، فتقول: ذرية بعضها من بعض.

فمن ذلك ما نظمه في ليلة سماع واجتماع بسبب قدوم أخيه أبي الحسن من الحجاز: [الطويل]

إلهي، أجزني إنني لك تائب	وإنني من دُنْبِي إليك لهاربٌ
عَصِيَّتُكَ جَهْلًا ثم جِثَّتْكَ نادمًا	مُقِرًّا وقد سُدَّتْ عليَّ المذاهبُ
مضى زمن بي في البطالة لاهيًا	شبابي قد ولَّى وعُمري ذاهبٌ
فخذ بيدي واقبل بفضلِكَ ثوبتي	وحقق رجائي في الذي أنا راغب
أخاف على نفسي ذنوبًا جَعِيَتْهَا	وحاشاك أن أشقى وأنت المحاسب
وإنني لأخشى في القيامة موقفًا	ويومًا عظيمًا أنت فيه المطالب
وقد وُضِعَ الميزان بالقِسْطِ حاكمًا	وجاء شهيدٌ عند ذاك وكاتب
وطاشت عقول الخلق واشتد خوفهم	وفرَّ عن الإنسان خلٌّ وصاحب
فما ثم من يُزجى سواك تفضلاً	وإن الذي يرجو سواك لخائب
ومن ذا الذي يُغطي إذا أنت لم تجد؟	ومن هو ذو مَنع إذا أنت واهب؟
عَبِيدُكَ، يا مولاي، يدعوك رغبة	وما زلت غفارًا لمن هو تائب
دَعَوْتُكَ مُضْطَرًا وَعَفْوُكَ واسعٌ	فأنت المجازي لي وأنت المعاقب
فهب لي من رُحْمَاكَ ما قد رَجَوْتُهُ	وبالجود يا مولاي تُزجى المواهب
توسَّلت بالمختار من آل هاشم	ومن نخوه قصداً تُحَثُّ الرُكائب
شفيعُ الوري يوم القيامة جاهُهُ	ومُنْقِذُ مَنْ في النار والحق واجب

ومما بلغ فيه أقصى مبالغ الإجابة، قوله من قصيدة هنأ فيها سلطاننا أبا الحجاج بن نصر<sup>(٢)</sup>، لما وفد هو وجملة أعيان البلاد أولها: [الكامل]

يُهني الخلافة فَتَحَتْ لك بابها فادخل على اسم الله يُمنَّا غابها

(١) هو أبو البركات محمد بن محمد بن عياش البليقي.

(٢) هو أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، سابع سلاطين بني نصر، وقد حكم من سنة ٧٣٣ هـ إلى سنة ٧٥٥ هـ. اللوحة البدرية (ص ١٠٢).

منها، وهو بديع، استظرف يومئذ:

يا يوسفيا باسمه وبوجهه      اضعد لمثبرها وضن محرابها  
في الأرض مكنتك الإله كيوسف      ولتفمككن بربرها أربابها  
بلغت بكم آرابها من بعد ما      قالت لذلك نسوة ما رابها  
كانت ثراود كفوها حتى إذا      ظفرت بيوسف غلقت أبوابها

قلت<sup>(١)</sup>: ما ذكره المؤلف ابن الخطيب، رحمه الله، في هذا المترجم به، من أنه ينظم الشعر الوسط، ظهر خلافه، لذا أثبت له هذه المقطوعة الأخيرة. ولقد أبدع فيها وأتى بأقصى مبالغ الإجادة كما قال، وحاز بها نمطا أعلى مما وصفه به. وأما القصيدة الأولى، فلا خفاء أنها سهل المأخذ، قريبة المنزع، بعيدة من الجزالة، ولعل ذلك كان مقصودا من ناظمها رحمه الله.

وفاته: توفي ببلده عن سن عالية في شهر ربيع الآخر عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة.

ورثاه شيخنا أبو بكر بن شبرين، رحمه الله، بقوله: [البسيط]

يا عني، سيحي بدمع وإكيف سرب      لحامل الفضل والأخلاق والأدب  
بكيث، إذ ذكر الموتى، على رجل      إلى بلي<sup>(٢)</sup> من الأحياء مئتسب  
على الفقيه أبي بكر تضيمنه      رمن وأعمل سيرا ثم لم يؤب  
قد كان بي منه ود طاب مشرعه      ما كان عن رعب كلا ولا رهب  
لكن ولا<sup>(٣)</sup> على الرحمن محتسبا      في طاعة الله لم يمدق ولم يشب  
فاليوم أصبح في الأجداث مرتهانا      ما ضربت الريح أملودا من الغضب  
إنا إلى الله من فقد الأحبة ما      أشد لذعا لقلب الثاكل الوصب  
من للفضائل يسديها ويلحمها؟      من للعلی بین موروث ومكتسب؟  
قل فيه ما<sup>(٤)</sup> تصف ركننا لمئبذ      روض، لمئتجع أنس، لمغترب؟  
باق على العهد لا تشنيه ثانية      عن المكارم في وزد ولا قرب  
سهل الخليفة بادي البشر مئبسط      يلقي الغريب بوجه الوالد الحدب

(١) القول هنا للناسخ كما يتضح من السياق.

(٢) هو بلي بن عمرو بن قضاة، وقد تقدم الحديث عنه قبل قليل.

(٣) في الأصل: «ولا» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٤) في الأصل: «أما» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

كم غَيْرِ الدهر من حالٍ فَقَلْبُهَا  
سامي المكانة معروفٌ تقدّمه  
أَكْرَمَ به من سجايا كان يحملها  
ما كان إلّا من الناس الألى دَرَجُوا  
أَمْسى ضَجِيعَ الثرى في جَنْبِ بَلَقَعَةٍ  
ليست صَبَابَة نفسي بعده عَجَبًا  
أَجاب دمعِي إذ نادى النعيُّ به  
ما أغفل المرءَ عمّا قد أريد به  
يا وِيحَ نفسي أنفاسٌ<sup>(١)</sup> مَضَتْ هَذَرًا  
ظَنَنْتُ أَنِّي بالأَيامِ ذو هُزْءٍ  
أَشْكُو إلى الله فَقَرِي من معاملة  
ما المالِ إلّا من الله فَأَفْلَحَ مَنْ<sup>(٢)</sup>  
اسْمَعُ<sup>(٣)</sup> أبا بكر الأَرْضَى نداءً أَخِ  
أَهْلًا بِقَدَمَتِكَ الميمونُ ظاهرها  
نم في الكرامة فالأسباب وافرة  
لله والآجال قاطعةٌ  
ومن فرائد آداب يُحَبِّرها  
أما الحياة فقد مُلِيتْ مدتها  
لولا قواطعُ لي أشراكها نُصِبَتْ  
وقلّ ما شَفِيتْ نفسٌ بزُورَةٍ مَنْ  
يا نُخْبَةً ضَمَّها تُرْبٌ ولا عجب  
كيف السبيل إلى اللّقاء وقد ضربوا  
عليك مني سلام الله يتبعه

وحالَ إخلاصه ممتدّة الطُّنْبِ  
وقدَرُه في ذوي الأقدار والرُّتَبِ  
وكلّها حَسَنَ تُنْبِيكَ عن حَسَبِ  
عَقْلًا وحلَمًا وجودًا هامِي السُّحْبِ  
لكنّ محامدُه تبقى على الحُقُبِ  
وإنما صبرها من أعجب العُجَبِ  
لو غَيْرَ مُنْعَاهِ نادى الدمع لم يُجِبِ  
في كل يوم تناديه الرّدى اقْتَرَبِ  
بين البطالة والتّسويّف واللّعبِ  
غَلِطْتُ بل كانت الأَيام تهزأ بي  
لله أنجو بها في مَوْقِفِ العَطَبِ  
جاء القِيامة ذا مالٍ وذا نَشَبِ  
باكٍ عليك مدى الأَيام مُكْتَنِبِ  
على محل الرّضى والسّهل والرّحْبِ  
وربما نِيلْتَ الحُسنى بلا سبب  
ما بيننا من خطابات ومن خُطَبِ  
فيودع الشّهب أفلاكًا من الكُتُبِ  
فعرّض الله منها خير مُنْقَلَبِ  
لَزَزْتُ قَبْرَكَ لا أشكو من النّصبِ  
حَلَّ البَقِيعَ ولكنّ جُهدُ ذي أرب  
إن التراب قديمًا مدفن النُّحْبِ  
بيني وبينك ما بقي من الحجب؟  
حسنُ الثّناء<sup>(٤)</sup> وما حيّيت من كُثْبِ

(١) في الأصل: «الأنفاس» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «ما المال إلّا من الله قَوَى فأفْلَحَ مَنْ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) كلمة «اسمع» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.

(٤) في الأصل: «الثنا» وكذا ينكسر الوزن.

## محمد بن محمد بن شُعبة الغساني<sup>(١)</sup>

من أهل المرية، يكنى أبا عبد الله.

حاله: قال شيخنا أبو البركات في الكتاب «المؤتمن»: من أهل المرية ووجوهها، لا حظ له في الأدب، وبضاعته في الطلب مُزجاة. قطع عمره في الأشغال المخزنية، وهو على ذلك حتى الآن. قلت: هذا الرجل أحد فرسان الطريقة العملية، ماض على لين، متحرك في سكون، كاسد سوق المروءة، ضأن بما يملك من جدة، مُنحط في هوة اللذة، غير مُعرج على رُبُع الهمة، لطيف الثأني، مُتنزل في المعاملة، دِمث الأخلاق، مليح العمل، صحيح الحساب، مُنجب الولد.

مشيخته: قرأ على ابن عبد الثور، والقدُر الذي يُحس به عنه أخذه.

شعره: من شعره يخاطب أبا الحسن بن كُماشة: [البسيط]

وأقبل السَّغْدُ والتوفيقُ والأملُ	وافى البَشِيرُ فوافى الأتسُ والجَدَلُ
واخضُرَّ <sup>(٢)</sup> منها الرُّبى والسَّهْلُ والجبلُ	وراءتِ الأرضُ حُسْنًا زاهرًا وسَنَى
له شعاعُ كضوءِ الشمسِ مُتَّصِلُ	ولاحَ وَجْهُ عَلِيٍّ بَعْدَ ذَا فَعْدَا
أحشاؤنا بلهيبِ الشُّوقِ تشتعلُ	مذ غابَ أظلمت الدنيا لنا وَعَدَتْ
عاد الظُّلامُ ضياءَ وانتفى الحَبَلُ	وحينَ أشرقَتِ الدنيا بغرَّتِه
مَهْمَا اغْتَرَّتْ شِدَّةٌ أَوْ ضاقتِ الحِيلُ	إِيهَ أَبَا حَسَنَ أَنْتَ الرجاءُ لَنَا
نال المُنَى وبدا عيشٌ له خَصِلُ	وَأَنْتَ كهفٌ منيعٌ مَنْ نَحَاكَ فَقَدِ
مُشِيدَةٌ قَدْ بَنَتْهَا السَّادَةُ الأُولُ	يَا سَيِّدًا قَدْ غدا فِي المجدِ ذَا رُتَبِ
بَاهَتْ بِهِمْ فِي قديمِ الأعْصُرِ الدُّولُ	بنو كُماشَةَ أَهْلُ الفضلِ قَدْ شُهِرُوا
والباذلونَ نَدَى والناسُ قَدْ بَخِلُوا	السَّالكونَ هَدَى السَّابِقونَ مَدَى
والسَّيِّدُ المَرْتَجى والفارسُ البطلُ	أَنْتَ الأَخِيرُ زَمَانًا والقَدِيمُ عُلَا
أَضْحَى بِجودِ يَدِيكَ يُضْرِبُ المِثْلُ	إِنْ كُنْتَ جِئْتَ أَخِيرًا فَارَسًا <sup>(٣)</sup> فَلَقَدْ
مَنْ رَامَ إحصاءَها سُدَّتْ لَهُ السُّبُلُ	حُزَّتْ المآثرُ لَا تُخْصَى لكَثْرَتِهَا
وَأَنْتَ تَجْرُ النَّدَى والوابلُ الهَطْلُ	جُزَّتْ البُذورُ سَنَى والفَرْقَدِينِ عُلَا

(١) ترجمة محمد بن محمد بن شعبة في الكتبية الكامنة (ص ١١٦).

(٢) في الأصل: «واخضرت» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٣) كلمة «فارسا» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معًا.

من جاء يطلب منك السلم قابله  
ومن يرد غير ذا تبأ له وردى  
هناك ربك ما أولاك من نعم  
ولا عديمت مدى الأيام منزلة  
وخذه بعد سلاما عاطرا أرجا  
من خادم لعلاكم مخلص لكم  
تقبيل كفك أغلى ما يؤمله  
وفاته: في أول عام أربعة وستين وسبعمائة.

### محمد بن محمد بن العراقي<sup>(١)</sup>

وادي آشي، يكنى أبا عبد الله.

حاله: فاضل<sup>(٢)</sup> الأبوة، معروف الصون والعفة، بادي الاستقامة، دمث<sup>(٣)</sup> الأخلاق، حسن الأدوات، ينظم وينثر، ويجيد الخط، تولى أعمالا نبهية، ثم علقت به الحرفة، فلقي ضغطا وفقد نشبا، واضطر إلى التحول عن وطنه إلى برّ العذوة عام ستة وخمسين وسبعمائة، وتعرف لهذا العهد أنه تولى الأشغال بقسطنطينية<sup>(٤)</sup> الهواء من عمل إفريقية.

شعره: كتب إلي وقد أبى عملا عرض عليه<sup>(٥)</sup>: [الطويل]

أأضمت ألفا ثم أنطق بالخلف  
وأفقد ألفا ثم أنس بالجلف؟  
وأمسك دهري ثم أنطق<sup>(٦)</sup> علقما  
وإنحق بذري ثم ألحق بالخسف؟  
وعزكم لا كنت بالذلّ عاملا  
ولو أن ضغفي ينتمي بي<sup>(٧)</sup> إلى حتف<sup>(٨)</sup>

(١) ترجمة محمد بن محمد بن العراقي في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٥) وجاء فيه: «محمد بن محمد العراقي».

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٥) بتصرف.

(٣) في النفح: «حسن».

(٤) في الأصل: «قسطنطينية»، والتصويب من معجم البلدان (ج ٤ ص ٣٤٩)؛ إذ جاء فيه: قسطنطينية، بضم القاف وفتح السين: مدينة وقلعة يقال لها قسطنطينية الهواء.

(٥) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٦).

(٦) في النفح: «أفطر».

(٧) كلمة «بي» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفح.

(٨) في النفح: «الحتف».

فإنْ تُعملوني في تَصْرُفِ عِزَّةٍ وعدلٍ وإلا فاحسموا عِلَّةَ الصَّرْفِ  
بقيت وسُحِبَ العَطْفُ<sup>(١)</sup> منكم تُظِلُّني وعطف<sup>(٢)</sup> ثنائي<sup>(٣)</sup> دائما ثنائي العطف

### محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن فرتون الأنصاري

من أهل مالقة، يكنى أبا القاسم، ويعرف بالهنا.

أوليته: يُنسب إلى القاضي بَيْطَلْيُوس، قاضي القضاة، رحمه الله. وبمالقة دُورٌ  
تنسب إلى سَلَفِهِ تدلّ على نباهة، وقد قيل غير ذلك. والنّص الجلي أولى من  
القياس.

حاله: من «عائد الصلة»: الشيخ الحاج المحدث صاحب الأشغال بالدار  
السلطانية. صَدُرَ نَمَطُهُ، وفريدُ فَنِّه رجولةٌ وجزالةٌ واضطلاعاً وإدراكاً وتجلّداً وصبراً.  
نشأ بمالقة معدوداً في أهل الطّلب والخصوصيّة، ورَحَلَ إلى الحجاز الشّريف في  
فَتائِهِ، فاستكثر من الرّواية، وأخذ عن أكابر من أهل المشرق والمغرب، حسبما يشهد  
بذلك برنامجه.

وكان على سُنَنِ من السّزو والحشمة، فذاً في الكفاية، جريئاً، مقدّماً،  
مَهيباً، ظريف الشّارة، فارِه المَرْكَب، مليح الشّيبة، حسن الحديث، وقاد الذهن،  
صابراً على الوظائف، يَخْلُطُ الخوض في الأمور الدّنيوية بعبادة باهظة، وأُوراد  
ثقيلة، ويجمع ضحك الفاتك وبكاء النَّاسِك في حالة واحدة، هُشّاً، مفرط الجِدَّة،  
يَشْرُدُ عليه مَجْلُ لسانه في المجالس السلطانية بما تعرّوه المئذمة بسببه، قائماً على  
حفظ القرآن وتجوّيده وتلاوته، ذا خصال حميدة، صنّاع اليد، مقتدرّاً على  
العمليات من نسخٍ ومقابلة وحساب، معدوداً من صُدُور الوقت وأعلام القُطُر ورجال  
الكمال.

مُشِيخَتُهُ: أخذ عن الجِلَّة من أهل بلده كالأستاذ أبي محمد بن أبي السّداد  
الباهلي؛ لازمه وانتفع به، والخطيب أبي عثمان بن عيسى؛ أخذ عنه، والولي  
أبي عبد الله الطّنجالي، وغيرهم مما يطول ذكرهم من العُدوة والأندلس  
والمشاركة.

(٢) في النفع: «وَحْظٌ».

(١) في النفع: «العفو».

(٣) في الأصل: «ثنائي» والتصويب من النفع.



محتنه: لقي نَصَبًا في الخدمة السلطانية، وَغَضًا من الدهر لبأوه، بَتَعَثُهُ وعدم مبالاته مرّاتٍ، ضَيِّقٌ لها سجنه، وَغُرُضٌ عليه النُّكَال، ونيل منه بالإهانة كلِّ مَنال، وأُغْرِمَ مالًا أَجْحَفَ بِمُخْتَجِنِهِ، وَغُرُضٌ للأيدي نفائس كُتِبَ، وعلى ذلك فلم يذعر سزبه، ولا أَضَعَفَتْ النكبة جأشه.

ولادته: ولد عام ثلاثة وسبعين وستمائة. ومات ميّنة حسنة. صَلَّى الجمعة ظهرًا، وقد لَزِمَ الفراش. وَنَفَتْ دَمُ الطاعون، ومات مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، على أتمّ وجوه التأهب، سابع شوال من عام خمسين وسبعمئة.

### محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل

من أهل مالقة، يكنى أبا القاسم، أزدي النسب، إشبيلي الأصل، من بيت نزاهة ونباهة.

حاله: كان فاضلاً وقوراً سَمَحًا، مليح الدُّعابة، عَذَبَ الفكاهة، حُلُو النادرة، يَكْتُبُ وَيُشْعِرُ، طَرْفًا في الانطباع واللُّوْذِعيّة، آيَةً في خلط الجِدِّ بالهَزَل. وُلِّيَ الإشراف بمدينة مالقة، وتقلّب في الشهادة المَخْزِنية عُمره.

شعره: من شعره يخاطب ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكيم، رحمه الله: [الطويل]

فؤداي من خَطْب الزمان سَقِيمٌ      وفيه لِسَهُمُ الحادثات كُلُّومٌ  
ولم أَشْكُ دائي في البريّة لامرئٍ      أَأَشْكُو به وابنُ الحكيم حَكِيمٌ؟

وفاته: توفي بمالقة يوم الخميس عاشر شهر رمضان من عام تسعة وثلاثين وسبعمئة.

### محمد بن علي بن عبد ربه التجيبي

من أهل مالقة، يكنى أبا عمرو.

حاله: كان راويةً ثَقَّةً، بارع الأدب، بليغ الكتابة، طيّب النفس، كامل المروءة، حَسَنُ الخلق، جميل العشرة، تلبّس بالأعمال السلطانية دهرًا، وولّي إشراف غرناطة وغيرها، إلى أن قَعَدَ لشكاية منعه من القيام والتَّصَرُّفِ فَعَكَّفَ على النَّظَر، فانتفع به.

مشيخته: كانت له رِخْلَةٌ سَمِعَ فيها بالإسكندرية على أبي عبد الله بن منصور وغيره، وروى عنه الأخوان سالم وعبد الرحمن، ابنا صالح بن سالم.

تواليفه: له اختصار حسن في «أغاني الأصبهاني»، وردَّ جيّد على ابن غَزِيَّة في رسالته الشُّعُوبِيَّة<sup>(١)</sup>، لم يَقْصُر فيها عن إجادة.

وفاته: وتوفي لسبع خلون من محرم من عام اثنين وستمئة.

## الزُّهَاد والصُّلَحَاء والصُّوفِيَّة والفقراء وأوَّلًا الأصليون

محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصاري<sup>(٢)</sup>

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالصَّنَاع.

حاله: من «عائد الصلة»: الشيخ الصُّوفي، الكثير الأتباع، الفَذُّ الطريقة، المُحَبَّب إلى أهل الثغور من البادية. كان، رحمه الله، شيخًا حسن السُّمت، كثير الذكر والمداومة، يقود من المُخْشَوِّين عدَدَ ربيعة ومضر، يعمل الرُّحلة إلى حُصُونِهِمْ، فيتألَّفون عليه تألَّف النُّحل على أمرائها ويعاسيها، مُعلنين بالذِّكر، مهرولين، يَغْشَوْنَ مثواه بأقواتهم على حالها، ويتناغون في التماس القرب منه، ويباشرون العمل في فِلاحة كانت له بما يعود عليه بوفر وإعانة. وكان من الصالحين، وعلى سُنن الخِيار الفضلاء من المسلمين، وله حظٌّ من الطُّلب ومشاركة، يقوم على ما يحتاج إليه من وظائف دينه، ويتكلم في طريق المتصوِّفة على مذهب أبي عبد الله السَّاحلي شيخه، كلامًا جَهْورِيًّا، قريب العَمُر. وكان له طمع في صناعة الكيمياء تهافت على دفاتيرها وأهل مُتَحَلِّيها؛ ليستعين بها بزعمٍ على آماله الخيريَّة، فلم يَحُلْ بظائل.

مُشِيخته: قرأ على أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزبير، وكانت له في حاله فِراسةٌ. حدَّثني بذلك شيخنا أبو عبد الله بن عبد الولي، رحمه الله. وسلك على الشيخ الصالح أبي عبد الله السَّاحلي.

وفاته: وتوفي ليلة الاثنين السابع من شهر شوال عام تسعة وأربعين وسبعمائة، وكانت جنازته آخذة في الاحتفال، قَدِمَ لها العهد، ونَفَرَ لها الناس من كل أوب، وجيء بسريره، تلوح عليه العناية، وتحفُّ الأتباع المقتاتون من جِلِّ أموالهم وأيديهم من شيوخ البادية، فتولَّوا مواراته، تعلو الأصوات حوله، ببعض أذكاره.

(١) هو أبو عامر أحمد بن غرسية، من أبناء نصارى البشكنس، سبي صغيرًا وأدبه مولاه مجاهد العامري. المغرب (ج ٢ ص ٤٠٦). وقد ذكره ابن بسام وأورد له رسالته الشعوبية، وهي رسالة ذم فيها العرب، وفخر بقومه العجم. الذخيرة (ق ٣ ص ٧٠٥ - ٧١٤).

(٢) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٦٠): «محمد بن إبراهيم بن محمد بن غالب الأنصاري...».

## محمد بن أحمد الأنصاري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالمواق.

حاله: كان معلماً لكتاب الله تعالى، خطيباً بمسجد ربض الفخارين، طرُفاً في الخير ولين العريكة والسذاجة المشفوعة بالاختصار وإيثار الحُمول، مستقيماً في طريقته، خافئاً في خطبته، عاكفاً على وظيفته، مقصوداً بالتماس الدعاء، مظنةً الصلاح والبركة.

وفاته: توفي بغرناطة قبل سنة خمسين وسبعمئة ببسير، وكلف الناس بقبْره بعد موته، فأولوا حجارته من التعظيم وجلب أواني المياه للمداواة، ما لم يولوه معشاره أيام حياته.

## محمد بن حسنون الحميري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله.

حاله: كان فاضلاً صالحاً، مشهور الولاية والكرامة، يقصده الناس في الشدائد، فيسألون بركة دُعائه. ومن إماء الشيخ أبي بكر بن عتيق بن مُقَدِّم، قال: أصله من بَيَّاسة<sup>(١)</sup>، وكان عمّه من المقرئين المحدثين بها، وسكن هو مُرسية، ونشأ بها، وقرأ على أشياخها، وحفظ «كتاب التحبير» في علم أسماء الله الحسنى للإمام أبي القاسم القُشيري، ثم انتقل إلى غرناطة، فسكن فيها بالقصبة القديمة، وأمّ الناس في المسجد المنسوب إليه الآن. وكان يعمل بيده في الحلفاء، ويتقوت من ذلك.

وفاته: توفي عام خمسة وسبعمئة بغرناطة، وهو من عدد الزُّهاد.

ومن مناقبه: ذكروا أنه سمع يوماً بعض الصُّبيان يقول لصبي آخر: مُرّ للحبس، فقال: أنا المخاطب بهذا، فانصرف إلى السُّجن، فدخله، وقعد مع أهله، وبلغ ذلك السلطان، فوجّه وزيره، فأخرجه، وأخرج معه أهل السُّجن كلّهم، وكانت من كراماته.

## محمد بن محمد البكري

من أهل غرناطة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الحاج.

(١) بَيَّاسة: بالإسبانية Baeza، وهي مدينة تبعد عن جيان عشرين ميلاً. الروض المعطار (ص ١٢١).

كان، رحمه الله، شيخاً صالحاً، جهورياً، بعيداً عن المصانعة، متساوي الظاهر والباطن، مُغْلِظاً لأهل الدنيا، شديداً عليهم، غير مُبَالٍ في الله بغيره، يلبس خِزْقة الصُوفية من غير التزام لاضطلاح، ولا مُنْقَاد لِرَفْق، ولا مُؤَثِّر لِسَمَاع، مشاركاً للناس، ناصحاً لهم، ساعياً في حوائجهم. خدم الصالح الكبير أبا العباس بن مَكْنُون، وسلك به، وكان من بيت القيادة والتَّجْنُد، فرفض زِيَّه، ولبس المُسَوِّح والأَسْمَال. وكان ذا حِظٍّ من المعرفة، يتكلم للناس. قال شيخنا أبو الحسن بن الجِيَّاب: سمعته ينشد في بعض مجالسه: [الرجز]

يا غادياً في غفلة ورائحاً      إلى متى تَسْتَحْسِن القَبَائِحَا؟  
وكنم إلى كم لا تخاف موقفاً      يَسْتَنْطِيقُ الله به الجَوَارِحَا؟  
يا عجباً منك وأنت مُبْصِرٌ      كيف تُجَنَّبُ<sup>(١)</sup> الطريقَ الواضِحَا؟  
كيف تكون حين تقرا<sup>(٢)</sup> في غَد      صحيفةً قد مُلِثت فضائِحَا؟  
أم كيف ترضى أن تكون خاسراً      يوم يَفُوز مَنْ يَكُونُ رابِحَا؟

ولما حاصر الطاغية مدينة ألمرية<sup>(٣)</sup> وأشرفت على التلف، تبرع بالخروج منها ولحاقه بباب السلطان؛ لبث حالها، واستنفر المسلمين إلى نصرها، فيُسّر له من سَتر غَرَضه، وتسهيل قصده، ما يشهد بولايته.

وفاته: توفي بالمرية محلّ سكناه، في حدود عام خمسة عشر وسبعمائة.

### محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري

غرناطي، قيجاطي<sup>(٤)</sup> الأصل، يعرف بالسّواس.

قال في «المؤتمن»<sup>(٥)</sup> في حاله: رجل مُتَطَبِّب، سهل الخُلُق، حسن اللقاء، رحل من بلده، وحيّج، وفاوض بالمشرق الأطباء في طريقته، وعاد فتصدّر للطب، ثم عاد إلى بلاد المشرق. قلت: وعظم صيته، وشهر فضله، وقُدّم أُميئاً على أخباس

(١) في الأصل: «تجنب» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «تقرأ» وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا الهمزة.

(٣) المراد بالطاغية صاحب برجلونة، إذ حاصر في غرة ربيع الأول من عام ٧٠٩ هـ مدينة ألمرية وأخذ بمخنقتها، ووقعت على جيش أمير المسلمين نصر بن محمد بن نصر، صاحب غرناطة، وقعة كبيرة، ثم رُفِع الحصار. اللوحة البدرية (ص ٧٥).

(٤) نسبة إلى قيجاطة Quesada، وهي مدينة بالأندلس من عمل جيان، تقع على ثلاثين كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من أبدة. الروض المعطار (ص ٤٨٨).

(٥) هو كتاب «المؤتمن على أنباء أبناء الزمن» لأبي البركات محمد بن محمد بن عباس البلقيني.

مسجد رسول الله ﷺ، بالمدينة الطاهرة وصدقاته، وذكر عنه أنه اضطره أمر إلى أن خصى نفسه، وسقطت لذلك لحيته.

قال شيخنا أبو البركات: أنشدنا بدكانه برحبة المسجد الأعظم، من حضرة غرناطة، قال: أنشدنا أبو عبد الله المراكشي بالإسكندرية، قال: أنشدنا مالك بن المرحل لنفسه:

أرى الكلاب بشتم الناس قد ظلمت      والكلب أخفظ مخلوق لإحسان  
فإن غضبت على شخص لتشتيمه      فقل له: أنت إنسان ابن إنسان  
وفاته: كان حياً عام خمسين وسبعمئة فيما أظن.

### ومن الطارئین عليها في هذا الاسم

محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد بن جعفر  
ابن محمد بن أحمد بن مروان بن الحسن بن نصر بن نزار  
ابن عمرو بن زيد بن عامر بن نصر بن حفاف السلمي

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن جعفر، ويشهر في الأخير بالقونجي، منسوباً إلى قرية<sup>(١)</sup> بالإقليم، وكان من أهل غرناطة.

حاله: من خط شيخنا أبي البركات بن الحاج: كان هذا الرجل رجلاً صالحاً فاضلاً متخلفاً، سَمَحاً، جميل اللقاء على قدم الإيثار على رقة حاله، ممن وضع الله له القبول في قلوب عباده، فكانت الخاصة تَبْرُهُ ولا تنتقده، والعامّة تَوَدُّه وتعتقده، وتترادف على زيارته، فئة بعد فئة، فلا تَنْقَلِبُ عنه إلّا راضيةً، وكان جارياً على طريقة الشيخ أبي الحسن الشاذلي، إذ كان قد لقي بالمشرق الشيخ الإمام تاج الدين بن عطاء الله، ولازمه وانتفع به، كما لقي ولزم تاج الدين أبا العباس المُرْسِي، كما لازم أبو العباس أبا الحسن الشاذلي. قال: ولقيه بعد هذا الشيخ أبي عبد الله جماعات في أقطار شتى، ينتسبون إليه، ويجرون من ملازمته الأذكار في أوقات معينة على طريقته، وله رسائل منه إليهم طوال وقصار، يوصيهم فيها بمكارم الأخلاق، ومُلازمة الوظائف، وخرج عنه إليهم على طريقة التذوين كتاب سَمَاء به الأنوار في المخاطبات والأسرار مضمّنهُ جملةً من كلام شيخهم تاج الدين،

(١) هي قرية قنجة، كما سيتبين بعد قليل.

وكلام أبي الحسن الشاذلي، ومخاطبات خوطب بها في سرّه، وكلام صاحبه أبي بكر الرندي، وحقائق الطريق، وبعض كرامات غير مَن ذُكر من الأولياء، وذكر الموت، وبعض فضائل القرآن.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي الحسن البلوطي وأجازه، وعلى أبي الحسن بن فضيلة وأجازه كذلك، وعلى أبي جعفر بن الزبير وأجازه، ثم رحل فحجّ ودخل الشام، وعاش مدة من جِراسة البساتين، واعتنى بقاء المعروفين بالزهد والعبادة، وكان ملياً بأخبار مَن لقي منهم، فمنهم الشيخ أبو الفضل تاج الدين بن عطاء الله، وصاحبه أبو بكر بن محمد الرندي.

مناقبه: قال: دخلت معه إلى مَن خفّ على قلبي الوصول إلى منزله لما قدم المرئية، وهو رجل يعرف بالحاج رحيب، كان من أهل العافية، ورقت حاله، ولم يكن ذلك يظهر عليه؛ لمحافظته على ستر ذلك لعلو همته، ولم يكن أيضاً أثر ذلك يظهر على منزله، بل أثاث العافية باقٍ فيه من قرشٍ وماعون. فساعة وصول هذا الشيخ، قال: الله يجبر حالك، فحسبته فراسة من هذا الشيخ. قال: وخاطبته عند لقائي إياه بهذه الآيات: [البسيط]

أشكو إليك بقلبٍ لست أملكه	ما لم يُردّ من سبيل فهو يسلكه
له تعاقبُ أهواءٍ فيقلقه	هذا ويأخذه هذا ويتركه
طوراً يؤمنه طوراً يخوفه	طوراً ييقّنه طوراً يشكّكه
حيناً يوحّشه حيناً يؤنّسه	حيناً يسكّنه حيناً يحركه
عسى الذي يمسك السبع الطّباق على	يديك يا مُطلع الأنوار يمسكه
فيه سقامٌ من الدنيا وزخرفها	مهماً أبيضه بالذكر تُشركه
عسى الذي شأنه السّتر الجميل كما	غطّى عليه زماناً ليس يهتّكه

فلما قرأ منها: «فيه سقامٌ من الدنيا وزخرفها»، قال: هذه علّتي.

مولده: سألته عنه، فقال لي: عام ثمانية وستين بقرية الجيط من قرى الإقليم.

وفاته: بقرية قنجة خطيباً بها، يوم الاثنين عشرين من شهر شعبان المكرم عام خمسين وسبعمائة، في الوباء العام، ودفن بقرية قنجة، رحمة الله عليه ورضوانه.

## محمد بن أحمد بن حسين بن يحيى بن الحسين ابن محمد بن أحمد بن صفوان القيسي<sup>(١)</sup>

وبيته شهير بمالقة، يكنى أبا الطاهر، ويعرف بابن صفوان.

حاله: كان مفتوحاً عليه في طريق القوم، مُلْهِمًا لرموزهم، مصنوعاً له في ذلك، مع المحافظة على السنة والعمل بها آخر الرُعيْل، وكوكب السُحر، وفذلكة الحساب ببلده، اقتداءً وتخلُّقاً وخشوعاً وصلاًحاً وعبادة ونصحاً. رَحْل فحجّ، وقفل إلى بلده، مؤثراً الاقتصار على ما لديه، فإذا تكلم في شيءٍ من تلك النُحلة، يأتي بالعجائب، ويفكُّ كل غامض من الإشارات. وغني بالجزء المنسوب إلى شيخ الإسلام أبي إسماعيل الرُوبي المسمّى بـ«منازل الساري إلى الله» فقام على تدريسه، واضطلع بأعبائه، وقيد عليه ما لا يدركه إلّا أولو العناية، ولازمه الجُملة من أولي الفضل والصلاح، فانتفعوا به، وكانوا في الناس قُدوة. وولي الخطابة بالمسجد الجامع من الرُبض الشرقي، وبه كان يقعد، فيقصده الناس، ويتبركون به، وكان له مشاركة في الفقه، وقيامٌ على كتاب الله.

تواليفه: ألف بإشارة السلطان على عهده، أمير المسلمين أبي الحجاج<sup>(٢)</sup>، رحمه الله، كتاباً في التَّصَوُّف والكلام على اصطلاح القوم، كتب عليه شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب بظهره، لما وقع عليه، هذه الأبيات: [الكامل]

أيام مولاي الخليفة يوسف	جاءت بهذا العالم المُتَصَوِّف
فكفى بما أسدى من الحكم التي	أبدى من سرّ الطريقة ما خَفِي <sup>(٣)</sup>
وحقائق رُفَع الحجاب بهنّ عن	نور الجمال فلاح غير مُكَيِّف
كالشمس لكن هذه أبدى سنّا	للحسن والمعنى لعين المُنصف
فيه حياة قلوبنا ودواؤها	فمن استغاث بجرة منها شفي <sup>(٤)</sup>
إن ابن صفوان إمام هداية	صافي قُصُوفي فَهُوَ صُوفي صَفِي <sup>(٥)</sup>
وإن اختبرت فإنه صفوّ ابن صفّ	وي ظاهر في طيّهِ صفوّ خَفِي <sup>(٦)</sup>

(١) ترجمة ابن صفوان القيسي في الكتيبة الكامنة (ص ٥٤).

(٢) هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، سابع سلاطين بني نصر بغرناطة، وقد حكم من سنة ٧٣٣ هـ إلى سنة ٧٥٥ هـ. اللوحة البدرية (ص ١٠٢).

(٣) في الأصل: «ما خف» بدون ياء. (٤) في الأصل: «شف» بدون ياء.

(٥) في الأصل: «صف» بدون ياء. (٦) في الأصل: «خف» بدون ياء.

علمَ توارثه وحالٌ قد خَلَّتْ      ذوقًا فَنِعَمَ الْمُفْتَدَى وَالْمُفْتَفَى<sup>(١)</sup>  
 فليُهنِكَ المولى سُعود إِيالة      فيها سراجٌ نوره لا يَنْطَفَى<sup>(٢)</sup>  
 جلى وجوه شريعة وحقيقة      صُبْحًا سَنَاهُ باهرٌ لا يَخْتَفَى<sup>(٣)</sup>  
 لا زلتَ تسلك كل نَهْج واضح      منها وتحيي كل سَغَى مُزلف

ومن تواليفه: «جَرُّ الحُرِّ» في التوحيد، وعلّق على الجزء المنسوب لأبي إسماعيل الهروي.

مَنْ أَخَذَ عَنْهُ: أَخَذَ عَنْهُ ببلده وتبرّك به جلّة، وكان يحضر مجلسه عالمٌ، منهم شيخ الشيوخ الأعلام أبو القاسم الكسكلان، وأبو الحسين الكوّاب، والأستاذ الصالح أبو عبد الله القطان، وصهره الأستاذ أبو عبد الله بن قرال، والعاقِد الناسك أبو الحسين الأحمر وغيرهم.

شعره: رأيت من الشعر المنسوب إليه، وقد رواه عنه جماعة من أصحابنا، يُذِيل قول أبي زيد<sup>(٤)</sup>، رضي الله عنه<sup>(٥)</sup>: [الطويل]

رَأَيْتَكَ يُذْنِنِي<sup>(٦)</sup> إِلَيْكَ تَبَاعَدِي<sup>(٧)</sup>      فَأَبْعَدْتُ نَفْسِي لَابْتِغَاءِ التَّقَرُّبِ<sup>(٨)</sup>

فقال: [الطويل]

هَرَبْتُ<sup>(٩)</sup> بِهِ مَنِي إِلَيْهِ فَلَمْ يَكُنْ      بِي الْبُعْدُ فِي بُعْدِي فَصَحَّ بِهِ قُرْبِي<sup>(١٠)</sup>  
 فَكَانَ بِهِ سَمْعِي كَمَا بَصَرِي بِهِ      وَكَانَ بِهِ لَا بِي<sup>(١١)</sup> لِسَانِي مَعَ الْقَلْبِ  
 فَقُرْبِي بِهِ قَرَبٌ بغير تَبَاعُدٍ      وَقُرْبِي فِي بُعْدِي فَلَا شَيْءَ مِنْ قُرْبِي<sup>(١٢)</sup>

(١) في الأصل: «والمفتف» بدون ياء. (٢) في الأصل: «لا ينطف» بدون ياء.

(٣) في الأصل: «لا يخطف» بدون ياء. (٤) في الكتيبة الكامنة (ص ٥٤): «أبي يزيد».

(٥) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٥٤ - ٥٥).

(٦) في الأصل: «تذنيني» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٧) في الأصل: «تباعدني» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٨) في الكتيبة: «وابتغائي من القرب».

(٩) في الأصل: «هويت بدمني...» وكذا لا يستقيم المعنى ولا الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(١٠) في الأصل: «قرب» بدون ياء، والتصويب من الكتيبة.

(١١) في الأصل: «وكان به لأني» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(١٢) في الأصل: «قرب» بدون ياء.



وفاته: سافر من بلده إلى غرناطة في بعض وجهاته إليها، وذهب سَحْرًا يرتاد ماءً لوضوئه، فتردى في حفرة تردّيًا أوهن قواه، وذلك بخارج بَلَش<sup>(١)</sup>، فرُدَّ إلى مألقة، فكانت بها وفاته قبل الفجر من ليلة يوم الجمعة الرابع عشر لشعبان عام تسعة وأربعين وسبعمائة.

### محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري<sup>(٢)</sup>

يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالساحلي.

حاله: من «عائد الصلاة»: المثل السائر في عُمران أوقاته كلها بالعبادة، وصبره على المُجاهدة. قطع عمره في التَّبَتُّل والتَّهَجُّد، لا يَفْتَرُ لسانه عن ذكر الله والصلاة على نبيّه، ﷺ. خرج عن مَثْرُوك والده، واقتصر على التَّعْيِش من جِرْفَةِ الخياطة. ثم تعدّاها إلى التَّنْسخ والتَّعليم، وسلك على الشيخ أبي القاسم المُرِيد، نفع الله به، حتى ظهرت عليه سيما الصالحين، وأقام عمره مُستوعِبًا ضروب الخير، وأنواع القُرب من صوم وأذان وذكر وتَنْسخ وقراءة وملازمة خَلْوَةٍ، ذا حِظٍّ من الفصاحة، وجُرْأَةٍ على الوعظ في صوت جَهِير وعَارِضَةٍ صَلِيبة. اقتدى به طوائف من أصناف الناس على تباعد الدُّيَار، وألزمهم الأذكار، وحَوَّلهم للسلوك، فأصبح كثير الأتباع، بعيد الصَّيت. وولّي الخطابة بالمسجد الجامع من بلده، ونُقل إلى الخطابة بجامع غرناطة في نَبَوَةٍ عرضت له بسبب دُنَابَى ذَرِيَةِ طَرَقُوا الكَدْر إلى سِرْبِهِ، ثم عاد إلى بلده متين ظَهر الحُظْوَةِ، وثيق أساس المَبَرَّة.

مشيخته: قرأ ببلده مألقة على الخطيب أبي محمد بن عبد العظيم بن الشيخ، وأبي عبد الله بن لُب، وأبي جعفر الحرّار، وأبي عبد الله بن الحُلُو، والخطيب أبي عبد الله بن الأعْوَر.

محتته: ابتلي بعد السبعين من عمره بِفَقْد بصره، فظهر منه من الصبر والشكر والرِّضَا بقضاء الله ما يظهر من مثله. وأخبرني بعض أصحابه أنه كان يقول: سألت الله أن يكفَّ بصري خوفًا من الفِتْنَةِ. وفي هذا الخبر نظرٌ لمكان المعارضة في أمره، ﷺ، بسؤال العافية والإمتاع بالإسماع والإبصار.

(١) هي بَلَش مألقة Velez Malaga، وقد ذكرها ياقوت مكتفياً بالقول: «بَلَش»، بالفتح وتشديد اللام والشين معجمة: بلد بالأندلس ينسب إليه يوسف بن جبارة البلشي». معجم البلدان (ج ١ ٤٨٤).

(٢) ترجمة محمد بن أحمد الأنصاري الساحلي في نيل الابتهاج (ص ٢٣٠) والكتيبة الكامنة (ص ٤٥).

شهرته: وجعل الله له في قلوب كثير من الخلق، الملوك فَمَنْ دَوْنَهُمْ، من تعظيمه ما لا شيء فوقه، حتى أن الشيخ المُعمر الحجة الرحلة أبا علي ناصر الدين المشدالي كتب إليه من بجاية بما نصه: يا أيها العزيز، مسنا وأهلنا الضر، وجئنا ببضاعة مُزجاة، فأوف لنا الكيل، وتصدق علينا، إن الله يجزي المتصدقين. وبعده: من العبد الأصغر والمحب الأكبر فلان، إلى سيد العارفين، وإمام المحققين، في ألفاظ تناسب هذا المعنى.

حدثني شيخنا أبو الحسن بن الجيَّاب، وكان من أعلام تلاميذه، وصدور السالكين على يديه، قال: قصدت منه خلوة، فقلت: يا سيدي، أصحابنا يزعمون أنك ترى رسول الله ﷺ، فأخبرني واشف صدري، هل هذه الرؤيا عينية أو قلبية؟ قال: فأفكر ساعة، ثم قال: عندي شك في رؤية ابن الجيَّاب الساعة ومحدثته، فقلت: لا، فقال: كذلك الحال، قلت: وهذا أمر غريب، ولا يصح إلا رؤية القلب، ولكن غلبت عليه حتى تخيل في الحسن الصورة الكريمة، إذ وجود جوهر واحد في محلين اثنين محال.

شعره: نظم الكثير من شعر مُنحط لا يصلح للكتب ولا للرواية، ابتلي به، رحمه الله، فمن لبابه قوله، وهو من الوسط<sup>(١)</sup>: [الكامل]

إن كنت تأمل<sup>(٢)</sup> أن تنال وصالهم فامح الهوى في القيل والأفعال  
واصبز على مَرِّ الدوائ فإنه يأتيك بغد بخالص السُّلَسَالِ

تواليفه: ألف كتاباً سماً «إعلان الحجة»، في بيان رسوم المحجة.

وفاته: توفي يوم الجمعة الرابع والعشرين لشوال عام خمسة وثلاثين وسبعمائة، وكانت جنازته مشهودة، تراحم الناس على نعشه، وتناولوه تمزيقاً على عاداتهم من ارتكاب الفحة الباردة في مسلاخ حُسن الظن.

### محمد بن أحمد بن قاسم الأمي

من أهل مالقة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بالقطان، الفقيه الأواب المتكلم المجتهد.

حاله: من «العائد»: كان هذا الرجل غريب المنزع، عجيب التصوف. قرأ وعقد الشروط، وتصدر للعدالة، ثم تجرد، وصدق في معاملته لله، وعول عليه،

(١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٤٥). (٢) في الكتيبة: «تطلب».

واضطلع بشروط التَّوْبَةِ، فتحلَّل من أهل بلده، واستفاد واستزحم، واستغفر، ونَقَضَ يديه من الدُّنْيَا، والتزم عبادة كبيرة، فأصبح يُشار إليه في الزُّهْد والوَرَع، لا تراه إِلَّا متبسِّمًا، ملازمًا لذكر الله، متواضعًا لأصاغر عِبَادِهِ، محبًّا في الضُّعْفَاء والمساكين، جميل التَّخَلُّق، مُغْضِيًا عن الهِنَات، صابرًا على الإفَادَةِ. وجلس للجُمُهور بمجلس مألَّفَةٍ، يتكلم في فنون من العلم، يعظُّ الناس، ويُرشدهم، ويُزهِدُهم، ويحملهم على الإِثَارِ، في أسلوب من الاستنفار والاسترسال والدلالة والفصاحة والحفظ، كثير التأثير في القلوب، يخبر بالهام وإعانة، فمال الخلق إليه، وتزاحموا على مجلسه، وأعلنوا بالتَّوْبَةِ، وبادر مُتَرَفُّوهم إلى الإقلاع عن إجابة الشهوات، والاستقالة من الزُّلَّات، ودَّهَمَ الوباء، فبذلوا من الأموال في أبواب البرِّ والصَّدَقَةِ، ما لا يأخذه الحَضَرُ ولا يدركه الإِخْصَاء، ولولا أن الأجل طرَّقه، لعظُم صيته، وانتشر نفعه.

**وفاته:** توفي شهيد الطَّاعون عصر يوم الأربعاء الرابع لصفر من عام خمسين وسبعمئة، ودفن بجبانة جبل فاره<sup>(١)</sup>، ضحى يوم الخميس الثاني من يوم وفاته، وصلى عليه خارج باب قِثْنَالَةٍ، وألَّحَدَ في قبره الخطيب القاضي الصالح أبو عبد الله الطَّنْجَالِي، رحم الله جميعهم.

ومَن رثاه الشيخ الأديب أبو الحسن الوَرَاد فقال: [الطويل]

أَبْغَدَ وَلِيَّ اللَّهِ دَمْعِي يُسْجَمُ	وِغِمَارِ قَلْبِي مِنْ كُلوْمٍ تُتَزَجَّمُ؟
فَوَادِي مَكْلُومٍ بِحُزْنِي لَفَقَدَهُ	لِذَاكَ جُفُونِي دَمْعُهَا كُلُّهُ دَمٌ
وَمَاذَا عَسَى يُغْنِي التَّفْجُعَ وَالْبُكَاءَ	وَمَاذَا عَسَى يُجْدِي الْأَسَى وَالتَّيَبُّمُ؟
سَأَصْبِرُ لِلْبَلَوِّ وَإِنْ جَلَّ خَطْبُهَا	فَصَبِرِ الْفَتَى عِنْدَ الشَّدَائِدِ يُغْلَمُ
كَذَا الْعِلْمُ بِالسَّيْفِ الصَّقِيلِ لَدَى الْوَعَى	فَوَيْقَ الَّذِي مِنْ حُسْنِهِ لَا يَوْسَمُ <sup>(٢)</sup>
عَلَى قَدَرٍ صَبِرِ الْمَرْءِ تَضَعُرُ عِنْدَهُ	خَطُوبٌ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى النَّاسِ تَعْظُمُ
أَلَا إِنَّهَا الدُّنْيَا تَعِلَّةٌ بَاطِلُ	وَمَخْمَضُ <sup>(٣)</sup> أَحْلَامٍ لِمَنْ بَاتَ يَخْلُمُ
تَجَنَّبَهَا أَهْلُ الْعُقُولِ فَأَقْصَرُوا	وَأَغْرَقَ فِيهَا الْجَاهِلُونَ وَأَشْأَمُوا <sup>(٤)</sup>

(١) جبل فاره: بالإسبانية Gibralfaro، يعلو مدينة مالقة. نزهة المشناق (ص ٥٧٠).

(٢) كلمة «لا» ساقطة في الأصل.

(٣) في الأصل: «ومَخْمَضَةٌ» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «وأشأم».

أَعِذْ نَظَرًا فِيهَا تُجِيبُكَ بَرَاةُ  
 أَعِدْ لَهَا دِرْيَاقَ صَبْرِكَ إِنَّهَا  
 تَلَفَّتْ إِلَى تَعْذِيبِهَا لِمَحَبَّتِهَا  
 يُظَنُّ بِهَا رِيحَانَةٌ وَهِيَ سِدْرَةٌ  
 عَجِبْتَ لَهَا تَخْفَى عَلَيْنَا غُيُوبُهَا  
 أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ يُعَوَّلَ عَاقِلٌ  
 وَمَا وَضَلَهَا مِغْشَارُ عُشْرِ صُدُورِهَا  
 إِذَا ابْتَسَمَتْ يَوْمًا تَرْقُبُ عُيُوسَهَا  
 ضَحَى كَانَ وَجْهُ الدَّهْرِ سَبْرٌ بِشْرُهُ  
 ذَرِينَا بِعَقْدٍ مِنْ وَلِيِّ مَكَانَهُ  
 هَوَى مِثْلَ مَا هَوَى مِنَ الْأَفْقِ كَوَكَبُ  
 تَسَاوَى لَدَيْهِ صَيْدُهَا وَعَبِيدُهَا  
 هُوَ الْمَوْتُ لَا يَنْفِكُ لِلْخَلْقِ طَالِبًا  
 وَمَا هُوَ إِلَّا الدَّاءُ عَزَّ دَوَاؤُهُ  
 دَهَا كُلَّ مَخْلُوقٍ فَمَا مِنْهُ سَيِّدٌ  
 وَلَوْ كَانَ ذَا كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ  
 تَعَنَّى بِهِ مُوسَى وَيُوسُفُ قَبْلَهُ  
 بِهِ بَادَ بِهَرَامٍ وَتُبِّرَ بِهَرَمٍ  
 وَكَمْ مِنْ عَظِيمِ الشَّانِ حَلٌّ بِرَبِّعِهِ  
 وَلَكُنَّا نُنْهِى وَنَأْبَى حَدِيثَهُ  
 فَحَتَّى إِذَا حَلَّ سَاحَةَ مَا جِدَ  
 نَسِينَا حَدِيثَ الْمَوْتِ جَهْلًا بِعَذْرِهِ  
 وَفَاةٌ وَرَمَى فِي الثَّرَابِ مُوسَدٌ  
 خَبَا ضَوْءُ نَادِيٍّ فَأَقْفَرُ<sup>(٥)</sup> رَبُّعُهُ

وَأَنْسَ<sup>(١)</sup> بِمَا تَقْضِي عَلَيْكَ وَتَحْكُمُ  
 مِنَ الْبُؤْسِ وَالتَّلَوِينِ وَاللَّهِ أَزْقَمُ  
 وَمَاذَا بِهَا يَلْقَى كَثِيبٌ وَمُغْرَمٌ  
 وَلَا مُنْتَهَى إِلَّا الرَّدَى وَالتَّنْدَمُ  
 وَذَاكَ لِأَنَّا فِي الْحَقِيقَةِ نُؤْمُ  
 عَلَى عَاجِلٍ مِنْ وَضَلِهَا يَتَصَرَّمُ؟  
 وَلَكِنَّهُ صَرَفٌ وَلِلدَّهْرِ<sup>(٢)</sup> أَذْوَمُ  
 فَمَا إِنْ لَنَا مِنْهَا يَدُومُ التَّبَسُّمُ  
 فَلَمْ يُنْسَ حَتَّى بَانَ مِنْهُ التَّجَهُُّمُ  
 مَكِينٌ لَدَى الْعِلْيَاءِ سَامٍ مَعْظَمُ  
 فَجَلَّلْنَا لَيْلٍ مِنَ الْخَطْبِ مُظْلَمُ  
 وَعَالِمُهَا النُّحْرِيرُ وَالْمُتَعَلَّمُ  
 يَرْوَحُ وَيَغْدُو كُلَّ حِينٍ عَلَيْهِمُ  
 فَلَيْسَ لَشَيْءٍ فِي الْبَسِيطَةِ يُخْصَمُ  
 لَهُ الْجَاءُ عِنْدَ اللَّهِ يَنْجُو وَيَسْلَمُ<sup>(٣)</sup>  
 تَجَبَّبَهُ، صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا<sup>(٤)</sup>  
 وَنُوحٌ وَإِدْرِيسُ وَشَيْثُ وَآدَمُ  
 وَكُسَّرَ مِنْ كِسْرَى سَوَارٍ وَمِغْصَمُ  
 فَإِنْ تَخْتَبِرْهُ فَهُوَ رَبٌّ وَأَعْظَمُ  
 وَنُنَجِدُ فِي الْإِعْرَاضِ عَنْهُ وَنُثْمُ  
 نَطْلُ بِهَا مِنْ خَسْرَةٍ نَتَكَلَّمُ  
 فَأَلْهَمْنَا إِذْ هَزْنَا مِنْهُ مُلْهُمُ  
 وَأَثَارُهُ فَوْقَ السَّمَاءِ تُخَيِّمُ  
 مِنَ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ رِبْعٌ وَمُعْلَمُ

(١) فِي الْأَصْلِ: «وَأَنْسَ»، وَكَذَا يَنْكسر الْوِزْنُ، لِذَا جَعَلْنَا هَمْزَةَ الْوَصْلِ هَمْزَةً قَطْعًا.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «لِلدَّهْرِ» وَكَذَا يَنْكسر الْوِزْنُ. (٣) فِي الْأَصْلِ: «فَسَلِّمُ».

(٤) فِي الْأَصْلِ: «وَسَلِّمُ». (٥) فِي الْأَصْلِ: «أَقْفَرُ» وَكَذَا يَنْكسر الْوِزْنُ.

تردّى فأردى فَقَدَهُ أَهْلَ رِيَّةٍ<sup>(١)</sup>      فما مِنْهُمْ إِلَّا كَثِيبٌ وَمُغْرَمٌ  
غدا أهلها من فَجعة بمصابه      وعيشُهُمْ صابٌ قطيع وعَلَقَم  
وهل كان إِلَّا والدٌ مات عنهم؟      فيا مَنْ لِقوم يُتَمُوا حين أَيْمُوا<sup>(٢)</sup>  
قضى نَحْبَهُ الْأُسْتَاذُ واحدٌ عصره      فكاد الْأَسَى يَقْضِي إلى الكلِّ منهم  
قضى نَحْبَهُ الْقَطَانُ فالحزن قاطن      مقيمٌ بأحناءِ الضُّلُوعِ مُحَكَّم  
وهل كان إِلَّا روضة رَفَّ ظلُّها      أتيح له قَيْظٌ من الْجَوْنِ صَنِيمٌ؟  
وهل كان إِلَّا رحمةً عاد فَقَدَها      علامة فَقَدَ الْعِلْمَ والله أَعْلَمُ؟  
سَلِ الثَّائِبِينَ العاكفين على الهدى      لكم مئة أسدى وأهدى إليهم  
أَفَادَهُمْ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ لُبَابِهِ      وفهْمَهُمْ أَسْرَارَهُ فَتَفَهَّمُوا<sup>(٣)</sup>  
جزى الله ربَّ النَّاسِ خَيْرَ جزائه      دليلاً بهم نحو الهدى حيث يَمْمُوا<sup>(٤)</sup>  
أَبَانَ لَهُمْ طُرُقَ الرِّشَادِ فَأَقْدَمُوا      وحذَرَهُمْ عن كلِّ غِيٍّ فَأَخْجَمُوا<sup>(٥)</sup>  
وجاء من التَّعْلِيمِ للخير كله      بَأَبْيَنَ مَنْ يَأْتِي به مَنْ يُعَلِّمُ  
فصاحةً أَلْفَاظٍ وَحُسْنُ عِبَارَةٍ      مضى كما يَمْضِي الحُسَامُ الْمُصَّمَّمُ  
يُصِيبُ فَلَا يُخْطِي إِذَا مَقْصِدًا      وَمَنْ<sup>(٦)</sup> يَجِيبُ فَلَا يُبْطِي وَلَا يَتَلَعَّمُ  
يَحْدُثُ فِي الْأَفَاقِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا      فَأَخْبَارُهُ أَضْحَتْ تُخْطُ وَتُرْسَمُ  
سَرَى فِي الْوَرَى ذَكَرٌ لَهُ وَمَدَائِحُ      يكاد بها طَيْرُ الْعُلَى يَتَرْتَّمُ  
لَعَمْرُكَ مَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ      وما ضَرْنِي لو كنت بالله أَقْسَمُ  
فَقِيَّةً نَزِيَّةً زَاهِدَ متواضع      رُؤُوفٌ عَطُوفٌ مُشْفِقٌ مُتَرَحِّمُ  
يُوَدُّ لو أَنَّ النَّاسَ أَثَرَى جَمِيعَهُمْ      فلم يَبْنُقْ مِسْكِينَ ولم يَبْقُ مُعْدَمُ  
يُوَدُّ لو أَنَّ اللَّهَ تَابَ عَلَى الْوَرَى      فتَابُوا فما يَبْقَى من الكلِّ مُجْرَمُ  
عليه من الرِّحْمَنِ أَوْسَعُ رَحْمَةٍ      فقد كان فينا الدَّهْرُ يَحْنُو وَيَرْحُمُ

(١) رِيَّة: كورة من كور الأندلس في قبلي قرطبة. الروض المعطار (ص ٢٧٩).

(٢) في الأصل: «حين أو يُتَم» وكذا لا يستقيم المعنى ولا الوزن. وأَيْمُ الرجل أو المرأة: قتل زوجه أو جعله أَيْمًا. محيط المحيط (أيم).

(٣) في الأصل: «فتفهم».

(٤) في الأصل: «فأحجم».

(٦) في الأصل: «ولمن» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي  
ابن خالد بن عبد الرحمن بن حميد الهاشمي الطنجالي<sup>(١)</sup>

لوشي<sup>(٢)</sup> الأصل، مالقي النشأة والاستيطان.

أوليته: بيتهم نبيه إلى هاشمية الثبته، وهم يبلدنا لؤشة أشراف، وكانت لهم فيها  
ثزوة وثورة اجتثها الدهر ببعض طوارقه في أبواب المغالبات. ويمت سلفنا إليهم  
بصحة ومصاهرة في حديث يستدعي طولاً، وانتقل خلفهم إلى مالقة.

حاله: من «عائد الصلة»: كان هذا الولي الفاضل، المجمع على ولايته وفضله،  
سهل اللقاء، رفيقاً بالخلق، عطوفاً على الضعفاء، سالكا سُنن الصالح من السلف  
سَمْتاً وهذياً، بصره مغضوض، ولسانه صامت إلا من ذكر الله، وعلمه نافع، وثوبه  
خشن، وطعمته قد قَدَّها الورع الشديد حتى اضطفاها مختارة، إذا أَبْصَرَتْ بها العينُ،  
سَبَقَتْها العبرة. بلغ من الخلق الملوكَ فَمَنْ دونهم الغاية، فكان يلجأ إليه المضطر،  
وَتَمَدَّ إلى عنايته الأيدي، وَتَحَطَّ بفنائه الوسائل، فلا يَزْتَفِعُ عن كُلفِ الناس ولا  
حوادثهم، ولا يَنْقَبِضُ عن الشفاعة لهم، وإصلاح ذات بينهم؛ له في ذلك كله أخبار  
طريفة. واستعمل في السفارة بين ملكي العدو والأندلس في أحوال المسلمين، فما  
فارق هيئته، وركوب جماره واستصحاب زاده، ولبس الخشن من ثوبه. وكان له حظ  
رغيب من فقه وحديث، وتفسير، وفريضة. وُلِّيَ الخطابة ببلده مالقة، واستسقى في  
المحول، فسقي الناس.

حدَّثني بعض أسياخنا، قال: حضرت مقامه مُسْتَسْقِيًا، وقد امتنع الغيث، وقحط  
الناس، فما زاد عند قيامنا أن قال: أستغفر الله، فضجَّ الخلق بالبكاء والعجيج، ولم  
يَبْرَحُوا حتى سُقُوا. وكراماته كثيرة، ذائعة من غير خلاف ولا نزاع.

حدَّث بعض أسياخنا عن الخطيب الصالح أبي جعفر الزيات، قال: رأيت في  
النوم قائلاً يقول: فَقِدَ اللَّيْلَةُ من يَغْمُرُ بَيَّتِ الإخلاص بالأندلس، فما انتصف النهار من  
تلك الليلة حتى وَرَدَ الخبر بموته.

(١) له حفيد يحمل اسمه، ترجم له أبو الحسن النباهي والمقري؛ هو القاضي أبو عبد الله  
محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي، ولي قضاء بلده مالقة  
صدر عام ٧٥٠ هـ. تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٣) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٦٤).

(٢) نسبة إلى لؤش Loja، وهي مدينة من إقليم البيرة، بينها بين البيرة ثلاثون ميلاً. الروض المعطار  
(ص ٥١٣).

مشيخته: من شيوخه الذين قرأ عليهم وأسند إليهم الرواية والده، رحمه الله، وأبو عمرو بن حوط الله، والخطيب ابن أبي ربحانة المزيلى، والقاضي أبو علي بن أبي الأحوص، والراوية أبو الوليد بن العطار، والراوية المحدث أبو بكر بن مشليون، والمقرئ أبو عبد الله بن مستقور الطائي، والأستاذ أبو جعفر الطباع، وأبو الحسين بن أبي الربيع، والمحدث أبو عبد الله بن عيَّاش، والأستاذ أبو الحسن السَّفَّاج الرُّندي، والخطيب بالمرية أبو الحسن الغزَّال. وقرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير. وأجازه من أهل المشرق جماعة منهم أبو عبد الله بن رُزَيْق الشافعي، والعباس أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، وأبو اليمَن عبد الصمد بن أبي الحسن عبد الوهاب بن أبي البركات، المعروف بالنجم، والحسن بن هبة الله بن عساكر، وإبراهيم بن محمد الطبري، إمام الخليل، ومحمد بن محمد بن أحمد بن عبد ربه الطبري، ومحمد بن علي بن وهب بن مطيع القُشيري، وأبو الفتح تقي الدين بن أبي الحسن فخر الدين، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي الشافعي وغيرهم.

ميلاده: بمالقة في رجب سنة أربعين وستمائة.

وفاته: بمالقة في يوم الخميس الثامن لجمادى الأولى من عام أربعة وعشرين وسبعمائة، وقد ناهز الثمانين سنة، لم يتنقص شيء من أعماله المقرَّبة إلى الله، من الصوم والصلاة، وحضور الجماعات، ومُلازمة الإقراء والرواية، والصبر على الإفادة.

حدَّث من يُوثق به أنَّ ولده الفقيه أبا بكر دخل عليه، وهو في حال النَّزع، والمَنيَّة تُحسِّرج في صدره، فقال: يا والدي، أوصني، فقال، وعينه تدمعان: يا ولدي، اتَّق الله حيث كنتَ واتبع السيئة بالحسنة تَمْجها، وخالق الناس بخلقٍ حسن.

### محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البُلْفَيقِي<sup>(١)</sup> ابن الحاج

والد شيخنا أبي البركات. وقد مرَّ في ذكر النَّسب المُتَّصل بعباس بن مرداس، والأولَّية النَّبِيَّة ما يُعني عن الإعادة.

(١) نسبة إلى بُلْفَيق Vellefique، وهي بلدة تابعة لمدينة ألمرية. الإحاطة (ج ٣ ص ٣٤٨) بتحقيق عنان.

حاله: من خطّ ولده شيخنا على الاختصار، قال يخاطبني في بعض ما كتب به إليّ: ذكر أبي، وهو ممن طلبتم ذكره إلي في أخباره جزءاً من نحو سبعين ورقة في المفسّوم، لخصت لك من مبيّضه ما يُذكر:

نشأ، رحمه الله، بسبّنة على طهارة تامة، وعفّة بالغة وصور ظاهر، كان بذلك علماً لشبان مكتبه. قرأ القرآن بالقراءات السبع، وحفظ ما يُذكر من المبادئ، وأتمم بالطلب. ثم تاقث نفسه إلى الاعتلاق بالعروة الوثقى التي اغتلق بها سلفه، فنبت الدنيا، وأقبل على الآخرة، وجرى على سنن المتّقين، أخذاً بالأشدّ من ذلك والأقوى، طامحاً بهمته إلى أقصى ما يؤمله السالكون، فرفض زي الطلبة، ولبس الخشنية، وترك ملابسة الخلُق بالجملة، وبالع في الانقباض عنهم، وانقطع إلى الله برباطات سبّنة وجبالها، وخصوصاً بمينائها، وعكف على ذلك سنين، ثم سافر إلى المغرب، سائحاً في الأرض، على زي الفقهاء للقاء العباد وأهل العلم، فأحرز من ذلك ما شاء. ثم أجاز البحر إلى جزيرة الأندلس، وورد المرية، مُستقرّ سلفه، وأخذ في إثارة بقايا أملاك بقيت لأسلافه بها، على ما كان عليه من التّبئل والإخبات. وكان على ما تلقينا من أصحابه وخُدّانه، صواماً، قواماً، خاشعاً، ذاكرّاً، تالياً، قوّاً لا للحق، وإن كان مرّاً كبيراً في إسقاط التصنع والمباهاة، لا يضاهاى في ذلك، ولا يشقّ غباره. وقَدِم على غرناطة، ودخل على أمير المسلمين، وقال له الوزير: يقول لك السلطان ما حاجتك؟ فقال: بهذا الرسم رحلت، ثم ظهر لي أن أنزل حاجتي بالله، فعازّ على مَنْ انتسب إليه أن يقصد غيره. ثم أجاز البحر وقد اشتدت أحوال أهل الأندلس بسبب عدوّهم، وقدم على ملكه، ووعظه موعظةً أغنف عليه فيها، فانفعل لموعظته، وأجاز البحر بسببه إلى جزيرة الأندلس، وغزا بها، وأقام بها ما شاء الله، وتادب الروم لو تمّ المراد، قال: وأخبره السلطان أبو يوسف ملك المغرب، قال: كل رجل صالح دخل عليّ كانت يده ترعّد في يدي، إلّا هذا الرجل، فإن يدي كانت ترعّد في يده عند مصافحته.

كراماته: وجلب له كرامات عدّة، فقال في بعضها: ومن ذلك ما حدّثني الشيخ المُعلم الثقة أبو محمد قاسم الحضار، وكان من الملازمين له، المنقطعين إلى خدمته، والسفر معه إلى البادية، فقال: إني لأحفظ لأبيك أشياء من الأحوال العظيمة، منها ما أذكره، ومنها ما لا أستطيع ذكره. ثم قال: حدّثني أهل وادي الزّرجون، وهو حُش<sup>(١)</sup> من أعمال سبّنة، قالوا: انصرف السيد أبو عبد الله من هنا، هذا لفظه، فلما استقرّ في

(١) الحش: البستان. محيط المحيط (حش).



رأس العقبة المشرفة على الوادي، صاح عليه أهل القرى، إذ كانوا قد رأوا أسدًا كبيرًا جدًا قد تعرّض في الطريق، ما نجا قط من صادفه مثله، فلما سمع الصياح قال: ما هذا؟ ف قيل له: أهل القرى يصيحون عليه خيفةً من السبع، قال: فأعرض عنهم بيده، ورَفَعَ حاجِبَه كالمُتَكَبِّر على ذلك، وأسكتهم، وأخذ في الطَّرِيق حتى وصل إلى الأسد، فأشار عليه بالقضيب، وقال له: من ههنا، من ههنا، أَخْرَجَ عن الطريق، فخرج بإذن الله عن الطريق، ولم يوجد هنالك بعد. وأمثال ذلك كثيرة.

**مشيخته:** قرأ على الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع القرشي، وأجازته والده أبو إسحق إجازة عامة. ومن شيوخه القاضي المُسنّ أبو عبد الله الأزدي، والمحدث أبو بكر بن مشليون، وأبو عبد الله بن جُوهر، وأبو الحسين بن السراج، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الخزرجي، وأبو عبد الله بن الأبار، وأبو الوليد بن العطار، وأبو العباس بن عبد الملك، وأبو إسحق بن عياش، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن عطية، وأبو بكر القرطبي حُميد، وأبو إبراهيم الطُرسِي، والقاضي أبو عبد الله بن عياض، والكاتب أبو الحسن الرُعيني، وأبو الحسن الشَّاري، وأبو يحيى بن الفرس، وأبو إسحق بن عبيد الله، وأبو الحسن الغزَّال، وجماعة من الأندلس غير هؤلاء. ومن أهل العُدوة كأبي يعقوب المحاسبي، وابن فُرْتُون، وغيرهما<sup>(١)</sup>.

**محتته:** نُمي عنه إلى السلطان بالأندلس، أنه أغرَى به ملك المغرب، وتخلَّص بعد لأي في خبر طويل، وانتهب السلطان ماله، وألحق أملاكه بالمختص<sup>(٢)</sup>، واستمرَّ، وذلك إلى دولة والده، وامتنح السَّاعون به، فعبَّجَل الله عقوبتهم.

**مولده:** قال شيخنا: نقلت من خطِّ أبيه ما نصّه: وُلد ابني أبو بكر محمد، أسعده الله ووفَّقه، في النصف الأول من ليلة يوم الاثنين الحادي والعشرين لذي قعدة من سنة ست وأربعين وستمائة.

**وفاته:** قال: أَلْفِيَتْ بخط القاضي الأديب الكاتب أبي بكر بن شُبْرين، وكان ممن حضر جنازته بسبَّته، وكانت وفاة الفقيه النَّاسك السَّالِك الصَّالح أبي بكر محمد بن الشيخ الفقيه المحدث أبي إسحق السلمي البُلْفِيقي في العشر الأواخر من رمضان أربعة وتسعين وستمائة، بمخروسة سبَّته، ودفن إثر صلاة العصر بجبَّانة الخُرُوبة من منارتها بمقبرة من قبر ربحان الأسود العبد الصَّالح، نفع الله به. وصلى عليه الإمام أبو عبد الله بن حُرَيْث.

(١) في الأصل: «وغيرهم».

(٢) المختص: المستخلص، وهو الأملاك السلطانية.

## محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن مالك ابن إبراهيم بن يحيى بن عباد التَّفْزِي<sup>(١)</sup>

من أهل رُنْدَة، يكنى أبا عمرو، ويعرف بابن عباد، الحاجّ الصُّوفي.

**حاله:** نشأ ببلده رُنْدَة، وهو من ذوي البيوتات الأصيلة بها، ثم رَحَلَ إلى المشرق، ولقي العلماء والصُّوفية، وحضر عند المَشِيخَة، ثم كَرَّ إلى الأندلس، فتصوف، وجال في التَّوَاحي، وأطرح السُّمُوت، وفوَّت ما كان بيده من متاع الدُّنْيَا، وكان له مالٌ له خطر، وألقى التَّصَنُّع لأهله رأساً. وكان فيه تَوَلُّه وَجِدَّة، وله ذَهْنٌ ثاقب، يتكلم في المعقولات والمَنقُولات، على طريقة الحُكَمَاء والصُّوفية، ويأتي بكل عبارة غريبة، وأثاره هائلة من غير تمكُّن عِلْم، ولا وَثَاقَة إدراك، غير أنك لا تسمع منه إلَّا حَسَنًا، وهو مع ذلك طَوَّاف على البلاد، زوَّار للرُّبُط، صَبَّار على المجاهدة طَوْعًا وضرورةً، ولا يسألُ ثيابًا البتَّة إلَّا بَذْلَةً من ثوب أو غيره، صَدَقَةٌ واحد في وقته.

**محنته وفضله وشعره:** نُمي عنه كلامٌ بين يَدَيِّ صاحب المغرب، أَسِيفَ به مُدَبِّر الدولة يومئذ، فأشخص عند إِيابه إلى رُنْدَة وسُجِنَ بِسِجْنِ أَزْيَاب الجرائم، فكتب إلى وليّ الأمر: [الطويل]

تركتُ لكم عزَّ الغنى فابَيْتُم      وأن تتركوني للمَذَلَّة والفَقْرِ  
ونازعتموني في الخمول وإنه      لذي مُهْجتي أخلى من البِنَى والأمرِ

ثم قال: يا مَنْ رمانى بِسَهْمِهِ الغربُ، قد رُدَّ عليك مَخْضُوبًا بالدَّم. قال: فوالله ما مَرَّت ثلاثة، حتى نفذ حُكْمُ الله فيمن عدا عليه.

وشعره حسن يدلُّ على طبعٍ مَعِين، فمن ذلك: [الكامل]

سُرَى يُسِيرُ إِلَيَّ أنك تاركِي      نَفْسي الفِدَاء لِلطُّفِكِ المُتَدَارِكِ  
يا مالكي وليّ الفخارُ بأنني      لك في الهوى ملكٌ وأنت مالِكِي<sup>(٢)</sup>  
التَّرْكُ هَلْكَ فاعفني منه وعِدْ      بالوَضْلِ تُحيي ذا<sup>(٣)</sup> مُجِبُّ هَالِكِ

(١) ولد ابن عباد التفزي برنده عام ٧٣٣ هـ وتوفي عام ٧٩٢ هـ، وترجمته في الكتيبة الكامنة (ص ٤٠) ونيل الابتهاج (ص ٢٨٧) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣١٨).

(٢) في الأصل: «مالك» بدون ياء.

(٣) في الأصل: «ذما» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

إِنْ لَمْ تُعِذْهُ إِلَيَّ مَنْ لِّلْهَالِكِ؟  
فُتِنَ الْوَرَى مِنْ فَاتِكَ أَوْ نَاسِكَ  
ذَاكَ الْجَمَالُ جَلَا الظَّلَامِ الْحَالِكِ؟  
تَكُنِ الدَّلِيلُ اخْتَلَّ قَصْدُ السَّالِكِ  
فَهَجَزْتَنِي فَكُسِبَتْ ثُوبُ الْهَاتِكِ  
مَا حَاكَه لِّلْبَثْرِ كَفُّ الْحَائِكِ  
وَاهْتِكِ وَصِلْ إِنْ شِئْتَ أَوْ كُنْ تَارِكِي<sup>(٢)</sup>  
تَرْكِي فَهَلْكَ الْمَلِكُ تَرَكَ الْمَالِكِ

وَأَعِذْ جَمِيلًا فِي الْهَوَى عَوِّذْتَنِي  
يَا مُنِيَّةَ الْقَلْبِ الَّذِي بِجَمَالِهِ  
آتِيهِ<sup>(١)</sup> دُونَكَ أَوْ أَحَارَ وَفِي سَنَى  
وَلَكُمْ سَلَكْتُ إِلَيْكَ لَكِنْ حِينَ لَمْ  
وَلَقَدْ عَرَفْتُ بَسْتَرِ سَرِّي فِي الْهَوَى  
مَا السَّتَرُ إِلَّا مَا يَحُوكُ رِضَاكَ لَا  
مَا الْفَضْلُ إِلَّا مَا حَكَمْتَ بِهِ فَصْنُ  
مَا لِي سِوَى حُبِّكَ يَا حُبِّي فَدَغْ

وَقَالَ أَيْضًا<sup>(٣)</sup>: [الكامل]

هَلْ نَسَمَةٌ عَادَتْهُ مِنْ نُعْمَانِهِ؟  
عَنْ أَجْرِعِ الْعَلَمِينَ أَوْ سُكَّانِهِ  
مُضْنِي فِيهِ الْبُرْءُ مِنْ أَشْجَانِهِ  
مَنْ قَدْ رَوَاهُ<sup>(٤)</sup> وَحَبُّذَا بَبِيَانِهِ  
وَيَعْرِزُ قَدْرُ زَمَانِهِ وَمَكَانِهِ  
ذُقْتَ الْهَوَى وَتَجَوَّتَ مِنْ عُذْوَانِهِ  
أَنْبَائِهِمْ بِلِسَانِ حَالِ كِيَانِهِ<sup>(٥)</sup>  
وَيَقْلُ بِذَلِّ دُمَايَ فِي تَبِيَانِهِ  
بَشْدًا<sup>(٦)</sup> خُزَامَاهُ وَطِيبَ لِيَانِهِ<sup>(٧)</sup>  
وَيُسْقِمُهُ<sup>(٨)</sup> سُقْمِي فَدَيْتُكَ عَائِيهِ  
شَوْقًا لِنَفْحَةِ نَسَمَةٍ<sup>(٩)</sup> مِنْ بَانِهِ  
عَنْ خَسْرِ مِنْ أَهْوَاهُ أَوْ إِحْسَانِهِ<sup>(١٠)</sup>

هَذَا الْعَقِيقُ فَسَلْ مَعَاطِفَ بَانِهِ  
وَأَسْأَلُهُ إِنْ زَارْتَهُ مَاذَا أَخْبَرْتَ  
وَأَصْبَحْ لِحَسَنِ حَدِيثِهَا وَأَعِذْهُ لَدَّ  
يَا حَبُّذَا ذَاكَ الْحَدِيثُ وَحَبُّذَا  
وَسَقَى الْإِلَهَ زَمَانَهُ وَمَكَانَهُ  
يَا سَعْدُ، سَاعِدْ مُسْتَهَامًا فِيهِ لَا  
وَأَصْبَحْ لِمَا يَنْتَلُو<sup>(١١)</sup> الْوُجُودُ عَلَيْكَ مِنْ  
وَأَيْنُهُ لِي وَاقْبَلْ دُمَامِي بِشَارَةٍ  
وَسَلِ النَّسِيمَ يَهْبُ مِنْ وَادِيهِمْ  
أَزْحَمَ بِرُوحٍ مِنْهُ رُوحِي تُخَيِّرُهُ  
وَبِنْشَرِهِ أَنْشُرْ نَفْسَ مُشْتَاكِ قَضَتْ  
يَا سَعْدُ، حَدَّثْنِي فَكَلِّ مُخَبَّرَ

(١) في الأصل: «آتيه» وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «تارك» بدون ياء.

(٣) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٤١ - ٤٢).

(٤) في الأصل: «رفاه» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٥) في الكتيبة: «يجلو». (٦) في الكتيبة: «بيانه».

(٧) في الأصل: «شدًا» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٨) في الأصل: «لبانه» بالياء الموحدة، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٩) في الأصل: «ويسقمه» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(١٠) في الكتيبة الكامنة (هَبَّيْ). (١١) هذا البيت غير وارد في الكتيبة الكامنة.

يا سَعْدُ، حَدَّثْنِي حَدِيثًا<sup>(١)</sup> عَنْهُمْ  
يا سَعْدُ، طَارِخِيهِ وَاِمْلَأْ مِسْمَعِي  
أَنَا فِي الْغَرَامِ أَخُوكَ حَقًّا وَالْفَتَى  
قُلْ كَيْفَ وَاذِي وَدَ<sup>(٣)</sup> سَكَّانَ الْحَمَى  
هَلْ قُلِّصَتْ أَيْدِي النَّوَى مِنْ ظِلِّهِ؟  
وَهَلِ الرَّبُوعُ أَوْاهِلٌ بِحِمَى لَهُمْ<sup>(٥)</sup>  
وَهَلِ التَّقَى بَانَ عَلَى عَهْدِ النَّوَى<sup>(٨)</sup>  
فَبِرَوْضٍ أَنْتَهُمْ عَهْدَتْ<sup>(٩)</sup> نَضَارَةٌ  
وَأَرَى هَجِيرَ الْهَجْرِ أَذْبَلَ يَانَعًا  
وَأَحَالَ حَالَ الْأَنْسِ فِيهِ وَخَشَةً  
آهًا وَوَالْهَفَى وَيُنْحِي أَنْ مَضَى  
وَبِأَجْرُعِ الْعَلَمَيْنِ مِنْ شَرْقِيهِ  
حَازَ الْمُحَاسِنَ كُلَّهَا فَجَمَعَنَ لِي  
وَزَهَا عَلَيَّ بَعْرَةً<sup>(١٢)</sup> فَبَوَاجِبِ  
وَقَضَى بَانَ أَقْضَى وَلَيْتَ بِمَا قَضَى  
وَاخْتَارَ لِي أَنْ لَا أَمِيلَ لِسَلْوَةٍ  
يَا عَاذِلِي أَوْ نَاصِحِي أَوْ لَائِمِي  
غَلَبَ الْغَرَامُ وَعَزَّ سُلْطَانُ الْهَوَى

وَيَجْلُ قَدْرُ الْحُبِّ عَنْ نِسْيَانِهِ  
مِنْ سِرِّهِ إِنْ شِئْتَ أَوْ إِعْلَانِهِ  
لَا يَكْتُمُ الْأَسْرَارَ عَنْ<sup>(٢)</sup> إِخْوَانِهِ  
وَمُنَى أَمَانِيهِ وَرَوْضُ لِسَانِهِ؟<sup>(٤)</sup>  
أَوْ مَا جَرَى هَلْ عَاثَ فِي جَرْيَانِهِ؟  
فَسَقَى<sup>(٦)</sup> الرَّبُوعَ الْوَدْقَ<sup>(٧)</sup> مِنْ هَتَائِهِ؟  
وَهَلِ اللَّوَى يَلْوِي بَعْدَ زَمَانِهِ؟  
نَزَّهَتْ مِنْهَا الطَّرْفُ<sup>(١٠)</sup> فِي بُسْتَانِهِ  
مِنْهُ وَأَذَوَى الْعَصْفُ مِنْ رِيحَانِهِ  
وَطَوَى بِسَاطِ الْأَنْسِ فِي هِجْرَانِهِ  
عَهْدُ عَرَفْتُ الْأَنْسَ فِي أَزْمَانِهِ  
حَبُّ غَدَانِي حُبُّهُ بَلْبَانِهِ  
كَلَّ الْهَوَى فَحَمَلْتُ<sup>(١١)</sup> كَلَّ هَوَانِهِ  
أَزْهُو<sup>(١٣)</sup> بِذَلِّي فِي يَدَيِّ سُلْطَانِهِ  
يَرْضَى فَطِيبُ الْعَيْشِ فِي رِضْوَانِهِ  
عَنْ حُبِّهِ فَسَلَوْتُ عَنْ سُلْوَانِهِ  
تَبْغِي السَّلْوَ وَلَاتِ حِينَ أَوَانِهِ  
فَالْكُلُّ فِيهِ عَلَيَّ مِنْ أَعْوَانِهِ

(١) في الأصل: «... حَدَّثْنِي فَكَلَّ حَدِيثٍ عَنْهُمْ» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٢) في الأصل: «من» والتصويب من الكتيبة. (٣) في الكتيبة الكامنة. «وإد».

(٤) في المصدر نفسه: «أمانه».

(٥) في الأصل: «بجمالهم» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٦) في الأصل: «فَسَقَى لِلرَّبُوعِ...» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٧) الْوَدْقُ: المطر. (٨) في الكتيبة «الهوى».

(٩) في الأصل: «غمدت» والتصويب من الكتيبة. (١٠) في الكتيبة «القلب».

(١١) في الكتيبة الكامنة: «وحملت».

(١٢) في الكتيبة الكامنة: «بعرّه».

(١٣) في الكتيبة الكامنة: «أزهى».

فعلام تغيب مُستهماً، كلُّ ما<sup>(١)</sup> في الكون عازرُهُ على هَيْمانه<sup>(٢)</sup>  
 دَغ عنكَ لؤمي إنني لك ناصح أبدى الجمالُ العُذر عن هَيْمانه  
 وإذا الفتى قام الجمالُ بعُذره في الحُب فاتركه وَثني عِنايه  
 من سام قلبي في هواه سَلوةً قد سامه ما ليس في إمكانه

وقال في الغرض المذكور<sup>(٣)</sup>: [البسيط]

يا للرِّجال، ألا حِبُّ يساعدنِي غُلِيْتُ فيه وما أجدتُ مُغالبتِي  
 رَكِبْتُ لُجَّتَه وَخدي فأذهشني رَكِبْتُ لُجَّتَه وَخدي فأذهشني  
 واضيعةُ العُمُرِ والبَلوى مضاعفةُ والفَهْفَ نَفْسِي إن أَوَدتُ وما ظَفِرْتُ  
 فليت<sup>(٨)</sup> شِعري وعُمري ينقضي طمَعًا هل الألى<sup>(١٠)</sup> مَلَكُوا رِقِي وقد علموا  
 فكم أكفكف دمعِي بعدهم وأرى وكم أمرُّ على الأطلال أنْدُبها  
 وفي الفؤاد لَهُم ما ليس يَعلَّمه أُنْهَمِي المدامعَ كَيَّ أُرَوِّى فَتُغَطِّشُنِي  
 وكلُّ مَنْ لَمَحَتْ عيني أسائِلُهُ يا أهْلَ نَجْدٍ وفَخْرِي<sup>(١٢)</sup> أن أحْبِكمُ  
 هل للهوى<sup>(١٣)</sup> من سبيلٍ للمُنَى فلقد في ذا الغرام فأبكيه وَبَيْكِينِي؟<sup>(٤)</sup>  
 وهنَّتْ والصَّبُّ أولى الناس بالهون ومِتُّ<sup>(٥)</sup> في يده فردًا فدلُّوني<sup>(٦)</sup>  
 ما بين يأسٍ وآمالٍ تُرَجِّجُنِي<sup>(٧)</sup> في ذا الهوى بتمنُّ أو بتأمين  
 في ذا الهوى<sup>(٩)</sup> بين مَغْلُوب ومَغْبُون بذلَّتِي<sup>(١١)</sup> وافتقاري أن يُواسوني؟  
 مُجدِّداً نازَ يَأْسِي وهي تُبْلِينِي وبالمنازلِ من خَيْفٍ ودارينِ  
 هُم، عِلْمُهُم بالحال يكفينِي وألْزَمُ الذَّكَرَ للسُّلوى فيُشْجِجُنِي  
 عنهم فيُغْري بهم قَلْبِي ويُغْرينِي لا أَطْلُبُ الوضْلَ عَزَّ الحُبُّ يُغْنِينِي  
 عَزَّتْ أمانِيه في الدُّنيا وفي الدِّين

(١) في الأصل: «كلُّ ما» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٢) في الأصل: «شيمانه» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٣) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٤٣).

(٤) في الأصل: «ويكِين» بدون ياء، والتصويب من الكتيبة.

(٥) في الكتيبة: «وتَهت».

(٦) في الأصل: «فدلُّون» بدون ياء.

(٧) في الأصل: «ترجِج» بدون ياء.

(٨) في الكتيبة: «في الحُب ما بين...».

(٩) في الأصل: «الأولى» والتصويب من الكتيبة.

(١٠) في الأصل: «بذلِّي» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(١١) في الكتيبة الكامنة: «ومجدي».

(١٢) في الكتيبة الكامنة: «في الهوى».

## محمد بن يوسف بن خَلْصُون

يكنى أبا القاسم، روطي<sup>(١)</sup> الأصل، لوشية<sup>(٢)</sup>، سكن لَوْشَة وغرناطة ومالقة.

حاله: كان من جَلَّة المشيخة وأعلام الحكمة، فاضلاً، مُنقطع القرين في المعرفة بالعلوم العَقَلِيَّة، متبحراً في الإلهيات، إماماً في طريقة الصُوفِيَّة، من أهل المقامات والأحوال، كاتباً بليغاً، شاعراً مجيداً، كثير الحلاوة والطلاوة، قائماً على القرآن، فقيهاً أصولياً، عظيم التخلُّق، جميل العِشرة. انتقل من حصن رُوطَة إلى الخطابة والإمامة بلَوْشَة، كثير الدُّووب على النَّظَر والخُلُوة، مقصوداً من مُنتجلي ما لديه ضرورة. لم يتزوج، وتمالأت عليه طائفةٌ ممن شأنها الغُضُّ من مثله، فانزعج من لَوْشَة إلى مالقة، فتحرف بها بصناعة الطَّب، إلى حين وفاته.

حدَّثني والدي، وكان خبيراً بأحواله، وهو من أصحاب أبيه، قال: أصابَتْ الناس شدَّةٌ فَحَط، وكانت طائفة من أصداده تقول كلاماً مُسَجَّعاً، معناه: إنكم إن أخرجتم ابن خَلْصُون من بينكم، مُطَرْتَم. قال: فانزعج عنها، ولما كان على أميال نزل الغيث الرغد، قال: فسَجَد بموضعه ذلك، وهو معروف، وقال: سيدي، وأسوي عندك هذا المقدار، وأوجب شُكرائنا. وقدم غَرناطَة، وبها الأستاذ أبو عبد الله الرَّقُوطِي، وله استيلاءٌ على الحُظُوة السلطانية، وشأنه اختبار مَنْ يرد على الحضرة ممن يحمل قُتاً، وللسلطان على ابن خَلْصُون موجدَةٌ، لمدحه في حديثه أحد الثوار عليه بِقُمارش<sup>(٣)</sup>، بقصيدة شهيرة. فلما حضر، سأله الأستاذ: ما صناعتك، فقال: التصوُّف، فالتفت إلى السلطان وقال: هذا رجل ضعيفٌ لا شيء لديه، بحيث لا يُفَرِّق بين الصُّنْاعة وغيرها، فصرفه رحمه الله.

توالياً: وتوالياً كثيرة، تدل على جلالته وأصالته معرفته، تنطق عِلْماً وحكمة، وتروق أدباً وظَرْفًا. فمن ذلك كتابه في «المحبة»، وقفت عليه بخط جَدِّي الأقرب سَعِيد، وهو نهاية. وكتاب «وصف السلوك»، إلى ملك الملوك، عارض به مِعْراج

(١) نسبة إلى روطَة: Rueda، وهي حصن يقع شمال مدينة شريش. وهي غير روطَة أحد حصون سرقسطة.

(٢) نسبة إلى لَوْشَة Loja، وهي مدينة بالأندلس، بينها وبين البيرة ثلاثون ميلاً. الروض المعطار (ص ٥١٣).

(٣) قمارش: بالإسبانية Comares، وهي بلدة بالأندلس تقع شمال شرقي مالقة في سفح جبل الثلج (سييرا نفادا).

الحاتمي، فبان له الفضل، ووجبت المزيّة، ورسالة «الفنق والرثق»، في أسرار حكمة الشرق».

شعره: من ذلك قوله: [الكامل]

هل تعلمون مصارع العُشّاق  
والْبَيْنُ يَكْتُبُ مِنْ نَجِيعِ دُمَائِهِمْ  
لو كنت شاهدَ حالهم يوم التّوى  
منهم كَيْيبٌ لا يَمَلُّ بِكَأُوهُ  
ومُحَرِّقُ الأحشاء أَشْعَلَ نَارَهُ  
ومُوَلَّةٌ لا يَسْتَطِيعُ كَلَامَهُ  
خَرَسَ اللسان فما يُطِيقُ عبارة  
ما للمحبِّ من المَثُونِ وقايةً  
مولاي، عَبْدُكَ ذَاهِبٌ بِغَرَامِهِ  
إني إليك بِذِلَّتِي متوسِّلُ

ومن شعره أيضًا: [الكامل]

أَعِدِ الحديثَ إِذَا وَصَفْتَ جماله  
يا واصفِ المحبوبِ كَرَزُ ذِكْرِهِ  
فيذكر من أهوى وشرح صفاته  
طَابَ السَّماعُ بوصفه لمسامعي  
قلبي يِلْدُ ملامَةً في حُبِّهِ  
يا عاذِلِي أو ما تَرِقُّ لِسَامِرِ

ومن شعره أيضًا: [الكامل]

إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ حُبَّنَا وَهَوَانَا  
فاسجِرْ لِنَفْسِكَ إِنْ أَرَدْتَ وَصَالَنَا

(١) في الأصل: «ويلاق» بدون ياء.

(٢) أصل القول: «فأدرك»؛ لأن الفعل رباعي، وكذا ينكسر الوزن، لذا حذفنا همزة القطع وجعلناها همزة وصل.

(٣) في الأصل: «الباق» بدون ياء.

واخلع فؤادك في طِلابِ وِدَادنا  
فلِذَا قَنِيتَ عن الوجود حَقِيقَةً  
أَوْ مَا عَلِمْتَ الحُبَّ فِيهِ عِبْرَةً  
وَابْذُلْ لُبَّابَكَ إِن وَقَفْتَ بِبَابِنَا  
مَا لَعَلَّعَ مَا حَاجِرُ مَا رَامَةً  
إِنَّ الجمالَ مُخَيِّمٌ بِقِيَابِنَا  
نحن الأَجِبَةُ من يَلْذُ بِفَنَائِنَا  
نحن الموالِي فَاخْضَعَنَّ لِعِزَّنَا<sup>(١)</sup>  
إِنَّ التَّذَلُّلَ لِلتَّذَلُّلِ سِخَرُ  
وَاصْبِرْ عَلَى ذُلِّ المَحَبَّةِ والهوى  
تُونُ الهَوَانِ من الهوى مَسْرُوقَةً

ومن لطيف كلامه ورقيق شعره: [الرملى]

لو خيالٌ من حَبِيبِي طَرَقَا  
ونَسِيمُ الرِّيحِ مِنْهُ لو سَرَى  
ومتى هَبَّتْ عَلِيلَاتُ الصُّبَا  
عَجَبًا يَشْكُو فؤَادِي فِي الهوى  
يَا أَهْيَلُ<sup>(٢)</sup> الحَيِّ، لِي فِيكُمْ رِشَا  
بَدْرُ تِمِّ طَالَعِ أَثْمَرَهُ  
رَاقِ حُسْنًا وَجَمَالًا مِثْلَمَا  
أُنْسَ<sup>(٣)</sup> الشَّمْسُ ضِيَاءَ ذَهَبًا  
حُلِّلُ الحُسْنِ عَلَيْهِ خُلِعَتْ

ومن شعره: [البسيط]

دَعَوْتُ مِنْ شَفَّتِي رِفْقًا عَلَى كَبْدِي  
قَلْتُ الخِيَالُ وَلَوْ فِي الثُّومِ يَفْنَعُنِي

فَقَالَ لِي: خُلِقَ الْإِنْسَانُ فِي كَبِدٍ  
فَقَالَ: قَدْ كَحُلْتُ عَيْنَاكَ بِالسُّهْدِ

(١) في الأصل: «لعزَّ نالنا» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٢) في الأصل: «فهن»، وكذا ينكسر الوزن. (٣) في الأصل: «يا أهل»، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «أنسى» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.



فقلت: حَسْبِي بقلبي في تذكُّره  
قلت الوصال حياتي منك يا أُملي  
فقلت: أَهْلًا بما يَرْضَى الحبيبُ به  
قال الوصال فراق الروح للجَسَد  
فإنَّ قلبي لا يَلُوى على أَحَد

ومن أقواله الصوفية، وكلها تشير إلى ذلك المعنى: [الطويل]

ركبنا مطايا شوقنا نَبْتَغِي السرى  
وعينُ الدُّجى قد نام لم يَذرِ ما بنا  
إلى أن رأينا اللَّيْلَ شابَ قَداله  
لَمَحْنَا برأسِ البُغدِ نازًا منيرة  
وأفضى بنا السيرُ الحثيثُ بسُخْرة  
فلَمَّا حلَلْنَا حَبْوةَ السيرِ عنده  
وحرَّكَ ناقوسًا له أَغْجَمَ الصَّدا  
وقال لنا: حُطُّوا حَمِدْتُمْ مَسِيرَكُمْ  
نَعْمْتُمْ صَبَاحًا ما الذي قد أتى بكم  
وراحَتُنَا في الرِّاحِ إن كنت بائعًا  
فقال لكم: عندي مُدام عتيقةٌ  
مُسْغِسةٌ كالشمسِ لكن تَزُوْحَتْ  
وحلَّ لنا في الحينِ خَتَمٌ فِدائِها  
وقلنا: مَنْ السَّاقِي فلاح بوجهه  
وأشْعَلْنَا عن خَمْرِهِ بِجَمَالِهِ  
ومن شعره في المعنى: [البسيط]

يا نائمًا يطلب الأَسْرارَ إِسْرارًا  
أرجع إليك ففِيكَ المُلْكُ مُجْتَمِعٌ  
أنت المِثَالُ وكُرْسِي الصِّفَاتِ قُتَّةٌ  
والطُّورُ والدَّرُّ منشورًا وقد كَتَبَتْ  
فيكَ العِيانُ وَتَبَغِي بَعْدُ آثارًا  
والْقُلُكُ والقُلُكُ العُلُوي قد دارا  
على العوالمِ إِعلانًا وإِسْرارًا  
أَقْلَامُ قُدْرَتِهِ فِي السُّلُوحِ آثارًا

(١) عجز البيت مثل يضرب لمن يحتمل المشقة رجاء الراحة، ويضرب أيضًا في الحث على مزاوله الأمر والصبر. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ٣).

والبيت يَغْمُرُهُ سُرُّ الملائك في  
 وَرَقَعَ اللهُ سَقْفًا أَنْتَ تَسْكُنُهُ  
 وَبَحَرُ فِكْرِكَ مَسْجُورٌ بِجَوْهَرِهِ  
 فَإِنْ رَأَيْتَ بُوَادِي الْقُدْسِ نَارَ هُدًى  
 وَاخْلَعْ لَسْمَعَ النُّدَا نَعْلَيْكَ مُفْتَقِرًا  
 وَغِبْ عَنِ الْكَوْنِ بِالْأَسْمَاءِ مُتَّصِفًا

مِشْكَاةٌ قَلْبِكَ قَدْ أَشْرَجْنَ أَنْوَارًا  
 سَمَاوُهُ أَطْلَعَتْ شُهَبًا وَأَقْمَارًا  
 فَعُضُّ بِهِ مُخْرَجًا لِلدُّرِّ أَسْرَارًا  
 فَائْبُتْ قُنُوزَكَ فِيهَا مَازِجُ النَّارِ  
 إِلَى الْمُنَادِي تَنْلُ عِزًّا وَإِكْبَارًا  
 وَاطْلُبْ مِنَ الْكُلِّ رَبَّ الدَّارِ لَا الدَّارِ

ومن ذلك في هذا المعنى: [الطويل]

أَطْلَبَ مَا فِي الرُّوحِ مِنْ غَامُضِ السَّرِّ  
 عَرَضْتُ لِعِلْمِ أَتْهَمِ الشَّرْعُ بَابَهُ  
 وَلَكِنْ خَبِيرًا قَدْ سَأَلْتُ مُحَقِّقًا  
 وَبَيْنَ يَدَيَّ نَجْوَاكَ قَدَّمَ وَسِيلَةً  
 وَلَا تَلْتَفِتْ جِسْمًا وَلَا مَا يَخُصُّهُ  
 وَخُذْ صُورَةَ كُلِّيةِ جَوْهَرِيَّةِ  
 وَلَكِنْ بِمِرَاةِ الْيَقِينِ تَوَلَّدَتْ  
 كَذَلِكَ لَمْ تَخْذُثْ وَلَيْسَتْ قَدِيمَةً  
 وَلَكِنْ بِذَاتِ الذَّاتِ كَانَ ظُهُورُهَا

وَقَارَعَ بَابَ الْعِلْمِ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ  
 لِكُلِّ جَهْلٍ لِلْحَقَائِقِ لَا يَذْهَبُ  
 فَدُونِكَ فَانْظُمْ مَا نَثَرْتَ مِنَ الدُّرِّ  
 تَقَى اللَّهَ وَاتَّكُمْ مَا فَهَمْتَ مِنَ السَّرِّ  
 مِنَ الْحِسِّ وَالتَّخْيِيلِ وَالْوَهْمِ وَالْفِكْرِ  
 تَجَلَّ عَنْ التَّمْيِيزِ بِالْعَكْسِ وَالسَّبْرِ  
 وَلَيْسَتْ بِذَاتِي إِنْ سَأَلْتَ وَلَا غَيْرِ  
 وَمَا وَصَفْتَ يَوْمًا بِشَفْعٍ وَلَا وَثَرِ  
 إِذَا مَا تَبَدَّتْ فِي الدُّجَى غُرَّةُ الْفَجْرِ

ومن هذا الغرض قوله: [الطويل]

مُشَاهَدَتِي مَغْنَاكَ، يَا غَايَتِي، وَقْتُ  
 مُقَامِي بِقَائِي عَاكِفًا بِجَمَالِكُمْ  
 لِسُنِّ حَالَتِ الْأَحْوَالِ دُونَ لِقَائِكُمْ  
 وَإِنْ كَانَ غَيْرِي فِي الْهَوَى خَانَ عَهْدَهُ  
 وَمَا لِي رَجَاءٌ غَيْرُ نَيْلِ وَصَالِكُمْ  
 نَعَمْ إِنْ بَدَأَ مِنْ جَانِبِ الْأَنْسِ بَارِقُ  
 وَمَهْمَا تَذَكَّرْتُ الْعِتَابَ يَهْزُنِي  
 تَوَاجَدْتُ حَتَّى صَارَ لِي الْوَجْدُ مَشْرَبًا  
 فَهَا أَنَا بَيْنَ الصُّخْرِ وَالْمَخُو دَائِرُ

فَمَا أَشْتَكِي بُغْدًا وَحُبًّا لِي نَعْتُ  
 فَكُلُّ مُقَامٍ فِي الْحَقِيقَةِ لِي تَخْتُ  
 فَإِنِّي عَلَى حُكْمِ الْمَحَبَّةِ مَا حُلْتُ  
 فَإِنِّي وَأَيْمُ اللَّهِ عَهْدِي مَا خُنْتُ  
 وَلَا خَوْفَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ قُوْتُ  
 يُحَرِّكُنِي بَسْطُ بِهِ نَحْوَكُم طُرْتُ  
 لِهَيْبَتِكُمْ قَبْضُ يَغِيبُ بِهِ النَّعْتُ  
 وَلَا حَاجَ وَجُودٍ لِلْحَقِيقَةِ إِذْ غِيبْتُ  
 أَقُولُ: فَلَا حَرْفَ هُنَاكَ وَلَا صَوْتَ

ومنكم سُهودي والوجودُ إذا عُدْتُ<sup>(١)</sup>  
وعند امتحان الرِّسمِ والمخو أثبتُّ  
وفي جَمْعِ جَمْعِي في الحقيقة فُرْتُ  
ولما رَدَدْتُ اللَّحْظَ بالسُّرِّ لي عِشْتُ  
إذا ما بَدَتْ تلكَ البداءةَ لي تُهْتُ  
ولكنْ وميضُ البَرْقِ ليس له تُبْتُ  
وإنْ غُيِبَتْ تلكَ اللُّوَامِعِ أَظْلَمْتُ  
وعند التجلِّي لا محالة دَكَّدْتُ  
وليس يُرى فيهنَّ زِيغٌ ولا أَمْتُ  
ولي نَفْسٌ لولاه من حُبِّكم ذُبْتُ  
فنائي وجُودي<sup>(٢)</sup> والحياة إذا مَتْ  
وفي عالمِ التَّمَكِّينِ عن كُلِّها بِنْتُ  
فلا زُنْبَةٌ عُلُوَّةٌ فوق ما نِلْتُ  
لئن كنتَ أزوَى من شَرَابِك لا كنتَ  
فلسْتُ أَجَلِّي عن رُودٍ متى شئتُ  
ولكنني<sup>(٣)</sup> من صاحبِ الدَّيرِ أُشْكِرْتُ  
جَمالِ المعاني لا المغاني عُلِمْتُ  
وقد نِلْتُها صِرْفًا لعمري<sup>(٤)</sup> ما ضِغْتُ  
وأَرَضَفْتُها صِرْفًا لآثِي قُرْنْتُ  
تَبَدَّدْتُ له شمسًا لها نحوه سَمْتُ  
ومن بان عن أسرارها لي<sup>(٥)</sup> عَمَدُ الموتِ

قُصُودي إليكم والورودُ عليكم  
وفي غَيْبَتِي عُنِّي حضوري لديكم  
وفي فُرْقَتِي الباني بحقَّ جَمَعْتَنِي  
تَجَلَّيْتُ<sup>(٦)</sup> لي حتى دَهَشْتُ مهابةَ  
مُواردٍ حقٍّ بل مواهبٍ غايةَ  
لوائحِ أنوارِ تلوح وتختفي  
ومَهْمَا بدت تلكَ الطُّوالعِ أَدَهَشْتُ  
وهيهاتَ هَيَبَاتِ الجلالِ تردُّني  
نَسْفَنَ جبالي فهي قاعٌ وَصَفَصَفَ<sup>(٧)</sup>  
ولي أدمعُ أَجْجَنَ نارِ جَوَانِحِي  
ألا فانظروا قَلْبَ العيانِ حقيقةً  
مراتبٌ في الثُّلُوبِ نِلْتُ جميعَها  
وعند قيامي عن فَنائي وجدتكم  
ورودٌ وشربٌ ثم لا زِيٌّ بعده  
شربتُ كِئَاسَ<sup>(٨)</sup> الوجودِ مُدَامَةً  
وكيف وأقْداحِ العَوَالِمِ كُلِّها  
تَعَلَّقَ قَوْمٌ بالأواني وإِنِّي  
وأَرْضَعْتُ كَأَسًا لم تُدَسَّسَ بمزجها  
شرباً بها الأبرارُ طاب مزاجُهم  
بها آدمُ نال الخِلافةَ عندما  
وَنَجَتْ لنوحٍ حينَ فَرَّ لِفُلْكِه

(١) في الأصل: «عِدْمْتُ» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٢) في الأصل: «تجليته» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٣) في الأصل: «صفصف» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٤) في الأصل: «ووجودي» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٥) في الأصل: «أكواس»، وكذا ينكسر الوزن، ثم إن كأس تجمع على أكؤس وكؤوس وكئاس.  
لسان العرب (كأس).

(٦) في الأصل: «ولكني» وكذا ينكسر الوزن.

(٧) في الأصل: «... صرْفًا فيا لعمري...» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٨) كلمة «لي» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معاً.

وقد أخمَدَتْ نارَ الخَلِيل بنورها      وكان لمُوسى عن أشعَّتِها بُهت  
 وهَبَّتْ لروح الله روحُ نسيَمِها      فأبَصَرَ الأعمى وكَلَّمه المَيت  
 وسار بها المُختار سَيري لربِّه      إلى حيث لا فَوْقَ هناك ولا تَحْتُ  
 هنيئًا لمن قد أَشكَرته بعَرفِها      لقد نال ما يَنبغي وساعده البَحثُ  
 ومن نثر الأستاذ الجليل أبي القاسم بن خَلصون المترجم به، قوله من  
 رسالة:

وصلني أيها الابن اللّجيب، المُخلص الحبيب، كتابك الناطق بخلوص وُدِّك،  
 ورُسوخ عَهْدك، وتلك سَجِيَّةً لائقةً بمجدك، وشِيشَةً تُعرف من والدك وجَدِّك، وصلَّ  
 الله أسباب سَعْدك، وأنْهَضَ عزم جَدِّك، بتوفيق جَدِّك، وبلغك من مأمورك أقصى  
 قَصدك. فلتَعْلَم أيها الحبيب أن جَناني، يَنْطَوِي لَكُمْ أَكْثَرُ مما يَنْشُرُه لسانِي، فَإِنِّي  
 مُغَرِّى بِشُكْرِكُمْ وَإِن أَعْجَمْتُ، ومُفْصِحٌ بِجَمِيلِ ذِكْرِكُمْ وَإِن جَمَعَمْتُ، لا جَرَمَ أَنَّ  
 الوقتَ حَكَمَ بما حَكَم، واستولى الهَرَجُ فاستَحَكَم، حتى انْقَطَعَتِ المسالك، وَعَدِمَ  
 الوارد والسَّالِك، وذلك تمحيصٌ من الله جارٍ على قَضِيَّةٍ قِسْطه، وتَقْلِيْبٍ لِقُلُوبِ عِبَادِهِ  
 بين إصْبَعِي قَبْضِهِ وَبِسْطِهِ، حين مَدَّ على الخَلِيقَةِ ظِلَّ التَّلَوِين، ولو شاء لجعله ساكِنًا،  
 ثم جعل شمس المعرفة لأهل التَّمَكِين، عليه دليلاً باطناً، ثم قبض كل الفِرَقَ عن  
 خاصِيَّتِهِ قَبْضًا يَسِيرًا، حتى أطلع عليهم من الأُنْسِ بَدْرًا مُنِيرًا. وإلى ذلك يا بُنَيَّ، فَإِنِّي  
 أَحْمَدُ الله تعالى إِلَيْكَ على تَشْوِيقِهِ إِيَّاكَ إلى مُطالعةِ كُتُبِ المَعَارِفِ، وتَعَطُّشِكَ لِلرُّودِ  
 على بحر اللُّطائِف. وإنَّ الإمامَ أبا حامد<sup>(١)</sup>، رحمه الله، لَمَنْ أَحْرَزَ خُصْلَهَا، وَأَحْكَمَ  
 فِرْعَهَا وَأَصْلَهَا، لا يُنْكَرُ ذَلِكَ إِلَّا حاسِدٌ، ولا يَأْبَاهُ إِلَّا مُتَعَسِّفٌ جاحِد. هذا وَضْفُهُ،  
 رحمه الله، فيما يَخُصُّهُ في ذاته. وأما تَعْلِيمُهُ في تَوَالِيفِهِ، وطَرِيقُهُ التي سَلَكَها في كافَّةِ  
 تَصانيفِهِ؛ فَمِنْ عُلَمائِنَا، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، من قال: إنه خلط النِّهايةَ بالبِدايةَ، فصارت  
 كُتُبُهُ أَقْرَبَ إلى التَّضَلُّيلِ منها إلى الهداية، وإن كان لم يَقْصُدْ فيها إِلَّا النِّفْعَ فيما أَمَّهُ من  
 العَرَضِ، فَوُجِدَ في كُتُبِهِ الضَّرَرُ بِالْعَرَضِ، وممن قال بهذا الفقيه الحَكِيم أبو بكر بن  
 الطُّفَيْل<sup>(٢)</sup>، قال: وأما أبو حامد، فإنه مضطرب التَّأليفِ، يَزْبُطُ في مَوْضِعٍ، وَيَجِلُّ في  
 آخَرٍ، وَيَتَمَذَّهَبُ بأَشْيَاءَ، وَيَكْفُرُ بِهَا، مثل أنه كَفَّرَ الفلاسفةَ باعتقادهم أن المعاد

(١) هو حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الفيلسوف الصوفي، ولد بطوس  
 بخراسان سنة ٤٥٠ هـ وتوفي بها سنة ٥٠٥ هـ. وفيات الأعيان (ج ٤ ص ٥٨) والوافي  
 بالوفيات (ج ١ ص ٢٧٤).

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي، المتوفى سنة  
 ٥٨١ هـ، وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

رُوحاني، وإنكارهم حَشَر الأَجْسَاد. وقد لَوَّح هو بأن ذلك مَذْهَبَه في آخر كتاب «الجواهر والأربعين»، وخَرَجَ بأنه مُعْتَقِد كِبَار الصُّوفِيَّة، في كتاب آخر، وقال: إن مُعْتَقَدَه كَمُعْتَقَدِهِمْ، وأنه وقع على ذلك بعد بحث طويل وعَنَاءٍ شَدِيد. قَالَ: وإنما كلامه في كُتُبِه على نحو تَغْلِيم الجُمُهور. وقد اعتذر أبو حامد نفسه عن ذلك في آخر كتاب «مِيزَان العَمَل»، على أَغْلَب ظَنِّي، فإن لي من مُطَالَعَةِ الكُتُب مُدَّة. قال: ولو لم يكن في هذه الألفاظ إلَّا ما يُشَكِّك في اعتقادك المَوروث، يَغْنِي التَّقْلِيد، فإنه من لم يَشُكَّ لم يَنْظُر، ومن لم يَنْظُر لم يُبْصِر، ومن لم يُبْصِر ففي العَمَى والخَيْرَة. ثم تمثَّل بقول الشاعر: [البسيط]

خذ ما تراه ودَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ به      في طَلَعَةِ الشَّمْس ما يُغْنِيكَ عن رُحْلٍ

وذلك أنه قَسَمَ آراءه إلى ثلاثة: رأي يُجَاب به كُلُّ مُسْتَرَشِد سائل بحسب سؤاله وعلى مقدار فهمه. ورأي يُجَاب به الخاصَّة ولا يُصْرَحُ به للعامَّة. ورأي يَبَيِّن الإنسان وَبَيِّن نَفْسَه، لا يَطْلُع عليه إلَّا من شَرِيكَه في اعتقاده. وأما الفقيه الفاضل أبو الوليد بن رُشد، رحمه الله، فإنه بالغ في ذلك مَبَالِغ عظيمة، وذلك في كتابه الذي وَصَف فيه مناهج أدلَّة المُتَكَلِّمين، فإنه لما تكلَّم على طُرُق الأشعرية والمُعْتَزلة والفلاسفة والصُّوفية والحشوية وما أحدثه المُتَكَلِّمون من الضَّرر في الشريعة بتأليفهم، انْعَطَف فقال: وأما أبو حامد، فإنه طَمَّ الوادي على القُرى، ولم يَلْتَزِم طريقة في كُتُبِه، فنراه مع الأشعرية أشعريًّا، ومع المُعْتَزلة مُعْتَزليًّا، ومع الفلاسفة فيلسوفًا، ومع الصُّوفية صوفيًّا، حتى كَانِي به: [البسيط]

يوما يمان إذا لاقيت ذا يَمَن      وإن لقيت معَذِيًّا فَعَدْنَانُ

ثم قال: والذي يجب على أهل العلم، أن يُنْهَوْا الجمهور عن كُتُبِه، فإن الضَّرر فيها بالذات، والمنفعة بالعرض. قال: وإنما ذلك لأنه صرَّح في كُتُبِه بنتائج الحكمة دون مقدماتها، وأفصح بالتأويلات التي لا يطلع عليها إلا العلماء الراسخون في العلم، وهي التي لا يجوز أن تُؤوَّل للجمهور، ولا أن تُذكر في غير كُتُب البُرْهان. وأنا أقول: إن كُتُبِه في الأضلين، أعني أصول الدين وأصول الفقه، في غاية الثُبُل والنباهة، وبَسْطِ اللفظ، وحُسن الترتيب والتقسيم، وقُرْب المسائل. وكذلك كُتُبُه الفقهية والخلافية والمذهبية، التي ألفها على مذهب الشافعي، فإنه كان شافعي المذهب في الفروع. وأما كُتُبُه التي ذَهَبَ فيها مذهب التصوف، فهي التي يوجد فيها ما ذُكر من الضَّرر بالعرض. وذلك أنه بَنَى الأكثر من الاعتقادات فيها على ما تأدَّى إلى فُهْمه من مذاهب الفلاسفة، ونَسَبها إلى المُتَصَوِّفَة. وقد نَبَّه على

ذلك الفقيه الجليل أبو بكر الطرطوشي<sup>(١)</sup> في كتابه الذي سماه بـ «مراقي العارفين». قال: وقد دَخَلَ على السالكين ضرر عظيم من كُتُب هذا الرجل الطوسي<sup>(٢)</sup>، فإنه تَشَبَّه بالصوفية ولم يَلْحَق بمذاهبهم، وخَلَطَ مذاهب الفلاسفة بمذاهبهم، حتى غَلِطَ الناس فيها. على أنني أقول: إنَّ باعَه في الفلسفة كان قَصِيرًا، وإنه حَذَا حَذُو الشيخ أبي علي بن سينا في فلسفته التي نقلها في المقاصد، وَمَنْطِقَه الذي نقله في مِيعَارِ العلم، لكن قَصُرَ عنه. وتلك الاعتقادات، منها حقٌّ ومنها باطلٌ، وتلخيصه لا يَتَأَتَّى إِلَّا لِصِنْفَيْنِ من الناس، أعني أهل البرهان وأهل المُكَاشَفَةِ، فَبَحَسَبَ ذلك تحتاج كُتُبُه إلى تَقْدِمة علوم البرهان، أو رِياضَة أهل المُكَاشَفَةِ. ولذلك صَنَّفَ هو مِيعَارِ العلم؛ ليكون الناظر في كُتُبِه يَتَقَدَّم، فَيَتَعَلَّم منه أصناف البراهين، فَيَلْحَقُ بأهل البرهان. وقَدَّمَ أيضًا تَصْنِيفَ «ميزان العمل» ليكون المُرْتاض فيه، وبه يَلْحَقُ بأهل المُكَاشَفَةِ، وحينئذ يُنْظَر في سائر كتبه. وهذه الرسالة طويلة، تكلم فيها على كُتُب أبي حامد الغزالي، رحمه الله، بما يدل على تَفَنُّنه، وعلى اضطلاعِه، رحمه الله.

## ومن الغُرباء في هذا الاسم

محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ بن إبراهيم بن جميل  
ابن يوسف العراقي

ثم الخَلَاطِي، ثم الأَقْشَرِي الفارسي، وَيُنْعَت من الثُّعُوتِ المَشْرِقِيَّة بِجَلال الدين، من بلاد فارس.

حاله: كان من الصُّوفِيَّة المَتَجَرِّدِينَ من المال والعيال، ذا وقار وتؤدَّة، وسُكُون ومحافظة على ظاهره. أكثر في بلاد المشرق من الأخذ عن الشُّيُوخِ المَحْدَثِينَ والمُتَصَوِّفِينَ، ثم قَدِمَ المَغْرِبَ، فاستوطن بعض بلاده، ثم أجاز البحر إلى الأندلس عام أربعة وسبعمائة، وأخذ عَمَّنْ بها من الشُّيُوخِ، ودخل غرناطة. وكان شافعي المذهب، يُشَارِك في قَرْضِ الشُّعْرِ.

(١) هو الزاهد محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطرطوشي الأندلسي، المتوفى سنة ٥٢٠ هـ، من أشهر مؤلفاته «سراج الملوك» و«بَرِّ الوالدين». وفيات الأعيان (ج ٤ ص ٩٢) والمغرب (ج ٢ ص ٤٢٤) والصلة (ص ٨٣٨) وبغية الملتبس (ص ١٣٥) وخريدة القصر - قسم شعراء المغرب (ج ٢ ص ٢١١).

(٢) المراد بالرجل الطوسي أبا حامد الغزالي الطوسي المتقدم ذكره قبل قليل.

مشيخته: أخذ عن أبي مروان عبد الملك الشريشي بفاس، وعن أبي بكر محمد بن محمد بن قسي الموماني، ولبس الخزقة الصوفية من جماعة بالمشرق وبالمغرب، منهم الإمام أبو إبراهيم الماجري، عن أبي محمد صالح، عن أبي مدين.

تأليفه: أخذ عنه تأليفه في نحو اللغة الفارسية وشرح ألفاظها. قال شيخنا الوزير أبو بكر بن الحكيم: كتب إلى والدي ببابه، وقد أحسن بغض من الشيخ الإمام أبي عبد الله بن خميس، عميد مجلس الوزارة الحكيمية: [المقارب]

عَبِيدُ بَابِ الْعُلَى واقف      أَيَقْبَلُهُ الْمَجْدُ أَمْ يَنْصَرِفُ؟  
فَإِنْ قَبِلَ الْمَجْدُ نِلْتُ الْمُنَى      وَإِلَّا فَقَدْزِي مَا أَعْرِفُ

ثم كتب على لفظه: ما من، وصححه، قال: فأذن له، واستظرف منزعه.

### محمد بن أحمد بن شاطر الجَمَحِي المَرَاكشي<sup>(١)</sup>

يكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن شاطر.

حاله: فقير متجرد، يلبس أحسن أطوار الخرقه، ويؤثر الاضطلاع، مليح الشّية، جميل الصورة، مُسْتَظَرَفُ الشَّكْلِ، ملازم للمسجد، ساكن بالمدارس، محبب إلى الخواص، كثير الذكر، متردد التأوه، شارد اللسان، كثير الفلّات، مُطْرَحٌ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ لِلسَّمْتِ، ينزع إلى هدف تائه، تَشِمُ عَلَيْهِ الْقِحَّةُ وَالْمَجَانَةُ، مُفْتَحِمٌ جَمِى الحِشْمَةِ فِي بَابِ إِيْهَامِ التَّلْبِيسِ، يزلق سوء الاعتقاد عن صفاته، وإن قارب الانهماك، وغير مبالي بناقد، ولا حافل بذا، ولا حامد. كلما اتبع أنفرد، ومهمى استقام شرد، تطيب النفس به على غيرة، ويحسن الظن بباطنه على سوء ظاهره، مليح الحديث، كثير الاعتبار، دائم الاسترجاع والاستغفار، فقال الموعظة، عجيب الانتزاع من الحديث والقرآن، مع عدم الحفظ، مُسْتَشْهَدٌ بِالْأَبْيَاتِ الْغَرِيبَةِ عَلَى الْأَحْوَالِ. قال شيخنا القاضي أبو عبد الله بن المقرئ: لقيت فيمن لقيت يتلمسان رجلين، أحدهما عالم الدنيا، والآخر نادرتها. أما العالم، فشيخنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدي الأيلي، وأما النادرة، فأبو عبد الله بن شاطر. ثم قال: صحب أبا زيد الهزميري كثيرًا، وأبا عبد الله بن تجلات، وأبا العباس بن البنا<sup>(٢)</sup> وإخوانهم من

(١) ترجمة محمد بن أحمد بن شاطر الجمحي في نيل الابتهاج (ص ٢٤٨) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٢٣٤).

(٢) في نفع الطيب (ج ٧ ص ٢٣٤): «البناء وأضرابه من...».

المراكشين ومن جاورهم، واختص بأبي زيد الهزيمري، وآثره وتبناه، وكان يقول له: وألقيت عليك محبة مني، فيظهر أثر ذلك عليه، من ستر الهنات، ووضع القبول، فلا تجد من يستثقله من راض عنه أو ساخط. دخل الأندلس، وقدم على غرناطة، وتلوم بها أياماً.

تبدأ من أقواله: فمن ذلك أنه إذا سئل عن نفسه يقول: أنا ولي مفسود، وفي هذا من النصفة، وخفة الروح ما لا خفاء به. قال بعض شيوخنا<sup>(١)</sup>: قلت له يوماً: كيف أنت؟ فقال<sup>(٢)</sup>: كيف أنا محبوس في الدّم. ومن حكمه: الليل والنهار حرسيان<sup>(٣)</sup>، أحدهما أسود، والآخر أبيض، وقد أخذ<sup>(٤)</sup> بمجامع الخلق إلى<sup>(٥)</sup> يوم القيامة، وإنّ مرّدنا<sup>(٦)</sup> إلى الله. ومرّ يوماً بأبي العباس<sup>(٧)</sup> بن شعيب الكاتب وهو جالس في جامع الجزيرة، وقد ذهبت به الفكرة، فصاح به، فلما رفع رأسه، قال، وله نعش<sup>(٨)</sup> خاطر: انظر إلى مركب عزرائيل، قد رفع شراعه، والنّدا<sup>(٩)</sup> عليه، اركبوا يا عزا. قال شيخنا أبو عبد الله المقرئ: وجدته يوماً في المسجد ذاكرًا، فقلت له: كيف أنت؟ فقال: مهيم في روضة يجبرون، فهممت بالانصراف، فقال: أين تذهب من روضة من رياض الجنة، يقام فيها على رأسك بهذا التاج؟ وأشار إلى المنار، مملوءاً بالله أكبر. قال: وأنشدني أبو العباس بن البنا، وكتبهما عنه<sup>(١٠)</sup>:

[الوافر]

قصدت إلى الوجازة<sup>(١١)</sup> في كلامي      لعلمي بالصواب في الاختصار  
ولم أأخذز فهم<sup>(١٢)</sup> ما دون فهمي      ولكن خفت إزراء الكبار  
فشأن فحولة العلماء شأني      وشأن البسط تعليم الصغار

(١) النص في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٣٥).

(٢) في النفح: «فقال: محبوس في الروح، وقال: الليل...».

(٣) الحرسى: الحارس. لسان العرب (حرس). (٤) في النفح: «أخذ».

(٥) في النفح: «يجزّئهم إلى القيامة». (٦) في الأصل: «مرّنا» والتصويب من النفح.

(٧) في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٣٥): «أبي العباس أحمد بن شعيب». وهو أحمد بن شعيب

الجزنائي، تازي الدار، نزيل فاس. توفي بتونس عام ٧٥٠ هـ. ترجمته في نثير فرائد الجمان

(ص ٣٣٥) ونيل الابتهاج (ص ٦٨) والتعريف بابن خلدون (ص ٤٨) وجذوة الاقتباس (ص

٤٧) ودرة الحجال (ج ١ ص ٢١).

(٨) قوله: «وله نعش خاطر» غير وارد في النفح. (٩) في النفح: «ونودي عليه الطلوع يا غزي».

(١٠) ورد في نفح الطيب (ج ٧ ص ٢٣٦) صدر البيت الأول فقط.

(١١) الوجازة: الإيجار. لسان العرب (وجز).

(١٢) في الأصل: «فهو» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.



قال: وأخبار ابن شاطر تحتل كُرْاسة، قلت: رأيت بفس في أخريات عام خمسة وخمسين، وهو الآن بحاله الموصوفة، قد أربى على السبعين.

## محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي ابن الحلقاوي

من أهل تونس، يكنى أبا عبد الله، نَزِيل غرناطة، ويعرف بالثونسي وبابن المؤذن ببلده.

حاله: من «العائد»: قال: ولي الله المُجَاب الدعوة، الظاهر الكرامة، المشهود له بالولاية. وَرَد الأندلس في جملة من تُجَار بلده، ويده مالٌ كبير بذله في معاملة ربه، إلى أن استأصله بالصدقة، وأنفق في سبيل الله ابتغاء مَرْضَاتِهِ، وتجرد عن الدنيا، وأخذ نفسه بالصلاة والصوم والتلاوة وكثرة السجود والتطارح على ذلك، محفوظاً في ذلك كله حِفْظَةَ الأولياء، مُذَكِّراً بمن سَلَفه من الزهاد، عازباً عن الدنيا، أخذ نفسه بسلوك الإيتاب عنها، رحمة للخلق، وتمالاً للمساكين، يقصده الناس بصدقاتهم، فيبئها في ذوي الحاجات، فيتألف في باب مسجده آلاف من رجالهم ونسائهم وصبيانهم، حتى يعظم الرُفْد، وتسعهم الصدقة. وكان غريب الأحوال؛ إذا وصل وقت الصلاة يظهر عليه البشرُ والسرور، ويدخل مسجده الذي إبتناه واحتفل فيه، فيخلو بنفسه آخذاً في تعبدات كثيرة غريبة شاملة لجميع أركان المسجد، ويزدحم الناس حول المسجد، وأكثرهم أهلُ الفاقة، فإذا تمكَّن الوقت أذن أذاناً مؤثراً في القلوب، جَدَى وصدقاً ووقاراً، كان صدره ينصدع عند قول: لا إله إلا الله. ثم يعيدُ التَّعَبُّد والسُّجود في الصَّومعة وأدراجها، حتى يُفْتَح باب المسجد، وينتقل إلى صدر المحراب، فيصلي ركعات خفيفة، فإذا أقام الصلاة، ووقف عند المحراب، ظهر عليه من الخوف والكآبة والحزن والانكسار والتضرع والتملُّق والرغبة، ما لا تفي العبارة بوصفه، كان موقفه موقف أهل الجرائم بين أيدي الملوك الجبابرة. فإذا أتم الصلاة على أتم هيئاتها، ترى كأن الغبار على وجهه، أو كأنه حُشِر من قَبْرِ، فإذا شرع في الدعاء بأثر الصلاة، يتلوه بترداد الصلاة على النبي ﷺ، في كل دَعْوَةٍ، ويتوسَّل به، وتظهر عليه أحوال من الحضور والمراقبة، وينجلي عن وجهه ما كان به. وكان يختم القرآن في شهر رمضان مائة حَتمَةٍ، فما من ليلة إلا ويُحيي الليل كله فيها بمسجده. هذا ترتيبه، ولو تَتَبَّعنا ما شوهد من كراماته وأحواله، لخرجنا عن الغرض.

ولادته: ولد بتونس في حدود الأربعين وستمائة.

**وفاته:** توفي شهر ربيع الثاني عام خمسة عشر وسبعمائة. وكان الحَفْل في جنازته عظيمًا، اسْتَوْعِب الناس كَأَفَّة، وحضر السلطان فَمِن دونه، وكانت تَنُم، زعموا، على نَعْشه وقَبْره رائحةُ الْمِسْكِ. وتَبَرَّك الناس بجنازته، وقصد قبره الْمَرْضَى وأهل الحاجات، وبقي الْقُرَاء يقرؤون القرآن عليه مدة طويلة، وتُصَدَّق على قبره بجملة من مال، ففُدِيَ به طائفةٌ من الأسرى. وقبره بباب البيرة عن يمين الخارج إلى مقبرة العسّال، معروف هنالك.

### محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن يوسف اللواتي<sup>(١)</sup>

من أهل طنجة، يكنى أبا عبد الله، ويُعرف بابن بطوطة<sup>(٢)</sup>.

**حاله:** من خطَّ شيخنا أبي البركات، قال: هذا رجلٌ لديه مشاركة يسيرة في الطَّلَب، رَحَلَ من بلاده إلى بلاد الْمَشْرِق يوم الخميس الثاني من رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة، فدخل بلاد مصر والشام والعراق، وعِراق الْعَجَم، وبلاد الهند والسُّند، والصين، وصين الصُّين، وبلاد اليمن. وحجَّ عام ستة وعشرين وسبعمائة. ولقي من الملوك والمشايخ عَالَمًا، وجاوَزَ بِمَكَّة. واستقرَّ عند ملك الهند، فحظي لديه، وولَّاه القضاء، وأفاده مالًا جسيمًا. وكانت رحلته على رَسْم الصُّوفية زِيًّا وَسَجِيَّةً، ثم قَفَلَ إلى بلاد المغرب، ودخل جزيرة الأندلس، فحكى بها أحوال المشرق، وما اسْتَفَاد من أهلها، فكَذَّب. وقال: لقيته بغرناطة، وبتنا معه ببُستان أبي القاسم ابن عاصم بقرية نَبْلة، وحدثنا في تلك الليلة، وفي اليوم قَبْلها عن البلاد المشرقية وغيرها، فأخْبَرَ أَنَّهُ دخل الكنيسة الْعُظْمَى بِالْقُسْطَنْطِينِيَةِ الْعُظْمَى، وهي على قَدَر مَدِينَةٍ مُسَقَّفَةٍ كُلِّها، وفيها اثنا<sup>(٣)</sup> عشر ألفَ أُسْقَف. قلت: وأحاديثه في الغرابة أَبْعَدُ من هذا. وانتقلَ إلى الْعُدُوَّة، فدخل بلاد السُّودان. ثم تُعَرِّفُ أَنَّ ملك المغرب استدعاه، فلحق ببابه، وأمر بتدوين رحلته.

(١) نسبة إلى لواته إحدى قبائل البربر.

(٢) يلقب ابن بطوطة بشمس الدين؛ ولد بطنجة سنة ٧٠٣ هـ، وتوفي بمراكش سنة ٧٧٩ هـ. ترجمته في الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٤٨٠) وهدية العارفين (ج ٢ ص ١٦٩) ودائرة المعارف الإسلامية (ج ١ ص ٩٩) والأعلام (ج ٦ ص ٢٣٥). وراجع أيضًا مقدمة كتابه المسمى «رحلة ابن بطوطة» بقلم كرم البستاني.

(٣) في الأصل: «اثني» وهو خطأ نحوي.

## سائر الأسماء في حرف الميم الملوك والأمراء وما منهم إلا طارىء علينا أو غريب

مزدلي بن تيولتيكان بن حمى بن محمد بن تزقوت بن وزباطن  
ابن منصور بن نصاله بن أمية بن وابتن الصنهاجي اللثموني

حاله: كان الأمير مَزْدَلِي عَضَدَ القائم بالدولة اللثمونية يوسف بن تاشفين،  
وقريبه لالتقائهما في تَزْقُوت، رَاشَ به وبَرَى، وَجَزَّ وَفَرَى، فهو شيخ الدولة اللثمونية،  
وكبير العصابة الصنهاجية، بطلاً ثَبَتًا، بُهْمَةً من البُهْم، بعيد الصَّيْت، عظيم الجَلَد،  
شهير الذِّكْر، أَصِيل الرَّأْي، مُسْتَحْكَم الحُنْكَة. طال عمره، وَحُمِدَت مواقِعُه، وَبَعُدَت  
غاراتُه، وعُظِمَت في العدوِّ وقائِعُه، وشكرت عن سلطانه نيابَتُه.

من مناقبه: استرجاع مدينة بلنسية من أيدي الروم بسَغيه، وردّه إلى مُلْكَةِ  
الإسلام بحميد غِنائه في مُنتَصَف رجب عام خمس وخمسائة.

دخوله غرناطة: وُلِّي قرطبة وغرناطة وما إليهما من قِبَل يوسف بن تاشفين سنة  
خمس وخمسائة.

قال ابن الصَّيرفي: توفي ليلة الثلاثاء السابع عشر من شوال عام ثمانية  
 وخمسائة، غازيًا على مقربة من حِصْن قسطانية، طرق به إلى قرطبة، فوصل يوم  
الأربعاء ثاني يوم وفاته، وصُلِّي عليه إثر صلاة العصر الفقيه القاضي بقرطبة أبو  
القاسم بن حَمْدِين، ودفنه قرب أبيه، وبُنيت عليه روضةً حسنة. وكان، نَصْرُ الله  
وجِهه، البَقِيَّةُ الصالحة على نهج أمير المسلمين يوسف.

موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الهتاني  
السيد أبو عُمران.

حاله: بَيَّنَّه معروف. وكان أديبًا شاعرًا، جوادًا، واختَصَّ بالعدل، فجلَّ قَدْرُه  
في دولته، وأمله الناس بإشيلية في حوائجهم لمحلّه منهم. ولَمَّا انصرف عنها العادل  
إلى طلب الخلافة، قَدَّمه عليها، فبلغ الغاية.

وفي شوال من عام اثنين وعشرين وستمائة، كانت على جَيْشِه الوقعة، أوقعها  
به السيد أبو محمد البياسي، وأخباره شهيرة.

وفاته: وتوفي تَغْرِيقًا في البَحر بعد أن وُلِّي بجاية، رحمه الله وعفا عنه.

شعره: قال: وكان أبو المطرّف بن عميرة، يَنشُد له، يخاطب الفقيه الأديب أبا الحسن بن حريق يَسْتَحِثُّه على نظم الشعر في عَرُوضِ الْخَبَبِ: [المتدارك]

خُذْ فِي الْأَشْعَارِ عَلَى الْخَبَبِ      فَقُصُورِكَ عَنْهُ مِنَ الْعَجَبِ  
هَذَا وَبُنُو الْأَدَابِ قَضُوا      بَعُلُوا مُجْدَكَ فِي الرُّتَبِ

فنظم له أبو الحسن القصيدة المشهورة، منها: [المتدارك أو الخبب]

أَبْعَيْدَ الشَّيْبِ هَوَى وَصَبَا؟      كَلَّا لَا لَهْوًا وَلَا لَعِبَا  
ذَرَّتِ السُّتُونُ بُرَادَتَهَا      فِي مِسْكِ عِذَارِكَ فَاشْتَهَبَا

ومنها:

يَا نَفْسُ أَخِي أَخِي تَصْلِي أَمَلَا      عِشِي رَوْحِيَا تَرْوِي عَجَبَا  
وُخْذِي فِي شُكْرِ الْكِبَرَةِ مَا      لَاحِ الْإِضْبَاحُ وَمَا ذَهَبَا  
فِيهَا أَخْرَزْتُ مَعَارِفَ مَا      أُبْلِيَتْ بِجِدَّتِهِ الْحِقَبَا  
وَالْخَمْرُ إِذَا أُغْتِثَتْ وَصَفَتْ      أَعْلَى ثَمْنًا مِنْهَا عَنَبَا  
وَبَقِيَّةُ عُمَرِ الْمَرءِ لَهُ      إِنْ كَانَ بِهَا طَبًّا دَرِيَا  
هَبْنِي فِيهَا بِإِنَابَتِهِ      مَا هَدَمَهُ أَيَّامَ صَبَا

دخل غرناطة، فوجِبَ ذكره مع مثله.

### منديل بن يعقوب بن عبد الحق بن مخيو الأمير أبو زيان

حاله: كان فاضلاً عاقلاً جواداً، عيَّنه أبوه أمير المسلمين أبو يوسف بن عبد الحق، للضرب على أحواز مالقة عند الفتنه، فاضطرب المحلة تجاه سهيل<sup>(١)</sup>، وضيَّق على تلك الأحواز، وبرَز إليه الجيش لنظر موسى بن رُحُو من قرابته النَّازِعِينَ عن إيالة المغرب من بني رُحُو. وكان اللقاء، فوقعَت به الدَّبْرَةُ، وانهزم جيشه، وقُبِض عليه، وسِيَق إلى السلطان، فتلَقَّاه بالبرِّ، ورَعَى ما لَبَّيْتَهُ الكبير من الحق، وأسكنه مجاوراً لقصره بحمرائه<sup>(٢)</sup>، مرفَّهاً عليه، مخجُوزاً عن التصرف، إلى أن كان

(١) سهيل: بالإسبانية Fuengirola، وهي بلدة تقع على شاطئ البحر المتوسط، على بعد نحو ثلاثين كيلومتراً إلى الغرب من مالقة.

(٢) أي قصر الحمراء، مقر سلاطين بني نصر بغرناطة.

ما تلاخَق بهذه الحال من وفاة أبيه السلطان أبي يوسف بالجزيرة الخضراء، وتَصَيَّر الأمر إلى ولده السلطان أمير المسلمين أبي يعقوب يوسف. وتَجَدَّدَت الألفة وتَأَكَّدَت المودَّة، وارتفعت الإحثة، فكان ما هو معروف من التقائهما على تَغْيَةِ إجازة ملك المغرب أبي يعقوب البحر على ظاهر مَرْبِلَّة<sup>(١)</sup>، وصُرف الأمير أبو زيان مَحْبُوبًا بما يليق به.

حدَّثني شيخنا أبو زكريا بن هُدَيْل، رحمه الله، قال: نُصِبَ للسلطان أبي يعقوب خِباء احتفل في اتخاذه له أميرُ سَبْتَة، فبلغ الغاية التي تستطيعها الملوك، سُمُو عماد، وامتداد ظلّ، وانفساح ساحة، إلى إحكام الصُّنعة، والإعياء في الرُخرف. وقَعَد فيه السلطان ملك المغرب، وأجلس السلطان أمير المسلمين أبا عبد الله بن الغالب بالله، عن يمينه، وأخاه الأمير أبا زيان عن يساره، وقرأ عِشاره المعروف بالوقاد، آية الله في حُسن الصُّوت، وبعد مَدَى السَّمْع، وطيب النُّعْمة، قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَتَأْتِيَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزَجَّجَةٍ فَأَوَفُوا لَنَا الْكَيْلَ وَنَصَدَّقْ عَلَيْهِمَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَوَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجَرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَأَلَّوْا لَقَدْ عَاقَبْتُمْ أَرْحَامَ اللَّهِ وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾<sup>(٢)</sup>. فكان مقامًا مُبْهِتًا. كان السلطان، رحمه الله، يقول: لَشَدَّ ما جَنَى عليّ عدوّ الله بِقِيَّتِهِ، والله لقد كان يُشِير بيده إلى السلطان وأخيه عند قوله: أنا يوسف وهذا أخي. ثم أجاز للغُدوة، فطاح بها لعهد غير بعيد.

وكان الإيقاعُ بجيش الأمير أبي زيان في أَخْزِيَات ذي الحجة عام أربعة وثمانين وستمائة، فاتصل بذلك موثٌ والد أمير المسلمين أبي يوسف بالخضراء في شهر محرم عام خمسة وثمانين بعده، وكان لقاء السُلْطَانَيْن بالخضراء في شهر محرم عام خمسة وثمانين هذه، وكان اللِّقاء، كما ذُكِر، في شهر ربيع الآخر من العام المذكور.

(١) مَرْبِلَّة: بالإسبانية Marbella، وهي مدينة صغيرة مسورة، تبعد ستين كيلومترًا إلى الغرب من مالقة. الروض المعطار (ص ٥٣٤).

(٢) سورة يوسف ١٢، الآيات ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢.

## ومن الطارئين

### المطرف بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية<sup>(١)</sup>

حاله: كان المطرف، ولد الخليفة<sup>(٢)</sup> عبد الله أمير المسلمين بالأندلس، شجاعاً مقداماً، جريئاً، صرّفه والده الخليفة في الغزوات وقوّد العساكر، وهو الذي بنى حصن لوشة، ووقم كثيراً من الخوارج على والده.

دخوله غرناطة: قال ابن حيان<sup>(٣)</sup>: غزا المطرف يُبشّر<sup>(٤)</sup> بسبب ابن حفصون، إذ كان صالح الأمير عبد الله، ودفع رهينة ابنه، فلما امتحن الطفل وجد غير ابنه، فنهض إليه المطرف، وكان القائد على العسكر قبله عبد الملك بن أمية، فنهض صُحبته، ونازل المطرف ابن حفصون، فهتّك حوزته، وتقدّم إلى بنتية كان ابتناها بموضع يعرف باللوّيات<sup>(٥)</sup>، فشرع في خرابها، وخرج ابن حفصون ومن معه من النصرانية يُدافع عنها، وعن كنيسة كانت بقربها، فغلب ابن حفصون، وهدمت الكنيسة، وقتل في هذه الحرب حفص بن المُرّة، قائدُه ووُجوه رجاله، وعند الفراغ من ذلك انصرف المطرف، فدخل كورة البيرة، وبنا لوشة، وتقدّم منها إلى البيرة ودخلها، ثم طاف بتلك الجهات والحصون، ثم انصرف.

ذكر إيقاعه بعبد الملك بن أمية وسبب الإحنة بينه وبين أبيه.

قال<sup>(٦)</sup>: وفي هذه الحركة أوقع بعبد الملك بن أمية؛ لما كان في نفسه لصرف والده عن عقد البيعة له وتمزيق العهد في خبر يطول. وكان والده قد أخذ عليه

(١) ترجمة المطرف وأخباره في المقتبس بتحقيق الدكتور إسماعيل العربي (ص ١٠٢ - ١٠٥، ١٣١ - ١٣٧) والمغرب (ج ١ ص ١٨٢) وأعمال الأعلام (القسم الثاني بتحقيق ليفي برونفسال (ص ٢٨ - ٢٩) والبيان المغرب (ج ٢ ص ١٥٠).

(٢) لم يكن عبد الله بن محمد خليفة، بل كان أميراً، وقد حكم الأندلس من سنة ٢٧٥ هـ إلى سنة ٣٠٠ هـ.

(٣) قول ابن حيان في المقتبس بتحقيق الدكتور إسماعيل العربي (ص ١٣٠ - ١٣١) ولكن ابن الخطيب يورده هنا بتصرف.

(٤) ببشّر: بالإسبانية Bobastro، وهي حصن منيع بالأندلس، بينه وبين قرطبة ثمانون ميلاً. الروض المعطار (ص ٧٩).

(٥) في المقتبس: «المعروف بالعرمات».

(٦) قول ابن حيان في المقتبس بتحقيق العربي (ص ١٣٣ - ١٣٧) ولكن ابن الخطيب يورده هنا بتصرف. ومقتل عبد الملك بن أمية كان في سنة ٢٨٢ هـ.

الميثاق عند خروجه إلى شذونة<sup>(١)</sup> ألا يَغْرِضَ إليه بمكروه، وأقسم له بالإيمان، لئن نال منه شيئاً ليعاقبته بمثله، فلما قتله، عقد الوثائق عليه، وأخذ الشهادات فيها بالظلم والشؤم خوفاً من أبيه، وكتب إليه يَغْتَذِرُ له، ويَحْكُمه في نفسه.

**مقتل المطرف:** قال<sup>(٢)</sup>: وظهرت عليه فعال قبيحة، من أذى جيرانه بما أكد غائلة أبيه عليه، وأعان عليه معاوية بن هشام، لما ذكروا أنَّ المطرف كان قد خلا به، فذكروا أنه نَزَلَ يوماً عنده بمنزله، وأخذوا في حديث الأبناء، وكان المطرف عقيماً، فدعا معاوية بِصَبِيٍّ يَكْلَفُ به، فجأت وبرأسه دُؤَابَتَانِ، فلما نظر إليه المطرف حسده، وقال: يا معاوية، أتشبهُ بأبناء الخلفاء في بينهم؟ وتناول السيف فحزَّ به الدُّوابة، وكان معاوية حيَّة قريش دهاء ومكراً، فأظهر الاستخسان لصنعه وانْبَسَطَ معه في الأتس، وهو مضطغن، فلما خرج كتب إلى الخليفة يسأله اتصالة إليه، فلما أوصله كاشفه في أمر المطرف بما أزعجه، وأقام على ذلك ليلاً أَخَكَمَ أمره عند الخليفة بلُطْفٍ جيلته، فأصاب مقتله سَهْمٌ سباعيته. قال ابن الفياض: بعث الأمير عبد الله إلى دار ولده المطرف عَسْكَراً للقبض عليه، مع ابن مُضَرٍّ، فقَوِّلَ في داره حتى أُخِذَ، وجيء به إليه، فَتَشَاوَرَ الوزراء في قَتْلِهِ، فأشار عليه بعضهم أن لا يَقْتُلَهُ، وقال بعضهم: إن لم تَقْتُلْهُ قَتَلَك، فأمر ابن مُضَرٍّ بصَرْفِهِ إلى داره، وَقَتْلَهُ فيها، وأن يَذْفِنَهُ تحت الرِّيحانة التي كان يشربُ الخمر تحتها، وهو ابن سبع وعشرين سنة، وذلك في يوم الأحد صُحَى لعشر خلون من رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

### مُنذر بن يحيى التَّجِيبِي<sup>(٣)</sup>

أمير الثَّغر، المُنتَزِي بعد الجماعة بقاعدة سَرْقُسطة، يكنى أبا الحكم، ويُلقَّب بالحاجب المنصور، وذو الرِّياستين.

**حاله:** قال أبو مروان<sup>(٤)</sup>: وكان أبو الحكم رجلاً من عُرْض الجُند، وترقى إلى القيادة آخِرَ دولة ابن أبي عامر، وتناهى أمره في الفِتنَة إلى

(١) شذونة: بالإسبانية Sidona وهي كورة متصلة بكورة مورور، نزلها جند فلسطين من العرب بعيد الفتح. الروض المعطار (ص ٣٣٩).

(٢) القول لابن حيان، والنص في المقتبس بتحقيق إسماعيل العربي (ص ١٣٣ - ١٣٧) ولكن ابن الخطيب يورده هنا بتصرف.

(٣) ترجمة منذر بن يحيى التجيبي في المغرب (ج ٢ ص ٤٣٥) وأعمال الأعلام (القسم الثاني بتحقيق ليفي بروفنسال) (ص ١٩٦) والذخيرة (ق ١ ص ١٨٠) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٥).

(٤) النص في الذخيرة (ق ١ ص ١٨٠ - ١٨١) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٥ - ١٧٦) وأعمال =

الإمارة<sup>(١)</sup>. وكان أبوه من الفرسان غير الثُبهاء. فأما ابنه منذر، فكان فارساً نقيّ الفُروسة<sup>(٢)</sup>، خارجاً عن مدى الجهل، يتمسك بطرف من الكتابة الساذجة. وكان على عذره، كريماً، وهب قصّاده مالاً عظيماً، فوفدوا عليه، وعمرت لذلك حضرته سرْقُسطة، فحسنت أيامه، وهتف المدّاح بذكره.

وفيه يقول أبو عمرو بن دزّاج القسطلّي قصيدته المشهورة، حين صرّف إليه وجهه، وقدم عليه في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة<sup>(٣)</sup>: [الكامل]

بُشْرَاكَ مِنْ طُولِ التَّرْخُلِ وَالسُّرَى  
مِنْ حَاجِبِ الشَّمْسِ الَّذِي حَجَبَ الدُّجَى  
نَادَى<sup>(٥)</sup> بِحَيٍّ عَلَى النَّدَى ثُمَّ اعْتَلَى  
لَبَّيْكَ أَسْمَعَنَا نِدَاكَ وَدُونَنَا  
مِنْ كُلِّ طَارِقٍ لَيْلٍ هَمٌّ<sup>(٧)</sup> يَنْتَحِي  
سَارٍ لِيَعْدِلَ عَنْ سَمَائِكَ أَنْجُمِي  
فَكَأَنَّمَا أَغْدَتُهُ<sup>(٨)</sup> أَسْبَابُ النُّوَى  
أَوْ غَارَ مِنْ هِمَمِي فَأَنْحَى شَاوَهَا  
حَتَّى عَلِقْتُ النُّيَرِينَ فَأَغْلَقَا  
فَسَرِنْتُ فِي حَرَمِ الْأَهْلَةِ مُظْلِمًا  
وَشَعَبْتُ أَفْلَادَ الْفَوَادِ وَلَمْ أَكْذُ  
سِتَّ تَسْرَاهَا<sup>(١٠)</sup> الْجَلَاءَ مَغْرِبًا  
لَا يَسْتَفِيئُ الصُّبْحُ مِنْهَا مَا بَدَا

صُبْحَ بِرَوْحِ السَّفَرِ لَاحَ فَأَسْفَرَا  
فَجَرَا بِأَنْهَارِ الذَّرَى<sup>(٤)</sup> مُتَفَجَّرَا  
سُبُلُ<sup>(٦)</sup> الْعُفَاةِ مُهَلَّلًا وَمُكَبَّرَا  
نَوَى الْكَوَاكِبِ مُحْوِيًا أَوْ مُمِطَّرَا  
وَجْهِي بِوَجْهِ مِنْ لِقَائِكَ أَزْهَرَا  
وَقَدْ ازْدَهَاها عَنْ سَنَّاكَ مُحِيرَا  
قَدَرًا لِيُغْدِي عَنْ يَدَيْكَ مُقَدَّرًا<sup>(٩)</sup>  
فَلَكَ الْبُرُوجُ مَغْرِبًا وَمُغَوَّرَا  
مَثْنَى يَدِي مَلِكِ الْمُلُوكِ النُّيَرَا  
وَرَفَلْتُ فِي خِلْعِ السَّمُومِ مُهَجَّرَا  
فَحَذَوْتُ مِنْ حَذْوِ الثُّرَيَّا مَنَظَّرَا  
وَحَدَا بِهَا حَادِي النَّجَاءِ<sup>(١١)</sup> مُشَمَّرَا  
فَلَقَا وَلَا جَذِي الْفَرَاقِدِ مَا سَرَى

= الأعلام (ص ١٩٦).

- (١) في الذخيرة: «إلى نيل الإمارة».
- (٢) في الذخيرة وأعمال الأعلام: «لَبَقِ الفُروسيّة».
- (٣) القصيدة في ديوان ابن دزّاج القسطلّي (ص ١٢٤ - ١٣١) وفي أعمال الأعلام (ص ١٩٨ - ٢٠٠) ٥١ بيتاً. وقد أورد منها ابن بسام في الذخيرة (ص ١٨٠ - ١٨١) ٢٤ بيتاً لم ترد هنا.
- (٤) في الديوان وأعمال الأعلام: «النَّدَى». (٥) في أعمال الأعلام: «ناديت حيّ».
- (٦) في أعمال الأعلام: «سيل».
- (٧) في الديوان: «هَمِّي».
- (٨) في الديوان: «أَغْرَتُهُ».
- (٩) رواية عجز البيت في الأصل هي:

نور الهدى عن يسديك منوراً

وكذا لا يستقيم الوزن، والتصويب من الديوان.

- (١٠) في أعمال الأعلام: «تسداها».
- (١١) في المصدر نفسه: «النواء».



وَتَرَكْنَ مَأْلُوفَ الْمَعَاهِدِ مُقْفِرَا  
أَمَاجُهُ وَالْبَرُّ حَيْثُ تَنَكَّرَا  
أَبَدًا وَلَا عَنْ بَخْرِ جُودِكَ مَضْدَرَا  
يُزْجِيهِ نَحْوُكَ كُلُّ مَخْبُوكِ الْقَرَا<sup>(١)</sup>  
بِغَائِهَا<sup>(٢)</sup> فِي كُلِّ أَفْقٍ مَنَحْرَا  
قَلَّتْ الْمَضَاجِعُ تَحْتَ جَوِّ أَكْثَرَا  
سَكَنَ اللَّيَالِي وَالتَّهَارَ الْمُبْصِرَا  
أَشْلَاؤُهُنَّ كَمِثْلِ أَنْصَافِ الْبُرَا  
مِمَّا تُلَاقِي أَوْ تُلَاقِي مُنْذِرَا<sup>(٣)</sup>  
دُونَ ابْنِ يَحْيَى<sup>(٤)</sup> أَوْ تَمُوتَ فَتُغْدِرَا  
يُمْنُكَ يَا بَذَرَ السَّمَاءِ الْمُقْمِرَا  
فَجَرَى<sup>(٥)</sup> فَأَوَزَّقَ فِي يَدَيْكَ وَأَثْمَرَا  
فَبِمَا شَرِقْتُ إِلَيْكَ بِالْمَاءِ الصُّرَى<sup>(٦)</sup>  
فَلَقَدْ لَبِسْتُ إِلَيْكَ عَيْشًا أَغْبَرَا  
فَلَكُمْ صَلِيْتُ إِلَيْكَ جَوًّا<sup>(٧)</sup> مُسْعَرَا  
وَرَأَى رِضَاكَ بِهَا رَخِيصًا فَاشْتَرَى  
قَلْبًا يَكَادُ عَلَيَّ أَنْ يَتَفَطَّرَا  
إِلَّا تَذْكَرَ عَنِّي فَاسْتَعْبَرَا  
عَنْ عَوْلِ رَحْلِي مُنْجِدًا أَوْ مُغَوِّرَا  
فَلَقَدْ لَقِيتُ الصُّبْحَ بَعْدَكَ أَزْهَرَا  
وَأَسَمْتُ خَيْلِي وَسَطَ جَنَّةٍ عَبَقْرَا  
مِنْ تَاجِ كِسْرَى ذِي الْبَهَاءِ وَقَيْصَرَا

ظُنُّنْ أَلْفَنَ الْقَفْرِ فِي عَوْلِ الدُّجَى  
يَطْلُبُنْ لُجَّ الْبَحْرِ حَيْثُ تَقَاذَفَتْ  
هَيْمٌ وَمَا يَنْبَغِيَنَّ دُونَكَ مَوْرِدَا  
مِنْ كُلِّ نِضْوٍ آلَى مَخْبُوكِ الْمُنَى  
بُذْنٌ قَدَتْ مِثْلًا دِمَاءُ نُحُورِهَا  
تَحَرَّتْ بِنَا صَدْرُ الدُّبُورِ فَأَتَبَطَّتْ  
وَصَبَّتْ إِلَى نَحْوِ<sup>(٨)</sup> الصُّبَا فَاسْتَخْلَصَتْ  
خُوصٌ نَفَخْنَ بِنَا الْبُرَى حَتَّى انْتَثَتْ  
تَدَرَّتْ لَنَا أَنْ لَا تُلَاقِي رَاحَةً  
وَتَقَاسَمَتْ أَنْ لَا تُسَيِّغَ حَيَاتِهَا  
لِلَّهِ أَيُّ أَهْلَةٍ بَلَغَتْ بِنَا  
بَلْ أَيُّ غَضَنِ فِي ذَرَاكَ هَصَرْتُهُ  
فَلْتَنْ صَفَا مَاءَ الْحَيَاةِ لَدَيْكَ لِي  
وَلْتَنْ خَلَعَتْ عَلَيَّ بُزْدًا أَخْضَرَا  
وَلْتَنْ مَدَدَتْ عَلَيَّ ظِلًّا بَارِدَا  
وَكَفَى لِمَنْ<sup>(٩)</sup> جَعَلَ الْحَيَاةَ بَضَاعَةً  
فَمَنْ الْمُبْلَغُ عَنْ غَرِيبٍ نَازِحٍ  
لَهْفَانٍ لَا يَزِيدُ طَرْفُ جَفُونِهِ<sup>(١٠)</sup>  
أَبْنِيَّ، لَا تَذْهَبْ بِنَفْسِكَ حَسْرَةً  
فَلْتَنْ تَرَكْتَ اللَّيْلَ فَوْقِي دَاجِيَا  
وَلَقَدْ وَرَدْتُ مِثْلَ مَاءِ مَارِبٍ حُقْلًا  
وَنَظَّمْتُ لِلْغَيْدِ الْجِسَانِ قَلَائِدَا

(١) القَرَا: الظهر.

(٢) في أعمال الأعلام: «بِقَائِهَا». والِبِغَاء: الطلب.

(٣) في المصدر نفسه: «نَحْر».

(٤) هو منذر بن يحيى، ممدوح ابن دراج.

(٥) ابن يحيى: هو منذر بن يحيى، المقدم ذكره.

(٦) في الديوان: (نَحْرِي).

(٧) في أعمال الأعلام: «حَرًّا».

(٨) في أعمال الأعلام: «لا يرتد في أجفانه».

(٩) في الديوان: «وكفأك مَنْ».

(١٠) في الديوان: «وكفأك مَنْ».

وَحَلَلْتُ أَرْضًا بُدِّلَتْ حَضْبَاؤُهَا  
وَلَيْغَلَمْ<sup>(٢)</sup> الْأَمْلَاكُ أَنِّي بَعْدَهُمْ  
وَرَمَى عَلَيَّ رِءَاءَهُ مِنْ دُونِهِمْ  
ضَرَبُوا قِدَاحَهُمْ عَلَيَّ فَفَازَ بِي  
مَنْ فَكَّ طَرْفِي مِنْ تَكَالَيْفِ الْفَلَا  
وَكَفَى عِتَابِي مِنْ أَلَامٍ مُعَذِّرًا  
وَمُسَائِلٍ عَنِّي الرِّفَاقَ وَوُدَّهُ  
وَبَقِيْتُ فِي لُجَجِ الْأَسَى مُتَضَلِّلًا  
كَأَنَّ قَدْ أَنَسْتُ مِنْ هُوْدٍ هُدًى  
وَأَصْبَبْتُ فِي سَبَبٍ مُوَزَّتٍ مُلْكِهِ  
فَكَأَنَّمَا تَابَعْتُ تُبْعَ رَافِعًا  
وَالْحَارِثَ الْجَفْنِيَّ مَمْنُوعَ الْجَمَى  
وَحَطَطْتُ رَحْلِي بَيْنَ نَارِي حَاتِمٍ  
وَلَقِيتُ زَيْدَ الْخَيْلِ تَحْتَ عَجَاجَةٍ  
وَعَقَدْتُ فِي يَمَنِ مَوَاقِقَ ذِمَّةٍ  
وَأَتَيْتُ بِخَدَلٍ<sup>(٧)</sup> وَهُوَ يَزْقَعُ مِثْبَرًا  
وَحَطَطْتُ<sup>(٨)</sup> بَيْنَ جِفَانِهَا وَجُفُونِهَا  
تِلْكَ الْبُحُورَ<sup>(٩)</sup> تَتَابَعَتْ وَخَلَفَتْهَا  
وَلَقَدْ نَمَوْتُ وَلَادَةً وَسِيَادَةً

ذَهَبًا يَرِفُ<sup>(١)</sup> لِنَاطِرِي وَجَوْهَرًا  
أَلْفَيْتُ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا<sup>(٣)</sup>  
مَلِكٌ تُخَيَّرَ لِلْعَلَا فَتَخَيَّرَا  
مَنْ كَانَ بِالْقِدْحِ الْمُعَلَى أَجْدَرًا  
وَأَجَارَ طَرْفِي مِنْ تَبَارِيحِ الشُّرَى  
وَتَذَمُّمِي مِمَّنْ تَجَمَّلُ<sup>(٤)</sup> مُغْدِرًا  
لَوْ تَنَبَّذَ السَّاحَاتُ<sup>(٥)</sup> رَحْلِي بِالْعَرَا  
وَعَدَلْتُ عَنْ سُبُلِ الْهُدَى مُتَحِيرًا  
وَلَقِيتُ يَغْرُبَ فِي الْقُيُولِ وَحْمِيرًا  
يَسْبِي الْمُلُوكَ وَلَا يَدِبُ لَهَا الضَّرَا  
أَعْلَامُهُ مَلِكًا يَدِينُ لَهُ الْوَرَى  
بِالْخَيْلِ وَالْأَسَادِ مَبْدُولَ الْقَرَى  
أَيَّامَ يَفْرِي مُوسِرًا أَوْ مُغْسِرًا  
تَكْسُو<sup>(٦)</sup> غَلَائِلُهَا الْجِيَادَ الضُّمْرَا  
مَشْدُودَةَ الْأَسْبَابِ مُؤَثَّقَةَ الْعُرَى  
لِلدَّيْنِ وَالْدُّنْيَا وَيَخْفِضُ مِثْبَرًا  
حَرَمًا أَبَتْ حُرُمَاتُهُ أَنْ تُخْفَرَا  
سَعْيًا فَكُنْتُ الْجَوْهَرَ الْمُتَخَيَّرَا  
وَكَسَوْتُكَ عِزًّا وَابْتَنَوْنَا لَكَ مَفْخَرَا

- (١) في أعمال الأعلام: «يَرُوقُ». (٢) في أعمال الأعلام: «وَلَتَغَلَمْ».
- (٣) أخذه من المثل: «كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا». يضرب لمن يُفَضَّلُ عَلَى أَقْرَانِهِ. والفرا: الحمار الوحشي وجمعه فراء. مجمع الأمثال (ج ٢ ص ١٣٦).
- (٤) في الأصل: «تَحَمَّلُ» بالحاء المهملة، والتصويب من المصدرين.
- (٥) في الأصل: «السَّانِحَاتُ» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى، والتصويب من أعمال الأعلام. وفي الديوان: «السَّادَاتُ».
- (٦) في الأصل: «يَكْسُو»، وكذا في الديوان، والتصويب من أعمال الأعلام.
- (٧) هو يَخْدُلُ بن أنف الكلبي، الذي تزوج معاوية بن أبي سفيان من بنته ميسون والدته ابنه يزيد، وقد كان لقبيلة كلب اليمنية التي ينتسب إليها بحدل أعظم البلاء في نصرة الدعوة الأموية.
- (٨) في أعمال الأعلام: «وَحَطَطْتُ» بالحاء المعجمة.
- (٩) في المصدر نفسه: «البدور».

فَمَمَرْتُ بِالْأَمَالِ<sup>(١)</sup> أَكْرَمَ أَكْرَمٍ  
وَشَمَائِلٍ عَبَقَتْ بِهَا سَبُلُ الْهُدَى  
أَهْدَى إِلَى شَعْفِ الْقُلُوبِ مِنَ الْهَوَى  
وَمَشَاهِدٍ لَكَ لَمْ تَكُنْ أَيَّامُهَا  
لَا قَيْنَتْ فِيهَا الْمَوْتُ أَسْوَدَ أَذْهَمَا  
وَلَوْ اجْتَلَى فِي زِيِّ قِرْنِكَ مُغْلَمَا  
يَا مَنْ تَكَبَّرَ بِالتَّكْرُمِ<sup>(٢)</sup> قَدْرُهُ  
وَالْمُنْذِرُ الْأَعْدَاءَ بِالْبُشْرَى لَنَا  
مَا صُوِّرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ  
فَازْفَعُ لَهَا عِلْمَ الْهُدَى فَلْيُثْلِهَا  
وَانْصُرْ نَصْرَتَ مِنَ السَّمَاءِ فَإِنَّمَا  
وَاسَلَّمْ وَلَا وَجَدُوا لِحُجُوكَ مَنَفَسَا

مُلْكًا وَرِثَتْ عُلاَهُ أَكْبَرَ أَكْبَرًا  
وَدَرَتْ عَلَى الْآفَاقِ مِسْكًا أَذْفَرَا  
وَأَلَذُّ فِي الْأَجْفَانِ مِنْ طَعْمِ الْكَرَى  
ظَنَّا يَرِيبُ وَلَا حَدِيثًا يُفْتَرَى  
فَذَعَرْتُهُ بِالسَّيْفِ أَبْيَضَ أَخْمَرَا  
لَتَرَكْنَاهُ تَحْتَ الْعَجَاجِ مُعْفَرَا  
حَتَّى تَكْرَمَ أَنْ يُرَى مُتَكَبِّرَا  
صَدَقْتَ صِفَاتِكَ مُنْذِرًا وَمُبَشِّرَا  
حَتَّى يَرَاكَ اللَّهُ فِيهِ مَصُورَا  
رَفَعْتَكَ أَعْلَامَ السِّيَادَةِ فِي الدُّرَى  
نَاسَبْتَ أَنْصَارَ النَّبِيِّ لِثَنَصْرَا  
فِي النَّائِبَاتِ وَلَا لِيُخْرِكَ مَغْبَرَا

سيرته: قال<sup>(٣)</sup>: وساسَ لأول ولايته عظيمَ الفِرْنَجَةِ<sup>(٤)</sup>، فحَفِظَتْ أَطْرَافَهُ، وبلغ من استمالته طوائفَ الصُّرَانِيَّةِ، أن جرى على يديه بِحَضْرَتِهِ عقد مصاهرة بعضهم<sup>(٥)</sup>، ففَرَّقَتْهُ الْأَلْسَنَةُ لَسْغِيهِ فِي نِظَامِ سِلْكِ النصارى. وعُمِّرَ بِهِ الثُّغَرُ إِلَى أَنْ أَلُوتَ بِهِ الْمَنِيَّةُ. وقد اعترف له الناس بالرأي والسياسة.

كُتَابِهِ: واستكتب عدة كتب كابن مَدُور، وابن أَرْزَق، وابن واجب، وغيرهم.

وصوله إلى غرناطة: وصل غرناطة صُخْبَةُ الْأَمِيرِ الْمُرتَضَى الْآتِي ذَكَرَهُ، وَكَانَ مِمَّنْ انْهَزَمَ بَانْهَزَامِهِ. وَذَكَرُوا أَنَّهُ مَرَّ بِسُلَيْمَانَ بْنِ هُودٍ، وَهُوَ مُثَبِّتٌ لِلْإِفْرَنْجِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْمَحَلَّةِ لَا يَرِيمُ مَوْقِفَهُ<sup>(٦)</sup>، فَصَاحَ بِهِ النَّجَاةُ: يَا ابْنَ الْفَاعِلَةِ، فَلَسْتُ أَقْفَ عَلَيْكَ، فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: جِئْتَ وَاللَّهِ بِهَا صَلَاحًا، وَقَضَّحْتَ أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ، ثُمَّ انْقَلَعَ وَرَاءَهُ.

(١) في الديوان: «فَمَمَرْتُ بِالْإِفْبَالِ». (٢) في أعمال الأعلام: «يَا مَنْ تَكْرَمَ بِالتَّكْبِيرِ». (٣) النص في الذخيرة (ق ١ ص ١٨١) وأعمال الأعلام (ص ١٩٧) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٦ - ١٧٧).

(٤) في الذخيرة والبيان المغرب: «عظماء الإفرنج»، وفي أعمال الأعلام: «عظماء الفرنجة». (٥) أجرى منذر مصاهرة بين ريموند الجليقي وشانجه القشتالي، حيث تزوج شانجه بابنة ريموند، حسبما جاء في الذخيرة. (٦) لا يريم موقفه: لا يبرحه.

وفاته: وكانت<sup>(١)</sup> على يدَي رجل من أبناء عمه يدعى عبد الله بن حَكَم، كان مُقَدِّمًا في قُوَّاده، أضمر غَدْرَه، فدخل عليه، وهو غافل في غِلالة، ليس عنده إلا نفرٌ من خواصِّ خَدَمه الصُّفْلُب، قد أكْبَ على كتاب يقرؤه، فعلاه بسكين أجهز به عليه. وأجفل الخدم إلا شَهْمَ منهم أكْبَ عليه فمات معه. ومَلَك سَرَقُسطه، وتمسك بها أيامًا، ثم قرَّ عنها، ومَلَكها ابن هُود. وكان الإيقاع به غرة ذي حجة سنة ثلاثين وأربعمئة، رحمة الله عليه.

### موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى ابن يَغْمَراسن بن زِيان<sup>(٢)</sup>

الأمير بيلمسان، يكنى أبا حَمُو.

أوليته: أوليته معروفة تنظر فيما سلف من الأسماء.

حاله: هذا السلطان مُجمَع على حَزْمه، وضمَّه لأطراف مُلكه، واضطلعه بأعباء مُلك وطنه، وصبره لدولة قومه، وطلَّوعه بسعادة قَبيله. عاقلٌ، حازمٌ، حَصيفٌ، ثابتُ الجَأَش، وقورٌ مَهيب، جماعةٌ للمال، مباشرٌ للأمور، هاجر للذات، يَقِظ، مُتَشَمِّر. قام بالأمر غُرة ربيع الأول في عام ستين<sup>(٣)</sup>، مُرتاش الجَنَاح بالأخلاف من عَرَبِ القَبيلة، معولًا عليهم عند قُضد عَدُوّه، وحَلَب ضِرع الجَباية، فأثرى بيتُ ماله، ونَبَّهت دولته، وأتقنه جِبرته، فهو اليوم ممن يُشار إليه بالسُّداد.

أدبه وشعره: ووجَّه لهذا العهد في جُملة هدايا وُدِّيَّة، ومقاصِد سِنِّيَّة، نسخة من كتابه المسمى بـ«وِاسِطَةُ السُّلوك»، في سياسة المُلوِك<sup>(٤)</sup>، افتتحه بقوله:

«الحمد لله الذي جعل نِعْمته على الخَلْق، بما أَلْفَهم عليه من الحقِّ، شاملةً شائعةً، ويسر طوائِف من عِباده لليُسرى فَأَتَتْ إليها مُساعدة مُسارعةً، وحضَّهم على الأخذِ بالحُسنى ولا أَحَسُّ من نفوس أُرْشِدَتْ فأقبلت لِإزْهائها طالبةً ولربُّها طائعة، ولا أَسْمَى من هِمِّ نَظرت بحُسن السِّياسة في تدبير الرِّياسة التي هي لأشتاتِ الملك

(١) قارن بالذخيرة (ق ١ ص ١٨٥ - ١٨٦) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٧٨).

(٢) ترجمة أبي حَمُو موسى بن يوسف الزباني في التعريف بابن خلدون (ص ٩٦) وأزهار الرياض

(ج ١ ص ٢٣٨، ٢٤٤) ونفح الطيب (ج ٩ ص ٢١٤، ٣٤٢) وهدية العارفين (ج ٢ ص ٤٨٠)

ودائرة المعارف الإسلامية (ج ١ ص ٣٢٨) والأعلام (ج ٧ ص ٣٣١).

(٣) أي سنة سبعمئة وستين.

(٤) هذا الكتاب مطبوع، وجاء في هدية العارفين (ج ٢ ص ٤٨٠) أن له كتابًا اسمه «فلاذ الدرر

في سياسة الملك».

جامعة، ولأسباب الملك مانعة، وأظهرت من معادنها دُرر الحكَمِ وغُرر الكَلِمِ لائحةً لامةً، فاجتلت أعمارها طالعةً، واجتنت أزهارها يانعة. وصلى الله على سيدنا محمد الكريم المبعوث بالآيات البينات ساطيةً ساطعةً، والمُعْجَزات المُعْجَمات قاصِمةً لظهور الجاحدين قاطعة، الذي زُوِيَتْ له الأرضُ فَنَدَانَتْ أَفكارها وهي نايبةٌ شاسعة، واشتاقَتْ له المياه فَبَرَزَتْ بين أصابعه يانعة، وامْتَلَأَ السُّحَابُ أُمْرَه فَسَحَّ باستِسْقائه دُرراً هاميةً هامةً، وحنَّ الجِذْعُ له وكان حنينه لهذه الآيات الثلاث آيةً رابعة، إلى ما لا يُحصى مما أَتَتْ به مُتَوَاتِرَاتُ الأخبارِ وَصِيْحَاتُ الآثارِ ناصرةً لنبوِّته ساطعةً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعِثْرَتِهِ التي أجابت داعيَ الله خاشيةً خاشعةً، وأدْعَتْ لأوامر رسول الله ﷺ فكانت من الاستبْداد خالية ولِلأنداد خالعةً، صلاة ديمَتْها دائمةٌ مُتَّابعةً، وسَلَّمَ كثيرًا».

جَمَعَ فيه الكثير من أخبار الملوك وسيرهم، وخصَّ به وَلَدَه وولِّيَ عهده، فجاء مجْمُوعًا يُسْتَظَرَفُ من مثله، ويدلُّ على مكانه من الأدب ومحله.

وَبَتَّ فيه الكثير من شعره، فمن ذلك قصيدة أجاب فيها أحدَ رؤوس القبائل، وقد طلب منه الرجوع إلى طاعته، والانتظام في سلك جماعته، وهي:

[الطويل]

وما قد مضى من عهدها المُتْقَادِمِ  
بَصْبَرٍ مُنَافٍ أو بِشَوْقٍ مُلَازِمِ  
وَأَيُّ فُؤَادٍ بَغْدَهُمْ غَيْرُ هَائِمِ؟  
وما حبُّ سَلْمَى لَلْفَتَى بِمُسَالِمِ  
ولا تَقْلٍ في تَذْكَارِ تِلْكَ المَعَالِمِ  
ولا يَسْتَبِي إِلَّا الضَّعِيفَ العَزَائِمِ  
قَرِيبٌ مِنَ التَّقْوَى بَعِيدُ المَآثِمِ  
يُسَاقُ بِخَلْقِ الشَّهْدِ مُرَّ العَلَاقِمِ  
بِحَارِ الردى في لُجْهِ المُتَلَا حِمِ  
وَتَنْثُرُ دُرًّا<sup>(٢)</sup> مِنْ دَمُوعِ سَوَاجِمِ؟  
مَقَالَةُ بَاكِ أو مَلَامَةُ لَائِمِ  
لَنَجْتَنِبَ اللُّومَ اجْتِنَابَ المَحَارِمِ؟

تَذَكَّرْتُ أَطْلَالَ الرُّبُوعِ الطَّوَّاسِمِ  
وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَغْدٍ بَغْدٍ أُنَيْسَهَا<sup>(١)</sup>  
تَهِيمٌ بِمَغْنَاهُمْ وَتَنْدُبٌ رَنْعَهُمْ  
تَجِنُّ إِلَى سَلْمَى وَمَنْ سَكَنَ الحِمَى  
فَلَا تَنْدُبِ الأَطْلَالَ واسْلُ عَنْ الهوى  
فَإِنَّ الهوى لَا يَسْتَفِيزُ ذَوِي النُّهى  
صَبُورٌ عَلَى البَلْوَى طُهُورٌ مِنَ الهوى  
وَمَنْ يَبْنِغُ دَرْكَ المَغْلُواتِ وَنَيْلَهَا  
وَلَائِمَةٌ لَمَّا رَكَبْنَا إِلَى العَلَا  
تَقُولُ بِإِشْفَاقٍ: أَتَنْسَى هوى الدُّمَا  
إِلَيْكَ فَإِنَّا لَا يَرُدُّ اعْتِرَازَنَا  
أَلَمْ تَذَرِ أَنَّ اللُّومَ لَوْمْ وَأُنْشَا

(١) في الأصل: «أُنْسَهَا» وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «دُرًّا»، وكذا ينكسر الوزن.

إذا هام قوم بالحسان النواعم  
 أحب إلينا من بروق المباسم  
 فأشجى لدينا من غناء<sup>(٢)</sup> الحمام  
 قدود العوالي أو خدود الصوارم  
 إلى غمدها إلا بجرّ الغلاصم<sup>(٣)</sup>  
 بتفريق ما بين الطلى والجماجم  
 ويذهب منا الحرب كلّ مُسالم  
 ونُقْدم إقدام الأسود الضراغم  
 يعود إلى أوطانه بالغنائم  
 إذا شيك مظلوم بشوكة ظالم  
 ويحميه منا كلّ ليت ضبارم<sup>(٥)</sup>  
 إلى بابنا ينبغي التماس المكارم؟  
 وكلّ خليل ودّه غير دائم  
 بإخلاص ودّ واجب غير واجم  
 فخلّى لذات الخُفّ ذات المناسم  
 أبث له ما تحت طيّ الحيازم  
 تُؤدّي إلى خير الملوك الأعظم  
 تخيّرنا بين القلاص الرّواسم  
 ويُشبهه في جيده والقوائم  
 تخيّلُها بعض<sup>(٦)</sup> السحاب الرّواكم  
 نزلت كمثّل البزق لاح لثائم  
 فأمنسى وفي أكبادها أيّ جاحم

فما بسوى العلياء<sup>(١)</sup> هُنا جلاله  
 بروق السيوف المشرفيات والقنا  
 وأما صميل السابحات لذي الوعى  
 وأحسن من قدّ الفتاة وخذها  
 إذا نحن جرّذنا الصوارم لم نَعُدْ  
 نواصل بين الهندواني الطلاء<sup>(٤)</sup>  
 فيرغب منا السّلم كلّ مُحارب  
 نقود إلى الهيجاء كلّ مُضمر  
 وما كلّ من قاد الجيوش إلى العدا  
 وننصر مظلوماً ونمنع ظالما  
 ويأوي إلينا المُستجير ويلتجي  
 ألم ترّ إذ جاء السّبيعي قاصدا  
 وذلك لما أن جفاه صحابه  
 وأزّمع إرسالاً إلينا رسالة  
 وكان رأى أنّ المهامه بيننا  
 وقال ألا سلّ من عليم مجرّب  
 فيبلغ عنه الآن خير رسالة  
 على ناقه وجناء كالحزف ضامر  
 من اللائي يُظلمن الظليم إذا عدى  
 إذا أتلعت فوق السحاب جوابها  
 وإن هملجت بالسّير في وسط مهمه  
 ولم يأمن الخُلان بعد اختلالهم

(١) في الأصل: «العلياء»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «غناء»، وكذا ينكسر الوزن.

(٣) رواية عجز البيت في الأصل هي:

إلا غمادها الأبحر الغلاصم

وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. والغمد: جفن السيف. والغلاصم: جمع غلصمة وهو اللحم ما بين الرأس والعنق، والمراد قطع الرقاب.

(٤) في الأصل: «الطلاء»، وكذا ينكسر الوزن.

(٥) في الأصل: «صيارم»، وكذا لا معنى له. والأسد الضبارم: المجتمع الخلق مؤتفه.

(٦) في الأصل: «تعض»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

لُبُغْد المَدَى أَوْ خَوْفَ صَيْدِ الحَمَائِمِ  
فَقَالُوا: فَحَمَلُهَا أَكْفُ النَوَاسِمِ  
لَهَا ألسُنٌ مشهورة بالنَّمائمِ  
وكلُّ امرئٍ للسَّرِّ ليس بكاتِمِ  
فكان لَدَيْنَا خَيْرَ وافيٍّ وقادمِ  
يُضِيءُ لَهُ الظُّلُمَاءُ فِي كُلِّ عَاتِمِ  
وَيَضْحَبُ مِنْهَا كُلُّ بَاغٍ وَبَاغِمِ  
مِنَ الْمُغْرِبَاتِ الصَّافِنَاتِ الصَّلَادِمِ<sup>(٤)</sup>  
فَتَحْسِبُهُ فِي البَيْدِ بَعْضَ النُّعَامِ  
حَمَايَتُنَا إِيَّاهُ مِنْ كُلِّ ظَالِمِ  
نَزَلَتْ بِرَخْبٍ فِي عِرَاصِ المَكَارِمِ  
وَفَاضَ عَلَيْكَ الجُودُ فَيُنِصُّ العَمَائِمِ  
جَمَى وَنَدَى يُنْسَى بِهِ جُودُ حَاتِمِ  
بُعِثْنَا بِهِ كَاللُّؤْلُؤِ الْمُتَنَازِمِ  
لَعَمْرُكَ مِنَ التَّيْجَانِ غَيْرِ العَمَائِمِ  
وَكَمْ دُونَ إدْرَاكِ العُلَا مِنْ مَلَاحِمِ  
وَكَمْ مَكَّثَتْ دَهْرًا بِغَيْرِ دَعَائِمِ  
وَكَمْ بَاتَ نَهَبًا شَمْلُهُ دُونَ نَازِمِ  
فَذَلَّتْ وَقَدْ كَانَتْ صِعَابَ الشُّكَايِمِ  
يُذِلُّ لَهَا عِزُّ المُلُوكِ القَّمَاوِمِ  
وَيَعْجِزُ عَنْ إِخْصَائِهَا كُلُّ نَازِمِ  
وَصَلَّى<sup>(٦)</sup> عَلَى المَخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمِ  
تَضَاحَكَ رَوْضٌ عَنْ بُكَاءِ العَمَائِمِ

فَقَالُوا فَحَمَلُهَا الحَمَائِمِ قَالَ لَا  
وَمَا الْقَضْدُ إِلَّا فِي الوُصُولِ بِسُرْعَةٍ  
فَقَالَ: لِنِعَمِ المُرْسَلَاتِ وَإِنَّمَا  
فَلَمْ يَلَفَ فِيهَا لِلْأَمَانَةِ مَوْضَعًا  
فَحِينَئِذٍ وَافَى إِلَيْنَا بِنَفْسِهِ  
يَجُوبُ إِلَى<sup>(١)</sup> الْبَيْدَاءِ قَضْدًا وَبِشْرُنَا  
طِلَابُ الْعَلَا تَسْرِي مَعَ الْوَحْشِ فِي الْفَلَا  
عَلَى سَلْهَبٍ<sup>(٢)</sup> ذِي صَوْرَتَيْنِ مُطْعَمٍ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا شَاءَ أَيُّ الْوَحْشِ أَذْرَكَهُ بِهِ  
وَيُقَدِّمُهُ طَوْعًا إِلَيْنَا رَجَاؤُهُ  
أَلَا أَيُّهَا الْآتِي لِظُلِّ خَنَانِنَا  
وَقُوبِلْتَ مِنَّا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ  
كَذَا دَأْبُنَا لِلْقَادِمِينَ مَحَلَّنَا  
وَهَذَا جَوَابٌ عَنْ نِظَامِكَ إِنُنَا  
وَنَحْنُ ذُوو التَّيْجَانِ مِنْ آلِ جَمِيرِ  
بِهَمِّتِنَا الْعَلْيَا سَمُونَا إِلَى الْعُلَا  
شَدَدْنَا لَهَا أَزْرًا وَشِدْنَا بِنَاءَهَا  
نَظَّمْنَا شَتِيتَ الْمَجْدِ بَعْدَ افْتِرَاقِهِ  
وَرُضْنَا جِيَادَ الْمُلْكِ بَعْدَ جِمَاحِهَا  
مِنَاقِبِ زِيَانِيَّةٍ<sup>(٥)</sup> مُوسَوِيَّةٍ  
يُقَصِّرُ عَنْ إدْرَاكِهَا كُلُّ مُبْتَغِ  
فَلِلَّهِ مِنَّا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ دَائِمًا  
وَنَخْتَصُّكُمْ مِنَّا السَّلَامُ الْأَثِيرَ مَا

(١) فِي الْأَصْلِ: «إِلَيْنَا»، وَكَذَا لَا يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ وَلَا الْمَعْنَى.

(٢) الْفَرَسُ السَّلْهَبُ: الطَوِيلُ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: «ذِي صَوْرَتَيْنِ مُطْعَمٍ» وَكَذَا لَا يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ وَلَا الْمَعْنَى.

(٤) الصَّافِنَاتُ: الْخَيْلُ الْقَائِمَةُ عَلَى ثَلَاثٍ. وَالصَّلَادِمُ: جَمْعُ صَلْدِمٍ وَهُوَ الصَّلْبُ الشَّدِيدُ.

(٥) نَسَبَةٌ إِلَى زِيَانَ الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ أَبُو حَتْمٍ مُوسَى بْنُ يُوسُفَ بْنِ زِيَانَ.

(٦) فِي الْأَصْلِ: «وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى...»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ.

قلت: ولما تعرّفتُ كَلَفَه بالأدب والإلمام بمُجاورته، عزمتُ على لقائه،  
وتشوّفتُ عند العَزَم على الرُّحلة الحجازية، إلى زيارته، ولذلك كنتُ أخاطبه بكلمة  
منها: [الطويل]

على قَدَرٍ قد جثتَ قومَكَ يا موسى      فَجَلَّتْ بكِ الثُّغْمَى وزالتْ بكِ البُوسَى  
فحالَتْ دون ذلك الأحوال، وهو بحاله الموصوفة إلى هذا العهد، وفقه الله،  
وسائر مَنْ تولى أمراً من أمور المسلمين.

وجرى ذكره في رجز الدول<sup>(١)</sup> من نظمي: [الرجز]

بادرَها المُفْدي الهامُّ موسى      فأَذْهَبَ الرحمنُ عنها البُوسَى  
جَدَّدَ فيها المُلْكَ لَمَّا أخلَقا      وبعثَ السُّعد وقد كان لقا  
ورُتِبَ الرُّتَبَ والرُّسُوما      وأُطْلِعَ الشُّمُوسَ والتُّجُوما  
واخْتَجَنَ المالَ بها والعُدَّة      وهو بها باقٍ لهذي المُدَّة  
ولادته: ولد بمدينة عَرَناطة حسبما وَقَعْتُ عليه بخط الثُّقة من ناسه، في أول  
عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة<sup>(٢)</sup>.

### مُبارك ومُظَفَّر الأميران مَوْلِيا المنصور بن أبي عامر<sup>(٣)</sup>

حالهما: قال أبو مروان<sup>(٤)</sup>: تَرَقَّيا إلى تَمَلُّك بَلَنَسِيَّة من وكالة السَّاقِيَّة، وظَهر من  
سياستهما وتعاوُضِهِما<sup>(٥)</sup> صَحَّة الألفَةِ طوْلَ حياتهما، ما فاتا به في معناهما<sup>(٦)</sup> أَشَقَاءُ  
الأخُوَّة وعُشاق الأَحَبَّة، إذ نَزَلَا مَعًا بقصر الإمارة مُخْتَلِطَيْنِ، تَجَمَّعُها مائدة واحدة من  
غير تَمييزٍ في شيء، إلَّا الحَرَمُ خاصَّة. وكان التَّقَدُّمُ لمُبارك في المُخاطبة، وحفظ  
رسوم الإمارة، أَفْضَلُ صرامةً وذِكْراً، قَصَرَ عنهما مُظَفَّر، لدمائة خُلُقِه، وانحِطاطِه

- 
- (١) رجز الدول: هو نفسه كتاب «رقم الحلل في نظم الدول» لابن الخطيب.  
(٢) قُتِل أبو حمو في معركة دبرها ابنه عبد الرحمن بالاتفاق مع بني مرين، وذلك بموضع يقال له  
«الغيران» يبعد نصف يوم عن تلمسان، في ٤ ذي الحجة سنة ٧٩١ هـ.  
(٣) أخبار مبارك ومظفر في أعمال الأعمال القسم الثاني ص (٢٢٢) والذخيرة (ق ٣ ص ١٤)  
والمغرب (ج ٢ ص ٢٩٩) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٥٨).  
(٤) قارن بالذخيرة (ق ٣ ص ١٤ - ١٥، ١٨) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٥٨ - ١٥٩) وأعمال  
الأعلام (القسم الثاني ص ٢٢٢).  
(٥) في أعمال الأعلام: «وتقارضهما».  
(٦) في الأصل: «معناها» والتصويب من المصادر.



لصاحبه في سائر أمره، على نَحْلته<sup>(١)</sup> بكتابة ساذجة وفروسة<sup>(٢)</sup>، فَبَلَّغا الغاية من اقتناء الأسلحة والآلات الملوكية، والخَيْل المُغَرِّبات، ونفيس الحلي والحُلل، وإشادة البناء للقصور. واشتمل هذا الرأي على جميع أصحابهما، ومَن تعلَّق بهما من وُزرائهما وكتّابهما، ولم يَغْرِض لهما عارضُ إنفاق<sup>(٣)</sup> بتلك الآفاق، فأنعمسا في النعيم إلى قَمَم رؤوسهما حتى انقضى أمرهما.

قال<sup>(٤)</sup>: وكان موثُ مبارك أنه ركب يوماً من قصر بَلَنْسية، وقد تَعَرَّض أهلها مُسْتَغِيثِينَ من مالٍ افترَضَه عليهم، فقال لهم: إن كنت لا أريد إنفاقه فيما يعمُ المسلمين نفعه فلا تُؤَخِّر عقوبتي يومي هذا. وركب إثر ذلك، فلما أتى القنطرة، وكانت من خشب، خرَّجَت رَجُلُ فَرَسِه من حَدِّها فرمى به أسفلها، واعترضته خَشَبَةٌ نَائِثَةٌ<sup>(٥)</sup> شَرَحَتْ وجهه، وسقط الفرسُ عليه، ففاضت نَفْسُه، وكفاهم الله أمره يومئذ.

وفي مُبارك ومُظَفَّر يقول أبو عمرو بن دَرَّاج القَسْطَلِي، رحمه الله<sup>(٦)</sup>: [الطويل]

أثَوْرُكِ أَمْ أَوْقَذْتَ بِاللَّيْلِ نَارَكَ  
لِبَاغِ قَرَاكِ أَوْ لِبَاغِ جِوَارَكَ؟  
وَرَيَّاكِ أَمْ عَزَفُ الْمَجَامِرِ أَشَعَلَتْ  
بِغُودِ الْكِبَاءِ وَالْأَلْوَةِ<sup>(٧)</sup> نَارَكَ؟  
وَمَبْسِئُكِ الْوَضَاحُ أَمْ ضَوْءُ بَارِقِ  
حَدَاهُ دُعَائِي أَنْ يَجُودَ دِيَارَكَ؟  
وَحَلْخَالِكِ اسْتَنْضَيْتِ أَمْ قَمَرٌ بَدَا؟  
وَشَمْسٌ تَبَدَّتْ أَمْ أَلْخَتِ سِوَارَكَ؟

(١) في أعمال الأعلام: «على تحليته». (٢) في المصادر: «وفروسيته».

(٣) في أعمال الأعلام: «إنفاق».

(٤) قارن بالذخيرة (ق ٣ ص ٢٠) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٣) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٢٥).

(٥) في الذخيرة: «نايبة شَدَحَتْ». وفي أعمال الأعلام: «ثانية شدخت».

(٦) ديوان ابن دراج القسطلي (ص ١٠١ - ١٠٨). وورد منها في الذخيرة (ق ٣ ص ١١ - ١٢) فقط خمسة أبيات. وفي المغرب (ج ٢ ص ٢٩٩) بيت واحد. وورد معظمها في أعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٢٣ - ٢٢٥) ولكن بروي مختلف، فجاء بكاف مفتوحة تتبعها ألف، أي باستعمال ضمير المخاطب المذكور، هكذا: (جواركا).

(٧) الكيابة: ضرب من العود يتبخَّر به. وكذلك الألوة.

وَطَرَّةُ صُبْحٍ أَمْ جَبِيئُكَ سَافِرًا  
 أَعَزَّتِ الصَّبَاحَ نُورَهُ أَمْ أَعَارَكَ؟  
 وَأَنْتِ هَجَرْتِ<sup>(١)</sup> اللَّيْلَ إِذْ هَزَمَ الضُّحَى  
 كِتَائِيهِ وَالصُّبْحَ لَمَّا اسْتَجَارَكَ  
 فَلِلصُّبْحِ فِيمَا بَيْنَ قِرْطَنِكَ مَطْلَعٌ  
 وَقَدْ سَكَنَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ خِمَارَكَ  
 فَيَا لِنَهَارٍ لَا يَغِيضُ<sup>(٢)</sup> ظِلَامُهُ  
 وَيَا لظِلَامٍ لَا يُغِيضُ<sup>(٢)</sup> نَهَارَكَ  
 وَنَجْمُ الثُّرَيَّا أَمْ لَالٍ تَقَسَّمَتْ  
 يَمِينُكَ إِذْ ضَمَّخَتْهَا أَمْ يَسَارَكَ؟  
 لِسُلْطَانٍ<sup>(٣)</sup> حُسْنٍ فِي بَدِيعِ مُحَاسِنِ  
 يَصِيدُ الْقُلُوبَ التَّافِرَاتِ نِفَارَكَ  
 وَجُنْدٍ غَرَامٍ فِي دُرُوعٍ<sup>(٤)</sup> صَبَابَةٍ  
 تَقْلُدُنَّ أَقْدَارَ الْهَوَى وَاقْتِدَارَكَ  
 هُوَ الْمُلْكُ لَا بَلْقَيْسُ أَذْرَكَ شَأُوهَا  
 مَدَاكِ وَلَا الزَّيَّاءُ شَقَّتْ غُبَارَكَ  
 وَقَادِحَةٌ<sup>(٥)</sup> الْجُوزَاءِ رَاعِيَتْ مَوْهِنَا  
 بِحَرِّ هَوَاكَ أَمْ تَرَسَّمْتُ<sup>(٦)</sup> دَارَكَ؟  
 وَطَيْفُكَ أَسْرَى فَاسْتِثَارَ تَشْوُوقِي  
 إِلَى الْعَهْدِ أَمْ شَوْقِي إِلَيْكَ اسْتِثَارَكَ؟  
 وَمَوْقِدُ<sup>(٧)</sup> أَنْفَاسِي إِلَيْكَ اسْتَطَارَنِي  
 أَمْ الرُّوحُ لَمَّا رُدَّ فَيَّ اسْتَطَارَكَ؟  
 فَكَمْ جُزَّتْ مِنْ بَخْرِ إِلَيَّ وَمَهْمَةٍ  
 يَكَادُ يُنْسِي الْمُسْتَهَامَ أَذْكَارَكَ

(١) في الديوان وأعمال الأعلام: «أَجَزَتْ». (٢) في أعمال الأعلام: «لا يغيط».  
 (٣) في أعمال الأعلام: «بسلطان». (٤) في أعمال الأعلام: «ضلوع».  
 (٥) في الديوان وأعمال الأعلام: (وقادمة). (٦) في أعمال الأعلام: «توسمت». (٧) في الديوان وأعمال الأعلام: «ومرئت».

أَذُو<sup>(١)</sup> الحَظَّ من عِلْمِ الكِتَابِ حَدَاكَ<sup>(٢)</sup> لي؟  
 أَمْ الفَلَكُ الدَّوَارُ نَخْوِي أَدَارَكَ<sup>(٣)</sup>؟  
 وَكَيْفَ كَتَمْتَ اللَّيْلَ وَجْهَكَ مُظْلِمًا  
 أَشْفَرَكَ أَغَشَيْتَ<sup>(٤)</sup> السَّنَا أَمْ شِعَارَكَ؟  
 وَكَيْفَ اعْتَسَفْتَ<sup>(٥)</sup> الْيَبْدَ لَا فِي ظِعَائِنِ  
 وَلَا شَجَرَ الْخَطِيّ حَفَّ شِجَارَكَ<sup>(٦)</sup>؟  
 وَلَا أَذَنَ الْحَيِّ الْجَمِيعُ بِرَخْلَةٍ  
 أَرَاخَ لَهَا رَاعِي الْمَخَاضِ عِشَارَكَ<sup>(٧)</sup>  
 وَلَا أَرْزَمْتَ<sup>(٨)</sup> خَوْصَ الْمَهَارِي مُجِيبَةً  
 صَهِيلَ جِيَادٍ يَكْتَنِفْنَ قِطَارَكَ<sup>(٩)</sup>  
 وَلَا أَذَكَّتِ الرُّكْبَانَ عَنْكَ عِيُونُهَا<sup>(١٠)</sup>  
 جِدَارَ عِيُونٍ لَا يَنْمَنُ جِدَارَكَ  
 وَكَيْفَ رَضِيْتَ اللَّيْلَ مَلْبَسَ طَارِقٍ  
 وَمَا دَرَّ قَرْزُ الشَّمْسِ إِلَّا اسْتِنَارَكَ؟  
 وَكَمْ دُونَ رَحْلِي مِنْ بَرُوجٍ<sup>(١١)</sup> مَشِيدَةٍ  
 تُحَرِّمُ مِنْ قُرْبِ الْمَزَارِ مَزَارَكَ  
 وَقَدْ زَارَتْ حَوْلِي أَسْوَدُ تَهَامَسَتْ  
 لَهَا الْأَسْدُ أَنْ كُفِّي عَنِ السَّمْعِ زَارَكَ  
 وَأَرْضِي سَيُولُ مِنْ خِيُولٍ مُظْفَرٍ  
 وَلَيْلِي<sup>(١٢)</sup> نُجُومٌ مِنْ سَمَاءٍ<sup>(١٣)</sup> مُبَارَكَ

(١) في أعمال الأعلام: «إذا».

(٢) في أعمال الأعلام: «يحيى أذكارك».

(٣) في الديوان وأعمال الأعلام «أغشيت» بالغين المعجمة.

(٤) في أعمال الأعلام: «عسفت».

(٥) الشَّجَار، بفتح الشين وكسرهما: هو خشب هوادج النساء.

(٦) العشار من الإبل: الحوامل التي مضت عليها عشرة أشهر.

(٧) في أعمال الأعلام: «أزحت».

(٨) القطار: هو أن تشدَّ الإبل على نسقٍ واحدًا خلف واحد.

(٩) إذكاء العيون: هو إرسال الطلائع.

(١٠) في الديوان: «قصود».

(١١) في أعمال الأعلام: «وليل».

(١٢) في الذخيرة: «رماح». وفي أعمال الأعلام: «سيوف».

بَحِيْثٌ وَجَدْتُ الْأَمْنَ يَهْتِفُ بِالْمُنَى  
 هَلُمِّي إِلَى عَيْنَيْنِ<sup>(١)</sup> جَادَا سَرَارِكِ<sup>(٢)</sup>  
 هَلُمِّي إِلَى بَخْرَيْنِ قَدْ مَرَجَ التُّدَى  
 عُبَابِنِهِمَا لَا يَسْأَمَانِ انْتِظَارَكَ  
 هَلُمِّي إِلَى سَيْفَيْنِ وَالْحَدُّ وَاجِدٌ  
 يُجِيرَانِ مِنْ صَرْفِ الْحَوَادِثِ جَارَكَ  
 هَلُمِّي إِلَى طَرْفِي رَهَانٍ تَقْدُمَا  
 إِلَى الْأَمَدِ الْجَالِي عَلَيْكَ اخْتِيَارَكَ  
 هَلُمِّي إِلَى قُطْبِي نَجُومِ كِتَابِي  
 تَنَادِي نَجُومَ التَّعَسِ غُورِي مَغَارَكَ<sup>(٣)</sup>  
 وَحَيِّي عَلَى دَوْحَيْنِ جَادَا<sup>(٤)</sup> نَدَاهُمَا  
 ظِلَالُكَ وَاسْتَذْنِي إِلَيْكَ<sup>(٥)</sup> ثِمَارَكَ  
 وَيُشْرَاكِ قَدْ قَارَتْ قِدَا حُكِّ بِالْعُلَا<sup>(٦)</sup>  
 وَأَعْطَيْتِ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ خِيَارَكَ  
 شَرِيكَانِ فِي صِدْقِ الْمُنَى وَكِلَاهُمَا  
 إِذَا قَارَنَ<sup>(٧)</sup> الْأَقْرَانُ غَيْرُ مُشَارَكَ  
 هُمَا سَمِعَا دَعْوَاكِ يَا دَعْوَةَ الْهُدَى  
 وَقَدْ أَوْثَقَ الدَّهْرُ الْخَوْوُنَ إِسَارَكَ  
 وَسَلًّا سَيَوْفَا لَمْ تَزَلْ تَلْتَضِي أَسَى<sup>(٨)</sup>  
 بِثَأْرِكَ حَتَّى أَدْرَكَكَ لِكَ ثَارَكَ  
 وَيَهْنِيكَ يَا دَارَ الْخِلَافَةِ مِنْهُمَا  
 هِلَالَانِ لَاحَا يَرْفَعَانِ مِنْارَكَ  
 كَلَا الْقَمَرَيْنِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ غُرَّةٌ  
 أَنْارَتْ<sup>(٩)</sup> كُسُوفَيْنِكَ وَجَلَّتْ سِرَارَكَ

(١) في أعمال الأعلام: «عَيْنَيْنِ». (٢) سرار الأرض: أوسطها وأكثرها.  
 (٣) هذا البيت ساقط في الديوان. (٤) في أعمال الأعلام: «مَدَّ». (٥) في الديوان «إِلَيَّ». (٦) في الديوان وأعمال الأعلام: «بِالْمُنَى». (٧) في الديوان «بارز». وفي أعمال الأعلام: «بارزًا». (٨) في أعمال الأعلام: «أَذَى فَنَارَكَ حَتَّى أَدْرَكَكَ فَنَارَكَ». (٩) في الأصل: «أَنَارَتْ» والتصويب من الديوان.

فَقَادَ إِلَيْكَ الْخَيْلَ شُغْنًا شَوَازِيَا  
يُلْبِينَ بِالنُّضْرِ الْعَزِيزِ انتِصَارَكَ  
سَوَابِقَ هَيْجَاءٍ كَأَنَّ صَهِيلَهَا  
يُجَاوِبُ تَحْتَ الْخَافِقَاتِ شِعَارَكَ  
بِكُلِّ سَرِيٍّ الْعِثْقِ سَرَى عَنْ الْهُدَى  
وَكُلِّ حَمِيٍّ الْأَنْفِ أَخْمَى ذِمَارَكَ  
تَحَلَّوْا مِنَ الْمَنْصُورِ نَضْرًا وَعِزَّةً  
فَأَبْلَوْكَ فِي يَوْمِ الْبَلَاءِ اخْتِيَارَكَ  
إِذَا انْتَسَبُوا يَوْمَ الطَّعَانِ لِعَامِرٍ  
فَعُمُرَكَ يَا هَامَ الْعِدَى لَا عَمَارَكَ!  
يَقُودُهُمْ مِنْهُمْ سِرَاجًا كِتَابٍ  
يَقُولَانِ لِلدُّنْيَا: أَجْدِي افْتِخَارَكَ  
إِذَا افْتَرَّتِ الرَّيَاكُ عَنْ غُرَّتَيْهِمَا  
فِيَا لِلْعِدَى أَضَلَّتْ مِنْهُمْ فِرَارَكَ  
وَإِنْ أَشْرَقَ النَّادِي بِنُورِ سَنَاوُهَا  
فَبُشْرَى الْأَمَانِي: عَيْنُكَ<sup>(١)</sup> لَا ضِمَارَكَ<sup>(٢)</sup>  
وَكَمْ كَشَفَا<sup>(٣)</sup> مِنْ كُزْبَةٍ بَعْدَ كُزْبَةٍ  
تَقُولُ لَهَا النِّيرَانُ: كُفِّي أَوَارَكَ  
وَكَمْ لَبِيَا مِنْ دَعْوَةٍ وَتَدَارَكَا  
شَفَى رَمَقٍ مَا كَانَ بِالْمُتَدَارَكَ  
وَيَا نَفْسَ غَاوٍ، كَمْ أَقْرَأَ نَفَارَكَ  
وَيَا رَجُلَ هَاوٍ، كَمْ أَقَالَا عَثَارَكَ  
وَلَسْتُ بِبِذَعٍ حِينَ قَلْتُ لِهَمَّتِي  
أَقْلِي لِإِغْتَابِ الزَّمَانِ انْتِظَارَكَ

(١) كذا في الأصل وفي الديوان، ولكي يستقيم الوزن ينبغي أن نطق هذه الكلمة بإشباع كسرة الكاف هكذا: «عَيْنِيكَ».

(٢) الضمار: خلاف العيان.

(٣) في الأصل: «كشفنا» ونعتقد أنه خطأ في الطبع.

فلله صدق العزم آية<sup>(١)</sup> غيرة  
 إذا لم تُطيعي في «لعل» اغترارك  
 فإن غالت البيد اصطبارك والشري  
 فما غال ضنم الكاشحين اصطبارك  
 ويا خلة التسويف، قومي فأغدفي<sup>(٢)</sup>  
 قناعك من دوني وشدي إزارك  
 وحسبك بي يا خلة الناي خاطري  
 بنفسي إلى الحظ النفيس حطارك  
 فقد آن إعطاء الثوى صفقة الهوى  
 وقولك للأيام: جوري مَجارك<sup>(٣)</sup>  
 ويا سُتر البيض النواعم، أغلني<sup>(٤)</sup>  
 إلى اليفملات والرحال بدارك<sup>(٥)</sup>  
 نواجي واستودعتهن نواجيا  
 حفاظك يا هذي بذى وازدهارك<sup>(٦)</sup>  
 ودونك أفلاذ الفؤاد فشُمري  
 ودونك يا عين اللبيب اعتبارك  
 صرقت الكرى عنها بمعتبق الشرى  
 وقلت: أديري والنجوم عُقارك  
 فإن وجبت للمغربين جئوبها<sup>(٧)</sup>  
 فداوي برقراق السراب خمارك  
 فأوري<sup>(٨)</sup> بزئدي سُذقة ودُجئة  
 إذا كانتا لي مزحك وعفارك<sup>(٩)</sup>

(١) في أعمال الأعلام: «آية».

(٢) في الأصل: «فأغدقي» والتصويب من المصدرين. وأغدَفَ القناع: أرسله.

(٣) في الديوان: «حوري محارك» بالحاء المهملة.

(٤) في أعمال الأعلام: «اعملي».

(٥) في الديوان: «سِرارك».

(٦) الازدهار بالشيء: الاحتفاظ به.

(٧) في أعمال الأعلام: «وجوبها».

(٨) في الديوان: «وأوري».

(٩) المَرخ والعفار: ضربان من الشجر، ذكرهما الشاعر؛ لأن النار تقدح من أغصانهما، ولهذا فالعرب تضرب بهما المثل في الشرف العالي. ونلاحظ هنا أن «مَرخك» ينبغي أن تنطق بإشباع كسرة الكاف حتى يستقيم الوزن.

وإن خَلَعَ الليلُ الأصائلَ فاخلمي  
إلى المَلِكَيْنِ الأَكْرَمَيْنِ عِذارَكَ  
بَلْئَسِيَّةً مَثْوَى الأمانِي فاطْلبي  
كُنُوزَكَ في أَقْطارها<sup>(١)</sup> واَدْخارَكَ  
سَيُنْبِيكَ رَجْرِي عن بلاءِ نَسِيئُهُ  
إذا أَضْبَحْتَ تلكَ القصورُ قُصارَكَ  
وأظْفَرَ سَغْيَ الرُّضَا مِنْ مُظْفَرٍ  
وَبُورِكَ لي في حُسْنِ رأيِ مُبارَكَ<sup>(٢)</sup>  
قَصِي<sup>(٣)</sup> المنى قد شامَ بارِقَةُ الحَيا  
وأُنْشِقتِ يا ظِلُّ الرِّجاءِ حُوارَكَ<sup>(٤)</sup>  
وَحَمْدًا يميني قد تَمَلَّأتِ بالمُنَى  
وشُكْرًا يساري قد حَوَيْتِ يَسارَكَ  
وَقُلْ لِسَماءِ المُزْنِ: إن شئتِ أَقلعي  
ويا أرضها<sup>(٥)</sup> إن شئتِ غِيضِي بحارَكَ  
ولا تُوجِشي يا دولةَ العِزِّ والمُنَى<sup>(٦)</sup>  
مَساءَكَ مِنْ نُورَئِهِما وابْتِكارَكَ

وصولهما إلى غرناطة: وصلا مع أمثالهما من أمراء الشرق صحبة المُرتَضَى،  
وكان من انهزام الجميع بظاهرها، وإيقاع الصناهجة<sup>(٧)</sup> بهم ما هو معلوم حسبما مرَّ  
ويأتي بحول الله .

(١) في أعمال الأعلام: «أعطانها».

(٢) هذا هو البيت الوحيد الذي ورد في المغرب (ج ٢ ص ٢٩٩) وجاءت فيه رواية صدر البيت  
هكذا:

وأظْفَرْتُ آمالي بِقَضْدِ مُظْفَرٍ

(٣) في الديوان: «فَطْمٌ».

(٤) الظُّر: المرضعة، والحُوار: ولد الناقة من حين يوضع إلى أن يطم. وأنشَق الدابة ولدها: قرَّبه  
إليها حتى تشمه.

(٥) في الديوان: «ويا أرضًا».

(٦) في الديوان وأعمال الأعلام: الندى.

(٧) أي الإيقاع بجند صنهاجة.

## ومن ترجمة الأعيان والوزراء بل ومن ترجمة الطارئین والغرباء منها

منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن مَحْيُو  
يكنى أبا علي.

أوليته: معروفة، قد مرّت عند ذكر إخوته وقومه.

حاله: كان، رحمه الله، فتى القوم، لسيّئاً، مُفَوِّهاً، مُذَرِّكاً، متعاطياً للأدب والتاريخ، مُخَالِطاً لِلثُبُلَاءِ، مُسَوِّراً خُلُقَ العلماء، غَزْلاً، كَلَفًا بالدُعابة، طُرْفَةً من طُرْفِ أهل بيته، قويّ الشّكيمة، جَوَادًا بما في وَسْعِهِ، مُتَنَاهِيًا فِي الْبِدَانَةِ. دخل غرناطة في الجُمْلَةِ من إخوانه وبنى عمّه، مُعَرِّبِينَ عَنْ مَقَرِّ الْمُلُوكِ بِالْمَغْرِبِ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى شَهْرِ ربيع الأول من عام ثلاثة وستين وسبعمائة. وَرَكِبَ الْبَحْرَ فِي الْخَامِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْهُ، عِنْدَمَا لَحِقَ أَخُوهُ عَبْدِ الْحَكِيمِ بِالْمَغْرِبِ. وَبَايَعَهُ النَّاسُ، وَلَاخْتُ لَهُ بَارِقَةً لَمْ تَكَدْ تَقْدُ حَتَّى خَبَتْ، فَبَادَرَ إِلَى مَظَاهِرَتِهِ فِي جَفْنٍ غَزَوِيٍّ<sup>(١)</sup> مِنْ أَسْطُولِ الْأَنْدَلُسِ، وَصَحِبَهُ قَوْمٌ مِمَّنْ يَخْطُبُ الْخُطَطَ، وَيُبْتَدِرُ رَمَقَ الدُّوَلِ، وَهَالٍ عَلَيْهِمُ الْبَحْرَ، فَطَرَحَ الْجَفْنَ بِأَخْوَاذِ غَسَّاسَةٍ، وَقَدْ عَادَتْهَا مُلْكَةٌ عَدُوُّهُمْ، فَتَقَبَّضَ عَلَيْهِ، وَأَدْخَلَ مَدِينَةَ فَاَسَ فِي الثَّانِي لِرَبِيعِ الْآخِرِ مِنَ الْعَامِ، مَشْهُورَ الْمَرْكَبِ عَلَى الظُّهْرِ، يُضْرَبُ بَيْنَ يَدَيْهِ طَبْلٌ لِلشُّهْرَةِ، وَنَاقُورُ الْمُثَلَّةِ، وَأَجْلَسَ بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانِ، فَأَبْلَى بِمَا رَاقَ الْحَاضِرِينَ مِنْ بَيَانِهِ مِنَ الْعُذْرِ لِلخُرُوجِ بِالْإِسْتِمَالَةِ حَتَّى لُرْجِي خِلَاصُهُ، وَاسْتَقَرَّ مُتَقَفًّا تَتَعَلَّقُ بِهِ الْأَرَاغِفُ، وَيُحُومُ حَوْلَ مَطْرَحَةِ الْإِخْتِبَارِ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ.

شعره: أنشدني الفقيه الأديب أبو بكر بن أبي القاسم بن قُطْبَةَ مِنْ شِعْرِهِ، وَكَانَ صَاحِبَهُ فِي الرِّحْلَةِ، وَمُزَامِلُهُ فِي أَسْطُولِ الْمُنْحَسَةِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: [مخلع البسيط]

سوف ننالُ المُنَى وَنَرْقَى      مَرَاقِي الْعِزِّ وَالْمَعَالِي  
إِذَا حَطَطْنَا بِأَرْضِ فَاَس      وَحُكِّمَتْ فِي الْعِدَى الْعَوَالِي  
فَأَنْتَ عِنْدِي بِهَا حَقِيقٌ      يَا حَائِزَ الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ

(١) الْجَفْنُ وَالْجَفْنَةُ: واحدة الأجفان، وهو سفينة حربية دائرية شبيهة بالقصعة، من سفن الغزو والحرب، اهتمّ بها المغرب الإسلامي وكثر استعماله لها. وإذا أضيفت لفظة «جفن» هنا إلى صفة «غزوي» فإنها تضاف أيضاً إلى «بحري» و«حربي»، فيقال: جفن بحري، وجفن حربي. كذلك استعمل الجفن إلى جانب الحروب، في نقل المتاجر. راجع السفن الإسلامية على حروف المعجم (ص ٢٣ - ٢٧) وتكملة المعاجم العربية (ج ٢ ص ٢٣١).



وفاته: في وسط جمادى الأولى من العام<sup>(١)</sup>، دُخل عليه في بيت مُعْتَقَله فُقُتل، ودُفن ببعض مدافنهم، رحمة الله عليه.

### مُقاتل بن عطية البرزالي

يكنى أبا حرب، وقال فيه أبو القاسم الغافقي: من أهل غرناطة، ويُلقَّب بذي الوزارتين، ويعرف بالرُّيَّة<sup>(٢)</sup> لَحْمَرَةٍ كانت في وجهه.

حاله: كان من الفُرسان الشجعان، لا يُضْطَلَى بناره، وكان معه من قومه نحو من ثلاث مائة فارس من بني برزال. وولاه الأمير عبد الله بن بُلْقَيْن بن باديس مدينة أَلْيُسَانَة<sup>(٣)</sup>، والتقى به ابن عباد وأخذ بِمُخَقَّقْهَا، وكان عبد الله يَحْذَرُهُ. وعندما تحقَّق حركة اللِّمُونِيِّين<sup>(٤)</sup> إليه، صَرَفَهُ عن جهته، فقلَّ لذلك ناصِرُهُ، وأسرع ذهابُ أمره.

شجاعته: قال: وحضر مُقاتل مع عبد الله بن بُلْقَيْن، أمير غرناطة، وقيَّة النَّيْبِل في صدر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، فأبلى فيها بلاءً عظيمًا، وجرح وجهه، ومُرِّق دِرْعُه بالطَّعْن والضَّرْب. وذكر من حضرها ونجا منها، قال: كنتُ قد سقط الرمح من يدي ولم أشعر، وحَمَلْتُ التُّرس ولم أعلم به، وحَمَلَنِي الله إلى طريق مَنجاة فَرَكِبْتُهَا، مرَّةً أفع ومرَّةً أقوم، فأدرَكْتُ فارسًا على فرس أذهم ورُمِحُه على عاتقه، ودَرَفَتُهُ على فَخْذِهِ، ودرعه مُهْتَكَ بالطَّعْن، وبه جُرح في وجهه يُثْعَب دَمًا تحت مِغْفَره، وهو مع ذلك ينهض على رِسله، فرجعت إلى نفسي فوجدتُ ثِقَلًا، فتذكرت التُّرس، فأخرجتُ حِمَالته عن عاتقي، وألْقَيْتُهُ عني، فوجدتُ خِفَّةً، وعذتُ إلى العَدُوِّ، فصاح ذلك الفارس: خُذ التُّرس، قلت: لا حاجة لي به، فقال: خُذْهُ، فتركته وولَّيتُ مسرعًا، فهمز فَرَسَه ووضع سِنان رمحه بين كَتِفَيَّ، وقال: خذ الترس، وإلا أخرجتُه بين كتفيك في صَدْرِكَ، فرأيت الموت الذي فررت منه، ورجعت إلى الترس فأخذته، وأنا أدعو عليه، وأسرعت عَدَوًا، فقال لي: «على ما كنتَ فليكن عدوك»، فاستَعَدْتُ

(١) أي عام ٧٦٣ هـ.

(٢) هذه الكلمة إسبانية El Rojo، ومعناها الأحمر.

(٣) أَلْيُسَانَة أو اللُّسَانَة: بالإسبانية Lucena، وهي إحدى مدن غرناطة، وتسمى مدينة اليهود؛ لأن اليهود كانوا يسكنون بجوفها ولا يداخلهم فيها مسلم ألبنة، وكان لها رِبط يسكنه المسلمون وبعض اليهود. راجع مملكة غرناطة (ص ٦٣).

(٤) اللِّمُونِيُّون: هم المرابطون، إذ تحرَّكوا إلى غرناطة سنة ٤٨٣ هـ لمقاتلة أميرها عبد الله بن بُلْقَيْن بن باديس بن حبوس الزيري. راجع مملكة غرناطة (ص ٢٢٠ - ٢٢١).

وقلت: ما بعثه الله إلا لهلاكه، وإذا قطعة من خيل الروم قد بصرت به، فوقع في نفسه أنه يسرع الجري فيسلم وأقتل، فلما ضاق الطلق ما بينه وبين أقربهم منه، عطف عليه كالعقاب، وطعنه ففطره، وتخلص الرمح منه، ثم حمل على آخر فطعنه، ومال على الثالث فانهزم منه، فرجع إليّ، وقد بهت من فعله، ورشاش دم الجرح يتطاير من قناع المغفر لشدة نفسه، وقال لي: يا فاعل، يا صانع، أثلقي الرمح ومعك مقاتل الرئية؟

انتهى اختصار السفر الثامن والحمد لله رب العالمين

يتلوه في اختصار التاسع بعده

ومن ترجمة القضاة مؤمل بن رجا بن عكرمة بن رجا العقيلي من البيرة

\*\*\*

ومن السفر التاسع من ترجمة القضاة

مؤمل بن رجا بن عكرمة بن رجا العقيلي

من البيرة.

حاله: كان شيخاً مضعوفاً يغلب عليه البله، من أهل التّعين والحسب والأصالة، عريقاً في القضاء، قاض ابن قاض ابن قاض. وُلّي قضاء البيرة للأمير محمد.

من حكاياته: رَفَعَتْ إليه امرأة كتابَ صداقها، فقال: الصّدّاق مفسوخ، وأنتما على حرام، فافترقا، فَرَّقَ الله بينكما. ثم رمى بالصّدّاق إلى من حوله، وقال: عجباً لمن يدعي فقهاً ولا يعلمه، أو يزعم أنه يؤثّق ولا يُثَقِّنه، مثل أبي فلان وهو في المجلس يكتب هذا الصّدّاق، وهو مفسوخ، ما أحقّه أن يُعَرِّم ما فيه. فدار الصّدّاق على يَدَي كل من حضر، وكل يقول: ما أرى موضع فُسُخ، فقال: أنتم أجهل من كاتبه، لكنني أعذركم؛ لأن كل واحد منكم يَسْتُر على صاحبه خطأه، انظروا وأمنحكم اليوم، فنظروا فلم يجدوا شيئاً يوجب فُسُخاً. فدنا منه محمد بن فُطَيْس الفقيه، فقال: أصلح الله القاضي، إن الله مَنَحك من العلم والفهم ما نحن مُقِرُّون بالعجز عنه، فأفدنا هذه الفائدة، فقال: اذن، فدنا منه، فقال: أوليس في الصّدّاق: «ولا يمنعها زيارة ذوي محارمها، ولا يمنعهم زيارتها بالمعروف»؟ ولولا معرفتي بمحبّتك ما أعلمتُك. فشكره الشيخ، وأخذ بطرفٍ لحيته يجرّه إليه حتى قبلها، وكان عظيم اللحية طویلها، شيمة أهل هذه الطّبقة. قال ابن فُطَيْس: أنا المخصوص بالفائدة، ولا أعرفُ بها إلا مَنْ تَأَذَّن بتعريفه إياها، فتبسّم القاضي معجباً بما رأى،

وَشَفَعُوا إِلَيْهِ أَنْ لَا يَفْسَخَ الصَّدَاقَ، وَقِيلَ لِلزَّوْجَيْنِ: لَا تَطْلُبَا بِهِ عِنْدَهُ شَيْئًا. وَوُلِّيَ قَضَاءَ جَيَّانَ.

## ومن الطارئين والغرباء

### المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدي

من أهل المرية، يكنى أبا القاسم.

حاله: كان من أدهى الناس وأفصحهم، ومن أهل التّعين والعناية التامة، واستُفضي بالمرية.

مشيخته: سمع من أبي محمد الإصبهاني، ورحل وروى عن أبي ذرّ الهروي.

تأليفه: ألف كتابًا في «شرح البخاري»، أخذه الناس عنه.

وفاته: توفي سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وقيل سنة...<sup>(١)</sup>.

## ومن ترجمة الكتاب والشعراء وهم الأصليّون

### مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن الفرج ابن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرج<sup>(٢)</sup>

المُتْرَل بوادي الحِجَارَة بمدينة الفَرَج المنسوبة إليه الآن.

قال ابن عبد الملك: كذا كتب لي بخطه بسبّته، وهو مصمودي ثم شصادي مولى بني مخزوم، مألقي، سكن سبّته طويلاً ثم مدينة فاس، ثم عاد إلى سبّته مرة أخرى، وبآخرة فاس، يكنى أبا الحكم وأبا المجد، والأولى أشهر، ويعرف بابن المُرْحَل، وَصِفَ جرى على جَدِّه علي بن عبد الرحمن لما رحل من شَتْمَرِيَّة<sup>(٣)</sup>، حين إسلامها للروم عام خمسة وستين وخمسائة.

(١) يياض في الأصل.

(٢) ترجمة مالك بن عبد الرحمن بن الفرج، المعروف بابن المرحل، في الذيل والتكملة (السفر الثامن ص ٥٢٧) وبغية الوعاة (ص ٣٨٤) وجذوة الاقتباس (ص ٢٢٣) وهدية العارفين (ج ١ ص ١).

(٣) شتّمريّة: بالإسبانية Santa María de Algarve، وتسمى أيضًا: شتّمريّة الشرق، وهي من مدن أكشونية، ومن حصون بنبلونة، على ضفة نهر أرغون. الروض المعطار (ص ٣٤٧).

حاله: قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: شاعرٌ رقيقٌ مطبوعٌ، مُتَقَدِّمٌ، سريعُ البديهة، رشيقُ الأغراض، ذاكرٌ للأدب واللغة. تحرّف مدّةً بصناعة التوثيق ببلده، وولّى القضاء مراتٍ بجهات غرناطة وغيرها. وكان حسن الكتابة إذا كتب، والشعرُ أغلِبُ عليه. وذكره ابن خلد، وابن عبد الملك، فأما ابن عبد الملك، فلم يستوف له ما استوفى لغيره، وأما ابن خلد، فقَصُرَ به، إذ قال: كانت نشأته بمالقة بلده، وقرارة مولده في ناسها ووسط أجناسها، لم يتميز بحسب، ولم يتقدّم في ميدان نسب، وإنما أنهضه أدبه وشعره، وعوّضه بالظهور من الخمول نظمه ونثره، فطَلَعَ في جبين زمانه غُرّةٌ مُنيرة، ونَصَعَ في سلك فصحاء أوانه دُرّةٌ خطيرة، وحاز من جيله رُتبة التقديم، وامتاز في رَعيله بإذراك كلِّ معنى وسيم. والإنصاف فيه ما ثَبَتَ لي في بعض التقييدات، وهو الشيخ المُسنُّ المُعَمَّرُ الفقيه، شاعرُ المغرب، وأديب صُفّعه، وحامل الرّاية، المُعلّم بالشهرة، المثلُّ في الإكثار، الجامع بين سهولة اللفظ، وسلاسة المعنى، وإفادة التّوليد، وإحكام الاختراع، وانقياد القريحة، واسترسال الطّبع، والثّفاذ في الأغراض. استعان على ذلك بالعلم، بالمقاصد اللّسانية لغةً وبياناً وعربيةً وعروضاً، وحفظاً واضطلاحاً، إلى نفوذ الذّهن، وشدّة الإدراك، وقوّة العارضة، والتّبريز في ميدان اللّوذية، والقحة والمجانة، المؤيّد ذلك بخفّة الروح، وذكاء الطّبع، وحرارة النّادرة، وحلاوة الدّعابة، يقوم على الأغرّة والأخبار، ويُشارك في الفقه، ويتقدّم في حفظ اللغة، ويقوم على الفرائض. وتولّى القضاء وكتبَ عن الأمراء، وخدم واستزفد، وكان مقصوداً من رُواة العلم والشعر، وطلّاب المُلح، ومُلتَمِسي الفوائد، لِسعة الدّرع وانفساح المعرفة، وعلوّ السّن، وطيب المجالسة، مَهيباً مَخْطُوبَ السّلامة، مرهوباً على الأغراض، في شدّقه شَفَرَتُهُ وناره، فلا يتعرّض إليه أحدٌ بِنقد، أو أشار إلى قناته بِعَمَز، إلّا وناط به آبدّة، تركته في المثالات، ولذلك بَخَسَ وزنه، واقتحم حِمَاه، وساءت بمحاسنه القالة، رحمه الله وتجاوز عنه.

مشيخته: تلا بالسّبع على أبي جعفر بن علي الفخّار<sup>(١)</sup>، وأخذ عنه بمالقة وعن غيره. وصحب وجالس من أهلها أبا بكر عبد الرحمن بن علي بن دحمان، وأبا عبد الله الإستجعي، وابن عسكر، وأبا عمرو بن سالم، وأبا النعيم رضوان بن خالد<sup>(٢)</sup>، وانتفع بهم في الطريقة، وبفاس أبا زيد اليرناسني الفقيه. ولقي بإشبيلية أبا

(١) في الذيل والتكملة (السفر الثامن ص ٥٢٧): المقرئ أبو جعفر الفحام.

(٢) رضوان بن خالد المخزومي من مالقة، كان أديباً شاعراً مجيداً، توفي سنة ٦٤٢ هـ. ترجمته في التكملة (ج ١ ص ٢٥٩) واختصار القدر المعلى (ص ١٨٥).

الحسن بن الدبّاغ، وأبا علي السّلوّيين، وأبا القاسم بن بّقي، وأجازوا له. وروى عنه أبو جعفر بن الزبير، والقاضي أبو عبد الله بن عبد الملك، وجماعة.

**دخوله غرناطة:** قال ابن الزبير<sup>(١)</sup>: تكرر قدومه علينا بغرناطة، وآخر انفصالاته عنها آخر سنة أربع وسبعين وستمائة. وقال لي حفيده أبو الحسين التلمساني من شيوخنا: أنشد السلطان الغالب بالله، بمجلسه للناس من المقصورة بإزاء الحمراء، قبل بناء الحمراء. وقال غيره: أقام بغرناطة، وعقد بها الشروط مدة. وقال لي شيخنا أبو الحسن الجيّاب: ولي القضاء بجهات من البشارات<sup>(٢)</sup>، وشكى للسلطان بضعف الولاية، فأضاف إليه حصن أشكر<sup>(٣)</sup>، يا مثنو<sup>(٤)</sup>، وأمر أن يهمل هذا الاسم ولا يُشكل، فقال أبو الحكم، رحمه الله، عند وقوفه عليه: قال لي السلطان في تصحيف هذا الاسم، «أشكر يا تيس» وهي من المقاصد النبيلة.

**توالياه:** وهي كثيرة متعدّدة، منها شعره، والذي دُون منه أنواع، فمنه مختاره، وسمّاه بالجلولات، ومنه الصدور والمطالع. وله العشريّات والتبويّات على حروف المعجم، والتزام افتتاح بيوتها بحرف الرّوي، وسمّاه، «الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى». وعشريّاته الزّهدية، وأرجوزته المسماة «سلك المُنخل»، لمالك بن المُرخل، نظم فيها مُنخل أبي القاسم بن المغرّبي، والقصيدة الطويلة المسماة بالواضحة، والأرجوزة المسماة «اللؤلؤ والمَرْجان» والموطّأة لمالك. والأرجوزة في العروض. وكتابه في كان ماذا، المسمّى «بالرّمي بالحصا»، إلى ما يَشُقُّ إحصاءه، من الأغراض النبيلة، والمقاصد الأدبية.

**شعره:** قال القاضي أبو عبد الله بن عبد الملك: كان مُكثرًا من النّظم، مُجيدًا، سريع البديهة، مُستغرق الفكرة في قرّضه، لا يَفْتُر عنه حينًا من ليل أو نهار. شاهدت ذلك، وأخبرني أنّه دأبه، وأنه لا يَقدر على صَرْفه من خاطره، وإخلاء باله من الخوض فيه، حتى كان من كلامه في ذلك، أنه مرضٌ من الأمراض المُزمنة. واشتهر نظمه، وذاع شعره، فكَلِفَتْ به السنة الخاصّة والعامة، وصار رأس مال المُستمعين

(١) قارن بالذيل والتكملة (السفر الثامن ص ٥٢٧).

(٢) في الذيل والتكملة: «وُلّي القضاء مرات بجهات غرناطة وغيرها». والبشارات أو البُشرات، Alpujarras: هي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب سفوح جبل شلير، على مقربة من البحر المتوسط. نفح الطيب (ج ١ ص ١٥٠) و(ج ٤ ص ٥٢٤ - ٥٢٥) ومملكة غرناطة (ص ٤٦).

(٣) أشكر، بالإسبانية Huescar، وهو حصن يقع شمال شرقي غرناطة.

(٤) في الأصل: «نشر» وهو تحريف. ومثنو: كلمة إسبانية: Macho وتعني: التيس.

والمُعْتَنِينَ، وهَجِيرَ الصَّادِرِينَ والوَارِدِينَ، ووسيلة المُكْدِّينَ، وطِرَاز أُوْرَادِ المؤدِّينَ وبطائقة البطالين، ونحن نجتزئ منه بنذ من بعض الأغراض تدل على ما وراءها، إن شاء الله. فمن ذلك في غرض التَّسْبِيبِ: [الكامل]

دَنِفَ تَسْتَرَّ بِالْغَرَامِ طَوِيلَا  
بُسِطَ الْوِصَالِ فَمَا تَمَكَّنَ جَالِسَا  
يَا سَادَتِي، مَاذَا الْجَزَاءُ<sup>(١)</sup> قَدِيتُكُمْ  
قَالُوا تَعَاطَى الصَّبْرُ عَنْ أَحِبَابِهِ  
مَا ذَاقَ إِلَّا شَرْبَةً مِنْ هَجْرِنَا  
أَيَقُولُ: عِشْتُ وَقَدْ تَمَلَّكَ الْهَوَى؟  
خَلَفَ الْغَرَامُ بِحَبْنَا وَجَمَالِنَا  
إِنَّ الْجُفُونَ هِيَ السُّيُوفُ وَإِنَّمَا  
قُلْ لِلْحَبِيبِ وَلَا أَصْرُحْ بِاسْمِهِ  
بَيْنِي وَبَيْنَكَ ذِمَّةٌ مَرْعِيَّةٌ  
وَلَكُمْ شَرِيتُ صَفَاءً<sup>(٢)</sup> وَذَكَ خَالِصًا  
يَا<sup>(٣)</sup> غُضَنَ بَانَ بَانَ عَنِّي ظِلُّهُ  
اغْطَفَ عَلَى الْمُضْنَى الَّذِي أَخْرَقْتَهُ  
فَارَقْتَهُ فَتَقَطَّعَتْ أَفْلَادُهُ  
لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ التَّغْيِيرُ لَمْ يَسَلْ  
يَا رَاحِلًا عَنِّي بِقَلْبٍ مُغْضَبٍ  
قُلْ لِلصَّبَا: هَيَّجَتْ أَشْجَانُ الصَّبَا  
هَلْ لِي رَسُولٌ فِي الرِّيَاحِ؟ فَإِذَا<sup>(٤)</sup> مَنْ  
يَا لَيْتَ شِغْرِي، أَيْنَ قَرَّرَ قَرَارُهُ؟  
إِنْ لَمْ يَعُدْ ذَاكَ الْوِصَالَ كَعَهْدِنَا  
وَقَالَ نَسِيًّا وَمَدْحًا: [الكامل]

أَغْدَى عَلَيَّ هَوَاهُ خَضَمَ جَفُونَهُ  
مَا لِي بِهِ قَبَلٌ وَلَا بَفَنُونِهِ

(١) في الأصل: «الجزاء»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «صفاء»، وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «فيا»، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «فاز»، وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

من ذا يُجِير عليه مِلْكُ يَمِينِهِ؟  
 فَعَبَدْتُ نورَ الحُسْنِ فوقَ جَبِينِهِ  
 فَتَبَيَّنَ التَّمَكُّينُ فِي تَنْوِينِهِ  
 لَمْ يَجْنِ مِنْهَا الصَّبُّ غَيْرَ مُنُونِهِ  
 فِغْلِ الكَلِيمِ اِزْتاعَ مِنْ تَبْيِينِهِ  
 لَوْ أَمَكَّنْتَنِي فِيهِ رَقَّةٌ دِينِهِ  
 كَالرُّمَحِ شِدَّةُ طَعْنِهِ فِي لِينِهِ  
 أَغْدَى عَلَيَّ مِنَ الذِّي بِجُفُونِهِ  
 وَشَعَرَتْ مِنْ لَفْظِ السَّلَامِ بَسِينِهِ  
 مَمَاتُهُ وَجِرَاكِهِ كَسُكُونِهِ  
 فَمُنَاهُ أَنْ يَلْقَاهُ رَيْبُ مُنُونِهِ  
 فَأَمَانُهُ مِنْ ذَاكَ ظَهْرُ أَمُونِهِ  
 فِيرَى مَحَلِّ الْفَضْلِ حَقَّ يَقِينِهِ  
 فِي حَدِّ مَجْدِ جَامِعِ لَفْنُونِهِ  
 نُجِبَ مَرَزَنٌ عَلَى الْعَطَا بِرُكُوبِهِ  
 وَرَثَ الْبَيَانِ وَزَادَ فِي تَبْيِينِهِ  
 طَوْرًا وَيَحْمِي الْعِزَّ فِي عِزْنِهِ  
 بَسَطَ الْغِنَاءَ<sup>(٢)</sup> نَفُوسَنَا بِلُحُونِهِ  
 كَالْمِسْكِ إِذْ يَثْنِي عَلَى دَارِينِهِ

إِنْ لَمْ تُجِرْنِي مِنْهُ رَحْمَةُ قَلْبِهِ  
 صَابَ مِنَ الْأَثَرِ أَصْبَى مُهْجَتِي  
 مُتَمَكَّنٌ فِي الْحُسْنِ نُونٌ صِدْغُهُ  
 تَنْسَابُ عَقْرَبُ صِدْغُهُ فِي جَنَّةِ  
 وَلَوْ ضَفِيرَتُهُ فَوَلَّى مُذْبِرًا  
 قَدْ أَطْمَعَتْنِي فِيهِ رَقَّةٌ خَذَهُ  
 وَرَجَوْتُ لَيْنَ قِوَامِهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ  
 شَاكِي السَّلَاحِ وَمَا الَّذِي فِي جَفْنِهِ  
 نَادَيْتُهُ لَمَّا نَدَّتْ لِي سَيْتُهُ  
 رُخْمَاكَ فِي ذَنْفِ عَدَا وَحْيَاتِهِ  
 إِنْ لَمْ تَمُنْ عَلَيَّ مِثْلَ رَاحِمِ  
 وَلِذَا أَبَيْتُ سِوَى سِمَاتِ عَدُوِّهِ  
 سَنُنِيخُهَا فِي بَابِ أَرْوَعِ مَاجِدِ  
 حَيْثُ الْمَعَارِفِ وَالْعَوَارِفِ وَالْعَلَا  
 بَذَرٌ وَفِي الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدِ التَّقَاتِ  
 تَبَغِي مَنَاهَا فِي مَنَاهَا عِنْدَهُ  
 فِرْعٌ مِنَ الْأَصْلِ الْيَمَانِيِّ طَيِّبٌ  
 يُبْدِي الْبَشَاشَةَ فِي أَسْرَةٍ وَجْهِهِ  
 بَسَطَتْ شَمَائِلُهُ الزَّمَانَ<sup>(١)</sup> كَمَثَلِ مَا  
 يُثْنِي عَلَيْهِ كُلُّ فِعْلٍ سَائِرِ

ومن التَّسْيِبِ قوله: [البسيط]

لَبَّى الْخِيَارِ وَأَمَّا فِي هَوَاهُ فَلَا  
 لَكِنْ أَبَتْ أَدْنَى أَنْ تَسْمَعَ الْعَدْلَا  
 كَفَى بِخِلْكَ عَدْرًا أَنْ يُقَالَ سَلَا  
 وَقَلْبٌ غَيْرِي صَحَا مِنْ بَعْدِ مَا ثَلَا  
 سَقَيْنَهُ الدَّمْعَ حَتَّى أَثْمَرَ الْعَدْلَا

هُوَ الْحَبِيبُ قَضَى بِالْجُورِ أَمْ عَدْلًا  
 تَالَهُ مَا قَصَّرَ الْعَدْلَالُ فِي عَدْلِي  
 أَمَّا السُّلُوفُ فَشِيءٌ لَسْتُ أَعْرِفُهُ  
 جُفُونَ غَيْرِي أَصَحَّتْ بَعْدَ مَا قَطَرَتْ  
 وَغَضْنَ بَانَ تَثْنَى مِنْ مَعَاطِفِهِ

(١) في الأصل: «للزمان»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «الغناء».

آثَرْتُهُ<sup>(١)</sup> ونَسِيمَ الشَّعْرِ أَوْنَةً  
 أَمَلْتُ وَالْهَيْمَةَ الْعِلْيَاءَ طَامِحَةً  
 وقال: إِيهَا طُفَيْلِي وَمُقْتَرَحُ  
 يَا مَنْ تَحَدَّثَ عَنْ حُسْنِي وَعَنْ كَلْفِي  
 تَيَطَّطُ خَدَّيْ خَوْفَ الْقَبْضِ مِنْ مَلِكِهِ  
 تُقَبِّلُ الْأَرْضَ أَعْضَائِي وَتَخْدُمُهُ  
 يَا مَنْ لَهُ دَوْلَةٌ فِي الْحُسْنِ بَاهِرَةٌ  
 فكلَّمَا مال من أَعْطافِهِ اغْتَدَلَا  
 وليس في الناس إِلَّا أَمَلٌ أَمَلَا  
 أَلَسْتُ عَبْدِي وَمَمْلُوكِي؟ فَقُلْتُ: بَلَى  
 بِحُسْنِهِ وَبِحَبِّي فَاضْرِبِ الْمَثَلَا  
 إِذَا أَشَارَ بِأَدْنَى لَحْظِهِ قَتَلَا  
 إِذَا تَجَلَّى بِظَهْرِ الْغَيْبِ وَاتَّصَلَا  
 مِثْلِي وَمِثْلُ فُؤَادِي يَخْدُمُ الدُّوَلَا  
 ومن نظمه في عَرُوضٍ يَخْرُجُ مِنْ دُوَيْتِي مَجْزُوءًا، مُقْصِرًا قَوْلَهُ وَمُلَحِّهِ فِي اخْتِرَاعِ  
 الْأَعَارِيزِ كَثِيرَةٍ:

الصَّبُّ إِلَى الْجَمَالِ مَائِلٌ  
 وَالذَّمْعُ لِسَائِلِي جَوَابُ  
 وَالْحُسْنُ عَلَى الْقُلُوبِ وَالِ  
 لَوْ سَاعِدَ مَنْ أَحْبَبَ سَعْدُ  
 يَا عَاذِلِي، إِلَيْكَ عَنِّي لَا  
 مَا نَاذِلْنِي كَمِثْلِ ظَنِّي  
 مَا بَيْنَ دَفُونِهِ حُسَامُ  
 وَالسِّيفُ يَبِثُّ ثُمَّ يَنْبُو  
 وَالسَّهْمُ يُصِيبُ ثُمَّ يُخْطِي  
 مَهْلًا قَدِمِي لَهُ حَلَالُ  
 إِنَّ صَدْنِي فَذَاكَ قَضْدِي  
 يَا حُسْنَ طُلُوعِهِ عَلَيْنَا  
 ظِمَانٌ مُخَفَّفُ الْأَعَالِي  
 قَدْ نَمَّ بِهِ شَذَا الْغَوَالِي  
 وَالطَّيِّبُ مِنْبَةُ عَلَيْهِ  
 وَالْعَنْجُ مُحْرَكُ إِلَيْهِ  
 وَالسُّخْرُ رَسُولُ مُقْلَتِيهِ  
 وَالْحَبُّ لَصَدْقِهِ دَلَائِلُ  
 إِنَّ رُوجَ سَائِلٍ بِسَائِلِ  
 وَالْقَلْبُ إِلَى الْحَبِيبِ وَابِلُ  
 مَا حَالُ مِنَ الْحَبِيبِ حَائِلُ  
 تُقَرِّبُ سَاحَتِي الْعَوَاذِلُ  
 يَشْفِي بِلَحْظَةِ الْمُنَازِلِ  
 مَخَارِقُهُ لَهُ حِمَائِلُ  
 وَاللَّحْظُ يُطَبِّقُ الْمَفَاصِلُ  
 وَاللَّحْظُ يَمُرُّ فِي الْمَقَاتِلِ  
 مَا أَقْبَلُ فِيهِ قَوْلَ قَائِلِ  
 أَوْ جَدَلْنِي فَلَا أَجَادِلُ  
 وَالسُّكْرُ بِمِعْطَفِيهِ مَائِلُ  
 رِيَانٌ مُثْقَلُ الْأَسَافِلِ  
 إِذْ هَبَّ وَنَمَّتِ الْعَلَائِلُ  
 مِنْ كَانَ عَنِ الْعِيَانِ غَافِلُ  
 مِنْ كَانَ مُسَكِّنُ الْبَلَابِلِ  
 مَا أَقْرَبَ عَهْدِهِ بِبَابِلِ!

(١) في الأصل: «آثره نسيم»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.



والروض يعير وَجَنَّتِيهِ  
واللين يَهْزُ مِغْطَفِيهِ  
والكأس تلوح في يديه  
يُسْقِيكَ بِرِيقِهِ مُدَامَا  
يُسْبِيكَ بَرَقَّةَ الْحَوَاشِي  
ما أحسن ما وَجَدْتُ خُذَا

وَرَدَا كَهَوَايَ غَيْرَ حَائِلٍ  
كَالْغُضَنِ تَهْزُهُ الشَّمَائِلُ  
كَالنَّجْمِ بِأَسْعَدِ الْمَنَازِلِ  
مَا أَمْلَحَ سَاقِيَا مُوَاصِلِ  
عِشْقًا وَلِكَافَةِ الشَّمَائِلِ  
إِذْ نَجْمُ صِبَايَ غَيْرُ أَقْلِ

ومن مستحسن نزعاته: [البسيط]

يا راحِلين وبى مِنْ قُرْبِهِمْ أَمَلُ  
سِرْتُمْ وسار اشتياقي بَعْدَكُمْ مَثَلًا  
وظِلٌّ يَغْذِلُنِي فِي حَبِّكُمْ نَفَرٌ  
عَطْفًا عَلَيْنَا وَلَا تَبْغُوا بِنَا بَدَلًا  
قَدْ دُقْتُ فَضْلَكُمْ دَهْرًا فَلَا أَبِي  
وقد هَرِمْتُ أَسَى مِنْ هَجْرِكُمْ وَجَوَى  
عَذَرْتُمْ أَوْ مَلَلْتُمْ يَا ذَوِي ثِقَتِي  
قالوا: كَبِرْتَ وَلَمْ تَبْرَحْ كَذَا عَزَلًا  
لَمْ أَنَسْ يَوْمَ تَنَادَا<sup>(١)</sup> لِلرَّحِيلِ ضَحَى  
وَأَشْرَقَتْ بِهَوَادِيهِمْ هَوَادِجُهُمْ  
وَوَدَّعُونِي بِأَجْفَانِ مُمَرَّضَةٍ  
كم عَفَرُوا بَيْنَ أَيْدِي الْعَيْسِ مِنْ بَطْلٍ  
دَارَتْ عَلَيْهِمْ كُؤُوسُ الْحُبِّ مُثْرَعَةٌ  
وآخِرِينَ اشْتَفَوْا مِنْهُمْ بَضْمَهُمْ  
كَأَنَّمَا الرُّوْضُ مِنْهُمْ رَوْضَةٌ أَنْفٌ  
مِنْ مُسْتَرَقٍّ<sup>(٥)</sup> الرُّوَابِي وَالْوَهَادِ بِهِمْ

لَوْ أَغْنَتْ الْجِلْيَتَانِ الْقَوْلُ<sup>(١)</sup> وَالْعَمَلُ  
مِنْ دُونِهِ السَّامِرَانِ الشَّعْرُ وَالْمَثَلُ  
لَا كَانَتْ الْمِخْنَتَانِ الْحُبُّ وَالْعَذَلُ  
فَمَا اسْتَوَى الثَّابِعَانِ الْعُطْفُ وَالْعَمَلُ  
مَا طَابَ لِي الْأَحْمَرَانِ الْخَمْرُ وَالْعَسَلُ  
وَسَبَّ مِنِّي اثْنَتَانِ الْجِرْصُ وَالْأَمَلُ  
لَيْثُكُمْ<sup>(٢)</sup> الْخَضْلَتَانِ الْغَذْرُ وَالْمَلَلُ  
أَزْرَى بِكَ الْفَاضِحَانِ الشَّيْبُ وَالْعَزَلُ  
وَقَرُبَ الْمَرْكَبَانِ الطَّرْفُ وَالْجَمَلُ  
وَلَا حَتَّ الزَّيْنَتَانِ الْحَلِيَّ وَالْحُلَلُ  
تَغْضُّهَا الرُّقَبَتَانِ الْخَوْفُ وَالْحَجَلُ  
أَصَابَهُ الْمُضْنِيَانِ الْعَنْجُ وَالْكَحَلُ  
وَمَا أَبِي<sup>(٤)</sup> الْمُسْكِرَانِ الْخَمْرُ وَالْمَقَلُ  
يَا حَبَّذَا الشَّافِيَانِ الضَّمُّ وَالْقَبَلُ  
يُزْهِى بِهَا الْمُثْبِتَانِ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ  
مَا رَاقَهُ الْمُعْجِبَانِ الْخَضْرُ وَالْكَفَلُ

(١) في الأصل: «لي القول...» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٢) في الأصل: «ليست» وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى.

(٣) في الأصل: «مانادوا»، وكذا لا يستقيم الوزن والمعنى معاً.

(٤) في الأصل: «وأبى» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) في الأصل: «المسترق» وكذا ينكسر الوزن.

يا حادي العيس خُذني مأخذًا حسنًا      لا يستوي الضاديان<sup>(١)</sup> الرئيث<sup>(٢)</sup> والعجل  
لم يبق لي غير ذكر أو بُكا طَلَل      لو ينفع الباقيان الذكر والطلل  
يا ليت شعري ولا أنس ولا جدل      هل يُزفع الطيبان الأنس والجدل؟

ومن قوله على لسان ألثَغ ينطق بالسَّين ثاءً ويقرأ بالرويين: [مخلع البسيط]

عَمَزْتُ رَنع الهوى بقلبٍ      لقوّة الحُبِّ غير ناكسٍ ث  
لبثْتُ فيه أجرٌ ذيلُ الثُّ      حولٍ أخيبٌ به لابسٍ ث  
إِنْ مِتُّ شوقًا فلي غرام      نَبأته بالسَّقام وإِسْ ث  
أما حديث الهوى فحقُّ      يصرف بَلواه كلَّ حادِسٍ ث  
تَعِبْتُ بالشُّوق في حبيب      أنا به ما حُيِنَت يائِسٍ ث  
يَخْتال كالغُضن ماسٍ فيه      طَرَفٌ فَأَزْرَى بكلِّ<sup>(٣)</sup> مائِسٍ ث  
دُنيا تَبَدَّتْ لكلِّ وأيِّ      فهو لِذُنياه أيُّ حارِسٍ ث  
يلعب بالعاشقين طُرًا      والكلُّ راضون وهو عابِسٍ ث

ومن شعره في الزهد يصف الدنيا بالغرور والكذب<sup>(٤)</sup> والزور: [الكامل]

يا خاطب الدنيا، طَلَبْتَ غُرُورًا      وَقِيلَتْ من تلك المحاسن زُورًا  
دنياك إمَّا فِتْنَةٌ أو مِخْنَةٌ      وأراك في كِلْتاهِما مقهورًا  
وأرى السنين تمرُّ عنك سريعةً      حتى لأخسبُهُنَّ صِرَنَ شهورًا  
بيننا تُريكَ أهْلَةً في أفقها      أبصَرْتَهَا في إثر ذاك بُدُورًا  
كانت قَسِيًّا ثم صِرَن دوائرًا      لا بدُّ أن تَزْمِي الوري وتُدُورًا  
يأتي الظلام فما يُسَوِّدُ رُفْعَةً      حتى ترى مَسْطُورها مَنشُورًا  
فلإذا الصبح أتى ومَدَّ رداءه      نَقَضَ المساء رداءه المنشورًا  
يتعاقبان عليك، هذا ناشر      مِسْكًا وهذا ناشر كافورًا  
ما المِسْكُ والكافورُ إلَّا أن ترى      من فِعْلِكَ الإمْساك والتَّكْبِيرًا  
أَمْسَى على قَوْدِيكَ من لَوْنِيهِما      سِمَةً تُسُومُ كَأَبَةً وُبُورًا

(١) في الأصل: «الضَّدان» وكذا لا يستقيم الوزن، والضادي: اسم فاعل ضادى؛ يقال ضاده أي ضاده.

(٢) الرئيث: الإبطاء، وهو ضد العَجَل.

(٣) في الأصل: «كل» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٤) في الأصل: «والحدايح» وهو ما لا معنى له.

حتى متى لا تَزْعُوي وإلى متى؟  
أخشى عليك من الذُّنُوب فربما  
فانظرْ لنفسك إنني لك ناصح  
مِنْ قَبْلِ ضَجْعَتِكَ التي تَلْقَى لها  
والهولُ ثم الهول في اليوم الذي  
أَوْ ما لِقِيَتْ من المشيب نَذِيرًا؟  
تَلْقَى الصَّغِير من الذنوب كبيرًا  
واستَغْفِر المولى تَجِدْهُ غفورا  
خَذْ الصَّغَار على الثَّرَاب حَقِيرًا  
تجدُ الذي قَدَّمْتَهُ مَسْطُورًا

وقال في المعنى<sup>(١)</sup> المذكور: [الوافر]

وأشفي<sup>(٢)</sup> الوَجْدَ ما أبكى العيونَا  
فيا ابن الأربعين ازْكَبْ سَفِينَا  
وَنُحْ إن كنت من أصحاب نوح  
بدا للشَّيْبِ<sup>(٣)</sup> في قَوْدَيْكَ رَفْمٌ  
لأنتم أهلُ كَهْفٍ قد ضَرَبْنَا  
رَأَيْتُ الشَّيْبَ يجري في سواد  
وقد يجري السَّوَاد على بياض  
فهذا العكس يؤذن بانعكاس  
نباتُ هاج ثم يُرى حُطَامًا  
نذيرُ جاءكم عريانُ يعدو  
أخي، فإلى<sup>(٤)</sup> متى هذا التَّصَابِي؟  
هي الدنيا وإن وَصَلْتَ وَبَرَّتْ  
فلا تَخْذَعْكَ<sup>(٥)</sup> أيامُ تليها  
فذاك إذا نَظَرْتَ سلاحَ دنيا  
وبين يديك يومٌ أيُّ يوم  
فإِما دار عِزٍّ ليس يَفْنَى  
فطوبى في غَدٍ للمُتَّقِينَا

وأشفي الدُّمْعَ ما نَكَأ الجُفُونَا  
من الثَّقَوَى فقد عَمَّرَتْ حِينَا  
لكي تنجو نَجاة الأربعينا  
فيا أهل الرِّقِيم، اتَّسَمَعُونَا؟  
على آذَانِهِمْ فيه سَنِينَا  
بِياضًا لا كَعَقْل الكَاتِبِينَا  
فكان<sup>(٦)</sup> الحُسْنُ فيه مستبينَا  
وقد أَشْعِرْتُمْ لو تشعرونَا  
وهذا اللَّحْظُ قد شمل العُيُونَا  
وأنتم تضحكون وتلعبونَا  
جُنِثْتُ بهذه الدنيا جُنُونَا  
فكم قطعَتْ وكم تركَتْ بِنِينَا!  
ليالٍ واخْشَها بِيَضًا وجونا  
تُعِيد حراك ساكنها سُكُونَا  
يديئُك فيه ربُّ الناس دِينَا  
وإِما دار هَوْنٍ لن يَهُونَا  
وويلُ في غَدٍ للمُجْرِمِينَا

(١) في الأصل: «المنى» وكذا لا معنى له. (٢) في الأصل: «إشف» وكذا يتكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «الشَّيْبُ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «فكأن»، وكذا لا يستقيم الوزن.

(٥) في الأصل: «إلى»، وكذا يتكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «تخذعنك»، وكذا يتكسر الوزن.

وَأَهْ ثَمَّ آهْ ثَمَّ آهْ      على نفسي أكررها مئينا  
أُخِي، سَمِعْتَ هذا الوعظ أم لا؟      ألا يا<sup>(١)</sup> لَيْتَنِي فِي السَّامِعِينَ  
إِذَا مَا الْوَعْظُ لَمْ يُورَدْ بِصَدَق      فَلَا خُسْرَ كَخُسْرِ الْوَاعِظِينَ

وقال يتشوق إلى بيت الله الحرام، ويمدح رسول الله ﷺ: [البسيط]

شوق كما رُفِعَتْ نَارٌ عَلَى عِلْمِ      تَشِبُّ بَيْنَ فُرُوعِ الضَّالِّ وَالسَّلَمِ  
إِلَهُهُ بَضْلُوعِي وَهُوَ يُخْرِقُهَا      حَتَّى يَرَانِي بَرِيًّا لَيْسَ بِالْقَلَمِ  
مَنْ يَشْتَرِينِي بِالْبُشْرَى وَيَمْلِكُنِي      عَبْدًا إِذَا نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَى الْحَرَمِ؟  
دَعْ لِلْحَبِيبِ دِمَامِي وَاحْتَمِلْ رَمَقِي      فَلَيْسَ ذَا قُدَمٍ مِنْ لَيْسَ ذَا قَدَمِ  
يَا أَهْلَ طَيْبَةٍ، طَابَ الْعَيْشُ عِنْدَكُمْ      جَاوَزْتُمْ خَيْرَ مَبْعُوثٍ إِلَى الْأَمَمِ  
عَايَنْتُمْ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مِنْ كَثَبِ      فِي مَهَبِطِ الْوَحْيِ وَالْآيَاتِ وَالْحَكَمِ  
لَنَشْرُكَنَّ بِهَا الْأَوْطَانَ خَالِيَةً      وَنَسْلُكَنَّ لَهَا الْبَيْدَاءَ فِي الظُّلَمِ  
رِكَابُنَا تَحْمِلُ الْأَوْزَارَ مُثْقَلَةً      إِلَى مُحِطِّ خَطَايَا الْعُزْبِ وَالْعَجَمِ  
ذُنُوبَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ كَثُرَتْ      وَقَدْ أَتَيْنَاكَ فَاسْتَغْفِرْ لِمَجْتَرَمِ  
ذَنْبٍ يَلِيهِ عَلَى تَكَرُّارِهِ نَدَمٌ      فَقَدْ مَضَى الْعُمْرُ فِي ذَنْبٍ وَفِي نَدَمِ  
نَبْكِي فَتَشْغِلُنَا الدُّنْيَا فَتُضْجِكُنَا      وَلَوْ صَدَقْنَا الْبَكَاءَ شَبْنَا دَمًا بِدَمِ  
يَا رُكْبَ مِصْرَ، زُوَيْدًا يَلْتَحِقُ بِكُمْ      قَوْمٌ مَغَارِبَةُ لَحْمٍ عَلَى وَضَمِ  
فِيهِمْ عُبَيْدٌ تَسُوقُ الْعَيْسُ زَفَرَتَهُ      لَمْ يَلْقَ مَوْلَاهُ قَدْ نَادَاهُ فِي النَّسَمِ  
يَبْغِي إِلَيْهِ شَفِيعًا لَا نَظِيرَ لَهُ      فِي الْفَضْلِ وَالْمَجْدِ وَالْعِلْيَاءِ وَالْكَرَمِ  
ذَاكَ الْحَبِيبَ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ      مُحَمَّدٌ خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ  
صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْخَلْقِ مَا طَلَعَتْ      شَمْسٌ وَمَا رُفِعَتْ نَارٌ عَلَى عِلْمِ

ومن مقطوعاته العجيبة في شتى الأغراض، وهي نقطة من قَطَر، وبِلَالَة من بَخْر، قوله مما يكتب على حمالة سيف، وقد كَلِفَ بذلك غيره من الشعراء بِسَبْتَة، فلَمَّا رَأَاهَا أَخْفَى كُلَّ مَنْظُومَةٍ، وَزَعَمَ أَنَّهُ لَمْ يَأْتْ بِشَيْءٍ، وَهُوَ الْمَخْتَرَعُ الْمُرْقِصُ: [البسيط]

جماله كرياض جاورث نهرا      فَأَنْبَتَتْ شَجَرًا رَاقَتْ أَزَاهِرُهَا  
كحَيَّةِ الْمَاءِ عَامَتْ فِيهِ وَانْصَرَفَتْ      فغَابَ أَوَّلُهَا فِيهِ وَآخِرُهَا

(١) كلمة: «يا» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

وقوله، وقد تناول الرئيس ابن خلاص<sup>(١)</sup> بيده مِقْصَا فأذمى يده فأنشده:

[الوافر]

عداوة لا لكفك من قَدْ نَمَّ<sup>(٢)</sup> فلا تَغْجَبْ لِقِرَاضٍ لثيم  
لئن أذماك فهو لها شبيهة وقد يسطو اللثيم على الكريم  
وقوله في الخضاب: [الطويل]

سَتَرْتُ مَشِيبِي بِالْخِضَابِ تَعَلَّلًا فلم يَحْطَ شَيْبِي<sup>(٣)</sup> وراب خضابي  
كَأَنِّي وَقَدْ زَوَّزْتُ لَوْنًا عَلَى الصُّبَا أَعْنُونُ طِرْسًا لَيْسَ فِيهِ كِتَابِي  
غُرَابُ خِضَابٍ لَمْ يَقِفْ مِنْ حِذَارِهِ وَأَغْرَبَ شَيْءٌ فِي الْحِذَارِ غُرَابِي

وقوله وهو من البديع المخترع: [الكامل]

لا بُدَّ مِنْ مَيْلٍ إِلَى جِهَةٍ فَلَا تُثَكِّرُ عَلَى الرَّجُلِ الْكَرِيمِ مَمِيلًا  
إِنَّ الْفَوَادَ وَإِنْ تَوَسَّطَ فِي الْحِشَا لِيَمِيلَ فِي جِهَةِ الشَّمَالِ قَلِيلًا  
وقوله وهو معنى قد قيل فيه: [الكامل]

لَا تَعْجَبُوا لِلْمَرْءِ يَجْهَلُ قَدْرَهُ أَبَدًا وَيَعْرِفُ غَيْرَهُ فَيَضْطَرُّ  
فَالْعَيْنُ تُبْصِرُ غَيْرَهَا مَعَ بُغْدِهِ لَكِنْ بُوَيَّوْا نَفْسَهَا لَا تُبْصِرُ<sup>(٤)</sup>  
وقوله: [الوافر]

أَرَى الْمُتَعَلِّمِينَ عَلَيْكَ أَغْدَا<sup>(٥)</sup> إِذَا أَعْلَمَتْهُمْ مِنْ كُلِّ عَادٍ  
فَمَا عِنْدَ الصَّغِيرِ سِوَى عُقُوقٍ وَلَا عِنْدَ الْكَبِيرِ سِوَى عِنَادٍ  
وقوله في وصفه ذي الجاه: [الخفيف]

يُضَعُّ النَّاسَ صَاحِبَ الْجَاهِ فِيهِمْ كُلَّ يَوْمٍ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ

(١) هو أبو علي الحسن بن أبي جعفر بن خلاص، تولى سبته سنة ٦٣٧ هـ، ثم ثار فيها في عهد السعيد أبي الحسن المعتضد بالله الموحي سنة ٦٤١ هـ، وبايع للأمير أبي زكريا الحفصي، صاحب تونس. توفي سنة ٦٤٦ هـ. البيان المغرب، قسم الموحدين (ص ٣٤٧، ٣٥٣، ٣٦٠، ٣٧٨).

(٢) صدر هذا البيت مختل الوزن والمعنى.

(٣) في الأصل: «فشيبي» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) رواية عجز البيت في الأصل هي: «ولكن نَفْسَهَا لَا تَبْصُرُ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) أصل القول: «أعداء»، وكذا ينكسر الوزن.

إن رأوه يوماً تَرَجَّحَ وَزَّنَا ضاعفوا البرَّ فهو ذو رُجْحَان  
أو رأوا منه نَقْصَ حَبَّةٍ وَزَنَ ما كسوه في حَبَّةِ الْجُلْجُلَانِ  
وَأَنشَدْنَا عَنْهُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ شِيُوخِنَا وَقَدْ بَلَغَ الثَّمَانِينَ: [السريع]

يَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الَّذِي عُمُرُهُ قَدْ زَادَ عَشْرًا بَعْدَ سَبْعِينَ  
سَكِرْتُ مِنْ أَكْوَسِ خَمْرِ الصُّبَا فَحَدِّكَ الدَّهْرُ ثَمَانِينَ  
وقال: هيهات! ما أظنه يُكْمَلُهَا، وقال في الكَبَرَةِ: [الكامل]

يَا مَنْ لَشَيْخٍ قَدْ أَسَنَّ وَقَدْ عَفَا مَذْجَاوِزِ السَّبْعِينَ أَضْحَى مُدْنَفَا  
خَانَتْهُ بَعْدَ وَفَائِهَا أَعْضَاؤُهُ فَعِدَا قَعِيدًا لَا يُطِيقُ تَصَرُّفَا  
هَرِمًا غَرِيبًا مَا لَدَيْهِ مُؤَانِسُ إِلَّا حَدِيثُ مُحَمَّدٍ وَالْمُصْطَفَى

وكتب إلى القاضي أبي الحجاج الطرسوني في مراجعة: [السريع]

يَا سَيِّدِي، شَاكِرُكُمْ مَالِكُ قَدْ صَيَّرْتُ مِمَّ اسْمِهِ هَاءٌ  
وَمَنْ يَعِشُ خَمْسًا وَتَسْعِينَ قَدْ أَتَهَتْ<sup>(١)</sup> التَّعْمِيرَ إِنِّهَاءُ

وَمَنْ نَظَّمَهُ فِي عِرْسٍ صَنَعَهَا بِسَبْتَةٍ عَلَى طَرِيقِهِ فِي الْمَجَانَةِ: [الكامل]

اللَّهُ أَكْبَرُ فِي مَنَارِ الْجَامِعِ مِنْ سَبْتَةٍ تَأْذِينُ عَبْدٍ خَاشِعٍ  
اللَّهُ أَكْبَرُ لِلصَّلَاةِ أَقِيمُهَا بَيْنَ الصُّفُوفِ مِنَ الْبَلَاطِ الْوَاسِعِ  
اللَّهُ أَكْبَرُ مُخْرِمًا وَمُوجِّهًا ذَبْرِي<sup>(٢)</sup> إِلَى رَبِّي بِقَلْبٍ خَاضِعِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ آمِينَ لَا تَفْتَحْ لِكُلِّ مَخَادِعِ  
إِنَّ النِّسَاءَ خَدَعْنِي وَمَكَّرْنَ بِي وَمَلَأْنَ مِنْ ذِكْرِ النِّسَاءِ مَسَامِعِي  
حَتَّى وَقَعْتُ وَمَا وَقَعْتُ بِجَانِبِ لَكُنْ عَلَى رَأْسِ لَأْمَرٍ وَاقِعِ  
وَاللَّهِ مَا كَانَتْ إِلَيْهِ ضَرُورَةٌ لَكُنْ أَمَرَ اللَّهِ دُونَ مُدَافِعِ  
فَحَطَبْنِي لِي فِي بَيْتِ حُسْنٍ قُلْنِ لِي وَكَذَّبْنِي لِي فِي بَيْتِ قُبْحٍ شَانِعِ  
يَكْرًا زَعَمَنَ صَغِيرَةً فِي سَنِّهَا حَسَنَاءُ تُسْفِرُ عَنْ جَمَالِ بَارِعِ  
خُودًا لَهَا شَغَرٌ أَثِيثٌ حَالِكِ كَاللَّيْلِ تُجَلِّي عَنْ صَبَاحِ سَاطِعِ

(١) في الأصل: «قد أنهى في التعمير» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «وذبرة» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

حَوْرَاء يَرْتَاعُ الْغَزَالُ إِذَا رَنَتْ  
تَتْلُو الْكِتَابَ بَغْنَةً وَفَصَاحَةً  
بَسَامَةً عَنِ لَوْلُؤٍ مُتَنَاسِقٍ  
أَنْفَاسُهَا كَالرَّاحِ فَضُّ خَتَامُهَا  
شَمَاءً دُونَ تَفَاوُتِ عَرَبِيَّةٍ  
غَيْدَاءٍ كَالْغَصَنِ الرُّطِيبِ إِذَا مَشَتْ  
تَخْطُو عَلَى رِجْلَيْ حِمَامَةٍ أَيْكَةٍ  
وَوَصَفْنَ لِي مِنْ حَسْنِهَا وَجَمَالِهَا  
فَدَنَوْتُ وَاسْتَأْمَنْتُ بَعْدَ تَوْخَشِي  
فَحَمَلْنِي نَحْوَ الْوَلِيِّ وَجِئْنِي  
وَبَعَرَفَهُ مِنْ نَافِعٍ لَتَعَادِلِ  
فَشَرَطَنَ أَشْرَاطًا عَلَيَّ كَثِيرَةً  
ثُمَّ انْفَصَلْتُ وَقَدْ عَلِمْتُ<sup>(٢)</sup> بَأَنِّي  
وَتَرَكْتَنِي يَوْمًا وَعُذْنُ وَقَلْنُ لِي  
وَاصْنَعْ لَهَا عُرْسًا وَلَا تَحُوجْ إِلَى  
وَقَرَعْتُ سِنِّي عِنْدَ ذَلِكَ نَدَامَةً  
وَلَزِمْتَنِي حَتَّى انْفَصَلْتُ بِمَوْعِدِ  
فَلَوْ أَنَّنِي طَلَقْتُ كُنْتُ مَوْفَقًا  
لَكِنْ طَمَعْتُ بِأَنْ أَرَى الْحُسْنَ الَّذِي  
فَنظَرْتُ فِي أَمْرِ الْبِنَاءِ مُعْجَلًا  
وَطَمَعْتُ أَنْ<sup>(٣)</sup> تُجَلِّيَ وَيُبَصِّرَ وَجْهَهَا  
وظَنَنْتُ ذَلِكَ كَمَا دُكِرْنَ وَلَمْ يَكُنْ  
وَحَمَلْنِي لَيْلًا إِلَى دَارِ لَهَا  
دَارَ خَرَابٍ فِي مَكَانٍ تَوْخَشِ  
فَقَعَدْتُ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ مَظْلَمٍ

بُجُفُونَ خَشَفَ<sup>(١)</sup> فِي الْخِمَائِلِ رَافِعٍ  
فِيْمِيلُ نَحْوِ الذُّكْرِ قَلْبُ السَّامِعِ  
فِي ثَغْرِهَا فِي نَظْمِهِ مُتَتَابِعِ  
مِنْ بَعْدِ مَا خُتِمَتْ بِمَسْكِ رَائِعِ  
بِبَسَالَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَمَنَازِعِ  
نَاءَتْ بِرِذْفٍ لِلتَّعَجُّلِ مَانِعِ  
مَخْضُوبَةٍ تُسْبِي فَوَادِ السَّامِعِ  
مَا الْبَعْضُ مِنْهُ يُقِيمُ عُذْرَ الْخَالِعِ  
وَأَطَاعَ قَلْبٌ لَمْ يَكُنْ بِمَطَاوِعِ  
بِالشَّاهِدِينَ وَجِلْدُ كِبَشٍ وَاسِعِ  
وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِنَافِعِ  
مَا كُنْتُ فِي حَمْلِي لَهَا بِمَطَاوِعِ  
أَوْثَقْتُ فِي عُنْقِي لَهَا بِجَوَامِعِ  
خُذْ فِي الْبِنَاءِ وَلَكِنْ بِمِرَافِعِ  
قَاضٍ عَلَيْكَ وَلَا وَكَيْلٍ رَافِعِ  
مَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْ<sup>(٣)</sup> خُدِغْتُ بِقَارِعِ  
بَعْدَ الْيَمِينِ إِلَى النَّهَارِ الرَّابِعِ  
وَنَقَضْتُ مِنْ ذَلِكَ النِّكَاحَ أَصَابِعِي  
رَوَّزَنَ لِي فَذَمَمْتُ سَوْءَ مَطَامِعِي  
وَصَنَعْتُ عُرْسًا يَا لَهَا مِنْ صَانِعِ!  
وَيَقَرُّ عَيْنِي بِالْهَلَالِ الطَّالِعِ  
وَحَصَلْتُ أَيْضًا فِي مَقَامِ الْفَارِعِ  
فِي مَوْضِعٍ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ سَامِعِ  
مَا بَيْنَ آثَارِ هُنَاكَ بِلَاقِعِ  
وَلَا شَيْءٍ فِيهِ سِوَى حَصِيرِ الْجَامِعِ

(١) الخَشَفَ: وَلَدَ الظَّنِّي.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «وَعَلِمْتُ»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ.

(٣) كَلِمَةُ «أَنْ» سَاقِطَةٌ فِي الْأَصْلِ، وَقَدْ أَضْفَيْنَاهَا لِيَسْتَقِيمَ الْوِزْنُ.

(٤) فِي الْأَصْلِ: «بِأَنْ»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ.

فسمعتُ حسًا عن شمالي مُنكَرًا  
فأردتُ أن أنجو بنفسي هاربًا  
فلَقِيتُهُنَّ وقد أَتَيْنَ بِجَذْوَةٍ  
ودخلن بي في البيت واشتجَلَسْنِي  
وأشْرَن لي نحو السَّماء<sup>(١)</sup> وقلن لي  
هذي خَلِيلَتُكَ التي رَوَّجَتْهَا  
بِئْنَا مِنْ<sup>(٢)</sup> النُّعْمَى التي حُوِّلَتْهَا  
فَنظَرْتُ نحو خَلِيلَتِي متأملًا  
وأَتَيْتُهَا وأردتُ نَزَعَ خِمَارِهَا  
فَوَجَلْتُهَا في صدرها وحدوته  
فوجدتُها قَرْعَاءَ تحسب أنها  
حَوْلَاءَ تنظر فوقها في ساقها  
فَطَسَاءَ تحسب أن رَوْثَةَ أنفها  
صَمَاءَ تُدْعَى بالبَرِيح وتارة  
بَكَمَاءَ إن رَامَتْ كلامًا صَوَّتَتْ  
فَقَمَاءَ إن مَا<sup>(٣)</sup> تَلْتَقِي أَسْنَانُهَا  
عَرَجَاءَ إن قامت تعالج مَشْيَهَا  
فلَقِيتُهَا وجعلتُ أَبْصُقُ نحوها  
حيرانُ أَعْدُو في الرُّفَاقِ كأنني  
حتى إذا لاح الصَّبَاحُ وفتحوا  
والله ما لي بعد ذاك بأمرها

وتنخنحًا يحكي نَقِيقَ ضفادع  
ووئِبْتُ عند الباب وَثْبَةٌ جازع  
فردذني وحبَسْنِي بمجامع  
فجلستُ كالمضرور يوم رَعازع  
هذي زُوبِعَةٌ وبنتُ زوابع  
فاجلس هنا معها ليوم سابع  
فلقد حَصَلْتُ على رياض يانع  
فَوَجَدْتُهَا محجوبةً ببراقع  
فَعَدْتُ تُدافعني بجِدٍّ وازع  
وكشفتُ هامَتَهَا بغِيظِ صارع  
مَقْرُوعَةٍ في رأسها بمقارع  
فتخالها مَبْهُوتَةً في الشارع  
قُطِعَتْ فلا شَلْتُ يمين القاطع  
بالطُّبُلِ أو يُؤْتَى لها بمقامع  
تصويتُ مِغْزَى نحو جَذِي راضع  
تَفْسُو إذا نَطَقَتْ فساء الشابع  
أَبْصَرْتَ مِشْيَةَ ضَالِعٍ أو خامع  
وأفرُّ نحو دُجَى وغِيثٍ هَامِعٍ  
لَصُّ أَحْسُ بطالب أو تابع  
باب المدينة كنت أول كاسع  
علم ولا بأمر بَيْتِي الضَّائِع

نثره: وفضل الناس نظمه على نثره، ونحن نُسَلِّم ذلك من باب الكثرة، لا من باب الإجادة. وهذه الرسالة مُعلَّمة بالشهادة بحول الله.

كتب إلى الشيخين الفقيهِين الأديبين البليغين أبي بكر بن يوسف بن الفخَّار، وأبي القاسم خلف بن عبد العزيز القبتوري:

(١) في الأصل: «السما».

(٢) في الأصل: «وبئنا النعمى» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) كلمة «ما» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.



«لله دُرُكُما خَلِيفِي صفاء، وأَلِيفِي وفاء، يتنازعان كأس المودَّة تنازُع الأَكفاء، ويتهاديان رِيحان التَّحِيَّة تهادِي الطُّرفاء. قَسِيمِي نَسَب، وقَرِيعِي حَسَب، يتجاوزان بمطبوع من الأدب ومُكْتَسَب، ويتواردان على عِلْم من الطُّرْف ونسب، رَضِيعِي لِيان، دَرِيعِي لُبَّان، يَخْرُزان مِراث قُسِّ وسُخْبان، ويُبْرِزان من الذُّكاء ما بان على أُبَّان، قَسِيمي مجال، فَصِيحي رويَّة وارْتِجال، يَتَرعان في أَشْطان البِلاغة سَجالاً بعد سَجال، ويَضْرعان في ميدان الفِصاحة رَجالاً على رَجال. ما بالكُما؟ لا حُرِمت حبالُكُما ولا قُصِمت نِبالُكُما، لم تَسْمَحْ لي من عَقُودِكُما بِدُرَّة، ولم تُرْشِحْني من نُقُودِكُما بِدُرَّة، ولم تَفْسَحْ لي بِحُلُوة ولا مُرَّة. لقد ابْتَلَيْتُ من أدبِكُما بنهر أَقْرَبُه ولا أَشْرَبُه، وما أُرِده ولا أَتَبَرِّده. ولو كنت من أَصحاب طالوت لا قُصِحت لي غُرْفَة، وأُتِيحت لي ثُرْفَة. بل لو كنت من الإبل ذوات الأَظْماء، ما جُلِيت بعد الظُّمِّ على الماء، ولا دخلْتُ بالإشفاق مدخل العِجماء. كيف وأنا ولا فخر في صورة إنسان، ناطق بلسان، أَفْرَق بين الإساءة والإحسان. وإن قلت إنَّ باعي في النُّظْم قصير، وما لي على النُّثر وليٌّ ولا نصير، وصَنَعَة النُّحو عني بمَغْزَل، ومنزل الفقيه ليس لي بمنزل، ولم أَقْدِم على العِلْم القديم، ولا استأثرت من أهله بَنديم. فانا والحمد لله غِنِي بِصُنْعَة الجَفَر، وأَقْنِي اليراع كأنها شِبابيك الثُّبَر، وأُبْري البريَّة التي<sup>(١)</sup> تنيف على الشُّبَر، وأُزِين حُدُود الأسطار المُستوية، بعقارب اللَّامات المُلتوية، ولا أَقول كأنها، فلا ينكر السِّيدان أعزُّهما الله أنها نعم بعود أزاعم، ويمثل شَكْسِي تُخَضَّر الملاحم. فما هذا الازدراء والاجتراء في هذا الأمر مَرَّ المواقير. تالله لقد ظَلَمْتُماني على عِلْم، واستندتُم إلى غير جِلْم، أما رَهْبَتُما شَبابي، أما رَغِبَتُما في حِسابي، أما رَفَعَتُما بين نَفْح صبابي، ولَفَّح صبابي. لعمرِي لقد رَكِبْتُمَا خَطراً، وَهَجْتُمَا الأَسَد بَطْراً، وأَبَحْتُمَا جِمِّي مُخْتَضِراً، ولم تمنعنا في هذا الأمر نَظْراً: [الطويل]

أَعِذْ نَظْراً يا عَبْدَ قَيْسَ لَعَلَّما      أَضَاءَتْ لَكَ النَّارُ الحِمَارَ المَقْيَداً

ونفسي عَيْنُ الحِمَار، في هذا المَضْمار، لا أعرف قَبِيلاً من دَبِير، ولا أَفْرَق بِجَسِّي بين صَغير وكَبِير، ولا أَعهد أنْ حِصاة الرُّمِي أخْفُ من ثَبِير، أليس في ذُوي كَبِد رُطْبَة أَجْر، وفي مِعاملة أهل التَّقوى والمَغْفرة تَجَر؟ وإذا حَوَّلْتُماني نِعمة أو نَفْلْتُماني نَفْلاً، فالَيْدُ العُلَيا خَير من اليَدِ السُّفلى، وما نَقَصَ مال من صَدَقَة، ولا جِمالٌ من لَمَحَ حَدَقَة، والعِلْمُ يَزِيدُ بالإنفاق، وَكُثْمُه حَرَامٌ باتفاق، فإن قَلْتُمَا لي إنَّ فَهْمَك سَقِيم، وَعَوَجَك على الرِّياضة لا يَسْتَقِيم، فلعلَّ الذي نَصَبَ قامتي، يَمْنُ

(١) في الأصل: «المغا».

بأَسْتَقَامَتِي، وعسى الذي يَشُقُّ سمعي وبصري، أن يزيل عَيْي وَحَصْرِي، فَأَعْيِي مَا تَقْصُصَان، وَأَجْتَلِي مَا تَنْصُصَان، وَأَجْنِي ثِمَارَ تِلْكَ الْأَغْصَان، فَقَدْ شَاهَدْتُمَا كَثِيرًا مِنَ الْحَيَوَان، يُتَاغَى فَيَتَعَلَّم، وَيُلْقَن فَيَتَكَلَّم. هَذَا وَالْجِنْسُ غَيْرُ الْجِنْس، فَكَيْفَ الْمُشَارِكُ فِي نَوْعِيَةِ الْإِنْس؟ فَإِنْ قُلْنَا إِنْ ذَلِكَ يَشُقُّ، فَأَيْنَ الْحَقُّ الَّذِي يَحِقُّ، وَالْمَشَقَّةُ أُخْتُ الْمَرْوَةِ، وَيَنْعَكُسُ مَسَاقُ هَذِهِ الْأُخُوَّة، فَيَقَالُ الْمَرْوَةُ أُخْتُ الْمَشَقَّة، وَالْحَجِيجُ يَصْبِرُ عَلَى بَعْدِ الشَّقَّة، وَلَوْلَا الْمَشَقَّةُ كَثُرَ السَّادَةُ، وَقَلَّتِ الْحَسَادَةُ، فَمَا ضَرَكُمَا أَيُّهَا السَّيِّدَانِ أَنْ تَخْسِبَا تَحْوِيجِي، وَتَكْتَسِبَا الْأَجْرَ فِي تَذْرِيجِي؟ فَإِنَكُمَا إِنْ فَعَلْتُمَا ذَلِكَ نُسِبَتْ إِلَى وَلَائِكُمَا، كَمَا حُسِبَتْ عَلَى عِلَائِكُمَا، وَأُضِفْتُ إِلَى نَدْيِكُمَا، كَمَا عُرِفَتْ بِمُتَنَادِكُمَا. أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَرْءَ يُغْرِفُ بِخَلِيلِهِ، وَيُقَاسُ بِهِ فِي كَثِيرِهِ وَقَلِيلِهِ؟ وَلَعَلِّي أُمْتَحَنُ فِي مَرَامٍ، وَيَغْجِمُ عَوْدِي رَامٍ، فَيَقُولُ هَذَا الْعُودُ مِنْ تِلْكَ الْأَعْوَادِ، وَمَا فِي الْحَلْبَةِ مِنْ جَوَادٍ، فَأَكْسُوْكُمَا عَارًا، وَأَكُونُ عَلَيْكُمَا شِعَارًا. عَلَى أَنِّي إِذَا دُعِيتُ بِاسْمِكُمَا اسْتَرْبْتُ مِنَ الْإِدْعَاءِ، فَلَا أَسْتَجِيبُ لِهَذَا الدُّعَاءِ، وَلَكِنْ أَقُولُ كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي سَفْيَانَ حِينَ عَرَفَ الْإِدَارَةَ، وَأَنْكَرَ الْإِمَارَةَ، نَعَمْ أَخُوْتِي أَصَحَّ، وَأَنْثَا بِهَا أَشَحَّ، إِلَّا أَنَّ غَيْرِي نَظُمَ فِي السُّلْكِ، وَأَسْهَمَ فِي الْمُلْكِ، وَأَنَا بَيْنَكُمَا كَالْمَحْجُوبِ بَيْنَ طُلَّابٍ، يَشَارِكُهُمْ فِي الْبُكََا لَا فِي الثَّرَابِ<sup>(١)</sup>، إِنْ حَضَرْتَ فَكُنْتُمْ فِي الْإِقْحَامِ، أَوْ لِمَقْعَدٍ فِي زَحَامٍ، وَإِنْ غَبْتَ فَيُقْضَى الْأَمْرُ، وَقَدْ سَطَرَ زَيْدٌ وَعَمَرُو. نَاشَدْتُكُمَا اللَّهَ فِي الْإِنْصَافِ أَنْ تَرْبِعَا بَوَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الشَّخْرِ، فِي نَادٍ مِنْ أُنْدِيَةِ الشَّعْرِ بِلِ الشَّخْرِ، حَيْثُ تَنْدَرُجُ الْأَنْهَارُ، وَتَتَأَرَّجُ الْأَزْهَارُ، وَيَتَبَرَّجُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَيَقْرَأُ الطَّيْرُ صُحُفًا مُنْتَشِرَةً، وَيَجْلُو النُّورُ تُغُورًا مُؤَشِّرَةً، وَيُغَازِلُ عَيُونَ الثُّرَجْسِ الْوَجَلُ، خُدُودُ الْوَرْدِ الْخَجَلُ، وَتَمَائِلُ أَعْطَافِ الْبَانِ، عَلَى أَزْدَافِ الْكُثْبَانِ، فَيَرْقُدُ النَّسِيمُ الْعَلِيلُ، فِي جَنْجَرِ الرُّوضِ وَهُوَ بَلِيلُ، وَتَبْرُزُ هَوَادِجُ الرِّاحِ، عَلَى الرِّاحِ، وَقَدْ هُدِيتُ بِأَقْمَارٍ، وَحُدِيتُ بِأَزْهَارٍ وَمِزْمَارٍ، وَرَكِبْتُهَا الصُّبَا وَالْكُمَيْتُ فِي ذَلِكَ الْبُضْمَارِ، وَلَمْ تَزَلَا فِي طَيْبٍ، وَعَيْشُ رَطِيبٍ، مِنْ قِبَابِ وَخُدُورٍ، وَشُمُوسٍ وَبُدُورٍ، تَصِلَانِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامَ أَعْجَازًا بِصُدُورٍ، وَأَنَا الطَّرِيدُ مَنبُودٌ بِالْعَرَاءِ، مَوْقُودٌ فِي جِهَةِ الْوَرَاءِ، لَا يُذْنِي مَحَلِّي، وَلَا يُعْتَنِي بَعْقَدِي وَلَا حَلِّي، وَلَا أَدْرُجُ مِنَ الْحَرُورِ إِلَى الظَّلِّ، وَلَا أَخْرُجُ مِنَ الْحَرَامِ إِلَى الْجِلِّ، وَلَا يُنْعِثُ إِلَيَّ مَعَ النَّسِيمِ هَبَّةٌ، وَلَا يُنَاحُ لِي مِنَ الْآتِي عَبَّةٌ. قَدْ هَلَكْتَ لَغَوًا، وَلَمْ تُقِيمَا لِي صَفُوًا، وَمَثٌ كَمَدًا، وَلَمْ تَبْعَثَا لِبَغْثِي أَمَدًا. أَتَرَاهُ خَلَفْتُمَانِي جَرَضًا، وَأَلْفَيْتُمَانِي حَرَضًا؟ كَمْ أَسْتَسْقِي فَلَا أَسْقَى، وَأَسْتَرْقِي فَلَا أَرْقَى، لَا مَاءَ أَشْرَبُهُ، وَلَا عَمَلَ فِي وَضْلِكُمَا

أَدْرِيهِ. لم يبق لي حيلة إِلَّا الدُّعَاءُ المجاب، فعسى الكرب أن يَنْجِبَ. اللهم كما أَمَدَدْتَ هذين السَّيِّدَيْنِ بِالْعِلْمِ الذي هو جَمَال، وسَدَّدْتَهُمَا إِلَى الْعَمَلِ الذي هو كَمَال، وَجَمَعْتَ فِيهِمَا الْفَضَائِلَ وَالْمَكَارِمَ، وَخَتَمْتَ بِهِمَا الْأَفْضَلَ وَالْمَكَارِمَ، وَجَعَلْتَ الْأَدَبَ الصَّرِيحَ أَقْلَ خِصَالِهِمَا، وَالنَّظَرَ الصَّحِيحَ أَقْلَ نِصَالِهِمَا، فَاجْعَلْ اللَّهُمَّ لِي فِي قُلُوبِهِمَا رَحْمَةً وَحَنَانًا، وَابْسُطْ لِي مِنْهُمَا وَجْهًا وَاشْرَحْ لِي جَنَانًا، واجْعَلْنِي اللَّهُمَّ مِمَّنْ اقْتَدَى بِهِمَا، وَتَعَلَّقَ بِأَهْدَابِهِمَا، وَكَانَ دَأْبُهُ فِي الصَّالِحَاتِ كَدَّأِبِهِمَا، حَتَّى أَكُونَ بِهِمَا ثَالِثَ الْقَمَرَيْنِ فِي الْآيَاتِ، وَثَالِثَ الْعُمَرَيْنِ فِي عَمَلِ الْبِرِّ وَطَوْلِ الْحَيَاةِ، اللَّهُمَّ آمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ. وكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى سَيِّدِي عَزَّهٗمَا اللَّهُ إِذَا وَقَفَا عَلَى هَذَا الْخُطَابِ، وَنَظَرَا إِلَى هَذَا الْإِحْطَابِ، كَيْفَ يُدِيرَانِ رَمَزًا، وَيَسِيرَانِ عَمَزًا؟ وَيَقَالُ: اسْتَتَبَ الْفِصَالُ، وَتَعَاطَى الْبَيْدُ مَا تَفْعَلُ النَّصَالُ، وَحَنُّ جِذْعٍ لَيْسَ مِنْهَا<sup>(١)</sup>، وَخُذْ عَجْفَاكَ وَسَمْنَهَا، فَأَقُولُ وَطَرْفِي غَضِيضٌ، وَمَحَلِّي الْحَضِيضُ، مِثْلِي كَمِثْلِ الْفُرُوجِ أَوْ ثَانِي الْبُرُوجِ، وَمَا تَقَاسَ الْأَكْفُ بِالسُّرُوجِ، فَأَضْرِبَا عَنِّي أَيُّهَا الْفَاضِلَانِ، مَا أَنَا مِمَّنْ تُنَاضِلَانِ، وَالسَّلَامُ.

**مولده:** قال شيخنا الفقيه أبو عبد الله ابن القاضي الْمُتَبَحَّرُ الْعَالِمُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ: سَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلَدِهِ فَأَنْشَدَنِي: [الرجز]

يَا سَائِلِي عَنْ مَوْلَدِي كَيْ أذْكُرُهُ      وَلِدْتُ يَوْمَ سَبْعَةٍ وَعَشْرَةٍ  
مِنَ الْمُحَرَّمِ افْتِتَاحُ أَزْبَعٍ      مِنْ بَعْدِ سِتْمِائَةِ مُفَسَّرَةٍ

**وفاته:** في التاسع<sup>(٢)</sup> عشر لرجب عام تسعة وتسعين وستمائة، ودفن بمقبرة فاس، وأمر أن يكتب على قبره: [مجزوء الخفيف]

رُزُّ غَرِيبًا بِمَقَرِّهِ      نَازِحًا مَالَهُ وَلِي<sup>(٣)</sup>  
تَرَكَوهُ مُوسَدًا      بَيْنَ تُرْبٍ وَجَنْدِلٍ  
وَلْتُقْلَ عِنْدَ قَبْرِهِ      بِلِسَانِ التَّدْلِيلِ  
يَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدَهُ      مَالِكُ بْنُ الْمُرَحَّلِ

(١) في الأصل: «منهما».

(٢) في الذيل والتكملة (السفر الثامن ص ٥٢٧): «كانت وفاته بمدينة فاس في الثامن عشر لرجب الفرد من سنة تسع وتسعين وستمائة». وفي هدية العارفين: توفي سنة ٦٧٢ هـ.

(٣) في الأصل: «ول» بدون ياء.

## ومن طارئي المقرئين والعلماء منصور بن علي بن عبد الله الزواوي

صاحبنا، يكنى أبا علي.

حاله: هذا الرجل طُرِفَ في الخير والسلامة، وحسن العهد، والصّون والطهارة والعفة، قليل التصنع، مؤثّر للاقتصاد، مُنقبض عن الناس، مكفوف اللسان واليد، مُشتغل بشأنه، عاكف على ما يَغْنِيه، مستقيم الظاهر، ساذج الباطن، مُنصف في المذاكرة، مُوجبٌ لحقّ الخضم، حريصٌ على الإفادة والاستفادة، مثابرٌ على تعلّم العلم وتعليمه، غير أنيفٍ عن حمّله عمّن دونه، جُملةٌ من جُمَل السّداجة والرّجولة وحسن المعاملة، صَدَرَ من صدور الطّلبة، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقليّة والثّقليّة، وإطلاّعٌ وتقييد، ونظر في الأصول والمنطق وعِلْم الكلام، ودعوى في الحساب والهندسة والآلات. يكتب الشّعر فلا يعدو الإجادة والسّداد.

قَدِمَ الأندلس في عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، فلقي رَحْبًا، وعُرف قَدْرُه، فتقدم مُقرئًا بالمدرسة<sup>(١)</sup> تحت جراية نبيهه، وحلّق للناس متكلمًا على الفروع الفقهيّة والتفسير، وتصدّر للفتيا، وحضر بالدار السلطانية مع مثله. جَرَّبَتْهُ وصَحْبَتُهُ، فَبَلَوَتْ منه دِينًا ونَصَفَةً، وحسن عشرة.

محنّته: امتحن في هذا العهد الأخير بمطالبة شرعيّة، لِمُتَوَقَّف صدر عنه لما جمع الفقهاء للنظر في ثبوت عقد على رجل نال من جانب الله والثبوت، وشكّ في القول بتكفيره، فقال القوم بإشراكه في التكفير ولَطَخَه بالعاب الكبير، إذ كان كثير المشاخة لجماعتهم، فأجَلَّت الحال عن صَرْفه عن الأندلس في أواخر شعبان عام خمسة وستين وسبعمائة.

مشيخته: طلبتُ منه تقييد مشيخته، فكتب مما يدل على جودة القريحة ما

نصه:

«يتفضّلُ سيدي الأعلى الذي أهدّي بمضباحه، وأغشُو إلى غُرَره وأوضحه، جامعُ أشتات العلوم، وفاتّق رَتق الفهوم، حامل راية البديع، وصاحبُ آيات التّورية فيه

(١) هي المدرسة العجيبة التي بُنيت في عهد سلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، الذي حكم من سنة ٧٣٣ هـ إلى سنة ٧٥٥ هـ، وقد عدّها ابن الخطيب بكر المدارس في حضرته غرناطة. اللّحة البدرية (ص ١٠٩).

والتزصيع، نُخبة البلغاء، وفخر الجهابذة العلماء، قائد جِياد البلاغة من نواصِيها، وسائق شِوارد الحِكم من أفاصِيها، أبو عبد الله بن الخطيب أبقاه الله للقريض يَفْطِف زَهْره، وَيَجْتَنِي غُرره، وللبديع يُطْلِع قَمَره، وينظم دُزْره، وللأدب يَحْكُ خُلْله، ويجمع تَفاصيله وَجَمَله، وللمعاني يَجُوس بجيوش البراعة خِلالها، ويفتَح بعوامل البراعة أَقْفالها، وللأسجاع يُقَرِّطُ الأسماع بفرائدها، ويَحْلِي النحور بقلائدها، وللتَّظْم يُورد جِياده أخلَى الموارد، وَيُجِيلها في مِضمار البلاغة من غير مُعاند، وللتَّثْر يَفْتَرع أَبْكاره، ويودعها أسرارها، ولسائر العلوم يَصوغها في مَفْرَق الآداب تاجًا، وَيَضَعُها في أنْطَر الطُّروس سراجًا، ولا زال ذا القلم الأعلى، ويَذر الوزارة الأوضح الأجلَى، ببقاء هذه الدولة المولوية والإمامة المحمدية كعبةً لملوك الإسلام، وَمَقْصِدًا للعلماء الأعلام، ورضى عنهم خَلْفًا وسَلْفًا، ويُورك لنا فيهم وَسْطًا وطَرَفًا، ولا زالت آمالنا بَعْلانهم مَثُوة، وفي جاههم العريض مَبْسُوة، بقبول ما نَبَّه عليه، من كُتُب شيوخي المشاهير إليه، فها أنا أذكر ما تيسر لي من ذلك بالاختصار، إذ لا تفي بذكرهم وخُلاهم المجلدات الكِبار.

فمنهم مولاى الوالد علي بن عبد الله لقاءه الله الروح والريحان، وأوسع الرضا والغفران. قرأت عليه القرآن وبعض ما يتعلق به من الإعراب والضبط. ثم بعثني إلى شيخنا المجتهد الإمام عَلم العلماء، وقُطِب الفقهاء، قُدوة النُّظار، وإمام الأُمصار، منصور بن أحمد المشدالي، رحمه الله وقُدس روحه، فوجدته قد بلغ السَّنْ به غاية أوجِبَت جلوسه في داره، إلّا أنه يُفيد بفوائده بعض زُؤاره، فقرأت من أوائل ابن الحاجب<sup>(١)</sup> عليه لإشارة والدي بذلك إليه، وذلك أول محرم عام سبعة وعشرين وسبعمائة. واشتدَّ الحصار ببجاية لسماعنا أنّ السلطان العَبْد الوادي<sup>(٢)</sup> ينزل علينا بنفسه، فأمرني بالخروج، رحمه الله، فعاقني عائق عن الرجوع إليه؛ لأتَم قراءة ابن الحاجب عليه. ثم مات، رحمه الله، عام أحد وثلاثين وسبعمائة، فَخَصَّ مصابه البلاد وعمّ، وَلَفَّ سائر الطلبة وضَمّ، إلّا أنه ملأ ببجاية وأنظارها بالعلوم النظرية وقساها، وأنظارها بالفهوم النقليّة والعقليّة فصار من طلبته شيخنا المعظم، ومفيدنا المُقَدِّم، أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي المعروف بالمُفَسِّر، رحمه الله، بالطريقة الحاجبية، والكتابة الشرعية والأدبية، مع فضل السَّنْ وتَقْدير حَسَن، إلى معارف تحلّاه،

(١) هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن يونس المصري، المتوفى سنة ٦٤٦ هـ. له مختصر في الفقه المالكي يستقى المختصر الفقهي، والفرعي، والجامع بين الأهمات. حسن المحاضرة (ج ١ ص ٢١٥) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٩) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٣٢٦).

(٢) نسبة إلى بني عبد الواد، أصحاب تلمسان بالمغرب الأوسط.

ومحاسن اشتمل حُلاها. واستمرّ في ذكر شيوخه على هذه الوتيرة من التزام السَّجْع، وتقرير الحَلْي، فأجاد، وتجاوز المعتاد، فذكر منهم محمد بن يحيى الباهلي المذكور، وأنه أخذ عنه جملة من العلوم، فأفردَه بقراءة الإرشاد؛ والأستاذ أبا علي بن حسن البَجَلِي، وقرأ عليه جملة من الحاصل، وجملة من المعالم الدينية والفقهية، والكتب المنطقية، كالخُونَجِي، والآيات البَيِّنَات؛ والقاضي أبا عبد الله محمد بن أبي يوسف، قاضي الجماعة ببجاية؛ وأبا العباس أحمد بن عمران الساوي البانيولي. قال: ثم ثنيت العِنان بتوجُّهي إلى تلمسان، راغبًا في علوم العربية، والفهوم الهندسية والحسابية، فأول مَنْ لقيت شيخنا الذي عُلِّمَت في الدنيا جلالته وإمامته، وعُرفت في أقاصي البلاد سيادته وزعامته، وذكر رئيس الكُتَّاب العالم الفاضل أبا محمد عبد المهيمن الحَضْرَمِي، والمحدث البقيَّة أبا العباس بن يَرْبوع، والقاضي أبا إسحق بن أبي يحيى، وقرأ شيئًا من مبادئ العربية على الأستاذ أبي عبد الله الرُنْدِي. ولقي بالأندلس جَلَّة؛ فممنَّ قرأ عليه إمام الصنعة العربية شيخنا أبو عبد الله بن الفَخَّار الشهير بالبيري، ولازمه إلى حين وفاته، وكتب له بالإجازة والإذن له في التَّحْلِيْق بموضع قُعوده من المدرسة بعده. وقاضي الجماعة الشريف أبو القاسم محمد بن أحمد الحسيني، نسيجٌ وحده، ولازمه، وأخذ عنه تواليفه، وقرأ عليه تسهيل الفوائد لابن مالك، وقَيَّد عليه، وروى عن شيخنا إمام البقية أبي البركات ابن الحاج، وعن الخطيب المحدث أبي جعفر الطَّنْجَالِي، وهو الآن بالحال الموصوفة. أعانه الله وأمتع به.

شعره: زُرنا معًا والشيخ القاضي المتفَنُّ أبو عبد الله المُقْرَى، عند قدومه إلى الأندلس، رباط العقاب<sup>(١)</sup>. واستَشَدَّتْ القاضي، وكتب لي يومئذ بخطه: استَشَدَّنِي الفقيه الوجيه الكامل ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب، أطال الله بقاءه كما أطال ثناه، وحفظ مُهجته، كما أحسن بهجته، فأنشدته لنفسِي: [البسيط]

لَمَّا رأيناك بعد الشَّيْب يا رَجُلٌ لا تستقيم وأمر النفس تمتثلُ  
زُذْنَا يقيْنَا بما كنَّا نُصَدِّقه عند المَشْيِب يَشِبُّ الجِرْصُ والأَمَلُ

وكان ذلك بمسجد رابطة العقاب، عقب صلاة الظهر من يوم الأحد التاسع والعشرين لشهر ربيع الآخر من عام سبعة وخمسين وسبعمائة. وكتب الشيخ الأستاذ أبو علي يقول: منصور بن علي الزَّوَاوي، في رابطة العقاب في كذا، أَجَزْتُ صاحبنا

(١) رباط العقاب أو رابطة العقاب كانت تخصص للعبادة، وكانت على مقربة من مدينة غرناطة. الإحاطة (ج ٣ ص ٣٢٩) حاشية رقم ١، من تعليق المحقق محمد عبد الله عنان.

الفقيه المعظم، أبا عبد الله بن الخطيب وأولاده الثلاثة عبد الله، ومحمدًا، وعليًا، أسعدهم الله، جميع ما يجوز لي وعُتي روايته، وأنشدته قولي أخاطب بعض أصحابنا: [الطويل]

يُحْيِيكَ عَنْ بَعْضِ الْمَنَازِلِ صَاحِبٌ      صَدِيقٌ غَدَتْ تُهْدِي إِلَيْكَ رَسَائِلُهُ  
مُقَدِّمَةٌ جَفَظَ الْوُدَادَ وَسِيلَةٌ      وَلَا وُدٌّ أَنْ تَصِحَّ وَسَائِلُهُ  
يُسَائِلُ عَنْكَ الدَّارِسِينَ<sup>(١)</sup> وَلَمْ يَكُنْ      تَغِيبَ لِبُعْدِ الدَّارِ عَنْكَ مَسَائِلُهُ

وكتبت له قبل هذا مما أنشدته عند قدومي على غرناطة: [المجتث]

يَا مَنْ وَجَدْنَاهُ لَفْظًا      حَقِيقَةً فِي الْمَعَالِي  
مَقْدَمَاتٍ غُلَاكُمُ      أَتَنَجِّنُ كُلَّ كِمَالٍ  
وَكُلَّ نَظْمٍ قِيَاسٌ      خَلَوْتَ مِنْهُ فَخَالِ

وهو من لَدُنْ أُرْجِعَ عَنِ الْأَنْدَلُسِ، كما تقدّم ذكره، مقيمٌ بتلمسان، على ما كان عليه من الإقراء والتدريس.

### مسلم بن سعيد التَّنْمَلِي<sup>(٢)</sup>

حاله: كان غَيْرَ نَبِيهِ الْأُبُوَّة. ظهر في دولة السلطان أمير المسلمين، ثاني الملوك من بني نصر<sup>(٣)</sup>، بمزيد كفاية، فقلّده خُطَّةَ الْحِفَازَةِ، وهي تعميم النظر في المَجَابِي، وَضَمَّ الْأَمْوَالِ، وإيقاع التَّكْيِيرِ في محلِّ التَّقْصِيرِ، ومظانُّ الرِّيبِ، فَتَمَّتْ حاله، وَعَظُمَ جَاهُهُ، وَرُهِبَتْ سَطْوَتُهُ، وَخِيفَ إِيقَاعُهُ، وَقَرُبَتْ مِنَ السُّلْطَانِ وَسِيلَتُهُ، فَتَقَدَّمَ الْخُدَامُ، وَاسْتَوْعَبَ أَطْرَافَ الْحُظُوتِ، وَاكْتَسَبَ الْعَقَارَ، وصاهر في نَبِيهِ الْبَيُوتَاتِ، وَأَوْرَثَ عَنْهُ أَخْبَارًا تَشْهَدُ لَهُ بِالْجُودِ وَعِلْوِ الْهَمَةِ، وشرف النفس، إلى أن قَضَى عَلَى هَذِهِ الْوَتِيرَةِ.

ذكروا أن شَخْصًا جَلَبَ سِلْعَةً نَفِيسَةً مِمَّا يُطْمَعُ فِي إِخْفَائِهَا، حَيَدَةً عَنْ وَظِيفَةِ الْمَغْرَمِ الْبَاهِظَةِ فِي مِثْلِ جِنْسِهِ، فبينما هو يروم المحاولة، إِذْ بَصُرَ بِنَبِيهِ الْمَرْكَبِ وَالْبِيزَةِ،

(١) في الأصل: «الدَّارِسِينَ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) نسبة إلى تَيْنَ مَلَّلٍ، سرير ملك بني عبد المؤمن الموحيدي، بها كان أول خروج المهدي محمد بن تُوْمَرْتِ، الذي أقام بالدولة، ومات فصارَتْ لِعَبْدِ الْمُؤْمِنِ ثُمَّ لَوْلَدِهِ. معجم البلدان (ج ٢ ص ٦٩).

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، الذي حكم غرناطة من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. اللوحة البدرية (ص ٥٠).

يَنْقُضُ فِي زَوَايَا الْفَخْصِ عَنْ مِثْلِ مُضْطَبْنِهِ، فَظَنَّهُ رَئِيسًا مِنْ رُؤَسَاءِ الْجَنْدِ، فَقَصَدَهُ وَرَغِبَ مِنْهُ إِجَازَةَ خَبِيبَتِهِ بِيَابِ الْمَدِينَةِ، وَقَرَّرَ لَتَخَوُّفِهِ مِنْ ظُلْمِ الْحَافِزِ الْكَذَّاءِ مُسْلِمًا، فَأَخَذَهَا مِنْهُ وَخَبَّأَهَا تَحْتَ ثِيَابِهِ، وَوَكَّلَ بِهِ. وَلَمْ يَذْهَبِ الْمَسْكِينُ إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى سَأَلَ عَنِ الرَّجُلِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ الَّذِي فَرَّ عَنْهُ، فَسُقِطَ فِي يَدِهِ. ثُمَّ تَحَامَلَ، فَأَلْفَاهُ يَنْظُرُهُ فِي دَاخِلِ السُّورِ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ أَمَانَتَهُ، وَقَالَ: سِرْ فِي حِفْظِ اللَّهِ، فَقَدْ عَصَمَهَا اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الظَّالِمِ. فَخَجَلَ الرَّجُلُ، وَانْصَرَفَ مَتَعَجِّبًا. وَأَخْبَارُهُ فِي السَّرَاوَةِ وَنَجَحِ الْوَسِيلَةِ كَثِيرَةٌ.

**وفاته:** توفي في عام ثمانية وتسعين وستمائة، وشهد أميرُه دفنه، وكان قد أَسَفَ وَلِي الْعَهْدِ بِأُمُورِ صَانِعِهِ فِيهَا مِنْ بَابِ خِدْمَةِ وَالِدِهِ، فَكَانَ يَتَلَمَّظُ لِنَكْبَتِهِ، وَنَصَبَ لثَاتِهِ لِأَكْلِهِ، فَعَاجَلَهُ الْجَمَامُ قَبْلَ إِيقَاعِ نَقْمَتِهِ بِهِ. وَلَمَّا تَصَيَّرَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ، نَبَشَ قَبْرَهُ، وَأَخْرَجَ شِلْوَهُ، فَأَحْرَقَ بِالنَّارِ، إِغْرَاقًا فِي شَهْوَةِ التَّشْفِي، رَحْمَةً لِلَّهِ عَلَيْهِ.

## ومن العمال الأثراء

### مؤمل، مولى باديس بن حبوس

**حاله ومحتنه:** قال ابن الصِّيرَفِيِّ: وَقَدْ ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُلْقَيْنَ، حَفِيدَ بَادِيسَ، وَاسْتَشَارَتَهُ عَنْ أَمْرِهِ، لَمَّا بَلَغَهُ حَرَكَةُ يَوْسُفَ بْنِ تَاشُفَيْنَ إِلَى خَلْعِهِ. وَكَانَ فِي الْجُمْلَةِ مِنْ أَحْبَابِهِ، رَجُلٌ مِنْ عَبِيدِ جَدِّهِ اسْمُهُ مُؤْمَلٌ، وَلَهُ سِنَّ، وَعِنْدَهُ دِهَاءٌ وَفِطْنَةٌ، وَرَأْيٌ وَنَظَرٌ. وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: وَلَمْ يَكُنْ فِي وَزَرَاءِ مَمْلَكَتِهِ وَأَخْبَارِ دَوْلَتِهِ، أَصِيلَ الرَّأْيِ، جَزُلَ الْكَلِمَةِ، إِلَّا ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ<sup>(١)</sup> مِنْ كَتَبَتِهِ، وَمُؤْمَلٌ مِنْ عَبِيدِ جَدِّهِ، وَجَعَفَرٌ مِنْ فُتَيَانِهِ. رَجَعَ، قَالَ: فَأَلْطَفَ لَهُ مُؤْمَلٌ فِي الْقَوْلِ، وَأَعْلَمَهُ بِرَفَقٍ، وَحُسْنِ أَدَبٍ، أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ صَوَابٍ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ بِالْخُرُوجِ إِلَى أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ إِذَا قَرُبَ، وَالتَّطَارُحِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا تُمَكِّنُهُ مُدَافَعَتُهُ، وَلَا تُطَاقُ حَزْبُهُ، وَالِاسْتِجْدَاءُ لَهُ أَحْمَدُ عَاقِبَةٍ وَأَيْمَنُ مَغْيَةٍ. وَتَابَعَهُ عَلَى ذَلِكَ نَظَرَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ السُّنَنِ وَالْحُنُكَةِ، وَدَافَعَ فِي صَدِّ رَأْيِهِ الْغِلْمَةُ وَالْأَغْمَارُ، فَاسْتَشَاطَ غِيظًا عَلَى مُؤْمَلٍ وَمِنْ نَحَا نَحْوِهِ، وَهَمَّ بِهِمْ، فَخَرَجُوا،

(١) أَغْلَبَ الظَّنُّ أَنَّهُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ زَهْرٍ بْنِ حَرْبٍ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ أَبِي خَيْثَمَةَ، الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ خَيْرٍ مُصَنِّفًا لِكِتَابِ تَارِيخِ هَامٍ. فَهَرَسَةُ ابْنِ خَيْرٍ (ص ٢٥١ - ٢٥٢). رَاجِعْ أَيْضًا مَذَكُرَاتِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ (ص ١٥٨) وَمَمْلَكَةِ غَرْنَاطَةِ فِي عَهْدِ بَنِي زَيْرِي الْبَرْبَرِ (ص ٢٢٢).



وقد سلَّ بهم فرقاً منه. فلما جئهم الليل فرؤوا إلى لَوْشَة، وبها من أبناء عبيد باديس قائدها، فملكوها وثاروا فيها، بدعوة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين. وبادر مؤمل بالخطاب إلى أمير المسلمين المذكور وقد كان سَفَرٌ إليه عن سلطانه، فأعجبه عقلاً ونُبلاً، فاهتزَّ إليه، وكان أقوى الأسباب على حَرَكَته. وبادر حفيد باديس الأمر، فاشَّخص الجيش لنظر صِهره، فتغلب عليهم، وسيق مؤمل ومن كان معه شرَّ سوق في الحديد، وأزكبوا على دواب هجن، وكشفت رؤوسهم، وأزْدِف وراء كلِّ رجل من يَضْفَعُه. وتقدَّم الأمر في نَضْب الجُذوع وإحضار الرُّماة. وتلطَّف جعفر في أمرهم، وقال للأمير عبد الله: إن قَتَلْتَهُم الآن، أَطْفَأْتَ غضبك، وأَذْهَبْتَ مُلْكَكَ، فاستخرج المال، وأنت من وراء الانتقام، فَتَقَفُّهُمْ، وأُطِيعُوا في أنفسهم ريثما شغله الأمر، وأنفَذَ إليه يوسف بن تاشفين في حلِّ اعتقالهم، فلم تَسْعُه مخالفته وأطلقهم. ولَمَّا ملك غرناطة على تَفِيئَةِ تلك الحال، قدَّم مؤملاً على مُسْتَخْلَصِه<sup>(١)</sup> وجعل بيده مفاتيح قَصْره، فنال ما شاء من مال وحُظوة، واقتنى ما أراد من صامتٍ وذخيرة. ونُسبت إليه بغرناطة آثار، منها السَّقاية بباب الفَخَّارين، والحَوْز المعروف بحوز مؤمل<sup>(٢)</sup>، أَدْرَكْتُهَا وهي بحالها.

**وفاته:** قال ابن الصَّيرفي: وفي ربيع الأول من هذا العام، وهو عام اثنين وتسعين وأربعمائة، توفي بغرناطة مؤمل مولى باديس بن حَبُوس، عبد أمير المسلمين، وجابي مُسْتَخْلَصِه، وكان له دهاءٌ وصبر، ولم يكن بقارىء ولا كاتب. رَزَقَه الله عند أمير المسلمين، أيام حياته، منزلةً لطيفة ودرجة رفيعة. ولَمَّا أشرف على المَنيَّة، أحضر ما كان عنده من مال المُسْتَخْلَص، وأشهد الحاضرين على دَفْعه إلى مَنْ اسْتَوْتَفَه على حَمْلِه، ثم أَبْرَأ جميع عماله وكتَّابه. وأنفَذَ رجلاً من صناعته إلى أمير المسلمين بِجُمْلَةٍ من مال نفسه، يريه أن ذلك جميع ما اكْتَسَبَه في دولته، أيام خِدْمته، وأن يَبِيت المال أولى به، ورغب في سَتر أهله وولده، فلَمَّا وصل إليه، أظهر الأسف عليه، وأمضى تقديم صَنِيعته. ثم ذكر ما كشف البحث عنه من مُحْتَاجنه، وشقاء من خَلِفه بسببه، وعدَّد مالا وذخيرة.

(١) المستخلص: أملاك السلطان وأمواله.

(٢) حوز مؤمل أو حوز مؤمل: كان من أجمل متنزهات غرناطة وأظرفها، سمي بذلك نسبة إلى مؤمل أحد خدام ملك غرناطة باديس بن حبوس، ولاحتوائه على سطر من شجر الحوز. مملكة غرناطة (ص ٣٥).

## حرف النون الملوك والأمراء

نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد  
ابن محمد بن خميس بن عقيل الخزرجي الأنصاري<sup>(١)</sup>

أمير المسلمين بالأندلس، بعد أبيه وجدّه وأخيه، يُكنى أبا الجيوش، وقد تقدم من أوليّة هؤلاء الملوك ما يُغني عن الإعادة.

حاله: من كتاب «طُرُقُ العصر في أخبار الملوك من بني نصر» من تصنيفنا، قال: كان فتى يملأ<sup>(٢)</sup> العيون حُسْنًا وتَمَامَ صورة، دَمِثَ الأخلاق، لَبِنَ العريكة، عَفِيفًا، مَجْبُولًا على طلب الهدنة وحبّ الخير، مُغْمَدُ السَّيف، قَلِيلُ الشَّرِّ، نَافِرًا لِلْبَطَرِ وإِراقة الدماء، مُحَبًّا في العلم وأهله، آخِذًا من صناعة التَّعْدِيلِ<sup>(٣)</sup> بِحُظٍّ رَغِيب، يَخُطُّ التَّقَاوِيمَ<sup>(٤)</sup> الصَّحِيحَةَ، وَيَصْنَعُ الآلَاتِ الطَّرِيفَةَ<sup>(٥)</sup> بِيَدِهِ، اخْتَصَّ في ذلك الشَّيْخُ الإمامُ أبا عبد الله بن الرِّقَامِ، وَحِيدَ عَصْرِهِ، فَجَاءَ واحد دهره ظَرْفًا وإِحْكَامًا. وَكَانَ حَسَنَ الْعَهْدِ، كَثِيرَ الْوَفَاءِ. حَمَلَهُ الْوَفَاءُ عَلَى اللَّجَاجِ في أمر<sup>(٦)</sup> وزيره المطلوب بِعَزْلِهِ، عَلَى الاستهداف لِلخَلْعِ.

تَقَدَّمَ يوم خلع أخيه، وهو يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعمائة، وسُنُّهُ ثلاث وعشرون سنة، فَكَانَ من تمام الخُلُقِ، وَجَمَالَ الصُّورَةِ، وَالتَّأَنَّقِ في<sup>(٧)</sup> ملوكي اللِّبَاسِ، آيَةً من آيَاتِ اللَّهِ خَالِقِهِ. وَاقْتَدَى<sup>(٨)</sup> بِرِسُومِ أَبِيهِ وَأَخِيهِ، وَأَجْرَى الْأَلْقَابِ وَالْعَوَائِدِ لِأَوَّلِ دَوْلَتِهِ. وَكَانَتْ أَيَامُهُ، كَمَا شَاءَ اللَّهُ، أَيَّامَ نَحْسٍ مُسْتَمَرٍّ، شَمِلَتْ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا الْأَزْمَةُ، وَأَحَاطَ بِهِمُ الدُّعْرُ، وَكَلَبَ الْعَدُوُّ. وَسِيَمَرٌ مِنْ ذَلِكَ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ<sup>(٩)</sup>. وَكَانَ فَتًى أَيَّ فَتًى، لَوْ سَاعَدَهُ الْجَدُّ، وَالْأَمْرُ لِلَّهِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ.

(١) هذه الترجمة الكاملة لأبي الجيوش نصر وردت في اللوحة البديرية (ص ٧٠ - ٧٧) كما هنا.

(٢) في اللوحة البديرية (ص ٧٠): «ملا». (٣) صناعة التعديل: علم الفلك.

(٤) في اللوحة: «التقاويم الحسنة والجداول الصحيحة الظرفية، ويصنع...».

(٥) في اللوحة: «المجبية».

(٦) كلمة «أمر» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من اللوحة البديرية، (ص ٧٠).

(٧) في اللوحة: «في رفيع اللباس وملوكي البزة آية...».

(٨) في اللوحة: «واحتذى مرسوم». (٩) في اللوحة: «الكفاية».

وزراء دولته: وَزَّرَ لَهُ مُقِيمُ أَمْرِهِ وَمُخَكَّمُ التَّدْبِيرِ عَلَى أَخِيهِ، أَبُو<sup>(١)</sup> بَكْرٌ عَتِيقُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُؤَلِّ. وَبَيْتُ بَنِي مُؤَلِّ بِقَرْطَبَةِ بَيْتٍ<sup>(٢)</sup> لَهُ ذِكْرٌ وَأَصَالَةٌ. وَلَمَّا تَغَلَّبَ عَلَيْهَا<sup>(٣)</sup> ابْنُ هُوْدٍ اخْتَفَى بِهَا أَبُوهَ أَيَّامًا عَدَّةً<sup>(٤)</sup>. وَلَمَّا تَمَلَّكَهَا السُّلْطَانُ الْغَالِبُ بِاللَّهِ تِلْكَ الْبُرْهَةَ، خَرَجَ إِلَيْهِ وَصَحْبِهِ إِلَى غَرْنَاطَةِ، فَاتَّصَلَتْ قَرْبَاهُ بِعَقْدِهِ عَلَى بَيْتٍ لِلرَّيْسِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَعْرُوفِ<sup>(٥)</sup> بِالْعُجْلَبِ ابْنِ عَمِّ السُّلْطَانِ. وَاشْتَدَّ عَضْدُهُ، ثُمَّ تَأَكَّدَتْ الْقَرْبَى بِعَقْدِ مُؤَلِّ أَخِي هَذَا الْوَزِيرِ عَلَى بَيْتِ الرَّيْسِ أَبِي الْوَلِيدِ أُخْتِ الرَّيْسِ أَبِي سَعِيدٍ، مُنْجِبِ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ الْكِرَامِ، فَقَامَ<sup>(٦)</sup> بِأَمْرِهِ، وَاضْطَلَعَ بِأَعْبَاءِ سُلْطَانِهِ، إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ تَغَلُّبِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِ، وَإِخَافَةِ سُلْطَانِهِ مِنْهُ، مَا أَوْجَبَ صَرْفَهُ إِلَى الْمَغْرِبِ فِي غَرَضِ الرِّسَالَةِ، وَأَشِيرَ عَلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ بِإِقَامَتِهِ بِالْمَغْرِبِ، فَكَانَ صَرْفًا حَسَنًا. وَتَوَلَّى الْوِزَارَةَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَاجِّ، الْمُسَيَّرِ<sup>(٧)</sup> لَخَلْعِهِ، وَاجْتِثَاثِ أَصْلِهِ وَقَرْعِهِ، وَكَانَ خَبِيًّا دَاهِيَةً، أَعْلَمَ النَّاسَ بِأَخْبَارِ الرُّومِ وَسِيرِهِمْ وَأَثَارِهِمْ. فَحَدَّثَتْ بَيْنَ السُّلْطَانِ وَبَيْنِ أَهْلِ<sup>(٨)</sup> حَضْرَتِهِ الْوَحْشَةَ بِسَبِيهِ.

**قَضَائِهِ:** أَقَرَّ عَلَى خُطَّةِ الْقَضَاءِ بِحَضْرَتِهِ قَاضِي أَخِيهِ الشَّيْخُ الْفَقِيهَ أَبُو جَعْفَرٍ الْقَرَشِي الْمُنْبَزُ بِابْنِ فَرْكُونٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ مُسْتَوْفَى بِحَوْلِ اللَّهِ<sup>(٩)</sup>.

**كُتَابُهُ:** شَيْخُنَا<sup>(١٠)</sup> الصِّدْرُ الْوَجِيهَ، نَسِيحٌ وَحْدَهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمَانَ بْنِ الْجِيَابِ إِلَى آخِرِ مَدَّتِهِ.

مَنْ كَانَ عَلَى عَهْدِهِ مِنَ الْمُلُوكِ: بِالْمَغْرِبِ<sup>(١١)</sup>، السُّلْطَانُ أَبُو الرَّيِّعِ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ يَوْسُفَ بْنِ أَبِي يَوْسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ. تَصَيَّرَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ بَعْدَ وَفَاةِ أَخِيهِ السُّلْطَانِ أَبِي ثَابِتٍ عَامِرٍ بِأَخَوَازِ طَنْجَةَ، فِي صَفَرِ عَامِ ثَمَانِيَةٍ وَسَبْعِمِائَةٍ. وَكَانَ<sup>(١٢)</sup> مَشْكُورًا، مُبْنِخَتِ الْوَلَايَةِ. وَفِي دَوْلَتِهِ عَادَتْ سَبْتَةٌ إِلَى الْإِيَالَةِ الْمَرِينِيَّةِ. ثُمَّ تَوَفَّى بِتَارِزَى<sup>(١٣)</sup> فِي مَسْتَهْلِ رَجَبٍ<sup>(١٤)</sup> مِنْ عَامِ عَشْرَةٍ وَسَبْعِمِائَةٍ. وَتَوَلَّى الْمَلِكُ بَعْدَهُ عَمُّ

(١) فِي اللَّمْحَةِ: «الْوَزِيرُ الْقَائِدُ أَبُو...».

(٢) فِي اللَّمْحَةِ (ص ٧١): «بَيْتُ أَصَالَةٍ».

(٣) كَلِمَةُ «عَلَيْهَا» سَاقِطَةٌ فِي اللَّمْحَةِ.

(٤) كَلِمَةُ «عَدَّةٌ» سَاقِطَةٌ فِي اللَّمْحَةِ.

(٥) فِي اللَّمْحَةِ: «الْمُنْبَزُ بِالْعُجْلَبِ».

(٦) فِي اللَّمْحَةِ: «قَامَ».

(٧) فِي اللَّمْحَةِ: «الْمُسَيَّرُ».

(٨) فِي اللَّمْحَةِ: «وَأَهْلُ».

(٩) فِي اللَّمْحَةِ: «وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ».

(١٠) فِي اللَّمْحَةِ الْبَدْرِيَّةِ: «شَيْخُنَا أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْجِيَابِ نَسِيحٌ وَحْدَهُ إِلَى آخِرِ مَدَّتِهِ».

(١١) فِي اللَّمْحَةِ الْبَدْرِيَّةِ (ص ٧٢): «بِالْمَغْرِبِ مِنْ ذَلِكَ: كَانَ عَلَى عَهْدِهِ بِالْمَغْرِبِ السُّلْطَانُ...».

(١٢) فِي اللَّمْحَةِ: «وَكَانَ مَشْكُورًا الْوَلَايَةِ».

(١٣) فِي اللَّمْحَةِ: «بِتَارِزَا».

(١٤) فِي اللَّمْحَةِ: «شَهْرُ رَجَبٍ».

أبيه السلطان الجليل الكبير، خذُن العافية، ووليُ السلامة، وممهّد الدولة أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق. واستمرت ولايته إلى تمام أيام هذا الأمير، وكثيراً<sup>(١)</sup> من أيام من بعده. وقد تقدّم ذكر السلطان أبي يوسف في اسم من تقدم من الملوك ما فيه كفاية.

وبتلمسان، الأمير أبو حمّو موسى بن عثمان بن يَغْمَراسين، [سلطان بني عبد الواد، مذلّل الصُّقْع]<sup>(٢)</sup>، والمثل<sup>(٣)</sup> السائر في الحزم والتيقّظ، وصلابة الوجه، زعموا، وإحكام القِحة، والإغراب في حُبث<sup>(٤)</sup> السيرة. واستمرت ولايته إلى عام ثمانية عشر وسبعمائة، إلى أن سطا به ولده عبد الرحمن أبو تاشفين.

وبتونس، الأمير الخليفة أبو عبد الله محمد بن الواثق<sup>(٥)</sup> يحيى بن المستنصر محمد<sup>(٦)</sup> بن الأمير أبي زكريا بن أبي حفص<sup>(٧)</sup>. ثم توفي في ربيع<sup>(٨)</sup> الآخر عام تسعة<sup>(٩)</sup> وسبعمائة. فولّي الأمر قريبه الأمير أبو بكر<sup>(١٠)</sup> عبد الرحمن بن الأمير أبي يحيى<sup>(١١)</sup> زكريا ابن الأمير [أبي إسحق بن الأمير]<sup>(١٢)</sup> أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص. ونهض إليه من بجاية قريبه السلطان أبو البقاء خالد ابن الأمير أبي زكريا ابن الأمير أبي إسحق ابن الأمير أبي زكريا يحيى<sup>(١٣)</sup> بن عبد الواحد بن أبي حفص، فالتقى<sup>(١٤)</sup> بأرض تونس، فهزم أبو بكر<sup>(١٥)</sup>، ونجا بنفسه، فدخل بُسْتَانًا لبعض أهل الخدمة، مُخْتَفِياً فيه، فسعى به إلى أبي البقاء، فجيء به إليه، فأمر بعض القرابة بقتله صَبْرًا، نفعه الله<sup>(١٦)</sup>. وتمّ الأمر لأبي البقاء في رابع جمادى الأولى منه، إلى أن وفد<sup>(١٧)</sup> الشيخ المعظم<sup>(١٨)</sup> أبو يحيى زكريا الشهرير<sup>(١٩)</sup>

(١) في اللمحة: «وكثير». (٢) ما بين قوسين ساقط في اللمحة البدرية.

(٣) في اللمحة: «المثل». (٤) كلمة «خبث» ساقطة في اللمحة.

(٥) كلمة «الواثق» ساقطة في اللمحة. (٦) في اللمحة: «أبي عبد الله محمد...».

(٧) في اللمحة: «حفص بن عبد الواحد».

(٨) في اللمحة: «شهر ربيع الآخر من عام...».

(٩) في الأصل: «تسع» وهو خطأ نحوي.

(١٠) في الأصل: «أبو بكر بن عبد الرحمن» والتصويب من اللمحة.

(١١) كلمة «يحيى» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من اللمحة البدرية.

(١٢) في اللمحة: «والثقا». (١٣) في اللمحة: «أبو بكر بن عبد الرحمن».

(١٤) جملة «نفعه الله» ساقطة في اللمحة (ص ٧٣).

(١٥) في اللمحة: «وصل». (١٦) كلمة «المعظم» ساقطة في اللمحة.

(١٧) في اللمحة: «المعروف بالبحاني من المشرق».

باللّخنياني، قافلًا من بلاد المشرق، وهو كبير آل أبي حفص نَسَبًا<sup>(١)</sup> وقَدْرًا، فأقام بإطرابلس، وأنفذ إلى تونس خاصّته الشيخ الفقيه أبا عبد الله المَزْدُورِي<sup>(٢)</sup> محاربًا لأبي البقاء، وطالبًا للأمر. فتَمَّ الأمر<sup>(٣)</sup>، وخُلع أبو البقاء تاسع جمادى الأولى عام أحد عشر وسبعمائة. وتَمَّ الأمير للشيخ أبي يحيى. واعتقل أبو البقاء، فلم يزل مُغْتَقَلًا إلى أن توفي في شوال عام ثلاثة عشر وسبعمائة، ودفن بالجبانة المعروفة لهم<sup>(٤)</sup> بالزلّاج، فَضَرِيحُه<sup>(٥)</sup> فيما تعرّفنا بإزاء ضريح قَتِيلِه<sup>(٦)</sup> المظلوم أبي بكر، لا فاصل بينهما. وعند الله تجتمع الخصوم.

واتّصلت أيام الأمير أبي يحيى، إلى أن انقضت مدّة الأمير أبي الجيوش. وقد تضمّن الإلماع بذلك<sup>(٧)</sup> الرّجَزُ المسمّى بـ«قَطْع السُّلُوك»<sup>(٨)</sup> من نظمي. فمن<sup>(٩)</sup> ذلك فيما يختصّ بملوك<sup>(١٠)</sup> المغرب قولي في ذكر السلطان أبي يعقوب: [الرجز]

ثم تقضى مُعْظَمُ الزمانِ	مواصلاً حَضَرَ بني زِيانِ
حتى أتى أهلَ تِلْمَسَانَ الفَرَجِ	وَنَشَقُوا من جانب اللُّطْفِ الأَرَجِ
لما ترقى دَرَجُ السَّعْدِ دَرَجِ	فانفضَّ ضيقُ الحصرِ عنها وانْفَرَجِ
وابنُ ابنِهِ وهو المسمّى عامرا	أصبحَ بَعْدُ ناهِيَا وآمرا
وكانَ لِيَثًا داميَ المَخالبِ	تَغَلَّبَ <sup>(١١)</sup> الأمرَ بجَدٍّ غالبِ
أباحَ بالسَّيفِ نفوسًا عِدَّةَ	فلم تَطُلْ في المُلْكِ منه المُدَّةُ
وماتَ حَتَفَ أنفه واختُرما	ثم سليمانُ عليها قُدُما
أبو الربيع دَهْرُهُ ربيعُ	يُثْنِي على سِيرته الجميعُ
حتى إذا المَلِكُ سليمانُ قضى	تصيرَ المَلِكِ <sup>(١٢)</sup> لعثمانَ الرُّضا
فلاح نور السَّعْدِ فيها وأضا	وَنَسِيَ <sup>(١٣)</sup> العَهْدَ الذي كان مضى

(١) في اللّمة: «حفص إذ ذاك سنًا وقَدْرًا». (٢) في اللّمة: «المزدوري».

(٣) في اللّمة: «له الأمر». (٤) في اللّمة: «عندهم».

(٥) في اللّمة: «بضريحه». (٦) كلمة «قتيله» ساقطة في اللّمة.

(٧) في اللّمة: «ببعض ذلك الرّجَز من نظمنا».

(٨) هو كتاب «رقم الحلل في نظم الدول» لابن الخطيب.

(٩) في اللّمة: «فمنه».

(١٠) في اللّمة: «بذكر ملوك في ذكر السلطان...».

(١١) في اللّمة: «يُقَلَّبُ». (١٢) في اللّمة: «الأمر».

(١٣) في الأصل: «وسنى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللّمة البدرية (ص ٧٤).

وفيما يختصّ ببني زيّان، بعد ذكر أبي زيّان: [الرجز]

حتى إذا استوفى زمانَ سَغْدِهِ      قام أبو حَمَو بها مِنْ بَغْدِهِ  
وهو الذي سَطَا عليه وَلَدُهُ      حتى انتهى على يَدَيْهِ أَمَدُهُ<sup>(١)</sup>

وفيما يختصّ بآل أبي حَفْص بعد ذكر جملة<sup>(٢)</sup> منهم: [الرجز]

ثم الشهيد<sup>(٣)</sup> والأمير<sup>(٤)</sup> خالد      هيهات ما في الدهر حَيَّ خالد  
وزكرياء<sup>(٥)</sup> بها بَغْدُ نَوَى      ثم نَوَى الرُّحْلَةَ عنها والنَّوَى  
وَحَلَّ<sup>(٦)</sup> بالشرق وبالشرق نَوَى      وربما فاز امرؤُ بما نَوَى

ومن ملوك النصارى بقُشتالة: هرانده بن شانجه بن ألهنشه<sup>(٧)</sup> بن هرانده بن شانجه. ونازل على عهده الجزيرة الخضراء، ثم أقلع عنها عن ضريبة<sup>(٨)</sup> وشروط، ثم نازل في أخريات أمره<sup>(٩)</sup> حِصْن القَبْذاق، وأدركه أَلَم الموت بظاھر، فاخْتَمَلَ من المحلّة<sup>(١٠)</sup> إلى جِيّان، وبقيت المحلّة مُنيخة على الحصن، إلى أن تُمَلِّك بعد موت الطاغية بأيام<sup>(١١)</sup> ثلاثة، كتموا فيها مَوْتَهُ. ولسبب<sup>(١٢)</sup> هلاكه حكاية ظريفة، تضمنتها «طُرْفَة العصر، في تاريخ دولة بني نصر». وقام بعده بأمر النصرانية ولده ألهنشه، واستمرت أيامه إلى<sup>(١٣)</sup> عام خمسين وسبعمئة.

بعض الأحداث في أيامه: نازل على أول أمره طاغية قُشتالة الجزيرة الخضراء في الحادي والعشرين من<sup>(١٤)</sup> عام تسعة وسبعمئة، وأقام عليها إلى أخريات شعبان من العام المذكور، وأقلع<sup>(١٥)</sup> عنها بعد ظهوره على الجَبَل<sup>(١٦)</sup> وفوز قِداحه به. ونازل

(١) بعد هذا البيت جاء في اللمحة البدرية البيت الآتي:

وأخذ الله له بالشار      وكلّ نظم فللى انتشار

(٢) في اللمحة: «جملة في نسق». (٣) في اللمحة: «ثم الأمير والشهيد».

(٤) في الأصل: «الأمير» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللمحة.

(٥) في الأصل: «وزكرياء» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من اللمحة.

(٦) في الأصل: «رحل» والتصويب من اللمحة. (٧) في اللمحة: «ألفونشة».

(٨) في اللمحة: «عن شروط وضريبة». (٩) في اللمحة: «أيامه».

(١٠) المحلّة هنا بمعنى: المعسكر. (١١) في اللمحة: «بعد أيام ثلاثة إذ كتم موته».

(١٢) في اللمحة: «ولموته حكاية غريبة تضمنها كتاب طرفة العصر من تأليفنا».

(١٣) في اللمحة: «إلى عاشوراء من عام...».

(١٤) في اللمحة البدرية (ص ٧٥): «لصفر من...».

(١٥) في اللمحة: «ثم أقلع».

(١٦) في اللمحة: «على جبل الفتاح»، وهو جبل طارق.

صاحبُ بَزْجلونة مدينةَ ألمريّة غرة ربيع الأول من هذا العام، وأخذ بمُخَتَقها، وتفرّقت  
الظبا على الخِراش<sup>(١)</sup>، ووَقَعَتْ على جيش المسلمين الناهد إليه وقية<sup>(٢)</sup> كبيرة،  
واستمرّت المطاولة إلى أخريات شعبان، ونَفَسَ الله الحَضْر، وفرّج الكرب. وما كاد  
أهل الأندلس يَسْتَنْشِقُونَ<sup>(٣)</sup> ريح العافية، حتى نشأ نجم الفتنة<sup>(٤)</sup>، ونشأت ريحُ  
الخلاف، واستفْسَد وزيرُ الدولة ضمائر أهلها، واستهدف إلى رعيّتها بإيثار النصارى  
والصاغية إلى العدو، وأظهر الرئيس<sup>(٥)</sup> ابن عم الأب صاحب مألقة أبو سعيد  
فرج<sup>(٦)</sup> بن إسماعيل، صِنُو الغالب بالله<sup>(٧)</sup> ابن نصر، الامتسك بما كان بيده، والدعاء  
لنفسه، وقَدَّم ولده الدّائل إلى طلب المُلْك. وثار أهل غرناطة، يوم الخامس والعشرين  
لرمضان<sup>(٨)</sup> من العام، وأعلن منهم مَنْ أعلن بالخلاف ثم خانهم التدبير، وخَبَطُوا  
العشواء<sup>(٩)</sup>، ونزل الحَشَم، فلاذ الناس منهم بديارهم، وبرز السلطان إلى باب القلعة،  
متقدِّمًا بالعِفَّة عن الناس، وفرّ الحاسرون عن القِناع، فלحقوا بالسلطان أبي الوليد  
بمالقة، فاستنْهضوه<sup>(١٠)</sup> إلى الحركة، وقصد الحَضْرَة، فأجابهم وتحرك، فأطاعته  
الحصون بطريقه، واحتلّ خارج<sup>(١١)</sup> غرناطة صبيحة يوم الخميس السابع والعشرين  
لشوال منه<sup>(١٢)</sup>، فابتدره الناس من صائح ومُشير بَقْو به، ومُتطارح بنفسه، فدخل البلد  
من ناحية رَبَض البَيَازين، واستقرّ بالقَصبة<sup>(١٣)</sup>، كما تقدم في اسمه. وفي ظهر يوم  
السبت التاسع والعشرين من الشهر، نزل<sup>(١٤)</sup> الحمراء دار الملك، وانفصل السلطان  
المُترجم به، موفّى له شرط عَقْدَه من انتقاله إلى وادي آش، مستبْدًا بها، وتغيين مالٍ  
مخصوص، وغير ذلك. ورَحَلَ ليلة الثلاثاء الثالث لذي قعدة من العام. واستمرّت  
الحال، بين حرب ومُهادنة<sup>(١٥)</sup>، وجَزَتْ بسبب ذلك أمور صَغْبَة إلى حين وفاته.  
رحمه الله.

- 
- (١) في اللّمة: «خداش» .  
(٢) في اللّمة: «يتشّقون» .  
(٣) في الأصل: «الرئيس» والتصويب من اللّمة.  
(٤) كلمة «فرج» ساقطة في اللّمة.  
(٥) في اللّمة: «بالله تعالى الامتسك بما في يده...» .  
(٦) في اللّمة: «من رمضان هذا العام» .  
(٧) في اللّمة: «عشواء» .  
(٨) في اللّمة: «واستنْهضوه» .  
(٩) في اللّمة: «من العام» .  
(١٠) في اللّمة (ص ٧٦): «بالقَصبة القُدْما تجاه الحمراء» . وفي ظهر...  
(١١) في اللّمة: «كان دخوله دار...» .  
(١٢) في اللّمة: «ومُهادنة إلى حين وفاته» .  
(١٣) في اللّمة: «ومُهادنة إلى حين وفاته» .  
(١٤) في اللّمة: «ومُهادنة إلى حين وفاته» .

**مولده:** وُلد<sup>(١)</sup> في رمضان عام ستة وثمانين وستمائة. وكانت سنّه ستًا وثلاثين سنة وثلاثة أشهر، ودولته الجامعة خمس سنين وشهرًا واحدًا، ومقامه بوادي آش تسعة أعوام وثلاثة أيام.

**وفاته:** توفي، رحمه الله، ليلة الأربعاء سادس ذي قعدة من عام اثنين وعشرين وسبعمئة بوادي آش، ودفن بجامع القصبه منها، ثم نقل في أوائل<sup>(٢)</sup> ذي الحجة منه إلى الحضرة، فكان وصوله يوم الخميس السادس منه، وبرز إليه السلطان، والجُفُع الكثير من الناس، وُضع<sup>(٣)</sup> سريره بالمصلّى العيدي، وصُلّي عليه إثر صلاة العصر، ودفن بمقبرة سلفه بالسبيكة، وكان يومًا من الأيام المشهودة، وعلى قبره مكتوب في الرُخام:

«هذا قبر السلطان المُرَفَّع<sup>(٤)</sup> المقدار، الكريم البيت العظيم النُّجار، سلالة الملوك الأعلام الأخيار، الصُّريح النُّسب في صميم الأنصار<sup>(٥)</sup>، الملك الأوحد الذي له السُّلف العالي المنار، في المُلْك المنيع الذُّمار، رابع ملوك بني نصر أنصار دين المصطفى<sup>(٦)</sup> المختار، المجاهدين في سبيل الملك الغفار، الباذلين في رضاه كرائم الأموال ونفائس الأعمار، المعظَّم المقدَّس المرحوم أبي الجيوش نصر ابن السلطان الأعلى، الهمام الأسمى، المجاهد الأحمى، الملك العادل، الطَّاهر الشُّمائل، ناصر دين الإسلام، ومُبيد عبدة الأصنام، المؤيد المنصور، المقدَّس، المرحوم أمير المسلمين أبي عبد الله ابن السلطان الجليل<sup>(٧)</sup>، الملك الشهير، مؤسس قواعد الملك على التَّقوى والرُّضوان، وحافظ كلمة الإسلام وناصر دين الإيمان، الغالب بالله، المنصور بفضل الله، المقدَّس المرحوم، أمير المسلمين أبي عبد الله بن نصر، تغمَّده الله برحمته وغُفرانه، وبوَّاه منازل إحسانه، وكتبه في أهل رِضوانه، وكان<sup>(٨)</sup> مولده في يوم الاثنين الرابع والعشرين لشهر رمضان المعظم عام ستة وثمانين وستمائة. وبويع يوم الجمعة غُرَّة شوال عام ثمانية وسبعمئة، وتوفي، رحمه الله<sup>(٩)</sup>، ليلة يوم الأربعاء

(١) هذا النص عن مولده ساقط في اللوحة البدرية.

(٢) في اللوحة: «في أول ذي حجة».

(٣) في اللوحة: «وصُلّي على سريره بالمصلّى العيدي إثر صلاة العصر من يوم الخميس السادس من الشهر، ووري بترية جدّه من مقبرة السبيكة، وكان يومه من الأيام المشهودة وعلى قبره...».

(٤) في اللوحة: «الرفيع».

(٥) في اللوحة: «الأمصار».

(٦) في اللوحة: «المدني».

(٧) في اللوحة البدرية (ص ٧٧): «السلطان الملك الجليل الشهير».

(٨) في اللوحة: «كان».

(٩) جملة «رحمه الله» ساقطة في اللوحة البدرية.



السادس لشهر ذي قعدة عام اثنين وعشرين وسبعمائة، فسبحان المَلِكِ الحَقِّ الميِّين،  
وارث الأرض وَمَنْ عليها، وهو خير الوارثين. وفي جهة<sup>(١)</sup>: [الكامل]

يَهْمِي عَلَيْكَ بِرَحْمَةٍ وَسَلَامٍ	يا قَبْرُ، جَادِ ثَرَاكَ <sup>(٢)</sup> صَوْبُ غَمَامٍ
مَلِكٍ كَرِيمٍ مِنْ نِجَارِ كَرَامٍ	بُورِكَتٍ لَحْدًا فِيهِ أَيْ وَدِيعَةٍ
وَزَكَاءِ أَعْرَاقٍ وَمَنْجِدِ سَامٍ	مَا شِئْتَ مِنْ حِلْمٍ وَمَنْ خَلَقَ رَضَى
أَبْنَاءِ نَصْرِ نَاصِرِي الْإِسْلَامِ	فَاسْعِدْ بِنَصْرِ رَابِعِ الْأَمْلَاكِ مِنْ
فِي نَصْرِ خَيْرِ الْخَلْقِ خَيْرُ مَقَامٍ	مَنْ خَزَرَجِ الْفَخْرِ الَّذِينَ مَقَامُهُمْ
فِي مَعْدَنِ الْأَحْسَابِ وَالْأَحْلَامِ	يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْمُؤَسَّسُ بَيْتُهُ
قَدْ أَقْصَدْتُكَ بِصَائِبَاتِ سِهَامٍ	مَا لِلْمَنِيَّةِ وَالشَّبَابِ مَسَاعِدُ
رُبْعِ الْمَحَاسَنِ طَامِسِ الْأَعْلَامِ	عَجَلْتُ عَلَى ذَاكَ الْجَمَالَ فَغَادَرْتُ
نَحْوُ <sup>(٣)</sup> النَّهَارِ لَسَدَقَةِ الْإِظْلَامِ	فَمَحَى الرُّدَى مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ آيَةً
أَخْنَى الْخُسُوفِ عَلَيْكَ عِنْدَ تَمَامِ	مَا كُنْتَ إِلَّا بَدْرَ تَمِّ بَاهِرًا
كَالْمِسْكِ عَرْفًا عِنْدَ قَضْ خَتَامِ	فَعَلَى ضَرِيحِ أَبِي الْجِيُوشِ تَحِيَّةُ
تُرْضِيهِ مِنْ عَذَنِ بَدَارِ مُقَامِ	وَتَعْمُدَتِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ الَّتِي

## ومن الأعيان والوزراء

### نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري

يكنى أبا الفتح، أصلهم من حصن أزيول من عمل مرسية، ولهم في الدولة  
النصرية مزية خُصُوا لها بأعظم رُتَب القيادة، واستعمل بعضهم في ولاية السلطان.

حاله: نقلت من خط شيخنا أبي بكر بن شُبَيْرين، قال: وفي السادس عشر لذي  
قعدة منه، يعني عام عشرة وسبعمائة، توفي بغرناطة القائد المبارك أبو الفتح، أحد  
الولاة والأعيان الذاكرين لله تعالى، أولي النزاهة والوفاء.

### نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح بن نصر بن إبراهيم ابن نصر الفهري

يكنى أبا الفتح، حفيد المذكور معه في هذا الباب.

(١) قوله: «وفي جهة» ساقط في اللوحة البدرية.

(٢) في اللوحة: «ثراك جاد» وهكذا ينكسر الوزن.

(٣) في اللوحة: «محو».

**حاله:** من كتاب «طرفة العصر»: نسيحُ وحده في الخير والعفاف، ولين العريكة، ودمائة الأخلاق، إلى بُغد الهمة، وجمال الأبهة، وضخامة التَّجُود، واستجادة المَرْكَب والعُدَّة، وارتباط العبادة. استعان على ذلك بالنعمة العريضة بين مُنادية إليه بميراث، ومُكْتَسَبٍ من جرّاء المُتَغَلَّب على الدولة صِهْرِهِ ابن المحروق معياشة لُبِّيَّتِهِ. ونَمَت حال هذا الشهم التَّجُد، وشَمَخَتْ رُثْبَتُهُ حتى خُطِبَ للوزارة في أخريات أيامه، وعاق عن تمام المُراد به إلحاح السَّقَم على بدنه وملازمة الضَّنا لُجْثَمَانِهِ، فمضى لسبيله، عزيز الفَقْد عند الخاصَّة، ذائع الثَّناء، نقي العِرْض، صدرًا في الوُلاة، وعَلَمًا في القُواد الحُماة.

**وفاته:** توفي بغرناطة ليلة الجمعة الثامن والعشرين لجمادى الآخرة عام خمسة وأربعين وسبعمائة. وكانت جنازته آخذةً نهاية الاحتفال، رَكِب إليها السلطان، ووقف بإزاء لَحْدِهِ، إلى أن وُوري، تنويهاً بَقْدَرِهِ، وإشادة ببقاء الحرمة على خلفه. وحمل سريره الجملة من فرسانه وأبناء نعمته.

## ومن الكتاب والشعراء

### نزهون بنت القليعي<sup>(١)</sup>

قال ابن الأثير<sup>(٢)</sup>: وهو فيما أخسَبُ أبو بكر محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني، غرناطية<sup>(٣)</sup>.

**حالتها:** كانت<sup>(٤)</sup> أديبة شاعرة، سريعة الجواب، صاحبة فكاهة ودُعابة. وقد جَرَى شيء من ذلك في اسم أبي بكر بن قُزْمان<sup>(٥)</sup>، والمخزومي الأعمى<sup>(٦)</sup>، وأبي بكر بن سعيد<sup>(٧)</sup>.

(١) ترجمة نزهون في المغرب (ج ٢ ص ١٢١) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ٢١٦) والذيل والتكملة (ج ٨ ص ٤٩٣) والتكملة (ج ٤ ص ٢٥٨) وبغية الملتبس (ص ٥٤٦) ورايات المبرزين (ص ١٥٩) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٦٩).

(٢) التكملة (ج ٤ ص ٢٥٨). وانظر أيضًا: الذيل والتكملة (ج ٨ ص ٤٩٣).

(٣) في التكملة: «من أهل غرناطة».

(٤) النص في التكملة (ج ٤ ص ٢٥٨) والذيل والتكملة (ج ٨ ص ٤٩٣).

(٥) هو أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان، وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة.

(٦) هو أبو بكر المخزومي الموروري، وقد ترجم له ابن الخطيب في الجزء الأول من الإحاطة.

(٧) أغلب الظن أنه أبو بكر محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد، وقد ترجم له ابن الخطيب في هذا الجزء.

شعرها: دخل<sup>(١)</sup> الأديب أبو بكر الكتندي<sup>(٢)</sup> الشاعر، وهي تقرأ على المخزومي الأعمى، فلما نظر إليها، قال: أجز يا أستاذ: [الكامل]

لو كنت تُبَصِّرُ من تكلُّمه<sup>(٣)</sup> .....

فأفحم المخزومي زامعاً، فقالت: [الكامل]

لَعَدَوْتَ أَخْرَسَ مِنْ خِلَالِهِ .....

ثم زادت:

البذرُ يَطلُعُ من أَرزَرِهٍ والغُصْنُ يَمْرَحُ في غَلَائِلِه

ولا خفاء ببراعة هذه الإجازة ورفاعة هذا الأدب.

وكتب إليها أبو بكر بن سعيد، وقد بلغه أنها تُخالط غيره من الأدباء الأعيان<sup>(٤)</sup>:

[المجتث]

يا من له ألفُ خِل<sup>(٥)</sup> من عاشقٍ وعَشِيقِ<sup>(٦)</sup>

أراك خَلِيتَ لَنَا سِ سَدَّ ذاك الطريقِ<sup>(٧)</sup>

فأجابته بقولها: [الطويل]

خَلَلْتُ أبا بكرٍ مَحَلًّا مَنَعْتُهُ سواك، وهل غيرُ الرفيع<sup>(٨)</sup> له صَدْرِي؟

وإن كان لي كم من حبيب فإنما يُقَدِّمُ أهلُ الحقِّ فضل<sup>(٩)</sup> أبي بكر

وهذه غاية في الحُسن بعيدة. ومحاسنها شهيرة، وكانت من غرر المفاجِر الغرناطية.

(١) الحكاية والشعر في التكملة (ج ٤ ص ٢٥٨ - ٢٥٩) ورايات المبرزين (ص ١٥٩ - ١٦٠) والمغرب (ج ٢ ص ١٢١) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٧١ - ٧٢) والذيل والتكملة (ج ٨ ص ٤٩٣).

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الكتندي، وله ترجمة في رايات المبرزين (ص ١٥٧).

(٣) في التكملة: «من نجالسه». وفي الذيل والتكملة والنفع: «من تجالسه».

(٤) شعر أبي بكر بن سعيد وجواب نزهون في المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ٢١٦) ورايات المبرزين (ص ١٦٠) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٦٩).

(٥) في المقتضب ورايات المبرزين: «شخص». (٦) في النفع: «وصديق».

(٧) في المصدر نفسه: «... للناس منزلاً في الطريق».

(٨) في المصادر الثلاثة: «الحبيب». (٩) في النفع: «حُب».

## حرف الصاد من الأعيان والوزراء

الصُّمَيْل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شَمِر بن ذي الجوشن  
الضُّبابي الكلبي<sup>(١)</sup>

وهو من أشرف عَرَب الكوفة.

أوليته: قال صاحب الكتاب «الخَزائني»: جَدُّه<sup>(٢)</sup> أَحَدُ قَتَلَةِ الْحُسَيْنِ بن علي والذي قَدِمَ برأسه على يزيد بن معاوية، فلَمَّا قام المختار<sup>(٣)</sup> نائِرًا بِالْحُسَيْنِ قَرَّرَ عَنْهُ شَمِرٌ وَلَحِقَ بِالشَّامِ فَأَقَامَ بِهَا فِي عَزٍّ وَمَنْعَةٍ. وَلَمَّا خَرَجَ كُلثُومُ بن عِيَاضَ غَازِيًا إِلَى الْمَغْرِبِ، كَانَ الصُّمَيْلُ مِمَّنْ ضُرِبَ عَلَيْهِ الْبَعْثُ فِي أَشْرَافِ أَهْلِ الشَّامِ. وَدَخَلَ الْأَنْدَلُسَ فِي طَالِيَةِ بَلَجٍ بن بَشْرِ الْقُشَيْرِيِّ، فَشُرِفَ بِبَدَنِهِ إِلَى شَرَفٍ تَقَدَّمَ لَهُ، وَرَدَّ ابْنُ حَيَّانٍ هَذَا. وَقَالَ فِي كِتَابِ «بَهْجَةِ الْأَنْفُسِ، وَرَوْضَةِ الْأَنْسِ»: كَانَ الصُّمَيْلُ بن حَاتِمٍ هَذَا جَدُّهُ شَمِرٌ قَاتِلُ الْحُسَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَلَمَّا قَتَلَهُ، تَمَكَّنَ مِنْهُ الْمُخْتَارُ فَقَتَلَهُ، وَهَدَمَ دَارَهُ، فَارْتَحَلَ وَلَدُهُ مِنَ الْكُوفَةِ، فَرَأَسَ بِالْأَنْدَلُسِ، وَفَاقَ أَقْرَانَهُ بِالنَّجْدَةِ وَالسَّخَاةِ.

حاله: قال<sup>(٤)</sup>: كَانَ شَجَاعًا، نَجْدًا، جَوَادًا، كَرِيمًا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا أُمِّيًّا لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، وَكَانَ<sup>(٥)</sup> لَهُ فِي قَلْبِ الدُّوَلِ وَتَدْبِيرِ الْحُرُوبِ، أَخْبَارٌ مَشْهُورَةٌ.

من أخباره: حَكَى ابْنُ الْقُوطَيْبَةِ، قَالَ<sup>(٦)</sup>: مَرَّ الصُّمَيْلُ بِمَعْلَمٍ يَتْلُو: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾<sup>(٧)</sup>، فَوَقَّفَ يَسْمَعُ، وَنَادَى بِالْمَعْلَمِ: يَا هِنَاهُ، كَذَا نَزَلَتْ

(١) توفي الصمائل بن حاتم سنة ١٤٢ هـ، وترجمته في الحلة السيرة (ج ١ ص ٦٧) وتاريخ افتتاح الأندلس (ص ٤٤ - ٤٦، ٥١، ٥٩ - ٦١).

(٢) النص في الحلة السيرة (ج ١ ص ٦٧) بتصرف، وجاء فيه أن جدّه هو: شَمِرُ بن ذي الجوشن.

(٣) هو أبو إسحق المختار بن أبي عبيد الثقفي، المتوفى سنة ٦٧ هـ؛ من زعماء الثائرين على بني أمية، كان همه أن يقتل من قاتلوا الحسين بن علي، عليهما السلام. الأعلام (ج ٧ ص ١٩٢) وفيه ثبت بأسماء المصادر التي ترجمت له.

(٤) قارن بالحلة السيرة (ج ١ ص ٦٨). (٥) في الحلة السيرة: «وكانت».

(٦) النص في تاريخ افتتاح الأندلس (ص ٦٠) والحلة السيرة (ج ١ ص ٦٨) بتصرف.

(٧) سورة آل عمران ٣، الآية ١٤٠.

هذه الآية؟ فقال: نعم، فقال: أرى والله أن سيُشْرِكنا في هذا الأمر العبيد والأراذل والسفلة.

خبره في الجود: قال: كان أبو الأجرى الشاعر<sup>(١)</sup> وقفًا على أمداح الصُمَيْل، وهو القائل: [الوافر]

بَنَى لَكَ حَاتِمٌ بَيْنًا رَفِيعًا      رَأَيْنَاهُ عَلَى عُمْدٍ طَوَالٍ  
وَقَدْ كَانَ ابْتَنَى شِمْرٌ وَعَمْرُو      بِيوتًا غَيْرَ ضَاحِيَةِ الظُّلَالِ  
فَأَنْتَ ابْنُ الْأَكْرَامِ مِنْ مَعْدٍ      تَغْلِجُ لِلْأَبَاطِحِ<sup>(٢)</sup> وَالرَّمَالِ

وقارضه بإجزاله لعطائه وانيمائه في ثوابه، بأن أغلظ القسم على نفسه بأن لا يراه إلا أعطاه ما حضره، فكان أبو الأجرى قد اعتمد اجتنابه في اللقاء حياة منه وإبقاء على ماله، فكان لا يزوره إلا في العيدين قاضيًا لحقه. وقد لقيه يومًا مواجهةً ببعض الطريق، والصُمَيْل راكب، ومعه ابنه، فلم يخضره ما يعطيه، فأزجل أحد ابنيه، وأعطاه دابته، فضرب في صنعه، وفيه يقول من قصيدة: [الكامل]

دُونِ الصُّمَيْلِ شَرِيعَةٌ مَوْزُودَةٌ      لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا الْعَدُوُّ وَرُودًا  
فُتُّ الْوَرَى وَجَمَعَتْ أَشْتَاتُ الْعَلَا      وَحَوْنَتْ مَجْدًا لَا يُنَالُ وَجُودًا  
فَإِذَا هَلَكْتَ فَلَا تَحْمِلَ فَارِسٌ      سَيْفًا وَلَا حَمَلَ النِّسَاءِ وَلِيدًا

وكان صاحب أمره ولأه الأندلس قبل الأمويين؛ لهم الأسماء وله مغنى الإمرة، وكان مظفر الحروب، سديد الرأي، شهير الموقف، عظيم الصبر. وأوقع باليمانية وقائع كثيرة، منها وقعة شقندة، ولم يكن بالأندلس مثلها، أنخن فيها القتل باليمانية.

أنفته: قال: وكان أبيًا للضميم، مُحاميًا عن العشيرة، كلم أبا الخطار الأمير في رجل من قومه انتصر به، فأفجمه، ورد عليه، فأمر به، فتغتنع ومالت عمامته، فلما خرج قال له بعض من على باب الأمير: يا أبا الجوشن، ما باب عمامتك مائلة؟ فقال: إن كان لي قوم فسَيُقيمونها، وخرج من ليلته، فأفسد ملكه.

(١) أبو الأجرى هو جعفونة بن الصمة الكلابي، من قدماء شعراء الأندلس، وترجمته في جذوة المقتبس (ص ١٨٩) وبغية الملتبس (ص ٢٦١) والمغرب (ج ١ ص ١٣١).

(٢) في الأصل: «تغليج الأباطح...»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى. وتغليج الرجل: يشتد.

**وفاؤه:** وخبر وفائه مشهور، فيما كان من جوابه لرَسُولِي عبد الرحمن بن معاوية إليه، بما قطع به رجاء الهوادة في أمر أميره يوسف بن عبد الرحمن الفهري، والتستّر مع ذلك عليهما، فليُنظر في كتاب «المُقْتَبَس».

**دخوله غرناطة:** ولما صار الأمر إلى عبد الرحمن بن معاوية، صَفَر بني أمية، وقَهَر الأمير يوسف الفهري ووزيره الصُميل، إذ عَزَلَه الناس، ورجع معه يوسف الفهري والصُميل إلى قرطبة، ولم يلبثا أن نكثا، ولحقا فَحَصُ غرناطة، ونازلهما الأمير عبد الرحمن بن معاوية في خَبر طويل، واستنزلهما عن عَهْد، وعاد الجميع إلى قرطبة، وكان يوسف والصُميل يَزْكبان إلى القَصْر كل جُمعة إلى أن مضيا لسيبلهما. وكان عبد الرحمن بن معاوية يَسْتَرَجِع ويقول: ما رأيت مثله رجلاً. لقد صَحَبَنِي من إلْبيرة إلى قرطبة، فما مَسَّت رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ، ولا خرجت دابَّته عن دابَّتي.

## ومن الكتاب والشعراء

**صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى**  
**ابن إدريس التُّجِيبِي (١)**

من أهل مُزسية، يُكنى أبا بجر (٢).

**حاله:** كان (٣) أديبًا، حَسِبًا جليلاً، أصيلاً، مُنْتِعًا من الطَّرَف، رَيَّان من الأدب، حافظًا، حسن الخط، سريع البديهة، تَرَفَ النُّشأة، على تَصَاوُن وعَفاف، جميلًا سَرِيًّا، سَمَحًا ذكيًا، مليح العِشرة، طَيِّب النفس، مَمَّن تساوى حظه في النظم والنثر، على تبايُن الناس في ذلك.

**مشيخته:** روى عن أبيه وخاله، ابن عم أبيه القاضي أبي القاسم بن إدريس، وأبي بكر بن مُغاور، وأبي الحسن بن القاسم، وأبي رجال بن غَلْبُون، وأبي عبد الله بن حُميد، وأبي العباس بن مضاء، وأبي القاسم بن حُبَيْش، وأبي محمد الجُجْري، وابن حَوط الله، وأبي الوليد بن رُشد، وأجاز له أبو القاسم بن بَشْكَوَال.

(١) ترجمة صفوان بن إدريس في التكملة (ج ٢ ص ٢٢٤) والمغرب (ج ٢ ص ٢٦٠) ورايات المبرزين (ص ٢٠١) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ١١٧) والوافي بالوفيات (ج ١٦ ص ٣٢١) ومعجم الأدباء (ج ٣ ص ٤٢١) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٥٥، ٢٠٦) والذيل والتكملة (السفر الرابع ص ١٤٠) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٥٧).

(٢) في النفح: «أبو بحر».

(٣) النص في الذيل والتكملة (السفر الرابع ص ١٤٠) والنفح (ج ٧ ص ٥٧ - ٥٨).

مَنْ رَوَى عَنْهُ: أَبُو إِسْحَاقَ الْيَابُرِي، وَأَبُو الرَّبِيعِ بْنِ سَالِمٍ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْبَقَاءِ، وَأَبُو عَمْرٍو بْنِ سَالِمٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ غَيْثُونَ.

توالياقه: له توالياف أءبئة منها، «زاد المسافر»، وكتاب «الرحلة»، وكتاب «العجالة» سفران يتضمنان من نظمه ونثره أءبًا لا كفاء له. وانفرد من تأبين الحسين، رضي الله عنه، وبكاء أهل البيت، بما ظهرت عليه بركته في<sup>(١)</sup> حكايات كثيرة.

شعره: ثبت من ذلك في العجالة قوله<sup>(٢)</sup>: [الكامل]

جاءَ الزمانُ بأئنةَ الجَزَعاءِ	تَوَقَّانِ مِنْ دَمْعِي وَغَيْثِ سَماءِ <sup>(٣)</sup>
فالدَّمْعُ يقضي عندها حَقَّ الهوى	والغَيْثُ حَقَّ البانةِ الغَيْناءِ <sup>(٤)</sup>
خَلَّتِ الصُّدُورُ مِنَ القلوبِ كما خَلَّتْ	تلك المقاصِرُ من مَها وظباءِ
ولقد أقولُ لصاحبِي وإنما	دُخِرَ الصَّدِيقُ لأمجد <sup>(٥)</sup> الأشياءِ
يا صاحبِي، ولا أقلُّ إذا أنا	ناديتُ من أن تُصغِيا لندائي <sup>(٦)</sup>
عُوجا بحار <sup>(٧)</sup> الغَيْمِ في سَفْيِ الحما	حتى ترى <sup>(٨)</sup> كيف انسكابُ الماءِ
وَنَسُنَ في سَفْيِ المنازلِ سُنَّةٌ	نُضِي بها حُكْمًا على الظُّرفاءِ
يا منزلًا نَشَطَّتْ إليه عَبرتي	حتى تَبَسَّمَ زَهْرُهُ لبكائي <sup>(٩)</sup>
ما كنتُ قبلَ مَزارِ رَبِّعِكَ عالِمًا	أنَّ المدامعَ أَصْدَقُ الأنواءِ
يا ليتَ شعري والزَّمانُ تَنَقَّلُ	والذَّهْرُ ناسِخٌ شَدَّةُ بِرِحاءِ
هل نلتقي في رَوْضَةٍ مَوْشِيَةٍ	خَفَاقَةِ الأغصانِ والأفْياءِ؟
وننالُ فيها من تَأَلُّفِنا ولو	ما فيه سُخْمَةٍ <sup>(١٠)</sup> أَعْيُنُ الرُّقَباءِ؟
في حيثُ أَتَلَعَتِ العُصُونُ سِوالفًا	قد قُلَّدَتْ بِلالِىءِ الأتداءِ
وَجَرَتْ <sup>(١١)</sup> ثُغُورُ الياسمينِ فَقَبِّلَتْ	عني <sup>(١٢)</sup> عِذارَ الآسَةِ المَيساءِ

(١) في النفع: «من».

(٢) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٩٠ - ٣٩١).

(٣) رواية البيت في النفع هي:

جاءَ الرُّبَا من بانةِ الجَزَعاءِ

(٤) في النفع: «الغناء».

(٦) في الأصل: «لنداء» والتصويب من النفع.

(٨) في النفع: «يُرى».

(١٠) في النفع: «سُخْمَةٍ».

(١٢) في الأصل: «عَني» والتصويب من النفع.

نَوَّانِ مِنْ دَمْعِي وَغَيْمِ سَماءِ

(٥) في النفع: «لأكد».

(٧) في النفع: «تُجاري».

(٩) في الأصل: «لبكاء» والتصويب من النفع.

(١١) في النفع: «وبَدَتْ».

والوردُ في شَطِّ الخليج كَأَنَّهُ  
وكانَ غصنٌ<sup>(١)</sup> الزَّهرُ في حُضُرِ الرُّبى  
وكانما جاءَ التَّسِيمُ مُبَشِّرًا  
فكسَاهُ خِلْعَةً طَيِّبَةً ورمى له  
وكانما احتَقَرَ الصَّنِيعَ فبادرَتْ  
والغُضُنُ يرقصُ في حُلَى أوراقِهِ  
وافترَّ نَغْرُ الأَفْحوانِ بما رأى  
أفديهِ من أنسٍ تَصَرَّمْ فانقضى  
لم يَبْقَ منه غيرَ ذِكْرٍ أو مَنى  
أو رُقعة من صاحبِ هِي تُخَفِّةُ  
كبطاقةِ الوَسْمِيِّ<sup>(٢)</sup> إذ حَيَّا بها

رَمَدُ أَلَمٍ بِمُثْلَةِ زرقاءِ  
زُهرِ النجومِ تلوحُ بالخَضراءِ  
للرَّوضِ يُخْبِرُهُ بطولِ بقاءِ  
بدراهمِ الأزهارِ رَمَيَّ سَخاءِ  
بالعُذْر<sup>(٣)</sup> عنه نَغْمَةُ الوَرْقاءِ  
كالخُودِ في مَوْشِيَّةِ خضراءِ  
طربًا وقَهْقَةً منه جَزِيَّ الماءِ  
فكأَنَّهُ قد كانَ في الإغفاءِ  
وكلاهما سببٌ لطولِ عَناءِ  
إنَّ الرِّقاعَ لَتُخَفِّةُ الثُّبَهاءِ  
إنَّ الكتابَ تحيَّةُ الظُّرفاءِ<sup>(٤)</sup>

وهي طويلة<sup>(٥)</sup>. وقال مراجعًا عن كتاب أيضًا: [الوافر]

ألا سَمَحَ الزَّمانُ به كتابا  
فلا أذري أكانا تحتَ وَغْدِ  
وقد ظَفِرَتْ يدي بالعُثْمِ منه  
فلو لم أَسْتَفِذْ شيئًا سواه  
إذا أحرَزْتُ هذا في اغْتِرابي  
رَجَمْتُ بأنسه شيطانَ هَمِّي  
رَشَفْتُ به رُضابَ الوُدِّ عَذْبًا  
وَكِدْتُ أجرَ أذِيالي نشاطًا  
فَقَضَضْتُ ختامه عَنِّي كأني  
فَكَدْتُ أبْئُهُ في جَفْنِ عيني  
وكنت أضونه في القلبِ لكنْ  
ولو أنَّ الليالي سَامَحَتْنِي

ذرى بوروده أنسى قبابا  
دعا بهما لِيُزَيِّي فاستجابا؟  
فليت الدهر سَتَى لي إيابا  
قَنِعْتُ بمثله عِلْقًا لُبابا  
قَدَعَنِي أَقْطَعُ العُمَرَ اغْتِرابا  
فهل وَجَّهْتُ طَرَسًا أم شِهابا؟  
يُذَكِّرُنِي شمائلَكَ العِذابا  
ولكنْ خِلْتُ قَوْلَهُمْ تَصَابا  
فَتَخَحْتُ بِقَضُّه للروضِ بابا  
لكي أَسْتودِعَ الزُّهَرَ السَّحابا  
خَشِيتُ عليه أن يَفْنَى التَّهابا  
لكنْتُ على كتابكمُ الجوابا

(١) في النسخ: «غَضْر».

(٢) في النسخ: «الوشقي».

(٣) أورد منها المقرئ ستة وأربعين بيتًا.

(٤) في النسخ: «لِلْعُذْرِ».

(٥) في النسخ: «الخطاء».



فأُبلي عندكم بالشُّكر عُذْرًا      وأَجْزِلُ من ثَنائِكُم الثُّوبَا  
ولكنَّ الليالي قَيَّدَتْني      وقَيَّدَ عُدَّتِي<sup>(١)</sup> إِلَّا الخِطَابَا  
فما تَلَقَّائِي الأحباب إِلَّا      سلامًا أو مَنامًا أو كِتَابَا  
لأمرٍ ما يَقْصُ الدَّهرُ رِيشي      لأنَّ السَّهْمَ مَهما رِيش صابَا  
وعاذلة تقول ولست أَضْغِي      ولو أَضْغَيْتُ لم أرفع جوابَا  
تُخَوِّفني الدَّواهي وَهِيَ عُنْدي      أَقلُّ من أن أَضِيقَ بها جَنابَا  
إذا طَرَقَتْ أَعْدُ لها قِراها      وقارًا واحتسابًا واضطبارَا  
وما مثلي يُخَوِّفُ بالدَّواهي      عَرِينُ اللَّيْلِ لا يَخْشَى الدُّبابَا  
تُعَاتِبني فلا يَزْتَدُّ طَرْفِي      وهل تَسْتَرْقِصُ الرِّيحَ الهِضابَا؟  
ولو أنَّ العِتَابَ يُفِيدُ شَيْئًا      مَلَأْتُ مَسامِعَ الدُّنْيا عِتَابَا  
وقد وَصَّيْتُهَا بالصُّمْتِ عَنِّي      فما صَمَمْتُ ولا قالَتْ صوابَا  
تُعَنِّفُني على تَرْكِي بلادًا      عَهِدْتُ بها القَرارة والشُّبابَا  
تقول: وهل يَفْلُ السَّيفُ إِلَّا      إذا ما فارق السَّيفَ القَرابَا  
فقلت: وهل يَضُرُّ السَّيفُ قَلًّا      إذا قَطَّ الجِماجِمَ والرَّقابَا؟  
يَخْوضُ الهولُ تُكْتَسَبُ المعالي      يَجْلُ السَّهْلُ من رَكَبِ الصُّعابَا  
فلَيْتُ الغابَ يَفْتَرِسُ الأناسي      وليتُ البَيْتَ يَفْتَرِسُ الدُّبابَا  
ولو كان انْقِضاضُ الطَّيْرِ سَهْلًا      لكانت كُلُّ طائِرة عُقابَا  
دعيني والنَّهارَ أُسِيرُ فيه      أسيرُ عِزائِمٍ تَفْري الصُّلابَا  
أُغازلُ مِنْ غِزالَتِه فتاةً      تَبَيِّضُ قَوْذَها هَرَمًا وشابَا  
إذا شاءَتْ مُواصَلَتِي تَجَلَّتْ      وإنْ مَلَّتْ تَوَارَثَ لي احتِجابَا  
وأُسْري اللَّيْلُ لا ألوي عِنانا      ولو نِيلَ الأمانِي ما<sup>(٢)</sup> أَصابَا  
أُطارِحُ من كِواكبِه كِماما      وأزجرُ من دُجُئِيهِ غُرابَا  
وَأزْكَبُ أَشْهَبًا<sup>(٣)</sup> غُبْرًا كِباعي      وخُضْرًا مثلَ خَاطِرِي أنْسيابَا  
وأخذُ من بَناتِ الدَّهرِ حَقِّي      جِهازَ البَيْتِ اسْتَلَبَ اسْتِلابَا  
ولست أذِيلُ بالمدحِ القوافي      ولا أَرْضى بِخُطَّتِها اكتِسابَا

(١) في الأصل: «وقيدت عرضي»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «لما»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) في الأصل: «شهبًا»، وكذا لا يستقيم الوزن.

أَمْدَحَ مَنْ بِهِ أَهْجَوُ مَدِيحِي      إِذَا طَيَّبْتُ بِالْمِسْكِ الْكَلَامَا  
 سَأَخْزِنُهَا عَنِ الْأَسْمَاعِ حَتَّى      أَرَدَ الصَّنَمَتِ بَيْنَهُمَا حِجَابَا  
 فَلَسْتُ بِمَادِحٍ مَا عِشْتُ إِلَّا      سَيُوفًا أَوْ جِيَادًا أَوْ صِحَابَا  
 أَبَا مُوسَى، وَإِنِّي ذُو<sup>(١)</sup> وَدَادٍ      أَنَا جِي لَوْ سَمِعْتَ إِذَا أَجَابَا  
 وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ مَهْمَةٌ لَوْ      طَوَّهَ الرِّيحَ لَمْ تَزُجْ الْإِيَابَا  
 أَخِي، بَرُّ الْمَوَدَّةِ كُلِّ بَرٍّ      إِذَا بَرَّ الْأَشْقَا<sup>(٢)</sup> الْإِنْتِسَابَا  
 بَعَثْتُ إِلَيْكَ مِنْ نَظْمِي بِذُرٍّ      شَقَقْتُ عَلَيْهِ مِنْ فِكْرِي عُبابَا  
 عَدَانِي الدَّهْرُ أَنْ يَلْقَاكَ شَخْصِي      فَأَغْنَى الشُّعْرَ عَنْ شَخْصِي وَنَابَا

وقال في الغرض الذي نظم فيه الرُّصافي<sup>(٣)</sup> من وصف بلدّه، وذكر إخوانه ومعاهده، مساجلاً في العَرُوض والرُّوي، عَقِبَ رسالة سماها «رسالة طراد الجياد في الميدان، وتنازع اللُدان والإخوان، في تنفيق مُرْسِيَةٍ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْبُلْدَانِ»<sup>(٤)</sup>:

[الطويل]

لَعَلَّ<sup>(٥)</sup> رَسُولَ الْبَرْقِ يَخْتَنِمُ الْأَجْرَا      فَيَنْثُرُ<sup>(٦)</sup> عَنِّي مَاءَ عَبْرَتِهِ نَثْرَا!  
 مَعَامِلَةً أَزْبُو<sup>(٧)</sup> بِهَا غَيْرَ مُذْنِبٍ      فَأَقْضِيهِ دَمْعَ الْعَيْنِ مِنْ نَقْطَةٍ بَخْرَا  
 لَيْسَقِي<sup>(٨)</sup> مَنْ تُذْمِرُ قَطْرًا مُحَبَّبًا      يَقْرُ بَعَيْنَ الْقَطْرِ أَنْ تَشْرَبَ الْقَطْرَا  
 وَيَقْرِضُهُ ذُوبَ اللَّجِينِ وَإِنَّمَا      تُوقِيهِ عَيْنِي مِنْ مَدَامِعِهَا تَبْرَا  
 وَمَا ذَاكَ تَقْصِيرًا بِهَا غَيْرَ أَنَّهُ      سَجِيَّةُ مَاءِ الْبَحْرِ أَنْ يُذْوِيَ الزُّهْرَا  
 خَلِيلِي، قُومًا فَأَخْبِسَا طُرُقَ الصَّبَا      مَخَافَةَ أَنْ تَخْمِي<sup>(٩)</sup> بِزَفَرْتِي الْحَرَى  
 فَإِنَّ الصَّبَا رِيحٌ عَلَيَّ كَرِيمَةٌ      بَأْيَةٍ مَا تَسْرِي مِنَ الْجَنَّةِ الصُّغْرَى

(١) في الأصل: «أَخِي»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «الأشقة»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) تقدمت قصيدة الرصافي الرائية في الجزء الثاني من الإحاطة في ترجمة محمد بن غالب الرصافي ومطلعها: [الطويل]

خليلِي، مَا لِلْبَيْدِ قَدْ عَيَقَتْ نَثْرًا      وَمَا لِرُؤُوسِ الرُّكْبِ قَدْ رَجَحَتْ سُكْرَا  
 (٤) القصيدة في نفح الطيب (ج ٧ ص ٥٨ - ٦١).

(٥) في الأصل: «هل رسول...» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٦) في الأصل: «فينثر»، والتصويب من النفح. (٧) في النفح: «أزبي».

(٨) في الأصل: «ليسقني» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٩) في النفح: «يحمي».

خَلِيلِي، أَغْنِي أَرْضَ مُرْسِيَةِ الْمُنَى  
مَحَلِّي بَلْ جَوِّي الَّذِي عَبَقَتْ بِهِ  
وَوَكْرِي الَّذِي مِنْهُ دَرَجَتْ فَلَيْتَنِي  
وَمَا رَوْضَةُ الْخَضِرَاءِ قَدْ مَثَلَتْ بِهَا  
بِأَبْهَجِ مِنْهَا وَالْخَلِيجُ مَجْرَّةٌ  
وَقَدْ أَسْكُرْتَ أَزْهَارَ<sup>(١)</sup> أَغْصَانِهَا الصُّبَا  
هِنَالِكَ بَيْنَ الْغُضْنِ وَالْقَطَرِ وَالصُّبَا  
إِذَا نَظَّمَ الْغُصْنُ الْحَيَا قَالَ خَاطِرِي  
وَإِنْ نَشَرْتَ رِيحَ الصُّبَا زَهَرَ الرَّبِيُّ  
فَوَائِدَ أَسْحَارٍ هُنَاكَ اقْتَبَسْتُهَا  
كَأَنَّ هَزِيئَةَ الرِّيحِ يَمْدَحُ رَوْضَهَا  
أَيَا زَنْقَاتِ<sup>(٣)</sup> الْحُسْنِ، هَلْ فِيكَ نَظْرَةٌ  
فَأَنْظُرَ مِنْ هَذِي لَتَلِكِ كَأَنَّمَا  
هِيَ الْكَاعْبُ الْحَسَنَاءِ ثُمَّ حُسْنُهَا  
إِذَا خُطِبَتْ أَغْطَتْ دَرَاهِمَ زَهْرِهَا  
وَقَامَتْ بِعُرْسِ الْأَنْسِ قَيْنَةُ أَيْكَةٍ<sup>(٤)</sup>  
فَقُلْ فِي خَلِيجٍ يَلْبَسُ الْحُوتُ دِزْعَهُ  
إِذَا مَا بَدَا فِيهَا الْهَلَالُ رَأَيْتَهُ  
وَإِنْ لَاحَ فِيهَا الْبَدْرُ شَبَّهَتْ مَثْنَهُ  
وَفِي جُزْأَيْنِ رَوْضٍ هُنَاكَ تَجَافِيَا  
كَأَنَّهُمَا خِلَا صَفَاءٍ تَعَاتِبَا  
وَكَمْ لِي بِالْبَابِ الْجَدِيدِ<sup>(٨)</sup> عَشِيَّةٌ

وَلَوْلَا تَوْخِي الصَّدَقِ سَمَّيْتُهَا الْكُبْرَى  
نَوَاسِمُ آدَابِي مُعْطَرَةٌ نَشْرَا  
فُجِغْتُ بِرِيَشِ الْعَزَمِ كِي أَلْزَمَ الْوَكْرَا  
مَجَرَّتُهَا نَهْرًا وَأَنْجُمُهَا زُهْرَا  
وَقَدْ فَضَحْتَ أَزْهَارَ سَاحَتِهَا الزُّهْرَا  
وَمَا كُنْتُ أَعْتَدُ الصُّبَا قَبْلَهَا خُمْرَا  
وَزَهَرَ الرَّبِيُّ وَلَذْتُ آدَابِي الْغُرَا  
تَعَلَّمُ نِظَامَ الثُّرَى مِنْ هُنَا شِعْرَا  
تَعَلَّمْتُ حِلَّ الشَّعْرِ أُسْبِكُهُ نَشْرَا  
وَلَمْ أَرِ رَوْضًا غَيْرَهُ يُفَرِّئُ السُّخْرَا  
فَتَمَلَّأُ فَاهُ مِنْ أَزْهَارِهَا دُرًّا<sup>(٢)</sup>  
مِنَ الْجُرْفِ الْأَعْلَى إِلَى السَّكَّةِ الْغُرَا؟  
أَغْيِرُ إِذْ غَاوَزْتُهَا أُخْتَهَا الْأُخْرَى  
وَقَدْتُ لَهَا أَوْرَاقَهَا حُلًّا خَضْرَا  
وَمَا عَادَةُ الْحَسَنَاءِ أَنْ تَنْقُدَ الْمَهْرَا  
أَغَارِيذُهَا تَسْتَرْقِصُ الْغُصْنَ الثُّنْجَا  
وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ بِهَا قَصْرَا<sup>(٥)</sup>  
كَصَفْحَةِ سَيْفٍ وَشُمُهَا قُبْعُهُ صَفْرَا  
بَسْطَرِ<sup>(٦)</sup> لَجِينِ صَمٍّ مِنْ ذَهَبٍ عَشْرَا  
لِنَهْرِ<sup>(٧)</sup> يَوْءُ الْأَفْقِ لَوْ زَارَهُ فَجْرَا  
وَقَدْ بَكِيَا مِنْ رَقَّةٍ ذَلِكَ الثُّهْرَا  
مِنَ الْأَنْسِ مَا فِيهِ سَوَى أَنَّهُ مَرَا

(١) في النفع: «أعطاف».

(٢) رواية عجز البيت في النفع هي:

فَمَلَّأُ فَاهَا مِنْ أَزْهَارِهِ دُرًّا

(٣) في الأصل: «زَنْقَات» بالراء غير المعجمة، والتصويب من النفع. وزَنْقَاتُ الْحُسْنِ: من ممتزحات مرسية.

(٤) في النفع: «أَيْكَهَا».

(٥) في المصدر نفسه: «نَصْرَا».

(٦) في المصدر نفسه: «بَسْطَر».

(٧) في النفع: «بَنْهَر».

(٨) في النفع: «وَكَمْ لِي بِأَبْيَاتِ الْحَدِيدِ...».

عَشايا<sup>(١)</sup> كَأَنَّ الدَّهْرَ غُصٌّ<sup>(٢)</sup> بحسنها  
عليهنَّ أُجْرِي خَيْلَ دَمْعِي بَوَجَّئْتِي  
أَعْهَدِي بِالْفَرْسِ الْمُتَعَمِّ دَوْحُهُ  
فَكَمْ فِيكَ مِنْ يَوْمٍ أَغْرَ مُحَجَّلٍ  
عَلَى مُذْنَبٍ كَالنَّحْرِ<sup>(٦)</sup> مِنْ قَرْطٍ حُسْنُهُ  
سَقَتْ أَدْمَعِي وَالْقَطَرُ أَيُّهُمَا انْتَبَرَى  
وَإِخْوَانٌ صِدْقٍ لَوْ قَضَيْتَ حَقُّوهُمْ  
وَلَوْ كُنْتُ أَقْضِي حَقَّ نَفْسِي وَلَمْ أَكُنْ  
وَمَا اخْتَرْتُ هَذَا الْبُغْدَ إِلَّا ضَرُورَةً  
قَضَى اللَّهُ أَنْ يَنْأَى<sup>(٩)</sup> بِي الدَّهْرُ عَنْهُمْ  
وَوَاللَّهِ لَوْ نِلْتُ الْمُنَى مَا حَمِدْتُهَا  
أَيَّانَسُ بِاللَّذَاتِ قَلْبِي وَدُونَهُمْ  
وَيَصْحَبُ هَادِي اللَّيْلِ رَاءَ وَخُرْفَةٍ  
فَلَذِيئُهُمْ بَانُوا وَضُنُّوا بِكَثْبِهِمْ  
وَلَوْلَا غُلَا هِمَاتِهِمْ لَعَتَبْتُهُمْ  
ضَرَبْتُ غُبَارَ الْبَيْدِ فِي مَهْرَقِ الشَّرَى  
وَحَقَّقْتُ ذَاكَ الضُّرْبَ جَمْعًا وَعُدَّةً  
كَأَنَّ زِمَانِي حَاسِبٌ مُتَعَسِّفٌ  
فَكَمْ عَارِفٍ بِي وَهُوَ يَخْسِبُ<sup>(١٢)</sup> رُبَّتِي

فَأَجَلْتُ سِيَاطَ<sup>(٣)</sup> الْبَرْقِ أَفْرَاسَهَا الشُّقْرَا<sup>(٤)</sup>  
إِذَا رَكِبَتْ حُمْرًا مِيَادِيئُهَا الصَّفْرَا  
سَقَّتْكَ دَمْعِي إِنَّهَا مُزْنَةٌ شَكْرَى<sup>(٥)</sup>  
تَقَضَّتْ أَمَانِيهِ فَخَلَّدْتُهَا ذِكْرًا  
تَوَدُّ الثَّرِيَّا أَنْ تَكُونَ<sup>(٧)</sup> لَهُ نَحْرًا  
نَقَا الرَّمْلَةَ الْبَيْضَاءُ فَالْتَهَرَ فَالْجِسْرَا  
لَمَّا فَارَقْتُ عَيْنِي وَجْوهَهُمُ الزُّهْرَا  
لَمَّا بَتَّ أَسْتَحْلِي فِرَاقَهُمُ الْمُرَا  
وَهَلْ تَسْتَجِيرُ الْعَيْنُ أَنْ تَفْقِدَ الشُّفْرَا<sup>(٨)</sup>؟  
أَرَادَ بِذَلِكَ اللَّهُ أَنْ أَغْتَبَ الدَّهْرَا  
وَمَا عَادَةُ الْمَشْغُوفِ أَنْ يَحْمَدَ الْهَجْرَا  
مَرَامٌ يَجِدُ الرُّكْبَ<sup>(١٠)</sup> فِي طَيْهَا شَهْرَا؟  
وَصَادَا وَنَوْنَا قَدْ تَقَوَّسَ<sup>(١١)</sup> وَاصْفَرَا  
فَلَا خَبَرًا مِنْهُمْ لَقِيْتُ وَلَا خُبْرَا  
وَلَكِنْ عِرَابُ الْخَيْلِ لَا تَحْمِلُ الزُّجْرَا  
بَحِيثٌ جَعَلْتُ اللَّيْلَ فِي ضَرْبِهِ جِنْرَا  
وَطَرَحَا وَتَجَمَّيَلَا فَأَخْرَجَ لِي صَفْرَا  
يُطَارِحُنِي كَسْرًا، أَمَا يُخْسِنُ الْجَبْرَا؟  
فِيْمَدَحُنِي سِرًّا وَيَشْتِمُنِي جَهْرَا

(١) في الأصل: «عشايات» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٢) في النفع: «غُصٌّ».

(٣) في النفع: «بساط».

(٤) في النفع: «شُقرا».

(٥) يقال: عين شَكْرَى: أي ملأى من الدمع، ويقال: دَرَّةٌ شَكْرَى: أي ملأى من اللبن؛ والمُزْنَةُ

الشُّكْرَى: الكثيرة المطر. محيط المحيط (شكر).

(٦) في النفع: «كالبحر».

(٧) في النفع: «يكون».

(٨) الشُّفْرَا: بضم الشين وسكون الفاء: أصل منبت الشعر في طرف العين. لسان العرب (شفر).

(٩) في النفع: «أَنْ تَنْأَى بِي الدَّار...».

(١٠) في النفع: «الكرب».

(١١) في النفع: «تقدس».

(١٢) في النفع: «يحسن».

لذلك ما أَعْطَيْتُ نَفْسِي حَقَّهَا  
فَمَا بَرَحْتُ فِكْرِي عَذَارَى قِصَائِدِي  
وَلَسْتُ وَإِنْ طَاشَتْ سَهَامِي بِأَيْسٍ  
وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ<sup>(٤)</sup>: [السريع]

يَا قَمَرًا مَطْلَعُهُ أَضْلَعِي  
وَرَبَّمَا اسْتَوْقَدَ نَارَ الْهَوَى  
مَلَكْتَنِي فِي<sup>(٦)</sup> دَوْلَةٍ مِنْ صَبَا  
عِنْدِي مِنْ حُبِّكَ<sup>(٨)</sup> مَا لَوْ سَرَتْ  
وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ أَيْضًا<sup>(٩)</sup>: [الكامل]

قَدْ كَانَ لِي قَلْبٌ فَلَمَّا فَارَقُوا  
وَجَرَتْ سَحَابٌ بِالدَّمُوعِ<sup>(١٠)</sup> فَأَوْقَدَتْ  
وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنَّ قَيْنِضَ مَدَامِعِي

وَشَعْرَهُ الرِّمْلُ وَالْقَطْرُ كَثْرَةً، فَلَنخْتِمُ لَهُ الْمَقْطُوعَاتُ بِقَوْلِهِ<sup>(١٢)</sup>: [المنسرح]  
قَالُوا وَقَدْ طَالَ بِي مَدَى خَطْمِي  
أَعْدَدْتُ شَيْئًا تَرْجُو النِّجَاةَ بِهِ؟  
وَلَمْ أَزَلْ فِي تَجْرُمِي سَاهِي<sup>(١٣)</sup>  
فَقُلْتُ: أَعْدَدْتُ رَحْمَةَ اللَّهِ

نثره: كتب يهتئ<sup>(١٤)</sup> قاضي الجماعة أبا القاسم بن بقّي من رسالة<sup>(١٥)</sup>: لأن<sup>(١٦)</sup>  
قدره<sup>(١٧)</sup> دام عُمره، وامْتِثِلْ نَهْيَهُ الشَّرْعِي وَأَمْرَهُ، أَعْلَى رَتْبَةً وَأَكْرَمَ مَحَلًّا، مِنْ أَنْ

(١) في الأصل: «لا تهّم» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٢) في النفع: «الذكر». (٣) في النفع: «العسر».

(٤) الأبيات في معجم الأدباء (ج ٣ ص ٤٢٢) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٦٢).

(٥) في المصدرين: «فيها». (٦) في معجم الأدباء: «بدولة».

(٧) في معجم الأدباء: «يشرك».

(٨) في الأصل: «حُبَيْب»، وكذا لا يستقيم الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٩) الأبيات في معجم الأدباء (ج ٣ ص ٤٢١) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٦٢).

(١٠) في المصدرين: «للدُمُوع». (١١) في المعجم: «ماءٌ يَمُرُّ وفي...».

(١٢) البيتان في نفع الطيب (ج ٧ ص ٦٢ - ٦٣). (١٣) في الأصل: «سَاه» والتصويب من النفع.

(١٤) النص في الذيل والتكملة (السفر الرابع ص ١٤٠ - ١٤٢) ونفع الطيب (ج ٧ ص ٦٣ - ٦٤).

(١٥) في النفع: «برسالة منها».

(١٦) في الأصل: «لأن» والتصويب من النفع والذيل والتكملة.

(١٧) في النفع: «محله».

يَتَحَلَّى بِخُطَّةٍ هِيَ بِهِ تَتَحَلَّى. كَيْفَ يَهْنَأُ بِالْقُعُودِ لِسَمَاعِ دَعْوَةٍ<sup>(١)</sup> الْبَاطِلِ، وَلِمَعَانَةِ<sup>(٢)</sup> الْإِنْصَافِ الْمَمْطُولِ مِنَ الْمَاطِلِ، وَالتَّعَبِ فِي الْمَعَادِلَةِ، بَيْنَ ذَوِي الْمَجَادِلَةِ. أَمَّا لَوْ عَلِمَ الْمُتَشَوِّقُونَ<sup>(٣)</sup> إِلَى خُطَّةِ الْأَحْكَامِ، الْمُسْتَشْرِفُونَ إِلَى مَا لَهَا مِنَ التَّبَسُّطِ وَالِاحْتِكَامِ، مَا يَجِبُ لَهَا مِنَ اللَّوْازِمِ، وَالشُّرُوطِ الْجَوَازِمِ، كِبَسَاطِ الْكَتْفِ، وَرَفْعِ الْجَنْفِ، وَالْمَسَاوَةِ بَيْنَ الْعَدُوِّ وَذِي الذَّنْبِ، وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ، وَتَقْدِيمِ ابْنِ السَّبِيلِ، عَلَى ذِي الرَّحْمِ وَالْقَبِيلِ، وَإِثَارِ الْعَرِيبِ، عَلَى الْقَرِيبِ، وَالتَّوَشُّعِ فِي الْأَخْلَاقِ، حَتَّى لِمَنْ لَيْسَ لَهُ مِنْ خَلْقٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا عَلِمَ قَاضِي الْجَمَاعَةِ أَحْصَاءَهُ، وَاسْتَعْمَلَ لَخْلُقِهِ<sup>(٤)</sup> الْفَاضِلِ أَدْنَاهُ وَأَقْصَاهُ، لَجَعَلُوا حُومُلَهُمْ مَأْمُولَهُمْ، وَأَضْرَبُوا عَنْ ظُهُورِهِمْ<sup>(٥)</sup>، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ<sup>(٦)</sup>، اللَّهُمَّ إِلَّا مَنْ أَوْتِيَ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ، وَرَسَا طَوْدًا فِي سَاحَةِ الْحِلْمِ، وَتَسَاوَى مِيزَانُهُ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلْمِ، وَكَانَ كَقَاضِي الْجَمَاعَةِ<sup>(٧)</sup>، فِي الْمِمَاثَلَةِ بَيْنَ أَجْنَاسِ النَّاسِ، فَقَصَّارَاهُ أَنْ يَتَقَلَّدَ الْأَحْكَامَ لِلْأَجْرِ، لَا لِلتَّعْسِفِ<sup>(٨)</sup> وَالزُّجْرِ، وَيَتَوَلَّاهَا لِلثَّوَابِ، لَا لِلْغِلْظَةِ فِي رَدِّ الْجَوَابِ، وَيَأْخُذَهَا لِحُسْنِ الْجَزَاءِ، لَا لِقُبْحِ<sup>(٩)</sup> الْإِسْتِهْزَاءِ، وَيَلْتَزِمُهَا لَجْزِيلِ الدُّخْرِ، لَا لِلْإِزْرَاءِ وَالشُّخْرِ. فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، وَسَلَكَ الْمُتَوَلَّى هَذَا السَّالِكَ<sup>(١٠)</sup>، وَكَانَ كَقَاضِي<sup>(١١)</sup> الْجَمَاعَةِ وَلَا مِثْلَ لَهُ، وَنَفَعَ الْحَقُّ بِهِ عِلْلَهُ، وَنَقَعَ غُلْلُهُ، فَيَوْمِئِذٍ تَهْنَأُ<sup>(١٢)</sup> بِهِ خُطَّةُ الْقَضَاءِ، وَيَعْرِفُ مَا لِلَّهِ عَلَيْهِ<sup>(١٣)</sup> مِنَ الْيَدِ الْيَبُضَاءِ.

ومحاسنه في النثر أيضًا جمة.

وَمِنْ أَخْبَارِهِ<sup>(١٤)</sup> أَنَّهُ رَحَلَ إِلَى مَرَائِشٍ مُتَسَبِّبًا<sup>(١٥)</sup> فِي جِهَازِ بِنْتٍ بَلَغَتْ التَّزْوِيجَ، وَقَصَدَ دَارَ الْإِمَارَةِ مَادِحًا، فَمَا تَبَسَّرَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ أَمَلِهِ، فَفَكَّرَ فِي خِيَةِ قَصْدِهِ، وَقَالَ: لَوْ كُنْتُ تَأَمَّلْتُ<sup>(١٦)</sup> جِهَةَ اللَّهِ، وَمَدَحْتُ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَأَالَ بَيْتَهُ الطَّاهِرِينَ، لَبَلَّغْتُ أَمَلِي بِمَحْمُودِ عَمَلِي. ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ<sup>(١٧)</sup> فِي تَوَجُّهِهِ الْأَوَّلِ، وَعَلِمَ أَنَّ لَيْسَ عَلَى غَيْرِ

(١) فِي الْمَصْدَرِينَ: «دَعَاوَى».

(٢) فِي الْمَصْدَرِينَ: «الْمُتَشَوِّقُونَ».

(٣) فِي الْمَصْدَرِينَ: «الْمُتَشَوِّقُونَ».

(٤) الظهور: مصدر ظهر أي بدا.

(٥) الظهور: مصدر ظهر أي بدا.

(٦) فِي الْمَصْدَرِينَ: «وَكَانَ كَمَوْلَانَا».

(٧) فِي الْمَصْدَرِينَ: «لِقُبْحِ».

(٨) فِي الْمَصْدَرِينَ: «تَهْنَأُ».

(٩) فِي الْمَصْدَرِينَ: «وَتَعْرِفُ مَا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ...».

(١٠) فِي الْمَصْدَرِينَ: «وَتَعْرِفُ مَا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ...».

(١١) فِي الْمَصْدَرِينَ: «وَتَعْرِفُ مَا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ...».

(١٢) فِي الْمَصْدَرِينَ: «وَتَعْرِفُ مَا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ...».

(١٣) فِي الْمَصْدَرِينَ: «وَتَعْرِفُ مَا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ...».

الثاني من<sup>(١)</sup> مُعَوَّل، فلم يكن إلّا أن صوّب نحو هذا القصد سَهْمه، وأمضى فيه عَزْمه، وإذا به قد وُجّه عنه، وأدخل<sup>(٢)</sup> على الخليفة، فسأله عن مقصده، فأخبره مفصّحاً به، فأنقذه وزاده عليه، وأخبره أنّ ذلك لرؤيا رسول الله ﷺ، في الثوم يأمره<sup>(٣)</sup> بقضاء حاجته. فانفصل مُوفّى الأغراض، واستمرّ في مدح أهل البيت حتى اشتهر في ذلك<sup>(٤)</sup>.

وفاته: سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وسنه دون الأربعين سنة، وصلى عليه أبوه، فإنه كان بمكان من الدّين<sup>(٥)</sup> والفضل، رحمة الله عليه، وتلقيت من جهات أنه دخل غرناطة، لما امتدح القائد أبا عبد الله بن صناديد بمدينة جيّان، حسبما يظهر من عُجالاته، من غير تحقيق لذلك.

### صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم ابن علي بن شريف النّفزي<sup>(٦)</sup>

من أهل رُنْدَة، يكنى أبا الطّيب.

حاله: قال ابن الزُّبَيْر: شاعر مُجيدٌ في المدح والغزل، وغير ذلك. وعنده مشاركة في الحساب والفرائض. نظم في ذلك. وله تواليف أدبية، وقصائد زُهدية، وجزءٌ على حديث جبريل عليه السلام، وغير ذلك مما روى عنه. وكان في الجملة معدوداً في أهل الخير، وذوي الفضل والدّين. تكرر لقائي إياه، وقد أقام بمالقة أشهرًا، أيام إقرائي. وكان لا يفارق مجالس إقرائي، وأنشدني كثيرًا من شعره.

وقال ابن عبد الملك<sup>(٧)</sup>: كان خاتمة الأدباء بالأندلس، بارع التّصريف في منظوم الكلام ومثوره، فقيهاً حافظاً، فَرَضِيّاً، متفتّناً في معارف شتى<sup>(٨)</sup>، نبيل المقاصد<sup>(٩)</sup>، متواضعاً، مقتصدًا في أحواله. وله مقامات بدیعة في أغراض شتى، وكلامه، نظمًا ونثرًا، مُدَوّن.

(١) كلمة «من» ساقطة من النفع.

(٢) في النفع: «فأدخل».

(٣) في النفع: «يأمر».

(٤) في النفع: «من الفضل والدين».

(٥) ترجمة صالح بن يزيد النّفزي في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٦) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٢٤٣).

(٦) الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٧).

(٧) في النفع: «المنافع».

(٨) في النفع: «المنافع».

(٩) في النفع: «المنافع».

مشيخته: روى<sup>(١)</sup> عن آباء الحسن: أبيه، والدباج، وابن الفخار الشريشي، وابن قطرال، وأبي الحسن بن زرقون، وأبي القاسم ابن الجذ<sup>(٢)</sup>.

تواليه: ألف جزءاً على حديث جبريل، وتضمنياً في الفرائض وأعمالها، وآخر في العروض، وآخر في صنعة الشعر سماه «الوافي»<sup>(٣)</sup>، في علم القوافي.

وله كتاب كبير سماه «روضة الأئس، ونزهة النفس».

دخوله غرناطة: وكان كثير الوفادة على غرناطة، والتردد إليها، يسترفد ملوكها، ويُنشد أمراءها، والقصيدة التي أولها: «أواصلتي يوماً وهاجرتي ألفاً»<sup>(٤)</sup>، أخبرني شيخنا أبو عبد الله اللوشي أنه نظمها باقتراح السلطان، رحمه الله، وقد أوعز إليه ألا يخرج عن بعض بساتين المُلْك حتى يكملها في معارضة محمد بن هاني الإلبيري.

شعره: وهو كثير، سهل المآخذ، عذب اللفظ، رائق المعنى، غير مؤثر للجزالة. فمن ذلك قوله، رحمه الله، في غرض المدح من السلطانيات<sup>(٥)</sup>: [الوافر]

سرى والحبُّ أمرٌ لا يُرامُ	وقد أغرى به الشوقُ الغرامُ <sup>(٦)</sup>
وأغفى أهلها إلا وُشاة	إذا نام الحوادث لا تنامُ
وما أخفاه <sup>(٧)</sup> بين القوم إلا	ضنى ولربما <sup>(٨)</sup> نفع السقامُ
فنال بها على قذر مناه	وبين القبض والبسط القوام
وأشهى الوصل ما كان اختلاسا	وخير الحب ما فيه اختتام
وما أخلى الوصال لو أن شيئا	من الدنيا للذته دوامُ
بكيث من الفراق بغير أرضي	وقد يبكي الغريب المستهامُ
أعاذلتني، وقد فارقتُ إلفي	أمثلي في صبابته يُلامُ؟
أأفقه فلا أبكي عليه؟	يكون أرق من قلبي الحمام
أأنساه فأخسبه كصبري	وهل يُنسى لمحسوب ذمامُ؟

(١) الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٧).

(٢) في الذيل والتكملة: «ابن الجد التونسي».

(٣) في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٧): «الكافي».

(٤) سيرد من هذه القصيدة بعد قليل ستة أبيات.

(٥) بعض أبيات هذه القصيدة في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٩).

(٦) في الأصل: «والغرام»، وكذا ينكسر الوزن.

(٧) في الأصل: «أخفا» وكذا ينكسر الوزن. (٨) في الأصل: «وربما»، وكذا ينكسر الوزن.



رُويَدَا، إِنَّ بَعْضَ الْيَوْمِ لَوْمٌ  
ويوم نوى وضغت الكف فيه  
ولولا أن سَفَحْتُ به جفونًا  
وليل بثه<sup>(٢)</sup> كالذفر طولًا  
كأن سماءه<sup>(٣)</sup> زهر<sup>(٤)</sup> تجلى  
كأن البذر تحت الغيم وجه  
كأن الكوكب الدُرِّي كاس  
كأن سطور أفلاك الدَّراري  
كأن مدار قطب بنات نعش  
كأن بنات الكُبرى جوار  
كأن بناته الصغرى جمان  
كواكب بث أزعاهن حتى  
إلى أن مرقت كف الثريا  
فما خلكت انصداع الفجر إلا  
وما شبّهت وجه الشمس إلا  
وإن شبّهت بالبذر يومًا  
تهلل منه حسن الدهر حتى  
وعرف ما تنكر من معال  
وملء العين منك جلال مولى  
إذا ما قيل في يده غمام  
وحشو الذرع أزوع غالي  
إذا ما سل سيف العزم يوما

ومثلي لا يُنهيه الملام  
على قلب يطير به الهيام  
تفيض دما لأخرقها الضرام<sup>(١)</sup>  
تنكر لي وعرفه الثمام  
بزهر الزهر والشرق<sup>(٥)</sup> الكمام  
عليه من ملاحته لثام  
وقد رق الزجاجة والمُدام  
قسي والرجوم لها سهام  
ندي والنجوم به ندام  
جوار والسهى فيها غلام  
على لباتها منها<sup>(٦)</sup> نظام  
كأن عاشر وهي الذمام  
جيوب الأفق وانجاب الظلام  
قربا يُنتضى منه حُسام  
لوجهك<sup>(٧)</sup> أيها الملك الهمام  
فللبذر الملاحه والثمام  
كأنك في محياه ابتسام  
كأنك لاسمها ألف ولام  
صنائعه كغرته وسام  
فقد بخست وقد خدع الغمام  
يراع بذكره الجيش اللّهام  
على أمر فسلم يا سلام

(١) الأبيات التي تلي هذا البيت وعددها ثلاثة عشر، في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٣٩).

(٢) في الذيل والتكملة: «صباية».

(٣) في الأصل: «سماء»، وكذا يتكرر الوزن، والتصويب من المصدر السابق.

(٤) في الذيل والتكملة: «روض».

(٥) في الأصل: «والشوق» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٦) في الذيل والتكملة: «منه».

(٧) في الأصل: «بوجهك» والتصويب من الذيل والتكملة.

تَناهى مَجْدُهُ كَرَمًا وبِأَسَا  
نَمَثُهُ لِلْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي  
هُمُ الْأَنْصَارُ هُمْ نَصَرُوا وَأَوُوا  
وَهُمُ قَادُوا الْجِيُوشَ لِكُلِّ فَتْحٍ  
وَهُمُ مَنْحُوا الْجَزِيرَةَ مِنْ جِمَاهُمْ  
فَمَنْ حَزَبٍ تَشِيبُ لَهُ التَّوَاصِي  
يَسْغَدُكَ، يَا مُحَمَّدُ، عَزُّ دِينٍ  
وَبِاسْمِكَ تَمُّ لِلْإِسْلَامِ سَلَمٌ  
وَكَانَ مَرَامُهُ صَغْبًا وَلَكِنْ  
أَدَامَ اللَّهُ أَمْرَكَ مِنْ أَمِيرٍ  
وَأَنْتَ الْعُزَّةُ الْوُثْقَى تَمَامًا  
وَرُوحٌ أَنْتَ وَالْجِسْمُ الْمَعَالِي  
إِذَا مَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِحُرٍّ

ومن شعره أيضًا: [الطويل]

أَوَاصَلْتِي يَوْمًا وَهَاجَرْتِي أَلْفَا  
وَمِنْ عَجَبٍ لِلطَّيْفِ أَنْ جَاءَ وَاهْتَدَى  
فِيَا سَائِرًا، لَوْلَا التَّخِيلُ مَا سَرَى  
أَلَمْ فَأَحْيَانِي وَوَلَّى فِرَاعِنِي  
بَعَيْنِي شَكْوَايَ لِلْغَرَامِ وَتَبِيهِهِ  
فَعَانَقْتُهُ شَوْقًا وَقَبَّلْتُهُ هَوَى

ومن نزعاته العجبية قوله، وقد سبق إلى غرضه غيره: [البيسط]

يَا طَلْعَةُ الشَّمْسِ إِلَّا أَنَّهُ قَمَرٌ  
كَيْفَ التَّخْلُصُ مِنْ عَيْنَيْكَ لِي وَمَتَى  
وَكَيْفَ يُسْلِي فَوَادِي عَنْ صَبَابَتِهِ  
أَنْتَ الْمُنَى وَالْمَنَايَا فَيْكَ قَدْ جُمِعَتْ

أَمَّا هَوَاكَ فَلَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ  
وَفِيهِمَا الْقَاتِلَانِ الْعَنْجُ وَالْحَوَرُ  
وَلَوْ نَهَى النَّاهِيَانِ الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ  
وَعِنْدَكَ الْحَالَتَانِ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ

(١) في الأصل: «بعده»، وكذا ينكسر الوزن، ولا معنى له.

(٢) في الأصل: «ولللفظ»، وكذا لا يستقيم الوزن، ولا معنى له.

ولي من الشوق ما لا دواء له  
وفي وصالك ما أبقي به رَمَقِي  
وكان طينفُ خيالٍ منك يُقنِعي  
يا نابيّا، لم يكن إلّا ليملكني  
ما غيّبت إلّا وغاب الجنسُ أجمعه  
بما تُكرُّ ضلوعي في هواك بمن  
أدرك بقيّة نفسٍ لست مُدرِكها  
ودُلّ حَيرة مهجور بلا سبب  
وإنّ أبينت فلي من ليس يُسلمني  
مؤيِّداً لملكٍ بالآراءِ يُحكّمها  
من كالأمير أبي عبد الإله إذا ما  
الواهب الخيل آفا وفارسها  
والمُشبه الليث في بأس وفي خطرٍ  
تأمن الناس في أيامه ومشوا  
وزال ما كان من خوفٍ ومن حذرٍ  
رأيتُ منه الذي كنتُ أسمعُه  
ما شئت من شيم غُليا ومن شيم  
وما أرذت من إحسان ومن كرم  
وغُرّة يتلألأ من سماحتها  
إيه، فلولا دواعٍ من محبته  
نأيتُ عنه اضطراراً ثم عذتُ له  
فإن قضى الله أن يُفضي به أُملي  
ولست أبعد إذ والحال مُتسع  
ومن شعره في أغراض متعددة، قال في الليل والسّهر: [مجزوء السريع]

أطال ليلى الكَمَدُ  
وما أظنُّ أنه  
يا نائماً عن لُوعتي  
ازقُذَ هَنيئاً إني  
لوعجٍ ما تُنطفي  
فالدهر عندي سَرمَدُ  
ليلّة الهَجَرِ غَدُ  
عُوفيتُ ممّا أَجَدُ  
لا أَسْتَطِيعُ أَزُقُدُ  
وأذُمُّعُ تَضَطَرْدُ

وكبدي كَبِدَ الهوى      وأين مَنِي الكبد؟  
ولا تَسَلْ عن جَلَدِي      والله ما لي جَلَدٌ

ومن شعره أيضًا في المقطوعات: [السريع]

وليلة قُصِرَ من طولها      بزوزة من رشا نافر  
استوفر الدهرُ بها غالطًا      فأذغم الأول والآخر

وقال من قصيدة مُغَرَّبَةٌ في الإحسان<sup>(١)</sup>: [السريع]

وليلة نَبَّهْتُ أجفانها      والفجرُ قد فَجَرَ نَهَرَ النهار  
والليلُ كالمهزوم يوم<sup>(٢)</sup> الوغا      والشُّهْبُ مثلُ الشُّهْبِ<sup>(٣)</sup> عند الفراز  
كأنما استَخْفَى السُّها خيفةً      وطولِبَ النُّجْمُ بئارِ فثاز  
لذلك ما شابت نواصي الدُّجى      وطارَحَ النُّسْرُ أخاه فطار  
وفي الثُّريا قمرٌ سافر      عن غرةٍ غَيْرَ منها الشُّفَارِ<sup>(٤)</sup>  
كأنَّ عَنقودًا بها مائلٌ<sup>(٥)</sup>      إذ صار كالعُزْجُون عند السُّراز  
كأنها تَسْبِكُ ديناره      وَكُفُّها تَفْتَل منه سوار<sup>(٦)</sup>  
كأنما الظُّلُماءُ مظلومةٌ      تحَكَّم الفَجْرُ عليها فجاز  
كأنما الصُّبْحُ لمشتاقه      إقبالُ دُنْيَا<sup>(٧)</sup> بَغْدَ دُلِّ افْتِقَارِ  
كأنما الشمسُ وقد أشرقَتْ      وَجْهَ أَبِي عبدِ الإلهِ استَنَازِ

وفي وصف البحر والأنهار وما في معنى ذلك: [البسيط]

البحر أعظمُ مما أنت تَحْسِبُه      من لم ير البحرَ يومًا ما رأى عجبا  
طامٍ له حَبَلٌ طافٍ على زُورِقِ      مثلُ السماءِ إذا ما ملئتْ شُهْبَا

وقال في وصف نهر: [الطويل]

وأزرقُ مَحْفوفٍ بزهرٍ كأنه      نجومٌ بأكنافِ المجرةِ تَزْهَرُ  
يسيل على مِثْلِ العُجْمانِ مُسْلَسلا      كما سُلَّ عن غِمْدِ حُسامٍ مُجَوَّهَرُ

(١) الأبيات في نفح الطيب (ج ٦ ص ٢٤٦).

(٢) في الأصل: «في يوم» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٣) الشهب: جمع أشهب وهو الجواد الذي يخالط بياضه سواد. لسان العرب (شهب).

(٤) في النفح: «السفار».

(٥) في النفح: «... عنقودًا تَتَنَّى به».

(٦) في النفح: «السوار».

(٧) في النفح: «عزُّ غَتَّى من بعد...».

وقد صافح الأدواح من صفحاته وحى<sup>(١)</sup> حباب بالنسيم مكسر  
فما كان في عطف الخليج قلامة وما كان في وجه الغدير فمغفر  
وفي العقل والتغرب: [السريع]

ما أحسن العقل وآثاره لو لازم الإنسان إثارة  
يضون بالعقل الفتى نفسه كما يصوم الحر أسراؤه  
لا سيما إن كان في غربة يحتاج أن يعرف مقداره

ومن وصفه الجيش والسلاح: [الكامل]

وكتيبة بالدارعين كثيفة جرث ذيول الجحفل الجرار  
روض المنايا بينها القضب التي رقت بها الرايات كالأزهار  
فيها الكماة بنو الكماة كأنهم أسد الشرى بين القنا الخطار  
متهللين لدى اللقاء كأنهم خلقت وجوههم من الأقمار  
من كل ليث فوق بزق خاطف بيمينه قدر من الأقدار  
من كل ماض قد تقلد مثله فيضب آجالا على الأعمار  
لبسوا القلوب على الدروع وأسرعوا لأكفهم نارا لأهل النار  
وتقدموا ولهم على أعدائهم حنق العدا وحمية الأنصار  
فارتاع ناقوس بخلع لسانه وبكى الصليب لذلة الكفار  
ثم انثنوا عنه وعن عباده و قد أصبحوا خبرا من الأخبار

وفي السيف: [البسيط]

وأبيض صيغ من ماء ومن لهب على اعتدال فلم يخمد ولم يسل  
ماضي الغرار يهاب العمر صولته كأنما هو مطبوع من الأجل  
أنهى من الوصل بعد الهجر منظره حسنا وأقطع من دين على ملل<sup>(٢)</sup>  
وأسمر ظن أن<sup>(٣)</sup> ما كل سايغة فخاص كالأيام يستشفي من التهل  
هام الكماة به حبا ولا عجب من لوعة بمليح القد معتدل  
إذا الطعين تلقاه وأزعفه حسبته عاشقا يبكي على طلل

(١) في الأصل: «حتى»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «مال».

(٣) كلمة «أن» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى.

ومن ذلك قوله في وصف قوس: [الوافر]

تنكَّبها كحاجبه وسوَّى      بأهداب الجُفون لها نبالا  
فلم أرَ قَبْلَهُ بَذْرًا منيرا      تَحْمَلُ فوق عاتِقه هلالا

ومن ذلك في وصف قلم: [المقارب]

وأضْفَرَ كالصَّبِّ في رَوْنق      تظنُّ به الحُبُّ ممن نحَل  
بديع الصُّفات حديد السُّبات      يطُول الرِّمَّاح وإن لم يَطُل  
يُعَبِّرُ عَمَّا وراء الضمير      ويفعل فَعْلٌ<sup>(١)</sup> الظُّبا والذُّبَل

ومن ذلك قوله فيما يظهر منها: [البسيط]

تفاخر السَّيفُ فيما قيل والقَلَمُ      والْفَضْلُ بينهما لا شَكُّ مُنْفَهُمُ  
كلاهما شَرَفٌ لله<sup>(٢)</sup> دَرَهُمَا      وَحَبَذَ الخُطَّتَانِ الحُكْمُ والحَكَمُ

ومن ذلك قوله في سَكِّين الدواة: [الخفيف]

أنا صَمْصامةُ الكتابة ما لي      من شَبِيه في المُرْهَفَاتِ الرِّقَاقِ  
فكأنِّي في الحُسْنِ يومٍ وصال      وكأنِّي في القَطْعِ يومٍ فِرَاقِ

ومن ذلك قوله في المِقْصَص: [الوافر]

وَمُعْتَنِقِينَ ما اشتَهرَا بعِشْقِ      وإنَّ وُصِفَا بِضَمٍّ واعتِناقِ  
لَعَمْرُ أبِيكَ ما اعتنقا لمعنى      سوى معنى القَطِيعَةِ والفِرَاقِ

ومن ذلك قوله في الوزد: [مخلع البسيط]

الوزْدُ سلطان كلِّ زَهْرٍ      لو أنَّه دائِمُ الوُرودِ  
بعد خدود المِلاحِ شيء      ما أَشْبَهَ الوردَ بالخُدودِ

ومن ذلك قوله في الخَيْرِي: [السريع]

وأزرق كمثل السماءِ      فيه لمن ينظر سِرٌّ عجيب  
شَخَّ مع الصُّبحِ بأنفاسِهِ      كأنما الصُّبْحُ عليه رقيب  
وباح بالليل بأسراره      لَمَّا رأى اللَّيْلُ نهارَ الأريبِ

(١) في الأصل: «ما فَعَلَ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «شَرَفَ الله» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

ومن ذلك قوله في الرِّيحان: [الوافر]

وأخضرَ فُسْتُقِي اللونِ غَضٌّ      يزُوق بحسن مَنْظَرِهِ العُيونا  
أغار على الثُّرُنْجِ وقد حكاها      وزاد على اسمه أَلْفًا ونونا

وقال من جملة قصائده المَطُولات التي تَفَنَّن فيها، رحمه الله: [الطويل]

وغانية يُغني عن العُود صوتُها      وجارية تَسْقِي وساقية تَجْري  
بحيث يَجُرُّ النهر ذيل مجرَّة      يرفُّ على حافاتِها الزُّهر كالزُّهر  
وقد هَزَّتْ الأرواح خضر كتائب      بألوية بيضٍ على أَسَلِ سُمُر  
رمى قَرْحُ نَبَلًا إليها فَجُرَّدَتْ      سيوفٌ سواقِها على دارِ النَّهر  
وهبَّتْ صبا نَجِدَ فَجَرَّتْ غلائلا      تُجَفِّفُ دَمْعَ الطَّلِّ عن وَجْنة الزُّهر  
كَأَنَّ بَصْفَحَ الرُّوضِ وَشَيَّ صحيفة      وكالْألفاتِ القُضْبِ والطَّرْسُ كالْتَبَر  
كَأَنَّ به الأَفْحوان خوائِمًا      مُفَضَّضَةً فيها فُصُوصٌ من التَّبَر  
كَأَنَّ به التُّرْجس العَضُّ أغيا      تُرْفِرِقُ في أجفانها أَدْمُعُ القَطَر  
كَأَنَّ شَذَا الخَيْرِي زُورُهُ عاشقٍ      يَرى أَنَّ جُنْحَ اللَّيْلِ أَكْثَمُ لِلسَّر

وقال في وصف الرُّمان: [البسيط]

لله زُمانةٌ قد راق مَنْظَرُها      فَمِثْلُها ببديع الحسن مَنْعُوتُ  
القِشْرِ حَقٌّ لها قد ضَمَّ داخله      والشَّخْمُ قُطْنٌ لها<sup>(١)</sup> والحَبُّ ياقوتُ

ومن ذلك قوله في الجزر: [البسيط]

انظُرْ إلى جَزَرٍ<sup>(٢)</sup> في اللونِ مختلفٍ      البعض من سَبَجٍ والبعض من ذهبٍ  
إن قلت: قُضِبَ قُفْلٌ: قُضِبَ بلا زهرٍ      أو قلت: شَمِعَ قُفْلٌ: شَمِعَ بلا لَهَبٍ

وفي الاغتراب وما يتعلّق به مما يقرب من المطولات: [الوافر]

غريبٌ كُلُّما يَلْقَى غريبٌ      فلا وطنٌ لديه ولا حَبِيبٌ  
تَذَكَّرَ أَضْلَهُ فبكى اشتياقا      وليس غريبا أن يبكي غريبٌ  
ومما هاج أشواقِي حديثٌ      جرى فجري له الدَّمْعُ السُّكُوبُ

(١) كلمة «لها» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معاً.

(٢) في الأصل: «جَزَرٍ» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

ذَكَرْتُ بِهِ الشُّبَابَ فَشَقَّ قَلْبِي  
 عَلَى زَمَنِ الصُّبَا فَلَيْبِكَ مِثْلِي  
 جَهَلْتُ شَبِيبَتِي حَتَّى تَوَلَّتْ  
 أَلَا ذَكَرَ الْإِلَهَ بِكُلِّ خَيْرٍ  
 بِلَادَ مَاؤَهَا عَذْبُ زُلَالٍ  
 بِهَا قَلْبِي الَّذِي قَلْبِي الْمَعْنَى  
 رُزِقْتُ الصَّبْرَ بِلَيْنِ أَبِي وَأُمِّي  
 أَلَا فَتَوَخَّ بَعْدِي مَنْ أُوَاحِي  
 وَلَا تَحْكُمْ بِأُولَ مَا تَرَاهُ  
 أَلَا إِنَّا خُلِقْنَا فِي زَمَانٍ  
 وَقَدْ لَدَّ الْجِمَامُ وَطَابَ عُنْدِي  
 لَحَى اللَّهِ الضَّرُورَةَ فَهَيَّ بَلَوَى  
 رَأَيْتَ الْمَالَ يَسْتُرُ كُلَّ غَيْبٍ  
 وَفَقَدُ الْمَالَ فِي التَّحْقِيقِ عُنْدِي  
 وَقَدْ أَجْهَدْتُ نَفْسِي فِي اجْتِهَادٍ  
 وَقَدْ تَجَرَّي الْأُمُورَ عَلَى قِيَاسٍ  
 كَأَنَّ الْعَقْلَ لِلدُّنْيَا عَدُوٌّ  
 إِذَا لَمْ يُرْزَقِ الْإِنْسَانُ بَخْتًا

ومن نسيه قوله في بادرة من حمام: [الكامل]

بَرَزْتُ مِنَ الْحَمَّامِ تَمَسَّحَ وَجْهَهَا  
 عَنِ مِثْلِ مَاءِ الْوَرْدِ بِالْعُتَابِ  
 وَالْمَاءُ يَقْطُرُ مِنْ ذَوَائِبِ شَعْرَهَا  
 كَالطَّلِّ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِ غُرَابٍ  
 فَكَأَنَّهَا الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ فِي الضُّحَى  
 طَلَعَتْ عَلَيْنَا مِنْ خِلَالِ سَحَابٍ  
 وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ أَيْضًا قَوْلُهُ: [الكامل]

وَمُتَيِّمٌ لَوْ كَانَ صَوْرَ نَفْسِهِ  
 مَا كَانَ يَرْضَى بِالصُّدُودِ وَإِنَّمَا  
 وَقَالَ: [مخلع البسيط]

وَأَفْسَى وَقَدْ زَانَهُ جَمَالٌ  
 فِيهِ لِعُشَّاقِهِ اعْتِذَارٌ



ثلاثة ما لها مثال: الوجهُ والخَدُّ والعِذارُ  
فمن رآه رأى رياضاً: الورد والآس والبَهَارُ

ومن ذلك قوله في ذم إخوة السوء: [الكامل]

ليس الأخوة<sup>(١)</sup> باللسان أخوةً فإذا تُراد أخوتي لا تَنفَعُ  
لا أنت في الدنيا تُفَرِّجُ كَرْبَهُ عني ولا يومُ القيامةِ تَشْفَعُ  
وقال كذلك: [الكامل]

ولقد عَرَفْتُ الدَّهْرَ حينَ حَبَزَتْهُ وبَلَوْتُ بالحاجاتِ أهلَ زمانٍ  
فإذا الأُخوةُ باللسانِ كثيرةٌ وإذا الدُّراهمُ مَيْلَقُ الإِخوانِ

ومن ذلك قوله في ثقل: [المتقارب]

تزلزلتِ الأرضُ زلزالها فقلتُ لسكانها: ما لها؟  
فقالوا: أتانا أبو عامر فأخرجتِ الأرضُ أثقالها

ومن ذلك قوله في الصبر: [السريع]

الدهر لا يُبْقِي على حالة لكنه يُقْبِلُ أو يُذْبِرُ  
فإنْ تَلَقَّاكَ بِمَكْرُوهِهِ فاضِرْ فإنَّ الدَّهْرَ لا يَصْبِرُ

ومن ذلك قوله في الموت: [السريع]

الموت سِرُّ الله في خَلْقِهِ وَحِكْمَةٌ ذَلَّتْ على قَهْرِهِ  
ما أَضْعَبَ الموتُ وما بَغَدَهُ لو فَكَّرَ الإنسانُ في أمرِهِ  
أيام طاعات الفتى وحدها هي التي تُخسبُ من عُمرِهِ  
لا تُلهِكَ الدنيا ولذاتها عن نَهْيِ مولاك ولا أَمْرِهِ  
وانظُرْ إلى من مَلَكَ الأرضَ هل صَحَّ له منها سوى قَبْرِهِ؟

نثره: قال في كتاب «روضة الأنس» ما نصّه:

«ويتعلّق بهذا الباب ما خاطبني به الفقيه الكاتب الجليل أبو بكر البرزعي، من أهل بلدنا، أعزّه الله: أخبرك بعُجاب، إذ لا سرّ دونك ولا حجاب، بعد أن أتقدّم إليك أن لا تعجل باللوم إليّ، قبل عِلْمِ ما لديّ، فإنّ الدهر أخذع من كُفّة الحابل،

(١) في الأصل: «لإخوة» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

وَقَلْبُ الْإِنْسَانِ لِلْآفَاتِ قَابِلٌ. مَشَيْتُ يَوْمًا إِلَى سَوْقِ الرَّقِيقِ، لِأَخْذِ حَقِّ فُؤَادِ عَتِيقٍ، فَرَأَيْتُ بِهَا جَارِيَةَ عَسْجَدِيَّةِ اللَّوْنِ، حَدِيثَةَ عَهْدٍ بِالصُّوْنِ، مَتَمَايِلَةَ الْقَدِّ، قَائِمَةَ النَّهْدِ، بَلَخَظَ قَدْ أَوْتِي مِنَ السُّخْرِ أَوْفَرَ حَظًّا، وَفَمَ كَشْرَطَةَ رُشَعَتِ بِدَمٍ، دَاخِلَهُ سِمْطَانٌ لَوْلَاهُمَا مَا عُرِفَ النَّظْمُ، وَلَا حُكْمٌ عَلَى الدَّرِّ لِلْعَظْمِ، فِي صَدْعِهَا لِأَمَانٍ مَا خَطَّ شَكْلُهُمَا قَلَمٌ، وَلَا قَصٌّ مِثْلُهُمَا حِلْمٌ. لَهَا جَيْدٌ تَتَمَنَّاهُ الْغَيْدَ، وَخَضِرٌ هُوَ قَبْضَةُ الْكَفِّ فِي الْحَضَرِ، وَرِدْفٌ يَظْلِمُهُ مَنْ يُشَبِّهُهُ بِهِ بِالْحِفْظِ، وَيَدَانِ خُلِقَا لِلْوُشْيِ، وَقَدَمَانِ أَهْلَتَا لِلثَّمِّ لَا لِلْمَشْيِ، فَتَطَاوَلَتْ إِلَيْهِ الْأَعْنَاقُ، وَبُذِلَتْ فِيهَا الْأَعْلَاقُ، وَالْمِيَّاسِيرُ عَلَيْهَا مُغْرَمٌ فِي الْقَوْمِ، وَتَسْوَمُ أَهْلُ السَّوْمِ، وَكُلٌّ فِيهَا يَزِيدُ، لِيَبْلُغَ مَا يَرِيدُ، إِلَى أَنْ جَاءَ فَتَى صَادِقٌ فِي حُبِّهِ، لَا يَبَالِي بِفَسَادِ مَالِهِ فِي صَلَاحِ قَلْبِهِ، فَعَدَّ الْمَالَ عَدًّا، وَلَمْ يَجِدْ غَيْرَهُ مِنَ التَّسْلِيمِ بُدًّا. فَلَمَّا فَاتَنَنِي، تَرَكْتُ الْأَشْوَاقَ وَأَتَنَنِي، وَانْتَقَضَتْ عِزَائِمُ صَبْرِي فَمَا أَتَنَنِي، فَاللَّهُ اللَّهُ، تَدَارَكُ أَخَاكَ سَرِيعًا، قَبْلَ أَنْ تُلْفِيهِ مِنَ الْوَجْدِ صَرِيعًا، وَاسْتَنْزَلَهُ خَادِمًا، قَبْلَ أَنْ تُصْبِحَ عَلَيْهِ نَادِمًا، وَلَنْ أَحْتَاجَ أَنْ أَصْفَهَا إِلَيْكَ، مَعَ مَا قَصَصْتَهُ عَلَيْكَ، وَقَدْ أَهْدَيْتَهَا دُرَّرًا، فَخُذْهَا عَلَى جِهَةِ الْفَكَاهَةِ وَالِدُعَابَةِ: [الوافر]

وَلَا تُظْلِعْ أَخَا جَهْلٍ عَلَيْهَا      فَمَنْ لَمْ يَذَرِ قَدْرَ الشَّيْءِ عَابَهُ

فَأَجَبْتُهُ: نَعَمْ نَعَمْ، أَتَنَمُّ اللَّهُ بِالْكَ، وَسَنَى آمَالَكَ، أَنَا بِحَوْلِ اللَّهِ أَرْتَاذُ لَكَ مِنْ نَحْوِ هَاتِيكَ، مَا يُسْلِكُ وَيُؤَاتِيكَ، وَإِلَّا فَيَبْضًا كَاللُّجَيْنِ، هَلِ الْقَلْبُ وَالْعَيْنُ، زَهْرَةٌ غُضُنُ فِي رَوْضَةٍ حُسْنٍ، ذَاتَ ذَوَائِبَ، كَأَنَّهَا اللَّيْلُ عَلَى نَهَارٍ، أَوْ بِنْتُ سَيْجٍ فِي بَهَارٍ. لَهَا وَجْهٌ أَبْهَى مِنَ الْغِنَا، وَأَشْهَى مِنْ نَيْلِ الْمَنَى، فِيهِ حَاجِبَانِ كَأَنَّهُمَا قَوْسٌ صُنِعَتْ مِنَ السَّيْحِ، وَرُضِعَتْ بِعَاجٍ مِنَ الْبَلَحِ، عَلَى عَيْنَيْنِ سَاحِرَتَيْنِ، بِالْعَقْلِ سَاحِرَتَيْنِ، بِهِمَا تُصَابُ الْكُبُودُ، وَتُشَقُّ الْقُلُوبُ قَبْلَ الْجُلُودِ، إِلَى فَمٍ كَأَنَّهُ خِتَامُ مِسْكَ، عَلَى نِظَامِ سِلْكَ، سَقَاهُ الْحُسْنُ رَحِيقَهُ، فَأَتَبَتَتْ دُرَّرَهُ وَعَقِيقَهُ، وَجَيْدٌ فِي الْحُسْنِ وَحِيدٌ عَلَى صَدْرٍ كَأَنَّهُ مِنْ مَرْمَرٍ، فِيهِ خُفَّتَا عَاجٍ طَوْقَتَا بَعْتِيرٍ، قَدْ خُلِقَتَا لِلْعَضِّ، فِي جِسْمِ غَضٍّ، لَهُ خَضِرٌ مُذْمَجٌّ، وَرِدْفُهُ يَتَمَوَّجُ، وَأَطْرَافُ كَالْعَنَمِ، رُقِمَتْ رَقْمَ الْقَلَمِ، مِنَ اللَّائِي شَهْدَنَ ابْنَ الْمُؤَمِّلِ، وَقَالَ فِي مِثْلِهَا الْأَوَّلِ، إِنَّ هِيَ تَاهَتْ فَمِثْلُهَا تَاهَا، أَوْ هِيَ بَاهَتْ فَمِثْلُهَا بَاهَا، مِنْ أَيْنَ لِلْعُضْنِ مِثْلَ قَامَتِهَا أَوْ أَيْنَ لِلْبَدْرِ مِثْلَ مَرَّأَتِهَا، مَا فَعَلَتْ فِي الْعُقُولِ صَابِيَةً مَا فَعَلَتْ فِي الْعُقُولِ عَيْنَاهَا، تَمْلِكُنِي بِالْهَوَى وَأَمْلِكُهَا، فَهَئَانَا عَبْدُهَا وَمَوْلَاهَا، فَأَيُّهُمَا لَسْتُ بِذَلْتُ فِيهِ الْجُهْدِ، وَأَرْقَيْتُ لِلْمَجْدِ وَالْوُدِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَأَنَا فِيمَا عَرَضَ لِسَيِّدِي، حَفِظَهُ اللَّهُ، عَلَى مَا يُحِبُّ، أَعِزُّهُ وَلَا أَعْزِلُهُ، وَأَنْصُرُهُ وَلَا أَخْذِلُهُ، لَكِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لَا يَنْبَغِي لِمَنْ قَلْبُهُ رَقِيقٌ، أَنْ يَدْخُلَ سَوْقَ الرَّقِيقِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْمَالِ، وَالْجَمَالِ يَتَنَافَسُ فِي الْعَالِي،

ويسترخض بالثمن الغالي، ولا يُبالي بما قال الأئمة، إذا وجد من يلائمه، كما قال الشاعر: [الخفيف]

ما انتفاعُ المُحبِّ بالمال إذ<sup>(١)</sup> لم يتوصَّل به لوصولِ الحبيبِ  
إنما ينبغي بحكم الهوى أنْ يُنفَقَ المالُ في صلاحِ القلوبِ  
والسلام على سيدي، ما كانت الفكاهة من شأن الوفاء، والمداعبة من شيم  
الظرفاء، ورحمة الله وبركاته.

مولده: ولد في محرم سنة إحدى وستمائة.

وفاته: توفي في عام أربعة وثمانين وستمائة.

نقلت من خط صاحبنا الفقيه المؤرخ أبي الحسن بن الحسن، قال: أنشدني  
الشيخ الراوية الأديب القاضي الفاضل أبو الحجاج يوسف بن موسى بن سليمان  
المنتشافري، قال: أنشدني القاضي الفاضل أبو القاسم ابن الوزير أبي الحجاج ابن  
الحقالة، قال: أنشدني الأديب أبو الطيب صالح بن أبي خالد يزيد بن صالح بن  
شريف الرندي لنفسه، ليكتب على قبره: [الطويل]

خليلي، بالود الذي بيننا اجعلا إذا متُّ قبري عُزْصَةً لِلتَّرحُمِ  
عسى مسلمٌ يدنو فيدعو برحمة فإني محتاج لدعوة مُسلم

## حرف العين

### من ترجمة الملوك والأمراء

عبد الله بن إبراهيم بن علي بن محمد التجيبي  
الرئيس أبو محمد بن إश्قيلولة

أوليته: قد مرَّ شيء من ذلك في اسم الرئيس أبي إسحق أبيه.

حاله: كان أميراً شهماً، مضطعاً بالقضية، شهير المواقف، أبي النفس، عالي  
العمة. انتزى على خاله أمير المسلمين الغالب بالله<sup>(٢)</sup>، وكان أملك لما بيده من مدينة  
وادي آش وما إليها، معزراً بأخيه الرئيس أبي الحسن مظاهره في الأمر، ومشاركه في

(١) في الأصل: «إذا» وكذا ينكسر الوزن.

(٢) الغالب بالله: هو أبو عبد الله محمد بن يوسف، أول سلاطين بني نصر بغرناطة؛ حكم غرناطة  
من سنة ٦٣٥ هـ إلى سنة ٦٧١ هـ. اللوحة البدرية (ص ٤٢).

السلطان. واستمرت الحال مدة حياة خاله السلطان، ولما صار الأمر إلى مخيفه ولي العهد<sup>(١)</sup>، استشرى الداء، وأغضل الأمر، وعمت الفتنة، وزاحمه السلطان بالمنكب؛ انفجّم، واعتوره بالحيلة، حتى تحيّف أطرافه، وكان ما هو معلوم من إجازة أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق<sup>(٢)</sup> البحر إلى الجهاد، ومال الحال بينه وبين السلطان أمير المسلمين أبي عبد الله بن نصر إلى التقاطع، وتصيّرت مالفقة إلى الإيالة المغربية، ثم عادت إلى السلطان.

وفي أخريات هذه الأحوال، أخكم السلطان مع طاغية الروم السّلم، وصرف وجهه إلى مطالبة الرئيس أبي محمد، صاحب وادي آش، فالتجأ الحال إلى أن صرف الدعوة بوادي آش إلى السلطان بالمغرب ورفع شعاره، فأقعد عنه. ووقعت مراسلات أجلت عن انتقال الرئيس أبي محمد إلى المغرب، معوضاً عن مدينة وادي آش بقصر كُتامة<sup>(٣)</sup>، وذلك في عام تسعة وثمانين وستمئة.

وفاته: دخلت قصر كُتامة يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من ذي قعدة عام خمسة وخمسين وسبعمائة في غرض الرسالة، وزُرْتُ مقبرة الرؤساء بني إشقيلولة بظاهرها، وفي قبّة ضخمة البناء رَحِيبة الفناء، نسيجة وحدها بذلك البلد بين منازل البلى وديار الفناء، وبها قبر الرئيس أبي محمد هذا، عن يسار الداخل، بينه وبين جدار القبلة قَبْرٌ، وسَنامه رخام مكتوب عليه: [المجتث]

قَبْرٌ عَزِيزٌ عَلَيْنَا	لَوْ أَنَّ مَنْ فِيهِ يُفْدَى
أَسْكَنْتُ قُرْءُ عَيْنِي	وَقُطْعَةَ الْقَلْبِ لَخِدا
مَا زَالَ حُكْمًا عَلَيْهِ	وَمَا الْقَضَاءُ تَعْدَى
فَالصَّبْرُ <sup>(٤)</sup> أَحْسَنُ ثَوْبٍ	بِهِ الْعَزِيزُ تَرْدَى

وعند رأس السّنام الرخامي، مَهْدٌ مائلٌ من الرخام فيه:

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله، وسلّم تسليمًا. هذا قبرُ الرئيس الجليل، الأعلى الهمام، الأُوحد،

(١) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، ثاني سلاطين غرناطة، وقد حكم من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. اللوحة البدرية (ص ٥٠).

(٢) هو المنصور يعقوب بن عبد الحق المريني، سيد بني مرين بالمغرب، توفي سنة ٦٨٥ هـ. الأعلام (ج ٨ ص ١٩٩) وفيه ثبت بأسماء مصادر ترجمته.

(٣) قصر كُتامة: مدينة بالجزيرة الخضراء من أرض الأندلس. معجم البلدان (ج ٤ ص ٣٦٢).

(٤) في الأصل: «فللصبر» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

الأسعد، المبارك، الأسنى، الأسمى، الأخقل، الأكمل، المجاهد، المقدس، المرحوم، أبي محمد عبد الله، ابن الرئيس الجليل، الهمام، الأوحى، الأسعد، المبارك، الأمضى، الأسنى، الأسمى، المعظم، المرفع، المجاهد، الأرضى، المقدس، المرحوم أبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق، رحمه الله وعفا عنه وأسكنه جنته. ظهر، عفا الله عنه، بوادي آش، أمناها الله، قاعدة من قواعد الأندلس، وتسلطن، ونشرت علامات سلطنته، وضربت الطبول. وجاهد منها العدو، قصمه الله، وظهر على خاله سلطان الأندلس، وأقام في سلطنته نحوًا من ثلاث وعشرين سنة. ثم قام بدعوة الملك الأعلى، السلطان المؤيد المنصور، أمير المسلمين، المؤيد بالله أبي يعقوب، أيده الله بنصره، وأمدّه بمعونته ويُسره، وأمره، أيده الله، أن يتخلى عن وادي آش المذكورة، ويصل للمغرب، فتنحى عن الأندلس للمغرب، آنس الله، في جمادى الأولى من عام ستّة وثمانين وستمائة، فأعطاه، أيده الله، قصر عبد الكريم، أمناها الله، وأنعم عليه، فأقام به مدة من ثمانية أعوام، وجاز منه إلى الأندلس، أمناها الله، وجاهد بها مرّتين، ثم رجع إلى قصر عبد الكريم المذكور، وتوفي، شرف الله روحه الطيبة المجاهدة، عشى يوم السبت العاشر من شهر محرم سنة خمس وتسعين وستمائة».

### عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبّوس بن ماكسن ابن زيري بن مناد الصنهاجي<sup>(١)</sup>

أمير غرناطة.

أوليته: قد مرّ من ذلك في اسم جدّه ما فيه كفاية.

حاله: لقبه المُظفّر بالله، الناصر لدين الله. وُلّي بعد جدّه باديس في شوال سنة خمس وستين وأربعمائة، وصحبه سِماجة الصنهاجي تسع سنين. قال الغافقي: وكان قد حاز حظًا وافرًا من البلاغة والمعرفة، شاعرًا جيّد الشعر، مطبوعه، حسن الخط. كانت بغرناطة ربعة مُصحف بخطّه في نهاية الصنعة والإتقان. ووصفه ابن الصيرفي

(١) ترجمة عبد الله بن بلقين في الأنيس المطرب (ص ٩٩) والمختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ١٩٨) وتتمّة المختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ٨) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٣٣) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٢٣، ١٢٨) والحلل الموشية (ص ٣٤) وكتاب العبر (م ٤ ص ٣٤٦) و(٦٠ ص ٣٧٠) وصبح الأعشى (ج ٥ ص ٢٤٢) ومذكرات الأمير عبد الله (ص ٢٠٥). وهناك دراسة مستفيضة عنه للدكتورة مريم قاسم طويل في كتابها: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ١٧١ - ٢٣٩).

فقال<sup>(١)</sup>: كان جبائاً مُغمَداً<sup>(٢)</sup> السيف، قلقاً، لا يَثْبُتُ على الظهر، عزهاة<sup>(٣)</sup> لا أَرَبَ له في النساء<sup>(٤)</sup>، هَيَّابَةً، مُفرط الجَزَعِ، يَخْلُدُ إلى الرَّاحاتِ، وَيَسْتَوِزِرُ الأَغْمارَ.

خلعه: قال: <sup>(٥)</sup> وفي عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة، تحرَّك أمير المسلمين، يوسف بن تاشفين، لخلع رؤساء الأندلس، فأجاز البحر، ويقيم قرطبة، وتواترت الأنباء عن حفيد باديس صاحب غرناطة، بما يُغَيِّظُهُ ويُحْقِدُهُ، حسبما تقدم في اسم مؤمِّل مولى باديس. وقَدِّمَ إلى غرناطة أربع محلات، فنزلت بمقربة منها، ولم تمتدَّ يدُ إلى شيء يوجد، فسُرَّ الناس واستبشروا، وأمنت البادية، وتمايل أهل الحاضرة إلى القوي. وأسرع حفيد باديس في المال، وألحق السوق والحاجة<sup>(٦)</sup>، واستكثر من اللُفْيَفِ، وألحَّ بالكُتْبِ على أذفونش بما يُطْمَعُهُ. وتحقَّقَ يوسف بن تاشفين استِشْرافِ الحاضرة إلى مَقْدَمِهِ، فتحرك. وفي ليلة الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب، اجتمع إلى حفيد باديس صنائعه، فخوَّفوه من عاقبة التربُّص، وحَمَلُوهُ على الخروج إليه، فركب وركبت أمُّه وتركوا القصر على حاله، ولقي أمير المسلمين على فرسخين من المدينة، فترجَّل، وسأله العَفْو، فعفا عنه، ووقف عليه، وأمره بالركوب، فركب، وأقبل حتى نَزَلَ بـ«المشايع» من خارج الحاضرة. واضطربت المحلات، وأمر مؤمِّلًا بثقافه في القصر، فتولَّى ذلك، وخرج الجُمُّ من أهل المدينة، فبايعوا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فلقِيَهُمْ، وأنسَهُمْ، وسكَنَ جاشَهُمْ، فاطمأنوا. وسهَّلَ مؤمِّلٌ إليه دخول الأعيان، فأمر بكتِّبِ الصُّكُوكِ، ورَفَعَ أنواع القَبالات والخراج، إلَّا زكاة العَيْنِ، وصَدَقَةَ الماشية، وعُشْر الزُّرْع. واستقصي ما كان بالقصر، فظهر على ما يحول الناظر، ويُرْوَعُ الخاطر، من الأغلاق والذخيرة، والحُلَى، ونفيس الجَوْهر، وأحجار الباقوت، وقَصَب الزُّمرد، وآنية الذهب والفضة، وأطباق البلُّور المُحكَّم، والجراداذنات، والعراقِيَّات، والثِّيَاب الرِّفِيعَة، والأثْماط، والكِلَل، والسِّتائر، وأوْطِية الدُّباج، مما كان في ادِّخار باديس واكتِسابه. وأقبلت دوابُّ الظهر من المُكْتَبِ

(١) قارن بأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ٢٣٥).

(٢) في أعمال الأعلام: «مُغْتَمِد».

(٣) عزهاة: عازف عن اللهو والنساء. محيط المحيط (عزه).

(٤) في أعمال الأعلام: «زاهداً في النساء».

(٥) قارن بمذكرات الأمير عبد الله (ص ١٥٤ وما بعدها) وتاريخ الأندلس لابن الكردبوس (ص ١٠٤ - ١٠٥).

(٦) الحاجة: أصحاب الشر. وهذا الجمع لم نلاحظه في كتب اللغة؛ فقد جاء فيها أن «الحُكَّك» جمع «حاك»، وهو صاحب الشر.

بأحمال السبيك والمسبوك، واختلفت أم عبد الله لاستخراج ما أودع بطن الأرض، حتى لم يبق إلا الخزئي والقل والسقط. وزرع ذلك الأمير على قواده، ولم يستأثر منه بشيء. قال<sup>(١)</sup>: ورغب إليه مؤمل في دخول القصر، فركب إليه، وكثر استحسانه إياه، وأمر بحفظه. وتفقد أوضاعه وأفنيته. ونقل عبد الله إلى مراكش، وسنه يوم خلع، خمس وثلاثون سنة وسبعة أشهر، فاستقر بها هو وأخوه تميم، وحل اعتقالهما، وزفه عنهما، وأجري المرتب والمساهمة عليهما. وأحسن عبد الله أداء الطاعة، مع لين الكلمة، فقضيت مآربه، وأسعفت رغباته، وخف على الدولة، واستراح واستريح منه، وزرق الولد في الحمول، فعاش له ابنان وبنت، جمع لهم المال. فلما توفي ترك مالا جماً.

مولده: ولد عبد الله سنة سبع وأربعين وأربعمائة.

### عبد الله بن علي بن محمد التيجي، الرئيس أبو محمد ابن إشقيلولة

حاله: كان رئيساً شجاعاً، بهمة، حازماً، أيذاً. تولى مدينة مالقة عقب وفاة الرئيس واليها أبي الوليد بن أبي الحجاج بن نصر، صنو أمير المسلمين، الغالب بالله، في أوائل عام خمسة وخمسين وستمائة. وكان صهر السلطان على إحدى بناته، وله منه محل كبير، ومكان قريب، وله من ملكه حظ رغب. واستمرت حاله إلى عام أربعة وستين وستمائة، وفسد ما بينه وبين ولي العهد، الأمير أبي عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبي عبد الله الغالب بالله، إذ وعّر له صدره، ولا بني أخيه الرئيسين، أبي محمد وأبي الحسن، ابني الرئيس أبي إسحق بن إشقيلولة المتأمرين بوادي آش، فضايقهم وأخافهم بما أذاهم إلى الامتناع والدعاء لأنفسهم والاستمسك بما بأيديهم. وعمت المسلمين الفتنة المنسوبة إليهم، فانتزى هذا الرئيس بمدينة مالقة، وكان أملك لما بيده، واستعان بالثوري، وشمر عن ساعد الجد، فأباد الكثير من أعيان البلدة في باب توسم التهم وتطرق السعايات، واستولى على أموالهم. واستمرت الحال بين حرب أجلت فيها غلبة الأمير مخيفه، ولي العهد، بجيش الثوري، ونازل مالقة أربعين يوماً، وشعث الكثير بظاهاها، وتسمى بعلم الأمير عند أهل مالقة، وما بين سلم ومهادنة. وفي عام

(١) راجع المختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ١٩٨) والأنيس المطرب (ص ١٠٠) وتمة المختصر في أخبار البشر (ج ٢ ص ٨) والاستقصا (ج ٢ ص ٥٣).

ستين وستمائة، نازله السلطان الغالب بالله صِهْرُهُ، وأَغْيَا عليه أَمْرُ مَالِقَةَ، لاضطلاع هذا الرئيس بأمره، وَضَبُطَ مَنْ لِنَظَرِهِ، وَاسْتِمْسَاكَه بِغُرُورَةِ حَزْمِهِ.

وفي بعض الأيام ركب السلطان في ثلاثة من مماليكه، متخفياً، كاتماً غرضه، وقعد بباب المدينة، فلَمَّا بَصُرَ به الرجال القائمون به، هالهم الأمر، وَأَذْهَشَتْهُمْ الهيبة، فأفرجوا له، مُؤَقِّرِينَ لجلاله، أَنَسِينَ لِقَلَّةِ أَتْبَاعِهِ، فدخل، وقصد القَصْبَةَ، وقد نُذِرَ به الرئيس أبو محمد، فبادر إليه راجِلاً، مُتَبَذِّلاً، مُهْزِوْلاً، حافِياً. ولَمَّا دنا منه ترامى على رجليه يُقَبِّلُهُمَا، إظهاراً لِحَقِّ أَبَوْتِهِ، وتعظيماً لِقَدْرِهِ، ودخل معه إلى بَيْتِهِ وَحَفَدَتِهِ، فترامى الجميع على أطرافه يَلْتِمُونَهَا، وَيَتَعَلَّقُونَ بِأَذْيَالِهِ وَأَذْرَانِهِ، وهو يبكي إظهاراً لِلشَّفَقَةِ وَالْمُودَةِ وَتَكَلُّمُ الْجَمِيلِ. وأقام معهم بِيَاضِ يَوْمِهِ، ثم انصرف إلى محلَّته، وأتبعه الرئيس، فَأَمَرَهُ بِالاسْتِمْسَاكِ بِقَصْبَتِهِ وَمِلَازِمَةِ مَحَلِّ إِفْرَتِهِ، وما لبث أن شرع في الارتحال عن أَلْطَافٍ وَمُهَادَاتٍ، وتقدير جِرايات، وإحكام هَدْيَةٍ، وتقدير إمارة، إلى أن توفي السلطان، رحمه الله، فعادت الفتنة جَزَعَةً، ووالى ولده أمير المسلمين بعده الضرب على مَالِقَةَ، إلى أن هلك الرئيس أبو محمد، واستقرَّ بالأُمُور ولده المذكور في المَحْمَدِينَ، وكان من الأمر ما يَنْظُرُهُ فِي مَكَانِهِ مَنْ أَرَادَ اسْتِيفَاءَهُ، بحول الله.

### عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العَرَفِي

يكنى أبا طالب، الرئيس الفقيه، الكبير الشهير، صاحب الأمر والرئاسة والإمارة بسببته، نيابة عن أخيه الرئيس الصالح أبي حاتم، بِحُكْمِ الاستقلال في ذلك، والاستبداد التَّام، من غير مُطالعة لأخيه ولا رُجُوع إليه في شيءٍ من الأمور، ولا تَشَوُّفٍ من أخيه إلى ذلك، لخروجه البتة عنه، وإيثاره العزلة، واشتغاله بنفسه.

حاله: قد تقدم من ذكر أوليته ما فيه كفاية. وكان من أهل الجلالة والصيانة، وطهارة النُشْأَةِ، حافظاً للحديث، ملازماً لِتِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ، عارفاً بالتاريخ، عظيم الهيبة، كبير القدر والصيت، عالي الهمة، شديد البأو، معظماً عند الملوك، جميل الشارة، مُمَثِّلُ الإِشَارَةِ لِدِيهِمْ، عجيب السكينة والوقار، بعيد المزمرى، شديد الانقباض، مُطَاعُ السُّلْطَانِ بِمَوْضِعِهِ، مَزْهُوبُ الْجَانِبِ، من غير إيقاع بأحد، ولا هَتْكَ حُرْمَةٍ، محافظاً على إقامة الرُسُومِ الْحِسِّيَّةِ وَالِدِّيَّةِ.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع وغيره.

نكبته: تَغَلَّبَ على بلده أيام إمارته، وثار أهله إليه في السَّلاحِ وَالْعُدَّةِ؛ لِيُحِيطُوا بِمَنْ فِي الْقَصْبَةِ، فخرج إليهم، وشكر مساعيهم، وقال: قال رسول الله ﷺ: كُنْ



عبدَ الله المقتول، ولا تَكُنْ عبدَ الله القاتل، فانصرفوا، ودخل منزله مُلقِيًا بيده، ومُسَلِّمًا لقضاء الله سبحانه في كِسرِهِ، إلى أن قُبِضَ عليه وعلى سائر بنيهِ وقَوْمِهِ، عند ارتفاع النهار وانتشار المُتَغَلِّبين على القصبَةِ، فنَقَفُوا متحرّجين من دمائِ المسلمين، وصُرفوا إلى الأندلس، في ضحو يوم الخميس الثاني عشر من ذي قعدة عام خمسة وسبعمئة، بعد انقضاء خمسة عشر يومًا من تملك بلدهم، فاستقرّ بغرناطة تحت سِتر واحترام وجِراية فيها كَفَاف. ثم لما خرجت سَبْتَةُ عن طاعة أمير المسلمين، انصرف القَوْمُ إلى فاس، فتوفي بها.

وفاته: في شعبان المكرم من عام ثلاثة عشر وسبعمئة.

### عبد الله بن الجبّير بن عثمان بن عيسى بن الجبّير اليحصبي<sup>(١)</sup>

من أهل لَوْشَة، وهو منحسوب من الغرناطيين. قال الأستاذ<sup>(٢)</sup>: من أعيانها ذوي الشرف والجلالة. قلت: يُنسب إليه بها معاهد تدلّ على قِدَمٍ وأصالَة.

حاله: قال أبو القاسم الملاحى<sup>(٣)</sup>: كان أديبًا بارع الأدب، كاتبًا، بليغًا، شاعرًا مطبوعًا، لَسِنًا مَقَوَّهاً، عارفًا بالنحو والأدب واللغات، وقد مال في عُنفوان شبّيته إلى الجُنْدِيَّة لِشهامته وعزّة نفسه، فكان في عَسْكر المأمون بن عبّاد<sup>(٤)</sup>، واشتَمَلَ عليه المأمون، وكان من أظرف الناس، وأملَحهم شبّية<sup>(٥)</sup>، وأحسنهم شارةً، وأتمهم معرفة.

مشيخته: أخذ<sup>(٦)</sup> عن أشياخ بلده غرناطة، وأخذ بمالقة عن غانم الأديب، وبقرطبة عن ابن سراج.

شعره: وله في إنشاده لدى المأمون مجال رَحْبٌ، فمن ذلك قوله<sup>(٧)</sup>:  
[البسيط]

يا هاجرين، أضلَّ الله سَعْيَكُمْ      كم تهجرون مُحِبِّكُمْ بلا سببٍ

(١) يكنى عبد الله بن الجبير أبا محمد، وكانت وفاته في سنة ٥١٨ هـ، وترجمته في بغية الملتبس (ص ٣٤٨) وفيه أنه عبد الله بن عثمان بن الجبير، والتكملة (ج ٢ ص ٢٥٢) وبغية الوعاة (ص ٢٧٩) والذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٨٩).

(٢) الأستاذ هو ابن الزير، وقوله هنا ورد في بغية الوعاة (ص ٢٧٩).

(٣) قارن ببغية الوعاة (ص ٢٧٩).

(٤) هو المأمون بن المعتمد بن عباد، صاحب إشبيلية في عصر ملوك الطوائف.

(٥) في الأصل: «شبية» والتصويب من بغية الوعاة.

(٦) قارن بالذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٨٩). (٧) الأبيات في بغية الوعاة (ص ٢٧٩).

ويا مُسِرِّينَ للإخوان غائلةً      ومُظْهِرينَ وجوه البرِّ والرحبِ  
 ما كان ضرُّكمُ الإخلاصَ لو طُبِعَتْ      تلك النفوس على علياء أو أدب  
 أشبهتُمُ الدَّهْرَ لما كان والدُكمُ      فأنتمُ شرُّ أبناءٍ لشرٍّ<sup>(١)</sup> أبٍ

### عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد ابن علي السلماني<sup>(٢)</sup>

والد المؤلف، رضي الله عنه، يُكنى أبا محمد، غرناطي الولادة والاستيطان،  
 لُوشِي الأصل، ثم طُلَيْطَلِيَّة، ثم قُرْطَبِيَّة.

**أوليته:** كان سَلَفُهُ يعرفون بقرطبة ببني وزير، وهم بها أهل نباهة، وبيتهم بيت  
 فقهٍ وخَيْرِيَّة وماليَّة، وِنجارهم نِجارُ فرسان يمانِيَّة. ولَمَّا حَدَّثَ على الحَكَم بن هشام  
 الوَقِيعَةَ الرَّبْضِيَّة، وكان له القَلَج، وبأهل الرَّبْض الدُّبْرَة، كان أعلامُ هذا البيت من  
 الجالِيَّة أمام الحكم، حسبما امْتَحَن به الكثير من أعلام المشيخة بها، كالفقيه  
 طالوت، ويحيى بن يحيى، وغيرهما<sup>(٣)</sup>، وَلِحِقُوا بِطُلَيْطَلَة، فاستقروا بها، ونَبَا بهم  
 وطنهم، ثم حَوَمُوا على سَكْنَى المَوْسَطَة، وآبَ إلى قرطبة قَبْلَهُم بعد عهد مُتْقَادِم،  
 ومنهم خَلَفَ وعبد الرحمن، وقد مرَّ له ذِكْرٌ في هذا الكتاب. ووُلِّي القضاء  
 بالكُورَة. ومنهم قوم من قرابتهم تملَّكوا مُنْتَفِرِد<sup>(٤)</sup>، الحصن المعروف الآن بالمنعة  
 والخِضْب، وتمدَّن فيهم، وبُنيت به القلعة السَّامِيَّة، ونُسب إليه ذلك المجد، فهم  
 يُعرفون ببلدنا بَبْنِي المُنْتَفِرِدِين. واستقرَّ منهم جَدُّنا الأعلى بَلَوْشَة خطيبًا وقاضيًا  
 بالصُّقْع ومُشاوَرًا<sup>(٥)</sup>، وهو المُضَاف إلى اسمه التَّسْوِيد بَلَوْشَة عُزْفًا كأنه اسمُ مُرْكَب،  
 فلا يقول أحد منهم في القديم إلَّا سَيِّدِي سعيد. كذا تعرَّفنا من المشيخة، وإليه  
 النُّسْبَة اليوم، وبه يُعرف خَلَفُهُ ببني الخطيب، وكان صالحًا فاضلًا، من أهل العلم  
 والعمل. حدَّثني الشيخ المُسَنِّ أبو الحكم المتنفريدي، وقد وقَّفني على جِدار بُرْج  
 ببعض أَمْلَكانا بها، على الطَّرِيق الآتية من غرناطة إلى لُوشَة، ثم إلى غيرها،  
 كإشِبِيلِيَّة وسواها، فقال: كان جَدُّكَ يسكن بهذا البُرج كذا من فصول العام، ويتلو  
 القرآن ليلاً، فلا يتمالك المارُّون على الطَّرِيق، أن يقربوا إضغَاءً لِحُسْنِ تِلَاوَتِهِ

(١) في البغية: «كثُر».

(٢) ترجمة عبد الله بن سعيد السلماني في نفع الطيب (ج ٧ ص ١٣).

(٣) في الأصل: «وغيرهم».

(٤) اسمه بالإسبانية: Montefrio، ويعني الجبل البارد.

(٥) المشاور: هو من كان يتقلد خطة الشورى، التابعة للقضاء.

وَحُشَوْعًا. وكان ولده عبد الله بعده، على وَتِيرَة حسنة من الخير والتباهة وطيب الطعمة، ثم جدّه الأقرب سعيد على سُنَّته، مُرِبٌ عليه بمزيد المعرفة، وَحُسْنِ الخَطِّ. ولما وقع بلوشة بِلْدِهِ، ما هو معروف من ثورة أصهارهم من بني الطَّنْجالي، وكان بينهم ما يكون بين الفحول في الهجمات من التشاجر، فرَّ عنهم خيفةً على نفسه، وعلى ذلك فناله اعتقال طويل، عدا به عليه عن تلك الثورة. ثم بان عُذْرُهُ، وَبُرِّتْ ساحته، واستظهر به السلطان، وأقام بغرناطة، مُكْرَمًا، مُؤَثَّرًا، مُؤْتَمَنًا، وصاهر في أشراف بَيُوتَاتِهَا، فكانت عنده بنتُ الوزير أبي العلى أضْحَى بن أضْحَى الهُمْداني، وتوفيت تحته، فَأُنْجِزَ له بسببها الحظُّ في الحمام الأعظم المنسوب إلى جدّها اليوم. ثم تزوج بنت القائد أبي جعفر أحمد بن محمد الجَعْدَالَة السَّلْمِي، أم الأب المُتْرَجِم به، ولها إلى السلطان ثاني ملوك بني نصر وعظيمهم<sup>(١)</sup> مَتَاتٌ بَيُوتَةُ الخُوْولة من جهة القَوَادِ الأَصْلَاءِ القرطبيين بني دحون، فَوَضَحَ القصد، وتأكدت الحُظُوة. وقد وَقَعَتْ الإشارة إلى ذلك كله في محلّه. ثم رَسَخَتْ لولده أبي، القِدَمُ في الخِدْمَة والعناية، حسبما يتقرَّر في موضعه.

حاله: كان، رحمه الله، فذًا في حُسن الشكل والأُبْهة، وطلاقة اللسان، ونصاعة الظُّرف، وحضور الجواب، وطيب المجالسة، وثُقُوب الفهم، مُشَارًا إليه في الحلاوة وعُدُوبة الفُكاهة، واسترسال الانبساط، مُغْنِيًا في ميدان الدُّعابة، جَزَلًا، مَهِيًا، صارمًا، مُتَجَنِّدًا، رائق الخُصْل رَكْضًا وثقافةً، وعُدُوًا وسباحةً وَشَطْرُنْجًا، حافظًا للمثل واللغة، إخباريًا، مضطلعًا بالتاريخ، ناظمًا ناثرًا، جميل البِزَّة، فارِه المزكَب، مليح الشَّيْطَة. نشأ بغرناطة تحت تَرْفٍ وِنعمة، من جهة أُمِّه وأبيه، وقرأ على أبي إسحاق بن زُرْقَال، وأبي الحسن البَلُوطي، ثم على أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزُّبَيْر، ظاهرة عليه مُخَيَّلَة النَّجَابَة والإدراك. ثم أَقْصَرَ لعدم الحامل على الدُّووب، وانتقل إلى بَلَد سَلْفِهِ، متحيِّفًا الكثير من الأصول في باب البَذَل وقِرَى الضُّيُوف، ومُدَاوِمَة الصَّيْد، وإيثار الراحة، مُعْتَمِدًا بالتَّجَلَّة، مَقْصُود الجِلَّة، مخطوب المُدَاخِلَة، من أبناء أشراف الدولة، مُنْتَجِعًا لأولي الكُدِيَة. ولما قام بالأمر السلطان، أمير المسلمين أبو الوليد، وأُمُّه بنت السلطان ثاني الملوك من بني نصر، جَزَمَ ما تقدَّم من المَتَات والوسيلة، اسْتَنْهَضَهُ للإعانة على أمرِهِ، وجعل طريقه على بِلْدِهِ، فَحَطَبَ في حَبْلِهِ، وتمسَّك بدعوته، واغتمده بنزله وضيافته، وكان أعْظَم الأسباب في حُصول الأمر بيده، ودخوله

(١) الصواب ثاني سلاطين بني نصر، وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، الذي حكم غرناطة من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. اللوحة البدرية (ص ٥٠).

في حكمه، وانتقل إلى حضرة المُلْك بانتقاله، فنال ما شاء من اصطناعه وحُطوته، وجرى له هذا الرّسم في أيام من خَلَفَه من ولده إلى يوم الوقعة الكبرى بطريف تاريخ فُقده.

وجرى ذكره في كتاب «الإكليل» بما نصه<sup>(١)</sup>: إن طال الكلام، وجمحت الأقلام، كنت كما قيل: مَادِحُ نفسه يُفَرِّكُ السلام، وإن أَحَجَمْتُ، فما أُسَدِّتُ في الثَّناء ولا أَلَحَمْتُ، وَأَضَعْتُ الحقوق، وَخَفْتُ وَمَعَاذَ اللَّهِ الْعُقُوق. هذا، ولو أَنِّي زَجَرْتُ طَيْرَ الْبَيَانِ مِنْ أَوْكَارِهِ، وَجِئْتُهُ<sup>(٢)</sup> بعيون الإحسان وأبكاره، لما قَضَيْتُ حَقَّهُ بعد، ولا قُلْتُ إِلَّا التي علمت سَعْدُ<sup>(٣)</sup>. فقد كان، رحمه الله، ذَمِرٌ<sup>(٤)</sup> عزم، وَرَجُلٌ رخاء وأزم، تروق أنوار خِلاله الباهرة، وتُضيء مجالس الملوك من صُورَتَيْهِ الباطنة والظاهرة، ذكاء يتوقّد، وَطَلَاقَةٌ يحسد نورها الْفَرْقَد. فَقَدْتُهُ<sup>(٥)</sup> بكائنة طريف<sup>(٦)</sup>، جَبَر الله عِثَارَهَا، وَعَجَّلَ ثَارَهَا.

حدّث خطيب المسجد الأعظم، وهو ما هو، من وفور العقل، وصحة الثقل، قال: مررت بأبيك بعد ما تمت الكُسرة، وخُذلت تلك الأسرة، وقد كبا بأخيك الطّرف، وعُرض عليه الحِمام للصرّف، والشيخ رحمه الله لم تَزَلْ قدمه، ولا راعه الموقف وعِظْمُهُ. ولما آيس من الخلاص وطُلابه، صَرَفَنِي وقال: أنا أولى به، ففضى سعيًا شهيدًا، لم يَسْتَنْفِرْ الهول، ولم يُثْنِه ولا رضي عار الفرار عن ابنه.

شعره: قال في «الإكليل»<sup>(٧)</sup>: وكان<sup>(٨)</sup> له في الأدب فريضة، وفي النّادرة العذبة منادح عريضة. تكلمت يومًا بين يديه، في مسائل من الطب، وأنشدته أبياتًا من شعري<sup>(٩)</sup>، وقرأتُ عليه رُقاعًا من إنشائي، فسرّ وتهلّل، وعبر عما أمل، وما برح أن

(١) النص في نفع الطيب (ج ٧ ص ١٤). (٢) في النفع: «وجئت بَعُون...».

(٣) أخذه من قول الحطينة [الطويل]:

وتعذّلني أفناء سعدٍ عليهم ولا قلت إلاّ بالتي علمت سَعْدُ  
ديوان الحطينة (ص ٣٢٩).

(٤) الذمير، بفتح الذال وكسر الميم: الشجاع والداهية. لسان العرب (ذمر).

(٥) من هنا حتى قوله: «عار الفرار عن ابنه» ساقط في النفع.

(٦) كائنة طريف أو موقعة طريف: هي الموقعة الشهيرة التي كانت بين الإسبان وبني مرين، وكان مع بني مرين قوات الأندلس بقيادة السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصرى، سنة ٧٤١ هـ، وكانت الهزيمة فيها للمسلمين. اللوحة البدرية (ص ١٠٥ - ١٠٦).

(٧) النص نثرًا وشعرًا في نفع الطيب (ج ٧ ص ١٤ - ١٥).

(٨) في النفع: «وكانت».

(٩) في النفع: «شعري ورقاعًا من إنشائي فتهلّل وما برح أن ارتجل».

ارتجل قوله رحمة الله عليه: [مخلع البسيط]

الطَّبُّ والشَّعْرُ والكَتَابَةُ      سِمَاتُنَا فِي بَنِي النَّجَابَةِ  
هُنَّ ثَلَاثٌ مُبَلَّغَاتٌ      مَرَاتِبًا بَعْضُهَا الْحِجَابَةُ

وَوَقَّعَ لِي يَوْمًا بِخَطِّهِ عَلَى ظَهَرِ آيَاتٍ، بَعَثَهَا إِلَيْهِ، أَعْرَضَ عَلَيْهِ نَمَطَهَا: [الكامل]

وَرَدَّتْ كَمَا وَرَدَ النَّسِيمُ بِسَحْرِهِ<sup>(١)</sup>      عَنْ رَوْضَةٍ جَادَ الْغَمَامُ رُبَاهَا  
فَكَأَنَّمَا<sup>(٢)</sup> هَارُوثٌ أَوْدَعَ سِحْرَهُ      فِيهَا وَأَثَرَهَا بِهِ وَحَبَاهَا  
مَصْقُولَةُ الْأَلْفَاظِ يَبْهَرُ حُسْنُهَا      فَبِمِثْلِهَا<sup>(٣)</sup> افْتَخَرَ الْبَلِيعُ وَبَاهَى  
فَقَرَّرْتُ عَيْنًا عِنْدَ رُؤْيَا حُسْنِهَا      إِنِّي أَبُوكَ وَكُنْتُ أَنْتَ أَبَاهَا  
وَمِنْ شِعْرِهِ<sup>(٤)</sup> قَوْلُهُ: [الوافر]

وَقَالُوا قَدْ نَأَوَّا<sup>(٥)</sup>: فَاضْبِرْ سَتَشْفِي      فَتَرِيَاقُ الْهَوَى بُغْدُ الدِّيَارِ  
فَقُلْتُ: هَبُوا بِأَنَّ الْحَقَّ هَذَا      فَقَلْبِي يَمُمُّو فَيَمَّ اصْطِبَارِي<sup>(٦)</sup>؟  
وَمِنْ قَوْلِهِ مِمَّا يَجْرِي مَجْرَى الْحُكْمِ وَالْأَمْثَالِ<sup>(٧)</sup>: [السريع]

عَلَيْكَ بِالصَّمْتِ فَكَمْ نَاطِقٍ      كَلَامُهُ أَدَّى إِلَى كَلْمِهِ<sup>(٨)</sup>  
إِنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ أَهْدَى إِلَى      غِرَّتِهِ وَاللَّهُ مِنْ خَضَمِهِ  
يُرَى صَغِيرَ الْجَزْمِ مُسْتَضْعَفًا      وَجُزْمُهُ أَكْبَرُ مِنْ جِزْمِهِ  
وَقَالَ وَهُوَ مِنَ الْمُسْتَحْسَنِ فِي التَّجْنِيسِ<sup>(٩)</sup>: [الخفيف]

أَنَا بِالذُّهْرِ، يَا بَنِيَّ، خَبِيرٌ      فَلِذَا شَتَّتَ عِلْمَهُ فَتَعَالَى  
كَمْ مَلِكٍ قَدْ ارْتَغَى<sup>(١٠)</sup> مِنْهُ رَوْضَا      لَمْ يَدَافِعْ عَنْهُ الرَّدَى<sup>(١١)</sup> مَا ارْتَغَى لَا  
كُلُّ شَيْءٍ تَرَاهُ يَفْنَى وَيَبْقَى      رَبُّنَا اللَّهُ ذُو الْجَلَالِ تَعَالَى  
أُنَشِدُنِي هَاتَيْنِ الْمَقْطُوعَتَيْنِ.

(١) في النفع: «... كما صدر النسيمُ بسحرة». (٢) في النفع: «وكأنما».

(٣) في الأصل: «بمثلا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) في النفع: «ومن نظمه قوله». (٥) في النفع: «قد دنا».

(٦) في النفع: «بقلبي يمموا فيمَّ اصطباري». (٧) اكتفى في النفع بقوله: «وقال».

(٨) الكلّم، يفتح الكاف وسكون اللام: الجرح. القاموس المحيط (كلم).

(٩) اكتفى المقرئ بالقول: «وقال». (١٠) في النفع: «ارتعى» بالعين غير المعجمة.

(١١) في الأصل: «الرحمن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

مولده: ولد بحضرة غرناطة في جمادى الأولى من عام اثنين وسبعين وستمائة.

وفاته: بعد<sup>(١)</sup> يوم الواقعة الكبرى على المسلمين بظاهر طريف يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى عام واحد وأربعين وسبعمائة.

من رثاه: قلت في رثائه من قصيدة أولها<sup>(٢)</sup>: [الطويل]

وللدهر كَفْتُ تستردُّ الذي تُغطي	سِهَامُ المنايا لا تطيشُ ولا تُخطي
فلا بُدُّ يوماً أن نحلَّ على الشُّطِّ	وإنَّا كنَّا على ثَبَجِ الدُّنَا
ومن أشرعَ السَّيرِ الحثيثِ ومن يُنْطِي <sup>(٣)</sup>	وسِيَّانِ ذُلِّ الْفَقْرِ أو عِزَّةِ الْغِنَى
فلم يُغنِ رَبُّ السَّيْفِ عن رَبِّةِ الْقَرْطِ	تساوى على وَزْدِ الرَّدَى كلُّ وارِدِ

وقال شيخنا أبو زكريا بن هذيل من قصيدة يرثيه بها<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

إذا قُلْتُ أبياتاً حسناً من الشعر؟	إذا أنا لم أزل الصديق فما عُدري
وأجريتُ دمعي لليراع <sup>(٥)</sup> عن الجبر	ولو كان شعري لم يكن غير نُذْبَةٍ
توخَّيْتُهَا عَوْنًا على نُوبِ الدَّهْرِ	لَمَا كُنْتُ أَقْضِي حَقَّ صُخْبَتِهِ التي
بداهيةَ دَهْيَاءَ <sup>(٦)</sup> قاصِمةَ الظُّهْرِ	رمانِي عَبْدُ اللَّهِ يومَ ودَاعِهِ
فإن لم يوفِ دمعي فقد خانني صَبْرِي	قطعتُ رجائي حين صَحَّ حديثُهُ
أبْتُ له هَمِّي وأودِعُهُ سِرِّي؟	وهل مؤنسٌ كابن الخطيب لو خَشْتِي

عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جُزَي<sup>(٧)</sup>

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، وقد مرَّ ذكر أبيه شيخنا وأخوه، وتقرَّرت نباهة بَيَّتِهِمْ.

(١) في النفع: «وفقد يوم...».

(٢) الأبيات في نفع الطيب (ج ٧ ص ١٥ - ١٦).

(٣) في الأصل: «يبط» بالكسر، والتصويب من النفع. وترتيب هذا البيت في النفع بعد البيت التالي.

(٤) الأبيات في نفع الطيب (ج ٧ ص ١٦).

(٥) اليراع: القصب، والمراد القلم. محيط المحيط (يرع).

(٦) الدهياء: الشديدة القاسية. لسان العرب (دها).

(٧) ترجمة ابن جزي في الكتيبة الكامنة (ص ٩٦) ونيل الابتهاج (ص ١٢٩) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٨٤).

حاله: هذا<sup>(١)</sup> الفاضل قريع بيت نبيه، وسلف شهير، وأبوة خيرة<sup>(٢)</sup>، وأخوة بليغة، وخؤولة تميزت من السلطات بحظوة. أديب حافظ، قام على فن العربية، مشارك في فنون لسانیة سواه، طرّف<sup>(٣)</sup> في الإدراك، جيد النظم، مطّوع القريحة، باطنه ثبل، وظاهره غفلة. قعد للإقراء ببلده غرناطة، مُعيداً ومُستقلاً، ثم تقدّم للقضاء بجهات نبيهة، على زمن الحداثة، وهو لهذا العهد مخطوب رتبة، وجارٍ إلى غاية، وعين من أعيان البلدة.

مشيخته: أخذ عن والده الأستاذ الشهير<sup>(٤)</sup> أبي القاسم حديث الرحمة بشرطه، وسمع عليه على صغر السن، أبعاضاً من كتب عدة في فنون مختلفة، كبعض صحيح مسلم، وبعض صحيح البخاري، وبعض الجامع للترمذي، وبعض السنن للنسائي، وبعض سنن أبي داود، وبعض موطأ مالك بن أنس، وبعض الشفاء ليعياض، وبعض الشمائل للترمذي، وبعض الأعلام للثميري، وبعض المشرح السلس في الحديث المسلسل لابن أبي الأحوص، وبعض كتاب التيسير لأبي عمرو الداني، وبعض كتاب التبصرة للمكي، وبعض الكافي لابن شريح، وبعض الهداية للمهدي، وبعض التلخيص للطبري، وبعض كتاب الدلالة في إثبات النبوة والرسالة لأبي عامر بن ربيع، وبعض كتاب حلبة الأسانيد وبغية التلاميذ لابن الكماد، وبعض كتاب وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم من تواليف والده، وبعض القوانين الفقهية، وبعض كتاب الدعوات والأذكار، وبعض كتاب الثور المبين في قواعد عقائد الدين من تأليفه، وبعض تقريب الوصول إلى علم الأصول، وبعض كتاب الصلاة، وبعض كتاب الأنوار السنية في الكلمات السنية، وبعض كتاب برنامج. كل ذلك من تأليف والده، رحمه الله. وأجاز له رواية الكتب المذكورة عنه، مع رواية جميع مزيّاته وتوابعه وتقييداته، إجازة عامة. ولقّنه في صغره جملة من الأحاديث النبوية والمسائل الفقهية، والمقطوعات الشعرية.

ومنهم قاضي الجماعة أبو البركات بن الحاج، حدّثه بالمرية حديث الرحمة بشرطه، وسمع عليه بها وبغرناطة عدّة من أبعاض كتب، وأجازة عامة، وأنشده من شعره، وشعر غيره. ومنهم قاضي الجماعة الشريف أبو القاسم، لازمه مدة القراءة عليه، واستفاد منه، وتفقه عليه بقراءة غيره في كثير من النصف الثاني من كتاب سيبويه، وفي كثير من النصف الثاني من كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، وفي

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٨٤).

(٢) في النفح: «خير».

(٣) في النفح: «ظرف».

(٤) في النفح: «الشهير الشهيد».

كثير من كتاب التسهيل لابن مالك، وفي القصيدة الخَزَرَجِيَّة في العَرُوض، وسمع من لفظه الرُّبْع الواحد أو نحوه من تأليفه شرح مَقْصُورَة حازم، وتفقه عليه فيه، وأنشده كثيرًا من شعره وشعر غيره. ومنهم الأستاذ أبو عبد الله البيّاني، لازمه مدة القراءة عليه، وتفقه عليه بقراءته في كتاب التسهيل البديع في اختصار التفرّيع إلّا يسيرًا منه، وتفقه عليه بقراءة غيره في أبعاض من كتب فقهية وغيرها، ككتاب التهذيب، وكتاب الجواهر الثمينة، وكتاب التفرّيع، وكتاب الرسالة لابن أبي زيد، وكتاب الأحكام لابن العربي، وكتاب شرح العُمدة لابن دَقِيق العِيد، وغير ذلك مما يطول ذكره. ومنهم الأستاذ الأعرف الشهير أبو سعيد بن لب، تفقه عليه بقراءته في جميع النصف الثاني من كتاب الإيضاح للفارسي، وفي كثير من النصف الأول من كتاب سيبويه، وتفقه عليه بقراءة غيره في أبعاض من كتب عدة، في فنون مختلفة، كالمُدَوْنَة والجواهر، وكتاب ابن الحاجب، وكتاب الثَّقَلَيْن، وكتاب الجُمْل، وكتاب التسهيل والتنقيح، والشَّاطِئِيَّة، وكتاب العُمدة في الحديث وغير ذلك. ومنهم الشيخ المقرئ المحدث أبو عبد الله محمد بن بيّش، سمع عليه بقراءة أخيه الكاتب أبي عبد الله محمد، جميع كتاب الموطأ، وكتاب الشُّفا إلّا يسيرًا منه، وأجازه روايتهما عنه، ورواية جميع مَرْوِيَّاته، إجازة عامة، وأنشده جملة من شعره وشعر غيره. وممن أجازه عامة، رئيس الكتاب أبو الحسن بن الجيّاب، وقاضي الجماعة أبو عبد الله بن يحيى بن بكر الأشعري، والخطيب أبو علي القرشي، والأستاذ أبو محمد بن سَلْمُون، والحاج الراوية أبو جعفر بن جابر، والشيخ القاضي أبو جعفر أحمد بن عَتِيق الشَّاطِطِي الأَزْدِي، والقاضي الكاتب البارع أبو بكر بن شُبْرِين، والقاضي الخطيب الأستاذ الراوية أبو بكر بن الشيخ الخطيب الصالح أبي جعفر بن الزيّات، والقاضي الخطيب أبو محمد بن محمد بن الصّايغ. وممن كتب له بالإجازة من المشايخ، شيخ المشايخ أثير الدين أبو حيّان محمد بن يوسف بن حيّان، وقاضي الجماعة بفاس محمد بن محمد بن أحمد المقرئ، ورئيس الكتاب أبو محمد الحَضْرَمِي، وجماعة سوى من ذُكر من أهل المشرق والمغرب.

شعره: وشعره نبيل الأغراض، حسن المقاصد. فمن ذلك قوله: [الطويل]

سَنَى اللَّيْلَةَ الْعَرَاءَ<sup>(١)</sup> وَأَفْتَنَكَ بِالْبُشْرَى وَأَبْدَى بِهَا<sup>(٢)</sup> وَجْهَ الْقَبُولِ لَكَ الْبُشْرَا

(١) في الأصل: «الغراء»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «منها»، وكذا ينكسر الوزن.



تَهْلَلُ وَجْهَ الكون من طَرَبِ بها  
لها المِئنة العظمى بميلاد أحمد  
طوى سِرَّهُ في صَدْره الدَّهْرُ مُدَّةً  
حوى شهرة الفضل الشهير وفضله  
لقد كان ليلُ الكُفْرِ في الليل قد جفا  
وفي ليلة الميلاد لاحَتْ شواهد  
لقد أَخْمَدَتْ أنوارها نارُ فارس  
له معجزات يُعْجِزُ القَلْبُ كَنُهَا  
معالي يكلُ الشَّعْرُ عن نَيْلٍ وَضَفَهَا  
به بَشَرُ الرُّسُلِ الكرام ولم تزل  
ففي الصُّحُفِ الأولى مناقِبُه العلى  
لقد خَصَّه مولاة بالقُرب والرضى  
وردَّ عليه الشمس بعد غروبها  
وكان له في مائه وطعامه  
غدا الماء من بين الأصابع نابعا  
وكم نائل أولَى وكم سائل حبا  
كفى شاهداً أَنْ رَدَّ عَيْنَ قتادة  
وَحَنَّ إليه الجِدْعُ عند فراقه  
وحقَّ له إذ بان عنه حبيبُه  
خليلي، والدنيا تُجَدِّدُ للفقير  
بَعْيَشِكُما هل لي إلى أرض طيبة  
منى النفس<sup>(٥)</sup> مِنْ تلك المعاهد زُورَة  
وتعفير خُدِّي في عروق تُرابها

وأشْرقتِ الدُّنيا<sup>(١)</sup> بَعْرَتِها العَرَا  
لها الرُّتبة العُلْيا لها العِزَّة الكُبرا  
فوافى ربيعاً ناشراً ذلك السَّرا  
فأخسِنَ به فضلاً وأعْظَمَ به شَهْرا  
فأطْلَعَ منه في سَمَةِ<sup>(٢)</sup> الهدى فَجْرا  
قَضَتْ أَنْ دِينَ الكُفْرِ قد أَبْطَلَ الكُفْرا  
وَأَزَجَتْ<sup>(٣)</sup> كما ازْتَجَّ إيوانه كِسْرى  
ويُخَصِّرُ إنَّ رام اللسان لها حَضْرا  
وتَقْصُرُ عن إدراك مصعده الشَّغْرى  
شمائله تُثْلِي وآيائه تُثْرى  
وفي الذكر آياتٌ خَصَّتْ<sup>(٤)</sup> له قَدْرا  
وَحَسْبُكَ ما قد نَصَّ في النُّجْم والإسْرا  
وشقَّ على رغم العُدَّة له البَذْرا  
لطائفُ رِئَائيَّة تَبْهَرُ الفِكْرا  
وعاد قليل الزَّاد من يُمنه كَثْرا  
وكم مُشْتَكٍ أَشْفَى وكم مُذِنِفٌ أَبْرى!  
فكان لها الفضلُ المَبِينُ على الأُخرى  
ولا حَتَّتِ الحَنَساءُ إذ فارَقَتْ صَخْرا  
ومَنْ ذاق طعم الوُضْلِ لم يَحْمِلِ الهَجْرا  
ضروباً من الأشواق لو تنفع الذِّكْرى  
سَبِيلٌ؟ فأما الصَّبْرُ عنها فلا صَبْرا  
أَبْتُ بها شَكْوَى وأشكو بها وَزْرا  
لِيَمْحُوَ لي ذَنْباً وَيُثْبِتَ لي أَجْرا

(١) في الأصل: «للدنا»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) السَّمة والسَّمة: الأست.

(٣) أصل القول: «وأزجف»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «رخص» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) في الأصل: «للنفس»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

تُعَلِّلَنِي نَفْسِي بِإِدْرَاكِهَا الْمُنَى  
وَمَنْ كَانَتْ الْأَمَالُ أَقْصَى اجْتِهَادِهِ  
وَكَمْ زَجَرَتْهَا وَاعْظَاتُ زَمَانِهَا  
وَكُنْتُ لَهَا عَضْرُ الشَّبِيبة عَاذِرًا  
وَأَمَّا وَقَدْ وَلْتُ ثَلَاثُونَ حِجَّةً  
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ سِوَى النَّفْسِ طَائِعًا  
وَلَمْ أَذْخَرْ إِلَّا شِفَاعَةَ أَحْمَدٍ  
لَقَدْ عَلِقْتُ<sup>(١)</sup> كَفُّ الرِّجَاءِ بِحَمَلِهِ  
هُوَ الْمُرْتَضَى الدَّاعِي إِلَى مَنَهِجِ الرِّضَا  
هُوَ الْحَاسِرُ الْمَاحِي الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى  
بِأَيِّ كَلَامٍ يَبْلُغُ الْمَرْءُ وَضَفَّ مَنْ  
خِلَالَ إِذَا الْأَفْكَارُ جَاسَتْ خِلَالَهَا  
لَقَدْ غَضَّ طَرْفَ النُّجْمِ بَاهِرُهَا سَتَى  
سَقَى لَيْلَةً حَيْثُ بِهِ وَاكِفَ الْحَيَا  
لَقَدْ خَصَّهَا سَنَدُ الْإِلَهِ بِرَحْمَةٍ  
أَقْنَتَ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ حَقُوقَهَا  
لَقَدْ سِرَّتْ فِيهَا إِذْ أَتَيْتُكَ بِسِرِّهِ  
عَرَفْتُ بِهَا حَقَّ الَّذِي عُرِفْتُ بِهِ  
وَأَضْحَبْتُهَا الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ وَالتَّقَى  
لَدَى مَضْنَعِ مَلَأَ<sup>(٢)</sup> الْعَيُونَ مُحَاسِنًا  
مِنْهَا بَعْدَ أَبْيَاتٍ فِي الْمَدْحِ لِلْمُلْطَانِ:

وَمَا أَجْهَدَتْ عَيْشًا وَلَا مُلْكَتْ قَفْرًا  
غَدَتْ كَفُّهُ مِمَّا تَأْمَلُهُ صِفْرًا  
فَمَا سَمِعْتُ وَغَطًّا وَلَا قَبِلْتُ زَجْرًا  
سَقَاهُ الْحَيَا مَا كَانَ أَقْصَرُهُ عَضْرًا  
فَلَسْتُ أَرَى لِلنَّفْسِ مِنْ بَعْدِهَا عُذْرًا  
فَلَا بُدَّ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ تَرْكِهِ قَسْرًا  
لِتَخْفِيفِ وَزْرِ شَدِّ مَا أَوْثَقَ الظُّهْرَا  
لَعَلَّ كَسِيرَ الْقَلْبِ يَقْلِيهِ بِرَّأ  
هُوَ الْمَصْطَفَى الْهَادِي الْمُسَيَّرَ لِلْيُسْرَى  
هُوَ الشَّافِعُ الْوَاقِي إِذَا شُهِرَ الْحَشْرَا  
مَكَارِمُهُ تَسْتَغْرِقُ النُّظْمَ وَالتُّشْرَا  
تَكْرُرُ عَلَى الْأَعْقَابِ خَاسِئَةً خُسْرَا  
وَأَرْغَمَ أَنْفَ الرُّوْضِ عَاطِرُهَا نَشْرَا  
فَتَنَعَّمَاوَهَا مَا إِنْ يَحِيطُ بِهَا شُكْرَا  
فَعَمَّتْ بِهَا الدُّنْيَا وَسُكَّانُهَا طُرَا  
بِأَفْعَالٍ بَرٍّ أَضْحَكْتُ لِلْهُدَى تَغْرَا  
أَقَرْتُ لَهَا عَيْنًا وَسَرَّتْ لَهَا صَدْرَا  
فَأَحْسَنْتُهَا شُكْرًا وَأَوْلَيْتُهَا بِرَّأ  
وَأَغَقَبَهَا الْإِحْسَانَ وَالتَّائِلَ الْغَمْرَا  
تَجَسَّمَ فِيهِ السُّخْرُ حَتَّى بَدَا قَضْرَا

أَعَادَ لَنَا ذَهَمَ اللَّيَالِي بِهَا غَرَا  
بِهِمْ نَصَرَ الرَّحْمَنُ دِينَ الْهُدَى نَضْرَا  
لَقِيَتْ الْجَنَابَ السَّهْلَ وَالْمَغْقِلَ الْوَعْرَا  
فَسَلَّ أَحَدًا يُنْبِيكَ عَنْهُمْ وَسَلَّ بَذْرَا

رَوَى عَنْ أَبِي الْحِجَاجِ غُرُّ شَمَائِلِ  
وَمَنْ كَبَّنِي نَصَرَ جَلَالُهُ مَنْصِبِ  
هُمْ مَا هُمْ إِنْ تَلَقَّاهُمْ فِي مَهْمَةٍ  
سَلَالَةُ أَنْصَارِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

(١) فِي الْأَصْلِ: «عَاقَتْ»، وَكَذَا لَا يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ وَلَا الْمَعْنَى.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «مَلَأَ»، وَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ.

ومن شعره في المقطوعات، قال في التورية العروضية<sup>(١)</sup>: [الوافر]

لقد قَطَعْتَ قَلْبِي يا خليلي      بهجر طال منك على العليل  
ولكن ما عجيب منك هذا      إذ<sup>(٢)</sup> التَّقْطِيعُ من شأنِ الخليل<sup>(٣)</sup>

وقال في التورية النحوية<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

لقد كنتُ موصولاً فأبدلَ وَضَلَكُم      بهجرٍ وما مثلي على الهجر يضبرُ  
فما بالُكُم غَيْرْتُمُ عَبْدَكُم      وعهدي بالمحسوب ليس يُغَيَّرُ<sup>(٥)</sup>

وقال في التورية مداعباً بعض المقرئين للعدد وهو بديع<sup>(٤)</sup>: [الكامل]

يا ناصباً علِمَ الحسابِ جِبَالَهُ<sup>(٦)</sup>      لقناصِ ظَنَبِي ساحرِ الألبابِ  
إن كنتَ ترجو<sup>(٧)</sup> بالحسابِ وِصَالَهُ      فالبدر<sup>(٨)</sup> يَزُرُّقُنَا بغيرِ حسابِ

وقال في التورية العروضية<sup>(٤)</sup>: [المتقارب]

لقد كَمَلَ الوُدُّ ما<sup>(٩)</sup> بيننا      ودُمْنَا على فَرَحٍ شاملِ  
فإن دخلَ القَطْعُ في وِضْلنا      فقد يَدْخُلُ القَطْعُ في الكاملِ

وقال في تضمين مثل<sup>(٤)</sup>: [الوافر]

ألا أَكْثُمُ حُبِّ مَنْ أَخْبِنَتْ وَاضِبِرَ      فإنَّ الهَجَرَ يُخْذِلُهُ الكلامُ  
وإن أبداهُ دَمْعٌ أو نحوْلُ      فمن بَغْدِ اجتهادي<sup>(١٠)</sup> لا تُلَامُ

وقال<sup>(٤)</sup>: [السريع]

وأشْنَبِ الثُّغْرِ له وَجَنَّةٌ      تَعَدَّتِ السُّخْلُ على وَزْدها  
ما ذاكَ إِلَّا حَسْدُ<sup>(١١)</sup> إذ رَأَتْ      رُضابَهُ أَغْدَبَ مِنْ شَهِدها

(١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٩٦) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٨٥).

(٢) في الأصل: «إنه» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٣) أراد من التقطيع تقطيع قلبه، وورى بالتقطيع الذي يختص بالشعر والذي وصفه الخليل بن أحمد الفراهيدي.

(٤) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٩٧). (٥) في الكتيبة: «يتغير».

(٦) في الكتيبة: «جباله». (٧) في المصدر نفسه: «تُرْزَقُ».

(٨) في المصدر نفسه: «فأله».

(٩) كلمة «ما» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة.

(١٠) في الكتيبة: «اجتهادك». (١١) في الكتيبة: «حسدًا».

وقال في التورية بأسماء كُتِبَ فقهية جواباً غير مُعمًى<sup>(١)</sup>: [الطويل]

لك الله من خلّ حبانى برُقة  
رسالة رَمَزَ في الجمال نهاية<sup>(٢)</sup>  
حَبَثَنِي من أبياتها<sup>(٣)</sup> بالنوادر  
وخيرة نظمٍ أُنْجِفَتْ بالجواهر

وقال في التورية أيضاً<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

إلى الله أشكو عُذْرَ آلٍ تودّدي<sup>(٥)</sup>  
لقد خدعوني إذ أروني مودة  
إلَيَّ فلما لاح سِرِّي لهم حالوا  
ولكنه لا عَزَوْا أن يُخْدَعَ الآل

وقال يخاطب رجلاً من أصحابه<sup>(٦)</sup>: [الطويل]

أبا حَسَنِ<sup>(٧)</sup> إن شَتَّتَ الدُّهْرُ شَمْلَنَا  
وإن حُلَّتْ عن عهدِ الإخاءِ فلم يزلْ<sup>(٨)</sup>  
فليس لودّ في الفؤادِ<sup>(٩)</sup> شَتَاتُ  
لِقَلْبِي على حفظِ العُهودِ ثَبَاتُ  
وهَبْنِي سَرَتْ مِنِّي إِلَيْكَ إِسَاءَةٌ  
ألم تَتَقَدَّمْ قَبْلَهَا حَسَنَاتُ؟  
وقال في النسيب<sup>(١٠)</sup>: [الطويل]

لئن<sup>(١١)</sup> كان بابُ القُربِ قد سُدَّ بيننا  
وأخْفَرْتُ<sup>(١٢)</sup> عهدي دونِ ذَنْبِ جَنِيئَتِهِ  
ولم تَرُبْ لي عَمَّا<sup>(١٣)</sup> أُلَاقِي مِنَ الْأَسَى  
وضاقتْ بي الأحوالُ عن كلِّ وَجْهَةٍ  
ولم يَبْقَ لي في نَيْلِ وَضْلِكَ مَطْمَعُ  
وأضْبَحَ وُدِّي فيكَ وهو مُضْئِعُ  
وصِرْتُ أُنَادِي مِنْكَ مَنْ لَيْسَ يَسْمَعُ  
فما<sup>(١٤)</sup> أَرْتَجِي من رَحْمَةِ اللَّهِ أَوْسَعُ

(١) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٩٧). (٢) في الكتيبة: «أبناؤها».

(٣) في الكتيبة: «في الحجال مُهَابَةً ذَخِيرَةً نَظْمٍ...».

(٤) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٩٩).

(٥) في الأصل: «... أشكو عُذْرًا تودّذا»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٦) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩٨)، ووردت في أزهار الرياض (٣ ص ١٩٥) منسوبة إلى محمد بن جزي.

(٧) في الأصل: «أبا حَسَنٍ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة الكامنة وأزهار الرياض.

(٨) في أزهار الرياض: «بالفؤاد».

(٩) في أزهار الرياض: «أزل».

(١٠) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩٨).

(١١) في الأصل: «رآن» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(١٢) في الكتيبة: «وأخْفَرْتُ».

(١٣) في الكتيبة: «مما».

(١٤) في الكتيبة: «لما».

ومما نظمه في التّضمين مخاطبًا بعض المُتّحِلين للشعر قوله<sup>(١)</sup>: [الطويل]

لقد صرّت في غَضْبِ القصائد ما هرا      فما أَسْمُ جميع الشعرِ عندك غيرُ لي<sup>(٢)</sup>  
ولم تُبْقِ شعراً لأمريءٍ متقدّم<sup>(٣)</sup>      ولم تُبْقِ شعراً يا ابنِ بَشْتِ<sup>(٤)</sup> لأول  
فشيغَرَ جَرِيرٍ قد غَصَبَتْ ورؤية<sup>(٥)</sup>      وشعرَ ابنِ مَرْجِ الكُخْلِ وابنِ المُرَحَّلِ  
وإن دام هذا الأمرُ أصبَحْتَ تَدْعِي      (قفا بُنْكَ مِنْ ذِكْرِى حَبِيبٍ ومنزل)<sup>(٦)</sup>

## ومن المقرئين والعلماء

عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدي الكوّاب<sup>(٧)</sup>

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، الخطيب، المقرئ.

حاله: من «الصلة»: كان، رحمه الله، أثقن أهل زمانه في تجويد كتاب الله العزيز، وأبرعهم في ذلك، وأتقنهم للمتعلم، نفع الله به كل من قرأ عليه، وترك بعده جملة يرجع إليهم في ذلك، ويعمل على ما عندهم. وكان مع ذلك نبه الأغراض، في جميع ما يحتاج إليه في علمه، ذاكراً للاختيارات التي تنسب للمقرئين، من يرجح ويُعلّل، ويختار ويردّ، موفّقاً في ذلك، صابراً على التعليم، دائباً عليه نهاره وليله، ذاكراً لخلاف السبعة. رحل الناس إليه من كل مكان، خاصتهم وعامتهم، وملا بلدّه تجويداً وإتقاناً، وكان مع هذا فاضلاً ورعاً جليلاً. خطّب بجامع غرناطة وأمّ به مدة طويلة إلى حين وفاته.

مشيخته: أخذ القراءات عن الحاج أبي الحسين<sup>(٨)</sup> بن كوثر، وأبي خالد بن رفاعه، وأبي عبد الله بن عروس. ورحل إلى بياسة فأخذ بها القراءات عن أبي بكر بن حسون، وأخذ مع هؤلاء عن جعفر بن حَكَم، وأبي جعفر بن عبد الرحيم،

(١) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٩٨ - ٩٩).

(٢) في الأصل: «غزل» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٣) في الكتيبة: «متأخر». (٤) في الكتيبة: «فعل».

(٥) في الأصل: «ورويّه» والتصويب من الكتيبة.

(٦) هو صدر مطلع معلقة امرئ القيس، وعجزه:

بِسِقْطِ اللَّوْى بَيْنَ الدُّخُولِ وَحَزْمَلِ

ديوان امرئ القيس (ص ٨).

(٧) ترجمة عبد الله بن محمد العبدي الكوّاب في التكملة (ج ٤ ص ٢٩٦) وغاية النهاية (ج ١ ص ٤٤٧ رقم ١٨٦٦).

(٨) في التكملة: «أبي الحسن».

وأبى الحسن الصدفي الفاسي، وسمع عليه كثيراً من كتاب سيبويه تفقهاً، وأجاز له كتابة القاضي أبو بكر بن أبى جَمْرَة مع آخرين ممن أخذوا عنه.

مَنْ أَخَذَ عَنْهُ: روى عنه الناس أهل بلده وغيرهم، منهم ابن أبى الأخص، وأبو عبد الله بن إبراهيم المقرئ.

وفاته: توفي في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة<sup>(١)</sup>، ودفن بمقبرة باب البيرة.

### عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سلمون الكناني

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن سلمون.

حاله: كان، رحمه الله، نسيجاً وخده، ديناً وفضلاً، وتخلقاً ودمائة، ولين جانب، حسن اللقاء، سليم الباطن، مُغرَقاً في الخير، عظيم الهمة والقبول، كريم الطوية، عظيم الانقياد، طيب اللهجة، مُتَهَالِكاً في التماس الصالحين، يتقلب في ذلك بين الخطأ والإصابة، صَدْرًا في أهل الشورى. قرأ ببلده وسمع وأسمع وأقرأ، وكتب الشروط مدة، ماثور العدالة، معروف النزاهة، مثلاً في ذلك، ويقوم على العربية والفقه، خصوصاً باب البيوع، ويتقدم السباق في معرفة القراءات، منقطع القرين في ذلك، أشد الناس خُفُوقاً في الحوائج، وأسرعهم إلى المشاركة.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الكبير أبى جعفر بن الزبير بغرناطة، ولازمه، فانتفع به درايةً وروايةً. وقرأ على الخطيب أبى الحسن بن فضيلة، والمُكْتَب أبى الحسن البلوطي، وأبى محمد الثفري، والخطيب أبى جعفر الكحيلي. وبمألقة على الأستاذ أبى محمد الباهلي. وبسبنة على الأستاذ المقرئ رُحْلَة وقته أبى القاسم بن الطيب، وسمع عليه الكثير. وعلى الأستاذ أبى عبد الله الدراج، ولازم مجلس إقرائه، وعلى الشيخ المعمر أبى عبد الله بن الخطار الكامي، وهو أعلى مَنْ لقيه من تلك الحلبة. وأخذ بالإجازة عن العذل أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن الثولي، وروايته عالية. لقي أبا الربيع بن سالم، ولقي بسبنة الشريف الراوية أبا علي الحسن بن أبى الشرف ربيع، والأديب الكاتب أبا علي الحسين بن عتيق بن الحسين بن رَشِيق. وبفاس الفقيه أبا غالب محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلي. وقرأ على الخطيب المحدث أبى عبد الله بن رُشيد. وسمع على ذي الوزارتين أبى عبد الله بن الحكيم. ولقي الأديب المعمر مالك بن المرخل. وأجازه أبو عمران موسى بن الخطيب أبى الحسن

(١) في التكملة: «وتوفي سنة ٦٣١ وهو ابن خمس وسبعين سنة».

الدَّارِي بَرُنْدَة. وأجازه من أهل المشرق كثير، منهم عز الدين أحمد بن محمد الحسن بن بقية الأشراف بالديار المصرية، وجمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري، ونجم الدين أحمد بن حمدان الحرّاني، وجمال الدين أحمد بن أبي الفتح الشَّيباني، وأحمد بن عبد المنعم الصُّوفي، ومولده عام أحد وستمائة، وأحمد بن سلمان بن أحمد المقدسي، وأحمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي، وشمس الدين إبراهيم بن سرور المقدسي، والخطيب بالمسجد الأعظم ببجاية أبو عبد الله بن صالح الكِناني، وأبو عبد الله محمد بن أبي خمسة محمد بن البكري بن أبي بكر، وأبو عبد الله محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القُشيري، وابن دقيق العيد تقي الدين، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة، والشيخة الصالحة أم محمد عائشة بنت أبي الخطاب محمد بن أحمد بن خليل السُّكوني. وأجازه نحو من المائتين من أهل المشرق والمغرب. ولقي بفاس الشَّيخة الأدبية الطيبة الشاعرة سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحليّة وأجازته، وألَبَسَتْهُ خِرْقَة التَّصَوُّف.

قال: وأنشدتني قصيدة أجابت بها الخطيب المحدث أبا عبد الله بن رُشيد، أولها يعني قصيدة ابن رُشيد: [السريع]

سرى نَسِيمٌ مِنْ جِمَى سارة	عاد به كلُّ نَسِيمٍ عاطرا
وجال أفكار الدُّنَا ذكرها	فسار فيها مثلاً سائرا
دائرة والمَجْدُ قُطْبٌ لها	دارث عليه فَلَكَا دائرا

فقالَت:

وافى قريضٌ مِنْكُمْ مَذا غدا	لبعض أوصافِكُمْ ذاكرا
أَظْلَعَ مِنْ أنفاسه حَجْجُوا <sup>(١)</sup>	وَمِنْ شَذَاهُ نَفْسًا عاطرا
أعاد مَيِّتَ الْفِكْرِ من خاطري	من بَعْدَ دَفْنٍ في الثُّرى ناشرا
يَبْهَرُ طَرْفِي حُسْنُ مَنْظَره	أَخْبَبَ به نَظْمًا غدا باهرا
فقلتُ لَمَّا <sup>(٢)</sup> هالني حُسْنُه	أشاعرا أصبح أم ساحرا؟
أم روضةً هذي التي قد نوى؟	أم بَذُرٌ تَمَّ قد بدا زاهرا؟
أم ضَرْبٌ <sup>(٣)</sup> من فمه سائل؟	أم جوهر أضْحى لنا نائرا؟

(١) في الأصل: «الحجا»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «لها»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) الضَرْبُ، بفتح الضاد والراء: العسل الأبيض.

لله ما أَغْدَبَ أَلْفَاظُهُ      وَأَثَوَرَ الْبَاطِنَ وَالظَّاهِرَا!  
 يا ابن رُشيد، بل أبا الرُّشد،      مَنْ لَمْ يَزَلْ لَطِيَّ الْعُلَا نَاشِرَا<sup>(١)</sup>  
 خُذْ مَا فَدَتْكَ النَّفْسُ يَا سَيِّدِي      وَكُنْ لِمَنْ نَظَّمَهَا عَاذِرَا  
 ما تصل الأُنثَى بِتَقْصِيرِهَا      لِأَنْ تُبَارِي ذَكَرًا مَاهِرَا  
 لَا زِلْتُ تُحْيِي مِنْ رُسُومِ الْعُلَا      مَا كَانَ مِنْهَا دَارِسًا دَاثِرَا

تصانيفه: الكتاب المسمى بـ «الشافى في تجربة ما وقع من الخلاف بين التيسير والتبصرة والكافى» لا نظير له.

مولده: ولد بغرناطة بلده في الثاني والعشرين لذي قعدة من عام تسعة وستين وستمائة.

وفاته: فُقد في الوقعة العظمى بطريف يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى من عام أحد وأربعين وسبعمائة. حَدَّثَ بعض الجند أنه رآه يتحامل، وَجُرُحٌ بِصَدْرِهِ يَتَغَبَّ دَمًا، وهو رابط الجأش، فكان آخر العهد به، تقبل الله شهادته.

### عبد الله بن سهل الغرناطى<sup>(٢)</sup>

يكنى أبا محمد، ويُنَبِّزُ<sup>(٣)</sup> بوجه<sup>(٤)</sup> نافخ.

حاله: من كتاب ابن حمامة، قال: عُنِيَ بِعِلْمِ الْقُرْآنِ وَالنَّحْوِ وَالْحَدِيثِ عَنَاءَةً، وبهذا كنت أسمع الثناء عليه من الأشياخ في حال طفولتي بغرناطة، ثم شُهر بعد ذلك بِعِلْمِ الْمَنَطِقِ، والعلوم الرياضية، وسائر العلوم القديمة، وَعَظُمَ بِسَبَبِهَا، وامتدَّ صِيَّتُهُ مِنْ أَجْلِهَا، وأجمع المسلمون واليهود والنصارى أن ليس في زمانه مثله، ولا في كثير ممن تقدّمه، وبين هذه المِلَلِ الثلاثة من التّحاسد ما عُرِفَ. وكانت النصارى تقصده من طليطلة، تتعلّم منه أيام كان ببيّاسة<sup>(٥)</sup>، وله مع قسّيسهم مجالسٌ في

(١) في الأصل: «يا من لم يزل لَطِيَّ العلى ناشِرَا»، وكذا يتكرر الوزن.

(٢) ولد عبد الله بن سهل بغرناطة سنة ٤٩٠ هـ، وتوفي بمرسية سنة ٥٧١ هـ. ترجمته في التكملة

(ج ٢ ص ٢٧٠) والمعجم في أصحاب القاضي الصدفي (ص ٢٣٢).

(٣) في التكملة: «ويعرف» وكلاهما بمعنى.

(٤) في الأصل: «بالوجه» والتصويب من المصدرين.

(٥) بيّاسة: بالإسبانية Baeza، وهي مدينة ذات أسواق ومتاجر، وفيها الزعفران، تبعد عن جيان

عشرين ميلًا. الروض المعطار (ص ١٢١).



التناظر، حاز فيها قَصَب السَّبْق. قال: ثم خرج عن بيّاسة، وسار إلى نظر ابن هَمْشك<sup>(١)</sup> عند خروج النصارى عن بيّاسة. وله تواليف. وهو الآن بحاله.

قلت: تاريخ هذا القول، عام ثلاثة وخمسين وخمسمائة.

### عبد الله بن أيوب الأنصاري<sup>(٢)</sup>

يكنى أبا محمد، ويعرف بابن خدوج<sup>(٣)</sup>، من أهل قلعة أيوب<sup>(٤)</sup>.

حاله: فقيه حافظ لمذهب مالك. استوطن غرناطة وسكنها.

تواليفه: ألف في الفقه كتابًا مفيدًا سماه «المنوطة على مذهب مالك»، في ثمانية أسفار<sup>(٥)</sup>، أثقن فيها كل الإثقان.

وفاته: توفي بها سنة اثنتين وستين وخمسمائة، وقد قارب المائة.

### عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى

#### ابن عبد الله الأنصاري<sup>(٦)</sup>

مالقي، قرطبي الأصل، يكنى أبا محمد، ويعرف بالقرطبي، وقرأ بقرناطة.

حاله: كان<sup>(٧)</sup> في وقته ببلده كامل المعارف، صدرا في المقرئين والمجودين<sup>(٨)</sup>، رئيس المحدثين وإمامهم، واسع المعرفة، مُكثِرًا، ثقة، عدلًا، أمينًا، مَكِين الرواية<sup>(٩)</sup>، رائق الخط، نبيل التقييد والضبط، ناقدًا، ذاكِرًا أسماء رجال الحديث وطبقاتهم وتواريخهم، وما حلوا به من جَزَجٍ وتَغْدِيلٍ، لا يدانيه أحد في ذلك، عزيز النظر<sup>(١٠)</sup>،

(١) هو إبراهيم بن محمد بن مفرج بن هَمْشك، وقد ترجم له ابن الخطيب في المجلد الأول من الإحاطة.

(٢) ترجمة عبد الله بن أيوب الأنصاري في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٨٤).

(٣) في الأصل: «خروج» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٤) قلعة أيوب: بالإسبانية Calatyud، وهي مدينة أندلسية بقرب مدينة سالم. الروض المعطار (ص ٤٦٩).

(٥) في الذيل والتكملة: «ثمانية مجلدات».

(٦) ترجمة عبد الله بن الحسن الأنصاري في التكملة (ج ٢ ص ٢٨٦) والذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٩١) وبغية الوعاة (ص ٢٨٠) وشذرات الذهب (ج ٥ ص ٤٨) ونفع الطيب (ج ٢ ص ٣٣٨).

(ج ٤ ص ١٩٩).

(٧) قارن بالذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٩٤ - ١٩٥).

(٨) في الذيل والتكملة: «المجودين» أي بدون واو العطف.

(٩) في المصدر نفسه: «الدراية».

(١٠) في الذيل والتكملة: «النظير».

متيقظًا، متوقد الذهن، كريم الخلال، حميد العشرة، دميًا، متواضعًا، حسن الخلق، مُحببًا إلى الناس، نزيه النفس، جميل الهيئة، وقورًا، مُعظَّمًا عند الخاصة والعامة، دنيًا، زاهدًا، ورعًا، فاضلاً، نَحويًا ماهرًا، ريان من الأدب، قائلًا الجيد من الشعر، مَقْصِدًا ومَقْطَعًا. وكان له بجامع مالقة الأعظم مجلس عام، سوى مجلس تدرسه، يتكلم فيه على الحديث، إسنادًا ومَثْنًا، بطريقة عجز<sup>(١)</sup> عنها الكثير من أكابر أهل زمانه. وتصدّر للإقراء ابن عشرين سنة<sup>(٢)</sup>.

من أخباره في العلم والذكاء: قالوا: قُرئ<sup>(٣)</sup> عليه يومًا باب الابتداء بالكلم التي يُلفظ بها في<sup>(٤)</sup> إيضاح الفارسي، وكان أحسن الناس قيامًا عليه، فتكلم على المسألة الواقعة في ذلك الباب، المتعلقة بعلم العروض، وكان في الحاضرين مَنْ أَحْسَنَ<sup>(٥)</sup> صناعته، فجاذبه الكلام<sup>(٦)</sup>، وضايقه في<sup>(٧)</sup> المباحثة، حتى أحسَّ الأستاذ من نفسه التَّقْصِيرَ، إذ لم يكن له قَبْلُ كَبِيرُ نَظَرٍ في العروض، فكفَّ عن الخَوْضِ في المسألة، وانصرف إلى منزله، وعكف سائر اليوم<sup>(٨)</sup> على تَصْفُحِ عِلْمِ العروض حتى فهم أغراضه، وحصل تواليقه<sup>(٩)</sup>، وصنّف فيه مختصرًا نبيلًا لخص في صدره ضروبه<sup>(١٠)</sup>، وأبدع فيه بنظم مثله، وجاء به من العَدِّ، مُعْجَزًا من رآه أو سمع به، فبهت الحاضرون وقضوا العجب من اقتداره وذكائه، ونفوذ فهمه، وسموّ همّته.

ومن أخباره في الدين: قال أبو أحمد جعفر بن زعرور العاملي المالقي، تلميذه الأخضَرُ به: بَثُّ معه ليلة في دَوْنِرتِه التي كانت له بجبل فارَه<sup>(١١)</sup> للإقراء والمطالعة، فقام ساعة كنت فيها يقظانًا<sup>(١٢)</sup>، وهو ضاحك مسرور، يَشْدُ يده كأنه ظفر بشيء نفيس، فسألته فقال: رأيت كأن الناس قد حُشِرُوا في العَرْضِ على الله، وأُتِيَ بالمحدّثين، وكنت أرى أبا عبد الله النُميري يؤتى به، فيوقف بين يدي الله تعالى،

(١) في الذيل والتكملة: «عجز».

(٢) النص في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٩٦). (٤) في الذيل والتكملة: «من».

(٥) في الذيل والتكملة: «أحكم صناعة العروض».

(٦) في الذيل والتكملة: «الكلام في المسألة».

(٧) كلمة «في» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.

(٨) في الذيل والتكملة: «يومه».

(٩) في المصدر السابق: «قوانينه».

(١٠) في المصدر السابق: «قُرْشَه».

(١١) جبل فارَه: بالإسبانية Gibralfaro، يعلو مدينة مالقة. نزهة المشتاق (ص ٥٧٠).

(١٢) الصواب نحويًا: «يقظان»؛ لأنها ممنوعة من الصرف.

فيعطي براءته من النار، ثم يؤتى بي، فأوقفت بين يدي ربي، فأعطاني براءتي من النار، فاستيقظت، وأنا أشد عليها يدي اغتباطاً بها وفرحاً، والحمد لله.

مشيخته: تلا<sup>(١)</sup> بمالقة على أبيه، وأبي زيد السهيلي، والقاسم بن دحمان، وروى عنهم، وعن أبي الحجاج بن الشيخ، وأبوي عبد الله بن الفخار، وابن نوح، وابن اليتيم، وابن كامل، وابن جابر، وابن بونة. وبالمناكب عن عبد الوهاب الصدفي. وحضر بمالقة مجلس أبي إسحق بن قرقول. وبإشبيلية عن أبي بكر بن الجدد، وابن صاف، وأبي جعفر بن مضاء، وأبوي الحسن عبد الرحمن بن مسلمة، وأبي عبد الله بن زرقون، وأبي القاسم بن عبد الرازق، وأبي محمد بن جمهور. وبغرناطة عن أبوي جعفر بن حكيم الحضار، وابن شراحيل، وأبي عبد الله بن عروس، وأبوي محمد عبد الحق الثوالشي، وعبد المنعم بن الفرس. وبمرسية عن أبي عبد الله بن حميد، وأبي القاسم بن حبيش. ويسبته عن أبي محمد الحجري. وأجاز له من الأندلس ابن مخرز، وابن حسون، وابن خيرة، والأزكشي، وابن حفص، وابن سعادة، ويحيى المجرطي، وابن بشكوال، وابن قزمان. ومن أهل المشرق جماعة كبيرة.

شعره وتصانيفه: ألف في العروض مجموعات نبيلة، وفي قراءة نافع. ولخص أسانيد الموطأ. وله المبدى، لخط الرندي. ودخل يوماً بمجلس أقرأ به أبو الفضل عياض، وكان أفتى منه، غير أن الشيب جار عليه، وتأخر شيب الأستاذ، فقال: يا أستاذ، شيبنا وما شيبتم، قال: فأنشده ارتجالاً<sup>(٢)</sup>: [الطويل]

وهل نافع<sup>(٣)</sup> أن أخطأ الشيب مفرقي      وقد شاب أترابي وشاب لداتي؟

لئن كان خطب الشيب يوجد حسه<sup>(٤)</sup>      يتزبي فمعناه يقوم بذاتي

ومن شعره في التجسس<sup>(٥)</sup>: [الطويل]

لعمرك، ما الدنيا وسرعة<sup>(٦)</sup> سيرها      بسكائها إلا طريق مجاز

حقيقتها أن المقام غيرها      ولكنهم قد أولعوا بمجاز

(١) قارن بالتكملة (ج ٢ ص ٢٨٦) والذيل والتكملة (ج ٤ ص ١٩٢).

(٢) البيتان في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٢١٠). (٣) في الذيل والتكملة: «نافعي».

(٤) في المصدر نفسه: «عينه».

(٥) البيتان في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٢١٠) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٢٠٠).

(٦) في الأصل: «بسرعة» والتصويب من المصدرين.

ومما يؤثر أيضًا من شعره قوله<sup>(١)</sup>: [الخفيف]

سَهَرَتْ أَغْيُنٌ وَنَامَتْ عَيُونٌ      لَأُمُورٍ<sup>(٢)</sup> تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ  
فَاطْرُدِ الْهَمَّ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ الثُّفْ      سِ فَحِمْلَاتُكَ الْهَمُومَ جَنُودُ  
إِنَّ رَبًّا كَفَاكَ بِالْأَمْسِ مَا كَانَ      سَيَكْفِيكَ<sup>(٣)</sup> فِي غَدٍ مَا يَكُونُ

مولده: ولد أبو محمد قريب ظهر يوم الاثنين لثمان بقين من ذي القعدة عام ستة وخمسين وخمسائة.

وفاته: سحر ليلة السبت أو سحر يومها، ودفن إثر صلاة العصر من اليوم السابع لربيع الآخر سنة إحدى عشرة<sup>(٤)</sup> وستمائة.

من رثاه: رثاه الأديب أبو محمد عبد الله بن حشون البُرْجِي من قصيدة حسنة طويلة<sup>(٥)</sup>: [الطويل]

خليلي، هُبَا سَاعِدَانِي بِعَبْرَةٍ      وَقُولَا لِمَنِ بِالرِّي: وَيَحْكُمُ هُبُوا  
نُبُكَ<sup>(٦)</sup> الْعِلَا وَالْمَجْدَ وَالْعِلْمَ وَالتَّقَى      فَمَا تُمْ أَحْزَانِي نَوَاحِيهِ الصَّخْبُ  
فَقَدْ سَلِبَ الدِّينُ الْحَنِيفِي رُوحَهُ      فِي كُلِّ سِرٍّ<sup>(٧)</sup> مِنْ نَبَاهَتِهِ نَهْبُ  
وَقَدْ طُمِسَتْ أَنْوَارُ سُنةِ أَحْمَدَ      وَقَدْ خَلَّتِ الدُّنْيَا وَقَدْ ظَعَنَ الرُّكْبُ  
مَضَى الْكَوْكَبُ الْوَقَاذُ وَالْمَرْهَفُ الَّذِي      يُصْخَحُ<sup>(٨)</sup> فِي نَصِّ الْحَدِيثِ فَمَا يَنْبُو<sup>(٩)</sup>  
تَمَنَّى عِلَاهُ النِّيِّرَانِ وَتُورُهُ      وَقَالَا بِزَعَمٍ: إِنَّهُ لِهَمَا تَرْبُ  
أَأَسْلُو وَبَخِرُ الْعِلْمِ غِيَضَتْ مِيَاهُهُ      وَمُخِيي رَسُومِ الْعِلْمِ يَخْجُبُهُ التُّرْبُ؟  
عَزِيزٌ عَلَى الْإِسْلَامِ أَنْ يُودَعَ الثَّرَى      مُسَدَّدُهُ الْأَسْرَى<sup>(١٠)</sup> وَعَالَمُهُ التُّدْبُ

(١) الأبيات في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٢١٤) وبغية الوعاة (ص ٢٨٠).

(٢) في الذيل والتكملة: «في أمور».

(٣) في الأصل: «سيكفيك»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من بغية الوعاة. وفي الذيل والتكملة: «سيكفك».

(٤) في الأصل: «سنة أحد عشر» وهو خطأ نحوي.

(٥) القصيدة في الذيل والتكملة (ج ٤ ص ٢١٦ - ٢١٧).

(٦) في الأصل: «نبيكي» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٧) في الأصل: «سيزب»، والتصويب من الذيل والتكملة.

(٨) في الذيل والتكملة: «يُصَمِّمُ».

(٩) في الأصل: «ينب» والتصويب من الذيل. (١٠) في الذيل والتكملة: «الأهدى».

بكى العالمُ العُلويَّ والسَّبُعَ حَسْرَةً  
على القرطبيَّ الحَبِرِ أستاذنا الذي  
فقد كان فيما قد<sup>(٢)</sup> مَضَى مِنْ زمانه  
وَيَجْمَعُ سِزْبَ الأُنسِ رَوْضَ جنابهِ<sup>(٣)</sup>  
فُسْخَقًا لِدُنْيَا خادَعَتْنَا بِمَكْرِها  
رَكِبْنَا بها<sup>(٤)</sup> السَّهْلَ الدُّلُولَ فقادنا  
ونغفل عنها والرَّدَى يَسْتَفِرُّنا  
أولئك<sup>(١)</sup> حِزْبُ الله ما فوقهم حِزْبُ  
على أهلِ هذا العصر فَضَّلَهُ الرُّبُّ  
به تَحَسَّنُ الدُّنْيَا وَيَلْتَمِمْ الشَّعْبُ  
فقد جَفَّ ذاك الرُّوضُ وافترق السَّرْبُ  
إذا عاقَدَتْ سِلْمًا فَمَقْصَدُها حِزْبُ  
إلى كلِّ ما في طَيِّه مَزَكَبَ صَغْبُ  
كفى واعظًا بالموت لو كان لي لبُ

### عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد ابن إسماعيل بن سِمَاك العاملي<sup>(٥)</sup>

يكنى أبا محمد، مالقي الأصل.

حاله: كان فقيهاً أديباً، بارع الأدب، شاعراً مطبوعاً، كثير النادر، حُلُو  
السَّمَايل، أدرك شيوخاً جِلَّةً، ووُلِّي قضاء غرناطة مدَّة.

مشيخته: روى عن جدِّه لأمه، وابن عمِّ أبيه أبي عُمر أحمد بن إسماعيل،  
وأبي علي الغساني، وأبي الحسن علي بن عبيد الرحمن بن سَمْحُون، والمرساني  
الأديب.

شعره: [الكامل]

الروض مُخَضَّرُ الرُّبى مُتَجَمِّلُ  
وكانما بَسَطَتْ هناك سِوارها  
وكأنما فَتَقَّتْ هناك نوافِحُ  
والطَّيْرُ يَسْجَعُ في العُصُونِ كأنما  
لِلناظرين بأَجْمَلِ الألوانِ  
خُودٌ زَهَتْ بِقلائدِ العِقيانِ  
من مِسْكَةٍ عُجِجَتْ بِعَرَفِ البانِ  
تقرأ القِيانِ فيه على العِيدانِ

(١) في الأصل: «أولئك» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الذيل والتكملة.

(٢) كلمة «قد» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.

(٣) في الأصل: «حياته» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٤) كلمة «بها» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.

(٥) ترجمة عبد الله العاملي في بغية الملتبس (ص ٣٣٩) والتكملة (ج ٢ ص ٢٥٨) وتاريخ قضاة  
الأندلس (ص ١٤٢)، ضمن ترجمة ابنه محمد بن سَمَاك العاملي، وجاء فيه أن عبد الله بن  
أحمد، المترجم له، ولي قضاء غرناطة سنة ٥٣٧ هـ. ونيل الابتهاج (ص ١٣٢) ونفع الطيب  
(ج ٦ ص ٨١).

والماء مُطَرَّد يسيل عُبابه كسلاسل من فِضَّة وُجْمان  
 بهجات حُسن أَكْمِلت فكانها حُسنُ اليقين وبهجة الإيمان  
 وكتب إلى الكاتب أبي نصر الفتح بن عبيد الله<sup>(١)</sup> في أثناء رسالة<sup>(٢)</sup>:  
 [الوافر]

تَفَتَّحَتِ الْكِتَابَةُ عَنْ نَسِيمِ نَسِيمِ الْمِسْكِ فِي خُلُقِ الْكَرِيمِ<sup>(٣)</sup>  
 أَبَا نَصْرٍ، رَسَمْتَ لَهَا رَسُومًا تُخَالُ رَسُومُهَا وَضَحَ النُّجُومِ  
 وَقَدْ كَانَتْ عَفَّتْ فَأَنْزَرْتُ<sup>(٤)</sup> مِنْهَا سَرَاجًا لَاحَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ  
 فَتَخَتَ مِنَ الصَّنَاعَةِ كُلِّ بَابٍ فَصَارَ<sup>(٥)</sup> فِي طَرِيقِ مُسْتَقِيمِ  
 فَكُتَّابُ الزَّمَانِ وَلَسْتُ مِنْهُمْ إِذَا رَامُوا مَرَامَكَ فِي هُمُومِ  
 فَمَا قَسَّ بِأَبْدَعَ مِنْكَ لَفْظًا وَلَا سَخَبَانُ مِثْلَكَ فِي الْعُلُومِ<sup>(٦)</sup>

وفاته: في السابع والعشرين من رمضان المعظم سنة أربعين وخمسمائة، وهو ابن أربع وثمانين سنة.

### ومن ترجمة القضاة

عبد الله بن أحمد بن محمد بن سعيد بن أيوب بن الحسن  
 ابن مُنْخَل بن زيد الغافقي

من أهل غرناطة وأعيانها، يُكنى أبا محمد، ويُنسب إلى غافق بن الشاهد بن عك بن عدنان، لا إلى جِصْن غافق.

حاله: من «العائد»: كان رجلاً صحيح المذهب، سليم الصدر، قليل المصانعة، كثير الحركة والهشة والجدة، ملازم الاجتهاد والعكوف، لا يفتر عن التَّنَسُّخ والتَّقْيِيد والمطالعة، على حال الكثرة، قديم التَّعَيُّن والأصالة، وُلِّي القضاء عُمره بمواضع كثيرة، منها بيرة ورُندة ثم مالقة، مضافاً إلى الخطابة بها.

(١) هو الفتح بن خاقان، صاحب كتابي «مطمح الأنفس» و«قلائد العقيان».

(٢) الآيات في نفح الطيب (ج ٦ ص ٨١ - ٨٢).

(٣) في النفح: «كريم». (٤) في الأصل: «فأثرت» والتصويب من النفح.

(٥) في الأصل: «فسارة» والتصويب من النفح.

(٦) قَسَّ: هو قَسَّ بن ساعدة الإيادي. وسَخَبَانُ: هو سحبان وائل، وقَسَّ وسحبان مضرًا المثل في الفصاحة.

مشيخته: حجّ في حدود سبعة وثمانين وستمائة، وروى عن جِلَّة من أهل المشرق، كالإمام تقي الدين بن دقيق العيد، والحافظ أبي محمد عبد المؤمن الدُّمياطي، وشمس الدين المصنّف أبي عبد الله بن عبد السلام. وأجازه من أهل المغرب شيخ الجماعة بالأندلس أبو جعفر بن الزبير، والقاضي ابن أبي الأحوص، والخطيب أبو الحسن بن فضيلة، والأستاذ أبو الحسن ابن الصّائغ الإشبيلي، وأبو جعفر الطّباع، وغيرهم.

توآلفه: ألف كتابًا سماه بـ«المنهاج»، في ترتيب مسائل الفقيه المُشاور أبي عبد الله ابن الحاج.

مولده: ولد بغرناطة في حدود ستين وستمائة.

وفاته: توفي بغرناطة يوم عاشوراء من عام أحد وثلاثين وسبعمائة.

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله  
ابن أبي زَمْنين المرّي

يكنى أبا خالد.

حاله: كان فقيهاً جليلاً، ووُلّي القضاء ببعض جهات غرناطة.

مشيخته: أخذ الفقه عن أبي جعفر بن هلال، وأبي محمد بن سِمَاك القاضي. والعربية عن الحَضر بن رضوان العبّدي. والحديث عن الحافظ أبي بكر بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية، والإمام أبي الحسن علي بن أحمد، والقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض أيام قضائه بغرناطة.

مولده: ولد سنة سبع وتسعين وأربعمائة.

وفاته: توفي في ذي قعدة سنة أربع وأربعين وخمسماية.

عبد الله بن يحيى بن محمد بن أحمد بن زكريا بن عيسى  
ابن محمد بن يحيى بن زكريا الأنصاري<sup>(١)</sup>

يكنى أبا محمد، من أهل غرناطة، شَرَقِي الأصل، مُزَسِّيّه، من بُيوتاته النّبِيّه، وقد مرَّ ذكر أخيه.

(١) ترجمة عبد الله بن يحيى بن زكريا الأنصاري في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٨٩).

**حاله:** كان<sup>(١)</sup> على طريقة حسنة من دماثة الأخلاق، وسلامة السَّجِيَّة، والتزام الحِشْمة، والاشتغال بما يَعْنِي. وُلِّي القضاء دون العشرين سنة، وتصرَّف فيه عُمره بالجهات الأندلسية، فأظهر فيه عدلاً ونزاهة، ولم يختلف عليه اثنان مدة حياته من أهل المعرفة بالأحكام، والتَّقدُّم في عَقْد الشُّروط، وصناعة الفرائض، عِلْماً وعملاً، ثاقب الذهن، نافذاً في صنعة العَدَد.

**مشيخته:** قرأ<sup>(١)</sup> على أبيه القاضي أبي بكر بن زكريا، وله رواية عالية من أعلام من أهل المشرق والمغرب. وقرأ على أبي الحسن بن فضيلة الوليِّ الصالح، والقاضي أبي عبد الله بن هشام الأَنْشِي، والأستاذ أبي جعفر بن الزبير، والحاج أبي محمد بن جابر، وأبي بكر القَلَّلُوسِي. وقرأ العَدَد وما أشبهه على الأستاذ التَّعالِمِي أبي عبد الله الرِّقَّام، ولازمه، وأجازه طائفة كبيرة. أخبرني ولده الفاضل أبو بكر، قال: وَرَدَ سَوَالٌ من تونس مع تاجر وصل في مَرْكَب إلى مدينة المُنْكَب أيام قضائه بها، في رَجُل فَرَط في إخراج زَكَاة مَالِه سنين مُتَعَدِّدة، سُمِّيت في السَّوَال مع نِسْبة قَدْر المال، وُطِّلَب في السَّوَال أن يكون عَمَلُهَا بالأربعة الأعداد المُتَنَاسِبة، إذ عَمَلُهَا بذلك أَصْعَبُ من عَمَلِهَا بِالْجَبْرِ والمُقَابِلَةِ، فَعَمِلَهَا وأَخْرَجَهَا بِالْعَمَلَيْنِ، وعَبَّرَ عنها بعبارة حسنة، وكتبها في بطاقة بخط جميل، فذكر التاجر أنه لم يبق بتونس فقيه إلا ونسخ منها نُسخة واستحسنها.

**مولده:** ولد يوم الخميس السابع عشر<sup>(٢)</sup> لجمادى الآخرة عام خمسة وسبعين وستمائة.

**وفاته:** توفي قاضياً بِبَنْسَطَة في التاسع عشر من رمضان عام خمسة وأربعين وسبعمائة.

### عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك ابن أبي جمرة الأزدي

من أهل مُزَيْسِيَّة، نَزِيل غرناطة، يُكْنَى أبا محمد، وبيته بمزيسية من أعلام بيوتاتها، شهير التَّعْنُّين والأصالة، ينكح<sup>(٣)</sup> فيه الأمراء.

(١) قارن بتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٨٩).

(٢) في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٩٠): «مولده منتصف شهر جمادى الآخرة عام ٦٧٥».

(٣) ينكح فيه الأمراء: يريد أن الأمراء كانوا يتزوجون من بناته.



حاله: كان من أعلام وقته فضلاً وعدالة وصلاحاً ووقاراً، طاهر النشأة، عَفْ الطُّعْمَة، كثير الحياء، مليح التَّحَلُّق. نشأ بمرسية، ثم انتقل إلى غرناطة فتولَّى القضاء ببيرة وجهاتها، ثم جاز إلى سَبْتَة، وانعقدت بينه وبين رؤسائها المُصَاهِرَة في بعض بَنَاتِه. ثم أب إلى غرناطة عند رجوع إيالة سبتة إلى أميرها، فتقدَّم خطيباً بها.

مشيخته: روى بالإجازة عن الخطيب الحافظ أبي الرِّبيع بن سالم وأمثاله.

وفاته: الغريبة المُسْتَحْسَنَة، قال بعض شيوخنا: كنت أسمعُه عند سجوده وَبَتَّله وضراعه إلى الله يقول: اللهم، آمِئني مِئْتَةً حَسَنَةً، ويكرِّر ذلك. فأجاب الله دعاءه، وتوفاه على أتمَّ وجوه التَّأْنِيب طهارةً وخشوعاً وخضوعاً وتأهُّباً، وزماناً ومكاناً، عندما صعد أوَّل دَرَج من أدراج الجِئْبِر، يوم الجمعة الثالث والعشرين لشوال من عام أحد عشر وسبعمئة، فكان يوماً مشهوداً لا عهد بمثله، ما رُئي أكثر باكيًا منه، وأكثر الناس من الثناء عليه.

### عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان ابن عمر بن حَوْط الله الأنصاري الحارثي الأزدي<sup>(١)</sup>

يكنى أبا محمد.

حاله: من «الصُّلَة»: قال<sup>(٢)</sup>: القاضي المحدث الجليل العالم، كان فقيهاً جليلاً أصولياً، نحويًا، كاتبًا، أديبًا، شاعرًا، مُتَفَنِّيًا في العلوم، ورعًا، دِينًا، حافظًا، ثَبَّتًا، فاضلاً. وكان يُدرِّس كتاب سيبويه، ومُسْتَضْفَى أبي حامد<sup>(٣)</sup>، ويميل إلى الاجتهاد في نظره، ويُعَلِّب طريقة الظَّاهِرِيَّة<sup>(٤)</sup>، مشهورًا بالعقل والفضل، معظَّمًا، عند الملوك، معلوم القدر لديهم، يخطب في مجالس الأمراء والمحافل الجمهورية، مُقَدِّمًا في ذلك، بلاغةً وفصاحةً إلى أبعد مِضْمار. ولملوك الموحِّدين به اعتناء كبير. وهو كان أستاذ الناصر<sup>(٥)</sup> وإخوته، وكان له عند المنصور والدهم، بذلك أَكْرَم أثره، مع ما كان مشهورًا به من العلم والدين والفضل. وَلَّى القضاء بإشبيلية وقُرْطُبَة

(١) ترجمة ابن حوط الله في التكملة (ج ٢ ص ٢٨٧) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٥) وبغية الوعاة (ص ٢٨٣) وشذرات الذهب (ج ٥ ص ٥٠) والوافي بالوفيات (ج ١٧ ص ٢٠١) والدياج المذهب (ج ١ ص ٤٤٧) ونفع الطيب (ج ٦ ص ١٠٤).

(٢) النص في نفع الطيب (ج ٦ ص ١٠٤). (٣) في النفع: «أبي حامد الغزالي».

(٤) أي طريقة ابن حزم الظاهري المذهب.

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن يعقوب، رابع خلفاء الموحِّدين، حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٩٥ هـ إلى سنة ٦١٠ هـ. البيان المغرب - قسم الموحِّدين (ص ٢٣٦).

ومُرسية وسبّنة وسلا وميورة، فتظاهر بالعدل، وعُرف بما أبطن من الدين والفضل، وكان من العلماء العاملين، سُنيًا، مُجانبًا لأهل البدع والأهواء، بارع الخطّ، حسن التقييد.

مشيخته: تردّد<sup>(١)</sup> في طلب العلم، فسمع ببلنسية وشاطبة ومرسية وألمرية وقرطبة وإشبيلية ومالقة، وغيرها من البلاد الأندلسية، وتحصّل له سماع جَمّ لم يشاركه فيه أحد من أهل المغرب<sup>(٢)</sup>. قرأ القرآن على أبيه، وعلى أبي محمد عبد الصمد الغساني، وأخذ عن ابن حميد كتاب سيبويه تفقّهًا، وعن غيره، وسمع عن ابن بشكّوال، وقرأ أكثر من ستين تأليفًا بين كبار وصغار، وكَمَل له على أبي محمد بن عبد الله، بين قراءة وسماع، نحو من ستة وثلاثين تأليفًا، منها الصّحيحان، وأكثر عن ابن حُبَيْش، والسّهيلي، وابن الفخّار وغيرهم. واستيفاء مشيخته يَشُقّ.

شعره: قال الأستاذ: أنشدني ابنه أبو القاسم، ونقلت من خطه<sup>(٣)</sup>: [الوافر]

أَتَذْري أَتُك الحَطّاءَ حَقًّا      وَأَنْك بالذي تَذْري<sup>(٤)</sup> رَهين؟  
وَتَغْتاب<sup>(٥)</sup> الأُلى<sup>(٦)</sup> فعلوا وقالوا      وذاك الظَّنُّ والإفْكُ<sup>(٧)</sup> المُبينُ

مولده: في محرم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة<sup>(٨)</sup>.

وفاته: كان آخر عمره قد أُعيد إلى مُرسية، قَصّدها من الحضرة، فمات بغرناطة سَحَر يوم الخميس الثاني لربيع الأول اثنتي عشرة وستمائة، ونُقل منها في تابوته الذي أُلحِد فيه، يوم السبت التاسع عشر لشعبان من السنة إلى مالقة، فدفن بها.

عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد

ابن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري

من أهل قرطبة، يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن ربيع.

(١) النص أيضًا في نفع الطيب (ج ٦ ص ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) في النفع: «الغرب».

(٣) البيتان في تاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٥) ونفع الطيب (ج ٦ ص ١٠٤).

(٤) في المصدرين: «تأتي».

(٥) في الأصل: «وتعتب» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٦) في تاريخ قضاة الأندلس: «الورى». (٧) في المصدر نفسه: «والإثم».

(٨) في التكملة (ج ٢ ص ٢٨٩) وبغية الوعاة (ص ٢٨٣)؛ ولد سنة ٥٤٩ هـ. وفي النفع: «ومولده

في محرم سنة ٥٤١».

حاله: كان، رحمه الله، أديباً، كاتباً، شاعراً، نحويًا، فقيهاً أصوليًا، مشاركاً في علوم، مُحِبًّا في القراءة، وطياً عند المناظرة، مُتَنَاصِفًا، سنيًا، أشعري المذهب والنسب، مُصَمِّمًا على طريقة الأشعرية، مُلْتَزِمًا لمذهب أهل السنة المالكي، من بقايا الناس وعليتهم، ومن آخر طلبة الأندلس المشاركين الجلة، المُصَمِّمين على مذهب أهل السنة، المُنافرين للمذاهب الفلسفية والمبتدعة، والزَّيْغ. وُلِّي قضاء مواضع من الأندلس، منها مدينة شَرِيش ورُنْدَة ومالقة، وأمَّ وَخَطَبَ بجامعها. ثم وُلِّي قضاء الجماعة<sup>(١)</sup> بحضرة غرناطة، وعَقَدَ بها مجلسًا للإقراء، فانتفع به طلبُها، واستمرَّ على ذلك، وكانت ولايته غرناطة نحوًا من سبعة أعوام.

مشيخته: أخذ عن أبيه أبي عامر وتفقه به، وعن الخطيب أبي جعفر بن يحيى الحميري، وتلا عليه، وتأدب به، وعن الأستاذ أبي الحسن بن خروف، وروى مع هؤلاء عن القاضي أبي القاسم بن بقي، وأبي محمد بن حَوْط الله، وأبي عبد الله بن أَصْبَغ، وغيرهم. وأجاز له الشيخ المُسْنُّ أبو الحسن علي بن أحمد بن علي الغافقي الشَّقُورِي، وله به عُلُوٌّ، وبالأستاذ الخطيب المُسْنُّ أبي جعفر بن يحيى المتقدم.

وفاته: توفي في السابع عشر لشوال سنة ست وستين وستمائة، ولم يَخْلِف بَعْدَه مثله، ولا مَنْ يُقَارِبُه.

### عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن ابن الحسين الثقفي العاصمي

من ولد عاصم بن مُسلم، الداخل في طلبة بَلَج الملقَّب بالعِريَّان، أخو الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، شقيقه، يكنى أبا محمد.

حاله: كان طبيبًا ماهرًا، كاتبًا شاعرًا، ذاكِرًا لِلُّغَة، صَنَعَ<sup>(٢)</sup> الِدين، متقدِّمًا في أقرانه نباهة وفصاحة، معدوم النظر في الشجاعة والإقدام، يحضر الغزوات، فارسًا وراجلًا، ولقي بِفَخْص غرناطة<sup>(٣)</sup> ليلاً نَصْرَانِيًا يتجسَّس، فأَسْرَه وجَرَّه، وأدخله البلد، ولم يلتفت إلى ثَمَنِهِ اسْتِكْتَامًا لتلك الفِعلَة.

(١) قاضي الجماعة في الأندلس، هو منصب قاضي القضاة بالشرق.

(٢) صَنَعَ الِدين وَصَنَعَ الِدين: حاذق في الصنعة. لسان العرب (صنع).

(٣) فحص غرناطة: مَزَج غرناطة الشهير، وهو عبارة عن سهل أفيح وبسيط شاسع أخضر خصب وغطوة فيحاء مترامية الأطراف، يطلق عليه بالإسبانية اسم La Vega de Granada. يقع غربي غرناطة ويمتد غربًا حتى مدينة لوشة. مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٤١).

مشيخته: أخذ القرآن عن الأستاذ أبي عبد الله بن مَسْتَقُور، وروى عن أبي يحيى بن عبد الرحيم، وأبي الوليد العطار، وأبي القاسم بن ربيع، وأبي الخطار بن خليل، وأخذ عن أبي عُمر بن حَوْطِ الله بمالقة، وابن أبي ریحانة. وِيسْبَتَة على أبي بكر بن مشليون. وأجاز له أبو بكر بن مُحَرَز، وأبو الحسن الشَّاري. وأخذ عن الأستاذ الناقد أبي الحسن علي بن محمد الكِناني.

مولده: وُلد بغرناطة لسبع عشرة ليلة خلت من ذي قعدة سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

وفاته: توفي بها سحر أول يوم من ذي قعدة سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حمّاد الصَّنْهَاجِي  
يكنى أبا يحيى.

حاله: طالبٌ نبيل فاضل، ورع زاهد، مُؤثِّر في الدنيا بما تملّكه، تالٍ لكتاب الله في جميع الأوقات.

أخباره في الإيثار: وَجَّه له السيد أبو إسحق ابن الخليفة أبي يعقوب<sup>(١)</sup> خمسمائة دُنِير لِيُضْلَح بها من شأنه، فَصَرَفَ جميعها على أهل السُّتَر في أقلّ من شهر. ومَرَّ بفتى في إشبيلية، وأعوان القاضي يحملونه إلى السُّجُن، وهو يبكي، فسأله، فقال: أنا غريبٌ، وطُولَيْتُ بخمسين دُنِيرًا، ويدي عقود، وطولبت بضامن فلم أجذه، فقال: له الله، قال: نعم، قال: فدفع له خمسين دُنِيرًا، قال: أشهد لك بها، فَضَجِر وقال: إن الله إذا أعطى عبده شيئًا لم يُشْهَد به عليه، وتركه وانصرف لشأنه، وكانت عنده معرفة وأدب.

مولده: بغرناطة في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة.

ومن ترجمة الكتاب والشعراء بين أصلي وطارىء

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي<sup>(٢)</sup>

من أهل بَلَش، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن المُرابِع.

(١) أبو يعقوب: هو يوسف بن عبد المؤمن الموحدى، حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٥٨ هـ إلى سنة ٥٨٠ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٨٣).

(٢) ترجمة عبد الله الأزدي في نفح الطيب (ج ٧ ص ١٠) و(ج ٨ ص ٢٣٦، ٣٩٢).

حاله: من بُهَاءِ أدياءِ البادية، حَشِينِ الظاهر، مُنْطَوٍ على لَوْدَعِيَّةٍ مُتَوَارِيَةٍ في مظهر جَفْوَةٍ، كثير الانطباع عند الخُبْرَةِ، قادر على النظم والنثر، متوسط الطَّبِقة فيهما، مُسْتَرْفِدٌ بالشعر، سَيَّالُ القريحة، مَزْهُوبُ الهِجَاءِ، مشهور المكان ببلده، يعيش من الخدم المخزنيَّة، بين خارِص وشاهد، وجدَّ بذلك وقته، يوسُط رَقَاعَتَه، فتنجح الوسيلة، ويتمشَّى له بين الرِّضَا والسُّخْط الغرض.

وجرى ذكره في «التاج» بما نصّه<sup>(١)</sup>: «طويل القَوادم والخَوافي، كَلَفَ على كبر سنّه بعقائل القوافي، شَابَ في الأدب وَشَبَّ، وَشَقَّ رِيحَ البيان لَمَّا هَبَّ، فحاول رَفِيعَه<sup>(٢)</sup> وَجَزَلَه، وأجاد جَدَّه وأحكم هَزَلَه. فَإِنْ مَدَحَ صَدَحَ، وَإِنْ وَصَفَ أَنْصَفَ، وَإِنْ عَصَفَ قَصَفَ، وَإِنْ أَنْشَأَ وَدَوَّنَ، وَتَقَلَّبَ في أَفَانِينِ البلاغة وتَلَوَّنَ، أَفْسَدَ ما شاء الله وَكَوَّنَ، فهو شَيْخُ الطريقة الأديبَةِ وَفَتَاهَا، وخطيب حَفَلْهَا كَلَمَا أَتَاهَا، لا يتوقَّف عليه من أغراضها غرض، ولا يَضِيع لديه منها مُفْتَرَض. ولم تزل بُرُوقُه تتألَّقُ، ومعانيه بأذيال الإحسان تتعلَّقُ، حتى بَرَزَ في أَبْطال الكلام وفُزْسانه، وَذَعَرَتِ القلوبُ لَسَطُوه<sup>(٣)</sup> لسانه، وَأَلْقَتْ إليه الصَّنَاعَةُ زِمَامَهَا، وَوَقَفَتْ عليه أَحكامها. وَعَبَرَ البحرَ مُنْتَجِعًا بسغره<sup>(٤)</sup>، وَمُنْفِقًا في سوق الكَسَاد من شغره<sup>(٥)</sup>، فَأَبْرَقَ وَأَزْعَدَ، وَحَذَّرَ وَتَوَعَّدَ<sup>(٦)</sup>، وبلغ جَهْدَ إمكانه، في التَّعْرِيفَ بمكانه، فما حَرَّكَ ولا هَزَّ، وَذَلَّ في طلب الرُّفْدِ وقد عَزَّ، وما بَرِحَ أَنْ رَجَعَ إلى وطنه الذي اعتاده، رجوع الحديث إلى قتاده.

شعره: قال في «التاج»: وقد أثبتُّ من نَزَاعَتِه، وبعضِ مُخْتَرَعَاتِه، ما يدلُّ على سَعَةِ باعه، ونهضة ذِراعِه. فمن النسيب قوله<sup>(٧)</sup>: [البسيط]

ما لِلْمُجِبِّ دواء يُذهِبُ الأَلَمَا	عنه سوى لَمَمٍ فيه ارتشاف لَمَى
ولا يَرُدُّ عليه نَوْمٌ مُقْلَتَه	إِلَّا الدُّنُوُّ إلى مَنْ شَفَّه سَقَمَا
يا حاكمًا والهوى فينا يُؤَيِّدُه	هواك فيَّ بما تَرْضَاهُ قد حَكَمَا
أَشْغَلْتَنِي بك شُغْلًا شَاغِلًا فَلِمَ <sup>(٨)</sup>	تناسى، فديتك، عني بعد ذاك لما؟

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٢ - ٣٩٣).

(٢) في النفح: «رقيقه».

(٣) في النفح: «بسطوة».

(٤) في النفح: «شعره».

(٥) في النفح: «وأوعد».

(٦) ورد في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٩٣) فقط الأبيات الأول والثاني والثالث.

(٧) في الأصل: «فلما»، وكذا يتكرر الوزن.

مَلَكْتَ رُوحِي فَأَرْفِقْ قَدْ عَلِمْتَ بِمَا  
 مَا غَبَتْ عَنِّي إِلَّا غَابَ عَنِ بَصَرِي  
 مَا لُحِثَ لِي فَدَنَا طَرْفِي لَغَيْرِكَ يَا  
 طَوْعًا لَطِيعَكَ لَا أَغْصِيكَ فَأَفْضِ بِمَا  
 إِنَّ الْهُوَى يَقْتَضِي ذُلًّا لَغَيْرِكَ لَوْ  
 سَلِمْتَ مِنْ كُلِّ غَيْبٍ يَا مُحَمَّدُ لَا  
 يَلْقَى وَلَا حِجَّةً تَبْقَى لِمَنْ عَلِمَا  
 بَذْرًا إِذَا لَاحَ يُجْلِي نَوْرَهُ الظُّلُمَا  
 مَوْلَى لِحَافِيهِ جَفَنِي النَّوْمُ قَدْ حُرَمَا  
 تَرْضَاهُ أَرْضَى بِمَا تَرْضَى وَلَا جَرَمَا  
 أَفَادَنِي فِيكَ قُرْبًا يُبَرِّدُ الْأَلَمَا  
 كُنْ قَلْبُ صَبِّكَ مِنْ عَيْنِكَ مَا سَلِمَا

ومن مخاطباته الأدبية، ما كتب به إلى شيخ الصوفية ببلده مع طالع من ولده:

[الطويل]

مُمَالِيكُمْ قَدْ زَادَ فِيكُمْ مُرَابِعُ  
 بَأَنْوَارِكُمْ يَهْدِي إِلَى سُبُلِ الْهَدَى  
 فَوَاسُوهُ مِنْكُمْ بِالْدُّعَاءِ فَإِنَّهُ  
 أَفَاضَ عَلَيْهِ اللَّهُ مِنْ بَرَكَاتِكُمْ  
 مِنَ الْأَفْقِ الْكَوْنِي بِالْيُمْنِ طَالِعُ  
 وَيَسْمُو لِمَا تَسْمُو إِلَيْهِ الْمَطَالِعُ  
 مُجَابٍ بِفَضْلِ اللَّهِ لِلْخَلْقِ نَافِعُ  
 وَأَبْقَاكُمْ ذُو الْعَرْشِ مَا جَنَّ سَاجِعُ

فوقَ له الشيخ المخاطب بها، أبو جعفر بن الزيات، رحمه الله، بما نصّه:

[الطويل]

عَسَى اللَّهُ يُوْتِيهِ مِنَ الْعِلْمِ حِصَّةُ  
 وَيَجْعَلُهُ طَرَفًا لِكُلِّ سَجِيَّةُ  
 وَيُلْحِقْهُ فِي الصَّالِحَاتِ بَجْدَهُ  
 وَذُو الْعَرْشِ جَلُّ أَسْمَاءٍ عَمِيمٍ نَوَالَهُ  
 فَمَا أَنْتَ دُونِي يَا أَبَاهُ مُهْتَأً  
 وَلَهُ يَسْتَدْعِي إِلَى الْبَاكُورِ: [الوافر]

بَدَارٍ بَدَارٍ قَدْ آتَى الْبَدَارُ  
 تَبَدُّثٌ رَافِلَاتٍ فِي مُسْوَحٍ  
 وَقَدْ رَقَمَتْ بَيَاضًا فِي سَوَادٍ  
 وَقَدْ نَضِجَتْ وَمَا طَبِخَتْ بِنَارٍ  
 وَلَا تَحْتَاجُ مَضْغًا لَا وَلَيْسَ  
 فَقُلْ لِلْخَلْقِ قُلْ لِلضُّرْسِ دَغْنِي  
 إِلَى أَكْوَاسٍ بَاكُورٍ تُدَارُ  
 لَهُ لَوْنُ الدِّيَابِجِي مُسْتَعَارُ  
 كَأَنَّ اللَّيْلَ خَالَطَهُ النَّهَارُ  
 وَهَلْ يُحْتَاجُ لِلْبَاكُورِ نَارُ؟  
 عَجِيبٌ لَا يُشْقُ لَهُ غُبَارُ  
 فِيهِ الْبَلْعُ اكْتِفَاءً وَاقْتِصَارُ

ومما وقع له أثناء مقامات تشهد باقتداره، مقطوعة سهلة وهي<sup>(١)</sup>: [المتقارب]

رَعَى اللهُ عَهْدًا حَوَى مَا حَوَى	لَأَهْلِ الْوِدَادِ وَأَهْلِ الْهَوَى
أَرَاهُمْ أُمُورًا خَلَا وَزُدَهَا	وَأَعْطَاهُمْ السُّؤْلَ كَيْفَ نَوَى <sup>(٢)</sup>
وَلَمَّا خَلَا الْوَصْلُ صَالُوا لَهُ	وَرَأَوْهُ مَأْوَى وَمَاءَ رَوَى <sup>(٣)</sup>
وَأُورِدَهُمْ سِرَّ أَسْرَارِهِمْ	وَرَدَّ إِلَى كُلِّ دَاءٍ دَوَا <sup>(٤)</sup>
وَمَا أَمَلُ طَال إِلَّا وَهَى	وَلَا أَمَلُ <sup>(٥)</sup> صَالَ إِلَّا هَوَى

وقال يَزْنِي دِيكًا فَقَدَهُ، ويصف الوجد الذي وَجَدَهُ، ويبكي من عدم أذانه، إلى غير ذلك من مُسْتَطَرَف شانه<sup>(٦)</sup>: [البسيط]

أَوْدَى بِهِ الْحَتْفُ لَمَّا جَاءَ الْأَجَلُ	دِيكًا فَلَا عِوَضَ مِنْهُ وَلَا بَدَلُ
قَدْ كَانَ لِي أَمَلٌ فِي أَنْ يَعِيشَ فَلَمْ	يَثْبُثْ مَعَ الْحَتْفِ فِي بُغْيَا لَهَا <sup>(٧)</sup> أَمَلُ
فَقَدْتُهُ فَلَعَنَمْرِي إِنَّهَا عِظَّةٌ	وبالمواعظ تُذْهِبُ دَمْعَهَا الْمُقَلُّ
كَأَنَّ مُطَرَفَ وَشِيٍّ فَوْقَ مَلْبَسِهِ	عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ حُسْنٍ بَاهِرٍ حُلُّ
كَأَنَّ إِكْلِيلَ كِسْرَى فَوْقَ مَفْرِقِهِ	وَتَاجُهُ فَهُوَ عَالِي الشَّكْلِ مُخْتَفِلُ
مُؤَقَّتٌ لَمْ يَكُنْ يُخْزَى <sup>(٨)</sup> لَهُ خَطَأُ	فِيَمَا يُرْتَّبُ مِنْ وَزْدٍ وَلَا خَطَلُ <sup>(٩)</sup>
كَأَنَّ زَرْقِيلَ <sup>(١٠)</sup> فِيَمَا مَرَّ عِلْمُهُ	عِلْمَ الْمَوَاقِيتِ فِيَمَا <sup>(١١)</sup> رَتَّبَ الْأَوَّلُ

(١) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٧ - ٢٣٨).

(٢) في النفح: «... السؤل كلًا سوا».

(٣) في الأصل: «ملؤا وما زوا» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح. والروى: الماء الكثير المروي. لسان العرب (روا).

(٤) رواية البيت في الأصل هي:

وأوردهم سرًا سرارهم ورؤدا إلى الكل ذا دوا

وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من النفح.

(٥) في الأصل: «أمل» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٦) القصيدة في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٣٨ - ٢٣٩).

(٧) في النفح: «في بُغْيَاه لِي أَمَلُ».

(٨) في الأصل: «بطريق» وهكذا ينكسر الوزن، ولا معنى له، والتصويب من النفح.

(٩) في النفح: «خَلَلُ».

(١٠) في النفح: «زرقال». وهو إبراهيم بن يحيى النقاش الزرقالي القرطبي، ويعد من أعظم أهل الفلك، وقد وضع جداول فلكية واختراع أجهزة دقيقة كالزرقالية والصفحة. تاريخ الفكر الأندلسي (ص ٤٥١).

(١١) في النفح: «مما».

يُرْجَلُ اللَّيْلَ يُحْيِي بِالصَّرَاحِ فَمَا  
رَأَيْتُهُ قَدْ وَهَتْ<sup>(١)</sup> مِنْهُ الْقَوَى فَهَوَى  
لَوْ يُفْتَدَى بِدِيوكِ الْأَرْضِ قَلٌّ لَهُ  
قَالُوا الدَّوَاءَ فَلَمْ يُغْنِ الدَّوَاءُ<sup>(٢)</sup> وَلَمْ  
أَمْلُكْ فِيهِ ثَوَابًا أَجْرَ مُحْتَسِبٍ  
يَصْذُهُ كَلَّلَ عَنْهُ وَلَا مَلَلُ  
لِلْأَرْضِ فَعَلًّا يُرِيهِ الشَّارِبُ الثَّمِيلُ  
ذَاكَ الْفِدَاءَ<sup>(٣)</sup> وَلَكِنْ فَاجَأَ الْأَجَلَ  
يَنْفَعُهُ مِنْ ذَاكَ مَا قَالُوا وَمَا فَعَلُوا  
إِنْ قُلْتُ<sup>(٤)</sup> ذَلِكَ<sup>(٥)</sup> صَحَّ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ

وأمره السلطان أبو عبد الله سادس الملوك النصريين في بعض أسفاره، وقد نظر إلى شلير<sup>(٦)</sup>، وتردّى بالثلج وتعمّم، وكَمَل ما أراد من بَزْتِه وتَمَم، أن ينظم أبياتاً في وصفه، فقال بديهة<sup>(٧)</sup>: [الطويل]

وشَيْخٌ جَلِيلُ الْقَدْرِ قَدْ طَالَ عُمُرُهُ  
عَلَيْهِ لِبَاسٌ أَبْيَضٌ بَاهِرُ السَّنَا  
وَطَوْرًا<sup>(٨)</sup> تَرَاهُ كُلهُ كَاسِيَا بِهِ  
وَطَوْرًا تَرَاهُ عَارِيَا لَيْسَ يَشْتَكِي<sup>(٩)</sup>  
وَكَمْ مَرَّتِ الْأَيَّامُ وَهُوَ كَمَا تَرَى  
فَذَاكَ<sup>(١٠)</sup> شَلِيرٌ شَيْخٌ غَرْنَاطَةُ الَّتِي  
بِهَا مَلِكٌ سَامِي الْمِرَاقِي أَطَاعَهُ  
تَوَلَّاهُ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْهُ بَعْضَمَةٌ  
وَمَا عِنْدَهُ عِلْمٌ بِطَوِيلٍ وَلَا قِصَرِ  
وَلَيْسَ بِثَوْبٍ أَخْكَمْتُهُ يَدُ الْبَشَرِ  
وَكُسُوتُهُ فِيهَا لِأَهْلِ الثُّهَى عِبَرُ  
لِحَرٍّ<sup>(١١)</sup> وَلَا بَزْدٍ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ  
عَلَى حَالِهِ لَمْ يَشْكُ ضَعْفًا وَلَا كِبَرِ  
لِبَهْجَتِهَا فِي الْأَرْضِ ذِكْرٌ قَدْ انْتَشَرَ<sup>(١٢)</sup>  
كِبَارُ مَلُوكِ الْأَرْضِ فِي حَالَةِ الصَّغَرِ  
تَقِيهِ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ كُلِّ مَا ضَرَرَ

نشره: ونثره كثير ما بين مخاطبات، وخطب، ومقطعات، ولعب، وزرديات شأنها عجب. فمن ذلك ما خاطب به الرئيس أبا سعيد بن نصر يستجدي أضحية:

- 
- (١) في الأصل: «وهنت» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.  
(٢) في الأصل: «الفدا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.  
(٣) في الأصل: «الدوا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.  
(٤) في النفع: «نلتُ».  
(٥) في الأصل: «ذاك» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.  
(٦) جبل شَلِير، بالإسبانية Sierra Nevada، وهو أحد مشاهير جبال الأرض. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٤٣) ففيه دراسة مفصلة عن هذا الجبل.  
(٧) الأبيات في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٣٩ - ٢٤٠).  
(٨) في النفع: «فطورًا».  
(٩) في النفع: «يكتسي».  
(١٠) في النفع: «بحر».  
(١١) في النفع: «وذاك».  
(١٢) في النفع: «اشتتهز».



يقول شاعر الأيادي: وذاكر فخر كل نادي، وناشر غُرر الغُرر للعاكف والبادي، والرائح والغادي، اسمعوا مني حديثاً تَلَدُّه الأسماع، وَيَسْتَطِرْفُه الاستماع، ويشهد بحسنه الإجماع، ويجب عليه الاجتماع، وهو من الأحاديث التي لم تتفق إلا لمثلي، ولا ذكرت عن أحد قبلي، وذلك يا معشر الألياء، والخُلصاء الأجباء، أني دخلتُ في هذه الأيام داري، في بعض أذواري، لأقضي من أخذ الغداء أوطاري، على حسب أطواري، فقالت لي ربّة البيت: لم جئت، وبما أتيت؟ قلت: جئتُ لكذا وكذا، فهات الغداء، فقالت: لا غذا لك عندي اليوم، ولو أودى بك الصّوم، حتى تَسَل الاستِخارة، وتفعل كما فعل زوجُ الجارة، طَيَّب الله نِجارَه، وملاً بالآرزاق وِجارَه. قلت: وما فعل قُريني، وأرني من العلامة ما أحببتُ أن تريني. قالت: إنه فَكَّر في العيد، ونظر في أسباب التَّييد، وفعل في ذلك ما يستحسنه القريب والبعيد، وأنت قد نسيتَ ذكرَه ومَحَوته من بالك، ولم تنظر إليه نَظرة بعين اهتِبالك، وعيد الأضحى في اليد، والنظر في شراء الأضحية اليوم أَوْفَقُ من الغد. قلت: صَدَقْتَ، وبالحقْ نُطَقْتَ، بارك الله فيك، وشكر جميل تحفيك، فلقد نَبَّهْتَ بَعْلَكَ لإقامة السَّنة، ورفعته عنه من العَفْلة مئة. والآن أسير لأبحث عمّا ذكرت، وأنظر في إحصار ما إليه أشرتُ، ويتأتَّى ذلك إن شاء الله بسَعْدك، وتنايلين فيه من بلوغ الأمر غاية قصدك، والجُدُّ ليس من الهزل، والأضحية للمرأة وللرجل العزل. قالت: دَغْنِي من الخرافات، وأخبار الزَّرافات، فإنَّك خُلُو اللسان، قليل الإحسان، تَخَذْتَ الغُربة صُحبتك إلى ساسان، فتهاونت بالنساء، وأسأت فيمن أساء، وعُودت أكل خُبْزِكَ في غير مَنديل، وإيقاد الفَتيل دون قَنديل، وسُكِنِي الخان، وعدم ارتفاع الدُّخان، فما تقيم مَوْسِمًا، ولا تعرف له مَيْسِمًا، وأخذت معي في ذلك بطويل وعريض، وكلانا في طَرْفِي نَقِيض، إلى أن قلت لها: إزارُك وردائي، فقد تَفاقم بك أمرُ دائي، وما أَطُتْكَ إلا بَغْض أعدائي، قالت: ما لك والإزار، شَطُّ بك المَزار؟ لعلك تريد إزْهانه في الأضحية والأبزار، اخرج عني يا مَقِيَّت، لا عَمِرْتُ معك ولا بقيت، أوْ عَدِمْتُ الدِّين، وأخذ الورق بالعين. يلزمني صوم سَنة، لا أَغْفِيْتُ معك سَنة، إلا إن رَجَعْتَ بمثل ما رجع به زوج جارتِي، وأرى لك الرِّيح في تجارتي. فقامت عنها وقد لَوَتْ رأسها وولَّوت، وإبتَدَرت وهزَّولت، وجالت في العِتاب وصَوَّلت، وضُمَّت بِثَنِّها وولدها، وقامت باللَّجج والانتصار بالحُجَج أودها، فلم يسعني إلا أن عدوت أطوف السُّكك والشوارع، وأبادر لما غدوث بسبيله وأسارع، وأجوب الآفاق، وأسأل الرِّفاق، وأخترق الأسواق، وأقتحم زَرِبة بعد زَرِبة، وأختَبر منها البعيدة والقريبة، فما اسْتَرَحَضْتُهُ اسْتَنَقَضْتُهُ، وما اسْتَغْلِيْتُهُ اسْتَغْلِيْتُهُ، وما وافق غرضي، اغْتَرَضْنِي دُونَهُ عَدَمُ غَرْضِي، حتى انقضى ثلثا يومي، وقد عَيَّيت بدَوْراني وهُومِي، وأنا لم أتُحصل من

الابتياح على فائدة، ولا عادت عليّ فيه من قضاء الأرب عائدة، فأومأت الإياب، وأنا أجد من خوفها ما يجد صغار الغنم من الذئاب، إلى أن مررت بقصّاب يقصب في مَجْزَرِه، قد شدّ في وسطه مِثْرَه، وقصّر أثوابه حتى كشف عن ساقه، وشمر عن ساعديه حتى أبدى مِرْفَقَيْه، وبين يديه عَنَزٌ قد شدّ يديه في رَقَبَتِه وهو يجذبه فيبرك، ويجزّه فما يتحرّك، ويروم سيّره فيرجع القهقري، ويعود إلى ورا، والقصاب يشدّ على إزاره، خيفة من فراره، وهو يقول: اقتله من جانِ باغ، وشيطان طاغ، ما أشدّه، وما ألّذه وما أصدّه، وما أجده، وما أكثره بشخم، وما أطيبه بلحم، الطلاق يلزمه إن كان عاين تيّسا مثله، أو أضحية تشبهه قبله، أضحية حفيلة، ومِنحة جليّة. هنّا الله من رزقها، وأخلف عليها رزقها. فاقتمحت المزدحم أنظر مع من نظر، وأختبر فيمن اختبر. وأنا والله لا أعرف في التقلب والتخمين، ولا أفرّق بين العجف والسمين، غير أنني رأيت صورة دون البغل وفوق الحمار، وهيكلًا يُخبرك عن صورة العمار، فقلت للقصاب: كم طلبك فيه، على أن تمهل الثمن حتى أوفيه؟ فقال: ابغني فيه أجيرا، وكن له الآن من الذبح مُجيرا، وخُذْه بما يُرضي، لأول التقضي. قلت: استمع الصوت، ولا تخفّ القوت. قال: ابتغى مني نسيّة، وخُذْه هديّة، قلت: نعم، فشقّ لي الضمير، وعاكسني فيه بالتّغير والقُطمير، قال: تضمن لي فيه عشرين دينارًا، أقبضها منك لانقضاء الحول دُنَيْرًا دُنَيْرًا، قلت: إنّ هذا لكثير، فاسمح منه بإحاطة اليسير. قال: والذي فلقّ الحبة، وبرأ النّسمة، لا أنقصك من هذا، وما قلت لك سينسيمة، اللهم إن شئت السّعة في الأجل، فأقضي لك ذلك دون أجل، فجلبني للابتياح منه الإنساء في الأمد، وغلبنني بذلك فلم أفقر منه لرأي والد ولا ولد، ولا أحوجت نفسي في ذلك لمشورة أحد، وقلت: قد اشتريته منك فضّع البركة، ليصحّ التّجج في الحركة. فقال: فقيه بارك الله فيه قد بعّته لك، فاقبض متاعك، وثبّت ابتياحك، وما هو في قبضك فاشدّد وثاقه، وهلمّ لنعقد عليك الوثاقة. فأنحدرت معه لدكان التوثيق، وابتدرت من السّعة إلى الضيق، وأوثقني بالشّادة تحت عقْد وثيق، وحملني من ركوب الدّين ولحاق الشّين في أوعر طريق. ثم قال لي: هذا تيسك فشأنك وإياه، وما أظنك إلّا تَغصِياه، وأت بحمالين أربعة فإنك لا تقدر أن تزفّعه، ولا يتأتى لك أن يتبعك ولا أن تتبّعه، ولم يبق لك من الكُلْفَة إلّا أن يَخْصُل في محلّك، فيكْمُل سرورُ أهلِكَ. وانطلقت للحمال وقلت: هلم إليّ، وقم الآن بين يديّ، حتى انتهينا إلى مَجْزَرَة القصاب، والعنز يُطلب فلا يُصاب، فقلت: أين التيس، يا أبا أويس؟ قال: إنه قد فرّ، ولا أعلم حيث استقرّ. قلت: أتضيع عليّ مالي، لتخيب آمالي، والله لا يُخزنك بالعصا، كمن عصا، ولا رَفَعْتَكَ إلى الحُكّام، تُجري عليك منهم الأحكام. قال: ما لي علم به، ولا بمقلّبه، لعلّه فرّ لأُمّه وأبيه، وصاحبته

وبَيْنِهِ، فعليك بالبرّيح. فاتجهت أنادي بالأسواق، وجيران الرُفاق، من ثَقِف لي تَيْسًا فله البُشارة، بعد ما أتى بالأمانة، وإذا بِرَجُلٍ قد خرج من دَهْلِيز، وله هَدير وهَرِيز، وهو يقول: مَنْ صاحِبُ العَنَزِ المشُوم؟ لا عَليمُ به الشُوم، إن وَقَعَتْ عليه عيني، يرتفع الكلام بينه وبينى. قلت: أنا صاحبه فما الذي دَهاك مِنِّي، أو بلغك عَنِّي. قال: إن عَنَزَكَ حين شَرَد، خرج مثل الأسد، وأوقع الرُهَج في البلد، وأضرَّ بكل أحد، ودخل في دهلِيز الفُخَّارة فقام فيه وَقَعَد، وكان العمل فيه مَطْبُوحًا ونِيًا، فلم يترك منه شَيْءًا، ومنه كانت مَعِيشَتِي، وبه استقامت عِيشَتِي، وأنت ضامن مالي، فارتفع معي إلى الوالي، والعَنَزُ مع هذا يَدُور وَسَطَ الجمهور، ويَكُرُّ كَرَّةَ العِفْرِيت المزجور، ويأتي بالكُسر على ما بقي في الدَهْلِيز من الطُواجِن والقُدُور، والخلْق قد انحسروا للضجيج، وكثُر العِياط والعَجيج، وأنت تعرف عَفْرطة الباعة، وما يحوون من الوضاعة، وأنا أحاول من أَخَذَهُ ما أستطيع، وأزُوم الإطاعة من غير مُطيع، والباعة قد أُكْسِبَتْ من الحمافة، ما لم يَكُنْ لي به طاقة. ورجل يقول: المُختَسب، واعرف ما تَكْتَسِب، وإلى مَنْ تَنْتَسِب، فقد كثر عنده بك التَّشْكِي، وصاحب الدهلِيز قُبَّالته يبيكي، وقد وَجَدَ عنده عليك وَجَدَ الشكوى، وأيقن أنك كَسَرْتَ الدَّعوى، وأمر بإحضارك، وهو في انتظارك، فشدَّ وَسَطَكَ، واحفظ إِنْطَكَ، وإنك تقوم على مَنْ فتح باعه للحُكم على الباعة ونُصِبَ لأرباب البراهين، على أرباب الشَّواهين، ورفع على طبقة، ليملاً طبقة، ثم أمسكني باليمين، حتى أُوصلني للأمين، فقال لي: أرسلت التَّيس للفساد، كأنك في نعم الله من الحُسَّاد. قلت: إنه شَرَد، ولم أذر حيث وَرَد. قال: ولم لا أخذت ميثاقه، ولم تشدَّد وِثاقه، يا شرطي طَرَّذَه، واطرح يدك فيه وجردَه. قلت: أتجرّدني الساعة، ولست من الباعة؟ قال: لا بدُّ من ذاك، أو تضمن ما أفسده هناك؟ قلت: الضَّمان الضَّمان، الأمان الأمان. قال: قد أُمُتت، إن ضَمِيت، وعليك الثُّقاف، حتى يقع الإنصاف، أو ضامنٌ كاف، فابتدر أحد إخواني، وبعض جيراني، فأدّى عني ما ظهر بالتَّقدير، وآلت الحال للتَّقدير. ثم أردت الانصراف بالتَّيس، لا كان كَيَّانه، ولا كَوْنُ مكانه، وإذا بالشرطي قد دار حولي، وقال لي: كُلفَ فِعْلي بأداء جَعْلي، فقد عَطَلت من أجلك شُعْلي، فلم يك عندي بما تُكسر سورته، ولا بما تُطفي جَمْرته، فاستزهن مِثْزري في بيته ليأخذ مايته. وتوجَّهت لداري، وقد تقدَّمت أخباري، وقدمت بَغْباري، وتغيَّر صِغارِي وكِبَارِي، والتَّيس على كاهل الحَمال يَزْغو كالبعير، ويزأر كالأسد إذا فُصِلت العِير، فلقت للحمال: أنزله على مَهَل، فهلال التَّعييد قد استَهَلَّ، فحين طَرَّحه في الأسطوان، كُرَّ إلى العُدوان، وصرخ كالشيطان، وهم أن يَفْهِزَ الجِيطان، وعلا فوق الجدار، وأقام الرُّهجة في الدار، ولم تبق في الزقاق عَجوزٌ إلَّا وَصَلَتْ لَتراه، وتَسأل عَمَّا اغْتَرَاه، وتقول: بكم اشتراه، والأولاد قد دارت به

وأرهبهم لهفُّه، ودخل قلوبهم خوْفه، فابتدَرَتْ ربة البيت، وقالت: كيت وكيت، لا خَلٌّ ولا زَيْت، ولا حيٌّ ولا مَيّت، ولا موسم ولا عيد، ولا قريب ولا بعيد، سُفّت العفريت إلى المنزل، ورجعت بمغزل، ومن قال لك اشتره، ما لم تره، ومن قال لك سُفّه، حتى توثقه، ومتى تفرج زوجتك، والعنز أضجيتك، ومتى تطبخ القدور، ولذكَ منه مغذور، وبأي قلب تأكل الشوّة، ولم تخلص لك فيه النيّة، ولقلّة سغدها، وأخلف وعدها، والله لو كان العنز، يُخرج الكنز، ما عمّر لي دارًا، ولا قُرب لي جوارًا، أخرج عني يا لكع، فعل الله بك وصنع، وما حبسك عن الكباش السّمان، والضّان الرّفيعة الأثمان، يا قليل التّحصيل، يا من لا يعرف الخياطة ولا التّفصيل، أدلّك على كبش سمين، واسع الصدر والجبين، أكحل عجيب، أقرن مثل كبش الحطّيب، يغبّ من أوداكه كلّ طيب، يغلب شحمه على لحمه، ويسيل الودك من عظمه، قد غلب بالشّعير، ودبر عليه أحسن تدبير، لا بالصّغير ولا بالكبير، تضلّع منه الألوان، ويُسْتَطرف شواه في كل أوان، ويُسْتَحسن ثريده وقديده في سائر الأحيان، قلت: بيّني لي قولك، لأتعرّف فغلك، وأين تُوجد هذه الصّفة، يا قليلة المعرفة. قالت: عند مولانا، وكهفنا ومأوانا، الرئيس الأعلى، الشّهاب الأجلّى، القمر الزّاهر، الملك الظّاهر، الذي أعزّ المسلمين بنعمته، وأذلّ المشركين بنقمته. واسترسل في المدح فأطال وفيما ثبت كفاية.

وفاته: في كائنة الطاعون ببلده بلش في أواخر عام خمسين وسبعمائة، ودفن بها.

### عبد الله بن إبراهيم بن وزّمر الحجاري<sup>(١)</sup> الصّنهاجي

الأديب المصنّف، يكنى أبا محمد.

حاله وأوليته: أبوه أديب مدينة الفرج بوادي الحجارة<sup>(٢)</sup>، المصنّف للمأمون بن ذي النون<sup>(٣)</sup> كتاب «مغنيّات الأفكار، فيما تحتوي عليه مدينة الفرج من النظم والنثر

(١) عبد الله بن إبراهيم الحجاري، ينسب إلى وادي الحجارة بالأندلس، توفي سنة ٥٢٠ هـ، وترجمته في المغرب (ج ٢ ص ٣٥) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٩١) و(ج ٤ ص ١٦١) و(ج ٤ ص ١١٢، ٢٦٥)، وكشف الظنون (ص ٦٤٦، ١٦٨٥) وهديّة العارفين (ج ١ ص ٤٥٧).

(٢) وادي الحجارة: بالإسبانية Guadalajara، وهي مدينة أندلسية تعرف بمدينة الفرج، بينها وبين طليطلة ٦٥ ميلًا. الروض المعطار (ص ٦٠٦).

(٣) المأمون بن ذي النون هو يحيى بن إسماعيل، أحد ملوك الطوائف بالأندلس، حكم طليطلة من سنة ٤٣٥ هـ إلى سنة ٤٦٧ هـ. ترجمته في البيان المغرب (ج ٣ ص ١٦٥) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٢٠٧). وفي مواطن متفرقة من الذخيرة.

والأخبار». وكان أبو محمد هذا ماهراً، كاتباً، شاعراً، رَحَّالاً. سكن مدينة شِلْب<sup>(١)</sup> بعد استيلاء العدو على بلاده بالثغر. وله<sup>(٢)</sup> في التَّحُول أشعار وأخبار. قَدَم غرناطة وقصد عبد الملك بن سعيد، صاحب القلعة<sup>(٣)</sup> من بُنَيَّاتِها، واستأذن عليه في زِيٍّ موجش، واستخفَّ به القاعدون ببابه، إلى أن لطف بعضهم، وسأله أن يُعرِّف به القائد، فلما بُلِّغَ عنه، أمر بإدخاله، فأنشده قصيدة مطلعها<sup>(٤)</sup>: [الوافر]

عليك أحوالي الذُّكْرُ الجميلُ      فجئتُ ومن ثنائِكَ لي دليلُ<sup>(٥)</sup>  
أتيتُ ولم أقْدَمْ من رسولٍ      لأنَّ القَلْبَ كان هو الرُّسولُ  
منها في وصف زِيَّه البدوي المُستقل وما في طيِّه:

ومَثَّلني بَدَنٌ فيه خمر<sup>(٦)</sup>      يَخِفُّ بها<sup>(٧)</sup> ومنظَرُهُ ثَقِيلُ

فأكرم نَزْلَه، وأحسن إليه، وأقام عنده سنة، حتى أَلَفَ بالقلعة كتاب «المُسهب، في غرائب<sup>(٨)</sup> المَغْرِب»، وفيه التَّثْبِيه على الحُلَى البِلادِيَّة والعِبَادِيَّة. وانصرف إلى قصد ابن هود برُوطه، بعد أن عَذَلَه عن التَّحُول عنه، فقال: التَّفس تَوَاقَة، وما لي بالتَّغْرُب طاقة، ثم أَفَكَّر وقال: [الطويل]

يقولون لي: ماذا الملal تقيم في      محلٌّ فِعند الأُنس تذهب راحلا  
فقلت لهم: مثل الحَمَام إذا شدا      على غُصْنٍ أَمْسَى بآخرَ نازلا  
نكبتَه: قال علي بن موسى بن سعيد<sup>(٩)</sup>: ولَمَّا قصد الحِجاري رُوطه، وحلَّ لدى أميرها المستنصر بن عماد الدولة بن هود<sup>(١٠)</sup>، وتحركَ لِعَزْوِ مَنْ قَصَدَه من

(١) شِلْب: بالإسبانية Silves، وهي قاعدة كورة أكشونية، بجنوب مدينة باجة. الروض المعطار (ص ٣٤٢).

(٢) قارن بالمغرب (ج ٢ ص ٣٥) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٢٦٥ - ٢٦٦).

(٣) هي قلعة بني سعيد. وتعرف أيضاً بقلعة يَحْصَب، Alcalá la Real أي القلعة الملكية، نسبة إلى قبيلة يحصب، وتعرف أيضاً بقلعة يعقوب، أو القلعة السعدية، وهي إحدى مدن غرناطة في عهد بني زيري البربر. مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٦٢).

(٤) الأبيات الثلاثة في المغرب (ج ٢ ص ٣٥). وورد في نفح الطيب (ج ٤ ص ٢٦٦) أربعة أبيات، من ضمنها البيت الأول لا غير.

(٥) رواية عجز البيت في الفتح هي:

فَصَحَّ العَزْمُ واقتضى الرحيلُ

(٦) في المغرب: «بير». (٧) في المغرب: «به».

(٨) في المغرب: «فضائل».

(٩) علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، هو صاحب كتاب «المغرب» و«رايات المبرزين»، وغيرهما.

(١٠) المستنصر بن هود: هو أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن هود، آخر ملوك بني هود بسرقسطة، =

البَشْكُنْس، فَهَزَمَ جِيْشَهُ، كَانَ<sup>(١)</sup> الْحِجَارِي أَحَدَ مَنْ أُسِرَ فِي تِلْكَ الْوَقِيعَةِ، فَاسْتَقَرَّ بِبِسْقَايَةِ<sup>(٢)</sup>، وَبَقِيَ بِهَا مَدَّةً، يُحَرِّكُ ابْنُ هُودٍ بِالأَشْعَارِ وَيَحْتُهُ عَلَى خِلَاصِهِ مِنَ الْإِسَارِ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ ذِمَامَةً، وَلَا تَحَرُّكَ لَهُ اِهْتِمَامَهُ، فَخَاطَبَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنُ سَعِيدَ بِقَوْلِهِ:

[السريع]

أَضْبَحْتُ فِي بِسْقَايَةِ مُسَلِّمًا      إِلَى الْأَعَادِي لَا أَرَى مُسْلِمًا  
مُكَلِّفًا مَا لَيْسَ فِي طَاقَتِي      مُصَفِّدًا مُنْتَهَرًا مُرْغَمًا  
أُطْلَبُ بِالْخِدْمَةِ، وَاحْشَرْتِي!      وَحَالَتِي تَقْضِي بِأَنْ أُخْدَمًا  
فَهَلْ كَرِيمٌ يُزْتَجَى لِلْأَسِيرِ      يَفْكُهُ، أَكْرَمَ بِهِ مُنْتَمِي

وقوله: [الخفيف]

أَرْثِيَسَ الزَّمَانِ أَغْفَلْتَ أَمْرِي      وَتَلَذَّذْتَ تَارِكًا لِي بِأُسْرِي؟  
مَا كَذَا يَعْمَلُ الْكِرَامُ وَلَكِنْ      قَدْ جَرَى عَلَى الْمُعَوَّدِ ذَهْرِي

فاجتهد في فدائه، ولم يمز شهر إلا وقد تخلص من أسره، واستقرّ لديه، فكان طليق آل سعيد، وفيهم يقول<sup>(٣)</sup>:

وَجَدْنَا سَعِيدًا مُنْجِبًا خَيْرَ عُضْبَةٍ      هُمْ فِي بَنِي أَغْصَارِهِمْ<sup>(٤)</sup> كَالْمَوَاسِمِ  
مُسْتَفْقَةً أَسْمَاعُهُمْ بِمَدَائِحِ<sup>(٥)</sup>      مُسَوَّرَةً أَيْمَانُهُمْ بِالصُّوَارِمِ  
فَكَمْ لَهُمْ فِي الْحَرْبِ مِنْ فَضْلٍ نَائِرٍ!      وَكَمْ لَهُمْ فِي السَّلْمِ مِنْ فَضْلٍ نَاطِمِ

توالياقه: وتوالياق الحِجَارِي بديعة، منها «الحديقة» في البديع، وهو كتاب مشهور، ومنها «المسهب في غرائب المغرب»، وافتتح خطبته بقوله: «الحمد لله الذي جعل العباد، من البلاد بمنزلة الأرواح من الأجساد، والأسياف من الأغماد». وهو في ستة مجلدات.

= وقد حكمها سنة ٥١٣ هـ، ومات سنة ٥٣٦ هـ. الأعلام (ج ١ ص ١٦٤) وفيه ثبت بأسماء المصادر التي ترجمت له.

(١) في الأصل: «وكان».

(٢) بسقاية: بالإسبانية Vizcaya، وهي إحدى ولايات مملكة نبرة.

(٣) الأبيات في المغرب (ج ٢ ص ٣٦). (٤) في المغرب: «أزمانهم».

(٥) في المغرب: «بفضائل».

## عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله ابن سعيد بن الخطيب السِّلْماني<sup>(١)</sup>

يكنى أبا محمد.

أُولَئِثَّة: تُنظر في اسم جدّه.

حاله: حسن<sup>(٢)</sup> الشّكل، جيّد الفهم، يُعْطِي منه رماذ السّكون جَمْرَةً حركة، مُنْقَبِضٌ عن الناس، قليل البَشاشة، حسن الحَظّ، وَسَطُ النّظْم. كَتَبَ عن الأمراء بالمغرب، وأنشدهم، واقتضى<sup>(٣)</sup> خَلْعَهُمْ وصكوكهم بالإقطاع والإحسان. ثم لما كانت الفِتنة كتب عن سلطان وطنه، مُعَزِّزُ الخُطّة بالقيادة، وأنشدهم.

مُشِيخته: قرأ<sup>(٤)</sup> على قاضي الجماعة، الشيخ<sup>(٥)</sup> الأستاذ الخطيب أبي القاسم الحسني، والأستاذ<sup>(٦)</sup> الخطيب أبي سعيد فرج بن لبّ التّغليبي، واستظهر بعض<sup>(٧)</sup> المبادئ في العربية، واستُجيز له من أدركه ميلادُه من أهل المشرق والمغرب.

شعره: وشعره<sup>(٨)</sup> مُتَرَفِّعٌ عن الوَسَط إلى الإجادة، بما يكفله<sup>(٩)</sup> عُذْرُ الحَدَاثَةِ. وقد ثَبَتَ في اسم السلطان لهذا العهد، أبي عبد الله بن نصر<sup>(١٠)</sup>، أيّده الله، ما يدلّ على جودة قَرِيحته، وذكاء طَبْعِهِ. وممّا دَوَّنَ الذي ثَبَتَ له حيث ذكر قوله<sup>(١١)</sup>:

لَمَنْ طَلَّلَ بِالرَّقْمَتَيْنِ مُجِيلٌ      عَفَّتْ دِمْنَتَيْهِ شِمَالٌ وَقَبُولٌ<sup>(١٢)</sup>  
يلوَحُ كباقي الوَشم غَيْرُهُ البلى      وجادَتْ عليه السُّخْبُ وَهِيَ هُمُولٌ<sup>(١٣)</sup>

(١) ترجمة عبد الله بن محمد بن الخطيب في الكتبية الكامنة (ص ٢٧٩) ونفع الطيب (ج ١٠ ص ١٤٣) وجاء فيه أنه: «عبد الله بن محمد بن علي بن سعيد بن الخطيب التلمساني».

(٢) النص في نفع الطيب (ج ١٠ ص ١٤٣).

(٣) في النفع: «وأقبض صكوكهم بالإقطاعات والإحسان، واختال في خلعهم. ثم لَمَّا...».

(٤) النص في نفع الطيب (ج ١٠ ص ١٤٣). (٥) قوله: «الشيخ الأستاذ» ساقط في النفع.

(٦) في النفع: «والخطيب». (٧) في النفع: «ببعض».

(٨) النص في نفع الطيب (ج ١٠ ص ١٤٣). (٩) في النفع: «الإجادة، يكفله...».

(١٠) هو الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل. ترجمته في اللوحة البديرية (ص ١١٣، ١٢٩).

(١١) القصيدة في الكتبية الكامنة (ص ٢٨٠ - ٢٨١) وقال إنه قالها في الأغراض السلطانية أيام كتابته عن السلطان ملك المغرب. وهي أيضًا في نفع الطيب (ج ١٠ ص ١٤٦).

(١٢) المُحِيل: المتغيّر. الدُّمْنَةُ: الموضع القريب من الدار. الشمال: ريح الشمال. القبول: الريح التي تقابل الشمال. لسان العرب (حيل) و(دمن) و(شمال) و(قبل).

(١٣) هُمُول: منهمة. لسان العرب (همل).

فيا سَعْدُ، مَهْلًا بِالرُّكَّابِ لَعَلَّنَا  
 قِفِ الْعَيْسَ نَنْظُرُ نَظْرَةً تُذْهِبُ الْأَسَى  
 وَعَرِّجْ عَلَى الْوَادِي الْمَقْدَسِ بِالْحِمَى<sup>(١)</sup>  
 فِيا حَبَّذَا تِلْكَ الدِّيَارُ وَحَبَّذَا  
 دَعَوْتُ لَهَا سَفْيَ الْحِمَى عِنْدَمَا سَرَى<sup>(٢)</sup>  
 وَأَرْسَلْتُ دَمْعِي لِلْغَمَامِ مُسَاجِلًا  
 فَأَصْبَحَ ذَاكَ الرَّبْعُ مِنْ بَعْدِ مَخْلِهِ  
 لَتُنْ حَالِ رَسْمِ الدَّارِ عَمَّا عَهْدَتِهِ  
 وَمِمَّا شَجَانِي بَعْدَ مَا سَكَنَ الْهُوَى  
 تَوَسَّدَنْ فَرْعَ الْبَانِ وَالنَّجْمِ مَائِلِ  
 فِيا صَاحِبِي، دَعْ عَنكَ لُومِي فَإِنَّهُ  
 تَقُولُ اصْطَبَارًا عَنْ مَعَاهِدِكَ الْأَلَى  
 فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى وَلِلْأَسَى  
 يُطَاوِلُ لَيْلَ الثَّمَمِ مِنْ مِسْهَدٍ  
 فَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَعُودُنْ مَا مَضَى؟

نشره: أجباني لما خاطبتُ الجملة من الكتاب، والسلطان، رضي الله عنه،  
 بالْمُنْكَبِ، في رحلة أعملها بما نصه:

«الله من فذة المعاني، حيث مشوق الفؤاد عاني، لما أنارت بها المغانى، غنين  
 عن مُطَرَّبِ الأغاني، يا صاحب الإذعان، أجب بالله من دعاني، إذا صرّت من كثرة  
 الأمانى، بالشوق والوجد مثل ماني. ورَدّت سَخَاتِ سيدي التي أنشأت لغمام الرحمة  
 عند اشتداد الأزمة رياحا، وملأت العيون محاسنا والصُدُور انشراحا، وأصبح رحيب  
 قِرطاسها وعميم فضلها ونوالها وأيناسها لفرسان البلاغة مغدّى ومراحا. فلم أذر  
 أصحيفة تُسخت مسطورة، أم روضة تُفحت منطورة، أطيّب من المسك مُتَشَقًّا،  
 وأحسن من السلك مُتَشَقًّا، فملكتها مقادة خاطري، وأودعْتُها سواد قلبي وناظري،  
 وطلعت عليّ طلوع الصُّبْحِ على عقب السرى، وخلّصت خلوص الخيال مع سِنَّة  
 الكرى. فلله ما جَلَبَتْ من أنس، وأذهبت لطائفة الشيطان من مس، وهاجت من

(٢) في النسخ: «الحمى وربوعه».

(١) في الكتبية: «والحمى».

(٣) يحول: يتغير. لسان العرب (حول).



الشوق، الذي شبَّ عمره عن الطوق، والوجد الذي أصبح وإري الزند. فأقسم بباري  
النسم، وواهب الحظوظ والقسم، لو أعطيت للنفس مقادتها، وسوَّعتها إرادتها، ما  
قنعت بنبينا القِرطاس والمداد، عن مباشرة الأرواح والأجساد، وإن أعرضت عَقَبه  
للشعير ورأس المزاد، وشَمَخ بأنفه وزاد، وما بين ذلك من عَلمٍ باذخ، وطودٍ شامخ،  
قد أذكرت العقاب عَقابه، وصافحت النجوم هُضابه، قد طَمَحَ بطرفه، وشَمَخَ بأنفه،  
وسال الوقار على عَظفه: [الكامل]

مَلَكْتَ عِنان الرِّيحِ راحته فجيادها من تحته تَجري  
وأما الحَمَلُ الهائج، والبحر المُتَمَاجِج، والطلل المائل، والدُّنْبُ الشَّائِلُ،  
فمُساجلة مولاي في ذلك المجال، من المحال، إذ العبد قُصاراه أَلْفاظ مرَّبة، غير  
مرَّبة: [الخفيف]

هو جَهْدُ المُقِلِّ وافيكَ مَنِّي إِنَّ جُهْدَ المُقِلِّ غيرُ قليلٍ  
وأقرأ على مولاي، أبقاه الله، سلامًا عميمًا، تنسَم روضه نسيما، ورَفَّ نظره  
وعَبَق شَمِيمًا، والأوفر الأذكى منه عليه مُعادًا، ما سَخَّ السَّحابُ إرعادًا، وأبرق الغمام  
رعدًا والحُسامُ أبعادًا، ورحمة الله وبركاته. من عَبدِه الشَّيْبُ لوجهه، عبد الله بن  
الخطيب، في الخامس عشر لجمادى الأولى عام تسعة وستين وسبعمائة.  
مولده: بحضرة غرناطة، يوم السبت سبع عشر صفر عام ثلاثة وأربعين  
وسبعمائة.

### عبد الله بن محمد بن سارة البكري<sup>(١)</sup>

شَنَتَرِينِي<sup>(٢)</sup>، سكن ألمرية وغرناطة، وتردَّد مادحًا ومنتجعًا شرقًا ومغربًا،  
ويضرب في كثير من البلاد.

(١) ترجمة ابن سارة أو ابن صارة في وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٧٦) وبغية الملتبس (ص ٣٣٨)  
وزاد المسافر (ص ٦٦) وقلائد العقيان (ص ٢٥٨) والتكملة (ج ٢ ص ٢٥١) والمطرب (ص  
٧٨، ١٣٨) والمغرب (ج ١ ص ٤١٩) والذخيرة (ق ٢ ص ٨٣٤) ومسالك الأبصار (ج ١١،  
الورقة ٣٨٣) وشذرات الذهب (ج ٤ ص ٥٥) ومعجم السفر للسلفي (ص ٢٠٥) وخريدة القصر  
- قسم المغرب (ج ٢ ص ٢٥٦) والفلاكة والمفلوكون (ص ٩٠) ورايات المبرزين (ص ١٠٦)  
وبغية الوعاة (ص ٢٨٨) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٤٣) و(ج ٤ ص ٢٨٤) وصفحات أخرى  
متفرقة.

(٢) نسبة إلى مدينة شنترين البرتغالية Santaren، وهي بلدة في غرب جزيرة الأندلس. وفيات  
الأعيان (ج ٣ ص ٧٩).

حاله: كان ذا حظٍّ صالح من النحو واللغة، وحفظ الأشعار، أديبًا ماهرًا، شاعرًا مُجيدًا، مطبوع الاختراع والتوليد. تجوّل في شرق الأندلس وغربها مُعلِّمًا للنحو، ومادحًا ولاتها، وكتبَ عن بعضهم، وتعيّش بالوراقة زمانًا، وكان حسن الخطّ، جيّد النقل والضبط.

مشيخته: روى عن أبي الحسن بن الأخضر.

مَنْ روى عنه: روى عنه أبو بكر بن مسعود، وأبو جعفر بن الباذش، وأبو عثمان بن هارون، وأبو الطاهر التميمي، وأبو العباس بن علي اللص، وأبو العلاء بن الجئان، وأبو محمد بن يوسف القضاءي، وإبراهيم بن محمد السبتي.

شعره: وشعره كثير جيد شهير. منه في حِرْفة الوراقة قوله<sup>(١)</sup>: [الكامل]

أما الوراقة فهي أَيْكَةُ<sup>(٢)</sup> حِرْفةٍ      أغصانها<sup>(٣)</sup> وئماؤها الحِرْمانُ  
شَبَّهْتُ صاحبها بإبرة<sup>(٤)</sup> خائِطٍ      يكسو<sup>(٥)</sup> العُراة وظَهْرُهُ عِرْيَانُ

وقال في نَجْم الرّحيم، وهو من التّشبيه العقيم<sup>(٦)</sup>: [البسيط]

وكوكِبٍ أَبْصَرَ العِفْريت مُسْتَرْقَا      فانْقَضَ<sup>(٧)</sup> يُذْكَي<sup>(٨)</sup> سَريعًا خَلْفَهُ لَهَبُهُ  
كفارسٍ حَلٍّ إِحْصَارٍ<sup>(٩)</sup> عِمَامَتِهِ      فَجَرَّهَا<sup>(١٠)</sup> كُلُّهَا مِنْ خَلْفِهِ عَذْبَهُ

وقال منه في المواعظ<sup>(١١)</sup>: [البسيط]

يا مَنْ يُصَيِّحُ إِلَى دَاعِي السُّفَاهِ<sup>(١٢)</sup> وقد      نادى به النَّاعِيان: الشَّيْبُ والكِبَرُ  
إِنْ كُنْتَ لَا تَسْمَعُ الذُّكْرَى ففيم ثَوَى<sup>(١٣)</sup>      في رَأْسِكَ الوَاعِيان: السَّمْعُ والبَصَرُ؟

(١) البيتان في الذخيرة (ق ٢ ص ٨٣٥) والمطرب (ص ٧٨) والفلاكة والمفلوكون (ص ٩٠).

(٢) في الذخيرة والمطرب: «أنكد».

(٣) في الذخيرة: «أوراقها».

(٤) في الذخيرة: «بصاحب إبرة».

(٥) في الذخيرة والمطرب: «تكسو العراة وجسمها...».

(٦) البيتان في قلائد العقيان (ص ٢٦٨).

(٧) في الأصل: «فانقضى» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من القلائد.

(٨) في القلائد: «يذكي له في أثره لَهَبُهُ».

(٩) في الأصل: «إحصارًا» والتصويب من القلائد.

(١٠) في الأصل: «تجرّها» والتصويب من القلائد.

(١١) الأبيات في قلائد العقيان (ص ٢٦٤) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ٧٨) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٩٦).

(١٢) في القلائد: «السقاة». والسفاه: الجهل.

(١٣) في الأصل: «... الذكر ففيم ترى» والتصويب من المصادر الثلاثة.

ليس الأصم ولا الأعمى سوى رَجُلٍ      لم يَهْدِهِ الهاديان: العَيْنُ والأثرُ  
لا الدهرُ يَبْقَى على حال<sup>(١)</sup> ولا الفَلَكُ إلَّا      أغلى ولا النُّيران: الشمسُ والقَمَرُ  
لأزَحَلْنَ<sup>(٢)</sup> عن الدنيا ولو كَرِهًا<sup>(٣)</sup>      فراقها الشاويان: البَدْوُ والحَضَرُ

وقال في موت ابنته له<sup>(٤)</sup>: [الوافر]

ألا يا موت، كُنْتَ بنا رؤوفاً      فَجَدَّدْتَ السُّرور<sup>(٥)</sup> لنا بزُورَةٍ  
حَمِدْنَا<sup>(٦)</sup> سعيك المشكور لَمَّا      كَفَيْتَ<sup>(٧)</sup> مؤنَّةً وَسَتَرْتَ عَوْرَةَ  
فأنكحنا الضُّريح بلا صَدَاقٍ      وجهزنا العروس<sup>(٨)</sup> بغير شُورَةٍ

وفاته: توفي عبد الله بن سارة سنة تسع عشرة وخمسمائة<sup>(٩)</sup>.

### عبد الله بن محمد الشراط<sup>(١٠)</sup>

يكنى أبا محمد، من أهل مألقة.

حاله: طالبٌ جليل، ذكي، مدرك، ظريف، كثير الصِّلَف والخِثْرانة<sup>(١١)</sup>  
والإزراء بمن دونه، حادُّ النَّادرة، مرسلٌ عِنان الدُّعابة، شاعرٌ مُكثِر، يقوم على  
الأدب والعربية، وله تقدُّم في الحساب، والبرهان على مسائله. استُدعي إلى الكتابة  
بالباب السلطاني، واختصَّ بولي العهد، ونيط به من العمل، وظيفٌ نبِيه، وكاد ينمو  
عُشْبُهُ ويتأشَّب<sup>(١٢)</sup> جاهه، لو أن الليالي أمهَلَتْه، فاعْطِطَ لأميدٍ قريب من ظهوره،  
وكانت بينه وبين الوزير أبي عبد الله بن الحكيم، إخْتَةً، تخلَّصه الجِمام لأجلها، من  
كفِّ انتقامه.

(١) في المصادر الثلاثة: «... يبقى ولا الدنيا ولا...».

(٢) في المصادر الثلاثة: «ليرحلن».

(٣) في المصادر الثلاثة: «إن كَرِهًا» ويقال لغويًا: «وإن كَرِهَ فراقها الشاويان».

(٤) الأبيات في قلائد العقيان (ص ٢٦٨) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٩٦ - ٩٧).

(٥) في المصدرين: «الحياة».

(٦) في المصدرين: «حمادٍ لفعلك المشكور...».

(٧) في القلائد: «كففت». (٨) في المصدرين: «الفتاة».

(٩) في وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٧٩): «وكانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسمائة بمدينة ألمرية من

جزيرة الأندلس». وهكذا جاء في التكملة (ج ٢ ص ٢٥٢).

(١٠) ترجمة ابن الشراط في نثر فرائد الجمان (ص ٣٢٥).

(١١) لم نقف على هذه الكلمة في كتب اللغة، وجاء فيها في مادة (ختر): الختر: أقبح الغدر وأشدّه.

(١٢) يتأشَّب: يتجمع.

شعره: وشعره كثير، لكنني لم أظفر منه إلا باليسير. نقلت من خط صاحبنا القاضي المؤرخ أبي الحسن بن الحسن، من نظم أبي محمد الشراط، في معنى كان أدباء عصره قد كلفوا بالنظم فيه، يظهر من هذه الأبيات في شَمْعَة: [الوافر]

وكنْتُ أَلِفْتُ قبلَ اليومِ إلْفًا      أنادي مرة فيجيب ألفًا  
وكُنَّا مثلَ وَضَلِ العَهْدِ وَضلاً      وكُنَّا مثلَ وَضَفِ الشَّهْدِ وَضفاً  
ففرَّقَ بيننا صرفُ الليالي      وسوَّغنا كؤوسَ البَيْنِ صِرْفاً  
فصِرتَ غداةَ يومِ البَيْنِ شَمْعاً      وسارَ فصارَ كالعَسَلِ المُصَفَّاً  
فدمعي لا يتمُّ أسَى وجسمي      يُغصُّ بنارٍ وَجدي ليس يُطفأ  
ثم في المعنى أيضاً<sup>(١)</sup>: [البسيط]

حالي وحالك أضحت آيةً عجباً      إن كنت مُغْتَرِباً<sup>(٢)</sup> أو كنت مُقْتَرِباً<sup>(٣)</sup>  
إذا دنوتُ فإنني مُشعر طرباً      وإن نأيتُ فإنني مُشعل لهباً  
كذلك الشَّمْع لا تنفكُ<sup>(٤)</sup> حالته      إلا إلى الناس مهما فارق الضرباً  
ومن ذلك أيضاً: [الطويل]

رحلتُم وخَلَفْتُم مَشُوفَكُم نسياً      رهينَ هيامٍ لا يموت ولا يخيا  
فضاقت عليَّ الأرض واغتاص مذهبي      وما زلت في قومي ولا ضاقت الدنيا  
وما باختيارٍ شئت الدهر بيننا      وهل يَمْلِك الإنسان من أمره شيئاً؟  
فذا أضلعي لم تَخُب من أجلكم جوى      وذا أدمعي لم تال من بعدكم جزياً  
كأنني شَمْعٌ في فؤادٍ وأدمع      وقد فارقْتُ من وصلكم رياءً  
وذكر لي أن هذا صدر عنه في مجلس أنس مع الوزير أبي عبد الله بن عيسى بمالقة، بحضرة طائفة من ظرفاء الأدباء.

وفاته: كان حيناً سنة سبعمائة، وتوفي بغرناطة، وهو على حاله من الكتابة، رحمه الله.

(١) الأبيات في نثر فرائد الجمان (ص ٣٢٦).

(٢) في الأصل: «مغترِباً» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من نثر فرائد الجمان.

(٣) في الأصل: «مغترِباً» والتصويب من النثر. (٤) في النثر: «لا ينفك».

## عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف ابن رضوان النجاري<sup>(١)</sup>

يكنى أبا القاسم، ويعرف باسم جدّه، من أهل مالقة، وصاحب القلم الأعلى لهذا العهد بالمغرب.

حاله: هذا الفاضل نسيجٌ وحده، فهما وانطباعاً، ولودعية، مع الدين والصون، مُعِمٌّ، مخول في الخير، مُستولٍ على خصال حميدة، من خطٍّ وأدبٍ وحفظ، مشاركٌ في معارف جملة. كتب ببلده عذلاً رضى، وأنشد السلطان عند حلوله ببلده. ورحل عن بلده إلى المغرب، فارتسم في كتابة الإنشاء بالباب السلطاني، ثم بان فضله، ونَبّه قدره، ولَطَفَ محلّه، وعاد إلى الأندلس، لما جَرَتْ على سلطانه الهزيمة بالقيروان، ولم يَنْتَشلْه الدهر بعدها مع جملة من خواصّه. فلما استأثر الله بالسلطان المذكور، مؤسوم التّمحيص، وصيّر أمره إلى ولده بعده، جَنَحَ إليه، ولحق ببابه، مُقترن الوفاة، بيمن الطائر، وسعادة النّصبة، مظنة الاصطناع، فَحَصَلَ على الحظوة، وأصبح في الأمد القريب، محلاً للبتّ وجليسا في الخلوة، ومؤتمناً على حُطّة العلامة<sup>(٢)</sup>، من رجل ناهض بالكلّ، جَلَدَ على العمل، حذرٍ من الذّكر، متقلّص ذيل الجاه، مُتَهَيّب، غزير المشاركة، مطفّفٍ في حقوق الدّول عند انخفاض الأسعار، جالبٍ لسوق المُلْك ما يُنفق فيها، حارّ النّادرة، مليح التّندير، حُلُو الفكاهة، غَزَلَ مع العفة، حافظ للعيون، مُقَدِّم في باب التّحسين والتنقيح، لم يَنْشِب المَلِكُ أنْ أيس منه بهذه الحال، فشدّ عليه يد الغبطة، وأنشِب فيه برائن الأثرة، ورمى إليه بمقاليذ الخدمة، قَسَمَا مكانه، وعلا كعبه، ونما عُشّه. وهو الآن بحاله الموصوفة، من مفاخر قُطره، ومناقب وطنه، كثر الله مثله.

مشيخته: قرأ ببلده على المُقرئ أبي محمد بن أيوب، والمُقرئ الصالح أبي عبد الله المهندس، والأستاذ أبي عبد الله بن أبي الجيش، والقاضي أبي جعفر بن عبد الحق. وروى عن الخطيب المحدث أبي جعفر الطنجالي، والقاضي أبي

(١) ترجمة ابن رضوان النجاري في نيل الابتهاج (ص ١٢٣) والتعريف بابن خلدون (ص ٢٠، ٤١) وجذوة الاقتباس (ص ٢٤٧) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٠) والكتيبة الكامنة (ص ٢٥٤) وفيه: «النجاري» بدل «النجاري». ولم يشر ابن الخطيب هنا إلى سنة وفاته؛ لأنه توفي في سنة ٧٨٣ هـ، أي بعد وفاة ابن الخطيب بسبع سنوات.

(٢) هي العلامة التي كانت توضع عن السلطان أسفل المراسيم والمخاطبات، وبعضها كان السلطان يضعه بخطه. التعريف بابن خلدون (ص ٢٠).

بكر بن منظور. وبغرناطة عن جِلَّة؛ منهم شيخنا رئيس الكتاب أبو الحسن ابن الجيّاب، وقاضي الجماعة أبو القاسم بن أحمد الحسني، ولازم بالمغرب الرئيس أبا محمد عبد المّهينم الحضرمي، والقاضي أبا إسحق إبراهيم بن أبي يحيى، وأبا العباس بن يزبوع السّبتى. وبتلمسان عن أبي عبد الله الآبلي، وأبي عبد الله بن النّجار، وغيرهما. وبتونس عن قاضي الجماعة أبي عبد الله بن عبد السلام، وعن جماعة غيرهم.

شعره: ونظمه ونثره متجاربان لهذا العهد في ميدان الإجابة. أما شعره، فمُتناسب الوضع، سهل المآخذ، ظاهر الرّواء، مُحكّم الإمرة للتّنقيح. وأما نثره، فطريف السّجع، كثير الدّالة، مُطيع لدعوة البديهة، وربما استعمل الكلام المُزسل، فجرى يراعُه في ميدانه مِلءٌ عِناهُ.

وجرى ذكره في «التاج» أيام لم يفهق<sup>(١)</sup> حوضه، ولا أزهر روضه، ولا تباينت سماؤه ولا أرضه، بما نصه<sup>(٢)</sup>: أديب أحسن ما شاء، وفتح قلبه<sup>(٣)</sup> فملاً الدّلو وبَلّ الرّشاء<sup>(٤)</sup>، وعانى على حدّاته الشعر والإنشاء، وله ببلده بيتٌ معمور بفضل وأمانة، ومَجْدٍ وديانة. ونشأ هذا الفاضل على أنتم العفاف والصّون، فما مال إلى فسادٍ بعد الكون. وله خطٌ بارع، وفهم إلى العوامض مُسارع. وقد أثبت من كلامه، ونفّثات أقلامه، كلُّ مُحكم العقود، زارياً<sup>(٥)</sup> بِنْت العنقود. فمن ذلك قصيدة<sup>(٦)</sup> أنشدها للسلطان أمير المسلمين<sup>(٧)</sup>، مهتئاً بهلاك الأسطول الحربي بالزّقاق الغربي<sup>(٨)</sup>، أجاد أغراضها، وسبّك المعاني وراضها، وهي قوله<sup>(٩)</sup>: [الطويل]

لعلّكما أن تزعيا لي وسائلا	فبالله عوجا بالركابِ وسائلا
بأوطانٍ أوطارٍ قفا ومآربي	وبالحُبِّ خُصّاً بالسّلام المئازلا
ألا فانشدا بين القباب من الحمى	فؤاد شجّ أضحى عن الجسم راحلا

(١) فهق حوضه: امتلا. لسان العرب (فهق). (٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤١).

(٣) القلب: البئر. لسان العرب (قلب). (٤) الرّشاء: الحبل. لسان العرب (رشاء).

(٥) في النفح: «زار بانية».

(٦) في النفح: «فمن ذلك قوله» وأورد الشعر مباشرة.

(٧) أمير المسلمين هنا هو السلطان أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصري، وقد حكم غرناطة من سنة ٧٣٣ هـ إلى سنة ٧٥٥ هـ. راجع اللمحة البدرية (ص ١٠٢).

(٨) المقصود بالزّقاق الغربي جبل الفتح، أو جبل طارق، الذي نازله ألفونس بن هرانده، فهلك فيه حتف أنفه عام ٧٥١ هـ. اللمحة البدرية (ص ١٠٨).

(٩) ورد في نفح الطيب من هذه القصيدة خمسة أبيات فقط.

لَهُمْ مِنْ أَحَادِيثِي عَرِيضًا وَطَائِلًا  
وَلَا زَالَ هَامِي السُّخْبِ فِي الرَّبْعِ هَامِلًا  
مَارَبَ فَمَا أَلْقَى مَدَى الدَّهْرِ حَائِلًا؟  
وَيُورِدُ فِيهِ مِنْ مُنَاهِ مَنْاهِلًا  
وِظَلٌّ بِمَا أَبْقَى<sup>(٣)</sup> مِنَ الْقُرْبِ مَاطِلًا  
وَمَكَّنَ مَنِّي الْخُطُوبَ شَوَاغِلًا  
وَقَالَ: أَصِيخُ لِي لَا تَكُنْ لِي<sup>(٤)</sup> عَاذِلًا  
لَدَى أَعْظَمِ الْأَمْلاكَ جَلَمًا وَنَائِلًا؟  
وَأَعْلَى لَهُ فِي الْمَكْرُمَاتِ الْمَنَازِلَا  
غَدَا كَهَلَالِ الْأَفْقِ يُبْصِرُنَا عَلَا  
صَبَاحٌ وَيَذُرُّ لَا يُرَى الدَّهْرُ أَفَلَا  
لَهُمْ شِيمٌ مِلءُ الْفَضَاءِ فَضَائِلَا  
جَلَلُوا صُورَ الْأَيَّامِ غُرًّا جَلَائِلَا  
يُرَى رُحُلٌ دُونَ الْمَرَاتِبِ زَاحِلَا  
كَمَا قَدْ رَكَتْ أَضْلًا وَطَابَتْ أَوَائِلَا  
وَمَنْ آلَ نَصْرٍ عَادَ يُبْصِرُ أَهْلَا  
تَقُولُ سَحَابُ الْجُودِ وَالْبَأْسِ هَاطِلَا  
تَبِينُ مِنَ الْأَتْفَالِ فِيهَا الْمَسَائِلَا  
كَمَا حَكَمُوا فِي حَذْفِ جَزْمِ عَوَامِلَا  
كَمَا بَدَّدَتْ مِنْهُ الْيَمِينُ التَّوَائِلَا

وَبُنَّا صَبًّا بَاتَ هِنَالِكَ وَأَشْرَحَا  
رَعَى اللَّهُ مَثَوَاكُمُ عَلَى الْقُرْبِ وَالْتَوَى  
وَهَلْ لَزَمَانٍ بِاللَّوَى قَدْ<sup>(١)</sup> سَقَى اللَّوَى  
فَحَطَّيْ بِعِيدُ الدَّارِ مِنْهُ بِقُرْبِهِ  
لَقَدْ جَارَ دَهْرِي أَنْ<sup>(٢)</sup> نَأَى بِمَطَالِبِي  
وَحَمَّلَنِي مِنْ صَرْفِهِ مَا يُوَدِّنِي  
عَتَبْتُ عَلَيْهِ فَاعْتَدَى لِي عَاتِبًا  
أَتَغَيَّبُنِي إِذْ<sup>(٥)</sup> قَدْ أَقْدْتُكَ مَوْقِفًا  
مَلِيكَ حَبَاهُ اللَّهُ بِالْخُلُقِ الرِّضَا  
مَلِيكَ عَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ قَطْرُفُهُ  
إِذَا مَا دَجَا لَيْلُ الْخُطُوبِ فَيُشْرُهُ  
نَمَاهُ مِنَ الْأَنْصَارِ غَرَّ أَكَابِرِ  
تَلَوْا سُورَ النُّعْمَاءِ فِي حِزْبِهِمْ كَمَا  
تَسَامَتْ لَهُمْ فِي الْمَغْلُوتِ مَرَاتِبِ  
عِصَابَةِ نَصْرِ اللَّهِ طَابَتْ أَوَاخِرَا  
لَقَدْ كَانَ رَبُّعُ الْمَجْدِ مِنْ قَبْلُ خَالِيَا  
إِذَا يُوسُفُ مِنْهُمْ تَلُوحُ يَمِينُهُ  
كِتَابِيهِ فِي الْفَتْحِ تَكْتَبُ أَسْطُرَا  
عَوَامِلُهُ بِالْحَذْفِ تَحْكُمُ فِي الْعِدَا  
يَبْدُدُ جَمْعَ الْكُفْرِ رُغْبًا وَهَيْبَةً  
وَمِنْهَا فِي وَصْفِهِ الْأُسْطُولُ وَاللِّقَاءُ:

لَمْ تَمْ<sup>(٦)</sup> اسْتَقَلَّتْ لِلشُّعُودِ مُحَافِلَا  
وَأَبْصَرَ أَمْوَاجَ الْبَحَارِ أَسَاطِلَا  
وَمَنْ رُغِبَ خَالَ الْبَحَارِ سَوَاحِلَا

وَلَمَّا اسْتَقَامَتْ بِالزَّقَاقِ أَسَاطِيلَا  
رَأَاهَا عَدُوُّ اللَّهِ فَانْفَضَّ جَمْعُهُ  
وَمَنْ دَهَشَ ظَنَّ السَّوَاحِلَ أَبْخِرَا

(١) كلمة «قد» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

(٢) في النسخ: «إذ».

(٣) في النسخ: «أبغى».

(٤) في النسخ: «أن».

(٥) في النسخ: «قط».

(٦) في الأصل: «واستقلت»، وكذا ينكسر الوزن.

وَمِنْ جُنْدِكُمْ هَبَّتْ عَلَيْهِ عَوَاصِفٌ  
تُفَرِّقُهُمْ أَيْدِي سَبَا وَتَبِيدُهُمْ  
وَعَهْدِي بِمَرْ رِيحٍ لِلنَّارِ مَوْقِدَا  
وَكَانَ لَهُمْ بَرْزُ الْعَذَابِ وَلَمْ يَكُنْ  
حَدَاهُمْ هَوَاهُمْ لِلْإِسَارِ وَلِلْفَنَا  
فَهُمْ بَيْنَ عَانٍ فِي الْقِيُودِ مُصَفِّدٍ  
سَتُهِلِكَ مَا بِالْبُرِّ مِنْهُمْ جُنُودُكُمْ  
وَقَالَ أَيْضًا يَمْدَحُهُ: [الطويل]

نَشَرْتَ لَوَاءَ النَّصْرِ وَالْيُمْنِ وَالسَّعْدِ  
أَعَدْتَ لَنَا الدُّنْيَا نَعِيمًا وَلِدَّةً  
بِنُورِكُمْ وَاللَّهُ يَكْلَأُ نُورَكُمْ  
تَحْلَى لَكُمْ بِالْمَلِكِ نَخْرٌ وَلَبَّةٌ  
مَا تَرَكْتُمْ قَدْ سَطَرَتْهَا يَدُ الْعُلَا  
بِمَدْحِكُمُ الْقُرْآنَ<sup>(١)</sup> أَتْنِي مُنْزَلًا  
كَفَاكُمُ فَخَارًا أَنَّهُ لَكُمْ أَبٌ  
ثَنَاؤُكُمْ هَذَا أَمِ الْمِسْكِ نَافِعٌ؟  
أَجَلٌ ذِكْرُكُمْ أَزْكَى وَأَذْكَى لِنَاشِقٍ  
طَلَعَتْ عَلَى الْآفَاقِ نُورًا وَبِهَجَّةٍ  
وَفِي جَمَلَةِ الْأَمْلَاكِ عَزٌّ وَرَفْعَةٌ  
وَلَوْ أَنَّنِي فُقْتُ سَحْبَانَ وَائِلٍ  
لَمَا قُمْتُ بِالْمِغْشَارِ مِنْ بَعْضِ مَا لَكُمْ

وَقَالَ فِي شَيْخِهِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مَنْظُورٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ: [الطويل]

جَلَالُكَ أَوْلَى بِالْعُلَا لِلْمَخْلُودِ<sup>(٢)</sup>  
لِمَجْدِكَ كَانَ الْعَزُّ يَذْخَرُ وَالْعُلَى  
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُشْرِفًا  
وَذَكَرَكَ أَعْلَى الذِّكْرِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ  
وَأَنَّكَ لِلْأَوْلَى بِأَرْفَعِ سُودٍ  
بِمَقْعَدِ خَيْرِ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدٍ

(١) في الأصل: «للقرآن»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «المخلد» وهكذا ينكسر الوزن.



فَهَيَّئْتُ بِالْفَخْرِ السُّنِّيَّ مَحَلَّهُ  
شَهِدْتُ بِمَا أَوْلَيْتَنِي مِنْ عَوَارِفِ  
وَمَا حُزْتُ مِنْ مَجْدِ كَرِيمِ نِجَارِهِ  
لَقَدْ نَبَّأْتَنِي بِالرَّوَّاحِ لَعَزُّكُمْ  
تُحَدِّثُنِي نَفْسِي وَإِنِّي لَصَادِقُ  
ذَلِيلِي بِهَذَا أَنَّكَ الْمَاجِدُ الَّذِي  
لَيَفْخَرُ أُولُو الْفَخْرِ الْمَنِيفُ بِأَنْكُمْ  
إِمَامُ عُلُومٍ مُغْتَلِي الْقَدَرِ لَمْ يَزَلْ  
وَقَاضٍ إِذَا الْأَحْكَامُ أَشْكَلَ أَمْرُهَا  
إِذَا الْحَقُّ أَبْدَى نَوْرَهُ عِنْدَ حُكْمِهِ  
وَإِنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ فِي الْحَقِّ عِنْدَهُ  
هَنِيئًا لَنَا بَلٌّ لِلْقَضَاءِ وَفَضْلُهُ  
أَمَاتَ بِهِ الرَّحْمَنُ كُلَّ ضَلَالَةٍ  
وَكَاثِنٌ تَرَاهُ لَا يَزَالُ مَلَاذِمًا  
وَمَا زَالَ قِدْمًا لِلْحَقِيقَةِ حَامِيًا  
وَيَمْنَحُ أَفْضَالَ وَيُولِي أَيَادِيًا  
يُقَيِّدُ أَحْرَارًا بِمَنْطِقِ جُودِهِ  
تَعْمُ إِنْ يَكُنْ لِلْفَضْلِ شَخْصٌ فَإِنَّمَا  
أَيَا نَائِرًا أَسْنَى الْمَعَارِفِ وَالْغِنَا  
أَلَا أَلْقِ عَصَا التَّسْيِيرِ وَاعْشِ لِنَارِهِ  
وَمِنْ مَقْطُوعَاتِهِ قَوْلُهُ<sup>(٥)</sup>: [الطويل]  
تَبَرَّأْتُ مِنْ حَوْلِي إِلَيْكَ وَأَيَّقَنْتُ  
فَلَا أَزْهَبُ الْأَيَّامَ إِذْ كُنْتُ مَلْجَأِي<sup>(٦)</sup>

وَهَيَّئْتُ بِالْمَجْدِ الرَّفِيعِ الْمُجَدِّدِ  
وَحَوَّلْتُ مِنْ تُعْمَى وَأَسْدَيْتُ مِنْ يَدِ  
وَمَا لَكَ مِنْ مَجْدٍ وَرِفْعَةٍ مَحْتَبِدِ  
مَخَائِلُ إِسْعَادِ تَرْوُحٍ وَتُغْتَدِي<sup>(١)</sup>  
بِأَنْ سَوْفَ تَلْقَى كَامِلًا كُلَّ مَقْصِدِ  
تَسَامَى غُلُوبًا فَوْقَ كُلِّ مَمْجِدِ  
لَهُمْ عِلْمٌ أَعْلَى، بِهِ الْكُلُّ مُقْتَدِي  
رِءَاءِ الْمَعَالِي وَالْعَوَارِفِ يَزْتَدِي<sup>(٢)</sup>  
جَلَالِي<sup>(٣)</sup> بِرَأْيِ الْحَقِيقَةِ مُرْشَدِي<sup>(٤)</sup>  
رَأَيْتُ لَهُ حَدَّ الْحُسَامِ الْمَهْنَدِ  
سَوَاسِيَةِ مَا بَيْنَ دَانٍ وَسَيْدِ  
بِقَاضٍ حَلِيمٍ فِي الْقَضَاءِ مُسَدِّدِ  
وَأَخِيَا بِمَا أَوْلَاهُ شِرْعَةَ أَحْمَدِ  
لَأَمْرِ بِعُزْفٍ أَوْ لِزَامٍ بِمَسْجِدِ  
وَلِلشَّرْعَةِ الْبِيضَاءِ يُهْدَى وَيَهْتَدِي  
وَإِحْسَانُهُ لِلْمُغْتَفِينَ بِمَرْصَدِ  
فَمَا إِنْ يَنِي عَنْ مُطْلَقٍ أَوْ مُقَيَّدِ  
بِشِيمَتِهِ الْغُرَاءِ فِي الْفَضْلِ يَبْتَدِي  
وَيَا طَارِقًا يَطْوِي السُّرَى كُلَّ فُذْفَدِ  
تَجْدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرَ مَوْقَدِ

بِرَحْمَاكَ أَمَالِي فَصَحَّ<sup>(٦)</sup> يَقِينِي  
وَحَسْبِي يَقِينِي بِالْيَقِينِ<sup>(٨)</sup> يَقِينِي

(١) في الأصل: «وتغتدي» بدون ياء.

(٢) في الأصل: «لها» وكذا ينكسر الوزن.

(٣) البيتان في الكتيبة الكامنة (ص ٢٥٩) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٢٤٢).

(٤) في المصدرين: «أصح».

(٥) في النسخ: «ملجأ».

(٦) في الكتيبة: «فاليقين».

ومن شعره لهذا العهد منقولاً من خطّه، قال مما نظمه فلان، يعني نفسه في كتاب الشفا، نفع الله به: [الكامل]

سلّ بالعلی وسنّی المعارف یُبْهَز  
وهل المفاخر<sup>(١)</sup> غیر ما شَهِدَتْ به  
هُم ما هُم شَرْقاً ونیل مراتب  
وَرِثُوا الهدی عن خیر مبعوث به  
وعیاض<sup>(٢)</sup> الأعلى قِداحاً فی العلی  
بشفائه<sup>(٣)</sup> تَشْفی الصدور وإنه  
هو للتوالف روحُ صورتها وقل  
أفنت محاسنه المدائح مثل ما  
وله الیدُ البیضاء فی تألیفه  
هو مورد الهیم العطاش هَفَّت  
فبه ننال من الرضى ما نَبْتَغِي  
انظُرْ إلیه تَمِیمَةً من کل ما  
لکأَنّنی بک یا عیاض مهنأً  
لکأَنّنی بک یا عیاض مُنْعَماً  
لکأَنّنی بک یا عیاض مُتَوَجِّحاً  
لکأَنّنی بک راویاً من حَوْضه  
فعلى محبته طَوَيْتَ ضمائرا  
ها إنهن لشرعة الهادي الرضا  
فجزاك رب العالمين تحيةً  
وسقى هزيم الودق مضجعك الذي

هل زانها إلا الأئمة مَغَشَرَ؟  
آي الكتاب وخازنها الأغصُر؟  
يوم القيام إذا يَهُول المَحْشَرُ  
فَخَرّاً هَدِيَهُمُ النعيم<sup>(٢)</sup> الأكبر  
منهم وحوّله الفَخار الأظْهَرُ  
لرشاد نارٍ بالشَّهاب<sup>(٥)</sup> النُّيُزُ  
هو تاجٌ مَفْرِقُها البهيّ الأنورُ  
لمعيده بعد الشناء الأعطر  
عند الجميع ففضلها لا يُنكر  
بهم أشواقهم فاعتاض منه المصدر  
ويكونه فينا نُغاثٌ ونُمطر  
تخشى من الخُطْب المَهول وتحذر  
بالفوز والملاّ العَلِيّ مُبَشِّرُ  
بجوار أحمد يَغْتَلِي بک مظهر  
تاج الكرامة عند ربك تُخبر  
إذ لا صدى ترويه إلا الكوثر  
وَضَحَتْ شواهدا بكَثْبِكَ تُؤثر  
صَدَفٌ يُصان بهن منها جَوْهر  
يَهَب النعيم سريرها والمنبر  
ما زال بالرُخْمى يُؤمُّ وَيُغْمَرُ

(١) في الأصل: «للمفاخر» وهكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «هَدِيَهُمُ للنعيم» وهكذا ينكسر الوزن. والهِدْيُ: ما أهدي إلى الحرم من التَّم.

(٣) هو الفقيه عياض بن موسى اليحصبي السبتي (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ). وسوف يترجم له ابن الخطيب

فيما بعد في الإحاطة. ويبدو أن القصيدة في مدح القاضي عياض والتنويه بكتابه «الشفا».

(٤) يشير إلى كتاب القاضي عياض وهو «الشفا بتعريف حقوق المصطفى».

(٥) في الأصل: «به الشهاب» وهكذا ينكسر الوزن.

وقال في مَحْمَلِ الكُتُبِ: [الطويل]

أنا الحَبْرُ في حَمَلِ العلوم وإن ثَقُلَ      بأنِّي حُلِّيَ عن حُلاهِنَ تَغْدِيلِ  
أُقَيِّدُ ضُرُوبَ العلم ما دُمْتُ قائِماً      وإن لم أَقْمُ فالعِلْمُ عُنِّيَ بِمَغْزِلِ  
خَدِمْتُ بِتَقْوَى اللَّهِ خَيْرَ خَلِيفَةٍ      فبِوَأَنِّي مِنْ قُرْبِهِ خَيْرَ مَنْزِلِ  
أَبَا سَالِمٍ لَا زَالَ فِي الدَّهْرِ سَالِماً      يُسَوِّغُ مِنْ شُرْبِ الْمَنَى كُلَّ مَنْهَلِ

وكان قد رأى ليلة الاثنين الثانية لجمادى الأولى عام ستين وسبعمئة في النوم، كأنَّ الوزير أبا علي بن عمر بن يخلف بن عمران القُدودي، يأمره أن يجيب عن كلام مَنْ كَتَبَ إليه، فأجاب عنه بأبيات نظمها في النوم، ولم يحفظ منها غير هذين البيتين: [المقارب]

وإني لأَجْزِي بِمَا قَدْ أَتَاهُ      صَدِيقِي احْتِمَالاً لِفَعْلِ الْحِفَاءِ<sup>(١)</sup>  
بِتَمَكِينٍ وَدُّ وَإِثْبَاتٍ عَهْدٍ      وَإِجْزَالٍ حَمْدٍ وَبَذَلٍ حَيَاءٍ

ومن نظمه في التورية<sup>(٢)</sup>: [الخفيف]

وبخيلٍ لَمَّا دَعَوَهُ لِسُكْنِي      مَنْزِلٍ بِالْجِنَانِ ضَنٌّْ بِذَلِكَ  
قَالَ لِي مَخْزَنٌ بِدَارِي فِيهِ      جَلٌّ<sup>(٣)</sup> مَالِي فَلَسْتُ لِلدَّارِ تَارِكٌ<sup>(٤)</sup>  
لَا تُعْرِجْ عَلَى الْجِنَانِ بِسُكْنِي      وَلَتَكُنْ سَاكِنًا بِمَخْزَنِ مَالِكٍ<sup>(٥)</sup>

ومن ذلك أَيْضًا<sup>(٦)</sup>: [الكامل]

يَا رُبَّ مُنْشَأَةٍ عَجَبْتُ لَشَأْنِهَا      وَقَدْ احْتَوَتْ فِي الْبَحْرِ أَعْجَبَ شَانٍ  
سَكَنَتْ بِجَنَّبَيْهَا<sup>(٧)</sup> عَصَابَةٌ شَدَّةٌ      حَلَّتْ مَحَلَّ الرُّوحِ فِي الْجُثْمَانِ  
فَتَحَرَّكَتْ بِإِرَادَةٍ مَعِ أَنَّهَا      فِي جَنْسِهَا<sup>(٨)</sup> لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَوَانِ

(١) في الأصل: «الحرفاء» وهو لا معنى لها، وكذلك ينكسر الوزن. والجفاء: البر.

(٢) الأبيات في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٥). (٣) في النفح: «كل».

(٤) في الأصل: «شاك» وهكذا بدون معنى، وكذلك ينكسر الوزن، والتصويب من النفح.

(٥) تورية بجهت؛ لأن اسم خازنها من الملائكة مالك.

(٦) الأبيات في الكتيبة الكامنة (ص ٢٥٨) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٥). وقد قيلت في وصف مركب أو سفينة.

(٧) في الأصل: «بجنبها» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٨) في الأصل: «حسنها» والتصويب من المصدرين.

وَجَرَتْ كَمَا قَدْ شَاءَ<sup>(١)</sup> سُكَّانُهَا      فَعَلِمْتُ أَنَّ السَّرَّ فِي السُّكَّانِ<sup>(٢)</sup>  
 وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ<sup>(٣)</sup>: [الوافر]  
 وَذِي خُدَعٍ دَعَا لَاشْتِغَالٍ      وَمَا عَرَفُوهُ غَثًا مِنْ سَمِينٍ  
 فَأَظْهَرَ<sup>(٤)</sup> زُهْدَهُ وَغِنَى بَمَالٍ      وَجَيْشُ الْجِرْصِ مِنْهُ فِي كَمِينٍ  
 وَأَقْسَمَ لَا فَعَلْتُ<sup>(٥)</sup> يَمِينٍ<sup>(٦)</sup> حَبٍّ      فَيَا عَجَبًا لِحَلَاكِ<sup>(٧)</sup> مُهِينٍ  
 يَقْدُ بِسِيرِهِ وَيَمِينِ حَلْفٍ<sup>(٨)</sup>      لِيَأْكُلَ بِالْيَسَارِ وَبِالْيَمِينِ

### شيء من نشره

خَاطَبْتُهُ مِنْ مَدِينَةِ سَلَا بِمَا نَصَّه، حَسْبَمَا يَظْهَرُ مِنْ غَرَضِهِ: [الطويل]  
 مَرَضْتُ فَأَيَّامِي لَذَاكَ مَرِيضَةً      وَبَزُوكَ مَقْرُونٍ بِبُزْئِي اعْتِلَالَهَا  
 فَمَا رَاعَ ذَاكَ الذَّاتَ لِلضَّرِّ رَائِعَ      وَلَا وُسِمْتَ بِالسُّقْمِ غُرٌّ خِلَالَهَا  
 وَيَنْظُرُ بَاقِيَ الرِّسَالَةِ فِي خَبَرِ التَّعْرِيفِ بِمَوْأَلَفِ الْكِتَابِ.  
 فَرَاغَنِي عَنْ ذَلِكَ بِمَا نَصَّه: [الطويل]

مَتَى شِئْتَ أَلْقَى مِنْ عِلَالِكَ كُلِّ مَا      يُنِيلُ مِنَ الْأَمَالِ خَيْرَ مَنَالِهَا  
 كَبُرَ اعْتِلَالُكَ مِنْ دَعَائِكَ زَارِنِي      وَعَادَاتُكَ بَرٌّ لَمْ تَرُمْ عَنْ وَصَالِهَا  
 أَبْقَى اللَّهُ ذَلِكَ الْجَلَالَ الْأَعْلَى مَتَطَوَّلًا بِتَأْكِيدِ الْبَرِّ، مَتَفَضَّلًا بِمُوجِبَاتِ الْحَمْدِ  
 وَالشُّكْرِ. وَرَدَدْتَنِي سِمَاتِ سَيِّدِي الْمَشْتَمَلَةِ عَلَى مَغْهُودِ تَشْرِيفِهِ، وَفَضْلِهِ الْغَنِيِّ عَنْ  
 تَعْرِيفِهِ، مَتَحَفِّيًا فِي السُّؤَالِ عَنْ شَرْحِ الْحَالِ، وَمُعَلِّنًا مَا تَحَلَّى بِهِ مِنْ كَرَمِ الْخِلَالِ،  
 وَالشُّرْفِ الْعَالِ، وَالْمَعْظَمِ عَلَى مَا يَسُرُّ ذَلِكَ الْجَلَالَ، الْوَزَارِي، الرَّئِيسِي، أَجْرَاهُ اللَّهُ  
 عَلَى أَفْضَلِ مَا عَوَّدَهُ، كَمَا أَعْلَى فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ يَدُهُ، ذَلِكَ بِبِرْكَةِ دُعَائِهِ الصَّالِحِ، وَحُبِّهِ

- 
- (١) فِي الْأَصْلِ: «شَاءَ» وَهَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَصْدَرَيْنِ.  
 (٢) أَخَذَهُ مِنَ الْمَثَلِ: «الشَّانُ فِي السُّكَّانِ لَا فِي الْمَكَانِ». وَهَنَا يُوْرِي بِكَلِمَةِ «السُّكَّانِ» الَّتِي تَعْنِي  
 أَيْضًا الْخَشْبَةَ الَّتِي تَدَارُ بِهَا السَّفِينَةُ، أَيْ دَقَّةُ السَّفِينَةِ.  
 (٣) الْآيَاتُ فِي الْكِتَابَةِ الْكَامِتَةِ (ص ٤٥٨) وَنَفَحَ الطَّيِّبُ (ج ٨ ص ٢٤٦).  
 (٤) فِي الْكِتَابَةِ: «فَيَظْهَرُ». (٥) فِي الْكِتَابَةِ: «قَبِلْتُ».  
 (٦) فِي الْأَصْلِ: «بِمَنْ حَبٍّ» وَهَكَذَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَصْدَرَيْنِ. وَالْحَبُّ: الْخَدَاعُ.  
 (٧) فِي الْأَصْلِ: «لِخَلَاْفٍ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَصْدَرَيْنِ.  
 (٨) فِي الْمَصْدَرَيْنِ: «يَغْرُ يَسِرُهُ وَيَمِينُ حَنْثٍ».

المُخَيِّم بين الجوانح. والله سبحانه الم محمود على نِعَمه، ومواهب لطفه وكرمه، وهو سبحانه المسؤول أن يسنى لسيدي قرارَ الخاطر، على ما يسُرُّه في الباطن والظاهر، بِمَنْ الله وفضله، والسلام على جلاله الأعلى ورحمة الله وبركاته. كتبه المعظم الشاكر، الداعي المحب، ابن رضوان وفقه الله.

ومما خاطبني به، وقد جَرَّت بيني وبين المتغلب على دولتهم، رُقَاعٌ، فيها سلّم وإيقاع، ما نصه:

يا سيدي الذي علا مجده قَدْرًا وَخَطَرًا، وسما ذكره في الأندية الحافلة ثناءً وشُكْرًا، وسما فخره في المراتب الدينيّة والدينيّة حمداً وأجرًا، أبقاك الله جميل السّغي، أصيل الرأي، سديد الرمي، رشيد الأمر والثّهي، ممدوحًا من بُلْغَاءِ زمانك، بما يقصر بالتّواضع والعشّي، مفتوحًا لك باب القَبُول، عند الواحد الحقّ. وصلني كتابك الذي هو للإعجاز آية، وللإحسان غاية، ولشاهد الحسن تَبْرِيز، ولثوب الأدب تَطْرِيز، وفي الثّقَد إبريز، وقفت منه على ما لا تفي العبارة بعجائبه، ولا يحيد الفضل كله عن مذهب، من كل أسلوب طار في الجو إغرابًا وإغرابًا، ومَلَك من سحر البيان خِطابًا، وحَمْد ثناه مُطالًا وحديثًا مُطابًا، شأن من قَصَر عن شأو البلغاء، بعد الإغياء، ووقف دون سباق البديع بعد الإغياء، فلم يُشَقِّ غُبارَه، ولا اقتَفِيَتْ إلّا بالوَهْم آثاره، فله من سيدي إتِحافٌ سرٌّ ما شاء، وأحكَم الإنشاء، وبرُّ الأكابر والأنشاء، فما شئت من إفصاح وكتابة، وبرُّ ورعاية، وفهم وإفهام، وتخصيص وإيهام، وكُنْج لَطَرَف النَّفس وقمع، وخَفُض في الجواب وَرَفَع، وتحرُّج وتورُّع، وترقُّص وتوسُّع، وجَماع وأصحاب، وعَتَب وإغتاب، وإدلال على أخباب، إلى غير ذلك من أنواع الأغراض، والمقاصد السّالمة جواهرها من الأعراض، جملةً جمعت المحاسن، وأمتعت السامع والمُعاین، وحلّت من امتِناعها مع السهولة الحَرَم، إلّا من زاد الله تلك المعارف ظهورًا، وجعلها في شرع المكارم هُدًى ونورًا. وأما شكر الجناب الوزاري، أَسْماء الله، بحكم الثّيابة عن جلالكم، فقد أبلغت فيه حمدي، وبذلت ما عندي، ووَدِّي لكم وُدِّي، وورِدِي لكم من المُخالصة لكم وردي، وكل حالات ذلك الكمال، مُجْمع على تفضيله، مُعتمد من الثناء العاطر بإجماله وتفصيله. وأما مُؤدِّيهِ إليكم أخي وسيدي الفقيه المعظم، قاضي الحضرة وخطيبها، أبو الحسن، أدام الله عزّته، وحَفِظ أُخُوته، فقد قرّر من أوصاف كمالانكم، ما لا تفي بتقريره الأمثلة من أولي العلم بتلك السّجايا الثّمر، والشّيم الزّهر، وما تحلّيتُم به من التقوى والبرّ، والعدل والفضل، والصبر والشكر، ولحَمَل المتاعب في أمور الجهاد، وترك الملاذ والدّعة في مرضاة

ربَّ العباد، والإعراض عن الفانية، والإقبال على الباقية، فيا لها من صفات خَلَعَت السعادة عليكم مطارفها، وأجزلت عوارفها، وجمعت لكم تالدها وطارفها، زكَّى الله ثوابها وجدَّد أثوابها، ووصل بالقبول أسبابها. وذُكر لي أيضًا من حسناتكم، المُنْقَبَةِ الكبيرة، والفُزْيَةِ الأثيرة، في إقامة المارستان<sup>(١)</sup> بالحضرة، والتَّسَبُّب في إنشاء تلك المَكْرَمَةِ المَبْتَكِرَةِ، التي هي من مُهَمَّات المسلمين بالمحلِّ الأعلى، ومن ضروريات الدين بالمزِيَّة الفضلى، وما دَخَرَهُ القَدَرُ لكم من الأجر في ذلك السعي المشكور، والعمل المبرور، فسَرَّني لتلك المجادَّة إحراز ذلك الفضل العظيم، والفوز بثوابه الكريم، وفخره العيم. ومعلوم، أبقاكم الله، ما تقدَّم من ضياع الغُرباء والضعفاء من المُضِيِّ فيما سلف هنالك، وقَبْل ما قُدِّرَ لهم من المُرتَفَق العظيم وبذلك، حتى أن مَنْ حَفِظ قول عمر، رضي الله عنه، والله لو ضاعت نخلة بشاطيء الفرات لَخِفَّت أن يُسأل الله عنها عمر. لا شك في أن مَنْ تقدَّم من أهل الأمر هُنَالِكُمْ، لا بدَّ من سؤاله عَمَّن ضاع لعدم القيام بهذا الواجب المغفل. والحمد لله على ما خَصَّكُمْ به من مزية قوله ﷺ: إذا أراد الله بخليفة خيرًا، جعل له وزيرًا صالحًا، إن نسي ذُكره، وإن ذُكر أعانه.

وأما «كتاب المحبة»<sup>(٢)</sup>، فقد وقف المُعْظَم على ما وُجِّهَتْهم منه، وقوفًا ظهر بمزية التَّأَمُّل، وعَلِمَ منه ما تَرَكَ للآخر الأول، ولم يشكَّ في أنَّ الفضل للحاكي، وشَتَّان بين الباكي والمُتَّبَاكِي. حقًا لقد فاق التَّأَلِيف جَمْعًا وترتیبًا، وذهب في الطُّرُق الصوفية مذهبًا عجيبًا. ولقد بهرت معانيه كالعرائس المجلَّوة حسنًا ونضارة، وبَرَعَت بدائعُه وروائعُه سَنَى وإنارة، وألفاظًا مُختارة، وكوُوسًا مُدارة، وغِيُونًا من البَرَكَات مِذْراة، أَحْسَنَ بما أدَّتْه تلك الغُرر السَّافرة، والأمثال السائرة، والخمائل النَّاظرة، واللالئ المُفَاخرة، والنجوم الزَّاهرة. أما إنه لِكِتَاب تَضَمَّن زُبْدَ العلوم، وثمرة الفُهوم، وإن موضوعه لِلْبَابِ اللَّباب، وخُلاصة الألباب، وفَذْلُكَ الحساب، وفَتَحَ الملك الوهاب، سَنَى الله لكم ولنا كماله، وبلغ الجميع مَنَّا آماله، وجعل السَّعي فيه

(١) هو المارستان الكبير الذي أقامه ابن الخطيب بالحاضرة غرناطة في أثناء توليه الوزارة في عهد الغني بالله السلطان محمد بن يوسف بن إسماعيل النصري. وقد تحدَّث عنه ابن الخطيب في الجزء الثاني من الإحاطة عند ترجمة الغني بالله في عنوان: «بعض مناقب الدولة لهذا العهد».

(٢) «كتاب المحبة» لابن الخطيب، وله اسم آخر هو «روضة التعريف بالحب الشريف».

خالصاً لوجهه، وكفيلًا بمعرفته بمئته وكرمه، وهو سبحانه يُبقي بركتكم، ويكلاً ذاتكم الكريمة وحوزتكم، بفضلته وطوله وقوته، والسلام الكريم يخصكم به كثيرًا أثيرًا، مُعَظَم مقداركم، ومُلتزم إجلالكم وإكباركم، ابن رضوان، وفقه الله، وكُتب في الثامن والعشرين لرجب من عام سبعة وستين وسبعماية.

وهو الآن بحاله الموصوفة، أعانه الله. وله تردّد إلى حضرة غرناطة، واجتياز وإلمام.

عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد  
ابن خلف بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن  
ابن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر

غرناطي، قَلْعِي<sup>(١)</sup> الأصل، سكن مالقة.

حاله: قال صاحب «الطالع»<sup>(٢)</sup>: هو المشهور باليربطول<sup>(٣)</sup>، زاد على أخيه بخفة الروح، وطيب النوادر، واختار سكنى مالقة، فما زال بها يمشي على كواهل ما تعاقب فيها من الدول، ويقَلِّب طَرْفه مما نال من ولاياتها بين الخَيْل والخُول، حتى أن ابن عسكر، قاضي مالقة وعالمها، كان من جملة مَنْ مَدَّحه، وتوسَّل بها إلى بلوغ أغراضه عند القوم، وصنَّف له شجرة الأنساب السَّعيدية. وكان قبيح المنظر، مع كونه من رياحين الفضل والأدب. فمن الحكايات المتعلقة بذلك، أنه دخل يومًا على الوالي بغرناطة، السَّيد أبي إبراهيم<sup>(٤)</sup>، وجعل يَساره، وكان مُختصًا به، واقتضى ذلك أن ردَّ ظهره للشيخ الفقيه الجليل، عميد البلدة، أبي الحسن سهل بن مالك، ثم التفت فردَّ وجهه إليه، وقال: أَعْتَذِرُ لكم بأمر ضروري، فقال أبو الحسن: إنما تعتذر لسيدنا، فانقلب المجلس ضَحِكًا. ومنها أنه خرج إلى سوق الدواب مع ابن يحيى الحضرمي

(١) نسبة إلى قلعة يَحْصِب Alcalá la Real أي القلعة الملكية، ويحصب قبيلة، وتعرف أيضًا بقلعة يعقوب، أو القلعة السعيدية، أي قلعة بني سعيد. وهي إحدى مدن غرناطة. مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٦٢).

(٢) هو كتاب «الطالع السعيد»، في تاريخ بني سعيد لابن سعيد الأندلسي، صاحب كتابي المغرب ورايات المبرزين.

(٣) أغلب الظن أنها كلمة إسبانية.

(٤) هو السيد أبو إبراهيم ابن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الموحد. البيان المغرب - قسم الموحدون (ص ٣٨٧).

المشهور أيضاً بخفة الروح، وكان مُسلطاً على بني سعيد، فبينما هو واقف، إذ النخاس ينادي على قَرس: قَم يشرب من القادوس، وعَيْنٌ تحصد بالمنجل، فقال له: يا قائد، أبا محمد، سِر بنا من هنا لثلاً تؤخذ من يدي، ولا أقدر لك بحيلة، فعلم مقصده، ولم يُخفِ عليه أن تلك صورته، فقال: سَل جارتك عنها، فمضى لأُمّه، وأوقع بينها وبينه، فحلف أن لا يدخل عليها الدار. قال أبو عمران بن سعيد: واتفق أن جُرْتُ بدار أُم الحضرمي، فرأيتَه إلى ناحية، وهو كئيب مُنكسر، فقلت له: ما خبرك يا أبا يحيى؟ فقال لي عن أُمّه وعن نفسه: النساء يرمين أبناء الرُنا صغاراً، وهذه العجوز الفاعلة الصّانعة، ترميني ابن خمسين سنة، فقلت له: وما سبب ذلك؟ فقال: ابن عمك يوسف الجمال، لا أخذ الله له يَد، فما زِلْتُ حتى أَصلَحْتُ بينها وبينه.

ومن نوادر أجوبته المُسكتة، أنه كان كثير الخِلطة بمراكش لأحد السّادة، لا يفارقه، إلى أن وُلِي ذلك السّيد، وتموّل، واشتغل بدُنياه عنه، فقيل له: نرى السيد فلاناً أضرب عن صُخبتك ومُنادمتك، فقال: كان يحتاج إليّ وقتاً كان يَتَبَخَّر بي، وأما اليوم، فإنه يتَبَخَّر بالعود والثّدّ والعنبر. وقال له شخص كان يُلقَّب بـ «فُسَيوات» في مجلس خاص: أي فائدة في «اليربطول»؟ وفيهم ذا يُحتاج إليه؟ فقال له: لا تُثَقِّل هذا، فإنه يقطع رائحة الفسا، فودّ أنه لم ينطق. وتكلّم شخص من المُترفين فقال: أمس بغنا الباذنجان التي بدار خالتي، بعشرين مثقالاً، فقال: لو بعتم الكريز التي فيها لساوى أكثر من مائة.

وأخباره شهيرة؛ قال أبو الحسن علي بن موسى: وقَعْتُ في رسائل الكاتب الجليل، شيخ الكتاب أبي زيد الفازازي، على رسائل في حق أبي محمد اليربطول، ومنه إليه، فمنها في رسالة عن السّيد أبي العلاء، صاحب قرطبة، إلى أخيه أبي موسى صاحب مالقة، ويصلكم به إن شاء الله، القائد الأجل الأكرم، الحَسِيب الأُمجد الأتجد، أبو محمد أدام الله كرامته، وكتب سلامته، وهو الأكيد الحُرمة، القديم الخِدْمة، المزعي المائة والدّمة، المُستحق البرّ في وجوه كثيرة، ولمعان أثيرة، منها أنه من عَقِب عَمّار بن ياسر، رضوان الله عليه، وحَسْبُكم هذا مَجْدًا مؤثلاً، وشرفاً موصلًا، ومنها تَعَيّن بيته وسَلَفه، واختصاصهم من النّجابه والظهور، بأنوّه الاسم وأشرفه، وكونهم بين مُعْتَكِف على مضجعه، أو مُجاهد بمُزْهِفِه ومُثَقِّفه، ومنها سَنَقْهم إلى هذا الأمر العزيز، وتميُّزهم بأثرة الشُّفوف والتَّمييز، ومنها الانقطاع إلى أخيك، مُمِدّ مَورده ومَضْدره، وكَرَم مَغِيبه ومَخْضْره، وهذه وسائل شتى، وأدْمَة قلّ ما تتأثّى لغيره.



**وفاته:** كانت وفاته بمالقة بعد عشرين وستمائة؛ قال الرئيس أبو عمر بن حَكَم: شاهدتهُ قد وصل إلى السيد أبي محمد البياسي<sup>(١)</sup> أيام ثورته، وهو بشتلية<sup>(٢)</sup> مع وفد مالقة بالبيعة سنة ثنتين وعشرين وستمائة.

## ومن الصوفية والفقراء

عبد الله بن عبد البر بن سليمان بن محمد بن محمد  
ابن أشعث الرُعيني<sup>(٣)</sup>

من<sup>(٤)</sup> أهل أزجدونة<sup>(٥)</sup> من كورة رِيّه، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن أبي المجد.

**حاله:** كان<sup>(٦)</sup> من أعلام الكور<sup>(٧)</sup> سَلَفًا، وترثبًا، وصلاحًا، وإنابةً، ونيةً في الصالحين، مُتَّسِع الذُّرْع للوارد، كثير الإيثار بما تيسَّر، مليح التخلُّق، حسن السَّمْت، طيب النفس، حسن الظنِّ، له حظٌّ من الطُّلب، من فقه وقراءات وفريضة، وخَوْض في طريقة الصوفية، وأدب لا بأس به، قطع عُمره خطيبًا وقاضيًا ببلده، ووزيرًا، وكتب بالدار السلطانية، في كل ذلك لم يفارق السُّداد.

**مشيخته:** قرأ<sup>(٨)</sup> على الأستاذ الجليل أبي جعفر بن الزُّبير؛ رَحَّل إليه من وطنه عام اثنين وتسعين وستمائة، ولازمه وانتفع به، أخذ عنه الكتاب العزيز والعربية، وسمع عليه الكثير من الحديث، وعلى الخطيب الصوفي المحقِّق أبي الحسن فضل بن محمد بن فضيلة المعافري، وعلى الخطيب المحدث أبي عبد الله محمد بن عمر بن رُشيد، وسمع على الشيخ القاضي الراوية أبي محمد النُّبُعدي، والوزير المُعَمَّر

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن، عرف بالبياسي نسبة إلى بياسة التي استولى عليها. ولأه العادل الموحدي قرطبة، فخلع دعوة العادل في سنة ٦٢٣ هـ، وخرج عن طاعة الموحدين، واستعان بالنصارى عليهم، فقام أهل قرطبة عليه وقتلوه وبعثوا برأسه إلى العادل بمراكش. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٢٧١ - ٢٧٣).

(٢) شتلية أو شنت ياله: حصن قريب من حصن بلاي، يبعد عن قرطبة ٢٣ ميلًا، ويقع غربي مدينة استجة ويبعد عنها ١٥ ميلًا. نزهة المشتاق (ص ٥٧٢).

(٣) ترجمة الرُعيني في الكتيبة الكامنة (ص ٥٢) ونفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣٢) وهو فيه: «عبد الله بن عبد البر بن علي بن سليمان بن محمد بن أشعث الرُعيني».

(٤) قارن بنفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣٢).

(٥) أرجدونه أو أرشذونة: بالإسبانية Archidona وهي قاعدة كورة رِيّه، تقع قبلي قرطبة. الروض المعطار (ص ٢٥).

(٦) قارن بنفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣٢). (٧) في النفح: «الكورة».

المحدث الحسيب أبي محمد عبد المنعم بن سمالك العاملي، والعذل الراوية أبي الحسن بن مستقور. وقرأ بمالقة على الأستاذ أبي بكر بن الفخار، وأجازه من أهل المشرق طائفة.

شعره: مما حدثني ابن أخته صاحبنا أبو عثمان بن سعيد، قال: نظم الفقيه القاضي الكاتب أبو بكر بن شبرين بيت الكتاب مألّف الجملة، رحمهم الله، هذين البيتين<sup>(١)</sup>: [الطويل]

ألا يا مُحِبَّ المصطفى، زِدْ صَبَابَةً      وَضَمِّخْ لِسَانَ الذِّكْرِ مِنْهُ بِطِيبِهِ  
ولا تَغْبَأَنَّ بِالْمُنْطَلِقِينَ فَإِنَّمَا      عِلَامَةُ حُبِّ اللَّهِ حُبُّ حَبِيبِهِ

فأخذ الأصحاب في تذييل ذلك. فقال الشيخ أبو الحسن بن الجيّاب، رحمه الله<sup>(٢)</sup>: [الطويل]

فَمَنْ يَغْمُرُ الْأَوْقَاتَ طُرًّا بِذِكْرِهِ      فَلَيْسَ نَصِيبٌ فِي الْهَدْيِ كَنَصِيبِهِ  
وَمَنْ كَانَ عَنْهُ مُغْرَضًا طَوْلَ دَهْرِهِ<sup>(٣)</sup>      فَكَيْفَ يُرْجِيهِ شَفِيعَ ذَنْبِهِ؟

وقال أبو القاسم بن أبي القاسم بن أبي العافية<sup>(٢)</sup>: [الطويل]

أَلَيْسَ الَّذِي جَلَّى دُجَى الْجَهْلِ هَذِيهُ      بِنُورِ أَقْنُنَا بَعْدَهُ نَهْتَدِي بِهِ؟  
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ دَأْبِهِ<sup>(٤)</sup> شُكْرُ مَنْعَمٍ      فَمَشْهُدُهُ<sup>(٥)</sup> فِي النَّاسِ مِثْلُ مَغِيبِهِ

وقال أبو بكر بن أرقم<sup>(٢)</sup>: [الطويل]

نَبِيٌّ هَدَانَا مِنْ ضَلَالٍ وَحِيرَةٍ      إِلَى مُرْتَقَى سَامِي الْمَحَلِّ خَصِيبِهِ  
فَهَلْ يَذْكُرُ<sup>(٦)</sup> الْمَلْهُوفُ فَضْلَ مُجِيرِهِ      وَيَغْمُطُ شَاكِيَ الدَّاءِ شُكْرَ طَبِيبِهِ؟

وانتهى القول إلى الخطيب أبي محمد بن أبي المجد، فقال، رحمه الله، مذيلاً كذلك<sup>(٢)</sup>: [الطويل]

وَمَنْ قَالَ مَغْرُورًا: حِجَابُكَ ذِكْرُهُ      فَذَلِكَ مَغْمُورٌ طَرِيدٌ عِيُوبِهِ  
وَذَكَرُ رَسُولِ اللَّهِ فَرَضٌ مُؤَكَّدٌ      وَكُلُّ مُحِقِّ قَائِلٍ بِوُجُوبِهِ

(١) البيتان في نفع الطيب (ج ٧ ص ٤٣٠). (٢) البيتان في نفع الطيب (ج ٧ ص ٤٣١).

(٣) في النفع: «عمره». (٤) في النفع: «من ذاته».

(٥) المراد بـ «مشهده»: شهوده، أي حضوره. (٦) في النفع: «ينكر».

وقال يوماً شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب هذين البيتين على عادة الأدباء في اختبار الأذهان<sup>(١)</sup>: [الخفيف]

جاهِدِ النَّفْسَ جَاهِدًا فَإِذَا مَا      فَنَيْتَ عَنْكَ فَهِيَ عَيْنُ الْوُجُودِ  
وَلِيَكُنْ حُكْمُكَ<sup>(٢)</sup> الْمُسَدَّدَ فِيهَا      حُكْمَ سَعْدٍ<sup>(٣)</sup> فِي قَتْلِهِ لِلْيَهُودِ

قال: فأجابه أبو محمد بن أبي المجد<sup>(٤)</sup>: [الخفيف]

أَيُّهَا الْعَارِفُ الْمُعَبَّرُ ذَوْقًا      عَنْ مَعَانٍ غَزِيرَةٍ فِي الْوُجُودِ  
إِنَّ حَالَ الْفَنَاءِ<sup>(٥)</sup> عَنْ كُلِّ غَيْرٍ      كَمَقَامٍ<sup>(٦)</sup> الْمُرَادِ غَيْرِ الْمُرِيدِ  
كَيْفَ لِي بِالْجِهَادِ غَيْرَ مُعَانٍ      وَعَدُوِّي<sup>(٧)</sup> مُظَاهَرٍ بِجُنُودٍ؟  
وَلَوْ أَتَيْتُ حَكْمْتُ فِيمَنْ ذَكَرْتُمْ      حُكْمَ سَعْدٍ لَكُنْتُ جِدًّا سَعِيدِ  
فَأَرَاهَا صَبَابَةً<sup>(٨)</sup> بِي فَتَوْنَا      وَأَرَانِي فِي حُبِّهَا كِيَزِيدِ  
سَوْفَ أَسْلُو بِحَبْكُمُ<sup>(٩)</sup> عَنْ سَوَاهَا      وَلَوْ أَبَدْتُ فَعَلَ الْمُحِبِّ الْوُدُودِ  
لَيْسَ شَيْءٌ سِوَى إِلَهِكَ يَبْقَى      وَاعْتَبِرْ صِدْقَ ذَا بَقُولٍ لَبِيدٍ<sup>(١٠)</sup>

وفاته: توفي، رحمه الله، ليلة النصف من شعبان المكرم عام تسعة وثلاثين وسبعمائة. وكان يجمع الفقراء ويحضر طائفتهم، وتظهر عليه حال لا يتمالك معها، وربما أَوْحِشَتْ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ بِهَا.

### عبد الله بن فارس بن زيان

من بني عبد الوادي، تَلَمَّسَانِي، يكنى أبا محمد، وينتمي إلى بني زِيَّان من بيت أمرائهم.

(١) البيتان في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣١). (٢) في النفح: «حكمها».

(٣) هو سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ، سَيِّدُ الْأَنْصَارِ، حَكَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فِي يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ.

(٤) الأبيات في نفح الطيب (ج ٧ ص ٤٣١ - ٤٣٢).

(٥) فِي الْأَصْلِ: «الْفَنَاءُ» وَكَذَا لَا يَسْتَقِيمُ الْوِزْنُ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(٦) فِي الْأَصْلِ: «لِمَقَامٍ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(٧) فِي الْأَصْلِ: «وَعَدُوُّهُ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(٨) فِي النَّفْحِ: «حِبَابَةٌ». (٩) فِي النَّفْحِ: «بِنَصْحِكُمْ عَنْ هَوَاهَا».

(١٠) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ لَبِيدِ بْنِ رِيْعَةَ الْعَامِرِيِّ: [الطويل]

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ      وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مُحَالَةَ، زَائِلٌ  
ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص ١٣٢).

كذا نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضي أبي الطاهر...<sup>(١)</sup> قاضي الجماعة أبي جعفر بن فركون، وله بأحواله عناية، وله إليه تردّد كثير وزيارة. قال: ورد الأندلس مع أبيه، وهو طفل صغير، واستقرّ بقُتُورية في ديوان غَزَانِها. ولما توفي أبوه سلك مسلكه برهة، ورفض ذلك، وجعل يتردّد بين الولد، وانقطع لشأنه.

حاله: هذا الرجل غريب التّزعة في الانقطاع عن الخلق، ينقطع ببعض جبال بني مشرف، واتخذ فيها كهوفًا وبيوتًا من الشّجر أريد من أربعين عامًا، وهلمّ جرًّا، منفردًا، لا يُداخل أحدًا، ولا يُلبسه من العرب، ويجعل الحلفاء في عنقه...<sup>(١)</sup> اختلف فيه، فمن ناسب ذلك إلى التّلبّيس وإلى لُوثَةٍ تأتيه، وربما أتاب بشيء، ويطلبون دُعاه ومُكالمته، فربما أفهم، وربما أبهم.

محتته: ذكروا أنه ورث عن أخ له مالًا غنيًا، وقدم مالقة، وقد سُرّق تاجر بها دَهَبًا عيّنًا، فأتهم بها، فَجَرّت عليه محنة كبيرة من الضّرب الوجيع، ثم ظهرت براءته، وطلب الحاكم الجائر منه العَفْو، فعفا عنه، وقال: الله عندي حقوق وذنوب، لعلّ بهذا أكفرها، وصرف عليه المال فأباه، وقال: لا حاجة لي به فهو مال سوء، وتركه وانصرف، وكان من أمر انقطاعه ما ذكر.

شيء من أخباره: استفاض عنه بالجهة المذكورة شفاء المرضى، وتفريج الكُرَبات...<sup>(١)</sup>، إلى غير ذلك من أخبار لا تحصى كثيرة. وهو إلى هذا العهد بحاله الموصوفة، وهو عام سبعين وسبعمائة.

مولده: بتلمسان عام تسعين وستمائة. ودخل غرناطة غير ما مرة.

### عبد الله بن فرج بن غَزَلُون اليحصبي<sup>(٢)</sup>

يعرف بابن العسال، ويكنى أبا محمد، طُلَيْطُلِي الأصل. سكن غرناطة واستوطنها، الصالح المقصود الثّرية، المبرور البُقعة، المُفزع لأهل المدينة عند الشّدة.

(١) بياض في الأصول.

(٢) ترجمة ابن العسال في الصلة (ص ٤٣٥) والمغرب (ج ٢ ص ٢١) ورايات المبرزين (ص ١٤٠) وفيهما: «أبو محمد عبد الله العسال». ومعجم السفر (ص ٢٢٣) وفيه أنه: «عبد الله بن محمد بن أحمد الطلطي الواعظ، المعروف بابن العسال» ونفع الطيب (ج ٤ ص ١٨٣، ٢٠٠) (ج ٦ ص ١٢١).

حاله: قال ابن الصيرفي: كان، رحمه الله، فذاً في وقته، غريب الجود، طزقاً في الخير والزهد والورع، له في كل جو مُتَنَفِّس، يضرب في كل عِلْمٍ بِسَهْمٍ، وله في الوعظ تواليف كبيرة، وأشعاره في الزهد مشهورة، جارية على ألسنة الناس، أكثرها كالأمثال جيّدة الرُّضعة، صحيحة المباني والمعاني. وكان يُحَلِّقُ في الفقه، ويجلس للوعظ. وقال الغافقي<sup>(١)</sup>: كان فقيهاً جليلاً، زاهداً، مُتَفَنِّئاً، فصيحاً لَسِناً، الأَعْلَبُ عليه حفظ الحديث والآداب والنحو، حافظاً، عارفاً بالتفسير، شاعراً مطبوعاً. كان له مجلس، يُقْرَأُ عليه فيه الحِفْظُ والتفسير، ويتكلم عليه، ويقصُّ<sup>(٢)</sup> من حِفْظِهِ أحاديث. وألّف في أنواع من العلوم، وكان يعظ الناس بجامع غرناطة، غريباً في قوته، فذاً في دهره، عزيز الوجود.

مشيخته: روى<sup>(١)</sup> عن أبي محمد مكّي بن أبي طالب، وأبي عمرو المقرئ الدّاني، وأبي عمر بن عبد البرّ، وأبي إسحق إبراهيم بن مسعود الإلبيري الزاهد، وعن أبيه قَرَج، وعن أبي زيد الحشاء القاضي، وعن القاضي أبي الوليد الباجي.

شعره: وشعره كثير، ومن أمثل ما روي منه قوله: [مخلع البسيط]

لست وَجِيهاً لدى إلهي      في مبدأ الأمر والمعادِ  
لو كنت وَجِيهاً<sup>(٣)</sup> لما براني      في عالم الكون والفسادِ

وفاته: توفي، رحمه الله، يوم الاثنين لعشر خلون من رمضان عام سبعة وثمانين وأربعمائة، وألحد ضحى يوم الثلاثاء بعده بمقبرة باب البيرة بين الجبانتين. ويعرف المكان إلى الآن بمقبرة العسال. وكان له يوم مشهود، وقد نيف على الثمانين، رحمه الله، ونفع به.

## ومن الملوك والأمراء والأعيان والوزراء

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله [بن محمد]<sup>(٤)</sup>

ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن

ابن معاوية، أمير المؤمنين، الناصر لدين الله<sup>(٥)</sup>

الخليفة المُمْتَع، المَجْدُود، المَظْفَر، البعيد الذكر، الشهير الصيت.

(١) قارن بالصلة (ص ٤٣٥).

(٢) في الصلة «وينص».

(٣) في الأصل: «وجيهاً» وهكذا ينكسر الوزن.

(٤) ما بين قوسين ساقط في الأصول، وقد أضفناه من المصادر التي ترجمت لعبد الرحمن الناصر.

(٥) ترجمة عبد الرحمن الناصر في تاريخ علماء الأندلس (ص ٣١) وأعمال الأعلام (القسم الثاني=

الإحاطة في أخبار غرناطة/ ج ٣/ م ٢٣

حاله: كان أبيض، أشهل، حسن الوجه، عظيم الجسم، قصير الساقين. أول من تسمى أمير المؤمنين، ولي الخلافة فعلا جده، وبعد صيته، وتوطأ ملكه، وكان خلافته كانت شمساً نافية للظلمات، فبايعه أجداده وأعمامه وأهل بيته، على حداثة السن، وجدة العمر، فجدد الخلافة، وأحيا الدعوة، وزين الملك، ووطد الدولة، وأجرى الله له من السغد ما يعظم عنه الوصف ويجل عن الذكر، وهياً له استنزال الثوار والمنافقين واجتثاث جراثيمهم.

بنوه: أحد عشر<sup>(١)</sup>، منهم الحَكَم الخليفة بعده، والمنذر، وعبد الله، وعبد الجبار.

حُجَّابُه: بدر مولا، وموسى بن حدير.

قضاياه<sup>(٢)</sup>: جملة، منهم: أسلم بن عبد العزيز، وأحمد بن بقي، ومنذر بن سعيد البلوطي.

نقش خاتمه: «عبد الرحمن بقضاء الله راض».

أمه: أم ولد تسمى مُزَنَة. وبويح له في ربيع الأول من سنة تسع وتسعين ومائتين<sup>(٣)</sup>.

دخوله للبيرة: قال المؤرخ<sup>(٤)</sup>: أول غزوة غزاها بعد أن استخجَب بدرًا مولا، وخرج إليها يوم الخميس رابع<sup>(٥)</sup> عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثلاثمائة، مُقَوَّضًا إليه، ومُستدعيًا نصره، واستلاف الشَّاردين، وتأمين الخائفين، إلى ناحية كورة جيان، وحصن المُتَنزلون، فاستنزل منه سعيد بن هذيل، وأتاب إليه مَنْ كان نافراً عن الطاعة، مثل ابن اللَّبَّانة، وابن مَسْرَّة، ودحون الأعمى. وانصرف إلى قرطبة، وقد تجول، وأنزل كل من بحصن من حصون كورة جيان، وبَسْطَة، وناجِرة، والبيرة، وبجَّانة،

= (٢٨) والحلة السيرة (ج ١ ص ١٩٧) وأخبار مجموعة (ص ١٣٥) وجذوة المقتبس (ص ١٢) وبغية الملتبس (ص ١٧) والمعجب (ص ٥٤) ووفيات الأعيان (ج ٤ ص ٤٧٩) وجمهرة أنساب العرب (ص ١٠٠) وكتاب العبر (م ٤ ص ٢٩٨) والمغرب (ج ١ ص ١٨١) والبيان المغرب (ج ٢ ص ١٥٦) ورسائل ابن حزم (ج ٢ ص ١٩٣) وجمهرة أنساب العرب (ص ١٠٠) وأزهار الرياض (ج ٢ ص ٢٥٧) وصفحات متفرقة من نفح الطيب.

(١) أي أحد عشر ذكرًا، كما جاء في الجمهرة. (٢) قارن بالبيان المغرب (ج ٢ ص ١٥٦).

(٣) الصواب مستهل ربيع الأول سنة ثلاثمائة، كما جاء في مصادر ترجمته.

(٤) قارن بالبيان المغرب (ج ٢ ص ١٦٠ - ١٦١).

(٥) في البيان المغرب: «يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت...».

والبُشْرَة، وغيرها، بعد أن عرض نفسه عليها. وعلى عهده توفي ابن خَفْصُون<sup>(١)</sup>. وجرت عليه هزيمة الخَنْدُق في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة<sup>(٢)</sup>، وطال عمره، فملك نيّفاً وخمسين سنة، ووُجد بخطّه: أيام السُّرور التي صَفَّت لي دون كدر يوم كذا ويوم كذا، فَعُدَّت، فوجدت أربعة عشر يوماً.

وفاته: في أول رمضان من سنة خمسين وثلاثمائة<sup>(٣)</sup>.

**عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن**  
الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية<sup>(٤)</sup>  
يكنى أبا المطرف، ويلقب بالمرتضى.

**حاله وصفته:** كان أبيض أشقر أفتى، مخفّف البدن، مُدَوِّر اللحية، خيِّراً، فاضلاً، من أهل الصلاح والتقى، قام بدولته خيراً العامري، بعد أن كثر السؤال عن بني أمية، فلم يجد فيهم أسدى للخلافة منه، بورعه وعفاه ووقاره، وخاطب في شأنه ملوك الطوائف على عهده، فاستجاب الكلُّ إلى الطاعة بعد أن أجمع الفقهاء والشيوخ وجعلوها شورى، وانصرفوا يريدون قرطبة، وبدأوا بصنّهاجة بالقتال، فكان نُزوله بجبل شقشتر على محجة واط.

**وفاته:**<sup>(٥)</sup> يوم لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة تسع وأربعمائة. وكانت الهزيمة على عساكر المرتضى، فتركوا المحلات وهربوا، وقُسى فيهم القتل، وظفرت صنّهاجة من المتاع والأموال بما يأخذه الوصف، وقُتل المرتضى في تلك الهزيمة، فلم يوقع له على أثر، وقد بلغ سنّه نحو أربعين.

(١) توفي عمر بن حفصون سنة ٣٠٦ هـ.

(٢) جاء في أخبار مجموعة (ص ١٣٧) أن الناصر هزم عام ٣٢٦ هـ في غزاة اسمها القُدرة، أقبح هزيمة، لم تكن له بعدها غزوة بنفسه.

(٣) في الحلة السيرة: توفي في ليلة الأربعاء لليتين خلنا من شهر رمضان سنة ٣٥٠ هـ.

(٤) ترجمة المرتضى في جذوة المقتبس (ص ٢٢) وبغية الملتبس (ص ٢٧) ورسائل ابن حزم (ج ٢ ص ٥٨) وجمهرة أنساب العرب (ص ١٠١) والمعجب (ص ٩٨) والكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٧١) وأعمال الأعلام - القسم الثاني (ص ١٣٠) وصبح الأعشى (ج ٥ ص ٢٣٧) وفيها اسم جدّه: «عبد الملك» بدلاً من «عبد الله»، والمغرب (ج ٢ ص ٢٤٧) والبيان المغرب (ج ٣ ص ١٢١) والذخيرة (ق ١ ص ٤٥٣) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٢٩).

(٥) هنا نقص كلمة وهي تعيين اليوم الذي توفي فيه المرتضى، وعن ذلك قارن: بالبيان المغرب (ج ٣ ص ١٢٦) والذخيرة (ق ١ ص ٤٥٤) وأعمال الأعلام (القسم الثاني ص ١٣١، ١٣٨، ٢٢٩). وجاء في الكامل في التاريخ (ج ٩ ص ٢٧١): توفي المرتضى سنة ٤٠٧ هـ.

## عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس<sup>(١)</sup>

يكنى أبا المُطَرِّف، وقيل: أبا زيد، وقيل: أبا سليمان، وهو الداخل إلى الأندلس، والمُجَدِّدُ الخلافة بها لذريته، والملقَّبُ بصَفَرِ بني أمية<sup>(٢)</sup>.

حاله: قال ابن مفرّج: كان الأمير عبد الرحمن بن معاوية راجح العقل، راسخ العلم، ثابت الفهم، كثير الحزم، فذُّ العزم، بريئاً من العجز، مستخفاً للثقل، سريع النهضة، متّصل الحركة، لا يَخْلُدُ إلى راحة، ولا يسكن إلى دَعَا، ولا يَكِلُ الأمور إلى غيره، ثم لا ينفرد بإبرامها برأيه. وعلى ذلك فكان شجاعاً، مقدّاماً، بعيد الغور، شديد الحذر، قليل الطمأنينة، بليغاً، مُقَوِّهاً، شاعراً مُحَسِّنًا، سَمَحًا، سَخِيًّا، طَلَقَ اللسان، فاضل البنان، يلبس البياض، وَيَغْتَمُّ به ويؤثره. وكان أُعْطِيَ هَيِّبَةً من وليّه وعدوّه لم يَغْطِها واحد من الملوك في زمانه. وقال غيره: وألقى الأمير عبد الرحمن الأندلس ثغراً مِنْ أُنَاى الثغور القاصية، غُفْلاً من سَمَةِ المُلْك، عاطلاً من حِلْيَةِ الإمامة، فَأَزْهَبَ أهلُه بالطاعة السلطانية، وحرَّكهم بالسيرة الملوكية، ورفعهم بالآداب الوسطية، فألبسهم عَمَّا قريب المودّة، وأقامهم على الطريقة. وبدأ يَدُون الدواوين، وأقام القوانين، ورفع الأواوين، وفَرَضَ الأعطية، وأنفَذَ الأفضية، وعقد الألوية، وجنَّد الأجناد، ورفع العِمَاد، وأوثق الأوتاد، فأقام للمُلْك آتته، وأخذ للسلطان عُدَّتَه.

نبذة من أوليته: لما ظهر بنو العباس بالمشرق، ونجا فيمن نجا من بني أمية، معروفاً بصفته عندهم، خرج يُؤمُّ المغرب لأمرٍ كان في نفسه، من مُلْك الأندلس، اقتضاه جِدْثان، فسار حتى نزل القَيْرُوان، ومعه بَذَرٌ مولاه، ثم سار حتى لحق بأخواله من نِفْزَة، ثم سار بساحل العُدوة في كنف قوم من زَنَاتِه، وبعث إلى الأندلس بذرًا، فدخل له بها مَنْ يُوثِق به، وأجاز البحر إلى المُنْكَب، وسأل عنها، فقال: نَكَبُوا عنها، ونزل بشاط من أحوازاها، وقدم إليه أولو دعوته، وعقد اللّوا،

(١) ترجمة عبد الرحمن الداخل في أخبار مجموعة (ص ٤٩) وتاريخ افتتاح الأندلس (ص ٤٦) وجذوة المقتبس (ص ٨) وبغية الملتبس (ص ١٢) ووفيات الأعيان (ج ٤ ص ٢٢٦) وصبح الأعشى (ج ٥ ص ٤٤٨) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ٢٦٧) والبيان المغرب (ج ٢ ص ٤٧) والحلة السيرة (ج ١ ص ٣٥) وكتاب العبر (م ٤ ص ٢٦٢) ورسائل ابن حزم (ج ٢ ص ١٩١) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٤٥) وصفحات أخرى متفرقة.

(٢) لقبه في المصادر التي ترجمت له هو: «صقر قریش».



وقصد قرطبة في خبر يَطُول، وحروب مُبيرة، وهزم يوسف الفهري، واستولى على قرطبة، فَبُوع له بها يوم عيد الأضحى من سنة ثمان وثلاثين ومائة، وهو ابن خمس وعشرين سنة.

**دخوله إلى البيرة:** قالوا: ولَمَّا انهزم الأمير يوسف بن عبد الرحمن الفهري، لحق بالبيرة، فامتنع بحصن غرناطة، وحاصره الأمير عبد الرحمن بن معاوية، وأحاط به، فنزل على صلح، وأنْعَقِد بينهما عقد، ورَهَنه يوسف ابْنَيْه؛ أبا زيد وأبا الأسود، وشهد في الأمان وجُوه العسكر، منهم أُمية بن حمزة الفهري، وحبيب بن عبد الملك المرواني، ومالك بن عبد الله القرشي، ويحيى بن يحيى اليحصبي، ورزق بن الثُعمان الغسالي، وجدار بن سلامة المَذْحِجِي، وعمر بن عبد الحميد العبدري، وثعلبة بن عبيد الجذامي، والحُرَيْش بن حواري السلمي، وعُتَّاب بن علقمة اللخمي، وطالوت بن عمر اليحصبي، والجُرَّاح بن حبيب الأسدي، وموسى بن خالد، والحُصَيْن بن العقيلي، وعبد الرحمن بن منعم الكلبي، إلى آخرين سواهم، بتاريخ يوم الأربعاء ليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع وثلاثين ومائة. نقلت أسماء من شهد، لكونهم ممن دخل البلدة، ووجب ذكره، فاجْتَرَأْتُ بذلك، فرارًا من الإطالة، إذ هذا الأمر بعيد الأمد، والإحاطة لله.

**بلاغته ونشره وشعره:** قال الرّازي: قام بين يديه رجل من جند قُنُسرين، يستنجد به، وقال له: يا ابن الخلائف الراشدين والسّادات الأكرمين، إليك قَرَزْنَا، وبك عُدْتُ من زَمَنِ ظُلوم، ودهرٍ غشوم قَلَل المال، وذهب الحال، وصيرَ إليّ بذاك المنال، فأنت وليّ الحمد، ورَبِيّ المجد، والمَرْجُو للرفد. فقال له ابن معاوية مسرعًا: قد سمعنا مقالتك، فلا تعودنّ ولا سواك لمثله، من إراقة وجهك، بتصريح المسألة، والإلحاف في الطُّلبة، وإذا أَلَمَّ بك حَظَبٌ أو دهاك أمر، أو أحرقتك حاجة فارفعه إلينا في رُقعة لا تعدو ذِكْيَا، تَسْتُرُ عليك خِلَّتْكَ، وتَكْفُ شِمَاةَ العدوِّ بك، بعد رَفْعها إلى مالِكنا ومالِكها عن وجهه، بإخلاص الدُّعاء، وحسن النية. وأمر له بجائزة حسنة. وخرج الناس يعجبون من حسن منطقته، وبراعة أدبه.

**ومن شعره:** قوله، وقد نظر إلى نخلة بمُنية الرُّصافة، مُفَرَّدة، هاجت شَجَنه إلى تذكر بلاد المشرق<sup>(١)</sup>: [الطويل]

تَبَدَّتْ لَنَا وَسَطُ الرُّصَافَةِ نَخْلَةً      تَنَاءَتْ بِأَرْضِ الْعَرَبِ عَنْ بِلَدِ النَّخْلِ

(١) الأبيات في الحلة السيرة (ج ١ ص ٣٧) والبيان المغرب (ج ٢ ص ٦٠) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٤٦).

فقلت: شبيهي في التغرب والتوى وطول الثنائي عن بني وعن أهلي  
نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي  
سقتك<sup>(١)</sup> غواذي المزن من صوبها<sup>(٢)</sup> الذي يسح ويستمرى<sup>(٣)</sup> السماكين بالوئل

وفاته: توفي بقرطبة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين لربيع الآخر<sup>(٤)</sup> سنة اثنتين وسبعين ومائة، وهو ابن تسعة وخمسين عامًا، وأربعة أشهر، وكانت مدة ملكه ثلاثًا وثلاثين سنة وأربعة أشهر<sup>(٥)</sup>، وأخباره شهيرة.

وجرى ذكره في الرجز المسمى بقطع السلوك، في ذكر هذين من بني أمية،  
قولي في ذكر الداخل: [الرجز]

وغمر الهول كقطع الليل	بفتنة الفهري والضميل
وجلت الفتنة في أندلس	فأصبحث فريسة المفترس
فأسرع السير إليها وابتدز	وكل شيء بقضاء وقدر
صفر قريش عابد الرحمن	باني المعالي لبني مروان
جدد عهد الخلفاء فيها	وأسس الملك لمثرفيها
ثم أجاب داعي الحمام	وخلف الأمر إلى هشام
وقام بالأمر الحفيد الناصر	والناس مخضوب بها وحاصر
فأقبل السغد وجاء النضر	وأشرق الأمن وضاء القصر
وعادت الأيام في شباب	وأصبح العدو في تباب
سطا وأعطى وتغاضى ووفى	وكلما أقدره الله عفا
فعاد من خالف فيها وائترى	وحارب الكفار دأبا وغزا
وأوقع الروم به في الخندق	فانقلب الملك بسغي مخفق
واتصلت من بعد ذا فتوح	تغدو على مئواه أو تروح
فاغتنموا السلم لهذا الحين	ووصلت إرسال قسطنطين

(١) في البيان المغرب: «سقاك».

(٢) في الفتح: «في المنتأى» بدلًا من: «من صوبها».

(٣) في الأصل: «ويستمرى» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصادر.

(٤) في فوات الوفيات (ج ٢ ص ٣٠٣): «توفي في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ومائة».

(٥) جاء في كتاب العبر (م ٤ ص ٢٦٩) أن مدة حكمه ثلاث وثلاثون سنة.

وساعد السَّعْدُ فَنالَ واقتنى  
ثم بنى الزُّهْرَا فيمَا قد بنى  
حتى إِذَا مَا كَمَلْتُ أَيَّامُهُ  
سبحان مَنْ لَا يَنْقُضِي دَوَامُهُ

### عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد ابن محمد اللخمي

من أهل رُنْدَةَ وأعيانها، يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن الحكيم، وجدُّه يحيى، هو المعروف بابن الحكيم، وقد تقدم ذكر جُمْلَةٍ من هذا البيت.

حاله: كان، رحمه الله، عين بلده المشار إليه، كثير الانقباض والعزلة، مجانبا لأهل الدنيا، نشأ على طهارة وعِفَّة، مَرْضِي الحال، معدودا في أهل النَّزَاهَةِ والعَدَالَةِ، وأفرط في باب الصَّدَقَةِ بما انقطع عنه أهل الإثراء من الْمُتَصَدِّقِينَ، ووقفوا دون شَأْوَهِ. ومن شهير ما يُروى من مناقبه في هذا الباب، أنه اعتق بكل عضو من أعضائه رَقَبَةً، وفي ذلك يقول بعض أدبائه عصره:

أعتق بكل عُضْوٍ مِنْهُ رَقَبَةً      واعتدَّ ذلك ذُخْرًا لِيَوْمِ الْعَقَبَةِ  
لَا أَجِدُ مَنْقَبَةً مِثْلَ هَذِهِ الْمَنْقَبَةِ

مُشِخَّتُهُ: روى عن القاضي الجليل أبي الحسن بن قَطْرَال، وعن أبي محمد بن عبد الله بن عبد العظيم الزهري، وأبي البركات بن مَوْدُودِ الفارسي، وأبي الحسن الدَّبَّاج، سمع من هؤلاء وأجازوا له. وأجاز له أبو أمية بن سعد السُّعُودِ بن عُفَيْر، وأبو العباس بن مكنون الزاهد. قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: وكان شيخنا القاضي العالم الجليل أبو الخطَّاب بن خليل، يَطْنُبُ في الثناءِ عليه، ووقفت على ما خاطبه به معرباً عن ذلك.

شعره: منقولاً من «طُرْفَةِ العصر» من قصيدة يرثيها المؤذنون منها:

[البسيط]

كَمْ ذَا أَعْلَلَ بِالتَّشْوِيفِ وَالْأَمَلِ      قَلْبَا تَغْلُبُ بَيْنَ الْوَجْدِ وَالْوَجَلِ  
وَكَمْ أُجْرِدَ أَذْيَالُ الصُّبَا مَرَحًا      فِي مَسْرَحِ اللّٰهُوِّ وَفِي مَلْعَبِ الْغَزَلِ  
وَكَمْ أَمَاطِلُ نَفْسِي بِالْمَتَابِ وَلَا      عَزَمُ فَيُوضِحُ لِي عَنْ وَاضِحِ السُّبُلِ  
ضَلَلْتُ وَالْحَقُّ لَا تَخْفَى مَعَالِمُهُ      شَتَّانَ بَيْنَ طَرِيقِ الْجِدِّ وَالْهَزَلِ

وفاته: يوم الاثنين التاسع والعشرين لجمادى الأولى عام ثلاثة وسبعين

وستمائة.

## عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي<sup>(١)</sup>

يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن الفرس، ويُلقَّب بالمُهر، من أعيان غرناطة.

حاله: كان<sup>(٢)</sup> فقيهاً جليلاً القدر، رفيع الذكر، عارفاً بالنحو واللغة والأدب، ماهر<sup>(٣)</sup> الكتابة، رائق الشعر، بديع التوشيح، سريع البديهة، جارياً على أخلاق الملوك في مَزْكبه وملبسه وزِيَّه. قال ابن مسعدة<sup>(٤)</sup>: «وُطِيء من درجات العزِّ والمجد أعلاها، وفرع من الأصالة مُنتماها. ثم علت همته إلى طلب الرئاسة والمُلْك، فارتحل إلى بلاد العُدوة، ودعا إلى نفسه، فأجابه إلى ذلك الخَلْق الكثير، والجمُّ الغفير، ودَعَوْه باسم الخليفة، وحيَّوه بتحية الملك. ثم خائثه الأقدار، والدهر بالإنسان غدار، فأحاطت به جيوش الناصر<sup>(٥)</sup> بن المنصور، وهو في جيش عظيم من البربر، فُقط رأسه، وهُزم جيشه، وسيق إلى باب الخليفة، فعُلِق على باب مَرَّاكش، في شبكة حديد، وبقي به مدة من عشرين سنة<sup>(٦)</sup>».

قال أبو جعفر بن الزبير: كان أحد نبهاء وقته لولا حدة كانت فيه أدت به إلى ما حدَّثني به بعض شيوخي من صحبه. قال: خرجنا معه يوماً على باب من أبواب مراكش برسم الفُرجة، فلما كان عند الرجوع نظرنا إلى رؤوس مُعلَّقة، وتعوذنا بالله من الشرِّ وأهله، وسألناه سبحانه العافية. قال: فأخذ يتعجب منا، وقال: هذا خَوَزُ طريقة وخَساسة هِمة، والله ما الشرف والهِمة إلَّا في تلك، يعني في طَلَب الملك، وإنَّ أدَى الاجتهاد فيه إلى الموت دونه على تلك الصِّفة. قال: فما برحت الليالي والأيام، حتى شرع في ذلك، ورام الثورة، وسبق رأسه إلى مراكش، فعلق في جملة تلك الرؤوس، وكتب عليه، أو قيل

(١) ترجمة عبد الرحيم الخزرجي في التكملة (ج ٣ ص ٦٠) والحلة السيرة (ج ٢ ص ٢٧٠) والمغرب (ج ٢ ص ١١١، ١٢٢) وكتاب العبر (م ٦ ص ٥٢٢) وبغية الوعاة (ص ٣٠٥).

(٢) قارن ببغية الوعاة (ص ٣٠٥). (٣) في البغية: «باهر».

(٤) ابن مسعدة: هو أحد شيوخ عبد الرحيم الخزرجي، وقد أخذ عنه النحو. بغية الوعاة (ص ٣٠٥).

(٥) هو الخليفة الموحيدي محمد بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، وقد حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٩٥ هـ إلى سنة ٦١٠ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ٢٣٦).

(٦) جاء في بغية الوعاة أن رأسه قُطع وعلِق على باب مراكش في سنة إحدى وستمئة، وهو ابن ست وثلاثين سنة. وجاء في التكملة والحلة السيرة أنه قتل في نحو الستمئة.

فيه: [الطويل]

لقد طَمَحَ المُهرُ الجُمُوحَ لغاية      فقطعَ أعناقَ الجِيادِ السَّوابِقِ  
جَرى وَجَرَتْ رِجلاه لَكِنَّ رأسه      أتى سابقًا والجسم ليس بسابقِ  
وكانت ثورته ببعض جهات دَرْعة من بلاد السُّوس .

مُشِيخته: أخذ عن صِهره القاضي أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم، وعن غيره من أهل بلده، وتفقه بهم، وبهر في العَقَلِيَّاتِ والعلوم القديمة، وقرأ على القاضي المحدث أبي بكر بن أبي زَمَنِين، وتلا على الأستاذ الخطيب أبي عبد الله بن عروس، والأدب والنحو على الأستاذ الوزير أبي يحيى بن مَسْعُدة. وأجازه الأستاذ الخطيب أبو جعفر العطار. ومن شعره في الثورة<sup>(١)</sup>: [البسيط]

قولوا لأولاد<sup>(٢)</sup> عبد المؤمن بن علي      تأهبوا لوقوع الحادثِ الجَلَلِ  
قد جاء<sup>(٣)</sup> فارسُ<sup>(٤)</sup> فَخْطَانٍ وسيُدها<sup>(٥)</sup>      ووارثُ المُلِكِ<sup>(٦)</sup> والغَلَّابِ للدولِ

ومن شعره القصيدة الشهيرة وهي: [الكامل]

الله حَسْبِي لا أريد سواه      هل في الوجود الحق إلا الله؟  
ذات الإله بها تقوم دولتنا<sup>(٧)</sup>      هل كان يوجد غيره لولاه؟  
يا من يَلُودُ بذاته أنت الذي      لا تطمع الأبصار في مَرَاهِ  
لا غرو أنا قد رأيناه بها      فالحق يُظهِرُ ذاتَهُ وتراه  
يا من له وَجَبَ الكمال بذاته      فالكل غاية فوزهم لقياه  
أنت الذي لَمَّا تعالى جدُّه      قُصِرَتْ خطا الألباب دون حماه  
أنت الذي امتلأ الوجود بحَمْدِه      لَمَّا غدا ملآن من نُعماه  
أنت الذي اخترع الوجود بأسره      ما بين أعلاه إلى أدناه

(١) البيتان ضمن أربعة أبيات، في المغرب (ج ٢ ص ١١١) وجاء فيه أنه يخاطب فيها بني

عبد المؤمن. وهي كذلك في كتاب العبر (م ٦ ص ٥٢٣) والحلة السيرة (ج ٢ ص ٢٧١).

(٢) في كتاب العبر والحلة السيرة: «لأبناء». (٣) في الحلة السيرة: «أتاكم».

(٤) في كتاب العبر والمغرب: «سيد». وفي الحلة السيرة: «خير».

(٥) في المغرب والحلة السيرة «وعالمها»: وفي كتاب العبر: «وعاملها».

(٦) في كتاب العبر والمغرب: «ومنتهى القول». وفي الحلة السيرة: «وصاحب الوقت».

(٧) كذا يتكرر الوزن، ولو قال: «دولة» لَصَحَّ الوزن.

أنت الذي خَصَّضْنَا بوجودنا      أنت الذي عَرَّفْنَا معناه  
 أنت الذي لو لم تَلُحْ أنواره      لم تُعَرِّفِ الأضدادُ والأشباه  
 لم أَفْشِ ما أودَّعَنيهِ إنَّه      ما صان سِرَّ الحَقِّ مَنْ أَفْشاه  
 عَجَزَ الأنَامُ عن امتداحك إنه      تتضاءل الأفكار دون مداه  
 مَنْ كان يعلم أنك الحقُّ الذي      بَهَرَ العقولَ فَحَسْبُهُ وكفاه  
 لم ينقطع أحد إليك محبَّةً      إلَّا وأصبح حامداً عُقْباه  
 وهي طويلة.....  
 (١) .....

من أهل غرناطة، يكنى أبا ورد، ويعرف بابن القصجة.

عديم رواء الحسن، قريب العهد بالنجعة، فارق وطنه وعيصره، واستقبل المغرب... الوفادة، وقدم على الأندلس في أخريات دولة الثاني<sup>(٢)</sup> من الملوك النصرين، فمهد جانب البر له، وقرب مجلسه، ورعى وسيلته، وكان على عمل بر من صوم واعتكاف وجهاد.

نبأته: ووقف بي ولده الشريف أبو زيد عبد الرحيم، على رسالة كتب بها أمير مكة على عهده إلى سلطان الأندلس ثاني الملوك النصرين، رحمهم الله، وعبر فيها عن نفسه: من عبد الله، المؤيد بالله، محمد بن سعد الحرسني، في غرض المواصله والمودة والمراجعة عن بر صدر عن السلطان، رحمه الله، من فصولها: «ثم أنكم، رضي الله عنكم، بالغنم في الإحسان للسيد الشريف أبي القاسم الذي انتسب إلينا، وأويتموه من أجلنا، وأكرمتموه، ورفعتموه احتراماً لبيته الشريف، جعل الله عملكم معه وسيلة بين يدي جدنا عليه السلام». وهي طويلة وتحميدها ظريف، من شئنة أحوال تلك البال بمكة المباركة.

وفاته: توفي شهيداً في الواقعة بين المسلمين والنصارى بظاهر ألمرية عندما وقع الصريح لإنجاده، ورفع العدو البرجلوني عنها في السادس والعشرين من شهر ربيع الأول عام عشرة وسبعمائة.

(١) مكان البياض عنوان المترجم له، واسمه، كما سيأتي، محمد بن سعد الحرسني.

(٢) ثاني سلاطين بني نصر هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، وقد حكم غرناطة من سنة ٦٧١ هـ إلى سنة ٧٠١ هـ. اللوحة البدرية (ص ٥٠).

## ومن ترجمة المقرئين والعلماء والطلبة النجباء

## من ترجمة الطارئین منهم

عبد الرحمن<sup>(١)</sup> بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن  
أضبع بن حسن<sup>(٢)</sup> بن سعدون بن رضوان بن فتوح الخثعمي

مالقي، يكنى أبا زيد، وأبا القاسم، وأبا الحسين، وهي قليلة، شهر  
بالسهيلى.

حاله: كان مُقرئًا مجوِّدًا، متحقِّقًا بمعرفة التفسير، غواصًا على المعاني البديعة،  
ظريف التَّهْدِي إلى المقاصد الغريبة، محدِّثًا، واسع الرواية، ضابطًا لما يحدث به،  
حافظًا متقدمًا، ذاكرًا للأدب والتواريخ والأشعار والأنساب، مبرزًا في الفهم، ذكيًا،  
أديبًا، كاتبًا بليغًا، شاعرًا مجيدًا، نحويًا، عارفًا، بارعًا، يَقِظًا، يَغْلِبُ عليه عِلْمُ العربية  
والأدب. استُدعي آخرًا إلى التدريس بمراكش، فانتقل إليها من مالقة، محلَّ إقرائه،  
ومُتَّبِعًا إفادته، فأخذ بها الناس عنه، إلى حين وفاته.

مشيخته: تلا<sup>(٣)</sup> بالحرَمين على خال أبيه الخطيب أبي الحسن بن عباس،  
وبالسَّنع على أبي داود بن يحيى، وعلى أبي علي منصور بن غلاء، وأبي العباس بن  
خلف بن رَضي، وروى عن أبي بكر بن طاهر، وابن العربي، وابن قُندلة، وأبي  
الحسن شريح، وابن عيسى، ويونس بن مُغيث، وأبي الحسن بن الطَّراوة، وأكثر عنه  
في علوم اللسان، وأبي عبد الله حفيد مكِّي، وابن أخت غانم، وابن مُعَمَّر، وابن  
نجاح، وأبي العباس بن يوسف بن يُمن الله، وأبوي القاسم ابن الأبرش، وابن  
الرَّمَّام، وأبوي محمد بن رشد، والقاسم بن دَحْمان، وأبوي مروان بن بُونة، وأبي  
عبد الله بن بَخر. وناظر في «المدوِّنة» على ابن هشام. وأجاز له ولم يَلْقَه أبو العباس  
عَبَّاد بن سرحان، وأبو القاسم بن وَزد.

(١) ترجمة عبد الرحمن الخثعمي في بغية الملتبس (ص ٣٦٧) والتكملة (ج ٣ ص ٣٢) والمطرب  
(ص ٢٣٠) والمغرب (ج ١ ص ٤٤٨) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ١١٩) وزاد المسافر (ص  
٩٦) والديباج المذهب (ص ١٥٠) وشذرات الذهب (ج ٤ ص ٢٧١) والفلاحة والمفلوكون  
(ص ١١٥) وبغية الوعاة (ص ٢٩٨) والنجوم الزاهرة (ج ٦ ص ١٠٠) ونفح الطيب (ج ٢ ص  
٣١٦).

(٢) في وفيات الأعيان: «حسين».

(٣) قارن بالتكملة (ج ٣ ص ٣٢) وبغية الوعاة (ص ٢٩٩).

مَنْ رَوَى عَنْهُ: روى عنه أبو إسحاق الزُّوَالِي، وأبو إسحاق الجاني، وأبو أمية بن عُفَيْر، وأبو بكر بن دُخْمَان، وابن قُتَيْبَة، والمحمدون ابن طلحة، وابن عبد العزيز، وابن علي جو يحمات، وأبو جعفر بن عبد المجيد، والحقار وسهل بن مالك، وابن العفَّاص، وابن أبي العافية، وأبو الحسن السَّراج، وأبو سليمان بن حَوْط الله، والسماي، وابن عياش الأندلسي، وابن عطية، وابن يربوع، وابن رُشيد، وابن ناجح، وابن جَمْهُور، وأبو عبد الله بن عِيَّاش الكاتب، وابن الجِذَع، وأبو علي السُّلُوبِين، وسالم بن صالح، وأبو القاسم بن بَقِي، وأبو القاسم بن الطَّيْنَسَان، وعبد الرحيم بن الفَرَس، وابن المَلْجُوم، وأبو الكرم جُودِي، وأبو محمد بن حَوْط الله، إلى جملة لا يحصرها الحد.

دخل غرناطة، وكان كثير التأميل والمدح لأبي الحسن بن أضحى، قاضيا ورئسها<sup>(١)</sup>، وله في مدحه أشعار كثيرة، وذكر لي من أرَّخ في الغرناطين، وأخبرني بذلك صاحبنا القاضي أبو الحسن بن الحسن كتابة عمَّن يثق به.

توالميفه: منها كتاب «الشَّريف»<sup>(٢)</sup> والإعلام، بما أبهم في القرآن من أسماء الأعلام». ومنها شرح آية الوصية، ومنها «الرَّوض الآئِف»<sup>(٣)</sup> والمشرع الرِّوَا، فيما اشتمل عليه كتاب السيرة واختوى». وابتدأ إملاءه في محرم سنة تسع وستين وخمسائة، وفرغ منه في جمادى منها. ومنها «حَلِيَّة النَّبِيل، في معارضة ما في السَّبِيل». إلى غير ذلك.

شعره: قال أبو عبد الله بن عبد الملك: أنشدني أبو محمد القَطَّان، قال: أنشدني أبو علي الرُّنْدِي، قال: أنشدني أبو القاسم السُّهيلي لنفسه<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

أَسْأَلُ عَنْ جِيرَانِهِ مَنْ لَقِيَتْهُ وَأُغْرِضُ عَنْ ذِكْرِهِ وَالْحَالُ تَنْطِقُ

(١) هو الوزير أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى، من بيت عظيم بقرناطة، ثار بها ودعا لنفسه بعد مقتل تاشفين بن يوسف بن تاشفين المرابطي سنة ٥٣٩ هـ. توفي سنة ٥٤٠ هـ. وسيترجم له ابن الخطيب في الجزء الرابع من الإحاطة.

(٢) في وفيات الأعيان (ج ٣ ص ١١٩): «التعريف... من الأسماء الأعلام». وفي التكملة (ج ٣ ص ٣٣): «التعريف... القرآن العزيز من الأسماء الأعلام». وفي بغية الوعاة (ص ٢٩٩): «التعريف... من الأسماء والأعلام».

(٣) هكذا في التكملة، وفي وفيات الأعيان وبغية الوعاة والمغرب: «الأئف».

(٤) البيتان في بغية الملتبس (ص ٣٦٧) ونفع الطيب (ج ٢ ص ٣١٧).



وما لي إلى جيرانه مِنْ صَبَابَةٍ وَلَكِنْ قَلْبِي <sup>(١)</sup> عَنْ صَبُوحٍ يَوْفَقُ <sup>(٢)</sup>  
ونقلت من خطِّ الفقيه القاضي أبي الحسن بن الحسن، من شعر أبي القاسم  
السَّهْلِيِّ، مَذِيلًا بَيْتَ أَبِي الْعَافِيَةِ فِي قِطْعَةٍ لَزُومِيَّةٍ: [الطويل]

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ تَسْطُو خَطْوُهُ      بَكَلْ جَلِيدٍ فِي الْوَرَى أَوْ هِدَانِي <sup>(٣)</sup>  
وَلَمْ أَرْ مِنْ جِرْزِ أَلْوَدُ بَظْلُهُ      وَلَا مَنْ لَهُ بِالْحَادِثَاتِ يُدَانِي  
فَرَزَعْتُ إِلَى مَنْ مَلَكٌ <sup>(٤)</sup> الدَّهْرُ كَفَّهُ      وَمَنْ لَيْسَ ذُو مُلْكٍ لَهُ بِمِرَانٍ  
وَأَعْرَضْتُ عَنْ ذِكْرِ الْوَرَى مَتَبَرَّمًا      إِلَى الرَّبِّ مِنْ قَاصِرٍ هُنَاكَ وَدَانٍ  
وَنَادَيْتُهُ سِرًّا لِيَرْحَمَ عِبْرَتِي      وَقُلْتُ: رَجَائِي قَادِنِي وَهَدَانِي  
وَلَمْ أَدْعُهُ حَتَّى تَطَاوَلَ مُفْضِلًا      عَلَيَّ بِإِلْهَامِ الدُّعَاءِ وَعَانٍ  
وَقُلْتُ: أَرْجِي عَظْفَهُ مَتَمَثِّلًا      بَبَيْتٍ لَعَبْدٍ صَائِلٍ بَزْدَانٍ <sup>(٥)</sup>  
تَغَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ      عَسَى أَنْ تَرَى <sup>(٦)</sup> دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي  
قُلْتُ: وَمَا ضَرَّهُ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، لَوْ سَلِمَتْ أَبْيَاتُهُ مِنْ «بَزْدَانٍ»، وَلَكِنْ أَثَتْ صِنَاعَةُ  
النَّحْوِ إِلَّا أَنْ تَخْرُجَ أَعْنَاقُهَا.

ومن شعره قوله: [المتقارب]

تَوَاضَعُ إِذَا كُنْتَ تَبْغِي الْعِلَّا      وَكُنْ <sup>(٧)</sup> رَاسِيًا عِنْدَ صَفْوِ الْعَضَبِ  
فَخَفَضُ الْفَتَى نَفْسَهُ رِفْعَةً      لَهُ وَاعْتَبَزَ بِرُسُوبِ الدَّهَبِ

وشعره كثير، وكتابته كذلك، وكلاهما من نمط يقصر عن الإجادة.

وقال ملغزًا في محمل الكُتُبِ، وهو مما اسْتَحْسَنَ مِنْ مَقَاصِدِهِ: [الخفيف]

حَامِلٌ لِلْعُلُومِ غَيْرَ فَقِيهِ      لَيْسَ يَرْجُو أَمْرًا وَلَا يَتَّقِيهِ  
يَحْمِلُ الْعِلْمَ فَاتِحًا قَدَمِيهِ      فَإِذَا انْضَمَّتَا <sup>(٨)</sup> فَلَا عِلْمَ فِيهِ

(١) في النسخ: «نَفْسِي».

(٢) في بغية الملتبس: «يَوْفَقُ». وفي النسخ: «تُرَفَّقُ».

(٣) في الأصل: «وَهْدَانٍ» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «تَمَلَّكُ»، وكذا ينكسر الوزن. (٥) عجز هذا البيت منكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «فَعَسَى تَرَى...» وكذا ينكسر الوزن.

(٧) في الأصل: «وَكُنْتُ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٨) في الأصل: «التَّقَاتَا» وكذا ينكسر الوزن. وكلاهما بمعنى.

ومن ذلك قوله في المجنبتات<sup>(١)</sup>: [الكامل]

شَعَفَ الفؤادَ نواعِمَ أبكارُ      بَرَدَتْ فؤادَ الصَّبِّ وَهِيَ جَرارُ  
أَذكى من المِسْكِ الفتيق<sup>(٢)</sup> لناشِقِ      وألذُّ من صَهْبَاءٍ حين تُدارُ  
وكأنَّ<sup>(٣)</sup> من صافي اللُّجين بطونها      وكأثما ألوانُهُنَّ نُضارُ  
صَفَّتِ البواطنُ والظواهرُ كلها<sup>(٤)</sup>      لكنَّ حَكَّتْ ألوانُها الأزهارُ  
عجَبًا<sup>(٥)</sup> لها وهي النعيمَ تصوغُها      نارُ، وأين من النعيمِ النارُ؟

ومن شعره وثبت في الصُّلة: [المتقارب]

إذا قلتُ يومًا: سلام عليك      ففيها شِفَاءٌ وفيها سَقام  
شِفَا إذ قلتُها مُقْبِلًا      وإن قلتُها مُذْبِرًا فالجِمام  
فاغْجَبْ لحال اختلافيهما      وهذا سلامٌ وهذا سلامٌ

مولده: عام سبعة أو ثمانية وخمسمائة<sup>(٦)</sup>.

وفاته: وتوفي في مراكش سَحَر ليلة الخامس والعشرين من شعبان أحد وثمانين وخمسمائة<sup>(٧)</sup>، ودفن لظُهره بجبَّانة الشيوخ خارج مراكش، وكان قد عَمِيَ سبعة عشر<sup>(٨)</sup> عامًا من عمره.

## عبد الرحمن بن هانيء اللخمي

يكنى أبا المطرف، من أهل فرقند من قرى إقليم غرناطة.

(١) الأبيات في المطرب (ص ٢٣٧). والمجنبتات: نوع من القطائف يضاف إليه الجبن ويقلى بالزيت.

(٢) في الأصل: «العتيق لنا نَشَقًا وألذُّ من صَبًّا...»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المطرب.

(٣) في المطرب: «فكانما صافي اللجين قلوبها».

(٤) في المطرب: «مِثلُها». (٥) في المطرب: «عجَبٌ».

(٦) في التكملة (ج ٣ ص ٣٣): ولد سنة ٥٠٩، وقيل: عام سبعة أو ثمانية وخمسمائة. وفي وفيات الأعيان (ج ٣ ص ١٢٠): «ومولده سنة ثمان وخمسمائة بمدينة مالقة». ومثله جاء في المطرب (ص ٢٢٣).

(٧) في بغية الملتبس: توفي سنة ٥٨٣ هـ.

(٨) في الأصل: «عشرة» وهو خطأ نحوي. وفي بغية الوعاة (ص ٢٩٩): «وكف بصره وهو ابن سبع عشرة سنة».

حاله: كان فقيهاً فاضلاً، وتجوّل في بلاد المشرق. قال: أنشدني إمام الجامع بالبصرة: [الوافر]

بلاءٌ ليس يُشبهه بلاءٌ      عداوةٌ غيرُ ذي حَسَبٍ ودينٍ  
يُنيلُك منه عِرضاً لم يَصُنْه      ويَزَنُك منك في عِرضٍ مَصُونٍ

### عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي<sup>(١)</sup>

من أهل غرناطة، يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن القصير<sup>(٢)</sup>.

حاله: كان<sup>(٣)</sup> فقيهاً [مشاوراً، رفيع القدر جليلاً]<sup>(٤)</sup>، بارع الأدب، عارفاً بالوثيقة، نقاداً لها، صاحب رواية ودراية، تقلّب ببلاد الأندلس، وأخذ الناس عنه بمزسية وغيرها. ورحل إلى مدينة فاس، وإفريقية، وأخذ بها، ووُلّي القضاء بتقرش<sup>(٥)</sup> من بلاد الجريد.

مُشيخته: روى<sup>(٦)</sup> عن أبيه القاضي أبي الحسن بن أحمد، وعن عمّه أبي مروان، وعن أبوي الحسن بن دُرّي، وابن الباذش، وأبي الوليد بن رُشد، وأبي إسحق بن رشيق الطليطلي، نزيل وادي آش، وأبي بكر بن العربي، وأبي الحسن بن وهب<sup>(٧)</sup>، وأبي محمد عبد الحق بن عطية، وأبي عبد الله بن أبي الخصال، وأبي الحسن يونس بن مغيث، وأبي القاسم بن وزد، وأبي بكر بن مسعود الخُشني، وأبي القاسم بن بَقِيّ، وأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض، وغيرهم.

توابعه<sup>(٨)</sup>: له تواليف وخطب ورسائل ومقامات، وجمَعَ مناقب مَنْ أذَرَكَ من أهل عصره، واختصر كتاب الجُمَل<sup>(٩)</sup> لابن خاقان الأصبهاني، وغير ذلك، وألّف برنامجاً يضم رواياته.

مَنْ روى عنه: روى عنه ابن الملقوم<sup>(١٠)</sup>، واستوفى خبره.

- 
- (١) ترجمة عبد الرحمن بن أحمد الأزدي في التكملة (ج ٣ ص ٣٠) والديباج المذهب (ص ١٥٢) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٤) وجذوة الاقتباس (ج ٢ ص ٣٩٤ رقم ٣٩٨).  
(٢) في جذوة الاقتباس: «ابن النصير». (٣) قارن بأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٥).  
(٤) ما بين قوسين ساقط في الأصل، وقد أضفناه من أزهار الرياض.  
(٥) في الأزهار: «وولّي قضاء تقيوس، ببلاد الجريد».  
(٦) قارن بالتكملة (ج ٣ ص ٣٠) وأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٥).  
(٧) في المصدرين: «موهب». (٨) قارن بأزهار الرياض (ج ٣ ص ١٥).  
(٩) في أزهار الرياض: «الجَلّ». (١٠) في أزهار الرياض: «أبو القاسم بن الملقوم».

وفاته: رَكِبَ<sup>(١)</sup> البحر قاصداً الحج، فتوفي شهيداً في البحر؛ قتله الرُّوم بمرسى تونس مع جماعة من المسلمين، صباح يوم الأحد، في العشر الوسط من شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة<sup>(٢)</sup>.

### عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصاري

يكنى أبا بكر، ويعرف بابن الفضال.

حاله: هذا الرجل فاضل عريق في العدالة، ذكي، نبيل، مُختَصِر الجِزم، شعلة من شعل الإدراك، مليح المحاور، عظيم الكفاية، طالب مُثَقِّن. قرأ على مشيخة بلده، واختصَّ منهم بمولى النعمة على أبناء جنسه، أبي سعيد ابن لب، واستظهر من حفظه كُتُباً كثيرة، منها كتاب التفريع في الفروع، وارتسم في العدول، وتعاطى لهذا العهد الأدب، فبرز في فنّه.

أدبه: مما جمع فيه بين نظمه ونثره، قوله يخاطب الكتاب، ويُسحر ببراعته الألباب: [الطويل]

لعلّ نسيمَ الريحِ يَسْريَ عَلَيْهِ	فأهدي صحيحَ الوُدِّ طيِّ سقيم
لتحملها عني وأزكى تحية	لقيتُ <sup>(٣)</sup> ككهفٍ مانعٍ ورقيم
ويذكر ما بين الجوانح من جوى	وشوقٍ إليهم مُقْعِدٍ ومُقيم

يا كُتّاب المحلّ السامي، والإمام المُتّسامي، وواكف الأدب البّسامي، أناشدكم بانتظامي، في محبّتكم وارتسامي، وأقسم بحقّكم عليّ وحبّذا إقسامي، ألا ما أمددتم بأذهانكم الثاقبة، وأسعدتم بأفكاركم الثيرة الواقعة، على إخراج هذا المُسمّى، وشرح ما أبهمه المُعمّى، فلعمري لقد أخزق مزاجي، وفرّق امتزاجي، وأظلم به وهاجي، وغطّى على مرآة ابتهاجي، فأعينوني بقوة ما استطعتم، وأقبطعوني من مدّدكم ما قطعتم، وآتوني بذلك كلّ إعانة وسداً وإلاّ فيها هو بين يديكم ففكّوا غلّقه، واسرّدوا خلّقه، واجمعوا مُضغّه المتباينة وغلّقه، حتى يستقيم جسداً قائماً بذاته، متّصفاً بصفاته المذكورة ولذاته، قائلاً بتسليّه أسلوباً، مُصحفاً كان أو مقلوباً. وإن تأبى عليكم وتمنّع، وأدركه الحياء فتسرّ وتقمّع، وضرب على آذان الشّهدا، وربط على قلوبهم من الإرشاد له والاهتداء، فابْعَثُوا أحدكم إلى

(١) قارن بالتكملة (ج ٣ ص ٣٠).

(٢) في التكملة: «فاستشهد بمرسى تونس في آخر سنة ٥٧٦هـ».

(٣) في الأصل: «لقيته كهف» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

المدينة، ليسأل عنه خدينه: [المتقارب]

أحاجي ذوي العلم والحلم ممن  
عن اسم هو الموت مهما دنا  
لذيذ وليس بذى طعيم  
وأطيب ما يجتنيه الفتى  
مضجعه عشر الثلث في  
وإن شئت قل: مطعم ذمه الر  
وقد جاء في الذكر إخراج  
وتصحيف ضد له آخر  
وتصحيف مقلوبه ربه  
فهاكم معانيه قد بدت

تري شغلة الفهم من زنده  
وإن بات يبكى على فقده  
ويؤمر بالغسل من بعده  
لدى ربة الحسن أو عبده  
حساب المصحف من خده  
رسول وحض على بغه  
لقوم نبي على عهده  
يبارك للتحل في شهنده  
تردد من قبل في رده  
كنار الكريم على نجده

وكتب للولد، أسعده الله، يتوسل إليه، ويروم قضاء حاجته: [الخفيف]

أيها السيد العزيز، تصدق  
عند رب الوزارتين أطال الـ  
عله أن يجيرني من زمان  
واستطالت علي بالنهب جورا  
لم تدع لي بضاعة غير مزجا  
وإذا ما وقى لي الكيل يوما  
فشفى بي غليله لا شفى بي  
من لهذا الزمان مذ نال مني  
غير أن يشفع الوزير ويدعو<sup>(١)</sup>  
دومت يا ابن الوزير في عزك السا

في المقام العلي لي بالوسيلة  
له أيامه حسنا جميلة  
مسنى الضر من خطاه الثقيلة  
من يديه الخفيفة المستطيلة  
ة ونزر أهون به من قليلة  
حشفا ما يكيه سوء كيلة  
دون أبنائه الجميع غليلة  
ليس لي بالزمان والله حيلة  
عبده أو خديمه أو خليفة  
مي ودامت به الليالي كفيلة

سيدي الذي بعزة جاهه أصول، ويتوسلي بعنايته أبلغ المأمول والسؤل، وأروم  
لما أنا أحوم عليه الوصول، ببركة المشفوع إليه والرسول، المرغوب من مجدك  
السامي الصريح، والمؤمل من ذلك الوجه السني الصبيح، أن تقوم بين يدي نجوى  
الشفاعة، هذه الرقاعة، وتعين بذاتك الفاضلة النفاة، من لسانك مضقاعة، حتى

(١) في الأصل: «ويدعى».

يَنْجَلِي حَالِي عَنْ بَلَجٍ، وَأَتَنَسُّمٍ مِنْ مِهْبَّاتِ الْقَبُولِ طِيبِ الْأَرَجِ، وَتَتَطَّلَعُ مُسْتَبْشِرَاتِ  
فَرَحْتِي مِنْ ثَنِيَّاتِ الْفَرَجِ، فَإِنَّ سَيِّدَ الْجَمَاعَةِ الْأَعْلَى، وَمَلَاذَ هَذِهِ الْبَسِيطَةِ وَفَحْلَهَا  
الْأَجْلَى، فَسَّحَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مِيدَانِ هَذَا الْوُجُودِ بَوُجُودَهُ، وَأَضْفَى عَلَى هَذَا الْقَطْرِ  
مَلَابِسَ السُّتْرِ بِرَأْيِهِ السَّدِيدِ وَسُعُودِهِ، وَبَلَّغَهُ فِي جَمِيعِكُمْ غَايَةَ أَمَلِهِ وَمَقْصُودِهِ، قَلَمًا  
تَضْمِيحٍ عِنْدَهُ شِفَاعَةُ الْأَكْبَرِ مِنْ وَلَدِهِ، أَوْ يَخِيبُ لَدَيْهِ مَنْ تَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِأَزْكَى قِطْعٍ كَبِدِهِ،  
وَبِحَقِّكَ إِلَّا مَا أَمَرْتَ هَذِهِ الرُّقْعَةَ، بِالْمَثُولِ بَيْنَ يَدَيِ ذَلِكَ الزَّكِيِّ الذَّاتِ الطَّاهِرِ الْبُقْعَةِ،  
وَقُلْ لَهَا قَبْلَ الْحُلُولِ بَيْنَ يَدَيِ هَذَا الْمَوْلَى الْكَرِيمِ، وَالْمَوْئِلِ الرَّحِيمِ، بِعَظِيمِ التَّوْقِيرِ  
وَالْتَّبَجِيلِ، وَاعْلَمِي يَا أَيَّتُهَا السَّائِلُ، أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ الْمُؤَمَّلُ، بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا  
الْجِيلِ، وَالْحِجَّةِ الْبَالِغَةِ فِي تَبْلِيغِ رَاجِيهِ أَقْصَى مَا يُؤْمَلُونَهُ بِالتَّعْجِيلِ، وَخَاتَمَةِ كَلَامِ  
الْبَلَاغَةِ وَتَمَامِ الْفَصَاحَةِ الْمُؤَقَّفِ عَلَيْهِ ذَلِكَ كُلَّهُ بِالتَّسْجِيلِ، وَغُرَّةِ صَفْحِ دِينِ الْإِسْلَامِ  
الْمُؤَيَّدَةِ بِالتَّخْجِيلِ. وَهَذَا هُوَ مَذْبَرُ فَلَكَ الْخِلَافَةِ الْعَالِيَةِ بِإِيَالَتِهِ، وَحَافِظُ بَذْرِ سَمَائِهَا  
السَّامِيَةِ بِهَالَتِهِ، فَفَرِّئِي بِالْمَثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ عَيْنًا، وَلَقَدْ قَضَيْتُ عَلَى الْأَيَّامِ بِذَلِكَ دَيْنًا، وَإِذَا  
قِيلَ مَا وَسِيلَةُ مُؤَمَّلِكَ، وَحَاجَةُ مُتَوَسِّلِكَ، فَوْسِيلَتُهُ تَشْيِيعُهُ فِي أَهْلِ ذَلِكَ الْمَعْنَى،  
وَحَاجَتُهُ يَتَكَفَّلُ بِهَا مَجْدُكُمْ الصَّمِيمِ وَيُغْنَى، وَلَيْسَتْ تَكُونُ بِخُزْمَةٍ جَاهِكُمْ مِنَ الْعَرَضِ  
الْأَدْنَى، وَتَمَنَّيْتُ فَإِنَّ لِلْإِنْسَانَ هُنَالِكَ مَا تَمَنَّى، وَتَوَلَّى تَكْلِيفَ مَرْسَلِي بِحَسَبِ مَا  
وَسَّعَكُمْ، وَأَنْتُمْ الْأَغْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ. ثُمَّ أَثْنُ الْعِنَانِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانِ، وَأَعِيدِي السَّلَامَ،  
ثُمَّ عَوْدِي بِسَلَامٍ.

وخطب قاضي الحضرة، وقد أنكر عليه لباس ثوب أضفر:

أَبْقَى اللَّهُ الْمَثَابَةَ الْعَلِيَّةَ وَمَثَلَهَا أَعْلَى، وَقَدْخُهَا فِي الْمَعْلُوتَاتِ الْمُعَلَّى، مَا لَهَا أَمَرَتْ  
لَا زَالَتْ بَرَكَاتُهَا تَنْثَالُ، وَلَأَمْرٍ مَا يَجِبُ الْإِمْتِثَالُ، بِتَغْيِيرِ ثَوْبِي الْفَاقِعِ اللَّوْنِ، وَإِحَالَتِهِ عَنْ  
مُعْتَادِهِ فِي الْكَوْنِ، وَإِلْحَاقِهِ بِالْأَسْوَدِ الْجُونِ أَضْبَغُهُ جِدَادًا وَأَيَّامَ سَيِّدِي أَيَّامِ سُرُورٍ، وَبَنُو  
الزَّمَانِ يَعْذَلُهُ ضَا حَكٌ وَمَسْرُورٌ، مَا هَكَذَا شَيْمَةُ الْبُرُورِ، بَلْ لَوْ اسْتَطَعْنَا أَنْ نَزْهَوْا لَهُ  
كَالْمِيلَادِ، وَنَتَزَّيَّا فِي أَيَّامِهِ بِزَيِّ الْأَغْيَادِ، وَنَرْقُلَ مِنَ الْمَشْرُوعِ فِي مُخْبِرٍ وَمَوْزُوسٍ،  
وَنَتَجَلَّى فِي حُلُلِ الْعُرُوسِ، حَتَّى تَقَرَّ عَيْنُ سَيِّدِي بِكَيْتِيَّةِ دِفَاعِهِ، وَقِيَمَةِ نَوَافِلِهِ وَإِشْفَاعِهِ،  
فَفِي عِلْمِ سَيِّدِي الَّذِي بِهِ الْإِهْتِدَاءُ، وَبِفَضْلِهِ الْإِقْتِدَاءُ، تَفْضِيلُ الْأَضْفَرِ الْفَاقِعِ، حَيْثَمَا  
وَقَعَ مِنَ الْمَوَاقِعِ، فَهُوَ مِمَّا حَضَرَ نَزْهَةَ الْحَاضِرِينَ، وَكَفَاهُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسْرُ النَّاضِرِينَ.  
وَلَقَدْ اعْتَمَّهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِهِ تَطَرُّزُ الْمُخْبِرَاتِ وَالْأَعْلَامِ، وَإِنَّ لَزِيَّ الظُّرَفَاءِ،  
وَشَارَةَ أَهْلِ الرِّفَاءِ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِنْ كَانَ سَيِّدِي دَامَ لَهُ الْبَقَاءُ، وَسَاعَدَهُ الْإِرْتِقَاءُ، يُنْهِي أَهْلَ  
التَّيْرِيزِ، عَنْ مِقَارِبَةِ لَوْنِ الذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ، خَيفَةَ أَنْ تَمِيلَ لَهُ مِنْهُمْ ضَرِيبَةٌ، فَيَزُفُوا بِرِيبَةٍ،  
فَنَعْمَ إِذَا وَنَعْمَى عَيْنِ، وَسَمْعًا وَطَاعَةً لِهَذَا الْأَمْرِ الْهَيِّنِ اللَّيِّنِ، أَتَبَعُكَ لَا زَيْدًا وَعَمْرًا،

ولا أعصى لك أمراً، ثم لا ألبس بعدها إلّا طِمْرًا، وأتجرّد لطاعتك تَجْرِيدًا، وأسلك إليك فقيرًا ومزِيدًا، ولا أتعرض للسُّخْط بِلَيْس شَفِيف أَسْتَشِقْ هَبَاه، وألبس عِبَاه، وأبرأ من لباس زِي يُنْشِئُ عِتَابًا، يلقي على لسانٍ مثل هذا كِتَابًا، وأتوب منه مَتَابًا، ولولا أني الليلة صِفر اليدين، ومُعْتَقِل الدِّين، لباكَرْتُ به من حانوت صَبَاغ رَأْس خَابِيَةٍ، وقاع مظلمة جَابِيَةٍ، فأصِيرُهُ حَالِكًا، ولا ألبسه حتى أَسْتَفْتِي فِيهِ مَالِكًا، ولعلي أَجِدُ فَارُضِي سِيدِي بِالتَّزْيِي بِشَارَتِهِ، والعمل بمقتضى إشارته، والله تعالى يُبْقِيهِ لِلْحَسَنَات يُنَبِّهُ عَلَيْهَا، ويومي بعمله وحظّه إليها، والسلام.

وخاطبني وقد قَدِمَ في شهادة الموارث بحضرة غرناطة: [السريع]

يا منتهى الغايات دامت لنا      غايَتُكَ الْقُضُوى بلا قُوتٍ  
طلبتُ إحيائي بكم فانتهى      من قَبْلِهِ حَالِي إلى الموتِ  
وَحَقُّ ذَاكَ<sup>(١)</sup> الجاءِ جاءِ الْعُلا      لا مِثَّ إِلَّا أَنْ أَتَى وَقْتِي<sup>(٢)</sup>

مولاي الذي أتأذَى من جَوْرِ الزمان بِذِمَامِ جلاله، وأتعوذ من نَقْصِ شهادة الموارث بتمام كماله، شهادةً يَأْبَاهَا الْمُعْسر والحَيُّ، ويُوذُّ أَنْ لا يوافيه أَجَلُهُ عَلَيْهَا الحَيُّ، مُنَاقِضَةٌ لِمَا الْعَبْدُ بِسَبِيلِهِ، غير مُرْبِح قَطْمِيرُهَا من قليله، فإنْ ظَهَرَ لِمَوْلَايَ إِعْفَاءُ عَبْدِهِ، فَمَنْ عِنْدَهُ، والله تعالى يُمَتِّعُ الْجَمِيعَ بِدَوَامِ سَعْدِهِ، والسلام الكريم يختص بالطاهر من ذاته ومجده، ورحمة الله وبركاته. من عبد إنعامكم ابن الفضال لطف الله به: [البسيط]

قد كنت أسترزق الأحياء ما رزقوا      شيئًا ولا ما<sup>(٣)</sup> وفوني بعض أقواتِ  
فكيف حالي لَمَّا أَنْ شَكَّوْهُمْ      رجعت أطلب قُوتِي عند أمواتي<sup>(٤)</sup>  
والسلام يعود على جناب مولاي، ورحمة الله وبركاته.

وخاطب أحد أصحابه، وقد اسْتَخْفَى لأمر قُرِفَ به، برسالة افتتحها بأبيات على حرف الصاد، أجابه المذكور عن ذلك بما نصّه، وفيه إشارة لَعَلَّط وقع في الإعراب: [البسيط]

يا شُغْلَةً مِنْ ذِكَايَ أَرْسَلْتُ شُررا      إلى قَرِيبٍ من الأَرْجاءِ بعد قَصْ  
وشبّهةً حملت دعوى السُّفاح على      فَخَلٍ يَلِيقُ به مضمونها وخص

(١) في الأصل: «ذلك»، وكذا ينكسر الوزن. (٢) في الأصل: «وقت» بدون ياء.

(٣) كلمة «ما» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن.

(٤) في الأصل: «أموات» بدون ياء.

رحماك بي فلقد جرّغتني غصصاً      أثار تعريضها المكتوم من غص  
بلّيتني بِنكاة<sup>(١)</sup> القرح في كبدي      كمثّل مرتجف المجذوم بالبرص

أيها الأخ الذي رقى ومسح، ثم فصّح، وغشّ ونصّح، ومزّق ثم نصّح، وتلاهّب بأطراف الكلام المشقّق فما أفصّح، ما لسحاتك ذات الجيد المنصوص، توهم سمة الوذّ المرصوص، ثم تعدل إلى التأويلات عن النصوص، وتؤنس على العموم، وتوحش على الخصوص، لا درّ درّه من باب برّ ضاع مفتاحه، وتأنيس حرّ سبق بالسجن استفتاحه، ومن الذي أنهى إلى أخي خبر ثقافي، ووثيقة تحبيسي وإيقافي، وقد أبى ذلك سَعْدُ فَرْعُهُ باسق، وعزّ عقده متناسق. ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾<sup>(٢)</sup>، بل المَثْوَى والحمد لله جنّات وغُرف، والمُتَنَهَى مجد وشرف، فإن كان وليّي مكرّثاً فيحقّ له الشُرور، أو شامِتاً فلي الظّل وله الحرور. أنا لا أزنّ والحمد لله بها من هناء، ولما أدين بها من عزّي ومُناه، ولا تمرّ لي ببال فلست بذِي سيف ولست بنكال نفسي أرقّ شيمة، وأكرم مَشِيمة، وعيني أغرّز ديمة، لو كان يُسأل لسان عن إنسان، أو مُجاولته بملعبه خِوان، أوقفني إخوان لا بمأزق عُدوان، لارتسمت منه بديوان، لا يُغني في حربِ عَوان. عين هذا الشكل والحمد لله فراره، وعنوان هذا الحدّ غراره. وأما كوني من جملة الصُفّرة، وممن أجهز سيدي الفقار على ذي الفقرة، فأقسم لو ضُرب القَتِيل ببعض البقرة، لتعين مقدار تلك الغُفّرة. اللهم لو كنتُ مثل سيدي ممن تتضاءل النخلة السُحوق لقامته، ويعترف عوجّ لديه بَقَماءه ودَمَامته، مُقبل الظّن كالبدور في سحاب الخُدر، وخليفة السُيد الذي بلغت سراويله تنذوة العدو الأيّد، لطلّت بباغ مديد، وساعدني الخلق بساعد شديد، وأنا لي جسم شحت، يحف به بخت، وحسب مثلي أن يعلم في ميدان هوى تُسلّ فيه سيوف اللّحاظ، على ذوي الحِفاظ، وتشرع سيوف القُدود، إلى شكاة الصُدود، وتسطو أولو الجُفون السُود بالأسود، فكيف أخشى تَبَعَةً تَزِلُّ عن صفاتي، وتنافي صفاتي، ولا تطمع أسبابها في التفاتي، ولا تستعمل في حربها قنا ألفاتي. والله يشكر سيدي على اهتِباله، ويحلّ كريم سِباله، على ما ظهر لأجلي من شَغَف باله، إذ رَفَعَ ما يُنصب، وغير ما لو غيرَه الحجاج لكان مع الهيبة يُحصب، ونكّت بأن نَقّفت بالحظ سوقي، وظهر لأجله فُسوقي، ويا حبّذا هو من شَفيع رَفيع ووسيلة لا يخالفها الرَغِي، ولا

(١) أصل القول: «بِنكاة»، وكذا ينكسر الوزن، فافتضى حذف الهمزة، والنكاة: من نكأ القرح إذا قسرها قبل أن تَبْرَأ.

(٢) سورة المُحجرات ٤٩، الآية ٦.



يخيب لها السعي. والله ذر القائل: [الكامل]

لله بالإنسان في تعليمه      بوساطة القلم الكريم عناية  
فالخطُ خطٌ والكتابة لم تزل      في الدهر عن معنى الكمال كناية  
وما أقرب، يا سيدي، هذه الدعوى لشهامتك، وكبر هامتك: [الكامل]  
لو كنت حاضرهم بخندق بلج      ولحمل ما قد أبرموه فصال  
لخصِصْتُ بالدعوى التي عُمُوا بها      ولقيل: فصل جلاه الفصال  
وتركت فرعون بن موسى عبْرَةً      تتقدّمه بسيفه الأوصال

فاحمد الله الذي نجاك من حضور وليمتها، ولم تشهد يوم حليمتها. وأما اعتذارك عما يقل من تفقد الكنز، ومنتطح العنز، فورع في سيدي أتم من أن يُتهم بغيبة، ولسائه أعف من أن يُنسب إلى ريبة، لما اتصل به من فضل ضريبة، ومقاصد في الخير غريبة، إنما يستخف سيدي أفرط التهم، رمي العوامل بالتهم، فيجري أصح مجرى أختها، ويلبسها ثياب تحتها، بحيث لا إثم يترتب، ولا هو ممن تغيب<sup>(١)</sup>، وعلى الرجال فجنايته عذبة الجنا، ومقاصده مستطرفة لقضح أو كنى. أبقاه الله رب نفاضة وجردة، ولا أخلى مبرّذه القاطع من برادة، وعوده الخير عادة، ولا أعدمه بركة وسعادة، بفضل الله. والسلام عليه من وليه المستزيد من ورش وليه، لا بل من قلائد حليه، محمد بن فركون القرشي، ورحمة الله وبركاته.

فراجع المترجم بما نصه، وقد أتهم أن ذلك من إملائي: [البسيط]

يا ملبس النضح ثوب الغش متهما      يلوي النصيحة عنه غير منتكص  
وجاهلاً باتخاذ الهزل مأدبة      أشد ما يتوقى محمل الرخص  
نصحته فقصاني فانقلبْتُ إلى      حال يغص بها من جملة الغصص  
بالأمس أنكرت آيات القصاص له      واليوم يُسمع فيه سورة القصص

ممن استعرت يا بابلي هذا السحر، ولم تسكن بناصية السحر، ولا أعملت إلى بابل هاروت اميطاء ظهر، ومن أين جئت بقلائد ذلك التحر؟ أمن البحر، أو مما وراء النهر؟ ما لمثل هذه الأزجيّة الفاتقة، استنشقنا مهيك ولا قبل هذه البارقة الفاتقة، استكثرتنا غيك، يا أيها الساحر ادع لنا ربك. أأضغات أحلام ما تربه الأفلام، أم في لحظة تلد الأيام فرائد الأعلام؟ لقد عهدت بربك محسن دعابة، ما قرعت شعابه، أو

(١) في الأصل: «تغيبه» وقد صوبناه لتستقيم السجعة.

مُصِيبًا فِي صُبَابَةٍ، مَا قَرَعْتُ بَابَهُ، وَلَا اسْتَرَجَعْتُ قَبْلَ أَنْ أَغْبُرَ عُبابَهُ. اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ مِنْ بَنَاتِ يِرَاعَتِكَ، لَا بَرَاعَتِكَ، وَمُغْتَرِسُ تِلْكَ الزُّهْرُ، الطَّالِعَةُ كَالْكُوَاكِبِ الزُّهْرُ، مُخْتَلَسٌ يَدِ اسْتَطَاعَتِكَ، لَا زِرَاعَتِكَ، وَإِلَّا فَنَطْرَحُ مَصَائِدَ التَّعْلِيمِ وَالْإِنشَاءِ، وَنَنْتَظِرُ مَعْنَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ يُوْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، أَوْ نَتَوَسَّلُ فِي مَقَامِ الْإِلْحَاحِ وَالْإِلْحَافِ، أَنْ نَنْقُلَ مِنْ غَائِلَةِ الْحَسَدِ إِلَى الْإِنْصَافِ، وَحَسْبِي أَنْ أَطْلَعْتُ بِالْحَدِيقَةِ الْأَنِيقَةِ، وَوَقَفْتُ مِنْ مِثْلَى تِلْكَ الطَّرِيقَةِ عَلَى حَقِيقَةٍ، فَأَلْفَيْتُ بِهَا بَيَانًا، قَدْ وَضَحَ تَبْيَانًا أَوْ أَطْلَقَ عَنَانًا، وَمَحَاسِنَ وَجَدْتُ إِحْسَانًا، فَمَثَلْتُ إِنْسَانًا، سَرَّحَ لِسَانًا، وَأَجْهَدَ بَنَانًا، إِلَّا أَنَّ صَادِحَ أَيْكَتِهَا يَتَمَلَّمُ فِي قَيْظٍ، وَيَكَادُ يَتَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ، فَيَفِيضُ وَيَغِيضُ، وَيَهِيضُ وَيَنْهَضُ ثُمَّ يَهِيضُ، وَيَأْخُذُ فِي طَوِيلٍ وَعَرِيضٍ، بِتَسْبِيْبٍ وَتَغْرِيزٍ، وَيَتَنَاهَضُ فِي ذَلِكَ بِغَيْرِ مَهِيضٍ، وَفَاتِنِ كَمَاثِمِهَا تَسْأَلُ عَنِ الصَّادِحِ، وَيَتَلَقَّفُ عَصَا اسْتَعْجَالِهِ مَا يُفَكِّهُ الْمَادِحِ، وَيَحْرِقُ بِنَارِهِ زَنْدَ الْقَادِحِ، وَيَتَعَاطَى مِنْ نَفْسِهِ بِالْإِعْجَابِ، وَيَكَادُ يَنَادِي مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٍ. إِلَيْهِ بِغَيْرِ تَمَوِيهِ رَجَعَ الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ، إِلَى مَا عَلَيْهِ الْمُعَوَّلُ، لَا دَرْ دَرْهَا مِنْ نَصِيحَةٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَوَصِيَّةٍ مُوَدَّةٍ صَرِيحَةٍ، تَعَلَّقْتُ بِغَيْرِ ذِي قَرِيحَةٍ، فَهِيَ اسْتَعْجَلَتْنِي بِدَاهِيَةِ كَاتِبٍ، وَاسْتِطَالَةَ ظَالِمٍ عَاتِبٍ، قَدْ سَلَّ مُزْهَفُهُ، وَاسْتَنْجَدَ مُتَرْفَهُ، وَجَهَّزَهَا نَحْوَ كَيْتِيَّتِهِ تُسْفِرُ عَنْ تَحْجِيلٍ، بِغَيْرِ تَبْجِيلٍ، وَسَحَابَةِ سِجْلٍ تَزْمِي بِسِجْلٍ، مَا كَانَ إِلَّا أَنْ اسْتَقَلَّتْ، وَرَمَتْنِي بِدَائِهَا وَانْسَلَّتْ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ، فَحَسْبِي اللَّهُ تَغْلُبَ عَلَى فَهْمِي، وَرُمِيتَ بِسَهْمِي، وَقُتِلَتْ بِسِلَاحِي، وَأُسْكِرْتَ بِرَاحِي، بُرُتْ بُرُتْ، مِمَّا بِهِ دُهِيتْ، أَنْتَ أَبْقَاكَ اللَّهُ لَمْ تَذَنْ بِهَا مَنِي مَنَالًا وَعِزًّا، فَكَيْفَ بِهَا تَنْسَبُ إِلَيَّ بِغَدِكَ وَتُغْزِي؟ نَفْسِي الَّتِي هِيَ أَرْقُ وَأَجْدَرُ بِالْمَعَالِي وَأَحَقُّ، وَشَكْلِي أَخْفُ عَلَى الْقُلُوبِ وَأَدْقُ، وَشِمَائِلِي أَمْلِكُ فَلَا تُسْتَرَقُ، وَلِسَانِي هُوَ الَّذِي يُسَالُ فَلَا يُقَلُّ، وَقُدْرِي يُعَزُّ وَيُجَلُّ، عَمَّا فَخَزَتْ أَنْتَ بِهِ مِنْ مَلْعَبٍ مَائِدَةٍ، وَمَجَالِ رِقَابٍ مُتَمَايِدَةٍ، فَحَاشَى سَيِّدِي أَنْ يَقَعَ مِنْهُ بِذَلِكَ مَفْخَرٌ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ يَلْهُو وَيَسْخَرُ، وَمَوْجُ بَخْرِهِ بِالطَّيِّبِ وَالْخَبِيثِ تَزْخَرُ، وَعَيْنُ شَكْلِي هِيَ بِحَمْدِ اللَّهِ عَيْنُ الظَّرْفِ، الْمُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ وَالطَّرْفِ. وَأَمَّا تَغْرِيزُ سَيِّدِي بِصِغَرِ الْقَامَةِ، وَتَكْبِيرِهِ لَغَيْرِ إِقَامَةٍ، فَمُطَرَّدُ قَوْلٍ، وَمُدَامَةُ عَوَلٍ، وَفَرِيضَةُ نَشْأٍ فِيهَا عَوَلٌ، إِذْ لَا مَبَالَةَ تَجَسُّمٍ كَائِنًا مَا كَانَ، أَوْ مَا سَمِعْتَ أَنَّ السَّرَّ فِي السُّكَّانِ، وَإِنَّمَا الْجَسَدُ لِلرُّوحِ مَكَانٌ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَيْهِ فَقْدُ يَرُوحٍ، وَقَدْ قَالَ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، وَالْمَرْءُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، لَا بِمُسْتَظْهِرِ عِيَانِهِ، وَلِلَّهِ دَرْ الْقَائِلُ: [الكامل]

لَمْ يُزْضِنِي أَنِّي بِجِسْمٍ هَائِلٍ      وَالرُّوحُ مَا وَقَفْتُ لَهُ أَغْرَاضَةٌ  
وَلَقَدْ رَضِيتُ بِأَنَّ جِسْمِي نَاحِلٌ      وَالرُّوحُ سَابِغَةٌ بِهِ قَضْفَاضَةٌ

ولما وَقَّع سَيِّدِي بِمَكْتُوبِي عَلَى الْمَرْفُوعِ وَالْمَنْصُوبِ، وَظَفَرْتُ يَدَهُ بِالْمَغْصُوبِ،  
وَالْبَاحِثِ الْمَغْصُوبِ، لَمْ يُقْلِحْهَا زَلَّةً عَالِمَ، وَإِنِّي وَقَدْ وَجَدْتُهَا مُنِيَّةً حَالِمَ، فَعَدَّدُ وَأَعَادُ،  
وَشَدَّدُ وَأَشَادُ. هَلَّا عَقِلَ مَا قَالَ، وَعَلِمَ أَنَّ الْمَقِيلَ سَيَكُونُ مَقَالًا، وَزَلَّةَ الْعَالِمَ لَا تُقَالُ،  
وَأَنَّ الْحَرْبَ سَجَالُ، وَقَبْضَةُ غَيْرِهِ هُوَ الْمُتَلَاعِبُ فِي الْحِجَالِ؟ وَبِالْجُمْلَةِ فَلَكَ الْفَضْلُ يَا  
سَيِّدِي مَا اعْتَنَيْتَنِي بِمَعْنَاكَ، وَارْتَفَعَ بَيْنَ مَغَانِي الْكَرَامِ مَغْنَاكَ، فَمَدَّةَ رَكُوبِكَ الْحُمْرَانَ لَا  
تُجَارَى، وَلَا يَشُقُّ أَحَدٌ لَكَ غُبَارًا. أَبْقَاكَ اللَّهُ تَحْفَظُ غُرَى هَذَا الْوِدَادِ، وَيَشْمَلُ الْجَمِيعَ  
بِرَكَّةِ ذَلِكَ النَّادِ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ مِنْ ابْنِ الْفَضَالِ، وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ.

وَجَعَلَا إِلَيَّ التَّحْكِيمَ، وَفَوْضَا لِنَظَرِي التَّفْضِيلَ فَكَتَبْتُ: [البسيط]

بَارِكْ عَلَيْهَا بِذِكْرِ اللَّهِ مِنْ قَصَصِ  
وَإِذْكَزْ لَهَا<sup>(١)</sup> مَا أَتَى فِي سُورَةِ الْقَصَصِ  
حَيْثُ اغْتَدَى السَّخَرُ يَلْهُو بِالْعُقُولِ وَقَدْ  
أَحَالَ بَيْنَ حُؤُولِ<sup>(٢)</sup> كَيْدِهِ وَعَصِي<sup>(٣)</sup>  
عَقَائِلِ الْعَقْلِ وَالسَّحَرِ الْحَلَالِ قُوتِ  
مَنْ كَافَلَ الصُّونَ بَعْدَ الْكُونِ جَحْرَ وَصِي<sup>(٤)</sup>  
وَأَقْبَلَكَ تَتَهَادَى كَالْبُودُورِ إِذَا  
بَسِخَرَ مَنْ فَلَكَ التُّدُورَ فِي حِصَصِ  
مَنْ لَلْبُودُورِ وَرَبَّاتِ الْخُدُورِ بِهَا  
الْمِثْلُ غَيْرَ مَطِيعٍ وَالْمُثِيلُ<sup>(٥)</sup> عَصِي<sup>(٦)</sup>  
مَا قُرْصَةُ الْبَذْرِ وَالشَّمْسِ الْمَنِيرَةِ أَنْ  
قَيْسَتْ بِمَنْ قَاسَهَا<sup>(٧)</sup> مِنْ جُمْلَةِ الْقُرْصِ  
تَاللهِ مَا حُكْمُهَا يَوْمًا بِمُتَنَقِّصِ  
كُلًّا وَلَا بَذَرُهَا يَوْمًا بِمُتَنَقِّصِ  
إِنْ قَالَ حُكْمِي فِيهَا بِالسُّوَادِ فَقَدْ  
أَمِنْتُ مَا يَخْذَرُ الْقَاضِي مِنَ الْغُصَصِ

(١) كلمة «لها» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها ليستقيم الوزن والمعنى معاً.

(٢) في الأصل: «حال» وكذا ينكسر الوزن. (٣) في الأصل: «وعص» بدون ياء.

(٤) في الأصل: «وص» بدون ياء. (٥) في الأصل: «والمثلان» وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «عص» بدون ياء. (٧) في الأصل: «سوى» وكذا ينكسر الوزن.

أو كنت أَرْخَضْتُ فِي التَّرْجِيحِ مَجْتَهِدًا

لَمْ يَقْبَلِ الْوَزْعَ الْفُثْيَا مَعَ الرَّخْصِ

يا مُذَلِّجَ لَيْلِ التَّرْجِيحِ، قَفْ فَقَدْ خَفِيَتْ الْكَوَاكِبُ، وَيَا قَاضِيَ طَرْفِ التَّحْسِينِ وَالتَّقْيِيحِ، تَسَامَتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَنَاقِبِ، وَيَا مُسْتَوَكِفَ خَيْرِ الْوَقِيعَةِ مِنْ وَرَاءِ أَقْتَامِ الْقِيعَةِ تَصَالَحَتِ الْمَوَاكِبُ. خَصَّصَ الْحَقُّ فَارْتَفَعَ اللَّجَاجُ، وَتَعَارَضَتِ الْأَدَلَّةُ فَسَقَطَ الْاِخْتِجَاجُ، وَوَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا فَسَكَنَ الْعَجَاجُ، وَطَابَ نَحْلُ الْأَقْلَامِ بِأَزْهَارِ الْأَحْلَامِ فَطَابَ الْمُجَاجُ، وَقَلَّ لِفِرْعَوْنَ الْبَيَانُ وَإِنْ تَأَلَّهْ، وَبُلِّدَ الْعُقُولُ وَبِلَّهْ، وَوَلَّى بِالْفِرْعَوْرِ وَدَلَّهْ. أَوْسَعَ الْكِنَانُ ثَنًى، وَدَوَّنَكَ أَيْدَا شَثْلَا، وَشَخَّرَا حَثْلَا، لَا حَظْمًا وَلَا أَثْلًا. إِنْ هَذَا لِسَاحِرَانِ إِلَى قَوْلِهِ: وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمَثْلَى وَإِنْ أَثَرْتُ أَدَبَ الْحَلِيمِ، مَعَ قِصَّةِ الْكَلِيمِ، فَقُلْ لِمُجَمِّلِ جِيَادِ التَّعَالِيمِ، وَوَاضِعِ جُغْرَافِيَا الْأَقَالِيمِ، أَنْذَلْنَا مَا عَلِمْتَ بِلَدِ الْأَجَمِ، لَا سُودَ الْعَجَمِ، وَمَدَاحِضَ السُّقُوطِ، عَلَى شَوْكِ قِتَادِ الْقُوطِ، وَلَمْ يَدَّرْ إِنْ مَحَلُّ ذَاتِ الْعَجَائِبِ وَالْأَسْرَارِ الَّتِي تُضْرِبُ إِلَيْهَا أَبَاطُ التُّجَابِ فِي غَيْرِ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ، وَهَذَا الْوَطْنِ بِشَهَادَةِ الْقَلْبِ الْحَوْلِ، إِنَّمَا هُوَ رَسْمٌ دَارِسٌ لَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ مُعَوَّلٍ. فَهَنَالِكَ يَتَكَلَّمُ الْحَقُّ فِيْفَصِّحُ وَيُعْجَمُ، وَيَرِدُ الْمَدَدُ عَلَى الْنَفُوسِ الْجَرِيئَةِ مِنْ مَطَالِعِ الْأَضْوَاءِ فِيَحْدُثُ وَيُلْهِمُ، وَيَجُودُ خَازِنُ الْأُمْدَادِ، عَلَى الْمُتَوَسِّلِ بِوَسِيلَةِ الْاِسْتِعْدَادِ، فِيَقْطَعُ وَيُسْهِمُ. وَأَمَّا إِقْلِيمُنَا الرَّابِعُ وَالْخَامِسُ، بَعْدَ أَنْ تَكَافَأَتِ الْمَنَاطِرُ وَالْمَلَامِسُ، وَتَنَاصَفَ اللَّيْلُ الدَّامِسُ وَالْيَوْمُ الشَّامِسُ، بِاعْتِدَالِ رَيْبَعِيٍّ، وَمَجْرَى طَبِيعِيٍّ، وَذِكْيٍ بَلِيدٍ، وَمَعَاشٍ وَتَوَلِيدٍ، وَطَرِيفٍ فِي الْبَدَاوَةِ وَتَلِيدٍ، لَيْسَ بِهِ بِرِيَاءٍ وَلَا هَرَمٍ، يَخْدُمُ بِهَا دَرْبٌ مُحْتَرَمٌ، وَيَشْبُ لِقَرِيَّاتِهِ حُرْمٌ، فِيْفِيدُ رُوحَانِيًّا يَتَصَرَّفُ، وَرِئِيسًا يَتَعَرَّضُ وَيَتَعَرَّفُ، كُلَّمَا اسْتَنْزَلَ صَابَ، وَأَعْمَلَ الْاِتْتِصَابَ، وَجَلَبَ الْمَآرِبَ وَأَذْهَبَ الْأَوْصَابَ، وَعَلِمَ الْجَوَابَ، وَفَهَمَ الصَّوَابَ. وَلَوْ فَرَضْنَا هَذِهِ الْمَدَارِكَ ذَوَاتِ أَمْثَالِ، أَوْ مَسْبُوقَةِ بَمَثَالِ، لَتَلْقَيْنَا مَنَشُورَ الْقَضَاءِ بِأَمْثَالِ، لِكِنَّا نَخَافُ أَنْ نَمِيلَ بَعْضُ الْمِيلِ، فَتَنْجِنِي بِذَلِكَ أَبْخَسَ الْجَرِيِّ وَإِرْضَاءَ الدُّمِيلِ، وَنَجْرَ تَنَازُعِ الْفَهْرِيِّ مَعَ الصُّمِيلِ. فَمَنْ خَيْرٌ مَيْزٍ، وَمَنْ حَكَمٌ أَرْزِي بِهِ وَتَهَكُّمٌ، وَمَا سَلَّ سَيُوفُ الْخَوَارِجِ، فِي الزَّمَنِ الدَّارِجِ، إِلَّا التَّحْكِيمُ، حَتَّى جَهَلَ الْحَكِيمُ، وَخَلَعَ الْخِطَامَ وَنَزَعَ الشُّكِيمَ، وَأَضْرَّ بِالْخَلْقِ نَافِعٌ، وَذَهَبَ الطِّفْلُ لِحِرَاهُ وَالْيَافِعُ، وَذَمَّ الدُّمَامُ وَرَدَّ الشَّافِعُ، وَقَطَرَ سَيْفُ قَطْرِي، بِكُلِّ نَجِيعِ طَرِيٍّ، وَزَارَ الشَّيْبُ الْأَسَدَ الْهَاصُورَ، وَصَلَّتِ الْغَزَالَةُ بِمَسْجِدِ الثَّقَفِيِّ وَهُوَ مَحْصُورٌ، وَانْتَهَبَتِ الْمَقَاصِيرُ وَالْقُصُورَ، إِلَّا أَنْ مُسْتَأْهَلَ الْوِظِيْفَةِ الشَّرْعِيَّةِ عِنْدَ الْضَرُورَةِ يُجْبَرُ، وَالْمُنْتَدَبُ لِلْبِرِّ مُحْيِيٌّ عِنْدَ اللَّهِ وَيُجْبَرُ، وَاجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ وَهُوَ الْأَوْضَحُ وَالْأَشْهَرُ، فِيهَا بِهِ يُسْتَظْهَرُ. وَأَنَا فَإِنْ حَكَمْتُ عَلَى التَّعْجِيلِ،

فغير مُشهِد على نفسي بالتسجيل، إنما هو تَلْفِيق يرضى وتُطْفِيل، يُعْتَب عليه من تصدُّع بالحق ويمضى، إلّا أن يُغْضَى، ورأيت فيها المراضاة والاستصلاح، وإلّا فالسلاح والركاب الطلّاح، والصلح خير، وما استُدفع بمثل التّسامح ضير. ومن وقف عليه، واعتبر ما لديه، فليعلم أني صدّعتُ وقطعتُ، والحق أطفعتُ، وإن أريد إلّا الإصلاح ما استطعتُ، والسلام.

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن

ابن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد

ابن عبد الرحمن بن خلدون الحَضْرَمِي<sup>(١)</sup>

من ذرية<sup>(٢)</sup> عثمان أخي كَرِيب المذكور في نُبهاء ثوار الأندلس. وينتسب<sup>(٣)</sup> سَلَفُهُمْ إلى وائل بن حُجْر، وحاله عند القُدوم على رسول الله ﷺ، معروف<sup>(٤)</sup>.

أُولِيَّتُهُ: قد ذُكر بعضُ منها. وانتقل<sup>(٥)</sup> سلفه من مدينة إشبيلية عن نِباهة وتَعَيَّن وشهرة<sup>(٦)</sup> عند الحادثة بها، أو قبل ذلك، واستقر<sup>(٧)</sup> بتونس منهم ثالث<sup>(٨)</sup> المحدثين؛ محمد بن الحسن، وتناسلوا على سِراوة<sup>(٩)</sup> وحِشمة ورسوم حسنة، وتَصَرَّفَ جَدُّ المترجم به لملوكها<sup>(١٠)</sup> في القيادة.

حاله: هذا<sup>(١١)</sup> الرجل الفاضل حسن الخلق، جمّ الفضائل باهر الخُصل، رفيع القَدْر، ظاهر الحياءِ، أصيل المجد، وقُور المجلس، خاصّي الزّي، عالي الهمة، عَزُوفٌ عن الضّميم، صَغْبُ المَقادة، قوي الجأش، طامحٌ لَقْن<sup>(١٢)</sup> الرئاسة، خاطبٌ للحظّ، متقدّم في فنون عقلية ونقلية، متعدّد المزايا، سديدُ البحث، كثيرُ الحفظ، صحيحُ التّصوّر، بارعُ الخطّ، مُغرّي بالتجلّة، جَوادُ الكفّ<sup>(١٣)</sup>، حسن العشرة، مَبْدُول

(١) ترجمة ابن خلدون في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٦ وما بعدها)، وجاء فيه أنه «عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن...» والضوء اللامع (ج ٤ ص ١٤٥) والأعلام (ج ٣ ص ٣٣٠).

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٦). (٣) في النفح: «ويُنسب».

(٤) في النفح: «معروفة». (٥) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٦).

(٦) كلمة «وشهرة» غير واردة في النفح. (٧) في النفح: «فاستقر».

(٨) في النفح: «ثاني». (٩) في النفح: «على حشمة وسراوة».

(١٠) كلمة «الملوكها» غير واردة في النفح.

(١١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٦ - ٣٠٧).

(١٢) القَنْن: جمع قَنَّة وهي أعلى الجبل. لسان العرب (قنن).

(١٣) كلمة «الكف» غير واردة في النفح.

المشاركة، مقيم لرسوم الثعنين، عاكف على رَغِي خلال الأصاله، مَفْخَرَة<sup>(١)</sup> من مفاخر الثُخوم المغربية.

مشيخته: قرأ<sup>(٢)</sup> القرآن ببلده على المُكْتَب ابن برال، والعربية على المُقْرِء الزواوي<sup>(٣)</sup>، وابن العربي، وتأدب بأبيه، وأخذ عن المحدث أبي عبد الله بن جابر الوادي أشي. وحضر مجلس القاضي أبي عبد الله بن عبد السلام، وروى عن الحافظ عبد الله<sup>(٤)</sup> السطّي، والرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحَضْرَمِي، ولازم العالم الشهير أبا عبد الله الأَبْلِي، وانتفع به.

توجّهه إلى المغرب: انصرف<sup>(٥)</sup> عن<sup>(٦)</sup> إفريقية منشئه، بعد أن تعلّق بالخدمة السلطانية على الحداثة وإقامته لرسم العلامة بحكم الاستنابة عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة. وعُرف فضله، وخطبه السلطان مُنْفَقُ سوق العلم والأدب أبو عِنان فارس بن علي بن عثمان، واستقدمه<sup>(٧)</sup>، واستحضره بمجلس المذاكرة، فعرف حقه، وأوجب فضله، واستعمله في<sup>(٨)</sup> الكتابة أوائل عام ستة وخمسين، ثم عظم عليه حملُ الخاصة من طلبة الحضرة لبعده عن حسن التأني، وشفوفه بثقوب الفهم، وجودة الإدراك، فأغروا به السلطان إغراء عَضْدَه ما جُبل عليه عندئذ<sup>(٩)</sup> من إغفال التَّحْفُظ، ممّا يريب لديه، فأصابته شدة تخلّصه منها أجله؛ كانت مغربة في جفاء ذلك الملك، وهناة جواره، وإحدى العواذل لأولي الهوى في القول بفضله، [واستأثر به الاعتقال باقي أيام دولته على سُنَن الأشراف من الصَّبْر]<sup>(١٠)</sup> وعدم الخُشوع، وإهمال التوسّل، وإبادة المكسُوب في سبيل التّفقه، والإرضاخ على زمن المحنة، وجار المنزل الخشن، إلى أن أفضى الأمر إلى السّعيد ولده، فأغتنب قِيَم الملك لحينه، وأعاده إلى رسمه. ودالت الدولة إلى السلطان أبي سالم، وكان له به الاتصال، قبل تسوُّغ المحنة، بما أكد حُظوته، فقلّده ديوان الإنشاء مُطْلَق الجرايات، محرّر السّهام، نبيّه الرتبة، إلى آخر أيامه. ولما أَلَقَت الدولة مقادها بعده إلى الوزير عمر بن عبد الله، مُدَبِّر الأمر، وله إليه قَبْل ذلك<sup>(١١)</sup> وسيلة، وفي خليه شركة، وعنده حقّ، رابه تقصيره عمّا ارتمى إليه أمله، فساء ما بينهما إلى أن آل إلى انفصاله عن الباب الميريني.

(٢) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٧).

(٤) في النفح: «أبي عبد الله».

(٥) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٧ - ٣٠٨).

(٧) كلمة «واستقدمه» غير واردة في النفح.

(٩) في النفح: «عهدئذ».

(١١) قوله: «قبل ذلك» غير وارد في النفح.

(١) في النفح: «مفخر».

(٣) في النفح: «الزواوي وغيره».

(٦) في النفح: «من».

(٨) في النفح: «على».

(١٠) ما بين قوسين غير وارد في النفح.

دخوله غرناطة: ورد<sup>(١)</sup> على الأندلس في أوائل<sup>(٢)</sup> شهر ربيع الأول من عام أربعة وستين وسبعمائة، واهتزَّ له السلطان، وأزكَّب خاصَّته لتلقَّيه، وأكرم وفادته، وخلع عليه، وأجلَّسه بمجلسه الخاص<sup>(٣)</sup>، ولم يدَّخر عنه برًّا ومؤاكلةً ومطايبة وفكاهة.

وخاطبني لما حلَّ بظاهر الحضرة مخاطبة لم تحضرني الآن، فأجبتة عنها بقولي<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

حَلَلْتُ حلولَ الغَيْثِ في البلدِ المَخْلٍ      على الطائرِ الميمونِ والرَّحْبِ والسَّهْلِ  
يمينًا بمن تَغْنُو الوجوهَ لوجهه      من الشَّيخِ والطفلِ المَهْدِ<sup>(٥)</sup> والكَهْلِ  
لقد نَشَأْتُ عندي لِلْفَيَاكِ غِبْطَةً      تُنْسِي اغتباطي بالشَّيْبَةِ والأَهْلِ<sup>(٦)</sup>

أقسمت<sup>(٧)</sup> بمن حَجَّتْ قريشَ لبيتِه، وقبر صُرِفَتْ أزمَةُ الأحياءِ لميته، [ونور ضُربت الأمثال بمشكاته<sup>(٨)</sup> وزيته، لو خَيْرْتُ أيها الحبيب]<sup>(٩)</sup> الذي زيارته الأمنية السَّنيَّة، والعارفة الوارفة، واللطيفة المُطيفة، بين رَجْع الشَّبابِ يَقْطُرُ ماءً، ويرِفُ نماءً، ويُغازل عُيون الكواكب، فضلًا عن الكواعب، إشارةً وإيماءً، بحيث لا الوَخْط<sup>(١٠)</sup> يَلُمُّ بسياجِ لِمَتِه، أو يَقْدَح دُبَالَةً<sup>(١١)</sup> في ظُلْمَتِه، أو يقوم حوارِيه في ملَّتِه<sup>(١٢)</sup>، من الأحابش وأُمَّتِه، وزمائه رُوح وراح، ومَغْدَى في النِّعيم ومَراح، وقصَفَ صُراح<sup>(١٣)</sup>، [ورَفَى<sup>(١٤)</sup> وجراح<sup>(١٥)</sup>] وانتخاب<sup>(١٦)</sup> واقتراح، وصدور ما بها إلَّا انشراح، ومَسَرَّات تردُّفها أفراح. وبين قُدومك خليجَ الرُّسن، مُمْتَعًا والحمد

(١) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٨). (٢) في النفح: «أول ربيع الأول عام...».

(٣) كلمة «الخاص» غير واردة في النفح.

(٤) الرسالة، بما فيها الآيات، في التعريف بابن خلدون (ص ٨٢) وريحانة الكتاب (ج ٢ ص ١٨٥ -

١٨٦) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣٠٨ - ٣٠٩).

(٥) في ريحانة الكتاب: «المُعْصَب».

(٦) جاء في الريحانة بعد هذا البيت البيت التالي:

وودِّي لا يُحْتَاج فيه لشاهد      وتقرير المعلوم صَرَبَ من الجَهْلِ

(٧) في الريحانة: «يمينا برَّب حَجَّت...». (٨) المَشْكَاة هنا: المصباح.

(٩) ما بين قوسين ساقط في الأصل، وقد أضفناه من المصادر.

(١٠) الوَخْط: الشَّيْب. لسان العرب (وخط). (١١) الدُّبَالَة: الفتيلة. لسان العرب (ذبل).

(١٢) في الريحانة: «لمتّه». (١٣) في الريحانة: «ونصب وصراح».

(١٤) في الأصل: «ورفى»، والتصويب من النفح والتعريف.

(١٥) ما بين قوسين ساقط في الريحانة.

(١٦) في الأصل: «وانتخاب»، وكذلك في الريحانة، والتصويب من النفح.

الله<sup>(١)</sup> باليقظة والوسن، مُحْكَمًا في نُسْكَ الجُنَيْدِ أَوْ فَتْكَ الْحَسَنِ، مَمْتَعًا بِظَرْفِ المعارف، مَالًا أَكْفَ الصَّيَارِفِ، مَاحِيًا بِأَنْوَارِ الْبَرَاهِينِ شُبَهَ الزُّخَارِفِ - لَمَّا اخْتَرْتَ الشُّبَابَ وَإِنْ شَاقَنِي<sup>(٢)</sup> زَمْنُهُ، وَأَعْيَانِي ثَمْنُهُ، وَأَجَزْتَ سَحَابَ<sup>(٣)</sup> دَمْعِي دِمْنُهُ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَقَى<sup>(٤)</sup> جَنُونََ اغْتِرَابِي، وَمَلَكَنِي أَزْمَةَ آرَابِي، وَغَبَطَنِي بِمَائِي وَتَرَابِي، [وَمَأْلَفَ أَتْرَابِي]،<sup>(٥)</sup> وَقَدْ أَغْصَنِي بِلَذِيذِ شَرَابِي، وَوَقَعَ عَلَى سَطُورِهِ الْمَعْتَبِرَةُ إِضْرَابِي، وَعَجَّلْتُ هَذِهِ مُغَبَّطَةً بِمَنَاخِ الْمَطِيَّةِ<sup>(٦)</sup>، وَمُنْتَهَى الطَّيَّةِ، وَمُلْتَقَى السُّعُودِ<sup>(٧)</sup> غَيْرِ الْبَطِيَّةِ، وَتَهَنَّى الْأَمَالَ الْوَثِيرَةَ الْوَطِيَّةِ، فَمَا شِئْتُ مِنْ نَفُوسٍ عَاطِشَةٍ إِلَى رَبِّكَ، مَتَجَمِّلَةً بِزَيْكَ، عَاقِلَةً خُطَى مَهْرِيكَ، وَمَوْلَى مَكَارِمِهِ نَشِيدُهُ أَمْثَالِكَ، وَمِظَانُ<sup>(٨)</sup> مِثَالِكَ، وَسَيَضُدُّكَ الْخَبْرَ مَا هُنَالِكَ، وَيَسِعُ<sup>(٩)</sup> فَضْلَ مَجْدِكَ فِي<sup>(١٠)</sup> التَّخْلُفِ عَنِ الْإِضْحَارِ<sup>(١١)</sup>، لَا بَلَّ لِلْقَاءِ مِنْ وَرَاءِ الْبَحَارِ، وَالسَّلَامُ.

ولما<sup>(١٢)</sup> اسْتَقَرَّ بِالْحَضْرَةِ، جَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَكَاتِبَاتٌ أَقْطَعَهَا الظَّرْفُ جَانِبَهُ، وَأَوْضَحَ الْأَدَبُ فِيهَا<sup>(١٣)</sup> مَذَاهِبَهُ. فَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبْتَهُ بِهِ، وَقَدْ تَسَرَّى جَارِيَةً رُومِيَّةً اسْمُهَا هِنْدٌ صَبِيحَةَ الْإِبْتِنَاءِ بِهَا: [السَّريِعُ]

أَوْصِيكَ بِالشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ      لَا تَأْمَنْنَ فِي حَالَةِ مَكْرَةٍ  
وَاجْتَنِبِ الشُّكَّ إِذَا جِئْتُهُ      جَنَّبَكَ الرَّحْمَنُ مَا تَكْرَهُ

سَيِّدِي، لَا زَلْتَ تَتَّصِفُ بِالْوَالِجِ، بَيْنَ الْخِلَاحِلِ وَالْدِّمَالِجِ<sup>(١٤)</sup>، وَتَرْكُضُ فَوْقَهَا رُكْضَ الْهَمَالِجِ<sup>(١٥)</sup> أَخْبِرْنِي كَيْفَ كَانَتْ الْحَالُ، وَهَلْ حُطَّتْ بِالْقَاعِ مِنْ خَيْرِ الْبِقَاعِ الرَّحَالِ، وَأَخْصَمَ بِمِرْزُودِ<sup>(١٦)</sup> الْمُرَاوِدَةِ الْاِكْتِحَالِ، وَارْتَفَعَ بِالسُّفْيَا الْإِمْحَالِ، وَصَحَّ

(١) قوله: «والحمد لله» ساقط في الريحانة. (٢) في النفع: «راقني».

(٣) في النفع: «سحائب».

(٤) في الريحانة: «وقى».

(٥) ما بين قوسين ساقط في الريحانة.

(٦) في الريحانة: «الطية».

(٧) في الأصل: «للسعود» والتصويب من المصادر.

(٨) في الريحانة: «ومطابق».

(٩) في الريحانة: «عن».

(١٠) في الريحانة: «عن».

(١١) الإصحار: الخروج إلى الصحراء. محيط المحيط (صحرو).

(١٢) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٠٩ - ٣١٥).

(١٣) كلمة «فيها» غير واردة في النفع.

(١٤) الخلال: جمع خلخال وهو حلية تلبسها المرأة في ساقها. والدمالج: جمع دملج وهي حلية تلبسها المرأة في ساعدها. وأراد هنا: بين الأيدي والأرجل. لسان العرب (خلخل) و(دملج).

(١٥) الهمالج: جمع هملاج وهو الدابة الحسنة السير والسريعة. لسان العرب (هملاج).

(١٦) المِرْزُودُ: الميل يُكْتَحَلُ بِهِ. محيط المحيط (رود).



الانتحال، وحَضَّصَ الحقُّ وذهب المُحال، وقد طُولِعت بكل بُشرى وبِشر، ورُفَّتْ هندُ منك إلى بِشر، فلهُ من عَشِيَّةٍ تمتَّعت من الربيع بِفُرْشٍ مَوْشِيَّةٍ، وابتذلت<sup>(١)</sup> منها أي وساد وخشية، وقد أقبل ظبي الكِناس، من الدِّيماس، ومطوق الحَمَام، من الحَمَام، وقد حَسَّنت الوجهَ الجميلَ التَّطْرِية<sup>(٢)</sup>، وأزيلت عن الفرع الأثيث الإِبرية<sup>(٣)</sup>، وصُقِلت الخدودُ فهي<sup>(٤)</sup> كأنها الأُمريَّة<sup>(٥)</sup>، وسلَّطَ الدُّلكَ على الجلود، وأغريت الثَّورة بالشَّعر المولود، وعادت الأعضاء يزلق عنها اللَّمس، ولا تنالها البَنانُ الخمس، والسُّحنة يجول في صفحتها الفِضِّيَّة ماءُ النعيم، والمسواك يلبي من ثِيَّةِ التَّنعيم والقلب يرمي من الكفِّ الرِّقيم<sup>(٦)</sup> بالمقعد المُقيِّم، وينظر إلى نجوم الوُشوم، فيقول: إني سقيم. وقد تفتَّحَ ورْدُ الحَفَر، وحكم لزنجي الظَّفيرة بالظَّفَر، واتَّصف أمير الحُسن بالصُّدود المُغتَفَر، ورُشَّ بماءِ الطَّيب، ثم أغلَقَ بباله دُخانُ العود الرُّطيب. وأقبَلَت الغادة، يهديها اليُمْن وتزفُّها السَّعادة، فهي تمشي على استِحياءٍ وقد ذاع طيب الرِّيا، وراق حُسن المُحيَّا، حتى إذا نُزع الحُفُّ، وقُبِلَت الأكُفُّ، وصَحِبَ<sup>(٧)</sup> المزممار وتجاوب الدَّف، وذاع الأَرَج، وارتفع الحَرَج، وتجوَّز اللَّوا والمنعرج، ونزل على بِشر بزيارة هند الفَرَج، اهتزَّت الأرضُ ورَبَّتْ، وعُوصيت الطُّباع البشرية فأَبَتْ. والله دُرُّ القائل<sup>(٨)</sup>: [المقارب]

ومَرَّتْ فقالت<sup>(٩)</sup>: متى نلتقي؟ فهشَّ اشتياقًا إليها الخبيثُ  
وكاد يُمَزَّقُ سِرْبَالَهُ فقلت: إليك يُساقُ الحديثُ<sup>(١٠)</sup>

فلما انسدل جَنحُ الظلام، وانتَصَفَتْ من غريم العِشاءِ الأخيرة فريضة الإسلام<sup>(١١)</sup>، وخاطت خيوط المنام، عُيون الأنام، تأتَّى دُنُوُ الجلسة، ومُسارقة الخِلْسة، ثم عَضَّةُ النهْد، وقُبلة الفم والخذ، وإرسال اليد من التَّجْد إلى الوَهْد،

(١) في النفع: «وأبدلت منها أي آساد وحشية».

(٢) في الأصل: «النظرية». وتَطْرِيةُ الرَّج: تحسينه وتزيينه. لسان العرب (طرا).

(٣) الفرع: الشَّعْر. الأثيث: الكثير، والمراد هنا شعر الرأس. الإبرية: قشر الرأس يسقط عند المشط. محيط المحيط (فرع) و(أثث) و(برى).

(٤) كلمة «فهي» غير واردة في النفع. (٥) الأُمريَّة: المرايا، جمع مرآة.

(٦) الرقيم: المزين. لسان العرب (رقم).

(٧) في الأصل: «وصحب» والتصويب من النفع.

(٨) البيتان لبشار بن برد، وهما في ديوانه (ص ٢٨٩).

(٩) في الديوان: «فقلت».

(١٠) أخذ عجز البيت من المثل: «إليك يُساقُ الحديث». مجمع الأمثال (ج ١ ص ٤٨).

(١١) في النفع: «السلام».

وكانت الإمالة القليلة قبل المدّ، ثم الإفاضة فيما يُغبط ويُزغب، ثم الإمالة لما يُشوّش ويُشغب، ثم إعمال المسير، إلى السّير<sup>(١)</sup>: [الطويل]

وصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيْ إِذْلال

هذا<sup>(٢)</sup> بعد منازعة للأطواق يسيرة، يراها الغيد من حسن السيرة، ثم شرع في حلّ<sup>(٣)</sup> الشّكة، ونَزَعَ الشّكة، وتهيئة الأرض العَازِز<sup>(٤)</sup> عمل السّكة، ثم كان الوحي والاستعجال، وحَمِي الوطيس والمجال، وعلا الجزء الخفيف، وتضافرت الخُصور الهيف، وتشاطر الطّبع العَفِيف، وتواتر التقبيل، وكان الأخذ الوَيْيل، وامتاز الأثوْك من الثّيل، ومنها جائر وعلى الله قَصْدُ السّبيل، فإيا لها من نَعَم مُتداركة، ونفوس في سبيل القِحة مُتهالكة، ونَفْسُ يقطع حروف الحلق، وسبحان الذي يزيد في الخلق، وعظمت الممانعة، وكثرت باليد المصانعة، وطال التّراوغ والتّزاور، وشكى التجاور<sup>(٥)</sup>، وهناك تختلف الأحوال، وتعظم الأهوال، وتُخَسَّرُ أو تُزْبَحُ الأموال، فمن عَصَا تنقلب ثعباناً مُبِيناً، وثُؤنّة<sup>(٦)</sup> تصير تَيْنّاً، وبطل لم يَهْلَه<sup>(٧)</sup> المعترك الهائل، والوهم الزائل، ولا حال بينه وبين قُرَّتِه<sup>(٨)</sup> الحائل، فتعدّى فتكة السّليك إلى فتكة البُرّاض، وتقلّد مذهب الأزارقة<sup>(٩)</sup> من الخوارج في الاعتراض، ثم شقّ الصفّ، وقد خضّب الكفّ، بعد أن كاد يصيب البري<sup>(١٠)</sup> بطُعنته، ويؤوّ بِمَقَّتِ الله وَلَعنته<sup>(١١)</sup>: [الطويل]

طَعَنْتَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ طَعْنَةً ثَائِرٍ لَهَا نَفْدٌ لَوْلَا الشِّعَاعُ أَضَاءَهَا

وهناك هدأ القتال، وسكن الحبال، ووقع المتوّقع فاستراح البال، وتَشَوَّف إلى مذهب الثنوية من لم يكن للتّوحيد بمُبال، وكثر السؤال عن البال، بما بال، وجعل الجريح يقول: وقد نظر إلى دَمِه، يسيل على قدمه: [البسيط]

إِنِّي لَهُ عَنْ دَمِي الْمَسْفُوك مُعْتَذِرٌ أَقُولُ: حَمَلْتُهُ فِي سَفْكَه تَعَبًا

(١) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه (ص ٣٢).

(٢) في النفع: «وهذا».

(٣) كلمة «حلّ» ساقطة في النفع.

(٤) في الأصل: «الغراز» والتصويب من النفع، والأرض العَازِز: الأرض الصلبة. لسان العرب (عزز).

(٥) في النفع: «التحاور».

(٦) الثؤنة: السمكة. لسان العرب (نون). وفي النص كتابات تنطوي على الغمز والسخرية.

(٧) في النفع: «يهمله».

(٨) في النفع: «قرنه».

(٩) الأزارقة: فرقة من فرق الخوارج منسوبة إلى نافع بن الأزرق. الملل والنحل (ج ١ ص ١١٨).

(١٠) في النفع: «البوسى بطعنته».

(١١) البيت لقيس بن الخطيم، وهو في ديوانه (ص ٧).

ومن<sup>(١)</sup> سِنَان عادِ عِنَانًا، وشَجَاع صارِ هِدَانًا<sup>(٢)</sup> جَبَانًا، كلما شَابَتْهُ شَائِبَةُ رَيْبَةٍ، أَدخَلَ يده في جيبه، فَانجَحَرَت الحَيَّة، ومَاتَت الغَرِيْزَةُ الحَيَّة، وهناك يَزِيغُ البَصْر، وَيُخَذِّلُ الْمُتَنَصِّر، وَيَسْلِمُ الأَسْر، وَيَغْلِبُ الحَضْر، وَيَجِفُّ اللُّبَاب<sup>(٣)</sup>، وَيُظْهِرُ العَاب<sup>(٤)</sup>، وَيَخْفِقُ الفؤَاد، وَيَكْبُو الجَوَاد، وَيَسِيلُ العَرَق، وَيَشْتَدُّ الكَرْب والأَرْق، وَيَنْشَأُ في محلِّ الأَمْنِ الفَرْق، وَيُدْرِكُ فرعونَ العَرَق، وَيَقْوَى اللُّجَاجُ وَيَعْظُمُ الحَرْق. فلا تَزِيدُ الحالَ إِلَّا شِدَّةً، ولا تَعْرِفُ تلكَ الجارحة<sup>(٥)</sup> المؤمَّنة إِلَّا رِدَّةً: [الطويل]

إذا لم يكن عَوْنٌ من الله للفتى فأكثَرُ<sup>(٦)</sup> ما يجني عليه اجتِهادهُ  
فكم مُغَرَّى بطول اللَّبِث، وهو من الحَبْث، يؤمل الكَرْة، ليزيل المعرَّة،  
ويستَنْصِرُ الخيال، ويعمل باليد الاحتيال: [الرجز]

إنك لا تشكو إلى مُصَمِّتٍ فاصْبِرْ على الجِئَلِ الثَّقِيلِ أو مُتٍ  
ومُعْتَذِرٍ بمرض أصابه، جَزَّعَهُ أوصابه<sup>(٧)</sup>، ووجع طَرَقَهُ، جَلَبَ أَرْقَهُ، وخطيبٍ  
أَزْتَجَّ عليه أحيانًا، فقال: سَيُخَدِّثُ الله بعد عُسْرٍ يُسْرًا وبعد عِيٍّ بَيَانًا، اللهم إنا نعوذُ  
بك من فضائح الفُرُوجِ إذا اسْتَغْلَقَتْ أَقْفَالُهَا، ولم تُسَمَّ<sup>(٨)</sup> بالتَّجْيِيعِ أَغْفَالُهَا<sup>(٩)</sup>، ومن  
مَعَرَّاتِ الأَقْدَارِ<sup>(١٠)</sup>، والنكول عن الأَبْكَارِ، ومن التُّزُولِ عن البَطُونِ والسُّرَرِ، والجوارحِ  
الحسنة الغُررِ، قَبْلَ ثَقْبِ الدُّررِ، ولا تجعلنا ممن يستحي من البُكَرِ بالغَدَاةِ، وتُغْلَمُ منه  
كلال الأداة، وهو مجال فَضِصَتْ فيه رجال، وفِرَاشٌ شُكِيَتْ فيه أَوْجَال، وأُغْمِلَتْ  
رُويَّةٌ وارْتَجَال. فمن قاتل: [السريع]

أَرْقَعُهُ طَوْرًا على إضْبَعِي ورأسه مضطرب<sup>(١١)</sup> أسْفَلُهُ  
كالحنش المقتول يُلقَى على عودٍ لكي يُطْرَحَ في مَزْبَلَةٍ

(١) معطوفة على قوله فيما سبق: «فمن عصا تنقلب ثعباناً...».

(٢) كلمة «هدانا» غير واردة في النفع. (٣) في النفع: «اللعاب».

(٤) العاب: العيب. محيط المحيط (عيب). (٥) في النفع: «الجائحة».

(٦) في النفع: «فأول».

(٧) الأوصاب: جمع وَصَب وهو المرض. لسان العرب (وصب).

(٨) في النفع: «ولم تُسم». (٩) في الأصل: «أغفالها» والتصويب من النفع.

(١٠) في الأصل: «الأقدار» بالبدال المهملة، والتصويب من النفع.

(١١) في الأصل: «مضطربة» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

أو قائل<sup>(١)</sup>: [السريع]

عَدِمْتُ مِنْ أَيْرِي قُوَى حِسِّهِ      يا حَسْرَةَ الْمَرْءِ عَلَى نَفْسِهِ  
تَراه قَد مالَ عَلَى أَضْلِهِ      كَحَائِطٍ خَرَّ عَلَى أُسِّهِ

وقائل: [الطويل]

أَيَحْسِدُنِي إِبْلِيسُ دَاءَيْنِ أَصْبَحَا      برجلي ورأسي دُمْلًا وَرُكَّامًا؟  
فَلَيْتَهُمَا كَانَا بِهِ وَأَزِيدُهُ      رَخَاوَةً أَيْرٍ لَا يَرِيدُ<sup>(٢)</sup> قِيَامًا<sup>(٣)</sup>

وقائل: [الطويل]

أَقُولُ لِأَيْرِي وَهُوَ يَرْقُبُ فَتَكَّةَ      به: حَبَّتْ مِنْ أَيْرٍ وَعَالَتْكَ<sup>(٤)</sup> دَاهِيَهُ  
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْأَيْرِ بَخْتُ تَعَدَّرَتْ      عليه وجوه النيك<sup>(٥)</sup> من كلِّ ناحِيَهُ

وقائل: [الطويل]

تَعَقَّفَ<sup>(٦)</sup> فَوْقَ الْخَصِيَتَيْنِ كَأَنَّهُ      رِشَاءً إِلَى جَنْبِ الرِّكْيَةِ مُلْتَفٌّ  
كَفَرِخِ ابْنِ ذِي يَوْمِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ      إِلَى أَبْوِيهِ ثُمَّ يُذَرِّكُهُ الضَّعْفُ

وقائل: [الطويل]

تَكَّرَشَ أَيْرِي بَعْدَمَا كَانَ أَمْلَسَا      وَكَانَ غَنِيًّا مِنْ قَوَاهِ فَأَفْلَسَا  
وَصَارَ جَوَابِي لِلْمَهَا أَنْ مَرَزَنْ بِي      «مَضَى الْوَصْلُ إِلَّا مُنِيَّةٌ تَبْعُثُ الْأَسَى»

وقائل: [الطويل]

بِنَفْسِي مَنْ حَيَّيْتُهُ فَاسْتَحَفَّ بِي      وَلَمْ يَخْطِرِ الْهَجْرَانُ مِنْهُ<sup>(٧)</sup> عَلَى الْبَالِي<sup>(٨)</sup>  
وَقَابِلْنِي بِالْغُورِ وَالْتَّجْدِ<sup>(٩)</sup> بَعْدَمَا      حَطَطْتُ بِهِ رَحْلِي<sup>(١٠)</sup> وَجَرَذْتُ سِرْبَالِي  
وَمَا أُرْتَجِي مِنْ مُوسِرٍ فَوْقَ دَكَّةَ<sup>(١١)</sup>      عَرَضْتُ لَهُ شَيْئًا مِنَ الْحَشَفِ الْبَالِي

(١) في النفع: «وقائل».

(٢) في النفع: «لا يطيق».

(٣) بعد هذا البيت جاء في النفع البيت التالي:

إِذَا نَهَضْتُ لِلْنِيكِ أَزْبَابُ مَعْشَرٍ

(٤) في الأصل: «وَعَالَتْكَ» والتصويب من النفع.

(٥) بياض في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٦) في الأصل: «تَعَقَّفَ» والتصويب من النفع.

(٧) في النفع: «يَوْمًا».

(٨) في الأصل: «بَالٍ» والتصويب من النفع.

(٩) في الأصل: «وقابلني بالهزء والنجة» والتصويب من النفع.

(١٠) في الأصل: «رجلي» والتصويب من النفع. (١١) في النفع: «تَكَّة»، وهما بمعنى واحد.

عَلَّلَ<sup>(١)</sup> لا تزال تُبكي، وعلل على الدهر تُشكى، وأحاديث تُقَصُّ وتُحكى، فإن كنت أعزك الله من التَّمَط الأول، ولم تُقَل: [الطويل]

وهل عند رسمِ دارسٍ مِنْ مُعَوِّل<sup>(٢)</sup>

فقد جَنَيْتَ الثَّمَرَ، واستَطَبْتَ السَّمَرَ، فاستدع الأبواق من أقصى المدينة، واخْرُجْ على قومك في ثياب الزينة<sup>(٣)</sup>، واستبشِرْ بالوفود، وعَرَفَ المَسْمَعَ عازفة<sup>(٤)</sup> الجود، وتبجَّح بصلابة العود، وإنجاز الوعود، واجنِ رِثْمَ اليهود، من أغصان القُدود، واقطف ببنان اللثم أفاخ الثُّغور ووزد الحُدود، وإن كانت الأخرى، فأخفِ الكمد، وازصُ الشمد، وانتظر الأمد، وأكذب التوسم، واستعمل التَّبَسُّم، واستكْتِمِ النسوة، وأفضْ فيهنَّ الرشوة، وتقلد المغالطة وارتكب، وجيء على قميصك<sup>(٥)</sup> بدم كذب، واستنجد الرحمن، واستعِن على أمورك<sup>(٦)</sup> بالكتمان: [الكامل]

لا تُظْهِرَنَّ لعاذِلٍ أو عاذِرٍ      حالنك في السَّراءِ والضَّراءِ<sup>(٧)</sup>  
فَلِرَحْمَةِ المتفجِّعين حرارةً      في القلب مثل شَماتة الأعداءِ  
وانتَشِقْ الأرج، وارقبِ الفَرَج، فكم غمام طَبَّق وما هَمَى<sup>(٨)</sup>، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكَ إِلَهٌ إِلَّا رَمَى﴾<sup>(٩)</sup>، وإفلك بعدها عِنان نفسك حتى تُمَكِّنكَ الفرصة، وتُزَفِّعَ إليك القِصَّة، ولا تُشْترِه<sup>(١٠)</sup> إلى عمل لا تَقِيءُ منه بتمام، وخُذْ عن إمام، والله درُّ غزوة بن حزام<sup>(١١)</sup>: [الكامل]

الله يعلم ما تركت قتالهم      حتى رَمَوْا مُهْرِي بأشقر مُزِيدٍ  
وعلمتُ أنني إن أقاتِلْ دونهم      أقتل ولم يَضُرُّزْ عدوي مشهدي  
ففررت منهم والأجبة فيهم      طمعا لهم بعقاب يوم مُفْسِدٍ

(١) في النفع: «هموم».

(٢) هو عجز بيت لامرئ القيس، وصدرة:

وإن شفائي عبْرَةٌ إن سَفَحْتُهَا

ديوان امرئ القيس (ص ٩).

(٣) يشير إلى زهوه فيشبهه بقارون.

(٤) في النفع: «قميصه».

(٥) في النفع: «في الضراء والسراء».

(٦) سورة الأنفال ٨، الآية ١٧.

(٧) في النفع: «ولا تسرع».

(٨) في النفع: «درُّ الحارث بن هشام».

وَالْبَّانَاتِ تَلِينَ وَتَجْمَحُ، وَالْمَارِبُ تَدْنُو وَتَنْزَحُ، وَتَخْرُنْ ثُمَّ تَسْمَحُ<sup>(١)</sup>، وَكَمْ مِنْ شُجَاعٍ خَامٍ<sup>(٢)</sup>، وَيَقْظُ نَامٌ، وَدَلِيلُ أَخْطَا الطَّرِيقِ، وَأَضْلُّ الْفَرِيقِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَجْعَلُهَا خَلَّةً مُوصُولَةً، وَشَمْلًا أَكْنَافُهُ بِالْخَيْرِ مَشْمُولَةٌ، وَبَيْنَةُ أَرْكَائِهَا لِرِكَابِ<sup>(٣)</sup> الْيَمْنِ مَأْمُولَةٌ، حَتَّى يَكْثُرَ<sup>(٤)</sup> خَدَمُ سَيِّدِي وَجَوَارِيهِ، وَأُسْرَتُهُ وَسِرَارِيهِ، وَتَضْفُو عَلَيْهِ نِعْمَةٌ<sup>(٥)</sup> بَارِيهِ، مَا طُورِدَ قَيْيَصُ، وَافْتَحِمَ عَيْصُ<sup>(٦)</sup>، وَأَذْرَكَ مَرَامُ عَوِيصُ<sup>(٧)</sup>، وَأَعْطَى زَاهِدٌ وَحُرْمٌ حَرِيصُ، وَالسَّلَامُ.

توالياه: شرح<sup>(٨)</sup> القصيدة المسماة بالبزدة<sup>(٩)</sup> شرحاً بديعاً، دلّ فيه على انفساح دزعه، وتفنّن إدراكه، وغزارة حفظه. ولخص كثيراً من كُتُب ابن رشد. وعلّق للسلطان أيام نظره في العلوم<sup>(١٠)</sup> العقلية تقييداً مفيداً في المنطق، ولخص مُحَصِّل الإمام فخر الدين ابن الخطيب<sup>(١١)</sup> الرازي. وبذلك<sup>(١٢)</sup> داعبته أول لُقبة لَقَيْنَتُهُ<sup>(١٣)</sup> [ببعض منازل الأشراف، في سبيل المبرة بمدينة فاس،]<sup>(١٤)</sup> فقلت له: لي عليك مطالبة، فإنك لخصت «مُحَصِّلِي». وألف كتاباً في الحساب. وشرع في هذه الأيام في شرح الرّجَز الصادر عني في أصول الفقه، بشيء لا غاية وراءه<sup>(١٥)</sup> في الكمال. وأما نثره وسلطانياته، مُرْسَلُهَا وَمُسْجَعُهَا<sup>(١٦)</sup>، فَخُلْجُ بِلَاغَةٍ، وَرِيَاضُ فَنُونٍ، وَمَعَادِنُ إِبْدَاعٍ، يُفْرَغُ عَنْهَا يِرَاعُهُ الْجَرِيءُ، شَبِيهَةُ الْبَدَاءَاتِ بِالْخَوَاتِمِ، فِي نَدَاوَةِ الْحُرُوفِ، وَقُرْبُ الْعَهْدِ بِجَزِيَةِ الْمِدَادِ، وَنَفُوذُ أَمْرِ الْقَرِيحَةِ، وَاسْتِرْسَالُ الطَّبْعِ. وَأَمَّا نَظْمُهُ، فَنَهَضَ لِهَذَا الْعَهْدِ قُدَمًا فِي مِيدَانِ الشُّعْرِ، وَأَغْرَى<sup>(١٧)</sup> نَقْدَهُ بِاعْتِبَارِ أَسَالِيهِهِ؛ فَانْثَالَ عَلَيْهِ جَوْهُ، وَهَانَ عَلَيْهِ صَغْبُهُ، فَأَتَى مِنْهُ بِكُلِّ غَرِيبَةٍ. مِنْ<sup>(١٨)</sup> ذَلِكَ قَوْلُهُ يَخَاطِبُ السُّلْطَانَ مَلِكَ الْمَغْرِبِ لَيْلَةَ الْمِيلَادِ الْكَرِيمِ عَامَ اثْنَيْنِ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ

(١) تسمح: هنا بمعنى تلين. (٢) خام: جبن. محيط المحيط (خيم).

(٣) في النفع: «لركائب». (٤) في النفع: «تكثر».

(٥) في النفع: «نعم».

(٦) العيص: الشجر الكثير الملتف. لسان العرب (عيص).

(٧) العويص: الصعب. لسان العرب (عوص).

(٨) النص في نفع الطب (ج ٨ ص ٣١٥ - ٣١٦).

(٩) في النفع: «شرح البردة...». (١٠) في النفع: «في العقلية».

(١١) في النفع: «فخر الدين الرازي». (١٢) في النفع: «وبه».

(١٣) في النفع: «أول لُقبة». (١٤) ما بين قوسين ساقط في النفع.

(١٥) في النفع: «فوقه». (١٦) في النفع: «وسلطانياته السجعية».

(١٧) في النفع: «الشعر، ونقده...». (١٨) في النفع: «غريبة. خاطب السلطان...».

بقصيدة طويلة<sup>(١)</sup>: [الكامل]

أَسْرَفَنَ فِي هَجْرِي وَفِي تَعْذِيبِي      وَأَبَيَّنَ يَوْمَ الْبَيْنِ مَوْقِفَ<sup>(٢)</sup> سَاعَةِ  
 اللَّهُ عَهْدُ الظَّاعِنِينَ وَغَادَرُوا      غَرَبْتُ رَكَائِبُهُمْ وَدَمَعِي سَافِحَ  
 يَا نَاقِعًا بِالْعَثَبِ غُلَّةَ شَوْقِهِمْ      يَسْتَعْذِبُ الصَّبُّ الْمَلَامَ وَإِنِّي  
 مَا هَاجَنِي طَرْبٌ وَلَا اعْتَادَ الْجَوَى      أَهْفُو إِلَى الْأَطْلَالِ كَانَتْ مَطْلَعًا  
 عَبَثْتُ بِهَا أَيْدِي الْبَلَى وَتَرَدَّدْتُ      تَبَلَى مَعَاهُهَا وَإِنْ عَهْدُهَا  
 إِذَا الدِّيارُ تَعَرَّضَتْ لِمُتَيِّمٍ      إِلَيْهِ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ  
 لَمْ أَنْسَهَا وَالدهْرُ يَثْنِي صَرْفَهُ      وَالِدَارُ مُوْنَقَةٌ مُحَاسِنُهَا بِمَا  
 يَا سَائِقَ الْأَطْعَانِ تَغْتَسِفُ الْفَلَاحُ      مُتَهَافِتًا عَنْ رَحْلِ كُلِّ مُذَلِّلٍ  
 تَتَجَاذِبُ النَّفْحَاتُ فَضْلَ رِداثِهِ      وَأَطْلُنْ مَوْقِفَ عَبْرَتِي وَنَجِيبِي  
 لُودَاعِ مَشْغُوفِ الْفَوَادِ كُنَيْبِ      قَلْبِي رَهِيْنَ صَبَابَةٍ وَوَجِيبِ<sup>(٣)</sup>  
 فَشَرِقْتُ بَعْدَهُمْ بِمَاءٍ غُرُوبِي<sup>(٤)</sup>      رَحِمَاكَ فِي عَذْلِي وَفِي تَأْنِيْبِي  
 مَاءُ الْمَلَامِ لَدَيَّ غَيْرُ شَرِيبِ<sup>(٥)</sup>      لَوْلَا تَذَكُّرُ مَنْزِلِ وَحَبِيبِ  
 لَلْبَدْرِ مِنْهُمْ أَوْ كِنَاسَ رَبِيبِ      فِي عِطْفِهَا لِلدَّهْرِ آيُ خُطُوبِ  
 لَيَجِدُهَا وَضْفِي وَحُسْنُ نَسِيبِي      هَزْنُهُ ذِكْرَاهَا إِلَى التَّشْبِيبِ  
 أَلْوَى<sup>(٦)</sup> بِدَيْنِ فَوَادِي الْمَنْهُوبِ      وَيَغْضُ طَرْفِي حَاسِدٍ وَرَقِيبِ  
 لَيْسَتْ مِنَ الْأَيَّامِ كُلِّ قَشِيبِ<sup>(٧)</sup>      وَتُوَاوِلُ الْإِسَادَ<sup>(٨)</sup> بِالتَّأْوِيبِ<sup>(٩)</sup>  
 نَشْوَانٌ مِنْ أَيْنِ وَمَسُّ لُغُوبِ      فِي مُلْتَقَاهَا مِنْ صَبَا وَجُنُوبِ

(١) في النفح: «طويلة أولها» والقصيدة في التعريف بابن خلدون (ص ٧٠ - ٧٢) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٣١٦ - ٣١٧).

(٢) في النفح: «وقفة».

(٣) الظاعنون: الراحلون. الوجيب: خفقان القلب واضطرابه. لسان العرب (ظعن) و(وجب).

(٤) الغروب: جمع غرب وهو عرق في العين يسيل منه الدمع. لسان العرب (غرب).

(٥) الشريب: الماء دون العذب. محيط المحيط (شرب).

(٦) ألوى: أنكر؛ يقال: ألوى بحقه إذا جحده إياه. محيط المحيط (لوى).

(٧) القشيب: الجديد. لسان العرب (قشب).

(٨) في الأصل: «الآساد»، والتصويب من النفح. والإساد: سير الليل كله بغير تعريس. لسان العرب (سَاد).

(٩) التأويب: سير النهار كله إلى الليل. لسان العرب (أوب).

إن هام من ظلم الصُّبابة صَحْبُهُ  
 في كلِّ شَغَبٍ مُنِيَّةٌ من دونها  
 هَلَّا عَطَفَتْ صدورهنَّ إلى التي  
 فتوَّم مِن أكنافٍ يَثْرِبُ مَأْمِنَا  
 حيثُ النبوةُ آيها مَجْلُوَّةُ  
 سِرٍّ غريبٍ لم تُحَجِّبْهُ <sup>(٢)</sup> الثُّرى  
 يا سَيِّدَ الرُّسُلِ الكرامِ ضِراعةُ  
 عاقتِ ذُنوبي عن جَنابِكَ والمنى  
 لا كالألى <sup>(٥)</sup> صَرَفُوا العِزائمَ لِلتُّقى  
 لم يُخْلِصُوا اللهَ حتَّى فَرَّقُوا  
 هَبْ لي شَفَاعَتَكَ التي أرجو بها  
 إنَّ النِّجاةَ وإن أُتِيحَتْ لامرئٍ  
 إنِّي دَعَوْتُكَ واثقًا بإِجابتي  
 قَصَّرْتُ في مدحي فإنَّ يَكُ طَيِّبًا  
 ماذا عسى يَبْغِي المَطِيلُ وقد حَوَى  
 يا هل تُبَلِّغْنِي الليالي زُورَةً  
 أَمْحُو خَطِيئاتي بإِخلاصي بها  
 في فتية هَجَرُوا المني وتَعَوَّدُوا  
 يطوي صحائفَ ليلهم فوق الفلا

نَهَلُوا بِمَوْرِدِ دَمْعِهِ الْمَسْكُوبِ <sup>(١)</sup>  
 هَجَرُ الْأَمَانِي أو لِقَاءُ شُؤْبِ  
 فِيهَا لُبَانَةٌ أَغْيُنِ وَقُلُوبِ  
 يَكْفِيكَ ما تَخْشَاهُ من تَثْرِيْبِ  
 تَتَلَوْ من الْأَثَارِ كُلِّ غَرِيبِ  
 ما كان سِرُّ اللهَ بِالْمَحْجُوبِ  
 تَقْضِي مُنَى <sup>(٣)</sup> نَفْسِي وتُذْهِبُ حُوبِي <sup>(٤)</sup>  
 فِيهَا تُعَلِّلُنِي بِكُلِّ كَذُوبِ  
 فَاسْتَأَثَرُوا مِنْهَا بِخَيْرِ نَصِيبِ  
 فِي اللهَ بَيْنَ مُضْاجِعِ وَجُثُوبِ  
 صَفْحًا جَمِيلًا عَن قَبِيحِ ذُنُوبِي  
 فَيَفْضَلِ جَاهُكَ لَيْسَ بِالتَّسْبِيْبِ  
 يا خَيْرَ مَدْعُوٍّ وَخَيْرَ مُجِيبِ  
 فَبِمَا لَذِكْرِكَ مِنْ أَرِيحِ الطَّيِّبِ  
 فِي مَدْحِكَ الْقِرْآنُ كُلُّ مَطِيبِ  
 تُذْنِي إِلَيَّ الْقَوْرُ بِالْمَرْغُوبِ؟  
 وَأَحْطُ أَوْزَارِي وَإِضْرَ ذُنُوبِي <sup>(٦)</sup>  
 إِنْضَاءُ كُلِّ نَجِيبَةٍ وَنَجِيبِ <sup>(٧)</sup>  
 ما شئتُ مِنْ حَبَبٍ وَمِنْ تَقْرِيْبِ <sup>(٨)</sup>

(١) بعد هذا البيت جاء في نفع الطيب البيت التالي:

أو تعترض مسرَاهمُ سُدُفُ الدُّجَى صدعوا الدُّجَى بغرامه المشبوبِ

(٢) في النفع: «يُحَجِّبُهُ».

(٣) في الأصل: «من» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) الحُوب: الذنب والإثم. محيط المحيط (حوب).

(٥) في الأصل: «كاللآلىء» وهكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٦) الأوزار: جمع وزر وهو الذنب. الإضر: ثقل الذنب. لسان العرب (وزر) و(أضر).

(٧) أنضى ناقته: حملها على السير حتى أهزلها. النجبية: الناقة الحسنة السير بسرعة. لسان العرب

(نضا) و(نجب).

(٨) الخبب والتقريب: ضربان من السير السريع. لسان العرب (خبب) و(قرب).



إِنْ رَئِمَ الْحَادِي بِذَكَرِكَ رَدَّدُوا  
أَوْ عَرَّذَ الرُّكْبُ الْحَلِيَّ بِطَيِّبَةٍ  
وَرِثُوا اغْتِسَافَ الْيَدِ عَنْ آبَائِهِمْ  
الطَّاعِنُونَ الْخَيْلَ وَهِيَ عَوَائِسُ  
وَالْوَاهِبُونَ الْمُقْرِبَاتِ هَوَاتِنَا  
وَالْمَانِعُونَ الْجَارَ حَتَّى عِزُّهُمْ  
تُخْشَى بَوَادِرُهُمْ وَيُزْجَى جِلْمُهُمْ  
ومنها بعد كثير<sup>(٣)</sup>:

سائل به طامي العُباب وقد سرى  
تهديه شُهْبُ أَسِنَّةٍ وَعِزَائِمِ  
حتى انجلت ظُلُمُ الضَّلَالِ بِسَعِيهِ  
يا ابن الألى شادوا الخلافة بالتقى  
جمعوا بحفظ الدين آيَ مناقِبِ  
لله مَجْدُكَ طَارِقًا أَوْ تَالِدًا  
كم رهبةٍ أو رغبةٍ لك والعُلا  
لا زِلْتُ مَسْرُورًا بِأَشْرَفِ دَوْلَةٍ  
تُحْيِي الْمَعَالِي غَادِيًا أَوْ رَائِحًا  
تُزْجَى بِرِيحِ<sup>(٤)</sup> العزم ذاتُ هُبُوبِ  
يَضْدَعْنَ لَيْلَ الْحَادِثِ الْمَرْهُوبِ  
وسطا الهدى بِفَرِيقِهَا الْمَغْلُوبِ  
وَاسْتَأْثَرُوا بِتَاجِهَا الْمَعْصُوبِ  
كَرُمُوا بِهَا فِي مَشْهَدٍ وَمَغِيبِ  
فلقد شَهِدْنَا مِنْهُ كُلَّ عَجِيبِ  
تُفْتَادُ بِالْتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ  
يَبْدُو الْهَدَى مِنْ أَفْقِهَا الْمَرْقُوبِ  
وجديدُ سَعْدِكَ ضَامِنُ الْمَطْلُوبِ

وقال من قصيدة خاطبه بها عند وصول هديّة ملك السودان<sup>(٥)</sup>، وفيها الحيوان الغريب المسمى بالزرافة<sup>(٦)</sup>: [الكامل]

قَدَحَتْ يَدُ الْأَشْوَاقِ مِنْ زَنْدِي  
وَنَبَذَتْ سُلْوَانِي عَلَى ثِقَةٍ  
وَلَرُبُّ وَصَلٍ كُنْتُ أَمْلُهُ  
لَا عَهْدَ عِنْدَ الصَّبْرِ أَطْلُبُهُ  
وَهَفَّتْ بِقَلْبِي زَفْرَةُ الْوَجْدِ  
بِالْقَرَبِ فَاسْتَبَدَلْتُ بِالْبُعْدِ  
فَاعْتَضْتُ مِنْهُ مَوْلَمَ الصَّدِّ  
إِنَّ الْغَرَامَ أَضَاعَ مِنْ عَهْدِي

(١) السبيب: شعر ذنب الفرس أو عُزْفُهُ. محيط المحيط (سبب).

(٢) المُقْرِبَات: الخيل. خَوَارِ الْعِنَان: لَيْنُ الْعَطْف. لسان العرب (قرب) و(خور).

(٣) في النسخ: «ومنها». (٤) في التعريف بابن خلدون: «تزجيه ريح».

(٥) في النسخ: «السودان إليه، وفيها الزرافة».

(٦) القصيدة في التعريف بابن خلدون (ص ٧٤ - ٧٥) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٣١٩ - ٣٢١).

يَلْحَى الْعَدُولُ فَمَا أَعْنَفُهُ  
وَأَعَارِضُ التَّفَحَاتِ أَسْأَلُهَا  
يَهْدِي الْغَرَامُ إِلَى مَسَالِكِهَا  
يَا سَائِقَ الْوَجْنَاءِ<sup>(١)</sup> مُغْتَسِفًا  
أَرْحِ الرُّكَّابَ فِي الصُّبَا نَبَأُ  
وَسَلِ الرُّبُوعَ بِرَامَةِ خَبْرًا  
مَا لِي ثَلَامٌ عَلَى الْهَوَى خُلْقِي  
لَأَبْنِيثُ إِلَّا الرُّشْدَ مَذْ وَضَحْتُ  
نِعَمَ الْخَلِيفَةِ<sup>(٢)</sup> فِي هُدَى وَتَقَى  
نَجَلَ السُّرَاةِ الْغُرَّ شَأْنُهُمْ

ومنها في ذكر خلوصه إليه، وما ارتكبه فيه<sup>(٤)</sup>:

لِلَّهِ مَنِّي إِذْ تَأَوَّسَنِي  
شَهْمٌ يَفْلُ بَوَاتِرًا<sup>(٥)</sup> قُضْبَا  
أُوزِنْتُ زَنْدَ الْعَزَمِ فِي طَلْبِي  
وَوَرَدْتُ عَنْ ظَمِئٍ مَنَاهِلَهُ  
هِيَ جَنَّةُ الْمَأْوَى لِمَنْ كَلِفَتْ  
لَوْ لَمْ أُعَلِّ بِوَزْدِ كَوْثَرِهَا  
مَنْ مُبْلَغٌ قَوْمِي وَدُونَهُمْ  
أَنِي أَنْفَتُ عَلَى رَجَائِهِمْ

ذَكَرَاهُ وَهُوَ بِشَاهِقٍ فَرَدِ  
وَجَمُوعٌ أَقْيَالٍ أُولِي أَيْدٍ<sup>(٦)</sup>  
وَقَضِيْتُ حَقَّ الْمَجْدِ مِنْ قَصْدِي  
فَرَوَيْتُ مِنْ عَزٍّ وَمِنْ رِفْدٍ<sup>(٧)</sup>  
أَمَالُهُ بِمَطَالِبِ الْمَجْدِ  
مَا قَلْتُ: هَذَا جَنَّةُ الْخُلْدِ  
قُدْفُ الثَّوَى وَتَثْوَفَةٌ<sup>(٨)</sup> الْبُعْدِ  
وَمَلَكْتُ عِزَّ جَمِيعِهِمْ وَخَدِي

(١) في التعريف بابن خلدون: «الأضعان».

(٢) المُسْتَنَّة: الفرس الذي يُقْبَل ويُذِير في ركضه. الجُزد: جمع أجرد وهو القصير الشعر. لسان العرب (سنن) و(جرد).

(٣) في الأصل: «الخلقة» والتصويب من المصدرين.

(٤) اكتفى في الفتح بالقول: «ومنها».

(٥) في الأصل: «بواتر» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٦) الأيد: القوة. لسان العرب (أيد). (٧) الرُّفْد: العطاء. لسان العرب (رفد).

(٨) التثوفة: الأرض البعيدة الواسعة التي لا ماء فيها. لسان العرب (تنف).

ومنها:

ورقيمة الأعطافِ حالية  
وخشيّة الأنسابِ ما أنست  
تسمو بجيدٍ بالغِ صُعُداً  
طالَتْ رؤوس الشامخاتِ به  
قطعتُ إليك تنائفاً وصلت  
تُخدي<sup>(٥)</sup> على استصعابها ذُللاً  
بسعودكِ اللاتي ضمننَ لنا  
جاءتكِ في وفدِ الأحابشِ لا  
وافؤكِ أنضاء تُقلِّبُهُنَّ  
كالطيفِ يَسْتَقْري مضاجعه  
يُثْنونَ بالحُسنى التي سبقت  
ويرونَ لَحْظَكَ من وفادتهم  
يا مُسْتَعِيناً جلّ في شرفِ  
جازاكِ ربُّكَ عن خَلِيقته  
وبَقِيَتْ للدنيا وساكنها

مَوْشِيَّةٌ بوشائع<sup>(١)</sup> البُزْدِ  
في مُوحشِ البيداءِ بالقُودِ<sup>(٢)</sup>  
شَرَفَ الصُّرُوحِ بغير ما جَهد  
ولربما قَصُرَتْ عن الوَهْدِ  
آسَدها<sup>(٣)</sup> بالنَّصِّ والوَخْدِ<sup>(٤)</sup>  
وتَبَيَّتْ طَوَعَ القِنِّ والقَدِّ<sup>(٥)</sup>  
طولَ الحياةِ بعيشةِ رَغْدِ  
يَرْجونَ غيركَ مُكْرِمَ الوفدِ  
أَيْدي السُّرى بالعُورِ والتَّجْدِ  
أو كالحُسامِ يُسَلُّ من غَمْدِ  
من غير إنكارٍ ولا جَحْدِ  
فخراً على الأتراكِ والهندِ  
عن رُتبةِ المنصورِ والمَهْدِ  
خيرَ الجزاءِ فَنَعْمَ ما يُسْدي<sup>(٦)</sup>  
في عَزَّةٍ أبداً وفي سَغْدِ

وقال يخاطب<sup>(٨)</sup> صدر الدولة فيما يظهر من غرض المنظوم<sup>(٩)</sup>: [الكامل]

يا سيّد الفضلاءِ دعوةً مُشْفِقِ  
ما لي وللإقصاءِ بَعْدَ تَعِلَّةِ  
نادى لشكوى البَثِّ خَيْرَ سَمِيعِ  
بالقربِ كنتُ لها أَجَلٌ شَفِيعِ

(١) في الأصل: «بوشائع» والتصويب من النفع.

(٢) هكذا في التعريف بابن خلدون. وفي النفع: «بالقُود».

(٣) في النفع: «إسآدها».

(٤) النص والوَخْد: ضربان من السير السريع. لسان العرب (نقص) و(خدد).

(٥) في الأصل: «تخدي»، والتصويب من النفع.

(٦) خدى الفرس والبعير يخدي: يسرع. الدُّلُّ: جمع ذلول وهي التي رِيضت حتى سهل قيادها.

(٧) والقنّ والقَدّ: أراد بهما ما تربط به من حبل ونحوه. لسان العرب (خدى) و(ذلّل) و(قنن) و(قدد).

(٨) في النفع: «ما تُسْدي».

(٩) في النفع: «وقال يخاطب عمر بن عبد الله مدبر ملك المغرب».

(٩) القصيدة في نفع الطيب (ج ٨ ص ٣٢١ - ٣٢٢).

وأرى الليالي رُنْقَتْ لي صافيا  
ولقد خَلَصْتُ إليك بالقُرْبِ التي  
ووثقتُ منك بأيّ وَغْدٍ صادقٍ  
وسما بنفسي للخليفة طاعةً  
حتى انتحاني الكاشحون بسعيهم  
رغمت نفوسهم<sup>(٢)</sup> بنُججٍ وسائلي  
وبَغَوْا بما نَقِمُوا عليّ خلائقي  
لا تُطْمِعْنَهُمْ ببَذْلِ في التي  
أَتَى أَضَامُ وفي يدي القَلَمُ الذي  
وليّ الخصائص ليس تأبى رُثْبَةً  
قَسَمًا بمجدك وهو خيرُ أَلِيَّةٍ<sup>(٤)</sup>  
إني لتَضَطَّحُ بهمومُ بمضجعي  
عطفًا عليّ بوخذتي عن معشرٍ  
أغدو إذا باكزْتُهم مُتَجَلِّدًا  
حيرانُ أوجسُ عند نفسي خيفةً  
أطوي على الرُّقَرَاتِ قلبًا إذه<sup>(٥)</sup>  
ولقد أقولُ لَصَرْفِ دَهْرٍ رابني  
مَهَلًا عليك فليس خطْبُك ضائري  
إني ظَفِرْتُ بعصمةٍ من أوحِدٍ

منها فأصبح في الأجاج شروعي<sup>(١)</sup>  
ليس الزمانُ لِشَمْلِهَا بِصُدُوعٍ  
إني المصونُ وأنتَ غيرُ مُضِيعٍ  
دون الأنام هَواك قبلَ نُزُوعٍ  
فَصَدَّدْتَهُمْ عني وكنتَ مَنيعي  
وَتَقَطَّعْتَ أنفاسَهُمْ بِصَنِيعي  
حسدًا فراموني بكلِّ شنيعٍ  
قد صُنْتُها عنهم بفضلٍ قُنُوعي  
ما كان طَيِّعُهُ لهم بِمُطِيعٍ  
حَسْبِي بعلمك<sup>(٣)</sup> ذاك من تفريعي  
أَعْتَدْتُها لفؤادي المَصْدُوعِ  
فتحولُ ما بيني وبين هُجُوعي  
نَفَقَ الإباءُ صُدُودَهُم في رُوعي  
وأروحُ أَغْثُرُ في فضولي دموعي  
فَتُسِرُّ في الأوهام كلَّ مَرُوعٍ  
حَمَلُ الهمومِ تَجُولُ بين ضلوعي  
بحوادثٍ جَاءَتْ على تنويعٍ  
فلقد لِبَسْتُ له أَجَنُّ دروع<sup>(٦)</sup>  
بَذَّ الجميعَ بفضله المجموعِ

وأُنشد السلطان أمير المسلمين أبا عبد الله ابن أمير المسلمين أبا الحجاج، لأول  
قدمه ليلة الميلاد الكريم، من عام أربعة وستين وسبع مائة<sup>(٧)</sup>: [البيسط]

حَيِّ المعاهدَ كانتَ قَبْلُ تُحِينِي  
إِنَّ الألى نَزَحَتْ داري ودارُهُمُ  
بواكِفِ الدمعِ يُزويها ويُظْمِينِي  
تَحْمَلُوا القَلْبَ في آثارهم دُونِي

(١) رُنْقَتْ: كَذَرَتْ. الأجاج: المِلْحُ الأجاج وهو الشديد الملوحة. لسان العرب (رتق) و(أجج).

(٢) في النفع: «أنوفهم».

(٣) في النفع: «بعلمي».

(٤) الألية: القسم. لسان العرب (ألا).

(٥) أَجَنُّ دروع: أكثرها وقاية. لسان العرب (جن).

(٦) القصيدة في التعريف بابن خلدون (ص ٨٥ - ٨٦) ونفع الطيب (ج ٨ ص ٣٢٤ - ٣٢٦).

وقفتُ أنشد صَبْرًا ضاعَ بَعْدَهُمْ  
أُمَثِّلُ الرُّنْعَ من شوقٍ وألثُمُهُ  
وينهبُ الوجدُ مِنِّي كلَّ لؤلؤةٍ  
سَقَتْ جفوني مَغانِي الرُّنْعِ بَعْدَهُمْ  
قد كان للقلبِ عن داعي الهوى شُغْلٌ  
أحبابنا، هل لعهد الوضل مُدَكَّرٌ  
ما لي وللطَّيفِ لا يُغتادُ زائرُهُ  
يا أهلَ نَجْدٍ، وما نَجْدٌ وساكنُها  
أَعِنْدُكُمْ أُنْسي ما مَرَّ ذِكْرُكُمْ  
أضبوْ إلى البَرْقِ من أنحاءٍ أَرْضِكُمْ  
يا نازحًا والمُتَى تُذْنِيهِ مِنْ خَلْدِي  
أَسْلَى هواك فؤادي عن سِواك وما  
ترى الليالي أُنْسَنَكَ اذْكَاري يا  
ومنها في ذكر التفريط:

أُبْعَدُ مَرَّ الثلاثين التي ذهبَتْ  
أَضَعْتُ فيها نفيسًا ما وَرَدْتُ به  
واَحْسَرْتُ<sup>(٤)</sup> من أمانٍ<sup>(٥)</sup> كُلُّها خِدَعٌ  
أُولِي الشَّبَابِ بإحساني وتَحْسِينِي  
إِلَّا سَرابَ غرورٍ ليس يُرَوِّينِي  
تَرِيشُ غِيبي ومُرُّ الدَّهْرِ يَنْبِرِينِي

ومنها في وصف المشور<sup>(٦)</sup> المُبْتَنَى<sup>(٧)</sup> لهذا العهد:

يا مَضْنَعًا شَيَّدَتْ منه السَّعُودُ جِمَى  
صَرَخَ يحارُّ لديه الطَّرْفُ مُفْتَتِنًا  
لا يَطْرُقُ الدهرُ مَبْنَاهُ بِتَوْهِينٍ  
فما يروقكَ من شكلٍ وتَلْوِينٍ<sup>(٨)</sup>

(١) في التعريف بابن خلدون: «قلبي».

(٢) العَيْن: جمع عيناء وهي الواسعة العينين. لسان العرب (عين).

(٣) يُضْيِينِي: يجعلني أصبو. لسان العرب (صبا).

(٤) في النفع: «واحسرتي».

(٥) في الأصل: «أمانتي» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٦) المشور: المكان الذي يجلس فيه السلطان للحكم.

(٧) في النفع: «المبني».

(٨) في النفع: «وتكوين».

بُعْدًا لِإِيْوَانِ كَسْرَى إِنَّ مِشْوَرَكَ السَّدِّ      أَمْسَى لِأَعْظَمُ مِنْ تِلْكَ الْأَوَاوِسِ  
وَدَغْ دِمَشَقَ وَمَغْنَاهَا فَقَضْرُكَ ذَا      «أَشْهَى إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَبْوَابِ جَيْرُونِ»

ومنها في التعريض بالوزير الذي كان انصرافه من المغرب لأجله<sup>(١)</sup>:

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الصُّخْبَ الْأَلَى جَهِلُوا      وَدِّي وَضَاعَ حِمَاهُمْ إِذْ أَضَاعُونِي  
أَنِّي أَوَيْتُ مِنَ الْعَلْيَا إِلَى حَرَمٍ      كَادَتْ مَغَانِيهِ بِالْبُشْرَى تُحْيِينِي  
وَأَنَّنِي ظَاعِنٌ لَمْ أَلَقْ بَعْدَهُمْ      دَهْرًا أَشَاكِي وَلَا خَصَمًا يُشَاكِينِي  
لَا كَالْتِي أَخْفَرْتُ عَهْدِي لِيَالِي إِذْ      أَقْلَبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالْهَوْنِ  
سَفِيًّا وَرَغِيًّا لِأَيَامِي الَّتِي ظَفِرْتُ      يَدَايَ مِنْهَا بِحِطٍّ غَيْرِ مَغْبُونِ  
أَزْتَادُ مِنْهَا مَلِيًّا لَا يَمَاطِلُنِي      وَغَدًا وَأَرْجُو كَرِيمًا لَا يُعْتَنِينِي<sup>(٢)</sup>  
وَهَاكَ مِنْهَا قَوَافٍ طَيِّهَا جِئْتُمْ      مِثْلُ الْأَزَاهِرِ فِي طَيِّ الرِّيَاحِينَ  
تَلُوحُ إِنْ جُلِيَتْ دُرًّا، وَإِنْ تُلِيَتْ      تُثْنِي عَلَيْكَ بِأَنْفَاسِ الْبَسَاتِينِ  
عَانِيَتْ مِنْهَا بِجَهْدِي كُلِّ شَارِدَةٍ      لَوْلَا سَعُودُكَ مَا كَانَتْ ثَوَاتِينِي<sup>(٣)</sup>  
يَمَانِعُ الْفِكْرَ عَنْهَا مَا تَقَسَّمَهُ      مِنْ كُلِّ<sup>(٤)</sup> حَزْنٍ بَطِيٍّ الصَّدْرِ مَكُونِ  
لَكِنْ بِسَعْدِكَ ذَلَّتْ لِي شَوَارِدُهَا      فَرَضْتُ مِنْهَا بِتَحْبِيرٍ وَتَزْيِينِ<sup>(٥)</sup>  
بَقِيَتْ دَهْرَكَ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَا      وَدَامَ مُلْكُكَ فِي نَصْرِ وَتَمْكِينِ

وهو<sup>(٦)</sup> الآن قد بدا له في التَّحْوِيلِ طَوْعَ أَمَلٍ ثَابٍ لَهُ فِي الْأَمِيرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْأَمِيرِ أَبِي زَكْرِيَّا بْنِ أَبِي حَفْصٍ، لَمَّا عَادَ إِلَيْهِ مُلْكُ بَجَايَةِ، وَطَارَ إِلَيْهِ بِجَنَاحِ شِرَاعٍ نَفِيًّا ظَلَهُ، وَصَكٌّ مِنْ لَدُنْهُ رَأَاهُ مُسْتَقْرًّا عِنْدَهُ، يُدْعِمُ ذَلِكَ بِدَعْوَى تَقْصِيرِ خَفِيِّ أَحْسَ بِهِ، وَجَعَلَهُ عَلَةً مُثْقَلَةً، وَتَجَنُّ سَارَ مِنْهُ فِي مَذْهَبِهِ وَذَلِكَ فِي...<sup>(٦)</sup> مِنْ عَامِ ثَمَانِيَةٍ وَسِتِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ. وَلَمَّا بَلَغَ بِجَايَةِ صَدَقَ رَأْيُهُ، وَنَجَحَتْ مُخَيَّلَتُهُ، فَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ أَمِيرُهَا، وَوَلَّاهُ

(١) في النسخ: «انصرافه بسببه».

(٢) لَا يُعْتَنِينِي: لَا يُتَعَبَّنِي. لِسَانُ الْعَرَبِ (عَنِّي). وَجَاءَ فِي النَّفْحِ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ كَلِمَةُ «وَمِنْهَا» وَأُورِدَ الْآيَاتُ التَّالِيَةُ.

(٣) ثَوَاتِينِي: تَوَافِقُنِي، تَسْعَفُنِي.

(٤) كَلِمَةُ «كُلِّ» سَاقِطَةٌ فِي الْأَصْلِ، وَقَدْ أَضْفَنَاهَا مِنَ الْمَصْدَرِينَ.

(٥) الشَّوَارِدُ: جَمْعُ شَارِدَةٍ، وَأَصْلُهَا الدَّابَّةُ الَّتِي تَنْفِرُ مِنْ رَاكِبِهَا وَتَصْعَبُ عَلَيْهِ فَلَا يَزَالُ يَرَوُّضُهَا وَيَذَلِّلُهَا حَتَّى يَسْلُسَ لَهُ قِيَادَهَا، وَالْمُرَادُ هُنَا الْقَوَافِي الَّتِي يَصْعَبُ عَلَى الشُّعْرَاءِ الْإِتْيَانُ بِهَا. وَالتَّحْبِيرُ هُنَا: التَّحْسِينُ. لِسَانُ الْعَرَبِ (شَرْدَ) وَ(حَبَرَ).

(٦) بَيَاضٌ فِي الْأَصْلِ.

الحجاجة بها. ولم يَنْشِب أن ظهر عليه ابن عمه الأمير أبو العباس صاحب قسنطينة، وتملك البلدة بعد مهلكه، وأجرى المترجم به على رشمه بما طرق إليه الظنة بمدخلته في الواقع. ثم ساء ما بينه وبين الأمير أبي العباس، وانصرف عنه، واستوطن بسكرة، متحولاً إلى جوار رئيسها أبي العباس بن مزنى، متعللاً برِفده إلى هذا العهد.

وخاطبته برسالة في هذه الأيام، تنظر في اسم المؤلف في آخر الديوان.

مولده: بمدينة تونس بلده، حرسها الله، في شهر رمضان من عام اثنين وثلاثين وسبعمائة<sup>(١)</sup>.

### عبد الرحمن بن الحاج بن القميبي الإلبيري

حاله: كان شاعراً مجيداً، هجا القاضي أبا الحسن بن توبة، قاضي غرناطة، ومن نصره من الفقهاء، فضربه القاضي ضرباً وجيعاً، وطيف به على الأسواق بغرناطة، فقال فيه الكاتب أبو إسحق الإلبيري الزاهد، وكان يومئذ كاتباً للقاضي المذكور، الأبيات الشهيرة: [البسيط]

السُّوطُ أبلغ من قولٍ ومن قيل      ومن نباح سفيهٍ بالأباطيل  
من الدَّارِ كَحَرِّ النار أبراه      يَغْقِلُ التقاضي أي تَغْقِيل

عبد الرحمن بن يَخْلَفَتْن بن أحمد بن تفلّيت الفازازي<sup>(٢)</sup>

يكنى أبا زيد.

حاله: كان حافظاً، نظّاراً، ذكياً، ذا حظّ وافر من معرفة أصول الفقه وعلم الكلام، وعناية بشأن الرواية، مُتَبَذِّلاً في هيئته ولباسه، قلماً يرى راكباً في خضر إلا لضررة، فاضلاً، سنيّاً، شديد الإنكار والإنحاء على أهل البدع، مُبالِغاً في التحذير منهم، عامر الإثناء، يطلب العلم شغفاً به وانطباعاً إليه وحباً فيه وحرصاً عليه، آية من آيات الله في سرعة البديهة، وارتجال النظم والنثر، وفور مادّة، وموالة استعمال، لا يكاد يُقَيّد، ولا يصرفه عنه إلا نسخ أو مطالعة علم، أو مذاكرة فيه، حتى صار له

(١) كذا جاء في نفح الطيب (ج ٨ ص ٣٢٦). وفي الضوء اللامع للسخاوي (ج ٤ ص ١٤٥) والأعلام للزركلي (ج ٣ ص ٣٣٠) أن وفاته سنة ٨٠٨ هـ.

(٢) ترجمة عبد الرحمن الفازازي في التكملة (ج ٣ ص ٤٧) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٦٣) وبغية الوعاة (ص ٣٠٤) ونفح الطيب (ج ٦ ص ٢٢٥) و(ج ١٠ ص ٣٤٠) واختصار القدر المعلق (ص ٢٠٣) وجاء فيه أنه «الفازازي».

مَلَكَةً. لا يتكلف معها الإنشاء، مع الإجادة وتمكّن البراعة. وكان متلبسًا بالكتابة عن الولاة والأمراء، ملتزمًا بذلك، كارهًا له، حريصًا على الانقطاع عنه، واختصّ بالسيد أبي إسحاق بن المنصور، وبأخيه أبي العلاء، وبملازمتها استحقّ الذّكر فيمن دخل غرناطة، إذ عُذَّ ممّن دخلها من الأمراء.

مشيخته: روى عن أبيه أبي سعيد، وأبي الحسن جابر بن أحمد، وابن عتيق بن مون، وأبي الحسن بن الصائغ، وأبي زيد السهيلي<sup>(١)</sup>، وأبي عبد الله التّجيبى، وأبي عبد الله بن الفخّار، وأبي محمد بن عبيد الله، وأبي المعالي محمود الخراساني، وأبي الوليد بن يزيد بن بقي<sup>(٢)</sup> وغيرهم. وروى عنه ابنه أبو عبد الله، وأبو بكر بن سيّد الناس، وابن مهدي، وأبو جعفر بن علي بن غالب، وأبو العباس بن علي بن مروان، وأبو عمرو بن سالم، وأبو القاسم عبد الرحيم بن سالم، وابنه عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن سالم، وأبو القاسم عبد الكريم بن عُمران، وأبو يحيى بن سليمان بن حَوْطِ الله، وأبو محمد بن قاسم الحرار، وأبو الحسن الرّعيني، وأبو علي الماقري.

**توالمفه ومنظوماته:** له المَعْشَرَاتُ الزُّهْدِيَّةُ التي ترجمها بقوله: «المعشرات الزهدية، والمذكرات الحقيقية الجديّة، ناطقة بالسنة الوجليل المُشْفِقِينَ، شائقة إلى مناهج السالكين المُسْتَبْقِينَ، نظمها متبركًا بعبادتهم، مقيمًا بأغراضهم وإشاراتهم، قابضًا عنان الدّعوى عن مُداناتهم ومُجاراتهم، مهتديًا إهداء السّنن الخمس بالأشعة الواضحة من إشاراتهم، مُحَلِّدًا دون أفقهم العالي إلى حضيضه، جامعًا لحسن أقواله وقبح أفعاله بين الشّيء ونقيضيه عبد الرحمن». وله «المَعْشَرَاتُ الحُبِّيَّةُ، وترجمتها الثّغفات القلبيّة، واللّفحات الشّوقية، منظومة على السنة الداهيين وَجَدًا، الدّائنين كَمَدًا وَجَهْدًا، الذين غَرَبُوا وبقيت أنوارهم، واختَجَبُوا وظهّرت آثارهم، ونطقوا وصمّنت أخبارهم، ووفّوا العبودية حقّها، ومَحَضُوا المحبّة مُسْتَحَقَّهَا، نَظْمٌ من نَسَج على مَنوالهم، ولم يشاركهم إلّا في أقوالهم فلان». والقصائد، في مدح النبي ﷺ، التي كل قصيدة منها عشرون بيتًا، وترجمتها الوسائل المُتَقَبِّلَةُ، والآثار المسلمة المُقْبِلَةُ، مُودَعَةٌ في العشرين النبوية، والحقائق اللفظية والمعنوية، نَظْمٌ من اعتقدها من أزكى الأعمال، وأعدّها لما يستقبله من مُذهّش الأحوال، وفَرَعَ خاطره لها على توالي القواطع وتنازع الأشغال، ورجال بركة خاتم الرّسالة، وغاية السُّودد والجلالة، مَخَوَ ما

(١) في بغية الرعاة: «أبي القاسم السهيلي».

(٢) في التكملة: «عن أبي الوليد بن يزيد بن عبد الرحمن بن بقي».



لَسَلَفِهِ مِنْ خَطَا فِي الْفِعْلِ، وَزَلَلٍ فِي الْمَقَالِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَلِيُّ الْقَبُولِ لِلتَّوْبَةِ، وَالْمَثَانِ بِتَسْوِيفِ هَذِهِ الْجِمَّةِ الْمَطْلُوبَةِ، فَذَلِكَ يَسِيرٌ فِي جَنْبِ قُدْرَتِهِ، وَمَعْهُدٌ رَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ وَمَغْفَرَتِهِ.

شعره: وشعره كثير جداً، ونثره مشهور وموجود. فمن شعره في غرض الشكر  
 لله عز وجل، على غَيْثٍ جَاءَ بَعْدَ قَحْطٍ: [الكامل]

نَعَمْ الْإِلَهِ بِشُكْرِهِ تَتَقَيَّدُ      فَاللَّهُ يُشْكِرُ فِي الثَّوَالِ وَيُحَمِّدُ  
 مُدَّتْ إِلَيْهِ أَكْفُنَا مُحْتَاجَةً      فَأَنَالَهَا مِنْ جُودِهِ مَا نَعْهَدُ  
 وَأَغَائِنَا بِغَمَائِمٍ وَكَافَةٍ      بِالْبِشْرِ تَشْرُقُ وَالْبَشَائِرُ تَزْعُدُ  
 حَمَلْتُ إِلَى ظَمِئِ الْبَسِيطَةِ رِيَّةً      فَلَهَا عَلَيْهِ مِئَةٌ لَا تُجْحَدُ  
 فَالْجَوْ بَرَّاقٍ وَالشُّعَاعُ مُقَضَّضُ      وَالْمَاءُ فَيَاضُ الْأَثِيرِ مُعَسَّجِدُ  
 وَالْأَرْضُ فِي حَلِيِّ الْأَتْيِ كَأَنَّمَا      نُطْفُئُ الْغَمَامَ وَلَوْلُو<sup>(١)</sup> وَزَبَزَجْدُ  
 وَالرَّوْضُ مَطْلُولُ الْخَمَائِلِ بِاسْمِ      وَالْقَضْبُ لَيْئَةُ الْحَمَائِلِ مُيَّدُ  
 تَاهَتْ عَقُولُ النَّاسِ فِي حَرَكَاتِهَا      أَلِشْكْرِهَا أَمْ سُكْرِهَا تَتَأَوَّدُ؟  
 فَيَقُولُ أَرْبَابُ الْبِطَالَةِ تَنْثَنِي      وَيَقُولُ أَرْبَابُ الْحَقِيقَةِ تَسْجُدُ  
 وَإِذَا اهْتَدَيْتَ إِلَى الصَّوَابِ فَلِإِنِّهَا      فِي شُكْرِ خَالِقِهَا تَقُومُ وَتَقْعُدُ  
 هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي لَا يَنْقُضِي      هَذَا هُوَ الْجُودُ الَّذِي لَا يَنْفَدُ  
 احْضِرْ فَوَادِكَ لِلْقِيَامِ بِشُكْرِهِ      إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ قَدَرَ مَا تَتَقَلَّدُ  
 وَانْقُضْ يَدَيْكَ مِنَ الْعِبَادِ فَكُلُّهُمْ      عَجَزَ الْحَلِّ وَأَنْتَ جَهْلًا تَغْفِدُ  
 وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى سِوَاهِ فَإِنَّمَا الـ      لِمَ لِي بِخَاطِرِكَ الْمَجَالِ الْأَبْعَدُ  
 نَعَمْ الْإِلَهِ كَمَا تَشَاهِدُ حُجَّةً      وَالْغَائِبَاتُ أَجَلٌ مِمَّا يُشْهَدُ  
 فَاَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِهِ الَّتِي      لَا يُمْتَرَى فِيهَا وَلَا يُتَرَدَّدُ  
 يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالِدِيلِ مُبْلَغُ      مِنْ أَيِّ وَجْهِ يَسْتَرِيبُ الْمَلْحَدُ  
 مَنْ ذَا الَّذِي يَرْتَابُ أَنَّ إِلَهَهُ      أَحَدٌ وَالسَّيْنَةُ الْجَمَادُ تُوَحَّدُ  
 كُلُّ يَصْرُخُ حَالَهُ وَمَقَالَهُ      أَنْ لَيْسَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ يُغْبَدُ

ومن شعره أيضًا قوله: [الكامل]

عَجَبًا لِمَنْ تَرَكَ الْحَقِيقَةَ جَانِبًا      وَغَدَا لِأَزْبَابِ الصَّوَابِ مُجَانِبًا

(١) في الأصل: «لؤلؤ»، وكذا ينكسر الوزن.

وابتاع بالحق المصحح حاضرا  
 من بعد ما قد صار أنفذ أسهما  
 لا تخذعك سوابق من سابق  
 فلربما اشتد الخيال وعاقه  
 ولكم إمام قد أضرب بفهمه  
 فانحرف بأفلاطون وأرسطا  
 ودع الفلاسفة الذميمة جميعهم  
 يا طالب البرهان في أوضاعهم  
 أغرضت عن شط النجاة ملجأ  
 وصفا الدليل فما نفعت بصفوه  
 فانظر بعقلك هل ترى متفلسفا  
 أغيشه أعباء الشريعة شدة  
 والله أسأل<sup>(٣)</sup> عزيمة وكفاية

ما شاء للزور المعل عابا  
 وأشد عادية وأمضى قاضبا  
 حتى ترى الإحضار منه عواقبا  
 دون الصواب هو وأصبح غالبا  
 كتب تعب من الضلال كتائبها  
 ليس ودونها تسلك طريقا لاجبا<sup>(١)</sup>  
 ومقالهم تأتي الأحق الواجبا  
 أعزز علي بأن تعمّر جانبها  
 في بحر هلك ليس يُنجي عاطبا  
 حتى جعلت له اللجين<sup>(٢)</sup> شائبا  
 فيمن ترى إلا دعيا كاذبا؟  
 فارتد مسلوبا ويخسب سالبا  
 من أن أكون عن المحجة ناكبا

ومن شعره: [الطويل]

إليك مددت الكف في كل شدة  
 وأنت ملاذ والأنام بمغزل  
 فحقق رجائي فيك يا رب واكفني  
 ومن أين أخشى من عدو إساءة  
 وكم كربة نجيتني من غمارها  
 فلا قوة عندي ولا لي حيلة  
 فيا مُنجي المضطر عند دُعائه  
 رجاؤك رأس المال عندي وربحه

ومنك وجذت اللطف في كل نائب  
 وهل مستحيل في الرجا<sup>(٤)</sup> كرايب؟  
 شمت<sup>(٥)</sup> عدو أو إساءة صاحب  
 وسترك ضاف من جميع الجوانب؟  
 وكانت شجا بين الحشا والترائب  
 سوى حسن ظني بالجميل المواهب  
 أغثني فقد سدت علي مذهب<sup>(٦)</sup>  
 وزهده<sup>(٧)</sup> في المخلوق أسنى المواهب

(١) هذا البيت مختل الوزن والمعنى.

(٢) في الأصل: «الحبر» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) في الأصل: «أسل» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٤) في الأصل: «الرجاء»، وكذا ينكسر الوزن. (٥) في الأصل: «شماتة» وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «مذهب» بدون ياء. (٧) في الأصل: «وزهد» وكذا ينكسر الوزن.

إذا عجزوا عن نفعهم في نفوسهم      فتأميلهم بعض الظنون الكواذب  
 فيا محسنًا فيما مضى أنت قادرٌ      على اللطف في حالي وحسن العواقب  
 وإني لأرجو منك ما أنت أهله      وإن كنت حطًا في كثير المعاييب  
 فصل على المختار من آل هاشم      إمام الورى عند اشتداد النوائب

وقال في مدعي قراءة الخط دون نظر: [الطويل]

وأدور مياس العواطف أصبحت      محاسنه في الناس كالنوع في الجنس  
 يُدير على القرطاس أنمل كفه      فيدرك أخفى الخط في أيسر اللبس  
 فقال فريق: سخر بابل عنده      وقال فريق: ليس هذا من الإنس  
 فقلت لهم لم تفهموا سرّ ذكره      على أنه للعقل أجلى من الشمس  
 ستكفه حبّ القلوب فأصبحت      مداركها أجفان أنمله الخمس

وفاته: استقدمه المأمون<sup>(١)</sup> على حال وخشة، كانت بينه وبينه، فورد وروا  
 الرضا على مراكش في شعبان سنة سبع وعشرين وستمائة. وتوفي في ذي قعدة  
 بعده<sup>(٢)</sup>، ودفن بجبانة الشيوخ مع أخيه عبد الله وقرنائهما، رحم الله جميعهم.

انتهى السفر التاسع بحمد الله

\* \* \*

## ومن السفر العاشر العمال الأثرا في هذا الحرف

### عبد الرحمن بن أسباط

الكاتب المنجب، كاتب أمير المسلمين، يوسف بن تاشفين.

حاله: لحق به بالعذوة، فأتصل بخدمته، وأغراه بالأندلس، إذ ألقى إليه أمورها  
 على صورتها، حتى كان ما فرغ الله، عز وجل، من استيلائه على ممالكها، وخلعه  
 لرؤسائها. وكان عبد الرحمن، قبل اتصاله به، مقدورا عليه في رزقه، يتحرّف  
 بالتسخر، ولم يكن حسن الخط، ولا معرّب اللفظ، إلى أن تسير للكتابة في باب

(١) هو أبو العلاء إدريس بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحيدي، وقد حكم  
 المغرب والاندلس من سنة ٦٢٤ هـ إلى سنة ٦٢٩ هـ. البيان المغرب - قسم الموحيدين (ص  
 ٢٧٤).

(٢) في نفع الطيب (ج ٦ ص ٢٢٥): «وتوفي بمراكش سنة ٦٣٧ هـ. وجاء في بغية الوعاة (ص  
 ٣٠٤) ونفع الطيب (ج ٦ ص ٢٢٥) أنه ولد بعد الخمسين وخمسمائة.

الدَّيَّوانَ بِالْمَرْيَةِ، ورأى خلال ذلك، في نومه، شخصاً يوقظه، ويقول له: قُمْ يا صاحب رُنع الدنيا، وقصَّ رؤياه على صاحبٍ له بمثواه، فبشَّره، فطلب من ذلك الحين السُّمُو بنفسه، فأجاز البحر، وتعلَّق بحاشية الحُرَّة العَلِيَّا زِين<sup>(١)</sup>، فاستكثبت، فلَمَّا تُوفِيَت الحُرَّة، أقرَّه أمير المسلمين كَاتِبًا، فنال ما شاء مما تَزَمِّي إليه الهِمَمُ جَاهًا ومالًا وشهرة. وكان رجلًا حَصِيْفًا، سَكُونًا، عَاقِلًا، مُجدي الجاه، حَسَن الوِسطاة، شهير المكانة.

**وفاته:** توفي فجأة بمدينة سَبْتَة، في عام سبعة وثمانين وأربعمائة. وتقلد الكتابة بعده أبو بكر بن القَصِيرَة. ذكره ابن الصِّيرفي.

### عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري<sup>(٢)</sup>

وتكرر مالك في نسبه.

**أوليته:** قالوا: من ولد عُقْبَة بن نعيم الداخل إلى الأندلس، من جند دمشق، نزيل قرية شكنب من إقليم تاجرة الجمل من عمل بَلَدِنَا لَوْشَة، غرناطي، يكنى أبا محمد.

**حاله:** كان<sup>(٣)</sup> أبو محمد هذا أحد وزراء الأندلس، كثير الصَّنائع، جزل المواهب، عظيم المكارم، على سُنَن عِظَمَاءِ الملوك، وأخلاق السادة الكرام<sup>(٤)</sup>. لم يُرَ بعده مثله في رجال<sup>(٥)</sup> الأندلس، ذاكراً للفقهِ والحديث، بارعاً في الأدب<sup>(٦)</sup>، شاعراً مجيداً وكاتباً بليغاً، حُلُو الكتابة والشعر، هشاً مع وقار، ليّاً على مضاء، عالي الهمة، كثير الخدم والأهل<sup>(٧)</sup>.

من آثاره الماثلة إلى اليوم الحَمَام، بجوفيّ الجامع الأعظم من غرناطة. بدأ بناءه<sup>(٨)</sup> أول يوم من جمادى الأولى سنة تسع وخمسمائة. وشرع في الزيادة في سَقْف

(١) هي زينب النفزاوية التي كانت مضرب المثل في الجمال؛ تزوجت أبا بكر بن عمر، ابن عم يوسف بن تاشفين المرابطي، في سنة ٤٦٠ هـ، ثم طلقها فتزوجها يوسف بن تاشفين فأنجبت له ولده الفضل، وكانت أحب ما لديه امرأة غالبية عليه. البيان المغرب (ج ٤ ص ١٨، ٣٠).

(٢) ترجمة عبد الرحمن بن محمد المعافري في التكملة (ج ٣ ص ١٨) وقلائد العقيان (ص ١٦٩) ونفح الطيب (ج ٤ ص ٢٠٣).

(٣) قارن بنفح الطيب (ج ٤ ص ٢٠٣ - ٢٠٥). (٤) كلمة «الكرام» ساقطة في النفح.

(٥) في الأصل: «حال» والتصويب من النفح. (٦) في النفح: «الأداب».

(٧) في الأصل: «الخادم والأمل» والتصويب من النفح.

(٨) في الأصل: «بناء».

الجامع من صُخنه سنة ست عشرة، وعَوَّض أرجل قِسيِّه أعمدة الرخام، وجلبَ الرؤوسَ والموائد من قرطبة، وفرش صحنه بِكُذَّان الصُّخيرة<sup>(١)</sup>. ومن مكارمه أنه لَمَّا وُلِّي مُسْتَخْلَصَ غرناطة وإشبيلية، وجَّهه أميره علي بن يوسف بن تاشفين إلى طُرُوشة برسم بنائها، وإصلاح خللها، فلَمَّا استوفى الغاية فيها قلَّده، واستصحب جملة من ماله لمؤنته المختصة به، فلما احتلَّها سأل قاضيهَا، فكتب إليه جملة من أهلها ممن ضَعُف حاله وقلَّ تصرفه من ذوي البيوتات، فاستعملهم أمانةً في كل وجه جميل، ووسَّع أرزاقهم، حتى كَمَل له ما أراد من عمله. ومن عَجَزَ أن يستعمله وصله من ماله. وصَدَّر عنها وقد أنْعَش خلقًا كثيرًا.

شعره: من قوله في مجلس أطربه سماعه، وبَسَطه احتشاد الأنس فيه واجتماعه<sup>(٢)</sup>: [الخفيف]

لا تَلْمَنِي إِذَا طَرِبْتُ لِشَجْوٍ<sup>(٣)</sup>      يَبْعَثُ الْأَنْسُ فَالْكَرِيمُ طُرُوبُ  
ليس شَقُّ الْجُيُوبِ حَقًّا عَلَيْنَا      إِنَّمَا الْحَقُّ<sup>(٤)</sup> أَنْ تُشَقَّ الْقُلُوبُ

وقال، وقد قَطَفَ غلام من غلمانهِ نَوَّارة، ومدَّ بها يده إلى أبي نصر الفتح بن عبيد الله<sup>(٥)</sup>، فقال أبو نصر<sup>(٦)</sup>: [الطويل]

وَبَذِرْ بَدَا وَالطَّرْفُ مَطْلَعُ حُسْنِهِ      وَفِي كَفِّهِ مِنْ رَائِقِ النُّورِ كَوَكَبُ  
يَرُوحُ لَتَعْدِيبِ النَفُوسِ وَيَغْتَدِي      وَيَطْلُعُ فِي أَفْقِ الْجَمَالِ وَيَغْرُبُ

فقال أبو محمد بن مالك<sup>(٧)</sup>: [الطويل]

وَيَحْسَدُ<sup>(٨)</sup> مِنْهُ الْغَضْنُ أَيُّ مُهَفِّهِفٍ      يَجِيءُ عَلَى مِثْلِ الْكَثِيبِ وَيَذْهَبُ

(١) في النفع: «الصخر». والكذَّان: حجارة رخوة.

(٢) البيتان في قلائد العقيان (ص ١٦٩) ونفع الطيب (ج ٢ ص ٢٠٥) و(ج ٤ ص ٢٠٤).

(٣) في القلائد: «لشدو». (٤) في النفع: (ج ٢ ص ٢٠٥): «الشان».

(٥) هو أبو نصر الفتح بن خاقان، صاحب «قلائد العقيان» و«مطمح الأنفس».

(٦) البيتان في نفع الطيب (ج ٤ ص ٢٠٤). وورد البيت الأول في نفع الطيب (ج ٢ ص ٢٠٥)

منسوبا إلى ابن مالك. وورد البيت الثاني في قلائد العقيان (ص ١٧٠) ونفع الطيب (ج ٢ ص ٢٠٥)

منسوبا إلى محمد بن مالك.

(٧) البيت في قلائد العقيان (ص ١٧٠) ونفع الطيب (ج ٢ ص ٢٠٤).

(٨) في القلائد: «ويحسن».

نشره: قال أبو نصر<sup>(١)</sup>: كتبْتُ إليه مودَّعًا، فكتب<sup>(٢)</sup> إليّ مُسْتَدْعِيًا، وأخبرني رسوله<sup>(٣)</sup> أنه لما قرأ الكتاب وضعه، وما سوَّى ولا فكَر ولا رَوَى:

يا سيدي، جرت الأيام<sup>(٤)</sup> بجمع افتراقك، وكان الله جارك في انطلاقك<sup>(٥)</sup>، فَعَيَّرَكَ رُوعٌ بِالظُّعْنِ، وأوقَدَ للوداع جاحم<sup>(٦)</sup> الشَّجْنِ، فأنت<sup>(٧)</sup> من أبناء هذا الزمن، خليفة الخضر لا يستقر<sup>(٨)</sup> على وطن، كأنك والله يختار لك ما تأتيه وما تدَّعه، موكل بفضاء الأرض تذرعه<sup>(٩)</sup>، فحسب من نوى بعثرتك الاستمتاع، أن يعدك<sup>(١٠)</sup> من العواري السريعة الازتجاج<sup>(١١)</sup>، فلا يأسف على قلة الثوا<sup>(١٢)</sup>، ويُشدد: [الطويل]

وفارقتُ حتى ما أبالي من النوى

وفاته: اعتل<sup>(١٣)</sup> بإشبيلية فانتقل إلى غرناطة، فزادت علته بها، وتوفي، رحمه الله، بها في غرة شعبان سنة ثمان<sup>(١٤)</sup> عشرة وخمسائة، ودفن إثر صلاة الظهر من يوم الجمعة المذكورة بمقبرة باب البيرة، وحضر جنازته الخاصة والعامة.

من رثاه: رثاه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن أبي الخصال، رحمه الله، فقال:

[الكامل]

إن كنت تشفق من نزوح نواه      فهناك مقبرة وذا مئوأة  
قسَّم زمانك عبرة أو عبرة      وأجل تشوقه على ذكره

(١) قلائد العقيان (ص ١٧٠) ونفع الطيب (ج ٤ ص ٢٠٥).

(٢) في القلائد: «فجاوبني جوابًا مستدعًا». (٣) في القلائد: «رسولي».

(٤) في القلائد: «الأقدار».

(٥) هذا من قول البُحتري وهو بحلب، قاله لأبي جعفر بن سهل المروزي ولم يودعه: [مخلع البسيط]

الله جارك في انطلاقك      تلقاء شاميك أو عراقك

ديوان البحتري (ج ٢ ص ١٢).

(٦) في الأصل: «جامح» والتصويب من المصدرين.

(٧) في المصدرين: «فإنك». (٨) في القلائد: «لا تستقر».

(٩) قوله: «موكل بفضاء الأرض تذرعه» عجز بيت لابن زريق البغدادي، وصدره هو: [البسيط]

كأنما هو في حل ومرتحل

(١٠) في القلائد: «يعتدك». (١١) في القلائد: «الاسترجاع».

(١٢) الثوا: أصل القول: الثواء، بالهمز. والثواء: الإقامة.

(١٣) قارن بنفع الطيب (ج ٤ ص ٢٠٥). (١٤) في الأصل: «ثمان» وهو خطأ نحوي.

وأعِدِّه ما امتدَّت حياتك غائبًا  
أو نائمًا غَلَبَتْ عليه رَقْدَةٌ  
أو كوكبًا سَرَتْ الرُّكَّاب بنوره  
فمتى تَبْعُد والنفوس تَزُورُه  
يا واحدًا عَدَلَ الجميع وأصلحت  
طالت أذاتك بالحياءِ كرامةً  
لشهادة التَّوْحِيد بين لسانه  
وبوجهه<sup>(١)</sup> سيما أغرَّ مُحَجَّلٍ  
وكانما هو في الحياة سَكينة  
وكأنه لَحَظَ العُفْءة توجُّعا  
أَبْدَى رِضى الرحمن عنك ثناؤهم  
يا ذا الذي شَغَفَ القلوب به  
ما ذاك إِلَّا أَنه فَزَعُ زكا  
فاليوم أَوْدَى كُلَّ مَنْ أَحْبَبْتَه  
ماذا يُؤْمَل في دمشق مُسْهَدُ  
يعتاد قبرك للبكاء أسْفًا بما  
يا تُرْبَةً حلَّ الوزير ضريحها  
وسَرَى إليك ومنك ذكرٌ ساطع

أو عاتِبًا إن لم تَزُرْ زُرْنَاه  
لُمُسْهَدٍ لم تَغْتَمِضْ عيناه  
فمضى وبلغنا المحلَّ سَنَاه  
ومتى تَغِيبَ والقلوب تراه  
دُنْيَا الجميع ودينهم دُنْيَاه  
والله يَكْرُم عُبْدَه بأذاه  
وجَنَائِه نور يُرى مَسْرَاه  
مَهْمَا بدا لم تَلْتَبِسْ سيمَاه  
لولا اهْتِزَازٌ في التَّدَى يَغْشَاه  
فتلازَمَتْ فوق الفؤاد يَدَاه  
إِنَّ التَّنَاءَ علامة لِرِضَاه  
وذا لا تَزَرَّجِيهِ وذاك لا تَخْشَاه  
وَسِعَ الجميع بظِلُّه وَحَنَاه  
وَنَعَى إلى النفس مَنْ يَنْعَاه  
قد كُنْتَ نَاطِرَه وَكُنْتَ تَراه؟  
قد كان أَضْحَكُه الذي أَبْكَاه  
سَقَاكَ بِل صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ  
كالمسك عاطرة به الأفواه

### عبد الرحمن بن عبد الملك الينشتي<sup>(٢)</sup>

يكنى أبا بكر، أصله من مدينة باغة<sup>(٣)</sup>، ونشأ بلؤشة، وهو محسوب من الغرناطين.

حاله: كان شيخًا يبدو على مخيلته الثُّبُل والدَّهَاء، مع قُصُور أدواته. يَنْتَحِل النُّظْم والشر في أراجيز يتوصَّل بها إلى غرضه من التصرُّف في العمل.

(١) في الأصل: «ويوجهه» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) ترجمة الينشتي في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٤٦).

(٣) باغة: بالإسبانية Priego، وهي مدينة بالأندلس من كورة البيرة، في قبلي قرطبة، ولماها خاصة عجبية. معجم البلدان (ج ١ ص ٣٢٦) والروض المعطار (ص ٧٨).

وجرى ذكره «في التاج المحلى» وغيره بما نصه<sup>(١)</sup>: قارض<sup>(٢)</sup> هاج، مDAHنْ  
مُداج، أَخْبَتْ من نظر من طَرْفٍ خَفِي، وأَعْدُرُ من تَلَبَّسَ بشعار وَفِي، إلى مَكِيدَة  
مَبْثُوتَة الحبائل، وإِغْرَاءٍ يَقْطَعُ بَيْنَ الشُّعُوبِ والقبائل، من شيوخ طريقة العمل،  
الْمُتَقَلِّبِينَ من أحوالها بَيْنَ الصُّخْرِ والْثَمَلِ، المتعلِّين برسومها حين اخْتَلَطَ المَرْعِيُّ  
والهَمَلِ<sup>(٣)</sup>. وهو ناظِمُ أَرْجَاز، ومستعملٌ حَقِيقَةً ومجاز. نظم مُخْتَصِرَ السَّيْرَة، في  
الألفاظ اليسيرة، ونظم رَجَزًا في الرُّجَرِ والفال، نَبَّهَ به تلك الطريقة بعد الإغفال. فمن  
نظمه ما خاطبني به مستدعيًا إلى إِعْذار ولده<sup>(٤)</sup>: [البسيط]

أُرِيدُ مِنْ سَيِّدِي الْأَعْلَى تَكَلَّفَهُ      عَلَى<sup>(٥)</sup> الْوَصُولِ إِلَى دَارِي صَبَاحَ عَدِ  
يَزِيدُنِي شَرْقًا مِنْهُ وَيُبْصِرُ لِي      صِنَاعَةَ الْقَاطِعِ الْحَجَّامِ فِي وَلَدِي  
فَأَجَبْتُهُ: [البسيط]

يَا سَيِّدِي الْأَوْحَدَ الْأَسْمَى وَمُعْتَمِدِي      وَذَا الْوَسِيلَةَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ بَلَدِ<sup>(٦)</sup>  
دَعَوْتُ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الصُّحَابَ ضُحَى      وَفِيهِ مَا لَيْسَ فِي بَيْتِ<sup>(٧)</sup> وَلَا أَحَدِ  
يَوْمَ السَّلَامِ عَلَى الْمَوْلَى وَخِدْمَتِهِ      فَاضْفَحْ وَإِنْ عَثَرْتَ رِجْلِي فَخُذْ بِيَدِي  
وَالْعُذْرُ أَوْضَحُ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمٍ      قَعْدُ إِنْ غِبْتُ عَنْ لَوْمٍ وَعَنْ قَنْدِ<sup>(٨)</sup>  
بَقِيَتْ فِي ظِلِّ عَيْشٍ لَا نِفَادَ لَهُ      مُصَاحِبًا غَيْرَ مُحْصُورٍ إِلَى أَمَدِ  
ومنه أيضًا: [الكامل]

قُلْ لَابْنِ سَيِّدٍ وَالِدِيهِ: لَقَدْ عَلَا      وَتَجَاوَزَ الْمَقْدَارَ فِيمَا يَفْخَرُ  
مَا سَادَ وَالِدُهُ فَيُحْمَدُ أَمْرُهُ      إِلَّا صَغِيرَ الْعَنْزِ حَتَّى يَكْبَزَ  
وَصَدْرَتْ عَنْهُ مَقْطُوعَاتٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَعْنَى، مِمَّا عَذَّبَ بِهِ الْمَجْنَى، مِنْهَا  
قَوْلُهُ<sup>(٩)</sup>: [الكامل]

إِنَّ الْوَلَايَةَ رَفْعَةٌ لَكُنْهَا      أَبَدًا إِذَا حَقَّقَتْهَا تَنْقَلُ<sup>(١٠)</sup>

(١) النص في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٤٧). (٢) في النفع: «مادح».  
(٣) في المصدر نفسه: «بالهمل». والمرعي الذي له راع يحفظه. والهمل: الذي ترك مهملاً لا راعي له. لسان العرب (رعي) و(همل).  
(٤) البيتان وجوابهما في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٤٦).  
(٥) في النفع: «إلى».  
(٦) في النفع: «من أهلي ومن بلدي».  
(٧) في المصدر نفسه: «سبت».  
(٨) القَنْدُ، بالفتح: تخطيط الرأي. لسان العرب (فند).  
(٩) البيتان في نفع الطيب (ج ٨ ص ٢٤٧).  
(١٠) في الأصل: «تنتقل»، وهكذا يتكرر الوزن، والتصويب من النفع.



فانظر فضائل من مضى من أهلها تجد الفضائل كلها لا تُعزل

وقال: [الطويل]

هنيئاً أبا إسحاق دُمتَ موقفاً سعيدياً قرير العين بالعُرس والعُرس  
فأنت كمثل البدر في الحسن والتي تملكها في الحسن أسنى من الشمس  
وقالوا: عجب نور بذرٍ ظاهر فقلت: نعم إن ألف الجنس للجنس

وكتب إلي: [الطويل]

إذا ضاق دُرعي بالزمان شكوته لمولاي من آل الخطيب فينفرج  
هو العدة العظمى هو السيد الذي بأوصافه الحُسنى المكارم تبتهج  
وزير علا ذاتاً وقدرًا ومنصباً فمن دونه أغلا الكواكب يندرج  
وفي بابهِ نلتُ الأمانى وقادنى دليلُ رشادي حيث رافقني الفرج  
فلا زال في سغدي وعز ونعمة تُصان به الأموال والأهل والمهج

وفاته: توفي في الطاعون عام خمسين وسبعمائة بغرناطة.

وفي سائر الأسماء التي بمعنى عبد الله وعبد الرحمن،  
وأولاد الأمراء:

عبد الأعلى بن موسى بن نصير مولى لخم<sup>(١)</sup>

أوليته: أبوه المنسوب إليه فتح الأندلس، ومحلّه من الدين والشهرة وعظم الصيت معروف.

حاله: كان عبد الأعلى أميراً على سُنن أبيه في الفضل والدين، وهو الذي باشر فتح غرناطة ومالقة، واستحقّ الذكر لذلك. قال الرازي<sup>(٢)</sup>: وكان موسى بن نصير قد أخرج ابنه عبد الأعلى فيمن رثبه من الرجال إلى البيرة وتُدْمير؛ لفتحها، ومضى إلى البيرة ففتحها، وضمّ بها إلى غرناطة اليهود مستظهِراً بهم على النُصر، ثم مضى إلى كورة ريه، ففتحها.

(١) راجع أخبار عبد الأعلى بن موسى بن نصير في نفع الطيب (ج ١ ص ٢٦٤).

(٢) قارن بنفع الطيب (ج ١ ص ٢٦٤).

## عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ابن مَخْيُو

يكنى أبا محمد، أوليته معروفة.

وفسد ما بين أبيه وبين جدّه، أمير المسلمين، بما أوجب انتياده إلى سكنى مدينة سجلماسة، مُعَزَّزَةً له ألقاب السلطان بها، مُدَوِّخًا ما بأحوازها من أماكن الرئاسة، منسوبة إليه بها الآثار، كالسدّ الكبير الشهير، وقصور الملك. فلما نزل عنها على حكم أخيه أمير المسلمين أبي الحسن، وأمضى قتلته بالفِصاد، نشأ ولده، وهم عدّة بباب عمّهم، يَسْعُهُمْ رِفْدُهُ، ويقودهم ولده، ثم جلاهم إلى الأندلس ابنه السلطان أبو عنان، عندما تصيّر الأمر إليه، فاستقروا بغرناطة تحت برّ وجراية، قَلِقًا بمكانهم من جلاهم ومن بعده، لإشارة عيون الترشيع إليهم، مغازلة من كُثِب، وقعودهم بحيث تَغُثُّ فيهم المظنّة، إلى أن كان من أمرهم ما هو معروف.

حاله: هذا الرجل من أهل الخير والعفاف والصيانة ودَثَّ الخُلُق وحسن المداراة، يَأْلَف أهل الفضل، خاطبٌ للرُتبة بكل جهد وحيلة، وسدّ عنه باب الأطماع. حُدِّر من كان له الأمر بالأندلس من لُدُن وصوله؛ كي لا تختلف أحوال هذا الوطن في صَرْف وجوه أهله إلى غزو عدو المِلّة، ومُحوْلِي القِبلة، وإعراضهم عن الإغماض في الفِتنة المُسلمة، وربما يَمِيت عنهم الحركات والهموم، فتَنَفَّوا من فيها عليهم، إلى أن تبرأ ساحتهم ويُظن به السكون. فلما دالت الدولة، وكانت للأخابث الكرّة، واستقرّت بيد الرئيس الغادر الكرّة، وكان ما تقدّم الإلماع به من عمل السلطان أبي سالم، ملك المغرب، على إجازة السلطان، وليّ مُلك الأندلس، المُزَعج عنها بعلّة البَغْي، ذهب الدّايل الأخرق إلى المقارضة، فعندما استقرّ السلطان أبو عبد الله بجبل الفتح، حاول إجازة الأمير عبد الحليم إلى تِلْمَسان بعد مفاوضة، فكان ذلك في أخريات ذي قعدة، وقد قُضي الأمر في السلطان أبي سالم، وانحلت العقدة، وانتكشت المريرة، وولّى الناس الرجل المعتوه، وقد إلى تِلْمَسان من لم يَرْض محله من الإدالة، ولا قويت نفسه على العوض، ولا صابرت غَضُّ المخافة، وحرّك ذلك من عزمه، وقد أنجده السلطان مُستدعيه بما في طَوْقه. ولما اتصل خبره بالقائم بالأمر بفاس، ومُعْمِل التدبير على سلطانه، أعمل النظر فيهم؛ زعموا بتسليم الأمر، ثم حُدِّر من لحق به من أضداده، فصمّم على الحصار، واشتراب بالقبيل المريني، وأكثف الحجاب دونهم بما يحرك أنفقتهم، فتَقَرَّوا عنه بواحدة أول عام ثلاثة وستين وسبعمائة، واتفق رأيهم على الأمير عبد الحليم، فتوجّهت إليه

وجوهم اتفأقا، واثالوا عليه اضطرأا، ونازل البَلَد الجديد، دار الملك من مدينة فاس، يوم السبت السادس لشهر المحرم من العام. واضطربت المحلآت بظاهره، وخرج إليه أهل المدينة القُذمي، فأخذ بيعتهم، وخاطب الجهات، فألقت إليه قواعدها باليد، ووصلت إليه مخاطباتها.

ومن ذلك ما خطوب به من مدينة سَلا، وأنا يومئذ بها: [الخفيف]

يا إمام الهدى، وأيَّ إمام أَوْضِحَ الحقَّ بَعْدَ إخفاءِ رَسْمِهِ  
أنت عبدُ الحليمِ جِلْمُكَ نَزَجُو فَاَلْمُسْمَى له نصيبٌ من اسمه

وسَلَك مَسْلَكًا حَسَنًا في الناس، وَفَسَحَ الآمال، وأَجْمَلَ اللِّقاء، وَتَحَمَّلَ الجفاء، واستَفَزَّ الخاصةَ بِجميلِ التَّائِي وأَخَذَ العفو، والتَّظَاهَر بِإقامة رسومِ الدِّيانة، وحاربَ البلدَ المحصورَ في يومِ السبتِ الثالثِ عشرَ لشهرِ الله المحرمِ المذكور، كانتِ المِلاقاةُ التي برزَ فيها وزيرُ المَلِك ومُديرِ رحاه بمنِ اشتملتِ عليه البلدةُ من الرُّومِ والجندِ الرُّحْل، واستَكْثِرَ من آلاتِ الظهورِ وعُدَدِ التَّهْوِيل، فكانتِ بينَ الفريقينِ حربٌ مرَّةً تَوَلَّى كبرها التَّاشِبةُ، فأرسلتِ على القومِ حَوَاصِبِ النَّبْلِ، غارتِ لها الحَيْلُ، واقشَعَرَّتِ الوجوه، وتقَهَّقَتِ المِواكِب. وعندها بَرَزَ السلطانُ المَغْثُو، مصاحبةً له نَسْمَةُ الإقدام، وتهوُّرُ الشَّجاعةِ عندِ مفارقةِ الخلالِ الصَّحِيَّة، وتوالتِ الشدات، وتكالبتِ الطَّائفةُ المحصورةُ، فتمرَّستِ بِأختها، ووقعتِ الهزيمةُ ضُخوةً اليومِ المذكورِ على قَبِيلِ بني مَرينَ ومن لَفَّ لَفَّهُم، فَصَرَّفُوا الوجوهَ إلى مدينةِ تازِي، واستقرَّ بها سلطانهم، ودخلتِ مِكناسةُ في أمرهم، وضاقَ دَزَعُ فاسَ لِلْمَلِكِ بهم، إلى أن وصلَ الأميرُ المُسْتَدْعَى، طِيَّةُ الصَّبرِ، وأجْدَى دَفْعِ الدِّين، ودخلَ البلدَ في يومِ الاثنينِ الثاني والعشرينِ لصفَرٍ من العام. وكانَ اللقاءُ بينَ جيشِ السلطان، لنظرِ الوزيرِ، مُطْعَمِ الإمهالِ ومُعَوَّدِ الصُّنْع. وبينَ جيشِ بني مَرينَ، لنظرِ الأخِ عبدِ المؤمنِ ابنِ السلطانِ أبي علي، فرحلَ القومُ من مِكناسة، وفرَّ عنهم الكثيرُ من الأولياءِ، وأخْلَوْا العَرَصَةَ، واستَقَرُّوا أخيرًا ببلدِ أبيهم سِجْلَماسة، فكانتِ بينَ القومِ مُهادنة. وعلى أثرها تَعَصَّبَ للأخِ عبدِ المؤمنِ معظمُ عربِ الجهة، وقد برزَ إليهم في شأنِ استخلاصِ الجبابة، فرجعوا به إلى سِجْلَماسة. وخرجَ لمدافعتهم الأميرُ عبدُ الحليم، بمنِ معه من أشياخِ قَبِيلِهِ والعربِ أولى مظاهِر، فكانتِ بينهم حربٌ أَجَلَّتْ عن هزيمةِ الأميرِ عبدِ الحليم، واستَلْحَمَ لِلسَّيفِ جملةٌ من المشاهير، كالشيخِ الخاطبِ في حَبْلِهِ، خِذْنِ التُّكْرَ وقادحِ زُنْدِ الفِتْنَةِ، الدَّائِنُ بِالْحَمْلِ على الدولِ على التفصيلِ والجُمْلَةِ، المُعْتَمَدُ بِالْمَغْرِبِ بالرأْيِ والمشورة، يحيى بنِ رَحُو بنِ مَسْطَى وغيره. وأذعنَ عبدُ الحليمَ بعدها لِلخَلْع، وخرجَ عن الأمرِ لِأَخِيهِ، وأبْقَى عليه، وتحرَّجَ من

قتله، وتُعَرَّف لهذا الوقت صَرْفُهُ عنه إلى الأرض الحجازية على صحراء القِبلة، فانتهى أمره إلى هذه الغاية.

دخوله غرناطة: قدم على الحَضرة مع الجملة من إخوته وبني عمِّه في...<sup>(١)</sup>. جَلاهم السلطان أبو عنان عندما تصيّر له الأمر، فاستقروا بها، يناهز عبد الحليم منهم بلوغ أشدّه.

وفاته: وتوفي...<sup>(١)</sup> وستين وسبعمائة.

### عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ابن مَخِيُو

أخو الأمير عبد الحليم، يكنى أبا محمد.

حاله: كان رجلاً وقوراً، سكوناً، نحيفاً، آية الله في جمود الكفِّ، وإيثار المَسك، قليل المُداخلة للناس، مشتغلاً بما يُغنيه من خُويصة نفسه، موصوفاً ببسالة وإقدام، حسن الهيئة. دخل الأندلس مع أخيه، وعلى رسمه، وتحرك معه وابن أخ لهما، فتولّى كثيراً من أمره، ولقي الهول دونه. ولما استقروا بسجلماسة، كان ما تقرّر من تَؤبته على أمره، والعمل على خَلعه، مُغتذراً، زعموا إليه، موفياً حقّه، موجِّباً تَجَلّته إلى حين انصرافه، ووصل الأندلس خطابه يُعرِّف بذلك بما نصّه في المَدْرَجَة.

ولم يَنْشِب أن أحسَّ بحركة جيش السلطان بفاس إليه، فخاطب عميد الهساكره<sup>(٢)</sup>، عامر بن محمد الهِثَّاتي، وعرض نفسه عليه، فاستدعاه، وبَدَل له أماناً. ولما تحصّل عنده، قبض عليه وثَقَّفه، وشدَّ عليه يده، وحَصَلَ على طلبه دهية من التَّوْعَد بمكانه، واتخاذ اليد عند السلطان بكفِّ عاديته إلى هذا التاريخ.

### ومن الأفراد أيضاً في هذا الحرف وهم طارؤون

#### عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق

الأمير المُخاف بعد أبيه أمير المسلمين أبي الحسن بمدينة الجزائر، بعد ما توجّه إلى المغرب، وجرت عليه الهزيمة من بني زِيَّان.

(١) بياض بالأصول.

(٢) نسبة إلى هسكورة وهي إحدى القبائل البربرية المغربية، الضاربة في بلاد السوس جنوب شرقي مراكش، وغربي سجلماسة.

حاله: كان صبيًا ظاهر السكون والأدب، في سِنِّ المراهقة، لم يَنْشِبْ أن نازله جيشُ عدوّه. ومالاه أهل البلد، وأخذ مَنْ معه لأنفسهم وله الأمان، فنزل عنها ولحق بالأندلس. قال في كتاب «طُرْفَة العصر»: وفي ليلة العاشر من شهر ربيع الأول اثنين وخمسين وسبعمائة، اتّصل الخبر من جهة الساحل، بنزول الأمير عبد الحق ابن أمير المسلمين أبي الحسن ومن معه، بساحل شلوبانية<sup>(١)</sup>، مُقْلَتَيْن من دَهَقِ الشُّدَّة، بما كان من منازل جيش بني زِيَّان مدينة الجزائر، وقيام أهلها بدعوتهم، لما سموه من المطاولة، ونَهَكهم من الفِتنة، وامتنع الأمير ومَنْ معه بِقَصَبَتِهَا، وأخذوا لأنفسهم عهدًا، فنزلوا وركبوا البحر، فرافقتهم السَّلامة، وشملهم سِثْرُ العِصْمة. ولحين اتصل بالسلطان خبره، بادر إليه بمركبين ثَقِيلِي الحَلِيَّة، وما يناسب ذلك من بَرَّة، وعَجَّل من خدامه بمن يقوم ببرّه، وأصبحه إلى منزل كرامته. ولرابع يوم من وصوله كان قُدومه، وبرز له السلطان بروزًا فخْمًا، ونزل له، قارصًا إياه أَحْسَنَ الْقَرْص؛ بما أسلفه من يَد، وأسداه من طَوَّل. وأقام ضيفًا في جواره، إلى أن استَدْعاه أخوه ملك المغرب، فانصرف عن رِضَى منه، ولم يَنْشِبْ أن هلك مُغْتَالًا في جُمْلَةِ أزداهم الترشيح.

### عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحياني<sup>(٢)</sup>

يكنى أبا ملك<sup>(٣)</sup>. وبيته في الموحدّين الملوك بتونس. وأبوه سلطان إفريقية، المُتَرْقِي إليها من رُتْبَةِ الشَّيْخَةِ الموحّدية.

حاله: كان رجلًا طَوَالًا نحيفًا، فاضلًا حَسِيْبًا، مقيمًا للرُّسُومِ الحَسْبِيَّة، حسن العشرة، معتدل الطَّرِيقَةِ. نشأ بالبلاد المشرقية، ثم اتصل بوطنه إفريقية، وتقلّد الإمارة بها برهة يسيرة، ثم فرَّ عنها ولحق بالمغرب، وجاز إلى الأندلس، وقدم على سلطانها، فرحّب به، وقابله بالبرِّ، ونوّه محلّه، وأطلّق جرائته، ثم ارتحل أدراجه إلى العُدُوَّة، ووقعت بيني وبينه ضُحْبَةٌ، أنشدته عند وداعه<sup>(٤)</sup>: [المتقارب]

أبا ملك، أَنْتَ نَجَلُ الْمُلُوكِ      غِيُوْثُ الثَّدْيِ وَلِيُوْثُ النِّزَالِ  
وَمِثْلُكَ يَزْتَاحُ لِلْمَكْرُمَاتِ      وَمَا لَكَ بَيْنَ الْوَرَى مِنْ مِثَالِ

(١) شَلُوبَانِيَّةُ أو شَلُوبِيْنِيَّة: بالإسبانية: Salobrena، وهي قرية على ضفة البحر، بينها وبين المنكب عشرة أميال، يوجد فيها الموز وقصب السكر. الروض المعطار (ص ٣٤٣).

(٢) أخبار عبد الواحد بن زكريا في نفع الطيب (ج ٩ ص ١٩٦) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٢٦١).

(٣) في المصدرين السابقين: «أبا مالك».

(٤) الأبيات في نفع الطيب (ج ٩ ص ١٩٦ - ١٩٧) وأزهار الرياض (ج ١ ص ٢٦١ - ٢٦٢).

عزیزُ بأنفسنا أن نرى      رِکابک مُؤذنةً بارتحالٍ  
وقد حَبَرَتْ منك خُلُقًا کریماً      أنافَ على درجاتِ الکمالِ  
وفازَتْ لديك بساعاتِ أنسٍ      كما زار في التَّوَمِ<sup>(١)</sup> طَیْفُ الخیالِ  
فلولا<sup>(٢)</sup> تَعَلَّلْنَا أننا      نَزُورُکَ فوقِ بِساطِ الجَلالِ  
ونبلُغُ فیک الذي نَشْتَهِي<sup>(٣)</sup>      وذاك على الله سَهْلٌ<sup>(٤)</sup> المَنالِ  
لما فَتَرَتْ أنفَسَ مِنْ أَسَى      ولا بَرِحَتْ أدمعُ في انْهَمالِ  
تَلَقَّثْکَ حیثُ اختَلَّتْ السُّعودُ      وكان لک الله فی<sup>(٥)</sup> کلِّ حالِ

## ومن ترجمة الأعيان والوزراء والأمائل والكبرا

عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن مخنيو

يكنى أبا إدريس، شيخ الغزاة بالأندلس.

حاله: كان شجاعاً عفيفاً تقياً، وقوراً جليلاً، معروف الحق، بعيد الضيعة. نازع الأمر قومَه بالمغرب، وانتزى بمدينة تازي، على السلطان أبي الربيع، وأخذ بها البيعة لنفسه. ثم ضاق دُرْعَه، فعبر فيمن معه إلى تلمسان. ولما هلك أبو الربيع، وولي السلطان أبو سعيد، قدّم للكتب في شأنه إلى سلطان الأندلس، وقد تعرّف عزمه على اللحاق، ولم ينشِب أن لحق بالمرية من تلمسان، فتُفّق بها؛ قضاءً لحقٍّ من خاطب في شأنه. ثم بدا للسلطان في أمره، فأوعز لرقبائه في العفلة عنه، وفرّ فلاحق ببلاد النصرى<sup>(٦)</sup> فأقام بها، إلى أن كانت الوقعة بالسلطان بغرناطة، بأحواز قرية العطشا على يد طالب المُلْك أمير المسلمين أبي الوليد، وأسير يومئذ شيخ الغزاة حمّو بن عبد الحق، وترجّع الرأي في إطلاقه وصرفه، إعلاناً للتهديد، فنجحت الحيلة، وعُزل عن الخطة، واستدعي عبد الحق هذا إليها، فوصل غرناطة، وقُدّم شيخاً على الغزاة. ولما تغلب السلطان أبو الوليد على الأمر، واستُوسق له، وكان ممن شمله أمانه، فأقرّه مروّساً بالشيخ أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء برهة. ثم لحق بأمره المخلوع

(١) في المصدرين: «في الليل».

(٢) في المصدرين: «ولولا».

(٣) في المصدرين: «بتقي».

(٤) في الأصل: «وذاك على السهل...»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المصدرين.

(٥) في الأصل: «على» وكذا يتكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٦) المراد ببلاد النصرى: أي بلاد النصرى.

نَصْر، المستقرّ مُوَادَعًا بُوَادِي آش، وأوقع بجيش المسلمين مظاهر الطاغية، الواقعة الشَّيْعة بَقَرْمُونَة، وأقام لديه مُدَّة. ثم لحق بأرض النَّصْرِي، وأجاز البحر إلى سَبْتَة، مظاهراً لأميرها أبي عمرو يحيى بن أبي طالب العَزَفِي، وقد كشف القِنَاع في مُنَابَذَة طاعة السلطان، ملك المغرب، وكان أَمَلُكَ لما بيده، وأُتِيح له ظَفَرٌ عَظِيم على الجيش المُضَيِّق على سَبْتَة، فبَيْتَهُ وهزَمه. وتخلَّص له ولده، الكائن بمضرب أمير الجيش في بيت من الحَشَب رَهِينَةً، فُصِّرَ عليه، فما شِئت من ذِياع شهرة، وبُغِد صيت، وكَرَم أُخْدُوثة. ثم بدا له في التَّحَوُّل إلى تَلَمَّسان، فانتقل إليها، وأقام في إيالة ملكها عبد الرحمن بن موسى بن تاشفين إلى آخر عمره.

**وفاته:** توفي يوم دخول مدينة تلمسان عَنُوة، وهو يوم عيد الفطر من عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة، قُتِل على باب منزله، يُدافع عن نفسه، وعلى ذلك فلم يُشهر عنه يومئذ كبير غِنَاء، وكُور واستلَّحَم، وحُزُّ رأسه. وكان أسوة أميرها في المَخِيَا والمَمَات، رحم الله جميعهم، فانتقل بانتقاله وقُتِل بِمَقْتَلِهِ. وكان أيضًا عَلَمًا من أعلام الحروب، ومثلاً في الأبطال، ولينًا من ليوث الثَّزال.

### عبد الملك بن علي بن هذيل الفزاري وعبد الله أخوه<sup>(١)</sup>

**حَالُهُمَا:** قال ابن مسعدة: أبو محمد وأبو مروان تولَّيا حُطَّة الوزارة في الدولة الحَبُوسِيَّة<sup>(٢)</sup>، ثم تولَّيا القيادة بثغور الأندلس، وقهرا ما جاورهما من العدُو، وغلباه، وسَقِيَاه كَأْس المَنايا، وجَرَّعَاه. ولم يَزَالَا قائِمين على ذلك، ظاهرين عَلمين، إلى أن اسْتَشْهَدَا، رحمهما الله.

### عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذيل الفزاري

**حَالُهُ:** قال ابن مسعدة: كان بارع الأدب، شاعراً، نحوياً، لُغَوِيًّا، كاتباً متوقِّد الذهن، عنده معرفة بالطَّب، ثم اغتَزَلَ الناس، وانْقَبَض، وقصد سُكْنَى البِشَارَات<sup>(٣)</sup>؛ لينفرد بها، ويخفي نفسه؛ فراراً من الخدمة، فتهياً له المُراد.

(١) راجع أخبارهما في: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ١٠٩).

(٢) نسبة إلى حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد، وقد حكم غرناطة في عصر ملوك الطوائف من سنة ٤١٠ هـ إلى سنة ٤٢٩ هـ. انظر أخباره مفصلة في: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ١٠٥ - ١١٧).

(٣) البِشَارَات أو البُشَرَات Alpujarras، هي المنطقة الجبلية الواقعة جنوب سفوح جبل شلير، على مقربة من البحر المتوسط. نفح الطيب (ج ١ ص ١٥٠) و(ج ٤ ص ٥٢٤ - ٢٢٥) ومملكة غرناطة (ص ٤٦).

شعره: وكان شاعراً جيّد القريحة سريع الخاطر، ومن شعره: [السريع]  
يا صاح، لا تعرض لزَوْجِيَّة كلِّ البَلا من أجلها يَغْتَرِي  
الفَقْر والذُلّ وطول الأسي لستُ بما أذكره مُفْتَرِي  
ما في فم المرأة شيء سوى اشتَر لي واشتَر لي واشتَر

### القضاة الفضلاء وأولاً الأصليون

عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن بن غالب  
ابن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد  
ابن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكتوم المحاربي<sup>(١)</sup>

أوليته: من ولد زيد بن مُحارب بن عطية، نزل جدّه عطية بن خِفاف بقرية  
قَسلة من زاوية غرناطة، فأنسل كثيراً ممن له خطرٌ، وفيه فضل.

حاله: كان<sup>(٢)</sup> عبد الحق فقيهاً، عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والفقه،  
والنحو والأدب واللغة، مُقيّداً حسن التّقييد، له نظم ونثر، وُلّي القضاء بمدينة ألمرية  
في المحرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وكان غاية في الذكاء والذكاء، والتّهمم  
بالعلم، سَرِيّ الهمة في اقتناء الكتب. توخّى الحق، وعدل في الحكم، وأعزّ  
الخطّة.

مشيخته: روى<sup>(٣)</sup> عن الحافظ أبيه، وأبوي علي الغساني والصدفي، وأبي  
عبد الله محمد بن فرج مولى الطلاع، وأبي المُطرّف الشعبي، وأبي الحسين بن  
البيان، وأبي القاسم بن الحضار المُفري، وغيرهم.

توآلفه: ألّف كتابه المسمى بـ «الوجيز في التفسير» فأحسن فيه وأبدع، وطار  
بحسن نيّته كل مطار. وألّف برنامجاً ضمنه مَزَوّياته، وأسماء شيوخه، وجَرَز  
وأجاد.

(١) يكنى عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي أبا محمد، وترجمته في الصلة (ص ٥٦٣) وقلائد  
العقيان (ص ٢٠٧) وبغية الملتمس (ص ٣٨٩) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ٢٥٦) وبغية الوعاة  
(ص ٢٩٥) ومعجم أصحاب القاضي الصدفي (ص ٢٦٥) والحلة السيرة (ج ١ ص ٦)  
والمغرب (ج ٢ ص ١١٧) ورايات المبرزين (ص ١٤٧) وقلائد العقيان (ص ٢٠٧) والديباج  
المذهب (ص ١٧٤) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٢٧٢).

(٢) قارن بنفع الطيب (ج ٣ ص ٢٧٢).



شعره: قال الملاحى: ما حدثني به غير واحد من أشياخه عنه، قوله<sup>(١)</sup>:

[البسيط]

وليلة جُنبَتْ فيها الجَزَعُ<sup>(٢)</sup> مُزْتَدِيَا  
بالسَيْفِ أَشْحَبُ أَذْيَالًا مِنْ الظُّلَمِ  
والتُّجْمُ حَيْرَانُ فِي بَخر الدُّجَا عَرِقُ  
والبَذَرُ<sup>(٣)</sup> فِي طَنِيْلَسَانِ اللَّيْلِ كَالْعَلَمِ  
كَأَنَّمَا اللَّيْلُ زُنْجِي بِكَاهِلِهِ  
جُرْخٌ فَيَفْتَعِبُ<sup>(٤)</sup> أَحْيَانًا لَهُ بَدَمٌ

وقال يَنْدُبُ عهد شبابه<sup>(٥)</sup>: [البسيط]

سَقِيَا لِعَهْدِ شَبَابٍ ظَلْتُ أَفْرَحُ فِي  
رَيْعَانِهِ وَلِيَالِي الْعَيْشِ أَشْحَاؤُ  
أَيَّامُ رَوْضِ الصُّبَا لَمْ تَذُرْ أَغْصُنُهُ  
وَرَوْتُكَ الْعُمْرَ غَضٌّ وَالْهَوَى جَارُ<sup>(٦)</sup>  
وَالنَّفْسُ تُزَكِّضُ فِي تَضْمِينِ ثُرَّتِهَا  
طَرَفًا لَهُ فِي زَمَانِ اللَّهْوِ إِحْضَارُ<sup>(٧)</sup>  
عَهْدًا كَرِيمًا لِبِسْنَا مِنْهُ<sup>(٨)</sup> أَرْذِيَّةُ  
كَانَتْ عُيُونًا وَمَحَتْ<sup>(٩)</sup> فَهِيَ آثَارُ

(١) الأبيات في قلائد العقيان (ص ٢٠٧ - ٢٠٨) ورايات المبرزين (ص ١٤٧ - ١٤٨) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٧٤).

(٢) في الأصل: «جبت فيها الجزع»، وقد فضلنا ما جاء في المصادر الثلاثة.

(٣) في القلائد: «والبرق فوق رداء الليل...». وفي الرايات والنفح: «والبرق» بدل «والبدر».

(٤) في الأصل: «فيثغب» بعين معجمة، والتصويب من المصادر الثلاثة. ويشعب: يجري ويسيل. لسان العرب (ثعب).

(٥) الأبيات في قلائد العقيان (ص ٢٠٨) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٢٧٢ - ٢٧٣).

(٦) في الأصل: «حمار» وهكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المصدرين.

(٧) في القلائد: «في رهان اللهو». وفي النفح: «... في تضمير شيرتها...». والشرة: الحدة والنشاط.

(٨) في المصدرين: «... لبسنا منه أردية كانت عيانًا...».

(٩) في الأصل: «ومحيت» وهكذا يتكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

مَضَى وَأَبْقَى بِقَلْبِي مِنْهُ نَارَ أَسَى  
 كُونِي سَلامًا وَبَرْدًا<sup>(١)</sup> فِيهِ يَا نَارَ  
 أَبْغَدَ أَنْ نَعِمْتَ نَفْسِي وَأَصْبَحَ فِي  
 لَيْلِ الشَّبَابِ لِصُبْحِ الشَّيْبِ إِسْفَارُ<sup>(٢)</sup>  
 وَنَازَعَتْنِي اللَّيَالِي وَأَثْنَنْتُ كِسْرًا<sup>(٣)</sup>  
 عَنْ ضَيْعَمَ مَا لَهْ نَابَ وَأَظْفَارِ  
 إِلَّا<sup>(٤)</sup> سَلَاحَ خِلَالٍ أُخْلِصَتْ فَلَهَا  
 فِي مَنَهِلِ الْمَجْدِ إِيرَادُ وَإِصْدَارِ  
 أَضْبُو إِلَى رَوْضِ عَيْشٍ رَوْضُهُ خَضِيلُ<sup>(٥)</sup>  
 أَوْ يَنْتَنِي بِي عَنِ اللَّقَاءِ<sup>(٦)</sup> إِقْصَارِ  
 إِذَا فَعَطَّلْتُ<sup>(٧)</sup> كَفِّي مِنْ شَبَا قَلَمِ  
 آثَارِهِ فِي رِيَاضِ الْعِلْمِ أَزْهَارِ

مَنْ رَوَى عَنْهُ: رَوَى عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي جَمْرَةَ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنُ حُبَيْشٍ، وَأَبُو جَعْفَرِ بْنِ مَضَاءَ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمَنَعَمِ، وَأَبُو جَعْفَرِ بْنِ حَكَمٍ، وَغَيْرِهِمْ.

مولده: ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة.

وفاته: توفي في الخامس والعشرين لشهر رمضان سنة ست وأربعين وخمسمائة بمدينة لورقة<sup>(٨)</sup>. قَصِدَ مَرْسِيَةٌ<sup>(٩)</sup> يَتَوَلَّى قَضَاءَهَا، فَصَدَّ عَنْهَا، وَصُرِفَ مِنْهَا إِلَى لُورَقَةٍ، اعْتِدَاءً عَلَيْهِ.

(١) في الأصل: «أو بردًا» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٢) في الأصل: «أسفار» بفتح الهمزة، والتصويب من المصدرين.

(٣) رواية صدر البيت في المصدرين هي:

وقارعتني الليالي فانثنت كسرا

(٤) في الأصل: «إلا» والتصويب من المصدرين.

(٥) رواية صدر البيت في القلائد هي:

أصبو إلى خفض عيش دَوْحُهُ خَضِيلُ

(٦) في الأصل: «اللقيا» وهكذا ينكسر الوزن. وفي القلائد والنفع: «العلياء».

(٧) في الأصل: «إذا تَعَطَّلْتُ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٨) في الصلة (ص ٥٦٤) توفي في سنة ٥٤٢ هـ، دون أن يحدد ابن بشكوال المدينة التي توفي بها. وفي بغية الملتبس (ص ٣٨٩): توفي بمدينة لورقة سنة ٥٤٢ هـ، وقيل: ٥٤١ هـ. وفي فوات الوفيات (ج ٢ ص ٢٥٦): توفي سنة ٥٤٢ هـ بحصن لورقة. وفي بغية الوعاة (ص ٢٩٥): توفي بأورقة في ٢٥ رمضان سنة ٥٤٢ هـ، وقيل: ٥٤١ هـ، وقيل: ٥٤٦ هـ.

(٩) في القلائد والنفع: «قصد ميورقة».

عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجي<sup>(١)</sup>

من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، ويعرف بابن الفرس، وقد تقدم ذكر طائفة من أهل بيته.

حاله: كان حافظاً جليلاً، فقيهاً، عارفاً بالنحو واللغة، كاتباً بارعاً، شاعراً مطبوعاً، شهير الذكر، عالي الصيت. ولّى القضاء بمدينة شُقر، ثم بمدينة وادي آش، ثم بجيان، ثم بغرناطة، ثم عزل عنها، ثم وليها الولاية التي كان من مضمّن ظهيره بها قول المنصور<sup>(٢)</sup> له: أقول لك ما قاله موسى، عليه السلام، لأخيه هارون: «أَخْلَقَنِي فِي قَوِيٍّ وَأَصْلَحَ وَلَا تَنْتَبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ»<sup>(٣)</sup>، وجعل إليه النظر في الحسبة، والشرطة، وغير ذلك، فكان إليه النظر في الدماء فما دُونها، ولم يكن يُقَطع أمرٌ دونه ببلده وما يرجع إليه.

وقال ابن عبد الملك: كان<sup>(٤)</sup> من بيت علم وجلالة، مُسْتَبَحراً في فنون المعارف على تفاريقها، متحققاً بها، نافذاً فيها، ذكي القلب، حافظاً للفقهاء. استظهر أوان طلبه الكتّابين<sup>(٥)</sup>: المَدُونَة، وكتاب سيبويه وغيرهما، وغني به أبوه وجده عناية تامة. وقال أبو الربيع بن سالم<sup>(٦)</sup>: سمعت أبا بكر بن الجَدِّ، وحَسْبُكَ به<sup>(٧)</sup> شاهداً، يقول غير ما<sup>(٨)</sup> مرة: ما أعلم بالأندلس أخفّظ لمذهب مالك من عبد المنعم بن الفرس، بعد أبي عبد الله بن رزقون.

مشيخته: روى<sup>(٩)</sup> عن أبيه الحافظ أبي عبد الله، وعن جدّه أبي القاسم، سمع عليهما وقرأ، وعن أبي بكر بن النُّفَيْس، وأبي الحسن بن هُذَيْل، وأبي عبد الله بن سعادة، وأبي محمد عبد الجبار بن موسى الجذامي، وأبي عامر محمد بن أحمد

(١) ترجمة عبد المنعم الخزرجي في التكملة (ج ٣ ص ١٢٧) وتاريخ قضاة الأندلس (ص ١٤٢) وبغية الرعاة (ص ٣١٥) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٣٤) والديباج المذهب (ص ٢١٨) ونفح الطيب (ج ٢ ص ٣٧٦) ورايات المبرزين (ص ١٤٨) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٨).

(٢) هو الخليفة الموحي يعقوب بن يوسف، الذي حكم المغرب والأندلس من سنة ٥٨٠ هـ إلى سنة ٥٩٥ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ١٧٠).

(٣) سورة الأعراف ٧، الآية ١٤٢. (٤) الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٠).

(٥) في الأصل: «للكتّابين» والتصويب من الذيل والتكملة.

(٦) الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٢).

(٧) كلمة «به» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الذيل والتكملة.

(٨) كلمة «ما» ساقطة في الذيل والتكملة. (٩) قارن بالذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٨ - ٥٩).

الشُّلبي، وأبي العباس أحمد وأخيه أبي الحسن، ابني زيادة الله. هذه جملة من لقي من الشيوخ وشافهه وسمع منه، وأجاز له من غير لقاء، وبعضهم باللقاء من غير قراءة؛ ابن ورد، وابن بقي، وأبو عبد الله بن سليمان التونسي، وأبو جعفر بن قبلال، وأبو الحسن بن الباذش، ويونس بن مغيث، وابن مَعْمَر، وشُريح، وابن الوحيد، وأبو عبد الله بن صاف، والرُّشاطي، والجُميري، وابن وضَّاح، وابن موهب، وأبو مروان الباجي، وأبو العباس بن خلف بن عيشون، وأبو بكر بن طاهر، وجعفر بن مكي، وابن العربي، ومساعد بن أحمد بن مساعد، وعبد الحق بن عطية، وأبو مروان بن قُزَّمان، وابن أبي الخِصال، وعياض بن موسى، والمَازري، وغيرهم.

توالياً: أَلَفَ عدة توالياً، منها «كتاب الأحكام»<sup>(١)</sup>، أَلَفَ وهو ابن خمسة وعشرين عاماً، فاستوفى ووقى، واختصر الأحكام السلطانية، وكتاب النِّسب لأبي عبيد بن سلام، وناسخ القرآن ومنسوخه لابن شاهين، وكتاب المُخْتَسَب لابن جُني. وألَّفَ كتاباً في المسائل التي اختلف فيها النحويون من أهل البصرة والكوفة، وكتاباً في صناعة الجدَل، وردَّ على ابن عَزْزِيَّة في رسالته في تفضيل العجم على العرب. وكتب بخطه من كتب العربية واللغة والأدب والطب وغير ذلك.

مَنْ رَوَى عَنْهُ: حَدَّثَ<sup>(٢)</sup> عَنْهُ الحافظ أبو محمد القرطبي، وأبو علي الرُّندي، وابنا حَوْطَ الله، وأبو الربيع بن سالم، والجُم الغفير.

شعره: [الطويل]

أَبَى ما بقلبي اليوم أَنْ يَتَكْتَمَا	وَحَسْبُكَ بالدمع السَّفوح مُتَرْجَمَا
وَأَعْجَبَ به مِنْ أَخْرَسِ بات مُفْصِحَا	يُبَيِّنُ للواشينَ ما كان مُبْهِمًا
فَكَمْ عُبْرَةٌ في نَهْرٍ شَفَرٍ بَعَثَتْهَا	سَبَاقًا فأمسى النهرُ مُخْتَضِبًا دَمَا
يُرْجَعُ ترجيع الأنين اضطراره	كشكوى الجريح للجريح تألماً
كَمَلَنَ بصحبي فوقه <sup>(٣)</sup> الدَّمْعُ ناثِرٌ	شَقَائِقُ نُعْمانٍ على مَثْنٍ أَرْقَمَا
ولله ليلٌ قد لَبَسَتْ ظلامه	رداءً <sup>(٤)</sup> بأنوار النجوم مُنْمَما

(١) في الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦١) أن «أحكام القرآن» من أجل مصنفاته.

(٢) قارن بالذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٩ - ٦٠).

(٣) في الأصل: «في قوفة»، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «راداً»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

أناوح فيه الوزق فوق غصونها  
وما لي إلا الفرقدین<sup>(١)</sup> مُصاحب  
أبيت شتيت الشنل والشنل فيهما  
فيا قاصدا تدمير، عرج مصافحا  
وأغليم بأبواب السلام صبابتي  
وإن طفت في تلك الأجارج لا تضع  
وما ضرها لو جاذبت ظنية الثقا  
فيئني قضيبا أثمر البدر مائسا  
وما كنت إلا البدر وافى غمامة  
وما ذاك من هجر ولكن لشقوة  
فيا ليتني أضبخت في الشجر لفظة  
ولله ما أذكى نسيمك نفحة  
ولله ما أشفى لقاءك<sup>(٢)</sup> للجوى  
وما الزاح بالماء القراح مشوبة  
فما لي وللأيام قد كان شملنا  
ولما<sup>(٣)</sup> جئت الطيب من شهد وصلها  
وقد دقت طعم البين حتى كأنني  
فمن لفواذ شطره حازه الهوى  
ويا ليت أن الدار حان مزارها  
ولو صَحَّ قُرب الدار لي لجعلته  
فقد طال ما ناديت سيرا وجهرة

فكم أوريق منهن قد باب مُعجما  
ويا بُعد حالي في الصبابة منهما  
جميع كما أبصرت عقدا مُنظما  
نسايلك<sup>(٢)</sup> رسما بالعقيق ومعلما  
كما كان عزف المسك بالمسك علما  
بحق هواها إن<sup>(٣)</sup> تلم مسلما  
فضول رداء قد تعششته معلما  
بحقف مسيل لقه السيل مظلما  
فما لاح حتى غاب فيها مُغيما  
أبت أن يكون الوصل منها مُتمما  
ترددني مهما أردت تفهما  
أأنت أعزت الروض<sup>(٤)</sup> طيبا تنسما؟  
كأنك قد أصبحت عيسى ابن مريما  
بأطيب من ذكراك إن خامرت فما  
جميعا فأضحى في يديها مُقسما  
جئت من التبديد للوصل علما  
لألفه من أهواه ما دقت مطعما  
وشطر لإحراز الثواب مسلما  
فلو صَحَّ قُرب الدار أذركت مغنما  
إلى مُرتقى السلوان والصبر سلما  
عسى وطن يدنو بهم ولعلما؟

(١) في الأصل: «للفرقدین»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «نسايلك» وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في الأصل: «إن لم تلم» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، لذا حذفنا كلمة «لم».

(٤) في الأصل: «للروض» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٥) في الأصل: «لفاق» وكذا ينكسر الوزن.

(٦) في الأصل: «وما»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

ومن شعره: [الطويل]

سلام على مَنْ شَفَّنِي بُغْدُ داره  
ومن هو في عَيْنِي أَلْدُ من الكَرَى  
سلام عليه كَلَّمَا دَرَّ شَارِقُ  
لَعَمْرُكَ مَا أَخْشَى غَدَاةَ وداعنا  
وسال على الحَدَّيْنِ دَمْعُ كأنه  
وعانقْتُ منه غُضْنَ بَانٍ مُتَّعَمًا  
وأصْبَحْتُ في أَرْضٍ وقلبي بغيرها  
نأى وَجْهَ مَنْ أهوى فأظلم أَفْقُهُ  
سَلِ الْبَزَقُ عن شَوْقِي يُخَبِّرُكَ بالذي  
وهل هو إِلَّا نار وَجَدِي وكَلَّمَا

ومن شعره أيضًا رحمة الله عليه: [مخلع البسيط]

إِقْرَأْ على شِنْجِلٍ<sup>(٢)</sup> سلاما  
مِنْ مُغْرَمِ القلبِ ليس ينسى  
إذا رَأَى مَنْظَرًا سواه  
وإن أتى مَشْرَبًا حميدا  
وَقِفْ بِنَجْدٍ وقوفَ صَبٍّ  
واندُبْ أَرَاكًا بشُغْبِ رَضْوَى  
واذْكُرْ شَبَابًا مضى سريعا  
هيهات ولَى وجاء شَنِيبٌ  
ما يُضْلِحُ الشَّيْبَ غير تقوى  
في كل يوم له ارتحال  
ما الْعُمُرُ إِلَّا لديه دَيْنٌ

أَطْيَبَ مِنْ عَزْفِهِ نَسِيمَا  
مَنْظَرِهِ الرَّاثِقِ الوَسِيمَا  
عافِ الْجَنَى مِنْهُ وَالشُّمِيمَا  
كان وإن راقه دَمِيمَا  
يَسْتَذْكُرُ الْجَذْنَ وَالْحَمِيمَا  
قد رَجَعَتْ بَعْدَنَا مَشِيمَا  
أَصْبَحْتُ مِنْ بَغْدِهِ سَقِيمَا  
وكيف للقلب أن يَهِيمَا؟  
تَخْجُبُ عن وجهه الْجَحِيمَا  
أَعْجِبْ به ظَاعِنًا مَقِيمَا  
قد آن أن يَقْضِيَ الْغَرِيمَا

(١) في الأصل: «للروض» وكذا لا يستقيم الوزن.

(٢) شنجل وشنجيل وشنيل: بالإسبانية Genil، وهو نهر غرناطة الكبير، وينبع من جبل شلير، ثم يمر ببلوشة وإستجة ويصل إلى إشبيلية فيصب في نهرها الشهير بالوادي الكبير. راجع مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٤٧ - ٤٩).

فَعُدْ إِلَى تَوْبَةٍ نَّصُوحٍ      وَازْجُ إِلَهًا بَنَا رَحِيمًا  
 قَدْ سَبَقَ الْوَعْدُ مِنْهُ حَتَّى      أَطْمَعَ ذَا الشَّقْوَةِ النَّعِيمَا  
 مولده: في سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

وفاته: عصر يوم الأحد الرابع من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وخمسمائة<sup>(١)</sup>. وشهد دفنه بباب البيرة الجُم الغفير، وازدحم الناس على نعشه حتى حملوه على أكفهم ومزقوه. وأمر أن يُكتب على قبره: [الطويل]

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا مَنْ يُسَلِّمُ      وَرَحْمَتُهُ مَا زُرْتَنِي تَتَرَحَّمُ  
 أَتَخْشِبُنِي وَخَدِي نَقَلْتُ إِلَى هُنَا؟      سَتَلْحَقَ بِي عَمَّا قَرِيبٍ فَتَعْلَمُ  
 أَلَا قُلْ<sup>(٢)</sup> لِمَنْ يُنْسِي لَدُنْيَاهُ مُؤَثِّرًا      وَيُهْمِلُ آخِرَاهُ سَتَشْقَى وَتَنْدَمُ  
 فَلَا تَفْرَحَنَّ إِلَّا بِتَقْدِيمِ طَاعَةٍ      فَذَاكَ الَّذِي يُنْجِي غَدَا وَيُسَلِّمُ

### ومن غير الأصليين

عبد الحكيم بن الحسين بن عبد الملك بن يحيى  
 ابن باسيو بن تاذرزت التّمالي البدرازتيني ثم الواغديني

أصله من تِينْمَلْ<sup>(٣)</sup>، من نظر مَرَاكُش، وانتقل جدّه عبد الملك مع الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى إقليم بجاية. ونشأ عبد الملك ببجاية، وانتقل إلى تونس في حدود خمسة وثمانين. وورد أبو محمد الأندلس في حدود سبعمائة.

حاله: من تعريف شيخنا أبي البركات: كان من أهل المعرفة بالفقه وأصوله على طريقة المتأخرين. وكان مع ذلك، رجلاً كريم النفس، صادق اللّهجة، سليم الصدر، مُنْصَفّاً في المذاكرة. قُلْتُ: يجمع هذا الرجل إلى ما وصفه به، الأصالة ببلده إفريقية. وثبت اسمه في «عائد الصلة» بما نصّه: الشيخ الأستاذ القاضي، يكنى أبا محمد. كان، رحمه الله، من أهل العلم بالفقه، والقيام على الأصليين، صحيح

(١) كذا جاء في التكملة (ص ١٢٨) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٣٤) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٦٣). وفي بغية الوعاة (ص ٣١٥) والديباج المذهب (ص ٢١٨): توفي سنة ٥٩٩ هـ.

(٢) في الأصول: «فيا» بدل: «ألا قُلْ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٣) تِينْ مَلْ أو تِينْمَلْ، بميم مفتوحة واللام الأولى مشددة مفتوحة: جبال بالمغرب، كان بها سرير ملك بني عبد المؤمن. معجم البلدان (ج ٢ ص ٦٩).

الباطن، سليم الصدر، من أهل الدين والعدالة والأصالة. بَثَّ في الأندلس علم أصول الفقه، وانتفع به. وتصرّف في القضاء في جهات.

مشيخته: منقولاً من خطّ ولده الفقيه أبي عبد الله صاحبنا، الكاتب بالدار السلطانية: قرأ ببلده على الفقيه الصدر أبي علي بن عنوان، والشيخ أبي الطاهر بن سرور، والإمام أبي علي ناصر الدين المشدالي، والشيخ أبي الشّمل جماعة الحلبي، والشيخ أبي الحجاج بن قسوم وغيرهم. ومن خط المحدث أبي بكر بن الزيات: يحمل عن أبي الطاهر بن سرور، وعن أبي إسحاق بن عبد الرافع.

توابعه: من توابعه: «المعاني المبتكرة الفكرية، في ترتيب المعالم الفقهية»، «والإيجاز، في دلالة المجاز»، ونصرة الحق، وردّ الباغي في مسألة الصدقة ببعض الأضحية، والكّرّاس الموسوم<sup>(١)</sup> بـ«المباحث البديعة، في مقتضى الأمر من الشريعة».

مولده: ببجاية في أحد لجمادى الأولى من عام ثلاثة وستين وستمائة.

وفاته: وتوفي قاضيًا بشالّش يوم الجمعة، وهو الرابع عشر لجمادى الأولى من عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة. ودفن ببجاية باب إلبيرة بمقبرة من قبر ولي الله أبي عبد الله التونسي. وكانت جنازته مشهورة.

## ومن المقرئين والعلماء

عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة

ابن العباس بن مِرْدَاس السلمي<sup>(٢)</sup>

أصله من قرية قورت، وقيل: حصن واط من خارج غرناطة، وبها نشأ وقرأ.

حاله: قال ابن عبد البر: كان جَمَاعًا للعلم، كثير الكتّاب، طويل اللسان، فقيهاً، نحوياً، عَرُوضياً، شاعراً، نساباً، إخبارياً. وكان أكثر من يختلف إليه الملوك

(١) في الأصل: «المرسوم».

(٢) يكنى عبد الملك بن حبيب أبا مروان، وترجمته في تاريخ قضاة الأندلس (ص ٤٥٩). وفيه: «جاهمة» بدل «جلهمة»، وجذوة المقتبس (ص ٢٨٢) والمغرب (ج ٢ ص ٩٦) وبغية الوعاة (ص ٣١٢) وبغية الملتبس (ص ٣٧٧) ومطمح الأنفس (ص ٢٣٣) والبيان المغرب (ج ٢ ص ١١٠) والديباج المذهب (ص ١٥٤) ومعجم البلدان (ج ١ ص ٢٤٤) مادة إلبيرة ونفح الطيب (ج ١ ص ٥٢) و(ج ٢ ص ٢٢٦).



وأبناءؤهم. قال ابن مخلوف: كان يأتي إلى معالي الأمور. وقال غيره: رأيته يخرج من الجامع، وخلفه نحو من ثلاثمائة، بين طالب حديث، وفرائض، وفقه، وإعراب. وقد رتب الدول عليه، كل يوم ثلاثين دولة، لا يُقرأ عليه فيها شيء إلا تواليفه وموطأ مالك. وكان يلبس الخَزَّ والسَّعيد. قال ابن نمير: وإنما كان يفعله إجلالاً للعلم، وتوقيراً له. وكان يلبس إلى جسمه ثوب شجر، وكان صواماً قواماً. وقال المغامي<sup>(١)</sup>: لو رأيته ما كان على باب ابن حبيب، لاذرنت غيره. وزعم الزبيدي أنه نُعي إلى سُخُنون<sup>(٢)</sup> فاسترجع، وقال: مات عالم الأندلس. قال ابن القُرَضي: جمع<sup>(٣)</sup> إلى إمامته في الفقه التبحيح في الأدب، والتفنن في ضروب العلوم، وكان فقيهاً مُفتياً. قال ابن خَلَف أبو القاسم الغافقي: كان له أرض وزيتون بقرية بيرة من طوق غرناطة، حَبَس جميع ذلك على مسجد قرطبة. وله بيرة مسجد ينسب إليه. وكان يهبط من قرية قورت يوم الاثنين والخميس إلى مسجده ببيرة، فيقرأ عليه، وينصرف إلى قريته.

مشيخته: روى عن صَغَصعة بن سلام، والغازي<sup>(٤)</sup> بن قيس، وزباد بن عبد الرحمن. ورحل إلى المشرق سنة ثمان ومائتين، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وكانت رحلته من قريته بفحص غرناطة<sup>(٥)</sup>، وسمع فيها من عبد الملك بن الماجشون، ومطرّف بن عبد الله، وأضْبِغ بن الفَرَج، وابنه موسى، وجماعة سواهم. وأقام في رحلته ثلاثة أعوام وشهوراً. وعاد إلى البيرة، إلى أن رَحَلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن الحكم إلى قرطبة، في رمضان سنة ثمان<sup>(٦)</sup> عشرة ومائتين.

مَنْ روى عنه: سمع منه ابنه محمد وعبد الله، وسعيد بن نمر، وأحمد بن راشد، وإبراهيم بن خالد، وإبراهيم بن شُعيب، ومحمد بن فُطيس. وروى عنه من

(١) هو إبراهيم بن المنذر المغامي كما في معجم البلدان (ج ١ ص ٢٤٤).  
(٢) سُخُنون: هو لقب القاضي عبد السلام بن سعيد بن حبيب الشوفي، المتوفى سنة ٢٤٠ هـ. ترجمته في تاريخ قضاة الأندلس (ص ٤٧) ووفيات الأعيان (ج ٣ ص ١٥٣) والديباج المذهب (ص ١٦٠) وقضاة قرطبة (ص ١٣٠) وشذرات الذهب (ج ٢ ص ٩٤) وكتاب الوفيات (ص ١٧٤).

(٣) قول ابن القُرَضي لم يرد حرفياً في كتابه (تاريخ علماء الأندلس ص ٤٦٢) كما هنا.  
(٤) في معجم البلدان (ج ١ ص ٢٤٤): «والغار بن قيس».  
(٥) فحص غرناطة: هو مرج غرناطة الشهير، وهو عبارة عن سهل أفح وبسيط شاسع أخضر خصب وغوطة فيحاء مترامية الأطراف. يطلق عليه بالإسبانية اسم La Vega de Granada، يقع غربي غرناطة، ويمتد غرباً حتى مدينة لوشه. مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (ص ٤١).  
(٦) في الأصل: «ثمان» وهو خطأ نحوي.

عظماء القرطبيين، مطرّف بن عيسى، وبقي بن مخلد، ومحمد بن وضّاح، والمقامي في جماعة.

**توآلفه:** قال أبو الفضل عياض بن موسى، في كتابه في أصحاب مالك<sup>(١)</sup>: قال بعضهم: قلت لعبد الملك بن حبيب: كم كُتِبَ التي ألفت؟ قال: ألفت كتاب وخمسون كتابًا. قال عبد الأعلى: منها كتب المواعظ سبعة، وكتب الفضائل سبعة، وكتب أجواد قریش وأخبارها وأنسابها خمسة عشر كتابًا، وكتب السلطان وسيرة الإمام ثمانية كتب، وكتب الباه والنساء ثمانية، وغير ذلك. ومن كتب سماعته في الحديث والفقه، وتوآلفه في الطب، وتفسير القرآن، ستون كتابًا. وكتاب المغازي، والناسخ والمُتَنَسَخ، وרגائب القرآن، وكتاب الرُّهون والجِذَآن، خمسة وتسعون كتابًا. وكتاب مقام رسول الله ﷺ، اثنان وعشرون كتابًا، وكتاب في التَّسْب، وفي النجوم، وكتاب الجامع، وهي كتب فيها مناسِك النَّبِي، وكتاب الرُّغَائِب، وكتاب الوَزَع في المال، وكتاب الرُّبَا، وكتاب الحُكْم والعَدْل بالجوارح. ومن المشهورات الكتاب المسمّى بالواضحة. ومن توآلفه كتاب إعراب القرآن، وكتاب الحِشْبَة في الأمراض، وكتاب الفرائض، وكتاب السَّخَاءِ واضْطِناع المعروف، وكتاب كراهية الغِنَاءِ.

**شعره:** أنشد ابن الفرضي ممّا كتب بها إلى أهله من المشرق سنة عشر ومايتين<sup>(٢)</sup>: [الطويل]

أَحِبُّ بِلَادَ الْغَرْبِ وَالْغَرْبِ مُوطْنِي	أَلَا كُلُّ غَرْبِي إِلَيَّ حَبِيبُ
فِيَا جَسَدًا أَضْنَاهُ شَوْقُ كَائِهِ	إِذَا انْتَضَيْتَ عَنْهُ الثِّيَابُ قَضِيبُ
وَيَا كِيدًا عَادَتْ زَمَانًا كَأَنَّمَا	يُلْدَغُهَا بِالْكَأَوِيَاتِ طَبِيبُ
بُلَيْتَ وَأَبْلَانِي اغْتَرَابِي وَنَأْيِهِ	وَطُولُ مِقَامِي بِالْحَجَازِ أَجُوبُ
وَأَهْلِي بِأَقْصَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ دَارُهُمْ	وَمَنْ دُونَهُمْ بَحْرُ أَجَشِّ مَهِيبُ
وَهَوْلُ كَرِيمِهِ لَيْلُهُ كُنْهَارُهُ	وَسَيَرُ حَثِيثٍ لِلرُّكَّابِ دُؤُوبُ
فَمَا الدَّاءُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِغَرْبِي	وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ يُقَالَ غَرِيبُ
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنُ لَيْلَةً	بَأَكْنَفِ نَهْرِ الثَّلْجِ حِينَ يَصُوبُ
وَحَوْلِي أَصْحَابِي وَبَنْتِي وَأُمُّهَا	وَمَعَشَرُ أَهْلِي وَالرُّؤُوفُ مُجِيبُ

(١) هو كتاب «ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك».

(٢) الأبيات غير واردة في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي.

وكتب إلى الأمير عبد الرحمن في ليلة عاشوراء<sup>(١)</sup>: [البسيط]

لا تَنْسَ لا يُنْسِكَ الرَّحْمَنُ عاشورا<sup>(٢)</sup>      وأذكُرُهُ لا زِلْتُ في الأحياء<sup>(٣)</sup> مذكُورا  
قال الرسول<sup>(٤)</sup>، صلاةُ الله تَشْمَلُهُ،      قَوْلًا وَجَدْنَا عليه الحَقُّ والثُورا  
مَنْ باتَ في لَيْلِ عاشوراءَ ذا سَعَةٍ      يَكُنْ بَعِيشُهُ في الحَوْلِ مَحْبُورا  
فازْعَبْ، فَدَيْتُكَ، فيما فيه رَغَبُنَا<sup>(٥)</sup>      خَيْرُ الْوَرَى كُلُّهُمْ حَيًّا وَمَقْبُورا

وفاته: توفي في ذي الحجة سنة ثمانٍ وثلاثين، وقيل: تسع وثلاثين ومايتين<sup>(٦)</sup>. قال ابن خَلَف: كان يقول في دعائه: إن كنت يا رب راضيا عني، فاقبضني إليك قبل انقضاء سنة ثمانٍ وثلاثين، فقبضه الله في أحب الشهور إليه، رمضان من عام ثمانية وثلاثين، وهو ابن أربع وستين سنة<sup>(٧)</sup>، وصلى عليه ولده محمد، ودفن بمقبرة أم سلمة بقبلي محراب مسجد الضيافة من قرطبة. قالوا: والخبر متصل، إنه وجد جسده وكَفَنَهُ وافرین لم يتغيّرًا بعد وفاته، بتسع وأربعين سنة، وقُطعت من كفيه قطعة رُفعت إلى الأمير عبد الله، وذلك عندما دُفن محمد بن وضاح إلى جنبه، رحمهم الله. ورثاه أبو عبد الله الرشاش وغيره، فقال: [الطويل]

لئن أَخَذْتُ مَنّا المَنايا مُهَذَّبًا      وقد قَلَّ فيها من يُقالُ المُهَذَّبُ  
لقد طاب فيه الموتُ والموتُ غَبِطَةً      لمن هو مَغْمُومُ الفؤادِ مُعَذَّبُ  
ولأحمد بن ساهي فيه: [البسيط]

ماذا تَضَمَّنَ قَبْرُ أَنْتَ ساكُنُهُ      من التَّقَى والتُّدى يا خيرَ مَفقود  
عجبتُ للأرضِ في أنْ غَيَّبَتْكَ وقد      ملأَتْها جِكمًا في البيضِ والسُّود

قلت: فلو لم يكن من المفakhir الغرناطية إلا هذا الخبر لكفى.

(١) الأبيات الأول والثالث والرابع في البيان المغرب (ج ٢ ص ١١١)، والبيتان الأول والثاني فقط في نفح الطيب (ج ٢ ص ٢٢٦)، كتبها إلى أمير الأندلس عبد الرحمن بن الحكم، المعروف بعبد الرحمن الثاني.

(٢) في الأصل: «عاشوراء» والتصويب من المصدرين.

(٣) في البيان المغرب: «في الأخيار». وفي النفح: «في التاريخ».

(٤) في النفح: «النبي». (٥) في البيان المغرب: «رَغَبُنَا».

(٦) في جذوة المقتبس (ص ٢٨٣) وبغية الملتبس (ص ٣٧٧): توفي بقرطبة في شهر رمضان سنة ٢٣٨ هـ، وقيل: يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٢٣٩ هـ.

(٧) في مطعم الأنفس (ص ٢٣٥): توفي في رمضان سنة ٢٣٨ هـ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. وفي معجم البلدان (ج ١ ص ٢٤٥): توفي سنة ٢٣٨ هـ. بعلّة الحصى عن أربع وستين سنة.

## ومن الطارئین علیها

عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السّداد الأموي المالقي،  
الشهير بالباهلي<sup>(١)</sup>

حاله: كان، رحمه الله، بعيد المدى، منقطع القرين في الدين المتين والصلاح، وسكون النفس، ولين الجانب، والتواضع، وحسن الخلق، إلى وسامة الصورة، وملاحة الشّيبة، وطيب القراءة، مولى الثّمة على الطّلبة من أهل بلده، أستاذًا حافلًا، متفتنًا، مضطلعًا، إمامًا في القراءات، حائزًا خُصل السباق إتقانًا، وأداءً، ومعرفةً، وروايةً، وتحقيقًا، ماهرًا في صناعة النحو، فقيهاً، أصوليًا، حسن التعليم، مستمرّ القراءة، فسيح التّخليق، نافعا، متحببًا، مقسوم الأزمنة على العلم وأهله، كثير الخضوع والخشوع، قريب الدّفعة. أقرأ عمره، وخطب بالمسجد الأعظم من مالقة، وأخذ عنه الكثير من أهل الأندلس.

مشيخته: قرأ على الأستاذ الإمام أبي جعفر بن الزبير، وكان من مفاخره، وعلى القاضي أبي علي بن أبي الأحوص، وعلى المقرئ الضّرير أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن سالم بن خلف الشّهيلي، والرّواية أبي الحجاج ابن أبي ريحانة المربلي. وكتب له بالإجازة العامة الرّواية أبو الوليد العطار، والإمام أبو عبد الله بن سمعون الطائي. وسمع على الراوية أبي عمر عبد الرحمن بن حوط الله الأنصاري. وقرأ على القاضي أبي القاسم، قاسم بن أحمد بن حسن الجبّري، الشهير بالسّكوت المالقي، وأخذ عن الشيخ الصالح أبي جعفر أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي، وغيرهم ممن يطول ذكرهم. ويحمل عن خاله ولي الله أبي محمد عبد العظيم ابن ولي الله محمد بن أبي الحجاج ابن الشيخ، رحمه الله.

توآلفه: شرح التّيسير في القراءات. وله توآلف غيرُه في القرآن والفقه.

شعره: حدّث الشيخ الفقيه القاضي أبو الحجاج المُتشافري، قال: رأيت في الثّوم أبا محمد الباهلي أيام قراءتي عليه بمالقة في المسجد الجامع بها، وهو قائم يذكر الناس ويعظهم، فعقلتُ من قوله: أتحبسونني غنيًا فقيرًا، أنا فقير، أنا.

(١) ورد ذكر عبد الواحد بن محمد الباهلي في نفح الطيب (ج ٧ ص ٣٦١) و(ج ١٠ ص ٢٦١)، وتقدم ذكره في الجزء الثاني من الإحاطة.

فاستيقظت وقصصتها عليه، فاستغفر الله، وقال: يا بني، حقاً ما رأيت. ثم رفع إلى ثاني يوم تغريفه رُقعة فيها مكتوب: [المتقارب]

لئن ظن قوم من أهل الدنيا	بأن لهم قوة أو غنا
لقد غلطوا جمع <sup>(١)</sup> ما لهم	فتاهوا عقولاً، عموا <sup>(٢)</sup> أغينا
فلا تحسبوني أرى رأيهم	فإنني ضعيف فقير أنا
وليس افتقاري وفقري معا	إلى الخلق ما <sup>(٣)</sup> عند خلق غنى
ولكن إلى خالقي وخده	وفي ذاك عز ونيل المنى
فمن ذل للحق يزقى العلا	ومن ذل للخلق يلق العنا

وفاته: ببلده مالقة، رضي الله عنه، ونفع به، في خامس ذي القعدة من عام خمسة وسبعمائة. وكان الحفل في جنازته عظيماً، وحف الناس بنعشه، وحمله الطلبة وأهل العلم على رؤوسهم. سكن غرناطة وأقرأ بها.

### ومن الكتاب والشعراء في هذا الحرف

عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة  
ابن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي<sup>(٤)</sup>

صاحبنا الكاتب للدولة الغادرة.

حاله: كان<sup>(٥)</sup> هذا الرجل في حال الدعة التي استصحبها، وقبل أن تبعته أيدي الفضول، بعفاف وطهارة، إلى خضل خط، نشط البنان، جلد على العمل. ونظمه وسط، ونشره جمهوري عامي، مبين عن الأغراض. ووُلِّي ببلده الخطابة والقضاء...<sup>(٦)</sup> في الحداثة. ثم انتقل إلى غرناطة، فجأجأت<sup>(٧)</sup> به الكتابة السلطانية

(١) في الأصل: «لقد غلطوا ويحكم بجمع...»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «وعموا»، وكذا ينكسر الوزن. (٣) في الأصل: «فما»، وكذا ينكسر الوزن.

(٤) ترجمة عبد الحق بن محمد بن عطية في الكتيبة الكامنة (ص ٢٦٩). وترجم له المقرئ في نفح الطيب (ج ١٠ ص ١٣٧) وعده من تلاميذ لسان الدين ابن الخطيب ولكن تحت عنوان: «القاضي الكاتب أبو محمد عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي».

(٥) قارن بنفح الطيب (ج ١٠ ص ١٣٧ - ١٣٨).

(٦) بياض في الأصول. وفي النفح: «ووُلِّي الخطابة بالمسجد الأعظم والقضاء سنتين ببلده في حداثة السن».

(٧) جأجأت به الكتابة: دَعَتْه.

باختياري، مُسْتَظْهَرَةٌ مِنْهُ بِبَطْل كَفَايَةٍ، وَبِإِذِلْ حِمْلِ كُفْلَةٍ، فَانْتَقَلَ<sup>(١)</sup> رَئِيسًا فِي غَرَضِ إِعَانَتِي وَانْتِشَالِي مِنَ الْكُفْلَةِ<sup>(٢)</sup>، عَلَى الضَّغْفِ وَالْمَامِ الْمَرَضِ، وَالتَّرْفُعِ عَنِ الْإِبْتِذَالِ، وَالْأَنْفَةِ مِنَ الْإِسْتِخْدَامِ، فَرَفَعَ الْكَلَّ، وَلَطَّفَ مِنَ الدَّوْلَةِ مَحَلَّهُ. ثُمَّ لَمَّا حَالَ الْأَمْرُ، وَخَتَمَ التَّمْحِيصَ، وَتُسَوَّرَتِ الْقَلْعَةُ، وَانْتَشَرَ النَّظْمُ، وَاسْتَأْثَرَ بِهِ الْإِضْطِنَاعُ، كَشَفَتْ الْخَبْرَةُ مِنْهُ عَنْ سَوَاءٍ لَا تُوَارَى، وَعَوَزَةٍ لَا يُزْتَابُ فِي أَشْنَوَعَتِهَا وَلَا يُتَمَارَى، فَسَبَحَانَ مَنْ عَلَّمَ النَّفْسَ فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، إِذْ لَصِقَ بِالذَّائِلِ<sup>(٣)</sup> الْفَاسِقُ، فَكَانَ آلَةُ انتِقَامِهِ، وَجَارِحَةَ صَيْدِهِ، وَأَخْبُولَةَ كَيْدِهِ، فَسَفَكَ الدَّمَاءَ، وَهَتَكَ الْأَسْتَارَ، وَمَزَّقَ الْأَسْبَابَ، وَبَدَّلَ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ، وَهُوَ يَزُقُّهُ فِي أُذُنِهِ، فَيَوْمُ<sup>(٤)</sup> النَّصِيحَةِ، وَيَنْحُلُهُ<sup>(٥)</sup> لِقَبِ الْهَدَايَةِ، وَيَبْلُغُ فِي شِدِّ أَرْزِهِ إِلَى الْغَايَةِ: «عُنُونُ عَقْلِ الْفَتَى اخْتِيَارُهُ، يَجْرِي فِي جَمِيلِ<sup>(٦)</sup> دَعْوَتِهِ»، طَوَالًا، أَخْرَقَ، يُسِيءُ السَّمْعَ، وَيَنْسَى<sup>(٧)</sup> الْإِجَابَةَ، بِدَوِيًّا، قُحَا، جَهْورِيًّا، ذَاهِلًا عَنْ عَوَاقِبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، طَرْفًا فِي سُوءِ الْعَهْدِ، وَقَلَّةِ الْوَفَاءِ، مَرْدُودًا فِي الْحَافِزَةِ<sup>(٨)</sup>، مُنْسَلَخًا مِنْ آيَةِ السَّعَادَةِ، تَشْهَدُ عَلَيْهِ بِالْجَهْلِ<sup>(٩)</sup> يَدُهُ، وَيَقِيمُ عَلَيْهِ الْحُجْجَ شَرُّهُ، وَتَبَوُّهُ<sup>(١٠)</sup> هَفْوَاتِ النَّدَمِ جَهَالَتِهِ. ثُمَّ أَسْلَمَ الْمَحْرُومُ مُضْطَنَعَهُ، أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ، وَتَبَرَّأَ مِنْهُ، وَلَحِقَتْهُ بَعْدَهُ مُطَالِبَةٌ مَالِيَّةٌ، لَقِيَ لِأَجْلِهَا ضَغْطًا. وَهُوَ الْآنَ بِحَالِ خِزْيٍ، وَاحْتِقَابِ تَبِعَاتٍ، خَلَّصَنَا اللَّهُ مِنْ وَرَطَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

أُولَيْتَهُ وَشِيُوخَهُ: وَبَسَطَ كَثِيرَ مِنْ مُجْمَلِ حَالِهِ حَسْبَمَا نَقَلْتُ مِنْ خَطِّهِ.

قَالَ يَخَاطِبُنِي بِمَا نَصَّهُ<sup>(١١)</sup>: [البسيط]

يَا سَيِّدَا، فَاقْ فِي مَجْدٍ وَفِي شَرَفٍ  
وَفَاتَ سَبَقًا بِفَضْلِ الذَّاتِ وَالسَّلَفِ  
وَفَاضِلًا عَنْ سَبِيلِ الدَّمِّ مُنْحَرِفًا  
وَعَنْ سَبِيلِ الْمَعَالِي غَيْرُ مُنْحَرِفٍ

(١) فِي النَّفْحِ: «فَاسْتَقَلَّ».

(٢) فِي النَّفْحِ: «مِنْ هَفْوَةِ الْكُلْفَةِ عَلَى جِلْلِ الضَّعْفِ...».

(٣) فِي النَّفْحِ: «بِالدَّاهِي». وَالدَّاهِي: الْفَاسِقُ، وَالْمُرَادُ بِهِ سُلْطَانُ بَنِي نَصْرٍ، الَّذِي هَرَبَ مِنْهُ لِسَانُ الدِّينِ ابْنِ الْخَطِيبِ إِلَى الْمَغْرِبِ.

(٤) فِي النَّفْحِ: «زَقُومُ النَّصِيحَةِ». وَالزَّقُومُ: شَجَرَةٌ فِي جَهَنَّمَ، مِنْهَا طَعَامُ أَهْلِ النَّارِ.

(٥) فِي النَّفْحِ: «وَيَسْتَحْلُهُ». (٦) فِي النَّفْحِ: «سَبِيلٌ».

(٧) فِي النَّفْحِ: «فَيْسِيءٌ». (٨) فِي النَّفْحِ: «الْحَافِزَةُ» بِالرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ..

(٩) فِي الْأَصْلِ: «بِالْحَمْلِ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ. (١٠) فِي النَّفْحِ: «وَتَبَوُّهُ» وَالتَّصْوِيبُ مِنَ النَّفْحِ.

(١١) الْقَصِيدَةُ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (ج ١٠ ص ١٣٨ - ١٣٩).

وَتُخَفِّةَ الزَّمَنِ الْآتِي بِهِ<sup>(١)</sup> فَلَقَدْ  
 أَزْبَى<sup>(٢)</sup> بِمَا حَازَهُ مِنْهَا عَلَى التُّخَفِ  
 وَمَغْدِنًا لِنَفْسِ الدُّرِّ فَهُوَ لِمَا  
 حَوَاهِ مِنْهُ لَدَى التَّشْبِيهِ كَالصُّدْفِ  
 وَبَخَرَ عِلْمِ<sup>(٣)</sup> جَمِيعِ النَّاسِ مُغْتَرَفٌ  
 مِنْهُ، وَنَيْلُ الْمَعَالِي حِظٌّ مُغْتَرَفٌ<sup>(٤)</sup>  
 وَسَابِقًا بَدَأَ أَهْلَ الْعَصْرِ قَاطِبَةً  
 فَالْكُلُّ فِي ذَاكَ مِنْهُمْ غَيْرَ مُخْتَلَفٍ  
 مَنْ ذَا يُخَالَفُ فِي نَارٍ عَلَى عِلْمٍ  
 أَوْ يَجْحَدُ الشَّمْسَ نَوْرًا وَهُوَ غَيْرُ خَفِيٍّ؟  
 مَا أَنْتَ إِلَّا وَجِيدُ الْعَصْرِ فِي شَيْمٍ  
 وَفِي ذِكَاٍ وَفِي عِلْمٍ وَفِي ظَرْفٍ  
 اللَّهُ مِنْ مُنْتَمٍ لِلْمَجْدِ مُنْتَسِبٍ  
 بِالْفَضْلِ مُتَّسِمٍ، بِالْعِلْمِ مُتَّصِفٍ  
 اللَّهُ مِنْ حَسَبِ عِدٍ وَمِنْ كَرَمٍ  
 قَدْ شَادَهُ السَّلَفُ الْأَخْيَارُ لِلْخَلَفِ  
 إِلَيْهِ أَيَا مَنْ بِهِ تَبْنَأَى<sup>(٥)</sup> الْوَزَارَةُ إِذْ  
 كُنْتَ الْأَحَقُّ بِهَا فِي الذَّاتِ وَالشَّرَفِ  
 يَا صَاحِبَ الْقَلَمِ الْأَعْلَى الَّذِي جُمِعَتْ  
 فِيهِ الْمَعَالِي بِبَعْضِ<sup>(٦)</sup> الْبَعْضِ لَمْ أَصِفْ  
 يَا مَنْ يُقْصَرُ وَضْفِي فِي عُلاهِ وَلَوْ  
 أَنْسَى مَدِيحَ حَبِيبِ<sup>(٧)</sup> فِي أَبِي دُلْفٍ

(١) كلمة «به» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٢) في النفع: «ربا».

(٣) في الأصل: «ويحرر بعلم...» وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٤) في النفع: «تفتخر».

(٥) تَبْنَأَى: تفتخر.

(٦) في النفع: «ببعض».

(٧) في النفع: «ببعض».

(٧) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي.

شَرَّفْتَنِي عِنْدَمَا اسْتَدْعَيْتَ مِنْ قِبَلِي<sup>(١)</sup>  
 نَظْمًا تَدُونُهُ فِي أَبْدَعِ الصُّحُفِ  
 وَرَبِّمَا رَاقٍ تُغَرِّفِي مَبَاسِمَهُ<sup>(٢)</sup>  
 حَتَّى إِذَا نَالَهُ إِيْلَامُ مُرْتَشَفِ  
 أَجَلٍ قَدْزَكَ أَنْ تَرْضَى لِمُنْتَجِعِ  
 بِسَوْءِ كَيْلَتِهِ حَظًّا مَعَ الْحَشَفِ  
 هَذَا، وَلَوْ أَنَّنِي فِيمَا أَتَيْتُ بِهِ  
 نَافَخْتُ فِي الطُّيْبِ زَهَرَ الرُّوضَةِ الْأَنْفِ<sup>(٣)</sup>  
 لَكُنْتُ أَقْضِي إِلَى التَّقْصِيرِ مِنْ خَجَلِ  
 أَخْلَيْتُ<sup>(٤)</sup> بِالْبَعْضِ مِمَّا تَسْتَحِقُّ أَفِي  
 فَحَسْبِي الْعَجْزُ عَمَّا قَدْ أَشْرَتْ بِهِ  
 وَالْعَجْزُ<sup>(٥)</sup> حَثْمًا قُصَارَى كُلِّ مُعْتَرِفِ  
 لَكِنْ أَجْبَنْتُ إِلَى الْمَطْلُوبِ مُنْتَثِلًا  
 وَإِنْ غَدَوْتُ بِمَرْمَى<sup>(٦)</sup> الْقَوْمِ كَالْهَدَفِ  
 فَاَنْظُرْ إِلَيْهَا بَعِينَ الصَّفْحِ عَنْ زَلَلِ  
 وَاجْعَلْ تَصَفُّحَهَا مِنْ جُمْلَةِ الْكُلْفِ  
 بَقِيَتْ لِلدَّهْرِ تَطْوِيهِ وَتَنْشُرُهُ  
 تَسْمُو مِنَ الْعِزِّ بِاسْمٍ غَيْرِ مُنْصَرَفِ

جنتك<sup>(٧)</sup>، أعزك الله، ببضاعة مُزجاة، وأغلقت رجائي من قبولك بأمنية مُرتجاة،  
 وما مثلك يُعامل بسفط المتاع، ولا يُرضى له بالحشف مع بخس المدِّ والصَّاع. لكن  
 فضلك يُغضي عن التَّقْصِيرِ ويسمح، ويتجاوز عن الخطأ ويصفح، وأنت في كل حال  
 إلى الأذنَى من الله أَجْنَح. ولولا أَنَّ إشارتك واجبة الامثال، والمُسَارعة إليها مُقدَّمة  
 على سائر الأعمال، لما أتيتُ بها تَمْشِي على استحياء، ولا عَرَّضْتُ نفسي أن أقف

(١) في النفع: «نظمي».

(٢) في النفع: «تبسمه».

(٣) الروضة الأنف: التي لم يسبق أحد إلى رغبها.

(٤) في النفع: «إذ لست».

(٥) في النفع: «فالعجز».

(٦) في الأصل: «بمرقى» والتصويب من النفع.

(٧) اكتفى في النفع بقوله: «ثم ذكر نثرًا، وأن مولده بوادي آش...».



مَوْقِفِ حِشْمَةٍ وَحَيَاءٍ، فَمَا مَثَلِي فِيمَا أَعْرَضَهُ عَلَيْكَ، أَوْ أَقْدَمَهُ مِنْ هَذَا الْهَذَرِ بَيْنَ يَدَيْكَ، إِلَّا مَثَلُ مَنْ أَهْدَى الْخَرَزَ لَجَالِبِ الدُّرِّ، أَوْ عَارِضَ الْوَشْلَ مَوْجَ الْبَحْرِ، أَوْ كَاثَرَ بِالْحَصَى عَدَدَ الْأَنْجَمِ الزُّهْرِ، عَلَى أَنِّي لَوْ نَظَمْتُ الشُّعْرَى شِعْرًا، وَجِئْتُكَ بِالسُّحْرِ الْحَلَالِ نَظْمًا وَنَثْرًا، وَنَافَحْتُكَ بِمِثْلِ تِلْكَ الرُّوضَةِ الْأَدْبِيَّةِ الَّتِي تَغْبِقُ أَزَاهِرَهَا نَثْرًا، لَمَا وَصَفْتُكَ بِبَعْضِ الْبَعْضِ مِنْ نَفَائِسِ خُلَاكَ، وَلَا وَفَيْتُ مَا يَجِبُ مِنْ نَشْرِ مَآثِرِ عُلَاكَ. فَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِي تِلْكَ الْمَآثِرِ الْعِلْمِيَّةِ، وَالذَّاتِ الْمَوْسُومَةِ بِاسْمِ التَّعْرِيفِ وَالْعِلْمِيَّةِ، أَوْ أُعَبِّرَ عَنْهُ فِي وَصْفِ تِلْكَ الْمَحَاسِنِ الْأَدْبِيَّةِ، وَالْمَفَاخِرِ الْحَسَبِيَّةِ. إِنْ وَصَفْتُ مَا لَكَ مِنْ شَرَفِ الذَّاتِ، مِلْتُ إِلَى الْإِخْتِصَارِ وَقُلْتُ: آيَةٌ مِنَ الْآيَاتِ، وَإِنْ ذَهَبْتُ إِلَى ذِكْرِ مَفَاخِرِكَ الْبَاهِرَةِ الْآيَاتِ، بَلَغْتُ فِي مَدَى الْفَخْرِ وَالْحَسَبِ إِلَى أَبْعَدِ الْغَايَاتِ، وَإِنْ حَلَيْتُكَ بِبَعْضِ الْحُلَى وَالصُّفَاتِ، سَلَبْتُ مَحَاسِنَ الرُّوضِ الْأَرِيحِ الثَّقَفَاتِ. فَكَمْ لَكَ مِنَ التَّصَانِيفِ الرَّائِقَةِ، وَالبَدَائِعِ الْفَائِقَةِ، وَالْآدَابِ الْبَارِعَةِ، وَالْمَحَاسِنِ الْجَامِعَةِ. فَمَا شَتَّ مِنْ حَدَائِقِ ذَاتٍ بِهَجَةٍ كَأَنَّمَا جَاذَتْهَا سُحُبُ نَيْسَانَ، وَجَنَّتْ ثَمَرَاتُهَا صِنْوَانَ وَغَيْرُ صِنْوَانَ، تُزْرِي بِبَدَائِعِ بَدِيعِ الزَّمَانِ، وَتُخْجَلُ الرُّوضُ كَمَا يُخْجَلُ الْوَرْدُ ابْتِسَامَ الْأَقْحَوَانِ. نَظَمْتُ كَمَا أَنْثَرَ الدُّرَّ، وَنَثَرْتُ تَتَمَنَّى الْجُوزَاءُ أَنْ تَتَقَلَّدَهُ وَالْأَنْجَمُ الزُّهْرَ، وَمَعَانٍ أَرْقُ مِنْ نَسِيمِ الْأَسْحَارِ، تَهَبُّ عَلَى صَفْحَاتِ الْأَزْهَارِ. فَأَهْلًا بِكَ يَا رَوْضَةَ الْآدَابِ، وَرَبَّ الْبَلَاغَةِ الَّتِي شَمْسُ آيَاتِهَا لَا تَتَوَارَى بِالْحِجَابِ، فَمَا أَنْتِ إِلَّا حَسَنَةُ الزَّمَانِ، وَمَالِكُ أَرِمَةِ الْبَيَانِ، وَسَبَاقُ غَايَاتِ الْحَسَنِ وَالْإِحْسَانِ. وَقَدْ وَجَدْتُ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فِي أَوْصَافِكَ، وَمَا فِي تَحْلِيكِ بِالْفَضَائِلِ وَاتِّصَافِكَ. لَكِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي لَوْ مَدَدْتُ فِي ذَلِكَ بَاعَ الْإِطْنَابِ، وَأَتَيْتُ فِيهِ بِالْعَجَبِ الْعَجَابِ، فَلَيْسَ لِي إِلَّا تَقْصِيرٌ عَنِ الْمُطَاوَلَةِ وَإِمْسَاكِ، وَالْعَجْزُ عَنْ دَرْكِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكِ. إِلَيْهَا السَّيِّدُ الْأَعْلَى، وَالْفَاضِلُ الَّذِي لَهُ فِي قِدَاحِ الْفَخْرِ الْقِدْحُ الْمُعْلَى، فَإِنَّكَ أَمَرْتَ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ لِتَعْرِيفِ بِنَفْسِي وَمَوْلَدِي، وَذَكَرَ أَشْيَاخِي الَّذِينَ بِأَنْوَارِهِمْ أَقْتَدِي، فَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا إِنَّمَا هُوَ تَهْمٌ مِنْكَ بِشَانِي، وَجَزِيٌّ عَلَى مُعْتَادِ الْفَضْلِ الَّذِي يَقْصُرُ عَنْهُ لِسَانِي، وَفَضْلُ جَمِيلٍ لَا أَزَالُ أُجْرِي فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ مِلْءَ عِنَانِي. وَإِلَّا فَمَنْ أَنَا فِي النَّاسِ حَتَّى أُتْسَبَ، أَوْ مَنْ يَذْهَبُ إِلَّا أَنْتَ هَذَا الْمَذْهَبُ؟

أما التعريف بنفسي، فأبدأ فيه باسم أبي: هو أبو القاسم محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي. وجدي عطية هو الداخل إلى الأندلس عام الفتح، نزل بالبيرة، وبها تفرع من تفرع من عقبه، إلى أن انتقلوا إلى غرناطة، فتأهل بها حالهم، واستمر بها

استيطانهم، إلى حدود المائة السابعة، فَتَسَبَّبَ في الانتقال مَنْ بقي منهم، وهو جدِّي الأقرب الأنساب، وقضى ارتحاله إلى مدينة وادي آش، ولكل أجل كتاب، وذلك أنه استَقْضِي بنظر ما في دولة أمير المسلمين الغالب بالله<sup>(١)</sup>، أول ملوك هذه الدولة النصرية، نصر الله خَلَفَها، ورحم سَلَفَها، فاتخذ فيها صِهْرًا ونَسَبًا، وكان ذلك لاسْتِيطانِه بها سببًا، واستمرَّ مَقامه بها إلى أن ارتحل إلى المشرق لأداء الفريضة فكان إلى أشرف الحالات مُرْتَحِلَه، وقضى في إيباه من الحج أمله. واستمرَّت به الاستيطان، وتعدَّرت بعوده إلى غرناطة بعدما ثَبَّتَ فيها الأوطان. على أنه لم يَغْدَم من الله السُّرَّ الجميل، ولا حظَّ من عنايته بإيصال النُّعْمة كَفِيل، فإنه سبحانه حَفِظَ مَنْ سَلَفَ فيمن خَلَفَ، وجعلهم في حال الاغتراب فيمن اشتهر بنباهة الحال وأنصف، وقَيَّضَ لمصاهرتهم من خيار المجد والشرف، وبذلك حَفِظَ الله بيتهم، وشَمَلَ باتصال النُّعْمة حيَّهم ومَيَّتَهم. فالحمد لله، بجميع محامده، على جميل عوائده. وتخلَّفَ بوادي آش أبي وأعمامي، تغمَّدهم الله وإياي برحمته، وجمع شملنا في جَنَّتِه.

وأما التعريف بهم، فأنت أبقاك الله، بمن سَلَفَ قديمًا منهم أعلم، وسبيلك في معرفتهم أجدى وأقوم، بما وهبكم الله من عوارف المعارف، وجعل لكم من الإحاطة بالتالد منها والطارف. وأما مَنْ لم يقع به تعريف، ممن بَغْدَهم، فمن أَقْتَفَى رَسْمَهم في الطريقة العلمية، ولم يتجاوز جَدَّهم، وهو جدِّي أبو بكر عبد الله بن طلحة ورابع أجدادي. كان، رحمه الله، ممن جرى على سُنَنِ آبائه، وقام بالعلم أحسن قيام ونهض بأغبائه. أَلَفَ كتابًا في «الرفائق»، ففات في شَأْوه سبق السابق، وتصدَّر ببلده للفتيا، وانتفع به الناس، وكان شيخهم المُقَدَّم. ولم أَقِفْ على تاريخ مولده ولا وفاته، غير أنه توفي في حدود المائة الخامسة، رحمه الله. وأما مَنْ بيني وبينه من الآباء، كجدِّي الأقرب وأبيه ومن خَلَفَه من بنيه، فما منهم من بلغ رُتْبَةَ السَّابِق، ولا قَصُرَ أيضًا عن درجة الآحق، وإنما أخذ في الطلب بِنَصِيب، ورمى فيه بَسْهم مُصِيب.

وأما مولدي<sup>(٢)</sup>، فبوادي آش، في أواخر عام تسعة وسبعمائة. وفي عام ثلاثة وعشرين، ابتدأت القراءة على الأستاذ أبي عبد الله الطُّرْسُوني وغيره ممن يأتي ذكره. ثم كتبت بعد ستة أعوام على مَنْ وَلِيَهَا من القضاة، أولي العدالة والسَّير المرتضاة،

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف، أول سلاطين بني نصر بغرناطة، حكم من سنة ٦٣٥ هـ إلى سنة ٦٧١ هـ. اللوحة البدرية (ص ٤٢).

(٢) قارن بنفح الطيب (ج ١٠ ص ١٣٩).

ولم يطل العهد حتى تقدّمت في جامعها الأعظم خطيباً وإماماً، وارتسمت في هذه الخُطّة التي ما زالت على مَنْ أحسن تماماً، وذلك في أواخر عام ثمانية وثلاثين. ثم وُلّيت القضاء بها، وبما يرجع إليها من النّظر، في شهر ربيع الأول من عام ثلاثة وأربعين، واستمرّت الولاية إلى حين انتقالي للحضرة، آخر رجب من عام ستة وخمسين، أسأل الله الإقالة والصّفح عما اقترفت من خطي أو زلل، أو ارتكبته من عمْد وسهُو، في قول أو عمل، بمنّه.

وأما أشياخي، فإني قرأت بالحضرة على الأستاذ الخطيب أبي الحسن القيحاوي، والأستاذ الخطيب أبي القاسم بن جُزي. وبمألقة على الأستاذ القاضي أبي عمرو بن منظور. وبالمريّة على الأستاذ القاضي أبي الحسن بن أبي العيش، وسيدي القاضي أبي البركات ابن الحاج، والأستاذ أبي عثمان بن ليون، وبوادي آش على الأستاذ القاضي أبي عبد الله بن غالب، والأستاذ أبي عامر بن عبد العظيم. على كل هؤلاء قرأت قراءة تفقّه، وعرضتُ على أكثرهم جملة كتب في النحو والفقه والأدب، أكبرها كتاب المقامات للحريري، وأما مَنْ لقيته من المشايخ واستفدت، منهم أبو الحسن بن الجيّاب بالحضرة، وبمألقة القاضي أبو عبد الله بن بكر، والقاضي أبو عبد الله بن عيّاش، والأستاذ أبو عبد الله بن حفيد الأمين. ومن لقيته لقاءً بترك، سيدي أبو جعفر بن الزيات ببُلش. وبمألقة الخطيب أبو عبد الله السّاحلي، والصّوفي أبو الطاهر بن صفوان، والمُقرئ أبو القاسم بن درهم. وبالمريّة الخطيب أبو القاسم بن شعيب، والخطيب ابن فرحون. ولقيت أيضاً القاضي أبا جعفر بن فزكون القرشي، والقاضي الخطيب أبا محمد بن الصايغ. وممن رأيته بوادي آش، وأنا إذ ذاك في المكتب، وأخذت بحظّ من التبرّك به، سيدي أبو عبد الله الطنجالي نفع الله به. والحمد لله ربّ العالمين.

شعره: من مطولاته قوله: ومن خطّه نقلت<sup>(١)</sup>: [الطويل]

ألا أيّها اللّيلُ البطيئُ الكواكب	متى يَنجلي ضُبْحُ بَنَيْلِ المَارِبِ؟
وحتى متى أزعى النجومَ مُراقبا	فمن طالع منها على إثر غاربٍ <sup>(٢)</sup>
أحدتُ نفسي أن أرى الرُّكْبَ سائرا	وذنبِي يُقْصِيني بأقصى المغاربِ

(١) القصيدة في نفع الطيب (ج ١٠ ص ١٣٩ - ١٤١).

(٢) أخذه من قول ابن خفاجة: [الطويل]

وحتى متى أرى الكواكب ساهراً  
فمن طالع، أخرى الليالي، وغاربِ  
ديوان ابن خفاجة (ص ٤٣).

فلا فُزْتُ مِنْ نَيْلِ الْأَمَانِي بِطَائِلٍ  
وَكَمْ<sup>(٢)</sup> حَدَّثَنِي النَّفْسُ أَنْ أَبْلَغَ الْمُنَى  
وَمَا قَصَّرَتْ بِي عَنْ زِيَارَةِ قَبْرِه  
وَلَا حُبُّ أَوْطَانٍ نَبَتْ بِي رُبُوعَهَا  
وَلَكِنْ ذُنُوبٌ أَثْقَلَتْنِي فِيهَا أَنَا  
إِلَيْكَ، رَسُولَ اللَّهِ، شَوْقِي مُجَدِّدًا<sup>(٤)</sup>  
وَأَعْمَلْتُ<sup>(٥)</sup> فِي تِلْكَ الْأَبَاطِاحِ وَالرُّبَى  
وَقَضَيْتُ مِنْ لَثَمِ الْبَقِيعِ لُبَانَتِي  
وَرَوَيْتُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمِ<sup>(٧)</sup> غُلَّتِي  
حَبِيبِي شَفِيعِي مُنْتَهَى غَايَتِي الَّتِي  
مُحَمَّدُ الْمُخْتَارُ وَالْحَاشِرُ الَّذِي  
رَوْفٌ رَحِيمٌ خَصَّهُ<sup>(٩)</sup> اللَّهُ بِاسْمِهِ  
رَسُولٌ كَرِيمٌ رَفَعَ اللَّهُ قَدْرَهُ  
وَشَرَّفَهُ أَضْلًا وَقَزَعًا وَمَخْتَدًا  
سِرَاجُ الْهُدَى ذُو الْجَاهِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَا  
هُوَ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ  
هُوَ الْأَمَدُ الْأَقْصَى هُوَ الْمَلْجَأُ الَّذِي  
إِمَامُ النَّبِيِّينَ الْكَرَامِ، وَإِنَّهُ  
بَشِيرٌ<sup>(١٣)</sup> نَذِيرٌ مُفْضِلٌ مُتَطَوِّلٌ

وَلَا قُفْتُ فِي<sup>(١)</sup> حَقِّ الْحَبِيبِ بِوَاجِبٍ  
وَكَمْ عَلَّلْتَنِي بِالْأَمَانِي الْكَوَاذِبِ  
مُعَاهِدُ أُنْسٍ مِنْ وَصَالِ الْكَوَاعِبِ  
وَلَا ذِكْرُ خِلٍّ خَلٍّ<sup>(٣)</sup> فِيهَا وَصَاحِبِ  
مِنَ الْوَجْدِ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ مِزَاجِي  
فِيَا لَيْتَنِي يَمُمْتُ صَدْرَ الرِّكَائِبِ  
سُرَايَ مُجَدِّدًا بَيْنَ تِلْكَ السَّبَابِيبِ<sup>(٦)</sup>  
وَجُبْتُ الْفَلَاحَ مَا بَيْنَ مَاشٍ وَرَاكِبِ  
فَلِلَّهِ مَا أَشْهَاءُ يَوْمًا لَشَارِبِ!  
أَرْجِي وَمَنْ يَرْجُوهُ لَيْسَ بِخَائِبِ  
بِأَخْمَدَ حَازَ الْحَمْدَ<sup>(٨)</sup> مِنْ كُلِّ جَانِبِ  
وَأَعْظَمُ لَاجٍ<sup>(١٠)</sup> فِي الثَّنَاءِ وَعَاقِبِ  
وَأَعْلَى لَهُ قَدْرًا رَفِيعَ الْجَوَانِبِ  
يَزَاحُمُ أَفَاقَ الشُّهُىِّ بِالْمَنَاكِبِ<sup>(١١)</sup>  
وَحَيْرُ الْوَرَى الْهَادِي الْكَرِيمِ الْمُنَاسِبِ  
وَذُو الْحَسَبِ الْعَدْلِ<sup>(١٢)</sup> الرَّفِيعِ الْمُنَاصِبِ  
يَنَالُ بِهِ مَرْغُوبَهُ كُلُّ رَاغِبٍ  
لَكَائِبُذَرِ فِيهِمْ بَيْنَ تِلْكَ الْمَوَاقِبِ  
سِرَاجٌ مَنِيرٌ بَدُّ نَوْرِ الْكَوَاكِبِ

(١) في الأصل: «من» والتصويب من النفع. (٢) في النفع: «فكم».

(٣) كلمة «خل» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النفع.

(٤) في الأصل: «مجدد» والتصويب من النفع. (٥) في النفع: «فأعملت».

(٦) السباب: جمع سبب وهو الأرض الواسعة التي لا ماء فيها.

(٧) في النفع: «بززم».

(٩) في النفع: «خصنا».

(١٠) في النفع: «وأعظم بماح». والمأحي والعاقب: من أسماء رسول الله ﷺ وكذلك «الحاشر» في البيت السابق.

(١١) في النفع: «السما بالكواكب».

(١٢) في النفع: «العد».

(١٣) في النفع: «شريف».

شريفٌ مُنيفٌ باهرُ القَـضـلِ كاملٌ  
عظيمُ المزايا ما له مِنْ تماثُلٍ<sup>(١)</sup>  
مَلاذٌ منيعٌ ملجأٌ عاصمٌ لمن  
حليمٌ<sup>(٢)</sup> جميلُ الخَلْقِ والخُلُقِ ما له  
وناهيك من فرع نَمَتُهُ أصولُهُ  
أولي الحسبِ العِدُّ الرفيعِ جنابُهُ  
له معجزاتٌ ما لها من مُعارض  
تَحْدِي<sup>(٤)</sup> بهنُّ الخَلْقِ شَرْقًا ومغربا  
فدَوْنُكها كالآتِجِ الزُّهَرِ<sup>(٦)</sup> عِدَّةٌ  
فإحصاؤها<sup>(٨)</sup> مهما تَتَبَّعْتَ مُغَوَّرٌ  
لقد شَرَّفَ اللهُ الوجودَ بِمُرْسَلٍ  
وَشَرَّفَ شَهْرًا فيه مولدُهُ الذي  
فَشَهْرُ ربيعٍ في الشُّهُورِ مَقْدَمٌ  
فلله منه ليلةٌ قد تَلَأَلَتْ  
لِيَهْنِ أميرَ المسلمين بها المُنَى  
على حين أخياها بذكر حبيبِهِ  
وَأَلْفَ شَمَلًا لِلْمُحِبِّينَ فيهِمْ  
فسوف يُجَازَى عن كريمِ صَنِيعِهِ  
وسوف يُرَبِّه اللهُ في لَهْمٍ<sup>(١٤)</sup> دينه  
فيحُمِي جَمِي الإسلامِ عَمَّنْ يَرُومُهُ

نفيسُ المعالي والخُلَى والمناقبِ  
كريمُ السَّجَايا ما له من مُناسبٍ  
يلوذ به من بين آتٍ وذاهِبٍ  
نظيرٌ، ووصفُ اللهِ حِجَّةٌ غالبٌ  
إلى خيرِ مجدٍ من لؤيِّ بن غالبٍ  
بدور الدِّياجي أو بدور<sup>(٣)</sup> الركائبِ  
وآياتُ صدقٍ ما لها من مُغالبٍ  
وما ذاك عَمَّنْ حاد عنها بغائبٍ<sup>(٥)</sup>  
ونور سَنًا لا يَخْتَفِي<sup>(٧)</sup> لِلْمُرَاقِبِ  
وهل بعد نورِ الشمسِ نورٌ لِطالِبٍ؟  
له في مَقامِ الرُّشْلِ أعلى المراتبِ  
جلا نورُهُ الأَسْنَى دِياجي الغِيَاهِبِ  
فلا عَزَوَ أَنَّ الفَخْرَ<sup>(٩)</sup> ضَرْبُهُ لازِبٌ<sup>(١٠)</sup>  
بنور شهابٍ نَيْرٍ<sup>(١١)</sup> الأَفَقِ ثاقِبٍ<sup>(١٢)</sup>  
وَأَنَّ نال من مولاه أسنى الرِّغائبِ  
وذكر الكرامِ الطاهرينِ الأطايِبِ  
فسار على نَهْجٍ من الرشدِ لاجِبٍ<sup>(١٣)</sup>  
بتخليدِ سُلطانٍ وحُسنِ عواقِبِ  
غرائبِ صُنْعِ فوق كلِّ الغرائبِ  
بُسْمُرِ العوالي أو ببيضِ القواضبِ<sup>(١٥)</sup>

(١) في النفع: «مماثل».

(٣) في النفع: «أو صدور الكتاب».

(٢) في النفع: «جليل».

(٤) في الأصل: «تَهْدِي» والتصويب من النفع.

(٥) في الأصل: «بعايب» والتصويب من النفع.

(٦) في النفع: «الشَّهْب».

(٧) في الأصل: «تختفي» والتصويب من النفع.

(٨) في النفع: «وإحصاؤها».

(٩) في الأصل: «الفخر»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من النفع.

(١٠) ضربة لازب: أي لازمة لا بُدَّ من حصولها.

(١١) في النفع: «بين».

(١٢) في النفع: «شاهب».

(١٤) في النفع: «نصر».

(١٥) القواضب: السيوف القاطعة، واحدها قاضب.

ويعتز دينُ الله شرقًا ومغربًا  
إلهي، ما لي بعد رحماك مَطْلَبُ  
سوى زُورَةِ القَبْرِ الشريف وإنها<sup>(١)</sup>  
عليه سلامُ الله ما لآخِ كوكبٍ

وقال في غرض المدح والتَّهنئة بعرض الجيش، وتضمن ذلك وصف حاله في انتقاله إلى الحضرة: [البسيط]

يا قاطعَ البِيدِ يَطْوِي السَّهْلَ والجَبَلَا  
يَبْكِي بِأَفَاقٍ<sup>(٢)</sup> أَرْضٍ لَا يُؤَانِسُهُ<sup>(٣)</sup>  
أَوْ ظَنِّيَّةٌ أَذْكَرَتْ عَهْدَ التَّوَاصِلِ تَخُ  
أَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي تِلْكَ اللَّحَاطِ فَقَدْ  
أَوْ هَادِلٍ فَوْقَ غُصْنِ الْبَانِ تَخْسَبُهُ  
أَوْ لَامِعِ الْبَرْقِ إِذْ تَحْكِي إِنْارَتَهُ  
مَاذَا عَسَى أَنْ تُقْضِيَ مِنْ زَمَانِكَ فِي  
وَكَمْ مَعَالِمِ أَرْضٍ أَوْ مَجَاهِلِهَا  
إِنْ كُنْتَ تَأْمُلُ عَزًّا لَا نَظِيرَ لَهُ  
فَالْعَزُّ مَرْسَى بَعِيدٌ لَا يُنَالُ سِوَى  
وَالدُّرُّ فِي صَدْفٍ قَلْتُ نَفَاسَتُهُ  
فَارِبًا بِنَفْسِكَ عَنْ أَهْلِ وَطَنِ  
وَأَنْسَ الدِّيَارَ الَّتِي مِنْهَا نَأَى وَطَنِي  
وَعَدَّ عَنْ ذِكْرِ مَخْبُوبٍ شُغِفَتْ بِهِ  
وَاقْصِدْ إِلَى الْحَضْرَةِ الْعَلْيَا وَحُطَّ بِهَا  
غَرْنَاطَةٌ لَا عَفَا رَسْمُ بِهَا أَبَدًا

وَمُنْضِيًّا فِي الْفَيَافِي الْخَيْلِ وَالْإِبِلَا  
إِلَّا تَذْكُرُ عَهْدَ الْحَبِيبِ خَلَا  
كِي لِلْحَاطِ<sup>(٤)</sup> الَّتِي عَاهَدَتْ وَالْمُقْلَا  
أَزْبَى بِهَا الْحُسْنُ عَنْ ضَرْبِ الْمَهَامِثَا  
صَبَا لِفَقْدِ حَبِيبٍ بَانَ قَدْ ثَكَلَا  
كَفًا حَضِيبًا مُشِيرًا بِالَّذِي عَدَلَا  
قَطَعَ الْمَهَامَةَ تَرْجُو أَنْ تَنَالَ عُلا؟  
قَطَعَتْهَا لَا تَمَلُّ الرِّيثَ وَالْعَجَلَا  
وَتَبْتَغِي السُّؤْلَ فِيمَا شَتَّتَ وَالْأَمَلَا  
بِعِزَمٍ مَنْ شَدَّ عِزْمَ الْبَيْنِ وَارْتَحَلَا  
وَلَمْ يَبْنِ فَخْرُهُ إِلَّا إِذَا انْتَقَلَا  
.....<sup>(٥)</sup>

وَعَهْدَ أَنْسَ بِهِ قَلْبُ الْمُحِبِّ سَلَا  
وَلَا تَلُمُ<sup>(٦)</sup> بِهِ مَذْحَا وَلَا عَزَلَا  
رَخَلَا وَلَا تَبْغِ عَنْ أَرْجَائِهَا حَوْلَا  
وَلَا سَلَا قَلْبُ مَنْ يَبْغِي بِهَا بَدَلَا

(١) في النسخ: «وإنه».

(٢) في الأصل: «في آفاق»، وكذا ينكسر الوزن.

(٣) في النسخ: «رافق».

(٤) في الأصل: «يؤنسه»، وكذا ينكسر الوزن.

(٥) في الأصل: «للحاط» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٦) بياض في الأصول.

(٧) في الأصل: «تلم» بسكون الميم، وكذا ينكسر الوزن.

فهي التي شرف الله الأنام بمن  
 خليفة الله مولانا ومولنا  
 محمد بن أبي الحجاج أفضل من  
 من آل نضر أولى الملك الذي بهرت  
 هو الذي شرف الله البلاد ومن  
 أقام عدلاً ورفقاً في رعيته  
 فهو المجر به من لا مجير له  
 إن المدائح طراً لا تفي أبداً  
 بالحزم والفهم والإقدام شيمته  
 إن قال أجمل في قول وأبدعه  
 يولي الجميل ويغطي عز نائله  
 من سائلي عن بني نصر فما أحد  
 هم الذين إذا ما استمنحوا منحوا  
 هم الألى مهّدوا أجزاء أندلس  
 فإن تسأل عنهم يوم الزمان فلم  
 من ذا يجاريهم في كل مكرمة  
 مولاي، يا خير من للنضر قد رُفعت  
 لله عيني لما أبصرتك وقد  
 وانت في قبة يسمو بها عمدة  
 والجيش يغشى عيون الخلق منظره  
 لا غزو أن شعاع الشمس يشمل ما  
 وراية النصر والتأييد خافقة  
 والخيّل قد كسيّت أثواب زينتها  
 ترى الحماة عليها يوم عرضهم  
 فمن رماة قسي العزب عدتها

في مقعد الملك من حمرائها نزلاً  
 وخير من أمن الأرجاء والسبلا  
 قد قام فينا بحق الله إذ عدلاً  
 علاه كالشمس لما حلت الحملا  
 فيها بدولته إذ فاقته الدولاً  
 وكان أرحم من آوى ومن كفلاً  
 لم يخش إخن الليالي فادحاً جللاً  
 ببعض ما قد تحلّ من نفيس علا  
 والجود ممّا على أوصافه اشتملاً  
 والفعل أجمل منه كلما فعلاً  
 من قد رجاه ولا استجدى ولا سألأ  
 منهم بأبلغ منهم كلما سئلاً  
 أسنى العطاء<sup>(١)</sup> وأبدوا بعده الخجلاً  
 إذ حكموا في الأعادي البيض والأملا  
 يعدل بأحدثهم في سنّه بطلاً  
 أيثبه البحر في تمثيله الوشلاً؟  
 رايأته ولواء الفخر قد حملاً  
 أعددت بين يديك الخيل والخولاً  
 أقام منا لأمر<sup>(٢)</sup> الدين فاعتدلاً  
 لما اكتسى منك نور الحق مكتملاً  
 أضحى عليه إذا ما لاح مئسداً  
 قد أسبل الله منها النضر فأنسداً  
 فمن براقيها قد أليست حللاً  
 يمشون من فرط زهو مشية الخيلا  
 تخكي الأهله مهنما نورها اكتملاً

(١) في الأصل: «العطا»، وكذا ينكسر الوزن.

(٢) في الأصل: «دامر»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

وَمِنْ كُـمَـاءِ شِدَادِ الْبَـأْسِ شَأْنُهُمْ  
يَسْغِدُكَ انتَظَمْتَ تِلْكَ الْجِيُوشُ لَأَنْ  
وَحَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَا أَنْتَ نَاصِرُهُ  
لَا زِلَّتْ تَزْدَادُ بِي<sup>(١)</sup> تُغْمَى مَضَاعِفُهُ

ومن ذلك قوله: [البسيط]

يا عاذلي في الهوى، أَقْصِرْ عَنِ الْعَذْلِ  
فَكَيْفَ أَضْغِي إِلَى عَذْلِ الْعَذُولِ وَقَدْ  
تَمَلَّكْتُهُ كَمَا شَاءَتْ بِنَظَرَتِهَا  
مُغْبِرَةً عَنِ نَفِيسِ الدُّرِّ فَاضِحَةً  
مِنْ نَوْرِ غُرَّتِهَا شَمْسٌ تَرُوقُ سَتَى  
يَا حَبْدَا عَهْدُنَا وَالشُّنْلُ مُنْتَظِمٌ  
أَيَّامَ أَعْيُنِ هَذَا الدَّهْرِ نَائِمَةٌ  
وَحَبْدَا أَرْبُعٌ قَدْ طَالَ مَا نَظَّمْتَ  
قَضِيْتُ مِنْهَا أَمَانِي النَّفْسِ فِي دَعَا  
سَطَا الْغَمَامِ رُبَاهَا كُلُّ مُنْهَمِرٍ  
وَجَادَهَا مِنْ سَمَاءِ الْجُودِ صَوْبُ حَيَا  
خَلِيفَةِ اللَّهِ وَالْمَاجِي بِسِيرَتِهِ  
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحِجَاجِ أَفْضَلُ مِنْ  
وَالْبَاعِثِ الْجَيْشِ فِي سَهْلٍ وَفِي جَبَلٍ  
مِنْ آلِ نَصْرٍ أُولِي الْفَخْرِ الَّذِينَ لَهُمْ  
مَهْمَا أَرَذْتَ غَنَاءً فِي الْأُمُورِ بِهِ  
لَنْ يَسْتَظِلَّ بِعَلِيَّاهُ أَخُو أَمَلٍ  
وَلَا اسْتَجَارَ بِهِ مَنْ لَا مُجِيرَ لَهُ  
يُتِمَّى إِلَى مَعْشَرِ شَادِ الْإِلَهِ لَهُمْ  
بِمُلْكِهِمْ قَدْ تَحَلَّى الدَّهْرُ فَهُوَ بِهِ

أَنْ يَعْـمَلُوا الْبَيْضَ وَالْخَطِيئَةَ الذُّبْلَا  
أَسْهَمْتَ فِي نَظْمِهَا أَسْلَافَكَ الْأَوَّلَا  
مَا عَاقَبْتَ بُكْرَ مِنْ دَهْرِنَا الْأَصْلَا  
لِتَمَلَأَ الْأَرْضُ مِنْهَا السَّهْلُ وَالْجَبَلَا

وعن حديثي مع المحبوب لا تسَلِ  
تَقْلُصْ الْقَلْبَ مِنِّي صَائِدَ الْمُقْلِ؟  
فَتَانَةُ الطَّرْفِ وَالْأَلْحَاطِ تَنْهَدِلُ  
بِقُدَّهَا الْغَضُّ أَلْمِيَّاسُ<sup>(٢)</sup> فِي الْمَيْلِ  
تَحْتَلُّ مِنْهَا مَحَلُّ الشَّمْسِ فِي الْحَمَلِ  
بِجَانِبِ الْغُورِ فِي أَيَّامِنَا الْأَوَّلِ  
عَنَّا وَأَحْدَاثُهُ مَتَا عَلَى وَجَلٍ  
عَقْدُ التَّوَاصِلِ فِي عَيْشٍ بِهَا خَضِلُ  
مِنْ الزَّمَانِ مُوَفَّى الْأَنْسِ وَالْجَذَلِ  
وَكَمْ سَطَنَتْهَا دَمُوعِي كُلُّ مُنْهَمِلٍ  
بِالْعَارِضِ الْهَظَلِ ابْنِ الْعَارِضِ الْهَظَلِ  
رَسْمُ الضَّلَالِ وَمُخَيِّبِ وَاضِحِ الشُّبْلِ  
سَارَتْ أَحَادِيثُ عَلَيْهِ سُرَى الْمَثَلِ  
حَتَّى تُغْصَ نَوَاحِي السَّهْلِ وَالْجَبَلِ  
مِزْيَةُ أَوْرَثَتْ مِنْ خَاتَمِ الرِّسْلِ  
شَاهَدَتْ مِنْهُ جَمِيعَ الْخَلْقِ فِي رَجُلٍ  
إِلَّا غَدَا تَحْتَ ظِلِّ مِنْهُ مُنْسَدِلٍ  
إِلَّا كَفَاهُ انْتِيَابُ الْحَادِثِ الْجَلَلِ  
مُلْكَا عَلَى سَالِفِ الْأَغْصَارِ لَمْ يَزَلِ  
وَاللَّهُ وَالِيهِ لَا يَخْشَى مِنَ الْعَطَلِ

(١) في الأصل: «بها»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.

(٢) في الأصل: «المياس»، وكذا ينكسر الوزن، لذا جعلنا همزة الوصل همزة قطع.



هُمُ الْأَلَى نَصَرُوا أَرْجَاءَ أُنْدَلَسِ  
 هُمُ الْأَلَى مَهَّدُوا دِينَ الْهَدَى فَسَمَتْ  
 مَنْ أُمَّهُمْ صَادِي الْأَمَالِ نَالِ بِهِمْ  
 أَوْ أُمَّهُمْ صَاحِبًا أَضْحَى يُجَرَّرُ مِنْ  
 إِنَّ الْفَضَائِلَ أَضَحَّتْ لِاسْمِهِ تَبَعًا  
 مَوْلَايَ، خُذْهَا تَرُوقُ السَّامِعِينَ لَهَا  
 لَكِنِّي بِاعْتِبَارِ عَظْمِ مَلِكِكَ لَمْ  
 فَإِنْ خَبِرْتُ كَذَاكَ الْخَلْقَ أَجْمَعَهُمْ  
 لَا زِلْتُ فَخْرَ مَلُوكِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ  
 وَدُمْتُ لِلدَّهْرِ تَطْوِيهِ وَتَنْشُرُهُ

بِالْمَشْرِفِيَّاتِ وَالْخَطِيئَةِ الدُّبُلِ  
 فِي الْخَلْقِ مِلَّتُهُ الْعَلِيَا عَلَى الْمِلَلِ  
 جَوْدًا كَفِيلًا لَهُ بِالْمَغْلِ وَالْثَّهْلِ  
 فَضْلُ النُّوَالِ ذِيُولِ الْوَشْيِ وَالْحُلِّ  
 كَالْتُّغَةِ وَالْعَطْفِ<sup>(١)</sup> وَالتَّكْيِيدِ وَالْبَدَلِ  
 بِمَا أَجَادَتْهُ مِنْ مَدَحٍ وَمِنْ غَزَلٍ  
 أَجِدُ لَعَمْرِي فِي مَذْحِي وَلَمْ أُطِلْ  
 سَيَّانَ مُحْتَفِلٍ أَوْ غَيْرِ مُحْتَفِلٍ  
 تَسْمُوكِ الدَّوْلَةِ الْعَلِيَاءِ<sup>(٢)</sup> عَلَى الدَّوْلِ  
 مُبْلَغًا كَلَّمَا تَبْنَعِي مِنَ الْأَمَلِ

ومن ذلك ما نظمه لِيُنْقَشَ في بعض المباني التي أنشأها<sup>(٣)</sup>: [الطويل]

أَنَا مَضْنَعٌ قَدْ فَاقَ كُلَّ الْمَصَانِعِ  
 فَرَسَمِي، إِذَا حَقَّقْتُهُ وَاعْتَبَرْتُهُ<sup>(٤)</sup>  
 فَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ الْمَحَاسِنَ كُلَّهَا  
 كَمَا<sup>(٥)</sup> جُمِعَتْ كُلُّ الْفَضَائِلِ فِي الَّذِي  
 وَزِيرُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَحَسْبُهُ  
 وَذُو الْقَلَمِ الْأَعْلَى الَّذِي فَعَلَهُ لِمَنْ  
 وَمُطْلِعُ آيَاتِ الْبَيَانِ لِمُبْصِرٍ  
 وَإِنْسَانُ عَيْنِ الدَّهْرِ قَرَّتْ لَنَا بِهِ  
 هُوَ ابْنُ الْخَطِيبِ السَّيِّدِ الْمُتَمَتِّي إِلَى  
 لَقَدْ كُنْتُ لَوْلَا عَطْفُهُ مِنْ حَنَانِهِ<sup>(٦)</sup>

فَمَا مَنْزِلُ يَزْهَى<sup>(٧)</sup> بِمَثَلِ بَدَائِعِي  
 لِكُلِّ الْمَعَانِي، جَامِعُ أَيِّ جَامِعٍ  
 لَدَيْ، فَيَا لِلَّهِ إِبْدَاعَ صَانِعِ<sup>(٨)</sup> أ  
 بِسُكْنَايَ قَدْ وَاثَاهُ أَيْمَنُ طَالِعٍ  
 مَزِيَّةٌ فَخْرٍ مَا لَهَا مِنْ مُدَافِعٍ  
 يُؤْمَلُهُ مِثْلُ السَّيُوفِ الْقَوَاطِعِ  
 كَشَمْسِ الضُّحَى حَلَّتْ بِأَسْنَى الْمَطَالِعِ  
 عِيُونٌ وَطَابَتْ مِنْهُ ذِكْرَى الْمَسَامِعِ  
 كِرَامَ سَمَوْا مَا بَيْنَ كَهْلٍ وَيَافِعِ  
 أَعْدُ زَمَانًا فِي الرُّسُومِ الْبِلَاقِعِ

(١) كلمة «والعطف» ساقطة في الأصل. (٢) في الأصل: «العليا»، وكذا ينكسر الوزن.

(٣) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٢٧١ - ٢٧٢) وفيها أن المباني أنشأها بغرناطة.

(٤) في الأصل: «زهى» والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٥) في الأصل: «واعترته»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من الكتيبة الكامنة.

(٦) في الكتيبة: «صانعي».

(٧) في الأصل: «ظلّ كما...»، وكذا لا يستقيم الوزن، لذا حذفنا كلمة «ظلّ».

(٨) في الكتيبة: «جنابه».

فَصَيَّرَنِي مَغْنًى كَرِيمًا وَمَرْبَعًا<sup>(١)</sup>      لَشْمَلٍ بِأَنْسٍ مِنْ حَبِيبِي جَامِعٍ  
فَهَا أَنَا ذُو<sup>(٢)</sup> رَوْضٍ يَرُوقُ نَسِيمُهُ<sup>(٣)</sup>      كَمَا رَقُّ طَبْعًا مَا لَهُ مِنْ مُنَازَعٍ  
وَقَدْ جَمَعْتُنَا نَسَبَةُ الطَّبْعِ عِنْدَمَا      وَقَعْتُ لِمَرَّاهِ بِأَسْنَى الْمَوَاقِعِ  
فَأَشْبَهَ إِزْهَارِي بِطَيْبِ ثَنَائِهِ      وَقُضِلَ هَوَائِي<sup>(٤)</sup> بِاعْتِدَالِ الطَّبَائِعِ  
فَلَا زِلْتُ مَعْمُورًا بِهِ فِي مَسْرَةٍ      مُعَدًّا لِأَفْرَاحٍ وَسَعْدٍ مَطَالِعِ  
وَلَا زَالَ مَنْ قَدْ حَلَّنِي أَوْ يَحْلُنِي      مُؤَقَّى الْأَمَانِي مِنْ جَمِيلِ الصَّنَائِعِ  
وَدَامَ لِمَوْلَانَا الْمُؤَيَّدِ سَعْدُهُ      فَمِنْ ثَوْرِهِ يَبْدُو<sup>(٥)</sup> لَنَا كُلُّ سَاطِعِ

وفي التهئة بإبلاال من مرض: [البسيط]

الآن قد قامت الدنيا على قدم      لما استقلَّ رئيس السيف والقلم  
والآن قد عادت الدنيا لبهجتها      مَذْ أَنْسَتْ بُرْءَهُ مِنْ طَارِقِ الْأَلَمِ  
والآن قد عمت البشرية براحتة      فلم تزل للورى من أعظم النعم  
لا سيما عند مثلي ممن اتضحت      منه دلائل صدق غير متهم  
فكيف لي وأيادي فضله ملكث      رَقِي بِمَا أَجْزَلْتُ مِنْ وَاغِرِ الْقَسَمِ  
وصيّرتنى في أهلي وفي وطني      وَبَيْنَ أَهْلِ النُّهَى نَارًا عَلَى عِلْمِ  
وأخسبت أُملي الأقصى لغايته      إِذْ صَرْتُ مِنْ جَاهِهِ الْمَأْمُولِ فِي حَرَمِ  
ماذا<sup>(٦)</sup> عسى أن أُوَفِّي مِنْ ثَنَائِي أَوْ      أَنْهِيَ إِلَى مَجْدِهِ مِنْ فَاضِلِ الشُّيَمِ  
ولو ملكث زمام الفضل طوع يدي      قَصْرْتُ فِي ضَمَنِ مَنْشُورٍ وَمُنْتَظَمِ  
يُهْنِك بُشْرَى قَدْ اسْتَبَشَرْتُ مَذْ وَرَدْتُ      بِهَا لِعَمْرِكَ وَهَوَّ الْبِرِّ فِي الضُّيَمِ  
ومذ دَعَتْ هَذِهِ<sup>(٧)</sup> الْبُشْرَى بِتَهْنِئَةٍ      فَحَنُّ أَوْلَى وَمَحْضُ الْعَهْدِ وَالْكَرَمِ  
لا زِلْتُ لِلْعَزَّةِ الْقُعُسَاءِ مُمْتَطِيًا      مُسْتَضْجِبًا لِعَلَاءٍ غَيْرِ مُنْصَرِمِ  
ودُمْتُ بَذَرٍ سَنَى تَهْدِي إِنْارَتَهُ      فِي حَيْثُ يَغْضُلُ خَطْبٌ أَوْ يَحَارُ عَمِ  
وَلَا عَدِمْتُ بِفَضْلِ اللَّهِ عَافِيَةً      تَسْتَصْحَبُ النُّعْمَ الْمُنْهَلَةَ الدِّيمِ

(١) في المصدر نفسه: «وَمَرْتَعًا».

(٢) كلمة «ذو» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة.

(٣) في الكتيبة: «جماله».

(٤) في الأصل: «هواي»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من الكتيبة.

(٥) كلمة «يدو» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من الكتيبة.

(٦) في الأصل: «وماذا»، وكذا ينكسر الوزن. (٧) في الأصل: «هذه».

وليس لهذا العهد للرجل انتحالٌ لغير الشعر والكتابة. وغير هذا للشعر فِراره، فقلْ أن ينتهي الشعر في الضعة والاستيزال إلى ما دون هذا التَّمط، فهو بغير<sup>(١)</sup> ثانٍ، شِعْرًا وشكلاً وبلداً، لَطَفَ الله به. وهو لهذا العهد، على ما تقدّم من النكبة، واتصال السُّخط من الدولة، تَغَمَّدنا الله وإياه بلطفه، ولا نَكْصُ عنا ظلاً عنايته وسَتره.

مولده: حسبما تقدّم من بَسْط حاله مما قيّده بخطّه في عام تسعة وسبعمئة.

### عبد الرزاق بن يوسف بن عبد الرزاق الأشعري

من أهل قرية الأنجرون من إقليم غرناطة، أبو محمد.

حاله: فقيه أديب كاتب سري، موصوف بكرم نفس، وحُسن خُلُق. لقي أشيخاً وأخذ عنهم.

شعره: [السريع]

يَزْفُلُ فِي السَّابِغِ مِنْ أُمِّتِهِ <sup>(٢)</sup>	يَا مُنْعِمًا مَا زَالَ مِنْ أُمِّهِ
فَرِيعَ صَرْفِ الدَّهْرِ مِنْ سَكْتَتِهِ <sup>(٣)</sup>	وَيَا حُسَامًا جَرَّدَتْهُ الْعُلَا
شَوْقًا لِمَنْ خَلَّفَ مِنْ إِخْوَتِهِ	عَبْدُكَ قَدْ سَاءَتْ هُنَا حَالُهُ
وَيَخْلَعُ الشُّهْدَ <sup>(٤)</sup> عَلَى مُقْلَتِهِ	شَوْقًا يَبْثُ الْجَمْرَ فِي قَلْبِهِ
وَأَنْسَيْنِ <sup>(٥)</sup> الْمُفْلِقَ مِنْ وَخْشَتِهِ	فَسَكَّنَ الْمُؤْلَمَ مِنْ شَوْقِهِ
فِي عِلْمِكُمْ مِنْ مُقْتَضَى بُغْيَتِهِ	وَأَمْنُنْ عَلَيْهِ بَبُلُوغِ الْمُنَى
تَفْهَمُ مَا يُلْقِيهِ مِنْ نَفْثَتِهِ	وَهَاكِهِا نَفْثَةً ذِي خَجَلَةٍ
يَحْسَدُ الطَّيَّارَ فِي نَغْمَتِهِ	إِذَا شَدَا مَذَاحِكُمْ سَاجِعًا

وفاته: سنة إحدى وسبعين وخمسمئة، عن سنّ عالية.

(١) يريد أنه شاعر كبير وهنا يشبهه بشاعر آخر يلقب بالبعير.  
 (٢) في الأصل: «أُمِّيَّتِهِ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.  
 (٣) في الأصل: «سُكُوتِهِ»، وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.  
 (٤) في الأصل: «اللسهد» وكذا لا يستقيم الوزن ولا المعنى.  
 (٥) في الأصل: «وانس»، وكذا لا يستقيم الوزن.

عبد الملك بن سعيد بن خلف العنسي<sup>(١)</sup>من أهل قلعة يَخْصِب<sup>(٢)</sup> من عمل البيرة.

**حاله ونسبه:** هو عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عَمَّار بن ياسر، صاحب رسول الله ﷺ. وكان عينا من أعيان الأندلس، مُشَارًا إليه في البيت والرأي، والجَزالة والفضل. عَلِقَتْ به الآمال، وَرُفِعَتْ إليه الممادح، وَحُطِّتْ لديه الرِّحال. وكان من أولي الجلالة والثَّباهة، والطَّلَب والكِتابة الحسنة، والخطُّ البارِع. واشتمل على حُظوة الأمير يحيى بن غانية اللَّمْتُوني، وكتب عنه. بلده قلعة بني سعيد، فثقفها، وجعل بها أكبر بنيه عبد الرحمن ضابطًا لها وحارسًا، فحَصَّنَهَا أبو مروان ومهدّها بالعمارة، فكانت في الفتنة مَثَابَةً وَأَمْنًا، وَجِزًّا له ولبنيه، فأنجَلَتْ الناس إليها من كل مكان. ولما قَبِض ابن غانية على القُمط مَرِين وأصحابه النصارى عندما وصلوا لاستنجاز الوعد في الخروج عن جِيَان، وتحصَّلوا بيده بإشارة عبد الملك بن سعيد، حسبما ثبت في اسم الأمير يحيى، ثَقَّفَهُم بالقلعة بيد ثِقَّتِهِ المذكور وأمينه أبي مروان، فتحصلوا في مَعْقِل حَرِيز، عند أمير وافر العقل، سديد الرأي. ومات ابن غانية بغرناطة لأيام قلائل، واختلف قومه، فنظر أبو مروان لنفسه، وعاهد القُمط مَرِين ومن معه من الزعماء على عُهُود، أخذها عليهم وعلى سلطانهم، أن يكون تحت أَمْنٍ وحفظ طول مدَّته، فأجريت القلعة في الأمن والحماية، وكفَّ أيدي التَّعَدِّي مجرى ما لَمُلِكَ النَّصْرِي<sup>(٣)</sup> من البلاد، فَشَمِلَ أهلها الأمن، واتسعت فيها العمارة، وتنكبَّتها التَّكْبَات، وتحاشَّتها الغارات. ولم يزل أبو مروان بها إلى أن دخل في أمر الموحدين. ووصل هو وابنه إلى السيد أبي سعيد بغرناطة، وحضر معه غَزْوَةُ المَرِيَّة، ثم دخل بجملته، فأكمل له الأمن، وأقَرَّ على القلعة، وأمر بِسُكْنَى غرناطة بولده. ثم وصل ثانية إلى مراكش صحبة السيد أبي سعيد، ولقي من البرِّ ولُطْفِ المكانة عادته، واستَكْتَبَ ابنه أحمد بن أبي مروان الخليفة في هذه الوجهة، وانتظم في جملة الكُتَّاب والأصحاب.

(١) ترجمة عبد الملك بن سعيد في المغرب (ج ٢ ص ١٦١) ورايات المبرزين (ص ١٦٩) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٩١، ٩٧) و(ج ٤ ص ١٦١) و(ج ٥ ص ٧٩).

(٢) قلعة يَخْصِب: بالإسبانية Alcalá La Real، أي القلعة الملكية، وتعرف أيضًا بقلعة يعقوب أو القلعة السعدية، أي قلعة بني سعيد. مملكة غرناطة في عهد بني زيري (ص ٦٢).

(٣) النصري هنا النصرائي، والمراد: أن تنعم قلعة بني سعيد بالأمن كما تنعم بلاد النصاري.

محنته: وعاد أبو مروان وبثوه إلى غرناطة صُحبة واليها السّيد أبي سعيد، فبقي في جملة العسكر عند دخول ابن مرّدنّيش وصهره غرناطة، وقد اضطربت الفتنة، وفَسَد ما بين السيد وبين أبي جعفر بن أبي مروان منهم، بما تقدّم في اسمه من حديث حفصة<sup>(١)</sup>. ولما ظهرت دلائل التغيير، وخافوا على أنفسهم، أداروا الرأى في الانحياز إلى خدمة ابن مردنّيش، ونهاهم والدهم أبو مروان، وأشار عليهم بمصابرة الأمر، فلحق عبد الرحمن بالقلعة، وفرّ أحمد لما انكشف الأمر، وعُثِر عليه بجهة مالقة، فقتل، وانجرت بسبب ذلك النكبة على عبد الملك وابنه محمد، فبقيا بغرناطة، ومن يُشار إليه من أهل بيتهما، واستُصِفيت أموالهما، واستخلصت<sup>(٢)</sup> ضياعهما، إلى أن ورد كتاب الخليفة أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي بإطلاقهم وردّ أموالهم، بما اقتضته السياسة من استمالة من نزع منهم عن الطاعة، وأمر عبد الملك باستيلاف نافرهم. ولما هلك ابن مردنّيش، ورّد من اتصل به صحبة المُستأمنين من أولاد الأمير الهالك، فقدموا على رحب وسعة، وثاب جاه أبي مروان، واتصل عزّه، واتسعت حُظوته، إلى أن هلك بعد أن وُلّي بمراكش النّظر في العُدّة والأسلحة، والقيام على دار الصّنعة.

وفاته: بغرناطة سنة ستين وخمسائة.

### عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد العزيز بن يست<sup>(٣)</sup>

من أهل غرناطة، يكنى أبا سلطان.

حاله: فاضل<sup>(٤)</sup>، حَيّ، حسن الصورة، بادي الحشمة، فاضل البيت سرّيه. كتب في ديوان الأعمال<sup>(٥)</sup>، وترقى إلى الكُتُب<sup>(٦)</sup> مع الجملة بالدار السلطانية، وسَفَر في بعض الأغراض الغزبية، ولازم الشيخ أبا بكر<sup>(٧)</sup> بن عتيق بن مُقدّم، من شيوخ<sup>(٨)</sup> الصّوفية بالحَضرة، فظهرت عليه آثار ذلك في نظمه ومقاصده الأدبية<sup>(٩)</sup>.

(١) تقدم ذلك في ترجمة حفصة في الجزء الأول من الإحاطة.

(٢) أي صارت في المستخلص، أو ضمن أملاك الدولة.

(٣) ترجمة ابن يست في الكتيبة الكامنة (ص ٢٩٣) وفيه: «بن برشيت»، وفي نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٧، ٢٤٩) وفيه: «بن يست».

(٤) النص في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٩ - ٢٥٠).

(٥) في النفح: «الأعمال فائقن، وترقى». (٦) في النفح: «إلى الكتابة السلطانية».

(٧) في النفح: «أبا بكر عتيق...». (٨) في النفح: «مشيخة».

(٩) كلمة «الأدبية» غير واردة في النفح.

شعره: وشعره لا بأس به، ومن أمثله قوله ما أنشد له في ليلة الميلاد الأعظم<sup>(١)</sup>: [الكامل]

الْقَلْبُ يَعِشُ وَالْمَدَامُ تَنْطِقُ  
بَرِّحَ الْخَفَاءَ فَكُلُّ غُضُوٍ مَنْطِقُ<sup>(٢)</sup>  
[قلت: قد ذكرها ابن الخطيب في جملة ما أنشد في الميلاد الأعظم في السفر الخامس، فلا فائدة في تكرارها هنا]<sup>(٣)</sup>.

ومما خاطبني به<sup>(٤)</sup>: [البسيط]  
أَطْلُتْ عَثَبَ زَمَانٍ فَلَّ مِنْ أَمَلٍ<sup>(٥)</sup>  
وَسُمْنُتُهُ<sup>(٦)</sup> الذَّمُّ فِي جِلٍّ وَمُزْتَحَلٍ  
عَاتِبْتُهُ لِئَلَيْنَ لِلْعَثَبِ جَانِبُهُ  
فَمَا تَرَجَعَ عَنْ مَطْلٍ وَلَا بَخْلٍ<sup>(٧)</sup>  
فَعَذْتُ أَمْنَحَهُ الْعُثْبَى<sup>(٨)</sup> لِئُشْفَقَ بِي<sup>(٩)</sup>  
فَقَالَ لِي: إِنَّ سَمْعِي عَنْكَ فِي شُغْلٍ  
فَالْعَثَبُ عِنْدِي وَالْعُثْبَى<sup>(١٠)</sup> فَلَسْتُ أَرَى  
أُضْغِي لِمَدْحِكَ إِذْ لَمْ أُضْغِ لِلْعَدَلِ  
فَقُلْتُ لِلنَّفْسِ: كُفِّي عَنْ مُعَاتَبَةٍ  
لَا تَنْقُضِي وَجَوَابِ صِيغٍ مِنْ وَجَلٍ<sup>(١١)</sup>  
مَنْ يَغْتَلِقُ بِالذُّنَا<sup>(١٢)</sup> بَابِنَ الْخَطِيبِ فَقَدْ  
سَمَا عَنِ الذُّلِّ وَاسْتَوْلَى<sup>(١٣)</sup> عَلَى الْجَدَلِ

(١) البيت مطلع قصيدة طويلة من ٥٨ بيتاً وردت في نفح الطيب (ج ٨ ص ٢٥٠ - ٢٥٢). وورد منها ٢٠ بيتاً في الكتيبة الكامنة (ص ٢٩٤ - ٢٩٥).

(٢) في الكتيبة الكامنة: «ينطق».

(٣) ما بين قوسين هو ليس لابن الخطيب، ويبدو أنه تعليق من ناسخ المخطوطة.

(٤) القصيدة في الكتيبة الكامنة (ص ٢٩٣ - ٢٩٤) ونفح الطيب (ج ٨ ص ٢٤٧ - ٢٤٩).

(٥) في الكتيبة: «مَلَّ من أَمَلِي». وفي النفح: «من أَمَلِي».

(٦) في الكتيبة: «وشمته».

(٧) في الكتيبة: «من مطل ومن نجل».

(٨) العُثْبَى: الرضى. لسان العرب (عتب).

(٩) في النفح: «لي».

(١٠) في المصدرين: «كالعُثْبَى».

(١١) في المصدرين: «في الذُّنَا».

(١٢) في الأصل: «واستوى»، والتصويب من المصدرين.

فقلت<sup>(١)</sup>: من لي بتقريبى لخدمته  
 فقد أجاب قريبا من جوابك لي  
 قد اشتغلت عن الدنيا بآخرتي  
 وكان ما كان في<sup>(٢)</sup> أيامي الأول  
 وقد رعى وما أهملت من منح  
 فكيف يختلط المرعى بالهمل؟  
 ولست أزجع للدنيا وزخرفها  
 من<sup>(٣)</sup> بعد شيب غدا في الرأس مُشتعل  
 ألت ثبصر أظماري وبغدي عن  
 نيل الحظوظ وإعداد<sup>(٤)</sup> إلى أجل  
 فقال<sup>(٥)</sup>: ذلك قول صحيح مجمله<sup>(٦)</sup>  
 لكن من شأنه التفصيل للجمل  
 ما أنت طالب<sup>(٧)</sup> أمر تستعين به  
 على المظالم في حال<sup>(٨)</sup> ومقتبل  
 ولا تجل حراما أو تحرم ما  
 أحل ربك في قول ولا عمل  
 ولا تبغ<sup>(٩)</sup> أجل الدنيا بعاجلها  
 كما الولاة تبيع اليم بالوشل<sup>(١٠)</sup>  
 وأين عنك الرشا إن كنت<sup>(١١)</sup> تطلبها  
 هذا لعمري أمر غير مُنفعل

(١) في النسخ: «قلت فمن لي...».

(٢) في الكتيبة: «من أيامك». وفي النسخ: «من أيامي».

(٣) كلمة «من» غير واردة في الأصل، وبذلك ينكسر الوزن، وقد أضفناها من المصدرين.

(٤) في النسخ: «واغذاذي إلى أجلي». (٥) في المصدر نفسه: «فقلت».

(٦) في الكتيبة: «محملة» بالحاء المهملة. (٧) في النسخ: «جالب».

(٨) في الكتيبة: «جاء».

(٩) في الأصل: «ولا تبغ» وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(١٠) الوشل: القليل من الماء. لسان العرب (وشل).

(١١) في النسخ: «ظلت».

هل أنت تطلبُ إلا أن تعودَ إلى  
 كُثِبَ المِقامِ الرَّفِيعِ القَدْرُ في الدول؟  
 فما لأَوْحَدِ أهلِ الكَوْنِ<sup>(١)</sup> قاطبة  
 وأَسْمَحَ الخَلْقِ<sup>(٢)</sup> من حافٍ ومُنْتَعِل  
 لم يلتفت نحو ما تَبْغِيهِ من وَطَرٍ  
 ولم يَسُدَّ<sup>(٣)</sup> الذي قد بَانَ من خلل  
 إن لم تَقْعَ نظرةٌ منه عليك فما  
 يَضْبُو لَدَيْكَ الَّذِي<sup>(٤)</sup> أُمِلْتُ مِنْ أَمَلٍ  
 فدونك السَّيِّدُ الأعلى فمطلبكم<sup>(٥)</sup>  
 قد نِيَطَ منه بفضيلٍ غير مُنفَضِل<sup>(٦)</sup>  
 فقد خَبَزَتْ بني الدنيا بأجمعهم  
 من عالمٍ وحكيم عارِفٍ وولي<sup>(٧)</sup>  
 فما رأيتُ له في الناس من شَبَهٍ  
 قَلَّ التُّظْيِيرُ له عندي فلا تَسَلِ  
 فقد<sup>(٨)</sup> قَصَدْتُكَ يا أسمى الوري نَسَبًا<sup>(٩)</sup>  
 وليس لي عن جِمْي<sup>(١٠)</sup> عَلَيَاكَ من جَوْلِ<sup>(١١)</sup>  
 فما سواك لما أُمِلْتُ من أَمَلٍ  
 وليس لي عنك من زَيْغٍ ولا مَيْلٍ<sup>(١٢)</sup>

(١) في الكتيبة: «الأرض». (٢) في الكتيبة: «الناس».

(٣) في الأصل: «يَشُدُّ»، والتصويب من المصدرين.

(٤) في الأصل: «للذي»، وهكذا ينكسر الوزن، والتصويب من المصدرين.

(٥) في الكتيبة: «فطالبه قَلَّ التُّظْيِيرُ له عندي فلا تَسَلِ».

(٦) في النسخ: «منفصل» بالصاد المهملة. (٧) في الأصل: «دول» والتصويب من النسخ.

(٨) في النسخ: «وقد». (٩) في النسخ: «هممًا».

(١٠) كلمة «جِمْي» ساقطة في الأصل، وقد أضفناها من النسخ ليستقيم المعنى والوزن معًا.

(١١) في الكتيبة: «... لي من علاك اليوم من وجل». والحوّل: التحوّل والانتقال. لسان العرب (حول).

(١٢) في الكتيبة: «وليس عندك من زيف ولا ملل».



فانظر لحالي فقد رُقَّ الحسودُ لها  
واخسِمَ زمانةً<sup>(١)</sup> ما قد ساء من علل  
قَدِّمُ<sup>(٢)</sup> لنا ولدينِ الله تَرْفَعُهُ  
ما أُغْقِبَتْ بُكْرُ الإصباحِ بالأُصلِ  
لا زِلْتُ مُغْتَلِيًا عن كلِّ حادثة  
كما عَلَتْ مِلَّةُ الإسلامِ في المَلَلِ

عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الله  
ابن عبد الرحمن الغساني<sup>(٣)</sup>

وادي آشي الأصل، يكنى أبا محمد.

حاله: كان<sup>(٤)</sup> من جِلَّةِ الأدباء، وفحول الشعراء، وبِرَعَةِ الكُتَّاب. كتب عن  
الأمير أبي زكريا يحيى بن إسحاق بن محمد بن علي المسوفي الميوزقي<sup>(٥)</sup>، الشاعر  
على منصور<sup>(٦)</sup> بني عبد المؤمن، ثم على مَنْ بعده من ذريته إلى أيام الرُّشيد<sup>(٧)</sup> منهم،  
وانقطع<sup>(٨)</sup> إليه وصحبه في حركاته، وكان آية في بُعْدِ الهمة، والذهاب بنفسه،

(١) الزمانة: المرض الدائم. لسان العرب (زمن).

(٢) في الكتيبة: «ودم لها». وفي النسخ: «ودم لنا».

(٣) ترجمة عبد البر الغساني في التكملة (ج ٣ ص ١٤٣) وفيه أنه توفي سنة ٦١٠ هـ أو نحوها،  
والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٦٨) وفيه أنه توفي سنة ٦١١ هـ. ورايات المبرزين  
(ص ١٦٤) والمغرب (ج ٢ ص ١٤٢) ونفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٤) (ج ٥ ص ٤٧،  
١٠٦).

(٤) قارن بنفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٦).

(٥) أبو زكريا يحيى بن إسحاق المسوفي هو ابن غانية، أمير مرسية وبلنسية وقرطبة وغرب الأندلس  
من قبل علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي، قاوم الموحدين في أول استيلائهم على الأندلس  
فقتلوه سنة ٥٤٣ هـ.

(٦) هو أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي، حكم المغرب والأندلس من سنة  
٥٨٠ هـ إلى سنة ٥٩٥ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص ١٧٠) والحلل الموشية (ص  
١٢١).

(٧) هو أبو محمد عبد الواحد بن إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي، حكم  
المغرب والأندلس من سنة ٦٣٠ هـ إلى سنة ٦٤٠ هـ. البيان المغرب - قسم الموحدين (ص  
٢٩٩) والحلل الموشية (ص ١٢٥).

(٨) في النسخ: «وكان منقطعاً إليه، وممن صحبه...».

والعناء<sup>(١)</sup>، ومواقف الحرب، فإنه دَهِم في المثل، أشبه امرؤا يعصُ بَرّه، فقد كان أليقُ الناس بَصُخبة الميُورقي، وأنسبهم إلى خدمته.

مشيخته: روى عن أبي زيد بن السُهيلي<sup>(٢)</sup>.

بعض أخباره في البأو والصَّرامة: حدَّثنا شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب عمن حدّثه من أشياخه، قال<sup>(٣)</sup>: وجَّه الميورقي في عشيّة يوم من أيام حروبه إلى المأزق، وقد طال العراك، وكاد يكلُّ الناس عن الحرب، إلى أن يياكروها من الغد، فتَقَدَّ لما أمر به. ولما بلغ الصُّدر اشتدَّ على الناس، ودَعِر<sup>(٤)</sup> أرباب الحفيظة، وأنهى إليهم العزم من أميرهم في الحَمَلَة، فانهزم عدوُّهم شَرَّ هزيمة، ولم يَعد أبو محمد إلّا في آخر الليل بالأسلاب والغنيمة، وقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال له: الذي عَمِلْتُ هو شأني، وإذا أردتَ مَنْ يَصْرِفُ الناس عن الحرب ويُدْهب رِيحَهُم، فانظر غيري.

وحدَّثني<sup>(٥)</sup> كذلك أن وَلَدًا له صغيرًا تشاجر مع تَزِبٍ له من أولاد أميره أبي زكريا، فنال منه ولد الأمير، وقال: وما قَدَرُ أبيك؟ ولَمَّا بلغ ذلك أباه خرج مُغَضِّبًا لحينه، ولقي وَلَدَ الأمير المخاطِبَ لولده، فقال: حَفِظَكَ اللهُ! لَسْتُ أَشْكُ في أتِي خديم أبيك، ولكني أحبُّ أن أعْرِفَكَ بمقداري<sup>(٦)</sup> ومقداره، اعلم إنَّ أباك وَجَّهني رسولًا إلى الخليفة<sup>(٧)</sup> ببغداد بكتاب عن نفسه، فلَمَّا بَلَغْتُ بغداد نزلت<sup>(٨)</sup> في دار اكْتَرَيْتُ لي بسبعة دراهم في الشهر، وأُجْري عليّ سبعة دراهم في اليوم، وطولع بكتابي، وقيل: مَنْ الميورقي الذي وَجَّهه؟ فقال بعض الحاضرين: هو رجل مَغْرِبِي ثائر على أستاذه. وأقمت شهرًا، ثم اسْتُدْعِيْتُ إلى الانصراف، ولَمَّا دخلت دار الخلافة وتكلَّمْتُ مع مَنْ بها من الفضلاء، أرباب<sup>(٩)</sup> المعارف والآداب، اعتذروا لي، وقالوا للخليفة: هذا رجل جُهل مقداره، فأَعِذْتُ إلى محلِّ اكْتَرِي<sup>(١٠)</sup> لي بسبعين درهمًا، وأُجْري عليّ مثْلَها في اليوم، ثم اسْتُدْعِيْتُ، فودعت الخليفة، واقتضيت ما تيسَّر من جوابه<sup>(١١)</sup>، وصدر لي شيء له حَظٌّ<sup>(١٢)</sup> من صلته. وانصرفْتُ إلى أبيك.

(١) في النسخ: «والغناء في مواقف...».

(٢) في التكملة (ج ٣ ص ١٤٣) والمقتضب (ص ١٦٨) «روى عن أبي القاسم السهيلي».

(٣) قارن بنفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٦). (٤) في النسخ: «وذمّر».

(٥) قارن بنفح الطيب (ج ٣ ص ٣٥٧). (٦) في النسخ: «بنفسي ومقداري ومقدار أبيك».

(٧) في النسخ: «إلى دار الخلافة». (٨) في النسخ: «أنزلت».

(٩) في النسخ: «وأرباب». (١٠) في الأصل: «اكترت» والتصويب من النسخ.

(١١) في النسخ: «حوالجه». (١٢) في الأصل: «خطر» والتصويب من النسخ.

والمعاملة الأولى كانت على قدر أبيك عند مَنْ يعرف الأقدار، والثانية كانت على قدري والمئة لله. وأخبار ابن فرسان كثيرة.

شعره: وقد تعمم الأمير<sup>(١)</sup> بعمامة بيضاء، ولبس غفارة حمراء على جبة خضراء، فقال<sup>(٢)</sup>: [الطويل]

فديتك بالنفس التي قد ملكتها	بما أنت موليتها من الكرم الغض
توددت <sup>(٣)</sup> للحسن الحقيقي بهجة	فصار بها الكلبي في ذاك كالبعض <sup>(٤)</sup>
ولما تلالا <sup>(٥)</sup> نور غرتك التي	تقسم في طول البلاد وفي العرض
تلقفتها <sup>(٦)</sup> خضراء أحسن ناظر	نبت عنك إجلالا وذاك من القرض
وأسدلت حمر <sup>(٧)</sup> الملابس فوقها	بمفرق تاج المجند والشرف المنخص
وأصبحت <sup>(٨)</sup> بذرا طالعا في عمامة	على شفق دان إلى خضرة الأرض

ومن شعره، ولا خفاء ببراعته<sup>(٩)</sup>: [الطويل]

ندى مخضلا ذاك الجناح المئتما	وسقيا وإن لم تشك يا ساجعا <sup>(١٠)</sup> ضما
أعذهن الحانا على سنع مغرب	يطارح مرتاحا على القضب مفعما
وطر <sup>(١١)</sup> غير مقصوص الجناح مرفها	مسووع أشات الحبوب مئعما

وقال أيضا رحمه الله<sup>(١٢)</sup>: [الطويل]

كفى حزنا أن الرماح <sup>(١٣)</sup> صقيلة	وأن السبا رهن الصدى بدمايه
وأن بياذيق <sup>(١٤)</sup> الجوانب فرزنت	ولم يغد ربح الدست بيت بنايه

(١) الأمير هو ابن غانية، مخدوم عبد البر بن فرسان.

(٢) الأبيات في نفع الطيب (ج ٣ ص ٣٥٥). (٣) في النفع: «توددت».

(٤) في الأصل: «البعض»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٥) في الأصل: «تلالا»، وكذا ينكسر الوزن، والتصويب من النفع.

(٦) في النفع: «تلقفتها». (٧) في النفع: «خمر».

(٨) في النفع: «فأصبحت».

(٩) الأبيات في المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٦٨) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٣٥٦).

(١٠) في الأصل: «يأسا جعاضما» وبه لا يستقيم الوزن ولا المعنى، والتصويب من المصدرين.

(١١) في المقتضب: «قطر».

(١٢) البيتان في المقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٦٩) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٣٥٦).

(١٣) في المقتضب: «الزجاج». (١٤) في المقتضب: «بياديق» بالبدال المهمة.

عبد المنعم<sup>(١)</sup> بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني

جلياني<sup>(٢)</sup>، من أهل وادي آش، وتردد إلى غرناطة، يكنى أبا محمد، وأبا الفضل.

حاله: تجول ببلاد المشرق سائحا، وحج ونزل القاهرة، وكان أديبا، بارعا حكيمًا، ناظما ناثرا.

توالياقه: وله مصتفات منها «جامع أنماط السائل، في العروض والخطب والرسائل»<sup>(٣)</sup>، أكثر كلامه فيه نظما ونثرا.

مشيخته ومن روى عنه: روى عنه أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الرحيم الخطيب بضريح الخليل، وأبو عبد الله بن يحيى المرسي.

شعره: قال من شعره<sup>(٤)</sup>: [الطويل]

ألا إنما الدنيا بحرٌ تلاطمت      فما أكثرَ العَرَقى على الجَنَباتِ  
وأكثرُ من<sup>(٥)</sup> لاقيتُ<sup>(٦)</sup> يُغرقُ إلفه      وقلُّ فتى يُنجي<sup>(٧)</sup> من الغمراتِ  
وفاته: سنة ثلاث وستمائة<sup>(٨)</sup>.

(١) في الأصل: «عبد العظيم» والتصويب من المصادر التي ترجمت له وهي: التكملة (ج ٣ ص ١٢٩) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ٤٠٧) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٧) والمقتضب من كتاب تحفة القادم (ص ١٤٣) ومعجم البلدان (ج ٢ ص ١٥٧، مادة جليانة) وعيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص ٦٣٠) ونفع الطيب (ج ٢ ص ٣١٣) و(ج ٣ ص ٣٥٧، ٣٧٨) و(ج ٦ ص ١٠٠) والغصون الياقة (ص ١٠٤).

(٢) نسبة إلى جليانة، وهي حصن بالأندلس من أعمال وادي آش، يقال لها جليانة الثفاح لجلالة ثفاحها وطيبه وريحه، إذا أكل وُجد فيه طعم السكر والمسك. معجم الأدياء (ج ٢ ص ١٥٧).

(٣) في التكملة (ج ٣ ص ١٢٩) وفي الذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٧): «جامع أنماط الوسائل، في القريض والخطب والرسائل».

(٤) البيتان قالهما في سنة ٥٦٨ هـ، وهما في التكملة (ج ٣ ص ١٢٩) والذيل والتكملة (ج ٥ ص ٥٧) ونفع الطيب (ج ٣ ص ٣٥٧) و(ج ٦ ص ١٠٠).

(٥) في الذيل والتكملة: «ما». (٦) في التكملة: «صاحبته».

(٧) في الأصل: «ينجو» والتصويب من المصادر.

(٨) في التكملة (ج ٣ ص ١٢٩): توفي سنة ٦٠٣ أو نحوها. وفي فوات الوفيات (ج ٢ ص ٤٠٧): توفي سنة ٦٠٢ هـ. وفي نفع الطيب (ج ٣ ص ٣٥٧) مات سنة ٦٠٣ هـ، وفي المصدر نفسه (ج ٣ ص ٣٧٨): ولو بجليانة سابع المحرم سنة ٥٣١ هـ، ومات بدمشق سنة ٦٠٢ هـ.

## فهرس المحتويات

٣	..... محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن أحمد العزفي
٨	..... محمد المكدودي
١٠	..... المقرئون والعلماء - الأصلون منهم
	محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن
١٠	..... جزي الكلي
١٣	..... محمد بن أحمد بن فتوح بن شقرال اللخمي
١٥	..... محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذي النون التغلبي
١٦	..... محمد بن محمد بن محمد بن بيش العبدري
١٩	..... محمد بن محمد الثمري الضرير
٢١	..... محمد بن عبد الولي الرعيني
٢٢	..... محمد بن علي بن أحمد الخولاني
٢٥	..... محمد بن علي بن محمد البكسي
٢٥	..... محمد بن سعد بن محمد بن لب بن حسن بن حسن بن عبد الرحمن بن بقي
٢٧	..... محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري
٢٨	..... محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان النّفي
٤٣	..... ومن الطائرين عليها في هذا الحرف
٤٣	..... محمد بن أحمد بن داود بن موسى بن مالك اللّخمي اليكي
٤٥	..... ومن السفر الثامن من ترجمة المقرئين والعلماء
٤٥	..... محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني
٤٦	..... محمد بن أحمد بن علي بن قاسم المذحجي
٤٧	..... محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني
٤٨	..... محمد بن أحمد الرّقوطي المزي
٤٨	..... محمد بن إبراهيم بن المقرّج الأوسي
٤٩	..... محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي

٤٩	محمد بن جعفر بن أحمد بن خلف بن حُميد ابن مأمون الأنصاري
٥١	محمد بن حَكَم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامي
٥٢	محمد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن خَلَف بن يوسف بن خلف الأنصاري
٥٣	محمد بن محمد بن أحمد بن علي الأنصاري
	محمد بن محمد بن إدريس بن مالك بن عبد الواحد بن عبد الملك بن محمد بن
٥٣	سعيد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله القضاعي
٥٥	محمد بن محمد بن محارب الصّريحي
٥٦	محمد بن محمد بن لُب الكِناني
٥٧	محمد بن محمد البدوي
٦٠	محمد بن عبد الله بن مَنُمون بن إدريس بن محمد بن عبد الله العبدي
٦٢	محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم الثُميري
٦٣	محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج ابن الجَدّ الفهري
٦٤	محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفَخَّار الجُدّامي
٦٧	محمد بن علي بن عمر بن يحيى بن العربي الغستاني
٦٨	محمد بن علي بن محمد العبّدي
٧٥	ومن الغرائب في هذا الباب
٧٥	محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العَجيسي
٩٨	محمد بن عبد الرحمن بن سعد التَّميمي التَّسيلي الكَرْسوطي
١٠١	محمد بن عبد المنعم الصَّنْهَاجي الحميري
	محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن
١٠٢	حسن بن محمد بن عمر بن رُشَيْد الفهري
١٠٨	محمد بن علي بن هاني اللّخمي السَّبتِي
١١٨	محمد بن يحيى العبّدي
١١٩	المحدّثون والفقهاء والطلبة النجباء وأولّ الأصليون
١١٩	محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزُّبير
١٢١	محمد بن أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني
١٢٢	محمد بن أحمد بن محمد الدُّوسي
١٢٢	محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف بن روييل الأنصاري
١٢٤	محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي زَمَين المُرّي
١٢٤	محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسان القيسي
١٢٦	محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي
١٢٧	محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الحَوْلاني
١٢٩	محمد بن محمد بن علي بن سودة المُرّي
١٣١	محمد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسي
١٣٢	محمد بن عبد الله بن أبي زَمَين

- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن  
 ١٣٢ إبراهيم بن محمد بن أبي زَمَيْنٍ عدنان بن بشير بن كثير المُرِّي .....  
 محمد بن عبد الرحمن بن الحسن بن قاسم بن مُشَرَّف بن قاسم بن محمد بن هاني  
 ١٣٣ اللخمي القايسي .....  
 محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام بن أحمد بن يوسف بن أحمد الغساني .....  
 ١٣٤ محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مُفَرِّج بن أحمد بن عبد الواحد بن حُرَيْث بن  
 ١٣٥ جعفر بن سعيد بن محمد بن حَقْل الغافقي .....  
 محمد بن علي بن عبد الله اللخمي .....  
 ١٣٦ محمد بن علي بن فرج القُرْبُلَياني .....  
 ١٣٧ محمد بن علي بن يوسف بن محمد السكوني .....  
 ١٣٨ محمد بن سُودة بن إبراهيم بن سُودة المُرِّي .....  
 ١٣٩ محمد بن يزيد بن رَفاعة الأموي البيري .....  
 ١٣٩ محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي بكر بن خميس  
 الأنصاري .....  
 ١٤٠ محمد بن أحمد بن عبد الله العطار .....  
 ١٤١ محمد بن أحمد بن المراكشي .....  
 ١٤٢ محمد بن بكرون بن حزب الله .....  
 ١٤٣ محمد بن الحسن بن أحمد بن يحيى الأنصاري الخزرجي .....  
 ١٤٤ محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي .....  
 ١٤٥ محمد بن محمد بن يوسف بن عمر الهاشمي .....  
 ١٤٦ محمد بن محمد بن مَيْمُون الخزرجي .....  
 ١٤٧ محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري .....  
 ١٤٨ ومن الغُرباء في هذا الاسم .....  
 ١٥١ محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري .....  
 ١٥١ محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن قَطْرال الأنصاري .....  
 ١٥٣ العُمال في هذا الاسم وأولاً الأصليون .....  
 ١٥٤ محمد بن أحمد بن محمد بن الأكحل .....  
 ١٥٤ محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب بن حامد الغافقي .....  
 ١٥٧ محمد بن محمد بن حَسَن الغافقي .....  
 ١٥٧ محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم بن  
 عبد العزيز بن إسحاق بن أحمد بن أسد بن قاسم التُميري، المدعو بابن  
 الحاج .....  
 ١٥٨ محمد بن عبد الرحمن الكاتب .....  
 ١٥٩ محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن  
 محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر .....  
 ١٦١

محمد بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن عثمان بن	
محمد بن عبد الله بن عمار بن ياسر الغنسي	١٦٣
ومن الطائرين في هذا الاسم من العمال	١٦٤
محمد بن أحمد بن المتأهل العبدري	١٦٤
محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي	١٦٦
محمد بن محمد بن شعبة الغساني	١٧٠
محمد بن محمد بن العراقي	١٧١
محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن فرتون	
الأنصاري	١٧٢
محمد بن عبد الله بن محمد بن مقاتل	١٧٣
محمد بن علي بن عبد ربه التجيبي	١٧٣
الرهاد والصلحاء والصفوة والفقراء وأولاً الأصليون	١٧٤
محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد الأنصاري	١٧٤
محمد بن أحمد الأنصاري	١٧٥
محمد بن حسنون الحميري	١٧٥
محمد بن محمد البكري	١٧٥
محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري	١٧٦
ومن الطائرين عليها في هذا الاسم	١٧٧
محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن محمد بن جعفر بن محمد بن أحمد بن	
مروان بن الحسن بن نصر بن نزار بن عمرو بن زيد بن عامر بن نصر بن حفاف	
السلمي	١٧٧
محمد بن أحمد بن حسين بن يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن صفوان	
القيسي	١٧٩
محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري	١٨١
محمد بن أحمد بن قاسم الأمي	١٨٢
محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي بن خالد بن	
عبد الرحمن بن حميد الهاشمي الطنجالي	١٨٦
محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البلقي بن الحاج	١٨٧
محمد بن يحيى بن إبراهيم بن أحمد بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عباد النقيزي	١٩٠
محمد بن يوسف بن خَلْصُون	١٩٤
ومن القُرَباء في هذا الاسم	٢٠٢
محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ بن إبراهيم بن جميل بن يوسف العراقي	٢٠٢
محمد بن أحمد بن شاطر الجَمَحِي المراكشي	٢٠٣
محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي بن الحلفاوي	٢٠٥
محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي	٢٠٦



٢٠٧	سائر الأسماء في حرف الميم الملوك والأمراء وما منهم إلا طارية علينا أو غريب ..
٢٠٧	مزدلي بن تيولتيكان بن حمى بن محمد بن تزقوت بن وزبابطن بن منصور بن
٢٠٧	نصالة بن أمية بن وابتن الصنهاجي اللثموني ..
٢٠٧	موسى بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الهثاني ..
٢٠٨	متدبل بن يعقوب بن عبد الحق بن مخيو الأمير أبو زيان ..
٢١٠	ومن الطارئين ..
	المطرف بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن
٢١٠	عبد الرحمن بن معاوية ..
٢١١	منذر بن يحيى التيجيبي ..
٢١٦	موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمرايين بن زيان ..
٢٢٠	مبارك ومظفر الأميان مؤليا المنصور بن أبي عامر ..
٢٢٨	ومن ترجمة الأعيان والوزراء بل ومن ترجمة الطارئين والغرباء منها ..
٢٢٨	منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن مخيو ..
٢٢٩	مقاتل بن عطية البزالي ..
٢٣٠	ومن السفر التاسع من ترجمة القضاة ..
٢٣٠	مؤمل بن رجاء بن عكرمة بن رجاء العقيلي ..
٢٣١	ومن الطارئين والغرباء ..
٢٣١	المهلب بن أحمد بن أبي صفرة الأسدي ..
٢٣١	ومن ترجمة الكتاب والشعراء وهم الأصليون ..
	مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن الفرج بن أزرع بن سعد بن
٢٣١	سالم بن الفرج ..
٢٤٨	ومن طارئين المقرئين والعلماء ..
٢٤٨	منصور بن علي بن عبد الله الزواوي ..
٢٥١	مسلم بن سعيد التملبي ..
٢٥٢	ومن العمال الأثراء ..
٢٥٢	مؤمل، مولى باديس بن حبوس ..

### حرف النون الملوك والأمراء

	نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد بن محمد بن خميس بن
٢٥٤	عقيل الخزرجي الأنصاري ..
٢٦١	ومن الأعيان والوزراء ..
٢٦١	نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري ..
٢٦١	نصر بن إبراهيم بن أبي الفتح بن نصر بن إبراهيم بن نصر الفهري ..
٢٦٢	ومن الكتاب والشعراء ..
٢٦٢	نزهون بنت القليبي ..

## حرف الصاد من الأعيان والوزراء

- ٢٦٤ ..... الصَّمِيل بن حاتم بن عمر بن جذع بن شَمِر بن ذي الجوشن الضَّبَابِي الكَلْبِي  
 ٢٦٦ ..... ومن الكتاب والشعراء  
 ٢٦٦ ..... صَفْوَان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن إدريس التَّجِيبي  
 ٢٧٥ ..... صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف التَّفْزِي

## حرف العين من ترجمة الملوك والأمراء

- ٢٨٧ ..... عبد الله بن إبراهيم بن علي بن محمد التَّجِيبي الرئيس أبو محمد بن إشْقِيلُولَة  
 ٢٨٩ ..... عبد الله بن بَلْقَيْن بن باديس بن حُبُوس بن مَكْسَن بن زيري بن مَنَاد الصَّنَهَاجِي  
 ٢٩١ ..... عبد الله بن علي بن محمد التَّجِيبي، الرئيس أبو محمد بن إشْقِيلُولَة  
 ٢٩٢ ..... عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العَرَفِي  
 ٢٩٣ ..... عبد الله بن الجَبِير بن عثمان بن عيسى بن الجَبِير اليحصبي  
 ٢٩٤ ..... عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن علي السُّلْمَانِي  
 ٢٩٨ ..... عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جُزَي  
 ٣٠٥ ..... ومن المقرئين والعلماء  
 ٣٠٥ ..... عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مجاهد العبدري الكَوَّاب  
 ٣٠٦ ..... عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن سَلْمُون الكَنَانِي  
 ٣٠٨ ..... عبد الله بن سهل الغرناطي  
 ٣٠٩ ..... عبد الله بن أيوب الأنصاري  
 ٣٠٩ ..... عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري  
 ٣١٣ ..... عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عيسى بن أحمد بن إسماعيل بن سِمَاك العاملي  
 ٣١٤ ..... ومن ترجمة القضاة  
 ٣١٤ ..... عبد الله بن أحمد بن محمد بن سعيد بن أيوب بن الحسن بن مُنْخَل بن زيد الغافقي  
 ٣١٥ ..... عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن أبي زَمْتين المُرِّي  
 ..... عبد الله بن يحيى بن محمد بن أحمد بن زكريا بن عيسى بن محمد بن يحيى بن  
 ٣١٥ ..... زكريا الأنصاري  
 ٣١٦ ..... عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أبي جمرة الأزدي  
 ..... عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن حَوَوط الله  
 ٣١٧ ..... الأنصاري الحارثي الأزدي  
 ٣١٨ ..... عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري  
 ٣١٩ ..... عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفي العاصمي  
 ٣٢٠ ..... عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حماد الصَّنَهَاجِي  
 ٣٢٠ ..... ومن ترجمة الكتاب والشعراء بين أصلي وطاريء  
 ٣٢٠ ..... عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي  
 ٣٢٨ ..... عبد الله بن إبراهيم بن وَزَمَر الجحاري الصَّنَهَاجِي

- ٣٣١ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب السِّلْماني
- ٣٣٣ عبد الله بن محمد بن سارة البكري
- ٣٣٥ عبد الله بن محمد الشَّراط
- ٣٣٧ عبد الله بن يوسف بن رضوان بن يوسف بن رضوان الثَّجاري
- عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن محمد بن  
عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن
- ٣٤٧ عمار بن ياسر
- ٣٤٩ ومن الصوفية والفقراء
- ٣٤٩ عبد الله بن عبد البر بن سليمان بن محمد بن محمد بن أشعث الرُّعيني
- ٣٥١ عبد الله بن فارس بن زيان
- ٣٥٢ عبد الله بن فرج بن غَزَلون اليحصبي
- ٣٥٣ ومن الملوك والأمراء والأعيان والوزراء
- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله [بن محمد] بن عبد الرحمن بن الحكم بن  
٣٥٣ هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، أمير المؤمنين، الناصر لدين الله
- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن
- ٣٥٥ عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية
- عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي
- ٣٥٦ العاصي بن أمية بن عبد شمس
- ٣٥٩ عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى بن سعيد بن محمد اللخمي
- ٣٦٠ عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحيم الخزرجي
- ٣٦٣ ومن ترجمة المقرئين والعلماء والطلبة النجباء من ترجمة الطائرين منهم
- عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن أَصْبَغ بن حسن بن سعدون بن
- ٣٦٣ رضوان بن فتوح الخثعمي
- ٣٦٦ عبد الرحمن بن هانئ اللخمي
- ٣٦٧ عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي
- ٣٦٨ عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الأنصاري
- عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن
- ٣٧٧ محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي
- ٣٩٥ عبد الرحمن بن الحاج بن القمي الإلبيري
- ٣٩٥ عبد الرحمن بن يَخْلَفَتْن بن أحمد بن تفلت الفاززي
- ٣٩٩ ومن السفر العاشر العمال الأثرا في هذا الحرف
- ٣٩٩ عبد الرحمن بن أسباط
- ٤٠٠ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافري
- ٤٠٣ عبد الرحمن بن عبد الملك الينشتي
- ٤٠٥ وفي سائر الأسماء التي بمعنى عبد الله وعبد الرحمن، وأولاد الأمراء

٤٠٥	عبد الأعلى بن موسى بن نُصير مولى لخم .....
٤٠٦	عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن مَخْيُو .....
٤٠٨	عبد المؤمن بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن مَخْيُو .....
٤٠٨	ومن الأفراد أيضًا في هذا الحرف وهم طارؤون .....
٤٠٨	عبد الحق بن علي بن عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق .....
٤٠٩	عبد الواحد بن زكريا بن أحمد اللحياني .....
٤١٠	ومن ترجمة الأعيان والوزراء والأمائل والكبرا .....
٤١٠	عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق بن مَخْيُو .....
٤١١	عبد الملك بن علي بن هُذيل الفزاري وعبد الله أخوه .....
٤١١	عبد القهار بن مفرج بن عبد القهار بن هذيل الفزاري .....
٤١٢	القضاة الفضلاء وأولاً الأصليون .....
	عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن
	تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية بن خفاف بن
٤١٢	أسلم بن مكتوم المحاربي .....
٤١٥	عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن فرج الخزرجي .....
٤١٩	ومن غير الأصليين .....
	عبد الحكيم بن الحسين بن عبد الملك بن يحيى بن باسيو بن تاذزرت الثنمالي
٤١٩	اليدرازي ثم الواغديني .....
٤٢٠	ومن المقرئين والعلماء .....
	عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة بن العباس بن مِرْداس
٤٢٠	السلمي .....
٤٢٤	ومن الطارئین عليها .....
٤٢٤	عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السُّداد الأموي المالقي، الشهير بالباهلي .....
٤٢٥	ومن الكتاب والشعراء في هذا الحرف .....
	عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة بن أحمد بن
٤٢٥	عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي .....
٤٣٩	عبد الرزاق بن يوسف بن عبد الرزاق الأشعري .....
٤٤٠	عبد الملك بن سعيد بن خلف العنسي .....
٤٤١	عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز بن يست ..
٤٤٥	عبد البر بن فرسان بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الغساني .....
٤٤٨	عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني .....